البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

محمد معتز كريم الدين

الجزء الحادي عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
(٤) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي
الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ
رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا
بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ
يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ
فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)﴾.

المفردات النَّفْل: الزيادة على الواجب، وسُمِّيت الغنيمةُ به؛ لأنَّها زيادةٌ على القيام بحماية الحَوْزَة، وقال لبيد:

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ ... وبإذنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ[2]

أي: خيرُ غنيمة، وقال عنترة:

---

(١) بعدها في المطبوع: خمس وسبعون آية مدنية.

(٢) ديوان لبيد ص ١٧٤، وقوله: ريثي. الرَّيْث: الإبطاء. اللسان (ريث).

إنَّا إذا احمرَّ (١الوغى نُروي القَنَا١) ونَعِفُّ عند مقاسِمِ الأنفالِ(٢)

الوَجَل: الفَزَع.

الشَّوكة: قال المبرِّد: السلاح، وأصله مِن الشَّوْك، وهو النَّبْتُ الذي له (٣حَدٌّ، شُبِّه٣) السلاحُ به، يقال: رجلٌ شاكي السلاح: إذا كان حديدَ السِّنَان والنَّصْل، وأصله: شائِك، وهو اسمُ فاعلٍ مِن الشَّوْك، وقال:

لدى أَسَدٍ شَاكي السِّلاح مُقَذَّفٍ له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقَلَّمِ(٤)

وقال أبو عبيد(٥): الشاكي والشائك جميعاً: ذو الشوكةِ والحدِّ(٦) في سلاحه. ويُوصَف به السلاح كما يُوصَف به الرَّجل، وقال:

وأَلْبَسُ مِن رِضاهُ في طريقي سلاحاً يَذْعَرُ الأبطالَ شاكا(٧)

وتقول: رجلٌ شَاكٌ، وسلاحٌ شاكٌ وشاكٍ، فشَاكٌ أصله: شَوِكٌ، نحو: كَبْش صافٍ، أي: صَوِف، وشَاكٍ إمَّا محذوف، وإمَّا مقلوبٌ، وإيضاح هذا في علم النحو.

الاستغاثة: طَلَب الغَوْث والنَّصر، غَوَّثَ الرَّجُلُ، قال: واغَوْثاه، والاسم: الغَوْث والغُوَاث والغَوَاث.

(١-١) في (أ): الوغى يزوي القنا. وفي المطبوع: الوغاء ذوي الغنى.

(٢) ديوان عنترة ص ١٩٣، وفيه: حَمِسَ، بدل: احمرَّ - وكلاهما بمعنى - وتقاسم، بدل: مقاسم.

(٣-٣) تحرفت في المطبوع إلى: خربشة.

(٤) البيت لزهير، وهو من معلَّقته المشهورة، وهو في شرح ديوانه ص ٢٣، وشاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. والمُقذَّف: الغليظ اللحم. واللِّبد: الشعر المتراكب على زُبْرَة الأسد، إذا أسنَّ فهو ذو لبدة. أظفاره لم تُقلَّم: أي: هو تامُّ السلاح حديدُه.

(٥) في (ب) والمطبوع: أبو عبيدة. وكلام أبي عبيد نقله عنه الأزهريُّ في تهذيب اللغة ١٠/ ٣٠٣، وينظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٠٢.

(٦) تحرفت في المطبوع إلى: وانجرّ.

(٧) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ٣/ ١٣٤، وورد في (ب) و(ز١) و(يه): يذعن، بدل: يذعر. والمثبت من باقي النسخ.

وقيل: الاستغاثة: طَلَب سَدِّ[١] الخَلَّة وقتَ الحاجة، وقيل: الاسْتِجارة.

رَدِفَ وأَرْدَفَ بمعنًى واحد[٢]: تَبِعَ، قال[٣]:

إذا الجوزاءُ أردفت الثريا ظننتُ بآلِ فاطمة الظُّنونا[٤]

ويقال: أَرْدَفته إيَّاه، أي: أَتْبَعْته.

العُنُق معروف، وجمعه في القلَّة على: أَعناق، وفي الكثرة على: عُنوق.

البَنَان: الأصابع، وهو اسمُ جنسٍ، واحدُه: بَنَانة، وقالوا فيه: البَنَام، بالميم بدل النون، قال رؤبة:

يا هالَ ذاتَ المنطق التمتامْ وكَفِّك المخضَّبِ البَنَامْ[٥]

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التفسير ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ هذه السورة مدنيَّة كلُّها، قال ابن عباس:

(١) في المطبوع: سرّ.
(٢) ليست في (ب) و(ز١)، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٤١، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ١/ ٤٨٩، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٥٧.
(٣) من هنا إلى نهاية بيت الشعر، لم يرد في المطبوع.
(٤) البيت لخزيمة بن مالك بن نهد، وهو في الأغاني ١٣/ ٧٨، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢/ ١٩٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ١/ ١٢٣، ومجمع الأمثال للميداني ١/ ٧٥، والأمثال لأبي عبيد ص ٣٤٥، وفيه: حزيمة، بالحاء، وأشار لذلك الميداني فقال: ويروى: حزيمة، كذا روى أبو الندى في أمثاله. وفاطمة هي بنت يَذْكُر بن عَنَزَة، وكان خزيمة يهواها.
(٥) الرجز في ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٨٣ في الأبيات المفردة المنسوبة له، والشطر الأول في ديوانه ص ١٤٤، وبعده: كأنَّ وَسْواسَكِ بالنُّمام.
وهو بالرواية المذكورة أعلاه عند ابن جنِّي في سرِّ صناعة الإعراب ١/ ٤٢٢، والزمخشري في المفصل كما في شرح ابن يعيش ١٠/ ٣٣، والتمتمة: أن تَسبق كلمتُه إلى حنكه الأعلى، فهو تمتام، وهي تمتامة.

إلَّا سَبْعَ آياتٍ، أوَّلها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ [الآية: ٣٠] إلى آخِر الآيات. وقال مقاتل: غير آيةٍ واحدة، وهي: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[١]، نزلت في قصَّة وقعت بمكَّة، ويمكن أن تنزل الآيةُ في ذلك بالمدينة، ولا خلافَ في أنَّها نزلت في يوم بدر وأَمْرِ غنائمه.

وقد طوَّل المفسِّرون الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة وغيرُهما في تعيين ما كان سببَ نزول هذه الآيات، وملخَّصها أنَّ نفوسَ أهل بدر تنافرت ووَقَع فيها ما يَقع في نفوسِ البشر مِن إرادة الأُثْرَة والاختصاص، ونحن لا نُسمِّي مَن أَبْلَى ذلك اليومَ[٢]، فنزلت، ورضي المسلمون وسَلَّموا وأصلح اللهُ ذاتَ بينهم[٣].

واختلف المفسِّرون في المراد بالأنفال؛ فقال ابنُ عباس وعكرمة ومجاهد والضَّحَّاك وقتادة وعطاء وابنُ زيد: هي الغنائمُ مُجملةً[٤].

قال عكرمة ومجاهد: كان هذا الحُكم من الله لرَفْع[٥] الشَّغَب، ثم نُسخَ بقوله: «واعلموا أنَّما غنمتم مِن شيء» الآية [٤١]. وقال ابن زيد: لا نَسْخَ، إنَّما أخبر أنَّ الغنائمَ لله مِن حيث هي مِلْكُه ورِزْقُه، وللرسولِ مِن حيث هو مبيِّن لحُكم الله والصَّادِعُ فيها؛ ليقعَ التسليمُ فيها مِن الناس، وحُكم القسمةِ نازل[٦] خلالَ ذلك[٧].

وقال ابنُ عباس أيضاً: «الأنفال» في الآية ما يُعطيه الإمامُ لمَن رآه؛ مِن سيفٍ أو فرسٍ أو نحوِه.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦، والنكت والعيون ٢/ ٢٩٢، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٤١.
(٢) يقال: أَبْلَى فلان: إذا اجتهد في صفة حربٍ أو كَرَم، يقال: أَبْلَى ذلك اليومَ بلاءً حسناً. اللسان (بلي)، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٧.
(٣) ينظر الكشاف ٢/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦-٤٩٧، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٤١-٤٤٣.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦، وينظر النكت والعيون ٢/ ٢٩٢، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٥-٦.
(٥) في (ب) والمطبوع: لدفع. وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦.
(٦) في المطبوع: قاتل.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٧، وما بعده منه أيضاً، وأخرج قول مجاهد وعكرمة الطبريُّ ١١/ ٢١، وابن أبي شيبة (٣٣٩٦١)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٥١٩) و(٥٢٠)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ١٦٤، وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١١/ ٢٢- ٢٤.

وقال عليُّ بنُ صالح بنِ حَيّ[١] والحسنُ: «الأنفال» في الآية [٢]إنَّما تَجِيْءُ به السرايا خاصَّة.

وقال مجاهد: الأنفال في الآية[٢] الخُمُس[٣].

وقال ابنُ عباس وعطاء أيضاً: «الأنفال» في الآية ما شَذَّ مِن أموالِ المشركين إلى المسلمين، كالفرس العائر[٤]، والعَبْدِ الآبِق، هو للنبيِّ ﷺ يَصنع فيه ما يشاء.

وقال ابنُ عباس أيضاً: «الأنفال» في الآية ما أُصيبَ مِن أموال المشركين بعد قِسْمة الغنيمة[٥].

وهذه الأقوال الأربعة مخالفة لما تضافرت عليه أسبابُ النزول المرويَّة، والجيِّد هو القولُ الأوَّل، وهو الذي تظاهرت الرواياتُ به.

وقال الشعبيُّ: «الأنفال» الأسارى. وهذا إنَّما هو منه على جهةِ المثال[٦]، وقد طوَّل ابنُ عطيَّة وغيرُه في أحكام ما يُنفِّله الإمامُ، وحُكم السَّلَب، وموضع ذلك كتبُ الفقه[٧].

وضمير الفاعل في «يسألونك» ليس عائداً على مذكورٍ قبله، إنَّما يُفسِّره وقعةُ بَدْر، فهو عائد على مَن حَضَرها مِن الصَّحابة، وكأنَّ السائلَ معلومٌ معيَّن ذلك

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: وابن جني. وورد في مطبوع المحرر الوجيز ٢/٤٩٨ هكذا: وقال علي بن صالح بن جني. اهـ. وكذا وردت في (ب) و(يه)، وعلي بن صالح بن صالح بن حيّ هو الهمداني أبو محمد الكوفي، أخو الحسن بن صالح، وهما توأمان. تهذيب الكمال. وخبره أخرجه عنه الطبري ١١/٧.

(٢-٢) ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه عنه الطبري ١١/١٠.

(٤) في (يه) و(ع): الغابر. والخبر أخرجه عنهما الطبري ١١/٧-٨، وأبو عبيد في الأموال (٧٥٨) و(٧٦٢)، وابن زنجويه (١١٢٨) و(١١٣٢)، وعارَ الفرسُ يَعيرُ: ذهب هنا وهنا؛ من نشاطه، أو: هَامَ على وجهه لا يثنيه شيء. المغرب ص ٩٢ (عير).

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٩٨، وأخرجه عنه الطبري ١١/٨.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٩٨ وعزاه للنقاش.

(٧) ينظر المصدر السابق، والتمهيد ١٥/٥٣، والاستذكار ١٥/١٠١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٢٥، والقرطبي ٩/٤٤٤ وما بعدها.

اليوم، فعاد الضمير عليه، والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، والسؤال قد يكون لاقتضاء معنًى في نفس المسؤول، فيتعدَّى إذ ذاك بـ «عن» كما قال:

سَلِي إنْ جَهِلتِ الناسَ عنَّا وعَنْهُمُ[1]

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ [الأحزاب:٦٣]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧]، وكذا هنا «يسألونك عن الأنفال» أي: حُكْمِها، ولمَن تكون؟ ولذلك جاء الجوابُ: «قل الأنفال لله والرسول».

وقد يكون السؤال لاقتضاءِ مالٍ أو نحوِه فيتعدَّى إذ ذاك لمفعولَين، تقول: سألت زيداً مالاً، وقد جعل بعضُ المفسِّرين السؤالَ هنا بهذا المعنى، وادَّعى زيادةَ «عن»، وأنَّ التقدير: يسألونكَ الأنفالَ، وهذا لا ضرورةَ تدعو إلى ذلك، وينبغي أن تُحمل قراءة مَن قرأ بإسقاط «عن» على إرادتها؛ لأنَّ حذفَ الحرف وهو مرادٌ معنًى أسهلُ من زيادته لغير معنًى غير التوكيد، وهي قراءةُ سعد بنِ أبي وقَّاص وابنِ مسعود وعليِّ بنِ الحسين وولدَيْه زيدٍ ومحمدٍ الباقرِ وولدِه جعفرٍ الصادقِ وعكرمة وعطاءٍ والضَّحَّاك وطلحةَ بنِ مُصرِّف[2].

وقيل: «عن» بمعنى «مِن»، أي: يسألونك من الأنفال. ولا ضرورةَ تدعو إلى تضمين الحرفِ معنى الحرف.

وقرأ ابنُ محيصن: «عَلَّنْفال»، نَقَلَ حركةَ الهمزة إلى لام التعريف، وحَذَفَ الهمزة واعتدَّ بالحركة العارضة فأدغم[3]، نحو: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ [العنكبوت:٣٨].

ومعنى: «قل الأنفال لله والرسول» ليس الحُكم فيها لأحد مِن المهاجرين ولا مِن الأنصارِ، ولا فُوِّض إلى أحدٍ، بل ذلك مفوَّض لله على ما يُريده، وللرسولِ حيث هو مبلِّغ عن الله الأحكامَ، وأَمَرهم بالتقوى؛ ليزولَ عنهم التخاصمُ ويَصيروا

(١) صدر بيت للسموءل، وهو في ديوانه ص ٩٢، وعجزه: فليس سواءٌ عالِمٌ وجهولُ.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحتسب ١/ ٢٧٢.
(٣) الكشاف ٢/ ١٤١، والقراءات الشاذة ص ٤٨.

متحابِّين [(١] في الله، وأَمَر بإصلاح ذاتِ البَين، وهذا يدلُّ على أنَّه كانت بينهم [١)] مبايَنة ومُباعَدة ربَّما خِيف أن تُفْضي بهم إلى إفساد ما بينهم مِن المودَّة والمصافاة، وتقدَّم الكلام على «ذات» في قوله: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

والبَين هنا الفِراق والتباعد، و«ذات» هنا نعتٌ لمفعول محذوف، أي: وأصلحوا أحوالاً ذاتَ افتراقِكم، لمَّا كانت الأحوالُ ملابسةً للبَين، أُضيفت صفتُها إليه، كما تقول: اسقِني ذا إنائك، أي: ماءً صاحِبَ إنائك، لمَّا لابسَ الماءُ الإناءَ وُصفَ بـ «ذا»، وأُضيف إلى الإناء، والمعنى: اسقني ما في الإناءِ مِن الماء.

قال ابنُ عطيَّة: و«ذات» في هذا الموضع يُراد بها نفسُ الشيء وحقيقتُه، والذي يُفهَم مِن «بينكم» هو معنًى يعمُّ جميعَ الوُصَل والالتحامات والمودَّات، وذاتُ ذلك هو المأمورُ بإصلاحها، أي: نَفْسه وعَيْنه، فحضَّ اللهُ على إصلاح تلك الأجزاء، فإذا صلحت[٢] تلك حصل إصلاحُ ما يعمُّها وهو البَين الذي لهم، وقد تُستعمل لفظة الذات على أنَّها لَزِيْمَةٌ ما تُضاف إليه وإن لم يكن نَفْسه وعَيْنه، وذلك في قوله: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣] و﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ [الأنفال: ٧]، وتحتمل ذات البين أن تكون هذه، وقد تُقال الذاتُ أيضاً بمعنى آخَر وإن كان يَقرُب مِن هذا، وهو قولهم: فعلتُ كذا ذات يومٍ، ومنه قولُ الشاعر:

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... ذات العشاءِ ولا تَسري أفاعيها[٣]

وذكر الطبريُّ عن بعضِهم أنَّه قال: «ذات بينكم» الحال التي بَيْنكم، كما: ذاتُ العِشاء: الساعةُ التي فيها العشاءُ، ووجَّهه[٤] الطبريُّ، وهو قولٌ بَيِّن الانتقاض. انتهى.

(١-١) ليست في (ب).
(٢) في المطبوع: حصلت.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٠، والبيت لجنوب أخت عمرو ذي الكلب، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ١٢٦، والمعاني الكبير للدينوري ١/ ٢٣٣، وفيهما: من العشاء، بدل: ذات العشاء. فلا ذِكْر للشاهد فيه.
(٤) في (ب): ووجّه. وفي المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٠: ورجَّحه، وهو الصواب، ينظر تفسير الطبري ١١/ ٢٦.

وتلخَّص أنَّ البَين يُطلَق على الفراق، ويُطلَق على الوَصْل، وهو قول الزجَّاج هنا، قال: ومِثْلُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُم﴾[1] [الأنعام:٩٤]، وتكون ظرفاً بمعنى: وَسْط.

ويحتمل «ذات» أن تُضاف لكلِّ واحدٍ مِن هذه المعاني، وإنَّما اخترنا أنَّه بمعنى الفراق؛ لأنَّ استعمالَه فيه أشهرُ مِن استعماله في الوَصْل، ولأنَّ إضافة «ذاتٍ» إليه أكثرُ مِن إضافة «ذات» إلى «بين» الظرفيَّة؛ لأنَّها ليست كثيرةَ التصرُّف، بل تصرُّفها كتصرُّف «أمام» و«خَلْفٍ»، وهو تصرُّف متوسِّط ليس بكثير.

وأَمَرَ تعالى أوَّلاً بالتقوى؛ لأنَّها أصلُ الطاعات، ثم بإصلاح ذاتِ البين، لأنَّ ذلك أهمُّ نتائجِ التقوى في ذلك الوقت الذي تَشاجروا فيه، ثم أَمَرَ بطاعته وطاعةِ رسوله فيما أَمَرَكم به مِن التقوى والإصلاح وغيرِ ذلك.

[2]وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أنْ دعاهم، وقال: اقْسِموا غنائمكم بالعدل. فقالوا: قد أَكَلنا وأَنْفَقنا. فقال: لِيَرُدَّ بعضُكم على بعض[2].

ومعنى: «إن كنتم مؤمنين» أي: إن كنتم كَامِلي الإيمان، وتَسَنَّنَ هنا الزمخشريُّ واضْطَرب، فقال: وقد جَعل التقوى وإصلاحَ ذاتِ البين وطاعةَ الله تعالى والرسولِ ﷺ مِن لوازم الإيمان وموجباتِه، ليُعلمهم أنَّ كمالَ الإيمان موقوفٌ على التوفُّر عليها، ومعنى: «إن كنتم مؤمنين» إن كنتم كاملي الإيمان[3].

قال ابنُ عطيَّة: كما يقولُ الرَّجُلُ: إن كنتَ رجلاً فافعل كذا، أي: إن كنتَ كاملَ الرجوليَّة، قال: وجوابُ الشَّرْط في قوله المتقدِّم: «وأطيعوا» هذا مذهب سيبويه، ومذهب أبي العبَّاس أنَّ الجوابَ محذوفٌ متأخِّر يدلُّ عليه المتقدِّم،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٠، و«بينُكم» بضمِّ الميم قراءة الجمهور، في حين قرأ نافع والكسائي وحفص في روايته عن عاصم وأبو جعفر: بفتح الميم. السبعة ص ٢٦٣، والتيسير ص ١٠٥، والنشر ٢/ ٢٦٠.

(٢-٢) ليست في المطبوع. والكلام من الكشاف ٢/ ١٤١، وقول عطاء أورده أيضاً الآلوسي في روح المعاني ١٠/ ١٨-١٩ وفيه أنَّ الذي دعاهم هو رسول الله ﷺ، وهو الذي قال لهم: «اقسموا...» و«ليَرُدَّ...» ولم يُصرِّح بذلك في مطبوع الكشاف ولا مخطوطه الورقة (١٨١)، فليحرَّر!.

(٣) الكشاف ٢/ ١٤١-١٤٢.

تقديره: إن كنتم مؤمنين أَطيعوا، ومذهبه في هذا أنْ لا يتقدَّم الجوابُ على الشَّرْط[١]. انتهى.

والذي قالَ مخالفٌ لكلام النُحاة، فإنَّهم يقولون: إنَّ مذهبَ سيبويه أنَّ الجوابَ محذوفٌ، وأنَّ مذهبَ أبي العباس وأبي زيد الأنصاريِّ والكوفيين جوازُ تقديمِ جوابِ الشرط عليه، وهذا النَّقْل هو الصحيحُ[٢].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ قُرِئَ: «وَجَلَت» بفتح الجيم، وهي لغة[٣]، وقرأ ابنُ مسعود: «فَرِقَتْ»، وقرأ أُبيٌّ: «فَزِعَتْ»[٤]، وينبغي أن تُحمل هاتان القراءتان على التفسير.

ولـمَّا كان معنى «إن كنتم مؤمنين»: [٥]إن كنتم كاملي الإيمان[٥]، قال: «إنَّما المؤمنونَ» أي: الكامِلُو الإيمان، ثم أَخبر عنهم بموصول وُصِلَ بثلاثِ مقامات عظيمة؛ مقامِ الخوف، ومقامِ زيادة الإيمان، ومقامِ التوكُّل.

ويَحتمل قوله: «إذا ذُكرَ اللهُ»: إنْ يُذكَر اسمُه فقط ويُلفَظ به تَفْزَع قلوبُهم لذِكْره؛ استعظاماً له وتهيُّباً وإجلالاً، ويكون هذا الذِّكْر مخالفاً للذِّكْر في قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣] لأنَّ ذِكْرَ الله هناك رأفتُه ورحمته وثوابُه، ويَحتمل أن يكون «ذكر الله» على حَذْفٍ، أي: ذُكِرَت عظمةُ الله وقدرته وما خوَّف به مَن عصاه، قاله الزجَّاج[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٠.

(٢) ينظر الكتاب ٣/ ٦٥ وما بعدها، والمقتضب ٢/ ٦٨ وما بعدها، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٦٢٣ وما بعدها، والدر المصون ٥/ ٥٥٨ حيث عقَّب الأخير على المسألة بقوله: ويجوز أن يكون للمبرد قولان وكذا لسيبويه، فنقل كلُّ فريقٍ عن كلٍّ منهما أحدَ القولين.

(٣) الكشاف ٢/ ١٤٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٨ وعزاها ليحيى وأبي واقد.

(٤) القراءتان في المحرر الوجيز ٢/ ٥٠١، وقراءة ابن مسعود ذكرها أيضاً الثعلبي في التفسير ٣/ ١١٥، والزمخشري في الكشاف ٢/ ١٤٢.

(٥-٥) ليست في المطبوع.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٠.

وقال السُّدِّيُّ: هو الرجل يَهُمُّ بالمعصية فيَذكر اللهَ فيَنْزِع عنها. وفي الحديث في السبعة الذين يُظلُّهم اللهُ تحتَ ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: «ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات جمالٍ ومنصب، فقال: إنِّي أخافُ الله»(١).

ومعنى «زادتهم إيماناً» أي: يقيناً وتثبيتاً، لأنَّ تظاهُر الأدلَّة وتضافرها أقوى على الطمأنينة للمدلول عليه وأرسخُ لقَدَمِه.

وقيل: المعنى أنَّه إذا كان لم يَسمع حكماً مِن أحكام القرآن منزلٍ على النبيّ ﷺ فسمعه فآمَنَ به زاد إيماناً إلى سائر ما قد آمَن به، إذ لكلِّ حكم تصديقٌ خاصٌّ(٢)، ولهذا قال مجاهد: عبّر بزيادة الإيمان عن زيادةِ العِلْم بأحكامه. وقيل: زيادةُ الإيمان كنايةٌ عن زيادة العمل.

وعن عمر بنِ عبد العزيز: إنَّ للإيمان سنناً وفرائضَ وشرائعَ، فمَن استكملها استكملَ الإيمان(٣).

وقيل: هذا في الظالم يُوعَظ فيُقال له: اتَّقِ اللهَ، فيُقلِع، فيزيده ذلك إيماناً.

والظاهر أنَّ قوله: «وعلى ربِّهم يتوكلون» داخلٌ في صِلَة «الذين»، كما قلنا قَبْلُ، وقيل: هو مستأنَف، وترتَّبت هذه المقامات أحسن ترتيبٍ، فبُدِئ بمقام الخوف؛ إمَّا خوفِ الإجلال والهيبة، وإمَّا خوفِ العقاب، ثم ثانياً بالإيمان بالتكاليف الواردة، ثم ثالثاً بالتفويض إلى الله والانقطاع إليه ورَفْضِ(٤) ما سواه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾ الأحسن أن يكون «الذين» صفةً لـ «الذين» السابقة حتى تدخلَ في حيِّز الخبريَّة(٥)، فيكون ذلك إخباراً عن

---

(١) قول السدي في تفسير الثعلبي ٣/ ١١٥، والحديث أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، وأحمد (٩٦٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠١.

(٣) الكشاف ٢/ ١٤٢، وأورده أيضاً البخاري في صحيحه معلقاً قبل الحديث (٨)، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١١٥ وهو مما كَتَبه لعديّ بن عديّ. والقرطبيُّ ١٠/ ٤٣٦ لكن مما كَتَبه الحسن لعمر بن عبد العزيز، وقال عمر بن عبد العزيز إثره: فإن أَعِشْ فسأبيِّنها لكم، وإن أَمُتْ فما أنا على صحبتكم بحريص. وعزاه للبخاري.

(٤) في المطبوع: ورخص.

(٥) في المطبوع: الجزئية.

المؤمنين بثلاث الصِّلَاتِ القلبيَّة، وعنهم بالصفة البدنيَّة والصفة الماليَّة، وجمعَ أفعال القلوب؛ لأنَّها أشرفُ، وجمعَ في أفعال الجوارح بين الصلاةِ والصدقةِ؛ لأنَّهما عمودا أفعالِ الجوارح، وأجاز الحوفيُّ والتبريزيُّ أن يكون «الذين» بدلاً مِن «الذين»، وأن يكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هم الذين.

والظاهر أنَّ قولَه: «وممَّا رزقناهم يُنفقون» عامٌّ في الزكاة ونوافلِ الصدقات وصِلَات الرَّحِم وغيرِ ذلك مِن المَبَارِّ الماليَّة، وقد خصَّ ذلك جماعة من المفسِّرين بالزكاة؛ لاقترانها بالصَّلاة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ قال ابنُ عطيَّة: «حقًّا» مصدر مؤكِّد، كذا نصَّ عليه سيبويه، وهو المصدرُ غيرُ المنتقل، والعاملُ فيه: أَحقُّ ذلك حقًّا[1]. انتهى. ومعنى ذلك أنَّه تأكيدٌ لِمَا تضمَّنته الجملةُ مِن الإسناد الخَبَرِيِّ، وأنَّه لا مجازَ في ذلك الإسناد.

وقال الزمخشريُّ: «حقًّا» صفةٌ للمصدر المحذوف، أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقًّا، أو هو مصدر مؤكِّد للجملة التي هي «أولئك هم المؤمنون»، كقوله: هو عبد الله حقًّا، أي: حقَّ ذلك حقًّا، وعن الحسن أنَّ رَجُلاً سأله: أمؤمنٌ أنت؟ قال: الإيمانُ إيمانانِ؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبِه ورسلِه واليوم الآخِرِ والجنَّة والنار والبعثِ والحساب، فأَنا مؤمن، وإن كنتَ تسألني عن قوله: «إنما المؤمنون»، فواللهِ لا أدري أمنهم أَنَا أم لا[2]؟

وأَبْعَدَ مَن زعم أنَّ الكلامَ تَمَّ عند قوله: «أولئك هم المؤمنون»، وأنَّ «حقًّا» متعلِّق بما بَعْدَه، أي: حقًّا لهم درجاتٌ[3]، وهذا لأنَّ انتصابَ «حقًّا» على هذا التقدير يكون عن تمامِ جملة الابتداء، فمكانه التأخير عنها؛ لأنَّه مصدرٌ مؤكِّد لمضمونِ الجملة، فلا يجوز تقديمُه، وقد أجاز ذلك بعضهم، وهو ضعيف.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠١، وينظر الكتاب ٣/ ٤٩٧.
(٢) الكشاف ٢/ ١٤٢، وقول الحسن - وهو البصري - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٦).
(٣) ينظر تفسير الرازي ١٥/ ١٢٠.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾لما تقدَّمت ثلاثُ صفاتٍ؛ قلبيَّة وبدنيَّة وماليَّة، ترتَّب عليها ثلاثةُ أشياء، فقُوبلت الأعمال القلبيَّة بالدرجات، والبَدَنيَّة بالغفران، وفي الحديث أنَّ رجلاً أتى مِن امرأةٍ أجنبيَّة ما يَأتيه الرجلُ مِن أهله غيرَ الوَطْءِ، فسأله الرَّسول ﷺ لمَّا أخبره بذلك: «أصليتَ مَعَنَا؟»، فقال: نعم، فقال له: [«قد غُفرَ لَكَ»][(١)]، وقُوبلت الماليَّة بالرِّزق الكريم، وهذا النوع مِن [(٢)]المقابلةِ من[(٢)] بَدِيْع عِلْم البديع[(٣)].

وقال ابنُ عطيَّة: الجمهور أنَّ المرادَ مراتبُ الجنَّة ومنازلُها ودرجاتُها على قَدْرِ أعمالهم، وحكى الطبريُّ عن مجاهد أنَّها درجاتُ أعمال الدنيا.

وقوله: «ورزق كريم» يريد به مآكلَ الجنَّة ومشاربَها، و«كريم» صفةٌ تقتضي رَفْعَ [(٤)]المذامِّ، كقولك[(٤)]: ثوبٌ كريم، وحَسَبٌ كريم. وقال الزمخشريُّ: «درجاتٌ» شَرَف وكرامةٌ، وعلوُّ منزلة، «ومغفرة» وتجاوزٌ لسيئاتِهم، «ورزقٌ كريم» ونعيم الجنَّة، يعني: منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم، وهذا معنى الثواب[(٥)]. انتهى.

وقال عطاء: درجات الجنَّة يَرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بنُ أنس: سبعون درجة، ما بين كلِّ درجتين حُضْرُ[(٦)] الفَرَس المُضمَّرِ سبعينَ سنةً.

---

(١) مكانها في النسخ بياض، وما بين حاصرتين من مستدرك الحاكم ٤/ ٢٥٣ من حديث أنس، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.
وأصل الحديث عند البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤) من حديث أنس ﷺ بنحوه، وعند البخاري (٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣)، وأحمد (٣٦٥٣) من حديث ابن مسعود ﷺ بنحوه. وعند مسلم (٢٧٦٥)، وأحمد (٢٢١٦٣) من حديث أبي أمامة ﷺ بنحوه وبروايات وألفاظ متعددة.

(٢-٢) ليست في (أ) و(ع).

(٣) في (ع): البيان.

(٤-٤) في (أ) والمطبوع: المقام كقوله. والمثبت من باقي النسخ الخطية والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠١.

(٥) الكشاف ٢/ ١٤٢.

(٦) في (ب) والمطبوع: حصن. وفي (ع): حَصر، وينظر تفسير البغوي ٢/ ٢٢٩-٢٣٠، والحُضْرُ: العَدْو. الصحاح (حضر). والخبر أخرجه بهذا اللفظ الطبري ١١/ ٣٢ لكن عن ابن محيريز.

وقيل: منازل ومراتبُ في الجنَّة بعضُها على بعض، وفي الحديث: «إنَّ أهلَ الجنَّة ليَتَراءون أهلَ الغُرَفِ كما يُتراءَى الكوكبُ الدُّرِّيُّ»[١]. وثلاثة الأقوال هذه تدلُّ على أنَّه أُريدَ الدرجات حقيقةً، وعن مجاهد: «درجاتٌ» أعمالٌ رفيعة[٢].

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ اضطرب أهلُ التفسير في المراد بقوله: «كما أخرجك ربُّك مِن بيتك بالحقِّ»، واختلفوا على خمسةَ عَشَر قولاً:

أحدُها: أنَّ الكافَ بمعنى واو القَسَم، و«ما» بمعنى «الذي» واقعةٌ على ذي العلم، وهو الله، كما وقعت في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣] وجوابُ القَسَم: «يجادلونك»، والتقدير: واللهِ الذي أخرجكَ مِن بيتِكَ يُجادلونك في الحقِّ، قاله أبو عبيدة[٣]، وكان ضعيفاً في عِلْم النحو.

وقال الكرمانيُّ: هذا سهو. وقال ابنُ الأنباري: الكافُ ليست مِن حروف القَسَم. انتهى. وفيه أيضاً أنَّ جوابَ القَسَم بالمضارع المُثبَت جاء بغيرِ لامٍ ولا نونِ توكيد، ولا بُدَّ منهما في مِثْلِ هذا على مذهب البصريين، أو مِن معاقبةِ أحدِهما الآخَر على مذهب الكوفيين؛ أمَّا عُرُوُّه[٤] عنهما أو عن أحدِهما، فهو قولٌ مخالف لما أَجمعَ عليه الكوفيون والبَصريون.

القول الثاني: أنَّ الكافَ بمعنى «إذ»، و«ما» زائدة، تقديره: اذْكُر إذ أخرجك، وهذا ضعيف؛ لأنَّه لم يَثبُت أن الكاف تكون بمعنى «إذ» في لسان العرب، ولم يَثبُت أنَّ «ما» تُزاد بعد «إذ» غير الشرطيَّة، فكذلك لا تُزاد بَعْدَ ما ادُّعيَ أنَّه بمعناها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، وأحمد (١١٢٠٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١١٦، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٣١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٨.

(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٤٠، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٥٢-٤٥٣.

(٤) في المطبوع: خلوّه.

القول الثالث: أنَّ الكافَ بمعنى «على»، و«ما» بمعنى «الذي»، تقديره: امْضِ على الذي أخرجَك ربُّك مِن بيتك. وهذا ضعيف؛ لأنَّه لم يَثبُت أنَّ الكافَ تكون بمعنى «على»، ولأنَّه يحتاج الموصول إلى عائد، وهو لا يجوز أن يُحذف في مِثْلِ هذا التركيب.

القول الرابع: قال عكرمة: التقدير: وأَطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين، كما أخرجك، في الطاعةِ خيرٌ لكم كما كان إخراجُك خيراً لهم(١).

القول الخامس: قال الكسائيُّ وغيره: المعنى: كما أخرجك ربُّك مِن بيتكَ على كراهةٍ مِن فريقٍ منهم، كذلك يُجادلونك في قتال كفَّار مكَّة، ويودُّون غيرَ ذاتِ الشوكةِ من بعد ما تبيَّن لهم أنَّكَ إنَّما تَفعل ما أُمرتَ به لا ما يُريدون.

قال ابنُ عطيَّة: والتقدير على هذا التأويل: (٢)يُجادلونك في الحقِّ مجادلةً ككراهتهم إخراجَ ربِّكَ إيَّاكَ مِن بيتك، فالمجادَلة على هذا التأويل(٢) بمثابة الكراهية، وكذا وَقَع التشبيه في المعنى، وقائلُ هذه المقالة يقول: إنَّ المجادلين هم المشركون(٣).

القول السادس: قال الفرَّاء: التقدير: امْضِ لأمْرِك في الغنائم، ونَفِّل مَن شئتَ وإن كَرهوا، كما أخرجك ربُّك(٤). انتهى.

قال ابنُ عطيَّة: والعبارة بقوله: امْضِ لأَمْرِك ونَفِّل مَن شئتَ. غيرُ محرَّرة، وتحريرُ هذا المعنى عندي أن يُقال: إنَّ هذه الكاف شَبَّهت هذه القصَّة ـ التي هي إخراجُه مِن بيته ـ بالقصَّة المتقدِّمة التي هي سؤالُهم عن الأنفال، كأنَّهم سألوا عن النَّفْل وتشاجروا، فأَخرج اللهُ ذلك عنهم، فكانت هذه الخِيَرة، كما كَرهوا في هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢، وعبارته فيه هكذا: وقال عكرمة: التقدير: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين كما أخرجك، أي: الطاعةُ خير لكم كما كان إخراجك خيراً لكم.

(٢-٢) ليست في (ب).

(٣) كذا في النُّسخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢: هم المؤمنون. وأما قوله: إن المجادلين هم المشركون. فَرَدُّه إلى القول الذي ذكره عن الفرَّاء، وسيأتي عندنا بعد هذا القول.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠١-٥٠٢، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٠٣.

القصَّة انبعاثَ النَّبيِّ ﷺ، فأخرجه اللهُ مِن بيته، فكانت في ذلك الخِيَرة، وتشاجرهم في النَّفْل بمثابة كراهيتهم هاهنا الخروجَ، وحُكم اللهِ في النَّفل بأنَّه لله والرسول دونَهم، فهو بمثابة إخراجه نبيَّهُ ﷺ مِن بيته، ثم كانت الخِيَرة في القصَّتين فيما صنع الله، وعلى هذا التأويل يمكن أن يكون قوله: «يجادلونك» كلاماً مستأنَفاً يُراد به الكفَّار، أي: يجادلونك في شريعة الإسلام مِن بعد ما تبيَّن الحقُّ فيها، كأنَّما يُساقون إلى الموت في الدُّعاء إلى الإيمان، وهذا الذي ذكرتُ مِن أنَّ «يجادلونك» في الكفار منصوص، قال ابنُ عطيَّة: فهذان قولانِ مطَّردان يتمُّ بهما المعنى، ويَحسُن وصف[1] اللفظ. انتهى.

ويعني بالقولين قولَ الفرَّاء وقولَ الكسائيِّ، وقد كَثَّر الكلامَ في هاتين المقالتين، ولا يظهرانِ ولا يلتئمانِ مِن حيث دلالةُ الألفاظ[2].

القول السابع: قال الأخفش: الكاف نعت لـ «حقًّا»، والتقدير: هم المؤمنون حقًّا كما أخرجك. قال ابنُ عطيَّة: والمعنى على هذا التأويل كما تراه لا يتناسق[3].

القول الثامن: أنَّ الكافَ في موضع رَفْع، والتقدير: كما أخرجكَ ربُّك فاتَّقوا اللهَ، كأنَّه ابتداءٌ وخبر، قال ابنُ عطيَّة: وهذا المعنى وَضَعه هذا المفسِّر، وليس مِن ألفاظِ الآية في وِرْدٍ ولا صَدَر[4].

القول التاسع: قال الزجَّاج: الكافُ في موضع نَصْب، والتقدير: الأنفال ثابتةٌ لله ثباتاً، كما أخرجك ربُّك، وهذا القول أَخَذه الزمخشريُّ وحسَّنه، فقال: يَنتصب على أنَّه صفةُ مصدر للفعل المقدَّر في قوله: «الأنفال لله والرَّسول» أي: الأنفالُ استقرَّت لله والرسولِ، وثبتت ـ مع كراهتهم ـ ثباتاً مِثْل ثباتِ إخراج ربِّك إيَّاك مِن بيتك وهم كارهون[5]. انتهى. وهذا فيه بُعْدٌ؛ لكثرة الفَصْل بين المشبَّه والمشبَّه به، ولا يَظهر كبيرُ معنًى لتشبيه هذا بهذا، بل لو كانا متقارِبَين لم يَظهر للتشبيه كبيرُ فائدة.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢: رصف. ولعلَّها الصواب.
(٢) في المطبوع: العاطف.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢، وقول الأخفش في كتابه معاني القرآن ٢/ ٥٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢، والوِرْد: الجُزء. وهو أيضاً ضِدُّ الصَّدَر. مختار الصحاح (ورد).
(٥) الكشاف ٢/ ١٤٣، وينظر قول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.

القول العاشر: أنَّ الكافَ في موضع رَفْع، والتقدير: لهم درجاتٌ عند ربِّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم، هذا وعدٌ حقٌّ كما أخرجك، وهذا فيه حذفُ مبتدأ وخبر، ولو صرّحَ بذلك، لم يَلتئم التشبيهُ ولم يَحْسُن.

القول الحادي عشر: أنَّ الكاف في موضع رَفْع أيضاً، والمعنى: وأصلحوا ذاتَ بينكم، ذلكم خيرٌ لكم، كما أخرجك، فالكاف نعتٌ لخبرِ ابتداءٍ محذوف، وهذا أيضاً فيه حَذْفٌ وطُولُ فَصْلٍ بين قوله: «وأصلحوا» وبين: «كما أخرجك».

القول الثاني عشر: أنَّه شَبَّه كراهيَةَ أصحاب رسولِ الله ﷺ بخروجه مِن المدينة حين تحقَّقوا خروجَ قريش للدَّفْع عن أبي سفيانَ وحِفْظِ عِيْرِه = بكراهيتهم نزعَ الغنائم مِن أيديهم وجَعْلِها للرسول أو التنفيل منها، وهذا القول أَخَذَهُ الزمخشريُّ وحسَّنه، فقال: يرتفع محلُّ الكافِ على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، تقديره: هذه الحالُ كحالِ إخراجِك، يعني أنَّ حالَهم في كراهة ما رأيتَ مِن تنفيلِ الغُزاة[1] مِثْلُ حالِهم في كراهة خروجِهم للحرب[2]، وهذا الذي قاله هذا القائل وحسَّنه الزمخشريُّ هو ما فسَّر به ابنُ عطيَّة قولَ الفرَّاء بقوله: هذه الكافُ شبَّهت هذه القصَّة ـ التي هي إخراجه مِن بيته ـ بالقصَّة المتقدِّمة التي هي سؤالهم عن الأنفال، إلى آخِر كلامه.

القول الثالث عشر: أنَّ المعنى: قِسْمَتُكَ الغنائمَ حقٌّ، كما كان خروجُك حقًّا.

القول الرابع عشر: أنَّ التشبيهَ وَقَعَ بين إخراجين، أي: إخراج ربِّك إيَّاك مِن بيتِكَ ـ وهو مكَّة ـ وأنتَ كارهٌ لخروجِكَ، وكانت عاقبةُ ذلك الخيرَ والنَّصْرَ والظَّفر، كإخراج ربِّك إيَّاكَ مِن المدينة وبعضُ المؤمنين كارهٌ، يكون عقيبَ ذلك الظَّفَرُ والنَّصر.

القول الخامس عشر: الكاف للتشبيهِ على سبيل المجاز، كقول القائل لعبدِه: كما وجَّهْتُكَ إلى أعدائي فاستضعفوكَ، وسألت مَدَداً فأَمْدَدْتُكَ وقوَّيتك وأزَحْتُ عِلَلَكَ، فخُذْهم الآنَ فعاقِبْهم بكذا، وكما كسوتُكَ وأجريت عليكَ الرزقَ، فاعمل

(١) في المطبوع: القراءة!.
(٢) الكشاف ٢/ ١٤٢-١٤٣.

كذا، وكما أَحسنتُ إليكَ فاشكرني عليه[١].

فتقدير الآية: كما أخرجكَ ربُّك مِن بيتك بالحقِّ، وغشَّاكم النعاسَ أمنةً منه - يعني به: إيَّاه ومَن معه - وأنزل مِن السماء ماءً ليُطهِّركم به، وأنزل عليكم مِن السماء ملائكةً مُردِفين «فاضربوا فوقَ الأعناق، واضربوا منهم كلَّ بنان» كأنَّه يقول: قد أَزحتُ عِلَلَكم، وأمددتُكم بالملائكة، فاضربوا منهم هذه المواضع، وهو القَتْل[٢]، لتَبلغوا مرادَ الله في إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطل، وملخَّص هذا القول الطويل أنَّ «كما أخرجك» يتعلَّق بقوله: «فاضربوا» وفيه مِن الفَصْل والبُعْد ما لا خفاءَ به.

وقد انتهى ذِكْر هذه الأقوال الخمسةَ عَشَر التي وَقَفْنا عليها، ومَن دفعَ إلى حَوْكِ الكلام[٣] وتقلُّبِه في إنشاء أفانينه، وزاولَ الفصاحةَ والبلاغة، لم يَستحسن شيئاً مِن هذه الأقوال، وإن كان بعضُ قائليها له إمامةٌ في عِلْم النحو ورسوخ قَدَم، لكنَّه [٤]لم يتحنَّك بِلَوْكِ[٤] الكلام، ولم يكن في طبعه صوغُه أحسنَ صَوْغٍ، ولا التصرُّفُ في النظر فيه مِن حيث الفصاحةُ وما به يَظهر الإعجاز.

وقَبْلَ تسطيرِ هذه الأقوال هنا وقفتُ[٥] على جملةٍ منها، فلم يلْقَ بخاطري منها شيءٌ، فرأيتُ في النوم أنَّني أمشي في رَصيفٍ، ومعي رجلٌ أُباحثه في قوله تعالى: «كما أخرجك ربُّك مِن بيتك بالحق»، فقلت له: ما مرَّ بي شيءٌ مُشْكِل في القرآن مثْل هذا، ولعلَّ ثَمَّ محذوفاً يصحُّ به المعنى، وما وقفتُ فيه لأحدٍ مِن المفسِّرين على شيء طائلٍ، ثم قلتُ له: ظهر لي الساعةَ تخريجُه، وأنَّ ذلك المحذوفَ هو:

---

(١) في (ب): فاشكر لي إليك. وفي المطبوع: ما شكرتني عليه. والمثبت من باقي النسخ وتفسير القرطبي ٩/ ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) كذا في النسخ والدر المصون ٥/ ٥٦٢، والذي في تفسير القرطبي ٩/ ٤٥٤: وهو المقتل. ولعلَّها أصوب.

(٣) حَاكَ الشِّعْرَ يَحوكه حَوكاً: نَسَجه، مستعارٌ من حاك الثوبَ من البُرد، ومن ذلك قول زهير:

فمن للقوافي شانَها من يحوكها ... إذا ما نوى كعب وفوَّز جَرولُ

تاج العروس (حوك).

(٤-٤) في المطبوع: لم يحتط بلفظ. واللَّوْكُ: أهونُ المَضْغ، وفلان يَلوكُ أعراضَ الناس، أي: يقع فيهم. اللسان (لوك).

(٥) في (أ) والمطبوع: وقعت.

نَصَرَكَ، واستحسنتُ أنا وذلك الرَّجُل هذا التخريجَ، ثم انتبهتُ مِن النوم وأنَا أذْكُره، والتقدير: فكأنَّه قيل: كما أَخرجكَ ربُّك مِن بيتك بالحقّ، أي: بسبب إظهار دينِ الله وإعزازِ شريعتِه، وقد كَرهوا خروجَك؛ تهيُّباً للقتال وخوفاً مِن الموت، إذ كان أُمِرَ عليه الصلاة والسلام بخروجهم بغتةً، ولم يكونوا مستعدِّين للخروج، وجادلوكَ في الحقِّ بعد وضوحِه = نَصَرَكَ اللهُ وأمدَّك بملائكتِه، ودلَّ على هذا المحذوف الكلامُ الذي بعده، وهو قوله تعالى: «إذ تستغيثونَ ربَّكم» الآيات.

ويَظهر أنَّ الكافَ في هذا التخريج المناميِّ ليست لمحضِ التشبيه، بل فيها معنى التعليل، وقد نصَّ النحويون على أنَّها قد يحدثُ فيها معنى التعليل، وخرَّجوا عليه قولَه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٨] وأنشدوا:

لا تَـشْـتُـمِ الـنـاسَ كـمـا لا تُـشْـتَـمُ[1]

أي: لانتفاءِ أن يَشْتُمكَ الناسُ لا تَشْتِمهم. ومِن الكلام السائغ[2] على هذا المعنى: كما تطيع اللهَ يُدْخلك الجنَّة، أي: لأجل طاعتِك اللهَ يُدخِلْك الجنَّة، فكأنَّ المعنى: لأجل أنْ خرجتَ لإعزاز دِيْنِ اللهِ وقَتْلِ أعدائه، نَصرك اللهُ، وأمدَّك بالملائكة.

والواو في «وإنَّ فريقاً» واوُ الحال، والظاهر أنَّ «مِن بيتك» هو مقام سُكْناهُ، وقيل: المدينة؛ لأنَّها مُهاجَره ومختصَّة به، وقيل: مكة، وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ الظاهرَ أنَّ هذا إخبارٌ عن خروجه إلى بَدْر، فَصَرْفه إلى الخروج مِن مكَّة ليس بظاهر.

ومفعول «لكارهون» هو الخروج، أي: لكارهونَ الخروجَ معك، وكراهتُهم ذلك؛ إمَّا لنُفْرةِ الطَّبْع، أو لأنَّهم لم يستعدُّوا[3]، أو للعدول مِن العِير إلى النَّفِير؛ لما في ذلك مِن فَوْتِ[4] أَخْذِ الأموال، ولما في هذا مِن القَتْل والقتال، أو لتَرك مكَّة وديارهم وأموالهم، أقوال أربعة.

---

(١) الرجز منسوب لرؤبة بن العجاج، وهو في ملحق ديوانه ص ١٨٣، وقبله:
وشـخـصـت أبـصـارهـم وأجْـذَمـوا

(٢) في المطبوع: الشائع. وكذا وردت في الدر المصون ٥/ ٥٦٣.

(٣) في المطبوع: يستنفروا.

(٤) في المطبوع: قوّة.

والظاهر أنَّ ضميرَ الرفع في «يجادلونك» عائد على فريقِ المؤمنين الكارهين، وجِدَالُهم قولُهم: ما كان خروجنا إلَّا للعِيْر، ولو عرفنا لاستعدَدْنا للقِتال.

و«الحقُّ» هنا نُصْرةُ دين الإسلام، وقيل: الضمير يَعود على المشركين، وجدالُهم في الحقِّ هو في شريعة الإسلام.

وقرأ عبد الله: «بعدما بُيِّن» بضمِّ الباء مِن غير تاء[١].

وفي قوله: «بعدما تبيَّن» إنكارٌ عظيم عليهم؛ لأنَّ مَن جادل في شيء لم يتَّضح، كان أخفَّ عَتَباً، أمَّا مَن نازع في أمْرٍ واضح، فهو جدير باللَّوم والإنكار، ثم شبَّه حالهم في فَرْط فَزَعهم وهم يُسارُ بهم إلى الظَّفَر والغنيمة بحال مَن يُساق على الصَّغَارِ[٢] إلى الموت، وهو مشاهِد لأسبابه، ناظر إليها لا يشكُّ فيها. وقيل: كان خوفهم لقلَّة العدد، وأنَّهم كانوا رَجَّالة، وروي أنَّه ما كان فيهم إلَّا فارسان، وكانوا ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشر، وكان المشركون في نحو ألفِ رجل[٣]، وقصَّةُ بدرٍ هذه مستوعَبة في كتاب السِّيَر[٤]، وقد لخَّص منها الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة ما يُوقف عليه في كتابَيْهما[٥].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ إحدى الطائفتين غيرُ معيَّنة، والطائفتان هما: طائفةُ عِيْر قريش، وكانت فيها تجارةٌ عظيمة لهم، ومعها أربعون راكباً فيها أبو سفيان

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٨.
(٢) في (أ): الصفار، وفي المطبوع: الصفا.
(٣) كذا ورد في خبرٍ عن ابن عباس، وهو عند أحمد (٢٢٣٢)، والطبراني في الكبير (١٢٠٨٣)، وأما الرواية في مسلم (١٧٦٣) فكانوا ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً. قال أبو العباس القرطبي ٣/ ٥٧٢: والمشهور بين أهل التواريخ أن جميع من شهد بدراً مع مَن ضَرَبَ له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره في عَدَدِ ابنِ إسحاق: ثلاث مئة وأربعة عشر، وفي عدد موسى بن عقبة: ثلاث مئة وستَّة عشر.
(٤) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٣: في كتاب سيرة رسول الله ﷺ لابن هشام. تنظر: سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٦ وما بعدها.
(٥) ينظر الكشاف ٢/ ١٤٣-١٤٤، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠٣.

وعمرو بنُ العاصي وعمرو بنُ هشام، وطائفةُ الذين استنفرهم أبو جهل، وكانوا في العَدَد الذي ذكرناه.

و«غير ذات الشوكة» هي العِيْر؛ لأنَّها ليست ذات قتالٍ، وإنَّما هي غنيمةٌ باردة، ومعنى إحقاقِ الحقِّ: تثبيته وإعلاؤه، و«بكلماته» بآياته المنزَّلة في محاربة ذاتِ الشوكة، وبما أمرَ الملائكة مِن نزولهم للنُّصرة، وبما قضى مِن أَسْرهم وقَتْلهم وطَرْحهم في قَلِيْب بدر، وبما ظهر ما أخبر به ﷺ.

وقَطْعُ الدَّابِر عبارة عن الاستئصال، والمعنى أنَّكم ترغبون في الفائدة[1] العاجلة وسلامة الأحوال وسفساف الأمور، [2]واللهُ يريد معاليَ الأمور[2] وإعلاءَ الحقِّ والفوزَ في الدارين، وشتَّان ما بين المُرادين، ولذلك اختار لكم ذاتَ الشوكة، وأراكهم عَياناً خَذْلَهم ونَصْركم، وأذلَّهم وأعزَّكم، وحصّل لكم ما أربى على فائدة[3] العِيْر، وما أدناه خيرٌ منها.

وقرأ مسلمة بنُ محارب: «يَعِدْكم» بسكون الدال؛ لتوالي الحركات[4]، وابنُ محيصن: «الله احدَى» بإسقاط همزة «إحدى» على غير قياس[5]، وعنه أيضاً: «أَحَدَ» على التذكير[6]، إذ تأنيثُ الطائفة مجازٌ، وأدغم أبو عمرو: «الشوكة تكون»[7].

وقرأ مَسْلَمة بنُ محارب: «بكلمته» على التوحيد، وحكاها ابنُ عطيَّة عن شيبة

---

(١) في المطبوع: إبقاء.

(٢-٢) ليست في المطبوع.

(٣) في المطبوع: دائرة.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٣، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٧٣.

(٥) ينظر المحرر الوجيز٢/٥٠٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص٤٩، والمحتسب ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٦) لم نقف عليها عند غيره، ونقلها عنه السمين في الدر المصون ٥/ ٥٦٤، وابن عادل في اللباب ٩/ ٤٥٧.

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٣، والقراءة في التيسير ص ٢٠، والنشر ١/ ٢٨٠، وينظر السبعة ص١١٦.

وأبي جعفر ونافع بخلافٍ عنهم[١]، وأُطلق المُفرد مراداً به الجمع؛ للعِلْم به، أو أُريد به كلمةُ تكوينِ الأشياء، وهي: كُنْ.

قيل: «وكلماته»: هي ما وَعَدَ نبيَّه في سورة الدخان، فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية:١٦] أي: من أبي جهلٍ وأصحابِه. وقيل: أوامره ونواهيه، وقيل: مواعيده النَّصرَ والظَّفَر والاستيلاء على إحدى الطائفتين، وقيل: كلماته التي سَبَقت في الأَزَل.

ومعنى: «ليُحقَّ الحقَّ» ليُظهِر ما يَجب إظهاره وهو الإسلام، «ويُبطِل الباطل»، [٢]أي: الكفر[٢]، وقيل: «الحقّ» القرآن، و«الباطل» إبليس.

وتتعلَّق هذه اللام بمحذوف تقديره: ليُحقَّ الحقَّ ويُبطِل الباطل فَعَلَ ذلك، أي: ما فَعَله إلَّا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهارُه، وإبطالُ الكفر ومَحْوه، وليس هذا بتكريرٍ؛ لاختلاف المعنَيَيْن؛ الأول تمييزٌ بين الإرادتين، والثاني بيانٌ لما فعلَ مِن اختيار ذات الشوكة على غيرِها لهم ونُصْرتهم عليها، وأنَّه ما نَصَرهم ولا خَذَل أولئك على كثرتهم إلَّا لهذا المقصد الذي هو أسنى المقاصد.

وتقديرُ ما تعلَّق به متأخِّراً أحسنُ، قال الزمخشريُّ: ويجب أن يُقدّر المحذوف متأخِّراً حتى يفيدَ معنى الاختصاص ويَنطبق عليه المعنى[٣]. انتهى.

وذلك على مذهبه في أنَّ تقديمَ المفعول والمجرور يدلُّ على الاختصاص والحَصْر، وذلك عندنا لا يدلُّ على ذلك إنَّما يدلُّ على الاعتناء والاهتمام بما قدّم لا على تخصيصهِ ولا حَصْره، وقد تقدَّم الكلام معه في ذلك.

وقيل: يتعلَّق «ليُحقَّ» بقوله: «ويَقطع».

وقال ابنُ عطيَّة: «ولو كَره» أي: وكراهتكم واقعةٌ، فهي جملة في موضع الحال[٤]. انتهى. وقد تقدَّم لنا الكلام في نحو: «أولو»[٥]وأنَّ التحقيقَ فيه أنَّ الواوَ

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩ عن مسلمة بن محارب.
(٢-٢) في المطبوع: فعل ذلك.
(٣) الكشاف ٢/ ١٤٥.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤.
(٥) عند تفسير الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

للعطف على محذوف، ذلك المحذوف في موضع الحال، والمعطوف على الحال حال، ومثَّلنا ذلك بقوله: «أعطوا السائلَ ولو جاء على فَرَس»[(١)] أي: على كلِّ حال، ولو في هذه الحالة التي تُنافي الصدقة على السائل، وأنَّ «ولو» هذه تأتي لاستقصاء ما يُظَنُّ أنَّه لا يَندرج في عمومِ ما قَبْله؛ للمنافاة التي بين هذه الحال وبين المُسْنَد الذي قبلها.

وقال الحسن: هاتان الآيتان متقدِّمتان في النزول على قوله: «كما أخرجكَ ربُّك»، وفي القراءةِ بَعْدَهما؛ ليقابل الحقّ بالحقّ، والكراهة بالكراهة. انتهى. وهذه دعوى لا دليلَ عليها ولا حاجةَ تَضْطَرُّنا إلى تصحيحها.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ استَغاثَ: طَلَب الغَوْثَ، لمَّا علموا أنَّه لا بُدَّ مِن القتال، شَرَعوا في طَلَب الغَوثِ مِن الله تعالى والدعاءِ بالنُّصْرة، والظاهر أنَّه خطابٌ لمَن خُوطبَ بقوله: «وإذ يَعِدكم اللهُ» و«تودُّون»، وأنَّ الخطاب في قوله: «كما أخرجك» و«يجادلونك» هو خطابٌ للرسول، ولذلك أُفرد، فالخطابان مختلفان، وقيل: المستغيث هو النبيُّ ﷺ، وروي عن ابنِ عباس أنَّه قال: حدَّثني عمر بن الخطاب، قال: لمَّا كان يوم بدرٍ نَظَر إلى أصحابه وهم ثلاث مئة ونيِّف، وإلى المشركين وهم ألف، فاستقبل القِبْلةَ ومدَّ يدَه، وهو يقول: «اللَّهمَّ أَنْجِز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ إنْ تَهْلِك هذه العِصابةُ لا تُعبَدْ في الأرض» ولم يَزَل كذلك حتى سَقط رداؤه، فردَّه أبو بكر ثمَّ قال: كفاكَ يا نَبيَّ الله مُناشدتُكَ ربَّك، فإنَّه سيُنجز لكَ ما وَعَدك[(٢)]. قالوا: فيكون مِن خطاب الواحد المعظَّم خطابُ الجميع، وروي أنَّ أبا جهل عندما اصْطَفَّ القوم، قال: اللَّهمَّ أَوْلَانا بالحقِّ فانْصُرْه[(٣)].

---

(١) سلف تخريجه ثمة.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١١٩، والخبر أخرجه مسلم (١٧٦٣)، وأحمد (٢٠٨)، وسلف عند تفسير الآية (١٢٣) من آل عمران، و«تهلك»: ضُبطت بفتح التاء وضمِّها، فعلى الأول ترفع «العصابة» على أنها فاعل، وعلى الثاني تنصب وتكون مفعوله. وضبطها ابن حجر بالفتح لا غير. شرح مسلم للنووي ١٢/ ٨٥، وفتح الباري ٧/ ٢٨٩.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٧٨-٧٩.

و«إذ» بدلٌ مِن «إذ يعدكم» قاله الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة[١]، وكان قد قدَّم أنَّ العامل في «إذ يعدكم»: اذكُر. وقال الطبريُّ: هي متعلِّقة بـ «يحقّ» و«يُبطل»، وأجاز هو والحوفيُّ أن تكون منصوبةً بـ «يعدكم»، وأجاز الحوفيُّ أن تكون مستأنفةً على إضمار: واذكروا، وأجاز أبو البقاء أن تكون ظرفاً لـ «تودُّون»[٢].

واستغاث يتعدَّى بنفسه كما هو في الآية، ويتعدَّى بحرفِ جرٍّ، كما جاء في لفظِ سيبويه في باب الاستغاثة، وفي عبارة ابنِ مالك في النحو: المستغاث، ولا يقول: المستغاث به[٣]، وكأنَّه لمَّا رآه في القرآن تعدَّى بنفسه قال: المستغاث، ولم يُعدِّه بالباء كما عدَّاه سيبويه والنحويون، وزعم أنَّ كلامَ العرب بخلاف ذلك، وكلاهما مسموعٌ مِن لسان العرب؛ فممَّا جاء معدًّى بالباء قولُ الشاعر:

حتى استغاثَ بماءٍ لارِشاءَ له ... مِن الأباطحِ في حافاتِهِ البُرَكُ
مُكَلَّلٌ بأصول النَّبْتِ تَنْسُجه ... ريحٌ خريقٌ لضاحي مائِهِ حُبُكُ
كما استغاث بِسَيْءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ ... خاف العيونَ فلم يُنْظَرْ به الحَشَكُ[٤]

وقرأ الجمهور: «أنِّي» بفتح الهمزة، أي: بأنِّي، وعيسى بن عمر، ورواها عن أبي عمرو: «إنِّي» بكسرها[٥]، على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٤، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤.
(٢) الإملاء ٢/ ٤.
(٣) ينظر الكتاب ٢/ ٢١٥، وأوضح المسالك ص ٥٣١-٥٣٣.
(٤) الأبيات لزهير، وهي في شرح ديوانه ص ١٧٥-١٧٧، وفيها: النجم، بدل: النبت. والرِّشاء: الدلو. والبُرَك: طَيْر بيض. وريح خريق: شديدة. ولضاحي مائه: ما ضحا للشمس من الماء، أي: بَرَز لها، والحُبُك: طرائق الماء. والسَّيْء: اللَّبن الذي يكون في الضرع قبل نزول الدِّرَّة، والفَزُّ: ولدُ البقرة. والغيطلة: الشجر الملتفّ، أو البقرة. والحَشْك: الاجتهاد والدفع باللَّبن. مع الإشارة إلى أنَّه ورد في مطبوع البحر صدرُ البيت الثالث هكذا:

كما استغاث بشيء قبر عنطلة؟!.

(٥) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤: وقرأ أبو عمرو في بعض ما روي عنه وعيسى بن عمر بخلاف عنه: «إني» بكسر الألف. والذي في القراءات الشاذة ص ٤٨-٤٩: «إني ممدكم» بكسر الهمزة وأحمد عن أبي عمرو. وأوردها في الكشاف ٢/ ١٤٥ عن =

الحكاية بـ: استجاب؛ لإجرائه مُجرى القول، إذ هو في معناه، وتقدَّم الكلام في شَرْح: استجاب[١]، وأَمَدَّ[٢].

وقرأ الجمهور: «بألفٍ» على التوحيد، والجحدريُّ: «بآلُفٍ» على وزن أَفْلُس، وعنه وعن السديِّ بـ «آلافٍ»[٣]، والجمعُ بين الإفرادِ والجمعِ أن يُحمل الإفرادُ على مَن قاتل منهم، أو على الوجوه الذين مَن سواهم أتباعٌ لهم.

وقرأ نافع وجماعة مِن أهل المدينة وغيرهم: «مُرْدَفين» بفتح الدال، وباقي السبعة ومجاهد والحسن بكسرها[٤]، أي: متابِعاً بعضهم بعضاً، وروي عن ابنِ عباس: خَلْفَ كلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ وراءَه[٥].

وقرأ بعضُ المَكِّيِّين فيما روى عنه الخليل بنُ أحمد، وحكاه عنه ابنُ عطيَّة: «مُرَدِّفين» بفتح الراء وكسر الدال مشدَّدة[٦]، أصله: مُرْتَدِفين، فأُدغم.

وقال أبو الفضل الرازيُّ: وقد يجوز فتح الراء؛ فراراً إلى أخفِّ الحركات، أو لنَقْل حركة التاء إلى الراء عند الإدغام، ولا أعرف فيه أثراً[٧]. انتهى.

وروي عن الخليل أنَّها بضمِّ الراء إتباعاً لحركة الميم، كقولهم: مُخُضِّم[٨].

= أبي عمرو فقط. فعبارة المصنِّف تُوهِم أن عيسى بن عمر هو الذي روى القراءة عن أبي عمرو، فليحرَّر! ولينظر الدر المصون ٥/ ٥٦٦.

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤، وينظر مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٣١١، والإملاء للعكبري ٢/ ٤، والكشاف ٢/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٥٧-٤٥٨، والقراءات الشاذة ص ٤٩.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤، والقراءة في السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤، وينظر النكت والعيون ٢/ ٢٩٨.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٧٣، والقراءات الشاذة ص ٤٩.

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٣.

(٨) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٥، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٧٣. والمُخَضَّم: الشديد الخضم، أي: الأكل. تهذيب اللغة ٤/ ١٧٩ (خضم). والمُخْضِم: الماء الذي لا يبلغ أن يكون أجاجاً. اللسان (خضم)، وزاد في تاج العروس (خضم): والمخضم كمعظَّم ومكرم: الموسَّع عليه في الدنيا، واقتصر في المحكم على الضبط الأول. اهـ. فليُحرَّر.

وقُرئَ كذلك إلَّا أنَّه بكسر الراء إتباعاً لحركة الدَّال، أو حُرِّكت بالكسر على أصل التقاء الساكنين، قال ابنُ عطيَّة: ويَحسُن مع هذه القراءة كَسْرُ الميم، ولا أَحفظه قراءةً، كقولهم: مُخِضِّم[1].

وتقدَّم الخلافُ في عدد الملائكة، وهل قاتلت أم لم تقاتل؟ في «آل عمران» ولم تتعرَّض الآية لقتالهم.

والظاهر أنَّ قراءة مَن قرأ «مُرْدَفين» بسكون الراء وفتح الدال أنَّه صفة لقوله: «بألف» أي: أُرْدِفَ بعضُهم ببعض، قال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أن يُراد بالمردَفين المؤمنين، أي: أُردفوا بالملائكة، فمردَفين على هذا حال مِن الضمير[2].

قال الزمخشريُّ: وأَردفته إيَّاه: إذا أتْبعتَهُ، ويقال: أَردفته، كقولك: اتَّبعتُه، إذا جئتَ بَعْدَه، فلا يخلو المكسورُ الدالِ من أن يكون بمعنى: متْبِعين أو متَّبِعين، [3]فإن كان بمعنى: متْبِعين؛ فلا يخلو أن يكون بمعنى متْبِعين بعضهم بعضًا، أو متْبِعين[3] بعضهم لبعض، أو بمعنى: مُتْبِعين إيَّاهم المؤمنين، أي: يتقدَّمونهم فيُتْبِعونهم أنفسَهم، أو متْبِعين لهم يُشَيِّعونهم ويُقدِّمونهم بين أيديهم وهم على ساقتِهم ليكونوا على أعينهم وحفظِهم، أو بمعنى متْبِعين أنفسَهم ملائكةً آخَرين، أو متَّبِعين غيرَهم مِن الملائكة، ويَعضُد هذا الوجهَ قولُه تعالى في سورة «آل عمران»: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [الآية: ١٢٤] ﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[4] [الآية: ١٢٥]. انتهى.

وهذا تكثيرٌ في الكلام، وملخَّصه أنَّ: اتَّبع ـ مشدَّداً ـ يتعدَّى إلى واحد، و: أَتْبع ـ مخفَّفاً ـ يتعدَّى إلى اثنين، وأَرْدَف أَتَى بمعناهما، والمفعول لـ: اتَّبع، محذوف، والمفعولان لـ: أتْبع، محذوفان، فيقدّر ما يصحُّ به المعنى.

وقوله: أو مُتْبعين إيَّاهم المؤمنين. هذا ليس مِن مواضع فَصْلِ الضمير، بل ممَّا يتَّصل وتُحذَف له النون، لا يقال: هؤلاء كاسونَ إيَّاك ثوبًا، بل يقال: كاسوكَ،

(١) ينظر التعليق السابق، والدر المصون ٥/ ٥٦٩.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٤.
(٣-٣) ليست في (ب).
(٤) الكشاف ٢/ ١٤٦. والساقة: مؤخَّر الجيش. القاموس (سوق).

فتصحيحه أن يقولَ: أو بمعنى: متبعيهم المؤمنين، أو يقول: أو بمعنى: مُتْبعين أنفسَهم المؤمنين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرِ هذه الآية[1]، والمعنى: إلَّا بشرى لكم، فحذف: «لكم»، وأثبتَ في «آل عمران»، لأنَّ القصَّةَ فيها مُسْهَبة وهنا مُوجَزة، فناسب هنا الحَذْف، وهنا قدّم به، وأخّر هناك؛ على سبيل التفنُّن والاتِّساع في الكلام، وهنا جاء: «إنَّ الله عزيز حكيم» مراعاةً لأواخر الآي، وهناك ليست آخِرَ آيةٍ لتعلّق «ليقطع» بما قبله، فناسب أن يأتي «العزيز الحكيم» على سبيل الصفة، وكلاهما مُشعِر بالعِلِّيَّة، كما تقول: أكرِم زيداً العالِمَ، وأكرِم زيداً إنَّه عالِم.

والضمير في «وما جعله» عائد على الإمداد المُنسَبك مِن «أنّي ممدكم»، أو على المَدَد، أو على الوَعْد الدالِّ عليه «يعدكم الله إحدى الطائفتين»، أو على الألْف، أو على الاستجابة، أو على الإرداف، أو على الخَبَر بالإمداد، أو على جبريل، أقوال محتمَلة مقولة، أظهرها الأوَّل، ولم يَذكُر الزمخشريُّ غيرَه[2].

﴿إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعاسُ[3] أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ قال الزمخشريُّ: «إذ يغشاكم» بدلٌ ثانٍ مِن «إذ يَعدكم»، أو منصوب بـ «النصر»، أو بما في «عند الله» مِن معنى الفِعْل، أو بـ: «ما جَعله الله»، أو بإضمار: اذْكُر. انتهى.

أمَّا كونه بدلاً ثانياً مِن «إذ يعدكم» فوافقه عليه ابنُ عطيَّة، قال: العامل في «إذ» هو العامل الذي عَملَ في قوله: «وإذ يعدكم» بتقديرِ تكراره؛ لأنَّ الاشتراكَ في العامل الأوَّل نفسِه لا يكون إلَّا بحرف عطف، وإنَّما القصدُ أن يُعدِّد نِعَمه على المؤمنين في يوم بدر، فقال: واذكروا إذ فَعَلْنا بكم كذا، إذ فعلنا كذا، إذ فعلنا كذا[4].

(١) عند تفسير الآية (١٢٦) من سورة آل عمران.

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٦.

(٣) كذا في النسخ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ومجاهد وابن محيصن، وستأتي قريباً، والكلام من الكشاف ٢/ ١٤٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٥- ٥٠٦.

وأمَّا كونه منصوباً بـ «النصر» ففيه ضعفٌ مِن وجوه: أحدها: أنَّه مصدرٌ فيه «أل» وفي إعماله خلافٌ؛ ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يَجوز إعماله.

الثاني: أنَّه موصولٌ، وقد فُصلَ بينه وبين معمولِه بالخبر الذي هو «إلا مِن عند الله»، وذلك لا يَجوز، لا يقال: ضَرْبُ زيدٍ شديدٌ عَمْراً.

الثالث: أنَّه يَلزم مِن ذلك إعمال ما قَبْل «إلَّا» فيما بعدها مِن غير أن يكون ذلك المعمولُ مستثنًى، أو مستثنًى منه، أو صفةً له، وإذ ليس واحداً مِن هذه الثلاثة، فلا يَجوز: ما قام إلَّا زيدٌ يومَ الجمعة، وقد أجاز ذلك الكسائيُّ والأخفش.

وأما كونه منصوباً بما في «عند الله» مِن معنى الفعل، فيُضعفه المعنى؛ لأنَّه يَصير استقرارُ النصر مقيَّداً بالظَّرْف، والنَّصْر مِن عند الله مطلقاً في وقت غَشْيِ النعاس وغيرِه.

وأمَّا كونه منصوباً بـ «ما جَعَله اللهُ» فقد سبقه إليه الحوفيُّ، وهو ضعيف أيضاً؛ لطُول الفَصْل، ولكونه معمولَ ما قبل «إلَّا»، وليس أحدَ تلك الثلاثة.

وقال الطبريُّ: العامل في «إذ» قولُه: «ولتطمئنَّ»، قال ابنُ عطيَّة: وهذا مع احتماله فيه ضَعْفٌ[1]. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون ظرفاً لما دلَّ عليه «عزيز حكيم»[2]، وقد سَبَقه إلى قريبٍ من هذا ابنُ عطيَّة، فقال: ولو جعل العامل في «إذ» شيئاً قرنها [3]بما قَبْلها؛ لكان الأولى في ذلك أن يَعمل في «إذ»: «حكيمٌ»؛ لأنَّ إلقاءَ النُّعاس[3] عليهم وجَعْلَه أَمَنَةً حكمةٌ مِن الله عزَّ وجلَّ[4]. انتهى.

والأجود مِن هذه الأقوال أن يكون بدلاً.

وقرأ مجاهد وابنُ محيصن وأبو عمرو وابنُ كثير: «يَغْشَاكُمُ النعاسُ» مضارع: غَشِيَ، و«النعاسُ» رفع به[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، وكلام الطبري في تفسيره ١١/ ٥٩.
(٢) الإملاء ٢/ ٤.
(٣-٣) ليست في (ب).
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، والقراءة في السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦.

وقرأ الأعرج وابنُ نصاح وأبو حفص ونافع: «يُغْشِيكم» مضارع: أَغْشَى[١].

وقرأ عروة بنُ الزبير ومجاهد والحسن وعكرمة وأبو رجاء وابنُ عامر والكوفيون: «يُغَشِّيكم» مضارع: غشَّى، و«النعاس» في هاتين القراءتين منصوب[٢]، والفاعل ضميرُ الله، وناسَبَ قراءةَ نافعٍ قولُه: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقراءة الباقين: «ويُنزِّل» حيث لم يختلف الفاعل.

ومعنى «يُغشِّيكم» يُغطِّيكم به، وهو استعارةٌ، جَعَلَ ما غلّب عليهم مِن النعاس غشياناً لهم، وتقدَّم شَرْحُ «النعاس» و«أمنة» في «آل عمران»[٣].

والضمير في «منه» عائد على الله، وانتصب «أمنةً»؛ قيل: على المصدر، أي: فأَمِنْتُم أَمَنةً، والأظهر أنَّه انتصب على أنَّه مفعول له في قراءة «يُغشِّيكم» لاتِّحاد الفاعل؛ لأنَّ المغشّي والمؤمِن هو الله تعالى، وأمَّا على قراءة: «يَغْشَاكم» فالفاعل مختلف، إذ فاعل «يَغشاكم» هو «النعاسُ» والمؤمِن هو الله، وفي جواز مجيء المفعول له مع اختلافِ الفاعل خلافٌ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: أمَا وجبَ أن يكون فاعلُ الفعل المعلَّل والعلَّةُ واحداً؟ قلت: بلى، ولكن لمَّا كان معنى «يغشاكم النعاسُ»: تتغشَّون، انتصبَ «أَمَنةً» على أنَّ النعاس والأَمَنة لهم، والمعنى: إذ تتغشَّون[٤] «أَمَنةً» بمعنى أمنًا، أي: لأَمْنِكم، و«منه» صفة لها، أي: أَمَنةً حاصلةً لكم مِن الله تعالى.

فإن قلت: هل يجوز أن يَنتصبَ على أنَّ الأمنةَ للنعاس الذي هو [فاعل][٥] «يغشاكم»، أي: «يغشاكم النعاسُ» لأَمْنِه، على أنَّ إسنادَ الأَمْن إلى النعاس إسنادٌ مجازيٌّ، وهو لأصحاب النُّعاس على الحقيقة، أو على أنَّه أنامكم[٦] في وقتٍ

(١) المصادر السابقة.
(٢) ينظر التعليق ما قبل السابق.
(٣) عند تفسير الآية (١٥٤).
(٤) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٢/ ١٤٧ ومخطوطه الورقة (١٨٣): تنعسون.
(٥) ما بين حاصرتين لم ترد في النسخ، واستدرك من مطبوع الكشاف ٢/ ١٤٧ ومخطوطه.
(٦) في المطبوع: أمامكم.

كان مِن حقِّ النعاس في ذلك الوقت المَخُوف أن لا يقدمَ على غشيانكم، وإنَّما غشَّاكم أَمَنةً حاصلة له مِن الله تعالى، لولاها لم يَغشاكم، على طريقة التمثيل والتخييل؟ قلت: لا تَبعد[1] فصاحةُ القرآن عن احتماله، وله فيه نظائر، ولقد أَلَمَّ به مَن قال:

يَهابُ النومُ أنْ يَغشى عيوناً تهابُكَ فهو نَفَّارٌ شَرُودُ[2]

وقُرِئَ: «أَمْنَة» بسكون الميم[3]، ونظير: أَمِنَ أَمَنة: حَيِيَ حياة، ونحو: أَمِنَ أَمْنَة: رَحِمَ رَحْمة، والمعنى أنَّ ما كان بهم مِن الخوف كان يَمنعهم مِن النوم، فلمَّا طَأْمَنَ[4] اللهُ تعالى قلوبَهم وأمَّنهم رَقَدُوا[5].

وعن ابنِ عباس: النعاسُ في القتال أَمَنةٌ مِن الله تعالى، وفي الصلاة وسوسةٌ مِن الشيطان[6]. انتهى.

وعن ابنِ مسعود شبيهُ هذا الكلام، قال: النعاسُ عند حضورِ القتال علامةُ أمنٍ مِن العدوِّ، وهو مِن الله تعالى، وهو في الصلاة مِن الشيطان. قال ابنُ عطيَّة: وهذا إنَّما طريقُه الوحي، فهو لا محالةَ يُسْنِده[7]. انتهى.

والذي قَرأَ: «أَمْنَة» بسكون الميم، هو: ابنُ محيصن، ورُويت عن النخعيِّ ويحيى بن يَعْمَر.

---

(١) في المطبوع: لا تتعدى.
(٢) مطبوع الكشاف ٢/ ١٤٧ ومخطوطه الورقة (١٨٣)، والبيت من قصيدة للزمخشري فيما ذكر عنه ذلك الشهابُ الخفاجيُّ في حاشيته على تفسير البيضاوي ٤/ ٢٥٨. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٠/ ٤٤.
(٣) الكشاف ٢/ ١٤٧، وهي قراءة ابن محيصن والنخعي ويحيى بن يعمر، وستأتي قريباً.
(٤) كذا في النسخ ومخطوط الكشاف الورقة (١٨٣)، والذي في مطبوع الكشاف ٢/ ١٤٧: طمأن. وكلاهما بمعنًى.
(٥) في المطبوع: وأقروا.
(٦) الكشاف ٢/ ١٤٧، وتفسير الرازي ١٥/ ١٣٣، ولم نقف على الخبر عن ابن عباس، بل الوارد عن ابن مسعود، وكما سيأتي بعده، وكذا قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ٦٨، وخبر ابن مسعود أورده الثعلبي أيضاً في التفسير ٣/ ١٢٠، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٢٥٦، وفي المصنَّف (٤٢١٩)، والطبري ١١/ ٥٩-٦٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٤.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، وينظر التعليق السابق، وتخريج كلام ابن مسعود ثمَّة.

وغشيانُ النوم إيَّاهم؛ قيل: حالَ التقاءِ الصَّفَّين، ومضى مِثْلُ هذا في يوم أُحُد في «آل عمران»[١].

وقيل: الليلة التي كان القتال في غَدِها، امتنَّ عليهم بالنَّوم، مع الأَمْرِ المُهمِّ الذي يَرُومُونَهُ في غدٍ ليستريحوا تلك الليلة، ويَنشطوا في غَدِها للقتال، ويزول رُعْبهم، ويقال: الأَمْن مُنِيْمٌ، والخوف مُسْهِر.

والأولى أن يكون ترتيبُ هذه الجمل في الزمان كترتيبها في التلاوة، فيكون إنزال المطر تأخَّر عن غشيانِ النعاس، وعن ابنِ أبي نجيح أنَّ المطر كان قبل النُّعاس[٢]، واختاره ابنُ عطيَّة، قال: ونزولُ الماء كان قَبْلَ تَغْشيةِ النعاس، ولم يترتَّب كذلك في الآية، إذ القصد منها تعديدُ النِّعم فقط[٣].

وقرأ طلحة: «ونُنَزِّن» بالنون والتشديد[٤]، وقرأ الجمهور: «ماءً» بالمدِّ، وقرأ الشعبيُّ: «ما» بغير همز، حكاه ابنُ جنِّيّ وصاحبُ «اللوامح في شواذِّ القراءات»[٥]، وخرَّجاه على أنَّ «ما» بمعنى «الذي»، قال صاحبُ «اللوامح»: وصِلَته حرفُ الجَرِّ الذي هو «لِيُطَهِّركم»، والعائد عليه: هو، فمعناه: الذي هو لِيُطَهِّركم به. انتهى.

وظاهرُ هذا التخريج فاسد؛ لأنَّ لام «كي» لا تكون صلةً، ومِن حيث جَعل العائد[٦]: هو، وقال: معناه: الذي هو لِيُطَهِّركم، لا تكون لام «كي» هي الصلة، بل الصلة: هو، ولام الجرِّ والمجرور.

وقال ابن جِنِّيّ: «ما» موصولة، وصلتها حرفُ الجَرِّ بما جرَّه، فكأنَّه قال: ما لِلطَّهور[٧]. انتهى. وهذا فيه ما قلنا مِن مجيء لام «كي» صلةً.

(١) عند تفسير الآية (١٥٤).
(٢) تفسير القرطبي ٩/ ٤٦٠، وأخرجه عنه عن مجاهد الطبريُّ ١١/ ٦٦.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٧.
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ١٤٧.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٧، وكلام ابنِ جنِّي في المحتسب ١/ ٢٧٤.
(٦) في المطبوع: الضمائر.
(٧) المحتسب ١/ ٢٧٤.

ويمكن تخريجُ هذه القراءة على وجه آخَر، وهو أنَّ «ما» ليس موصولاً بمعنى «الذي»، وأنَّه بمعنى: ماءٍ، الممدود[١]، وذلك أنَّهم حَكوا أنَّ العربَ حذفت هذه الهمزة، فقالوا: شربت مًا يا هذا، بحذف الهمزة وتنوينِ الميم، فيُمكن أن تُخرَّج على هذا، إلَّا أنَّهم أجْرَوا الوصلَ مُجرى الوقف، فحذفوا التنوينَ؛ لأنَّك إذا وقفت على: شربت مًا؟ قلت: شربت مَا. بحذف التنوين وإبقاء الألف؛ إمَّا ألف الأصل التي هي بدل مِن الواو وهي عين الكلمة، وإمَّا الألف التي هي بدلٌ مِن التنوين حالةَ النصب.

وقرأ ابنُ المسيّب: «لِيُطْهِرَكم» بسكون الطاء[٢].

ومعنى: «لِيُطَهِّركم به» مِن الجَنَابات، وكان المؤمنونَ لَحِقَ أكثرَهم في سفرهم الجنَاباتُ وعَدِموا الماءَ، وكانت بينهم وبين ماءِ بدر مسافةٌ طويلة مِن رَمْلٍ دَهْسٍ[٣] لَيِّن تَسوخُ فيه الأرْجلُ، وكان المشركون قد سَبقوهم إلى ماء بدر.

وقيل: بل المؤمنونَ سبقوا إلى الماء ببدر، وكان نزول[٤] المطر قبل ذلك، والمرويُّ عن ابنِ عباس وغيرِه أنَّ الكفارَ يوم بدر سَبقوا المؤمنين إلى ماءِ بدر، فنزلوا عليه وبقيَ المؤمنونَ لا ماءَ لهم، فوَجَسَت نفوسُهم وعَطشوا وأجْنَبوا وصَلَّوا كذلك، فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم: تزعم أنَّا أولياءُ اللهِ وفينا رسولُ الله وحالُنا هذه، والمشركون على الماء؟! فأنزل اللهُ المطرَ ليلةَ بدرٍ السابعة عَشْرة مِن رمضان حتى سالت الأوديةُ، فشرب الناسُ وتطهَّروا، وسَقوا الظَّهْر، وتدمَّنت[٥] السَّبَخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثَبَتت فيها أقدامُ المسلمين وقتَ القتال، وكانت قَبْلَ المطر تَسوخُ فيها الأرجل، فلمَّا نزل تلبَّدت، قالوا: فهذا معنى قوله: «لِيُطهِّركم به» أي: من الجَنابة.

---

(١) في المطبوع: المحدود.

(٢) أي: من أطهره الله. ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٢١، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠٧، والقراءة في القراءات الشاذة ص٤٩.

(٣) الدَّهْسُ والدَّهاس: المكان السهل اللَّين، لا يبلغ أن يكون رملاً، وليس هو بتراب ولا طين، ومنه: رمال دُهْس. الصحاح (دهس).

(٤) بعدها في (ع): الماء قبل.

(٥) في المطبوع: وتلبَّدت. وفي المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦: وتدمثت.

«ويُذهِبَ عنكم رِجْزَ الشيطان» أي: عذابَه لكم بوساوسه، والرِّجْز: العذاب[١]، وقيل: رِجْزُه: كيدُه ووسوسته، وقيل: الجنابة مِن الاحتلام، فإنَّها مِن الشيطان، وورد: ما احتلم نبيٌّ قطُّ، إنَّما الاحتلام يكون مِن الشيطان[٢].

وقرأ عيسى بن عمر: «ويُذهِبْ» بجزم الباء[٣]، وقرأ ابنُ محيصن: «رُجْز» بضمِّ الراء[٤]، وأبو العالية: «رِجْس» بالسين[٥].

ومعنى الرَّبْط على القلب: هو اجتماعُ الرأي، والتشجيعُ على لقاء العدوِّ، والصبرُ على مكافحة العدوِّ.

والرَّبْط: الشَّدُّ، وهو حقيقة في الأجسام، فاستُعير هنا لِمَا حصل في القلب مِن الشِّدَّة والطمأنينةِ بعد التَّزلزل.

ومقتضى ذلك الرَّبْط، قال ابنُ عباس: الصبر، وقال مقاتل: الإيمان، وقيل: نزول المطر[٦]، وهو الظاهر؛ لأنَّ قوله: «ليُطهِّركم» وما بعده تعليلٌ لإنزال المطر.

والظاهر أنَّ تثبيتَ الأقدام هو حقيقة؛ لأنَّ المكانَ الذي وقع فيه اللقاءُ كان رملاً تَغوصُ فيه الأرجل، فلبَّدَه المطرُ حتى ثَبتت عليه الأقدام، والضمير في «به» عائد على المطر.

وقيل: التثبيت للأقدام معنويٌّ، والمراد به كونه لا يفرّ وقتَ القتال.

والضمير في «به» عائد على المصدر الدالِّ عليه: «وليربط».

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، وخبر ابن عباس السالف أخرجه الطبري ٩/ ٦٤-٦٦، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٠٠)، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٣-٤٠٤، وزاد المسير ٣/ ٣٢٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٦٠.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٦٤)، وفي الأوسط (٨٠٦٢)، وابن عدي في الكامل ٣/ ٩٣ عن ابن عباس موقوفاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٦٧: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه: عبد العزيز بن أبي ثابت، وهو مجمع على ضعفه.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، وينظر القراءات الشاذة ص ٤٩.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٦، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٧٥.

(٦) زاد المسير ٣/ ٣٢٨.

وانظر إلى فصاحة مجيء هذه التعليلات، بَدَأ أوّلاً منها بالتعليل الظاهر، وهو تطهيرهم مِن الجنابة، وهو فِعْلٌ جسمانيٌّ، أعني: اغتسالهم مِن الجنابة، وعطفَ عليه بغير لام العلَّة ما هو مِن لازمِ التطهير، وهو إذهاب رِجْز الشيطان حيث وَسوس إليهم بكونهم يُصَلُّون ولم يَغتسلوا مِن الجنابة، ثم عطفَ بلام العلَّة ما ليس بفِعْل جسمانيٍّ، وهو فِعْلٌ محلُّه القلب، وهو التشجيع والاطمئنان والصبرُ على اللقاء، وعطف عليه بغير لام العلَّة ما هو مِن لازِمِه، وهو كونهم لا يفرُّون وقتَ الحرب.

فحين ذكرَ التعليل الظاهر الجسمانيّ والتعليل الباطن القلبيّ، ظهر حرفُ التعليل، وحين ذكرَ لازمهما، لم يؤكِّد بلام التعليل، وبَدَأ أوّلاً بالتطهير؛ لأنَّه الآكدُ والأسبقُ في الفعل، ولأنَّه الذي تُؤدَّى به أفضلُ العبادات وتَحْيا به القلوب.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ هذا أيضاً مِن تعديد النِّعم، إذ الإيحاء إلى الملائكة بأنَّه تعالى معهم، أي: ينصرهم ويُعينهم، وأَمْرُهم بتثبيت المؤمنين والإخبار بما يأتي بَعْدُ مِن إلقاء الرُّعب في قلوب أعدائهم، والأَمْر بضَرْبِ فوق أعناقهم، وكلّ بَنَانٍ منهم = مِن أعظم النِّعم، وفي ذلك إعلامٌ بأنَّ الغَلَبة والظَّفَر والعاقبة للمؤمنين.

وقال الزمخشريُّ: «إذ يوحي» يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً مِن «إذ يعدكم» وأن ينتصب بـ «يثبِّت»(١).

وقال ابنُ عطيَّة: العامل في «إذ» العامل الأول على ما تقدَّم فيما قبلها، ولو قدَّرناه قريباً لكان قوله: «ويُثبِّت» على تأويل عودِ الضمير على الربط، وأمَّا على عَودِه على الماء فيَقْلَق أن يَعمل «ويثبِّت» في «إذ»(٢). انتهى. وإنَّما يقْلَق ذلك عنده؛ لاختلاف زمانِ التثبيت عنده وزمانِ هذا الوحي؛ لأنَّ زمانَ إنزال المطر وما تعلَّق به مِن تعاليله متقدِّم على تغشية النُّعاس (٣وذلك الوحي، وتغشية النعاس٣) والإيحاء كانا وقتَ القتال، وهذا الوحي إمَّا بإلهام وإمَّا بإعلام.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٧-١٤٨.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٧.

(٣-٣) ليست في (ب) والمطبوع، والمثبت من (أ).

وقرأ عيسى بنُ عمر بخلافٍ عنه: «إِنِّي معكم» بكسر الهمزة[١]، على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على إجراء «يوحي» مُجرى: يقول، على مذهب الكوفيين.

والملائكة هم الذين أُمِدَّ المؤمنونَ بهم، ولمَّا كان ما تقدَّم مِن تعداد النِّعم على المؤمنين، جاء الخطاب لهم بـ «يُغشِّيكم» و«ينزل عليكم» و«ليطهِّركم» و«يذهب عنكم رجز» و«ليربط على قلوبكم»، إذ كان في هذه أشياءُ لا تُناسِب منصبَ الرسالة، ولمَّا ذَكَر الوحيَ إلى الملائكة، أتَى بخطاب الرسول وَحْدَه، فقال: «إذ يوحي ربك» ففي[٢] ذلك تشريفٌ به بمواجهته بالخطاب وَحْدَه، أي: مُرَبِّيك والناظر في مصلحتِك.

وتثبيت الذين آمنوا، قال الحسن: بالقتال. أي: فقاتِلوا، وقال مقاتل: بَشِّروهم بالنَّصْر، فكان المَلَكُ يسير أمام الصَّفِّ في صورة الرجل، فيقول: أَبْشِروا فإِنَّ الله ناصرُكم.

وذَكَر الزجَّاجُ أَنَّهم يُثبِّتونهم بأشياءَ يُلْقونها في قلوبهم تقوى بها، وذَكَر الثعلبيُّ نحوه، قال: صَحِّحوا عزائمَهم ونيَّاتِهم على الجهاد[٣].

وقال ابنُ عطيَّة نحوَه، قال: ويحتمل أيضاً أن يكون التثبيتُ الذي أمرَ به ما يُلقيه المَلَك في قلب الإنسان مِن توهُّم الظَّفَر واحتقارِ الكفار، ويُجري عليه مِن خواطر تشجيعه، ويقوِّي هذا التأويل مطابقةُ قوله: «سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب» وإن كان إلقاءُ الرعبِ يُطابِق التثبيتَ على أيِّ صورة كان التثبيت، ولكنَّه أشبه بهذا، إذ هي مِن جنس واحد، وعلى هذا التأويل يَجِيْء قوله: «سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب» مخاطبةً للملائكة، ثم يَجِيْءُ قوله: «فاضربوا فوق الأعناق» لفظُه لفظ

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٧، وينظر الكشاف ٢/ ١٤٨.

(٢) هنا وقع اضطراب في ترتيب أوراق الجزء الخامس من النسخة الخطية المحمودية (ح)، حيث تقدَّمت الورقة التاسعة وحتى الورقة الحادية والثلاثين على الأوراق التسع الأولى، وبالعكس.

(٣) زاد المسير ٣/ ٣٢٩، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٠٤، وقول الثعلبي في التفسير ٣/ ١٢١.

الأمر، ومعناه الخبرُ عن صورة الحال، كما تقول إذا وصفتَ لمَن تُخاطبه: لَقِيْنا القومَ وهزمناهم، فاضْرِب بسيفك حيث شئت، واقتُل، وخُذْ أسيرَك، أي: هذه كانت صفة الحال.

ويَحتمل أن يكون «سألقي» إلى آخِر الآية، خبراً يُخاطب به المؤمنين عمَّا يَفعله بالكفار في المستقبل، كما فعله في الماضي، ثم أمَرهم بضَرْب الرِّقاب والبَنَان؛ تشجيعاً لهم وحَضًّا على نُصْرة الدِّين(١).

وقال الزمخشريُّ: والمعنى: إنِّي مُعينكم على التثبيت، فثبِّتوهم.

وقوله: «سأُلقي... فاضربوا» يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: «أنِّي معكم فثبِّتوا»، ولا معونةَ أعظم مِن إلقاء الرعب في قلوب الكفرةِ، ولا تَثبيت أبلغ مِن ضَرْب أعناقهم، واجتماعهما غايةُ النصرة.

ويجوز أن يكون غيرَ تفسير، وأن يُراد بالتثبيت أن يُخطِروا ببالهم ما تقوى به قلوبُهم، وتصحُّ عزائمهم ونيَّاتهم في القتال، وأن يُظهِروا ما يتيقَّنون به أنَّهم مُمَدّون بالملائكة.

وقيل: كان المَلَك يتشبَّه بالرجل الذي يَعرفون وجهَه، فيأتي فيقول: إنِّي سمعتُ المشركين يقولون: واللهِ لَئِن حَملوا علينا لننكشفنَّ، ويمشي بين الصَّفَّين فيقول: أبْشِروا فإنَّ اللهَ تعالى ناصرُكم؛ لأنَّكم تَعبدونه، وهؤلاء لا يَعبدونَهُ(٢). انتهى.

ثم قال: ويَجوز أن يكون قوله: «سأُلقي» إلى قوله: «كلّ بنان» عقيبَ قوله: «فثبِّتوا الذين آمنوا» تلقيناً للملائكة ما يُثبِّتونهم به، كأنَّه قال: قولوا لهم: «سأُلقي»، والضاربون على هذا همُ المؤمنون(٣). انتهى.

والذي يَظهر أنَّ ما بَعْدَ «يوحي ربُّك إلى الملائكة» هو مِن جملة الموحَى به، وأنَّ الملائكةَ هم المخاطبونَ بتثبيت المؤمنين، وبضَرْبِ فوق الأعناق، وكلّ بنان.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٨.
(٢) الكشاف ٢/ ١٤٨.
(٣) المصدر السابق.

وقال السائب بنُ يسار: كنَّا إذا سألنا يزيد بنَ عامر السُّوائي عن الرُّعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين، كيفَ كان؟ يَأخُذ الحَصَا ويَرمي به الطَّسْت فَيَطِنُّ، فيقول: كنَّا نجد في أجوافنا مِثْلَ هذا[١].

وقرأ ابنُ عامر والكسائيُّ والأعرج: «الرُّعُبَ» بضمِّ العين[٢].

و«فوق» قال الأخفش: زائدة، أي: فاضربوا الأعناقَ، وهو قول عطيَّة والضَّحَّاك[٣]، فتكون «الأعناق» هي المفعولَ بـ «اضربوا»، وهذا ليس بجيِّد؛ لأنَّ «فوق» اسمٌ ظرفٌ، والأسماء لا تُزاد.

وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوقَ الرأس، وضربته على الرأس[٤]. ويكون مفعول: «فاضربوا» على هذا محذوفاً، أي: فاضربوهم فوقَ الأعناق، وهذا قولٌ حسن لإبقاء «فوق» على معناها مِن الظرفيَّة.

وقال ابن قتيبة: «فوق» هنا بمعنى: «دُون»، قال ابنُ عطيَّة: وهذا خَطَأٌ بَيِّن، وإنَّما دَخَل عليه اللَّبْسُ مِن قوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] [٥أي: فما دونها، وليست «فوق» هنا بمنزلة «دون»، وإنَّما المراد: فما فوقها٥] في القلَّة والصِّغَر، فأشبه المعنى «دون». انتهى.

وعلى قولِ ابنِ قتيبة، يكون المفعول محذوفاً، أي: فاضربوهم.

وقال عكرمة: «فوق» على بابها، وأراد الرؤوسَ؛ إذ هي فوقَ الأعناق[٦].

---

(١) زاد المسير ٣/ ٣٢٩، والخبر أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٤٣٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٤٦٤)، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٢٣٧ (٦٢٣)، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ١٤٣-١٤٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٤: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) السبعة ص ٢١٧، والتيسير ص ٩١، والنشر ٢/ ٢١٦، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر ويعقوب من العشرة.

(٣) قول الأخفش في كتابه معاني القرآن ٢/ ٥٤١-٥٤٢، وقول الضحاك وعطية أخرجه عنهما الطبري ١١/ ٧٠.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٤٢.

(٥-٥) ليست في (ب) والمطبوع، والكلام من المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٨، والذي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص١٧٧: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الأعناق.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٨، وينظر تفسير القرطبي ٩/ ٤٦٨، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٧١.

قال الزمخشريُّ: يعني: ضَرْبَ الهامِ، قال:

وأضْـرِبُ هـامَـةَ الـبَـطَـلِ الـمُـشِـيـحِ

وقال آخَرُ:

غَـشَّيْتُه وَهْـو فـي جَـأْواءَ بـاسـلـةٍ عَضْباً أصابَ سواءَ الرأسِ فانفلقَا[1]

انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: وهذا التأويلُ أنْبَلُها، ويَحتمل عندي أن يُريد بقوله: «فوق الأعناق» وَصْفَ أَبْلغِ ضَرَباتِ العُنُق وأَحْكَمِها، وهي الضَّرْبة التي تكون فوقَ عَظْمِ العُنُق ودونَ عَظْمِ الرأس في المَفْصِل، ويُنظر إلى هذا المعنى قول دريد بنِ الصِّمَّة الجُشَمِيّ لابنِ الدَّغِنَة السُّلَمي، حين قال له: خذ سيفي وارْفَع عن العَظْم واخْفِض عن الدِّماغ، فهكذا كنتُ أَضربُ أعناقَ الأبطال، ومنه قولُ الشاعر:

جـعـلـتُ الـسـيـفَ بـيـن الـجِـيْـدِ مـنـه وبـيـنَ أَسِـيْـلِ خَـدَّيْـه عِـذارا

فيجيء على هذا «فوق الأعناق» متمكّناً[2]. انتهى.

فإن كان قولُ عكرمة تفسيرَ معنًى فَحَسَنٌ، ويكون مفعول: «فاضربوا» محذوفاً، وإن كان أراد أنَّ «فوق» هو المضروب، فليس بجيِّد؛ لأنَّ «فوق» مِن الظروف التي لا يتصرّف فيها؛ لا تكون مبتدأةً ولا مفعولاً بها ولا مضافاً إليها، إنَّما يتصرَّف فيها بحرف جرٍّ، كقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦] هذا هو الصحيح في «فوق».

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٨، وعجز البيت الأول لعمرو بن الإِطْنابة، وهو في كتاب الحيوان للجاحظ ٦/ ٤٢٥، والكامل للمبرد ١/ ١١٩ و٣/ ١٤٣٤، وأمالي القالي ١/ ٢٥٨، وورد عندهم: وضربي، بدل: وأضرب، وصدر البيت عند بعضهم: وإعطائي على الإعدام مالي، وعند آخرين: وإقدامي على المكروه نفسي. ووقع في الكامل: وإجشامي، بدل: وإقدامي.
قال أبو علي القالي: المُشِيح: المبادر المنكمش، ويقال: بطل مُشيح، أي: حامل.
والبيت الآخر لبلعاء بن قيس الكناني، وهو في ديوان المعاني للعسكري ١/ ١١٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٦٠، والتذكرة السعدية ص ٤٣، وخزانة الأدب ٦/ ٥٥٦.
والعَضْب: القطع، وسيف عَضْب، أي: قاطع، والسَّواء: الوسط، وأصاب بمعنى: طَلَب، وبمعنى: نال، والجأواء: المخضرَّة.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٨، ولم نقف على البيت عند غيره، وأورده السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٥/ ٥٧٩، وابن عادل في اللباب ٩/ ٤٧٢، نقلاً عن البحر المحيط.

وقد أجاز بعضُهم أن يكون «فوق» في الآية مفعولاً به، وأجاز فيها التصرُّفَ، قال: تقول: فوقُك رأسُك، بالرفع، وفوقَك قَلَنْسُوتُك، بالنصب، ويَظهر هذا القول مِن الزمخشريِّ قال: «فوق الأعناق» أرادَ أعاليَ الأعناق التي هي المَذابح؛ لأنَّها مفاصلُ، فكان إيقاع الضَّرْب فيها حَزًّا وتطييراً للرؤوس[١]. انتهى.

والبَنَانُ تقدَّم الكلام فيها في المفردات، وقالت فرقة منهم الضَّحَّاك: البَنَان: هي المفاصِلُ حيث كانت مِن الأعضاء[٢]. وقالت فرقة: البَنانُ: الأصابعُ مِن اليدين والرِّجْلين، وقيل: الأصابع وغيرُها مِن الأعضاء، والمختار أنَّها الأصابع، وقال عنترة:

وكان فَتَى الهَيْجَاءِ يَحْمي ذِمارَها ... ويَضْرِبُ عندَ الكَرْبِ كلَّ بَنانِ[٣]

وقال أيضاً:

وأنَّ الموتَ طَوْعُ يدي إذا ما ... وَصَلْتُ بَنانَها بالهِنْدُوانِي[٤]

وضَرْب الكفَّار مشروعٌ في كلِّ موضع منهم، وإنَّما قصدَ أبلغ المواضع وأثبت ما تكون المَقَاتِل؛ لأنَّه إذا عَمد إلى الرأس أو الأطراف كان ثابتَ الجَأْش متبصِّراً فيما يَضَع فيه آلةَ قتاله؛ مِن سيفٍ ورمحٍ وغيرهما، ممَّا يَقع به اللقاء، إذ ضَرْبُ الرأس فيه أشغلُ شاغلٍ عن القتال، وكثيراً ما يؤدِّي إلى الموت، وضَرْبُ البنان فيه تعطيلُ القتال مِن المضروب، بخلاف سائر الأعضاء.

قال الفرَّاء: علَّمهم مواضعَ الضَّرْب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل[٥]، فكأنَّه قال: فاضربوا الأعاليَ إن تمكَّنتم مِن الضَّرْب فيها، فإن لم تَقدروا فاضربوهم في أوساطهم، فإن لم تقدروا فاضربوهم في أسافلهم؛ فإنَّ الضَّرْبَ في الأعالي يُسرع بهم إلى الموت، والضَّرْب في الأوساط يُسرع بهم إلى

(١) الكشاف ٢/١٤٨.
(٢) أخرجه عنه الطبري ١١/٧٢.
(٣) ديوان عنترة ص ٧٠، وفيه: لدى، بدل: فتى. والذِّمار: كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه، وإن ضيَّعه لزمه اللوم. اللسان (ذمر).
(٤) ديوان عنترة ص ٧٢، والهندواني: السيف المطبوع من حديد الهند. الصحاح (هند).
(٥) معاني القرآن للفراء ١/٤٠٥.

عدم الامتناع، والضرب في الأسافل يَمنعهم مِن الكَرِّ والفَرِّ، فيحصل من ذلك إمَّا إهلاكُهم بالكُلِّيَّة، وإمَّا الاستيلاء عليهم وقَسْرُهم. انتهى. وفي قول الفرَّاء هذا تحميلُ ألفاظِ القرآن ما لا تَحتمله.

وقال الزمخشريُّ: والمعنى: فاضربوا المقاتِل والشَّوَى[١]؛ لأنَّ الضَّرْبَ إمَّا واقع على مَقتَل أو غيرِ مَقتَل، فأَمَرهم بأن يَجمعوا عليهم النوعين معاً[٢]. انتهى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الإشارة إلى ما حلَّ بهم مِن إلقاء الرُّعب في قلوبهم وما أَصابهم مِن الضَّرْب والقَتْل، والكافُ لخطابِ الرسول، أو لخطاب كلِّ سامع، أو لخطاب الكفَّار على سبيل الالتفات.

و«ذلك» مبتدأ، و«بأنَّهم» هو الخبر، والضمير عائد على الكفار، وتقدَّم الكلام في المشاقَّة في قوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧] والمشاقَّة هنا مُفاعَلة، فكأنَّه تعالى لمَّا شَرَعَ شَرْعاً وأَمَرَ بأوامِرَ وكذَّبوا بها وصدُّوا، تباعَدَ ما بينهم وانفصلَ وانشقَّ، وعبَّر المفسِّرون عن قوله: «شاقُّوا الله» أي: صاروا في شِقٍّ غيرِ شِقِّه.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ أجمعوا على الفَكِّ في «يُشاقِق» اتِّباعاً لخطِّ المصحف[٣]، وهي لغة الحجاز، والإدغام لغة تميم، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:٤] وقيل: فيه حذفُ مضاف، تقديره: شاقُّوا أولياءَ الله، و«مَن» شرطيَّة، والجواب: «فإنَّ» وما بعدها، والعائد على «مَن» محذوف، أي: شديد العقاب له، وتضمَّن وعيداً وتهديداً، وبَدَأهم بعذاب الدنيا مِن القَتْل والأَسْر والاستيلاء عليهم.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ جمع بين العذابَيْن؛ عذابِ الدُّنيا وهو المعجَّل، وعذابِ الآخرة وهو المؤجَّل، والإشارة بـ «ذلكم» إلى ما حلَّ بهم مِن عذاب الدنيا، والخطابُ للمشاقِّين، ولمَّا كان عذابُ الدنيا بالنسبة إلى

---

(١) الشَّوَى: جلدة الرأس، والشَّوَى: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، وكلُّ ما ليس مَقتَلاً. الصحاح (شوي).

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٨.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٩.

عذاب الآخرة يسيراً، سمَّى ما أصابهم منه ذَوْقاً؛ لأنَّ الذَّوقَ يُعرَف به الطَّعْم، وهو يسيرٌ ليُعرَف به حال الطَّعْم الكثير، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣] فما حَصَل لهم مِن العذاب في الدنيا كالذَّوْق القليل بالنسبة إلى ما أعدَّ لهم في الآخرةِ من العذاب العظيم.

و«ذلكم» مرفوع إمَّا على الابتداء، والخبر محذوف، أي: ذلكم العقابُ، أو على الخبر، والمبتدأ محذوف، أي: العقاب ذلكم، وهما تقديران للزمخشريِّ[(١)]، وقال ابنُ عطيَّة: أي: ذلكم الضَّرْب والقَتْل وما أوقع اللهُ بهم يومَ بدرٍ، فكأنَّه قال: الأَمْرُ ذلكم فذُوقوهُ[(٢)]. انتهى. وهذا تقدير الزجَّاج[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذَلكم فذوقُوه، كقولك: زيداً فاضْرِبه[(٤)]. انتهى. ولا يجوز هذا التقدير؛ لأنَّ «عليكم» مِن أسماء الأفعال، وأسماءُ الأفعال لا تُضمَر، وتشبيهه لهُ بقولك: زيداً فاضْرِبه، ليس بجيِّد؛ لأنَّهم لم يُقدِّروه بـ: عليكَ زيداً فاضْرِبه، وإنَّما هذا منصوب على الاشتغال، وقد أجازَ بعضهم في «ذلكم» أن يكون منصوباً على الاشتغال.

وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون «ذلكم» مبتدأً، و«فذوقوه» خبراً؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يكون خبراً لمبتدأ إلَّا أن يكون المبتدأُ اسماً موصولاً أو نكرةً موصوفةً، نحو: الذي يأتي فله درهمٌ، وكلُّ رجل في الدار فمكرَمٌ[(٥)]. انتهى.

وهذا الذي قاله صحيح، ومسألةُ الاشتغال تنبني على صحَّة جواز أن يكون «ذلكم» يصح فيه الابتداءُ إلَّا أنَّ قولهم: زيداً فاضْرِبه، و: زيدٌ فاضْرِبه، ليست الفاء هنا كالفاء في: الذي يأتيني فله درهم، لأنَّ هذه الفاءَ دخلت لتضمُّن المبتدأ معنى اسمِ الشرط، ولذلك شروطٌ ذُكرت في النحو، والفاء في: زيد فاضربه، هي جوابٌ لأمرٍ مقدَّر، ومؤخَّرة مِن تقديم، والتقدير: تنبَّه، فزيدٌ اضْرِبه، وقالت العرب: زيداً

(١) الكشاف ٢/ ١٤٨.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٩.
(٣) في معاني القرآن له ٢/ ٤٠٧.
(٤) الكشاف ٢/ ١٤٨.
(٥) تفسير الرازي ١٥/ ١٣٧.

فاضْرِب، وقدَّره النحاةُ: تَنبَّهْ، فاضْرِب زيداً، وابتنى الاشتغال في: زيداً فاضْرِبه، على هذا التقدير، فقد بَانَ الفرقُ بين الفاءَين، ولولا هذا التقدير لم يجز: زيداً فاضْرِب، بل كان يكون التركيب: زيداً اضْرِب، كما هو إذا لم يقدَّر هناكَ أَمْرٌ بالتنبيه محذوفٌ.

وقرأ الجمهور: «وأنَّ» بفتح الهمزة، قال الزمخشريُّ: عطف على «ذلكم» في وجهَيْه، أو نصب على أنَّ الواو بمعنى: «مع»، والمعنى: ذوقوا هذا العذابَ العاجل مع الآجِل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهرُ موضع الضمير[1]. انتهى. [2]ويعني بقوله: في وجهَيْه. أي: وجهَي الرفع. وقوله: فوضع الظاهر موضع الضمير[2]. أي: مكان: وأنَّ لكم: «وأنَّ للكافرين».

وقال ابنُ عطيَّة: إمَّا على تقدير: وحَتْمٌ «أنَّ»، فتقدّر ابتداء محذوف تكون «أنَّ» خبرَه، وقال سيبويه: التقدير: الأَمْرُ ذلكم، وإمَّا على تقدير: واعلموا أنَّ، فهي على هذا في موضع نصبٍ[3]. انتهى.

وقرأ الحسن وزيد بنُ عليٍّ وسليمان التيميُّ: «وإنَّ» بكسر الهمزة[4]، على استئناف الإخبار.

❁ ❁ ❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن
يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ
رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾
ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن

(١) الكشاف ٢/١٤٨.
(٢-٢) ليست في (ب) والمطبوع.
(٣) المحرر الوجيز ٢/٥٠٩، وينظر كتاب سيبويه ٣/١٢٥.
(٤) القراءات الشاذة ص ٤٩ عن الحسن، والمحرر الوجيز ٢/٥٠٩ عن سليمان عن الحسن بن أبي الحسن.

تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ
ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ
مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ
﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ
يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ
سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ
إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ
إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ
إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ
بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل
لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ
ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

المفردات

الزَّحْف: قال اللَّيث: الجماعةُ يَمشون إلى عدوِّهم[١]. قال الأعشى:

لِمَنِ الظَّعائِنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ مِثْلُ السَّفِينِ إذا تقاعَسَ تُجذَفُ[٢]

وقال الفرَّاء: الزَّحْف: الدُّنوُّ قليلاً قليلاً، يقال: زَحَفَ إليه يَزْحَف زَحْفاً: إذا مشى، وأَزْحَفتُ القومَ: دنوتُ لِقتالهم، وكذلك: تَزَحَّف وتَزاحَف، وأَزْحَفَ لنا عدوُّنا إزحافاً: صاروا يَزحفون لقتالنا، وازْدَحَف القومُ ازدِحافاً: مَشَى بعضُهم إلى بعض. وقال ثعلب: ومنه الزِّحافُ في الشِّعْر، وهو أن يسقطَ بين الحرفين حرفٌ، ويَزحف أحدُهما إلى الآخَر.

وسُمِّي الجيش العَرَمْرَم بالزَّحْف؛ لكثرته، كأنَّه يَزحف، أي: يَدِبُّ دَبِيباً، مِن: زَحَفَ الصبيُّ: إذا دبَّ على أليتِهِ قليلاً قليلاً، وأصله: مصدر: زَحَف، وقد جُمع: الزَّحْف، على: زُحوف، وقال الهُذليُّ يصف مَنْهَلاً:

كأنَّ مَزاحِفَ الحيَّاتِ فيه قُبَيْلَ الصبحِ آثارُ السِّياطِ[٣]

المُتَحَيِّز: المُنْضمُّ إلى جانب، وقال أبو عبيد[٤]: التحيُّز والتحوُّز: التَّنَحِّي. وقال الليث: مالَكَ تَتَحوَّز[٥]؟ إذا لم تستقرَّ على الأرض، وأصله: مِن الحَوْز وهو الجَمْع، يقال: حُزْتُه في الطِّرْسِ[٦] فانْحَازَ، وتحيَّز: انضمَّ واجتمع، وتحوَّزت

---

(١) ينظر المخصص لابن سِيدَه، السِّفْر السادس ص ٢٠٤.

(٢) القائل: أعشى همدان، والبيت قاله ذاكراً ما لحقه من أَسْر الدَّيلم، وهو عند الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ١٨٨، والأصفهاني في الأغاني ٦/ ٣٥، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٧/ ١٨٣، وورد عند بعضهم: سَيْر، وعند آخرين: عَوْم، بدل: مثل. والتزحُّف: السير في بُطْءٍ وكلال. وتقاعس: تأخَّر ورجع إلى خلف. ويقال: جذف الملاح السفينة: حرَّكها بالمجذاف.

(٣) القائل: المُتَنَخِّل مالك بن عويمر الهذلي، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ٢٥، ومزاحف الحيَّات: آثار انسيابها، ومواضع مَدَبِّها. اللسان (زحف).

(٤) في المطبوع: أبو عبيدة. وكذا في مطبوع تفسير الرازي ١٥/ ١٣٧، وكلام أبي عبيدة في اللسان (حوز)، والمثبت من (أ) و(ب) و(ز١)، وكلام أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٣/ ١٠٧.

(٥) في (أ): متحوز، وفي (ب) والمطبوع: متحوزاً. وينظر لسان العرب (حوز).

(٦) الطِّرْس: الصَّحيفة، أو الكتابُ الذي مُحيَ ثم كُتِبَ، والجمع: أطراس وطروس. المعجم الوسيط (طرس).

الحيَّةُ: انطوت واجتمعت، وسُمّي التَّنَحّي تحيُّزاً؛ لأنَّ المتنحّي عن جانب ينضمُّ عنه ويَجتمع إلى غيره، وتَحَيَّز: تَفَيْعَل، أصلُه: تَحَيْوَز، اجتمعت ياءٌ وواو وسُبقت إحداهما بالسُّكون، فقُلبت الواو ياء، وأُدغمت فيها الياء، وتَحَوّز: تَفَعّل، ضُعّفت عينه.

الرَّمْي معروف، ويكون بالسَّهم والحَجَر والتراب.

المُكَاءُ: الصَّفِيْر، وقال عنترة:

وحليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً ... تَمكو فَرِيْصَتُه كَشِدْقِ الأَعْلَمِ[1]

أي: تصوّت، ومنه: مكَتِ استُ الدَّابَّة: إذا نَفَخَت بالرِّيْح، وقال السُّدِّيُّ: المُكاءُ: الصَّفِيْر على لَحْنِ طائرٍ أبيضَ بالحجاز، يقال له: المُكَّاءُ[2]، قال:

إذا غرَّد المُكَّاء في غيرِ روضةٍ ... فويلٌ لأهْلِ الشَّاءِ والحُمُراتِ[3]

وقال أبو عُبيدة[4] وغيره: مَكَا يَمْكُو مُكُوًّا ومُكَاءً: إذا صَفَر، والكثيرُ في الأصوات أن تكون على: فُعَال، كالصُّراخ والخُوار والدُّعاء والنُّباح.

التَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيق، صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيَةً: صَفَّق، وهو فَعَّلَ مِن الصَّدَى، وهو الصَّوتُ.

---

(١) ديوان عنترة ص ٢٤، ووقع في (ع) و(ح) ومطبوع البحر: وخليل، بدل: وحليل، والحليل: الزوج، والغانية: الزوجة التي غنيت بزوجها، أو التي غُنيت بحُسنها وجمالها. والمجدَّل: الملقى بالجَدالة، وهي الأرض. والفريصة: اللحم بين الكتف والصدر. والأعلم: مشقوق الشفة العليا. ينظر اللسان (حلل)، (غني)، (جدل)، (فرص)، (علم).

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٩/٤٩٨-٤٩٩، وأخرجه عنه الطبري ١١/١٦٦، وفيه: على نحو طائر، بدل: على لحن طائر...

(٣) البيت في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٩٣، وأمالي القالي ٢/٣٢، والصاحبي لابن فارس ص ٢٤٦، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني ٤/٧٤٧ دون نسبة، والبيت أومئ فيه إلى الجَذب، وذلك أن المُكَّاء يألف الرياض، فإذا أجدبت الأرض سقط في غير روضة.

(٤) كذا في النسخ، وإحدى النسخ الخطية لتفسير القرطبي، كما ورد بهامش مطبوعه ٩/٤٩٩، والذي في معاني القرآن للنحاس ٣/١٥٢ والنسخ الخطية الأخرى للقرطبي ومطبوعه: أبو عبيد. والكلام بنحوه في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٤٦، فليُحرَّر!.

الرَّكْمُ: قال الليث: جَمْعُك[١] شيئاً فوقَ شيء حتى تجعلَه رُكاماً مَرْكوماً، كرُكام الرَّمْلِ والسَّحاب[٢].

مضى: تقدَّم، والمصدرُ: المُضِيُّ.

* * *

التفسير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ مناسبة هذه الآيةِ لِمَا قبلها أنَّه تعالى لمَّا أَخبر أنَّه سيُلقي الرعبَ في قلوب الكفَّار وأَمَرَ مَن آمَنَ بضَرْبٍ فوقَ أعناقهم وبَنانهم، حَرَّضهم على الصبر عند مكافحة العدوِّ، ونهاهم عن الانهزام.

وانتصبَ «زَحْفاً» على الحال، فقيل: مِن المفعول، أي: لقيتموهم وهم جمٌّ كثير وأنتم قليل، فلا تفرُّوا فَضْلاً عن أن تُدانوهم في العَدَد أو تساووهم.

وقيل: مِن الفاعل، أي: وأنتم زَحْفٌ مِن الزحوف، وكأنَّ ذلك إشعار بما سيكون منهم يومَ حُنَيْن حين انهزموا وهم اثنا عشر ألفاً بعد أن نهاهم عن الفِرار يومئذ.

وقيل: حال مِن الفاعل والمفعول، أي: متزاحفين أنتم وهم، ولم يذكر ابنُ عطيَّة إلَّا ما يدلُّ على أنَّه حالٌ منهما، قال: «زحفاً» يُرادُ به متقابِلي الصفوف والأشخاص، أي: يزحف بعضهم إلى بعض[٣].

وقيل: [٤]انتصب «زَحْفاً» على المصدر بحال محذوفة، أي: زاحفين زَحْفاً.

وهذا الذي قيل مُحْكَمٌ، فيَحرم الفِرارُ عند اللقاء بكلِّ حالٍ[٤]، وقيل: كان هذا في ابتداء الإسلام حيث كان[٥] الأَمْرُ بالمصابرة أن يواقف[٦] مسلمٌ عشرةَ كفَّار، ثم

(١) في (أ) والمطبوع: جمع. وينظر الدر المصون ٥/ ٥٨٣.
(٢) ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٤٢، وينظر العين ٥/ ٣٦٩ (ركم).
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٠٩.
(٤-٤) ليست في (ب).
(٥) بعدها في (ب): عند القتال.
(٦) في (ح): يوافق. وفي (أ): يرافق، وينظر النكت والعيون ٢/ ٣٠٢.

خُفِّف فجعل واحدٌ في مقابلة اثنين، ويأتي حُكْمُ المؤمِنَة الفارَّةِ مِن ضِعْفَيها في آيةِ التخفيف[١] إن شاء الله تعالى.

وعَدلَ من لفظ الظهور إلى لفظ الأدبار؛ تقبيحاً لفِعْل الفارِّ وتبشيعاً لانهزامه، وتضمَّن هذا النهيُ الأمرَ بالثبات والمصابرة على القتال.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ لمَّا نهى تعالى عن تولِّي الأدبار، توعَّد مَن ولَّى دُبُرَه وقتَ لقاء العدوِّ، وناسب قولَه: «ومَن يولهم» قولُه: «فقد باء بغضب» كأنَّ المعنى: فقد وَلَّى مصحوباً بغَضَب الله، وعَدَل أيضاً عن ذِكْر الظَّهْر إلى الدُّبُر مبالغةً في التقبيح والذَّمِّ، إذ تلك الحالة مِن الصفات القبيحة المذمومة جدًّا، ألَا ترى إلى قول الشاعر:

فلسنا على الأعقاب تَجري كُلُومُنا ... ولكن على أقدامِنا تَقْطُرُ الدَّمَا[٢]

قال في «التحرير»: وهذا النوع مِن عِلْم البيان يُسمَّى التَّعْرِيْض، عرَّض بسُوء حالهم وقُبْح فِعْلهم وخَسَاسة منزلتهم، وبعضهم يُسمِّيه: الإيماء، وبعضهم يُسمِّيه: الكِناية، وهذا ليس بشيء، فإنَّ الكناية أن تُصرِّح باللفظ الجميل على المعنى القَبيح. انتهى.

والظاهر أنَّ الجملةَ المحذوفة بعد «إذ»[٣] وعوّض منها التنوين: هي قوله: «إذا لقيتم» الكفَّار، وقيل: المراد يومُ بدرٍ وما وَلِيَه، وفي ذلك اليوم وَقَع الوعيدُ بالغضب على مَن فرَّ، ونُسِخَ بعد ذلك حُكْمُ الآية بآيةِ الضَّعْف، وبَقيَ الفرارُ من الزحف ليس كبيرةً، وقد فرَّ الناسُ يومَ أُحُد فعفا الله عنهم، وقال اللهُ فيهم: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا

(١) يعني قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦].

(٢) القائل: الحُصين بن الحُمام المريّ، والبيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٩٨، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٥٢٥، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٢٨، ٤٦٩، وخزانة الأدب ٧/ ٤٩٠، ومعنى البيت: نتوجَّه نحو الأعداء في الحرب ولا نُعرِض عنهم، فإذا جُرحنا كانت الجراحات في مُقدَّمنا لا مُؤخَّرنا، وسالت الدماء على أقدامنا لا على أعقابنا.

(٣) يعني: من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ولم يقع على ذلك تعنيف[١]. انتهى.

وهذا القولُ بأنَّ الإشارة بقوله: «يومئذٍ» إلى يوم بدر، لا يَظهَر؛ لأنَّ ذلك في سياق الشَّرْط وهو مُسْتَقبَل، فإن كانت الآية نزلت يومَ بدر قَبْلَ انقضاء القتالِ، فيوم بدرٍ فردٌ مِن أفراد أيام لقاء الكفَّار فيَندرج فيه، ولا يكون خاصًّا به، وإن كانت نزلت بعده، فلا يَدخُل يوم بدر فيه، بل يكون ذلك استئنافَ حكم في الاستقبال.

قال ابنُ عطيَّة: والجمهور على أنَّه إشارة إلى يوم اللقاء الذي تضمَّنه قوله: «إذا لقيتم»، وحُكْمُ الآية باقٍ إلى يوم القيامة بسبب الضَّعْف الذي بيَّنه اللهُ تعالى في آية أُخرى، وليس في الآية نَسْخ، وأمَّا يوم أُحُد فإنَّما فرَّ الناسُ مِن مراكزهم مِن ضِعْفهم، ومع ذلك عُنِّفوا؛ لكونِ رسول الله ﷺ فيهم وفرارهم عنه، وأمَّا يومُ حنين فكذلك مَن فرَّ إنَّما انكشفَ أمام الكثرة، ويحتمل أنَّ عفوَ الله عمَّن فرَّ يوم أُحُدٍ كان عفواً عن كثرة[٢]. انتهى.

وقرأ الحسن: «دُبْرَه» بسكون الباء[٣]، وانتصبَ «مُتحرِّفاً» و«متحيِّزاً» على الحال مِن الضمير المستكنّ في «يُولِّهم» العائد على «مَن».

قال الزمخشريُّ: و«إلَّا» لَغوٌ، أو عنِ الاستثناء مِن المُولِّين، أي: ومَن يُولِّهم إلا رجلاً منهم متحرِّفاً أو متحيِّزاً[٤]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: وأمَّا الاستثناء فهو مِن المولِّين الذين يتضمَّنهم «مَن»[٥]. انتهى.

ولا يريد الزمخشريُّ بقوله: و«إلَّا» لغو. أنَّها زائدة، إنَّما يُريد أنَّ العامل الذي هو «يُولِّهم» وَصَل إلى العمل فيما بعدَها، كما قالوا في: «لا» مِن قولهم: جئتُ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٢-٤٧٣، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٤٩.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.

بلا زاد: أنَّها لغوٌ، وفي الحقيقة هو استثناء مِن حالة محذوفة، والتقدير: ومَن يولِّهم مُلْتبساً بأيَّةِ حالةٍ إلَّا في حال كذا، وإن لم يُقدَّر حالٌ عامَّة[1] محذوفة، لم يصحَّ دخولُ «إلَّا»؛ لأنَّ الشَّرْطَ عندهم واجبٌ، وحُكْم الواجب أن لا تدخل «إلَّا» فيه؛ لا في المفعول ولا في غيرِه مِن الفَضَلات؛ لأنَّه يكون استثناء مفرَّغاً، والاستثناءُ المفرَّغ لا يكون في الواجب، لو قلت: ضربتُ إلَّا زيداً، أو: قمتُ إلَّا ضاحكاً، لم يصحَّ، والاستثناء المفرَّغ إنَّما يكون مع النفي أو النهي أو المؤوَّل بهما، فإن جاء ما ظاهرُه خلاف ذلك، قُدِّر عموم قَبْلَ «إلَّا» حتى يصحَّ الاستثناء مِن ذلك العموم، فلا يكون استثناء غير مفرَّغ.

وقال قوم: الاستثناء هو مِن أنواع التولِّي، ورُدَّ بأنَّه لو كان ذلك لوجب أن يكون: إلَّا تحرُّفاً أو تحيُّزاً[2].

والتحرُّف للقتال: هو الكَرُّ بعد الفَرِّ، يُخيِّل عدوَّه أنَّه مُنهزِمٌ، ثم يَعطِفُ عليه، وهو من باب خُدَعِ الحرب ومكائدِها، قاله الزمخشريُّ[3]، وقال[4]: يُراد به الذي يرى أنَّ فِعْله ذلك أنكى للعدوِّ وأعودُ عليه بالشَّرِّ.

والفئة هنا، قال الجمهور: هي الجماعة مِنَ الناس الحاضِرة للحرب، فاقتضى هذا الإطلاق أن تكون هذه الفئة مِن الكفَّار، (٥أي: لكونه يرى أنَّه يُنكِي فيها العدوَّ ويبلي أكثر مِن إبلائه فيما قابله مِن الكفَّار٥)؛ إمَّا لعدم مقاومته، أو لكون غيرِه يُغني فيمَن قابله منهم، فيتحيَّز إلى فئة أخرى مِن الكفَّار ليُبليَ فيها.

واقتضى أيضاً أن تكون هذه الفئة مِن المسلمين، أي: تحيَّز إليها ليَنْصُرَها ويُقوِّيَها إذا رأى فيها ضَعْفاً، وأغنى غيرَه في قتال مَن قَابَلَهُ مِن الكفار، وبهذا فسَّر الزمخشريُّ، قال: «إلى فئة»: إلى جماعة أُخرى مِن المسلمين سوى الفئةِ التي هو فيها[6].

(١) في المطبوع: غاية.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.
(٣) الكشاف ٢/ ١٤٩.
(٤) يعني ابنَ عطية، وكلامه في المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.
(٥-٥) ليست في (أ).
(٦) الكشاف ٢/ ١٤٩.

وقيل: الفئة هنا المدينةُ والإمامُ وجماعةُ المسلمين أينما كانوا، ورويَ هذا عن عمر، انهزم رجلٌ مِن القادسيَّة، فأتَى المدينةَ إلى عمر فقال: يا أميرَ المؤمنين، هَلَكْتُ! فَررتُ مِن الزَّحْف. فقال عمرُ: أنا فِئَتُكَ[١].

وعن ابنِ عمر: خرجَت سَرِيَّةٌ وأنا فيهم، ففَرُّوا، فلمَّا رجعوا إلى المدينة اسْتَحْيَوا، فدخلوا البيوت، فقلت: يا رسولَ الله، نحن الفرَّارون. فقال: «بل أنتم العكَّارون، وأنا فئتكم»[٢]. قال ثعلب: العكَّارون: العطَّافون. وقال غيرُه: يُقال للرجل الذي يُولِّي عند الحرب [٣]ثمَّ يَكِرُّ[٣] راجعاً: عَكَر واعْتَكَر. وعن ابنِ عباس: الفِرار مِن الزَّحْف مِن أكبرِ الكبائر[٤]. وفي «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اتَّقُوا السَّبْعَ المُوبقات»[٥] وعدَّد فيها الفرارَ مِن الزحف.

وفي «التحرير»: التَّولِّي الذي وَقَع عليه الوعيدُ هو الفِرار مع المصابرة على الثبات، فأمَّا إذا جاءَه مَن لا يستطيع معه الثبات، فليس ذلك بالفرار. انتهى.

وما أَحسن ما استَعْذَرَ الحارث بنُ هشام إذ فرَّ، فقيل فيه:

تَـرَكَ الأحـبَّـةَ أن يُـقـاتِـلَ دونَـهـم ... ونَـجَـا بـرأسِ طِـمِـرَّةٍ ولـجـامِ[٦]

فقال الحارث مِن أبيات:

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٩، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٥، والخبر أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤٦٦) عن إبراهيم النخعي.

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٩، والخبر أخرجه أبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٧١٦)، وأحمد (٥٣٨٤)، وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.

(٣-٣) في النسخ: لم يكن. والمثبت من تفسير القرطبي ٩/ ٤٧٥، وتهذيب اللغة ١/ ٣٠٥، وقول ثعلب أورده أيضاً ابن الجوزي في غريب الحديث ٢/ ١٢٠.

(٤) الكشاف ٢/ ١٤٩.

(٥) صحيح البخاري (٢٧٦٦)، وأخرجه أيضاً مسلم (٨٩).

(٦) القائل: حسان بن ثابت، والبيت في السيرة النبوية ٢/ ١٧، وفي ديوانه ص ٤١٩ ضمن قصيدة طويلة، مع ذِكْر اعتذار الحارث بن هشام الآتي، والطِّمِرَّة: الفرس الطويل القوائم الخفيف. القاموس (طمر).

وعلمتُ أنّي إن أقاتل واحداً أُقْتَل ولا يضرر عَدُوّي مَشْهَدِي[١]

واستدلَّ القاضي بهذه الجملة الشرطيَّة على وَعيد الفُسَّاق مِن أهلِ الصلاة؛ لأنَّها دلَّت على أنَّ مَنِ انهزم ـ إلَّا في هاتين الحالتين ـ استوجَبَ غَضَبَ اللهِ ومأواه جهنَّم، قال: وليس للمُرْجئة أن يَحملوا ذلك على الكفَّار كما فعلوا في آيات الوعيد؛ لأنَّ ذلك مُفْتَتَحٌ بأهلِ الصلاة، وهو قوله: «يا أيها الذين آمنوا»[٢]. انتهى. ولا حُجَّةَ في ذلك؛ لأنَّه عامٌّ مخصوص.

والظاهر أنَّه يجوز التحيُّز، سواء عَظُمَ العسكر أم لا، وقيل: لا يجوز إذا عظم.

والظاهر أنَّ الفرارَ مِن الزحف بغير شروطه كبيرةٌ؛ للتوعُّد، ولذلك قال ابنُ القاسم: لا تُقبَل شهادةُ مَن فرَّ مِن الزحف وإن فرَّ إمامُهم[٣]، ومَن فرَّ فليستغفر اللهَ، ففي الترمذيِّ: «مَن قال: أستغفرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هو الحيُّ القيوم، غُفرَ له، وإن كان قد فرَّ مِن الزحف»[٤].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ لمَّا رجَع الصحابةُ مِن بدرٍ، ذَكَروا مفاخرَهم، فيقول القائل: قتلتُ وأسرتُ. فنزلت[٥].

قال الزمخشريُّ: والفاءُ جواب شَرْطٍ محذوف، تقديره: إنِ افتخرتم بقَتْلهم، فأنتم لم تقتلوهم، ولكنَّ الله قَتَلهم؛ لأنَّه هو الذي أنزل الملائكةَ، وألقى الرعبَ في قلوبهم، وشاء النَّصْرَ والظَّفَر، وقوَّى قلوبَكم، وأذهبَ عنها الفَزَعَ والجَزَعَ[٦]. انتهى.

(١) السيرة النبوية ٢/ ١٨، وتنظر الأبيات أيضاً في عيون الأخبار ١/ ١٦٩، والأغاني ٤/ ١٦٩، وغرر الخصائص الواضحة ص ٣٦٧-٣٦٨ وغيرها من كتب الأدب واللغة.
(٢) تفسير الرازي ١٥/ ١٣٨.
(٣) تفسير القرطبي ٩/ ٤٧٣، وينظر قول ابن القاسم في النوادر والزيادات للقيرواني ٣/ ٥٤.
(٤) سنن الترمذي (٣٥٧٧) من حديث زيد مولى النبي ﷺ، وهو أيضاً عند أبي داود (١٥١٧)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ. وفي إسناده: يسار بن زيد، قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال ٥/ ١٧١: لا يعرف.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٦.
(٦) الكشاف ٢/ ١٤٩.

وليست الفاءُ جوابَ شَرْطٍ محذوف، كما زعم، وإنَّما هي للرَّبْط بين الجُمل؛ لأنَّه لمَّا قال: «فاضربوا فوقَ الأعناق واضربوا منهم كلَّ بنان» كان امتثالُ ما أُمروا به سبباً للقَتْل، فقيل: «فلم تقتلوهم» أي: لستم مُسْتَبِدِّين بالقَتْل؛ لأنَّ الإقْدارَ عليه والخَلْقَ له إنَّما هو لله تعالى، ليس للقاتل فيها شيء، لكنَّه أُجريَ على يدِه، فنفي عنهم إيجادُ القَتْل وأُثبت لله تعالى، وفي ذلك ردٌّ على مَن زعم أنَّ أفعالَ العباد خَلْقٌ لهم.

ومجيء «لكنَّ» هنا أحسنُ مجيء؛ لكونها بين نفي وإثبات، فالمُثْبَت لله هو المنفيُّ عنهم وهو حقيقة القتل، ومَن زعم أنَّ أفعالَ العباد مخلوقةٌ لهم، أَوَّلَ الكلامَ على معنى: فلم تتسبَّبوا؛ لقَتْلكم إيَّاهم[1]، «ولكنَّ اللهَ قتلهم» [2]أي: تسبَّب إلى قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم من قتلهم، ولذلك قال الزمخشري: «ولكن الله قتلهم»[2] لأنَّه هو الذي أنزل الملائكة[3]، إلى آخِر كلامه.

وعطف الجملة المنفيَّة بـ «ما» على الجملة المنفيَّة بـ «لم»؛ لأنَّ «لم» نفيٌ للماضي وإن كان بصورة المضارع؛ لأنَّ لنفي الماضي طريقين: أحدهما: أن تدخل «ما» على لفظه، والآخَر: أن تنفيَه بـ «لم» فتأتي بالمضارع، والأصلُ هو الأوَّل؛ لأنَّ النفي ينبغي أن يكون على حسَب الإيجاب.

وفي الجملة مبالغة مِن وجهين: أحدهما: أنَّ النفيَ جاء على حسَب الإيجاب لفظاً.

الثاني: أنَّه نفي ما صُرِّح بإثباته وهو قوله: «وما رميت إذ رميت»، ولم يُصرِّح في قوله: «فلم تقتلوهم» بقوله: إذ قتلتموهم، وإنَّما بولغ في هذا؛ لأنَّ الرميَ كان أمراً خارقاً للعادة معجزاً، آيةً مِن آياتِ الله، على أيِّ وجهٍ فُسِّر الرميُ؛ لأنَّهم اختلفوا فيه:

فقال ابنُ عباس: قَبضَ رسولُ الله ﷺ يومَ بدرٍ قبضةً مِن تراب فرماهم، فقال:

---

(١) في (ع) و(ز١): إياه.

(٢-٢) ليست في المطبوع.

(٣) الكشاف ٢/١٤٩، وتفسير الرازي ١٥/١٣٩.

«شاهتِ الوجوهُ» أي: قَبُحَت، فلم يَبْقَ مشركٌ إلَّا دخل في عينيه وفِيْهِ ومنْخِريه منها شيءٌ[١].

وقال حكيم بن حزام: فسمعنا صوتاً مِن السماء كأنَّه صوتُ حصاةٍ وقعت في طَسْتٍ، فرمَى رسولُ الله ﷺ تلك الرميةَ، فانهزمنا[٢].

وقال أنس: رمَى ثلاثَ حصياتٍ يومَ بدر؛ واحدة في مَيْمَنة القوم، وواحدة في مَيْسرتهم، وثالثة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا[٣].

وقيل: الرميُ هنا رَمْيُ رسولِ الله ﷺ بحربةٍ على أُبَيِّ بنِ خَلَف يومَ أُحُد[٤]. قال ابنُ عطيَّة: وهذا ضعيف؛ لأنَّ الآيةَ نزلت عَقِبَ بدر، وعلى هذا القول تكون أجنبيَّةً ممَّا قبلها وبعدها، وذلك بعيد[٥].

وقيل: المراد السهم الذي رَمى به رسولُ الله ﷺ في حِصْن خيبر، فسار في الهواء حتى أصابَ ابنَ أبي الحُقَيْق[٦]. وهذا فاسد، والصحيح في صورة قتلِ ابنِ أبي الحُقَيْق غيرُ هذا[٧].

وقوله: «وما رميت» نفيٌ، و«إذ رميت» إثباتٌ، فاحتيج إلى تأويل، وهو أن يغاير بين الرَّمْيَين، فالمنفيُّ الإصابةُ والظَّفَر، والمُثبَت الإرسالُ. وقيل: المنفيُّ

---

(١) أخرجه الطبري ١١/ ٨٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٣.

(٢) في المطبوع: فانهزموا. والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٨٤-٨٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٢، والطبراني في الكبير (٣١٢٨).

(٣) أخرجه الطبري ١١/ ٨٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٣ لكن عن ابن زيد، وكذا أورده الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٢٥، والبغوي في التفسير ٢/ ٢٣٨ عن ابن زيد وقتادة.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٣٣، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٧.

(٥) والخبر أورده ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤، وأخرجه عنه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٨، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٣، وأورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وعزاه لابن جرير، ولم نقف عليه في المطبوع من التفسير، وينظر ما قاله الشيخ محمود شاكر عن ذلك ١٣/ ٤٤٦.

(٧) ينظر خبر مقتله عند ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٧٣-٢٧٥، وأخرجه الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٤٩٣-٤٩٩.

إزهاق الروح، والمثبت أَثَر الرمي، وهو الجَرح، وهذان القولان متقاربان. وقيل: ما استبددتَ بالرَّمْي إذ أرسلتَ الترابَ؛ لأنَّ الاستبداد به هو فعلُ الله تعالى حقيقةً، وإرسال التراب منسوبٌ إليه كَسْباً، كأنَّ المعنى: وما رميتَ الرميَ الكافيَ إذ رميتَ، ونحوه قول العباس بنِ مرداس:

وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ[1]

أي: لم أُعْطَ شيئاً مرضيًّا.

وقيل: متعلَّق المنفيّ الرعبُ، ومتعلَّق المثبت الحصياتُ، أي: وما رميت الرعبَ في قلوبهم إذْ رميتَ حصياتك.

وقال الزمخشريُّ: يعني أنَّ الرميةَ التي رَمَيْتها لم تَرْمِها أنتَ على الحقيقة؛ لأنَّكَ لو رَمَيْتَها لَمَا بلغَ أَثَرُها إلَّا ما يَبلغه رَمْيُ البشر، ولكنَّها كانت رميةَ اللهِ تعالى حيث أثَّرت ذلك الأثر العظيم، فأثبتَ الرميَ لرسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ صورةَ الرمي وُجِدت منه، ونفاها عنه؛ لأنَّ أثَرها الذي لا يُطيقه البَشَر فِعْلُ الله تعالى، فكأنَّ اللهَ تعالى هو فاعلُ الرمي على الحقيقة، وكأنَّها لم تُوجد مِن الرسول أصلاً[2]. انتهى. وهو راجعٌ لمعنى القولَين أوَّلاً.

وتقدَّم خلافُ القرَّاء في «لكنَّ» وما بعدها في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢].

«وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً» قال السديُّ: يَنصرهم ويُنعِم عليهم، يقال: أَبْلاه: إذا أَنْعَم عليه، وبَلَاه: إذا امْتَحَنه، والبلاءُ يُستعمل للخير والشَّرِّ، ووصْفُه بحَسَن يدلُّ على النَّصر والعِزَّة. وقال الزمخشريُّ: وليُعطيهم عطاءً جميلاً، كما قال:

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، والبيت ضمن أبيات طويلة في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٩٣-٤٩٤، قالها العباس حين أُعطي أباعر قليلة فسَخِطها، ومعنى: ذا تُدْرَإٍ: ذا دَفْعٍ، من قولك: درأه، إذا دفعه. الإملاء المختصر في شرح غريب السِّيَر للخشني ٣/ ١٣٠، وأصل الخبر عند مسلم (١٠٦٠) عن رافع بن خديج، وفيه ذكر بعضٍ من الأبيات دون البيت المذكور أعلاه، وينظر الأغاني ١٤/ ٣٠٨، وخزانة الأدب ١/ ١٥٣.

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٩-١٥٠.

فأبلاهما خيرَ البلاءِ الذي يَبْلُو[١]

انتهى.

والبَلاءُ الحَسَن، قيل: بالنصر والغنيمة، وقيل: بالشهادة لمَن استشهد يومَ بدر، وهم أربعة عَشَر رجلاً، منهم: عُبيدة بن الحارث بنِ عبد المطلب، ومِهْجَع مولى عمر، ومعاذ وعَمْرو ابنا عَفْراء[٢].

وحُكي عن القاضي[٣] أنَّه قال: لولا أنَّ المفسِّرين اتَّفقوا على حَمْلِ البلاء هنا على النِّعْمة، لكان يَحتمل المحنة للتكليف بما بَعْدَه مِن الجهاد، حتى يقال: إنَّ الذي فَعَله تعالى يومَ بدرٍ كان كالسبب في حصولِ تكليفٍ شاقٍّ عليهم فيما بَعْدَ ذلك مِن الغزوات[٤]. انتهى.

وسياقُ الكلام ينفي أن يُراد بالبلاء المحنة؛ لأنَّه قال: «وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً» فَعَلَ ذلك، أي: قَتْلَ الكفَّار ورَمْيَهم، ونسبة ذلك إلى الله تعالى، وكان ذلك سببَ هزيمتهم والنصرِ عليهم وجَعْلهم نُهْبةً للمؤمنين، وهذا ليس بمِحْنَة، بل مِنْحَة.

«إن الله سميع عليم» لمَّا كانوا قد أقبلوا على المفاخر بقَتْلِ مَن قَتَلوا وأسْرِ مَن أَسَرُوا، وكان رُبَّما قد لا يخلُص العمل مِن بعض المقاتلين؛ إمَّا لقتالٍ حميَّةً، وإمَّا لدَفْعٍ عن نفسٍ أو مالٍ، خُتمت بهاتين الصفتين، فقيل: «إنَّ الله سميع» لكلامكم وما تفخرون به، «عليم» بما انطوت عليه الضمائر، ومَن يُقاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٩-١٥٠، وعجز البيت في ديوان زهير ص ١٠٩، وصدره:
جزى الله بالإحسان ما فَعَلا بكم

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، وينظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٧٠٦-٧٠٨ فصل في تسمية من استشهد من المسلمين يوم بدر. والمغازي للواقدي ١/ ١٤٥-١٤٧، وفيهما: ومنهم: عوف ومعوِّذ ابنا عفراء. فليُحرَّر!.

(٣) قوله: وحكي عن القاضي. ليست في المطبوع.

(٤) تفسير الرازي ١٥/ ١٤١.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ قال الزمخشريُّ: «ذلكم» إشارة إلى البلاء الحَسَن، ومحلُّه الرَّفع، «وأنَّ اللهَ موهنُ» معطوف على «وليبلي»، يعني أنَّ الغَرَض إبلاءُ المؤمنين وتوهينُ كيد الكافرين[١]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: «ذلكم» إشارة إلى ما تقدَّم مِن قَتْل اللهِ [٢]ورَمْيه إياهم[٢]، وموضع «ذلكم» من الإعراب رَفْعٌ، قال سيبويه: التقدير: الأمر ذلكم، وقال بعض النحويين: يجوز أن يكون في موضع نصبٍ، بتقدير: فَعَلَ ذلك، «وأنَّ» معطوف على «ذلكم»، ويحتمل أن يكون خبرَ مبتدأ مقدَّر، تقديره: وحَتْمٌ وسَابق وثابت، ونحو هذا[٣]. انتهى.

وقال الحوفيُّ: «ذلكم» رفع بالابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: ذلكم الأمرُ، ويجوز أن يكون «ذلكم» الخبرَ، والأمْر الابتداء، ويجوز أن يكون في موضع نصب، تقديره: فَعَلْنا ذلكم، والإشارة إلى القَتْل أو إلى إبلاء المؤمنين بلاءً حسناً.

وفي فتح «أنَّ» وجهان؛ النصب، والرفع عطفاً على «ذلكم»، على حسَب التقديرين، أو على إضمار فِعْلٍ، تقديره: واعلموا أنَّ اللهَ موهن. انتهى.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو: «مُوَهِّنٌ» من وَهَّن[٤]، والتعدية بالتضعيف فيما عينُه حرف حَلْق غير الهمزة قليلٌ، نحو: ضَعَّفْتُ ووَهَّنْت، وبابُه أن يُعدَّى بالهمزة، نحو: أذهلته، وأوهنته، وألحمته، وقرأ باقي السبعة والحسنُ وأبو رجاء والأعمش وابنُ محيصن مِن: أَوْهَنَ، وأضافَه حفص[٥].

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ تقدَّم ذِكْر المؤمنين والكافرين، وسَبَق الخطابُ للمؤمنين بقوله: «فلم تقتلوهم» وبقوله: «ذلكم» فحَمَله

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٠.
(٢-٢) في (ع) و(ز١): ورميهم إياه.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٢، وينظر الكتاب ٣/ ١٢٥.
(٤) السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦، والنشر ٢/ ٢٧٦، والحِرْميَّان: نافع وابن كثير.
(٥) السبعة ص ٣٠٥، والتيسير ص ١١٦، والنشر ٢/ ٢٧٦، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٧.

قومٌ على أنَّه خطابٌ للمؤمنين، ويؤيِّده قوله: «فقد جاءكم الفتح» إذ لا يليق هذا الخطاب إلَّا بالمؤمنين، هذا على إرادة النَّصْر بالاستفتاح، وإن حُملَ على البيان والحُكم ناسَبَ أن يكون خطاباً للكفَّار والمؤمنين، فإذا كان خطاباً للمؤمنين، فالمعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النَّصْر، «وإن تنتهوا» عن مِثْلِ ما فعلتموه في الغنائم والأسرى قَبْلَ الإذن «فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا» إلى مِثْلِ ذلك «نَعُد» إلى توبيخكم، كما قال: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية [الأنفال:٦٨]، ثم أعلمهم أنَّ الفئةَ ـ وهي الجماعة ـ لا تُغني وإن كثرت إلَّا بنَصْر الله ومعونتِه، ثم آنَسَهم بإخباره أنَّه تعالى مع المؤمنين.

وقال الأكثرون: هي خطابٌ لأهلِ مكَّة على سبيل التَّهكُّم، وذلك أنَّهم حين أَرادوا أن يَنفروا تعلَّقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللَّهمَّ انْصُرْ أَقْرَانا للضَّيْف، وأَوْصَلَنا للرَّحِم، وأفكَّنا للعاني، إن كان محمَّد على حقٍّ فانْصُره، وإن كنَّا على حقٍّ فانْصُرنا.

وروي أنَّهم قالوا: اللَّهمَّ انْصُرْ أَعْلَى الجُنْدَين، وأهدى الفِئَتين، وأَكْرَم الحِزْبَين. ورُوي أنَّ أبا جهلٍ قال صَبيحةَ يوم بدر: اللَّهمَّ أيُّنا كان أهجرَ وأَقْطَعَ للرَّحِم، فأَحِنْه اليومَ. أي: فأَهْلِكْه[١].

ورُوي عنه دعاءٌ شِبْه هذا.

وقال الحسن ومجاهد وغيرهما: كان هذا القولُ مِن قريش وقتَ خروجهم لنُصْرة العِيْر[٢].

وقال النضر بنُ الحارث: «اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ مِن عندك» الآية[٣]،

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٠، وقول أبي جهل أورده ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٨٠، وأخرجه أحمد (٢٣٦٦١)، وابن أبي شيبة (٣٧٨٢٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦٣١)، والطبري في التفسير ١١/ ٩٣ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ﷺ.

(٢) ينظر مجمع البيان ٩/ ١٢٥، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٧٩، والنكت والعيون ٢/ ٣٠٥.

(٣) يعني: وبسبب قولِه هذا نزل قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، ينظر تفسير القرطبي ٩/ ٤٧٩، وأخرجه الطبري ١١/ ١٤٤ عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والسدي.

وهو ممَّن قُتلَ يوم بدر، وعلى هذا القول يكون معنى قوله: «فقد جاءكم الفتح»: ولكنَّه كان للمسلمين عليكم.

وقيل: معناه: فقد جاءكم ما بَانَ لكم به الأَمْرُ، واستقرَّ به الحُكم، وانكشف لكم به الحقّ، ويكون الاستفتاح على هذا بمعنى الحُكم والقضاء، «وإن تنتهوا» أي: عن الكفر، «وإن تعودوا» إلى هذا القول وقتالِ محمَّد بَعْدُ «نَعُد» إلى نَصْر المؤمنين وخذلانِكم.

وقالت فرقة: «إن تستفتحوا» خطابٌ للمؤمنين، «وإن تنتهوا» خطابٌ للكافرين، أي: «وإن تنتهوا» عن عداوة رسولِ الله ﷺ «فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا» لمحاربته «نَعُدْ» لنُصرته عليكم. وقال الكرمانيُّ: «وإن تَنتهوا» عن أَمْرِ الأنفال وفداءِ الأسرى ببدر، «وإن تعودوا» إلى معصية الله «نَعُد» إلى الإنكار.

وقرئ: «ولن يُغني» بالياء[1]؛ لأنَّ التأنيثَ مجازٌ، وحسَّنه الفَصْلُ.

وقرأ الصاحبان وحفص: «وأنَّ الله» بفتح الهمزة، وباقي السبعة بكسرها[2]، وابنُ مسعود: «واللهُ مع المؤمنين»[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ لمَّا تقدَّم قوله: «وإن تنتهوا» وكان الضميرُ ظاهره العَوْدُ على المؤمنين، ناداهم وحرَّكهم إلى طاعة الله ورسولِه.

والظاهر أنَّه نداءٌ وخطاب للمؤمنين الخُلَّص، حثَّهم بالأَمْرِ على طاعة الله ورسوله، ولمَّا كانت الآيةُ قَبْلَها مسوقةً في أَمْرِ الجهاد، [4]قيل: معنى «أطيعوه» فيما يَدعوكم إليه مِن الجهاد[4]. وقيل: في امتثال الأَمْر والنهي، وأفردهم بالأَمْرِ؛ رَفْعاً لأقدارهم وإن كان غيرُهم مأموراً بطاعة الله ورسولِه، وهذا قولُ الجمهور.

---

(١) القراءات الشاذة ص ٤٩ وعزاها ليحيى وإبراهيم.
(٢) السبعة ص ٣٠٥، والتيسير ص ١١٦، والنشر ٢/ ٢٧٦، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر من العشرة، والصاحبان: ابن عامر ونافع.
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٨، والمحرر الوجيز ٢/ ٥١٣.
(٤-٤) ليست في (ب).

وأمَّا مَن قال: إنَّ قوله: «وإن تنتهوا» خطابٌ للكفار، فيَرى أنَّ هذه الآية نزلت بسبب اختلافهم في النَّفْل ومجادلتهم في الحقِّ وتفاخرِهم بقَتْل الكفَّار والنّكاية فيهم.

وأبْعَدَ مَن ذهب إلى أنَّه نداءٌ وخطاب للمنافقين، أي: يا أيُّها الذين آمنوا بألسنتهم، وهذا لا يُناسب؛ لأنَّه وَصَفهم بالإيمان وهو التصديق، وليس المنافقون مِن التصديق في شيء.

وأبْعَدَ مَن ذهب أيضاً إلى أنَّه نداءٌ وخطاب لبني إسرائيل؛ لأنَّه يكون أجنبيًّا مِن الآيات.

وأصْلُ: «ولا تَولَّوا»: ولا تتولّوا، وتقدَّم الخلافُ في حَذف التاء في نحو هذا، أهيَ حرفُ المضارعة أم تاءُ تَفَعَّل.

والضميرُ في «عنه» قال الزمخشريُّ: لرسول الله ﷺ؛ لأنَّ المعنى: وأطيعوا رسولَ الله، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] ولأنَّ طاعةَ الرسولِ وطاعةَ اللهِ شيءٌ واحد ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] فكان رجوعُ الضمير إلى أحدهما كرجوعِه إليهما، كقولك: الإحسانُ والإجمال لا يَنفع في فلان. ويجوز أن يرجعَ إلى الأمْرِ بالطاعة، أي: «ولا تَوَلَّوا» عن هذا الأمر وامتثالِه، وأنتم تسمعونه، أو: ولا تَتولَّوا عن رسولِ الله ﷺ ولا تُخالفوه «وأنتم تسمعون»، أي: تُصدِّقون؛ لأنَّكم مؤمنون لستم كالصُّمِّ المكذِّبين مِن الكفرة[1]. انتهى.

وإنَّما عاد على الرسول؛ لأنَّ التولِّي إنَّما يصحُّ في حقِّ الرسول بأنْ يُعرِضوا عنه، وهذا على أن يكون التولِّي حقيقةً، وإذا عاد على الأمْرِ، كان مجازاً.

وقيل: هو عائد على الطاعة، [2]وذُكِّر؛ لأنها بمعنى الطَّوع[2]، وقيل: هو عائد على الله تعالى.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٠-١٥١.

(٢-٢) ليست في المطبوع.

وقال الكرمانيُّ ما معناه: إنَّه لمَّا لم يطلق لفظ التثنية على الله وحده، لم يجمع بينه تعالى وبين غيره في ضميرِها، بخلاف الجمع فإنَّه أطلق على لفظه تعظيماً، فجُمع بينه وبينَ غيره في ضميره، ولهذا نظائر في القرآن، منها: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ومنها ﴿أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وفي الحديث ذَمُّ مَن جمع في التثنية بينهما في الضمير، وتعليمه أن يقول: «ومَن عصى اللهَ ورسولَه»[1].

«وأنتم تسمعون» جملة حاليَّة، أي: لا يناسب سماعَكم التولّي ولا يُجامعُه، وفي متعلَّقه أقوال: أحدها: وَعْظ اللهِ لكم، الثاني: الأمر والنهي، الثالث: التعبير بالسماع عن العقل والفَهْم، الرابع: التعبير به عن التصديق وهو الإيمان.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ نهى أن يكونوا كالذين ادَّعَوا السماعَ، والمشبَّه بهم اليهودُ، أو المنافقون، أو المشركون، أو الذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]، أو بنو عبد الدار بن قُصَي، ولم يُسْلِم منهم إلَّا رجلان: مصعَب بنُ عُمير وسُوَيْبِط[2] بنُ حَرْملة، أو النضر بنُ الحارث ومَن تابعه، ستَّة أقوال.

ولمَّا لم يُجْدِ سماعُهم ولا أَثَّر فيهم، نفى عنهم السماع؛ لانتفاء ثمرته، إذ ثمرةُ سماع الوحي تصديقُه والإيمانُ به، والمعنى: إنَّكم مُصدِّقون بالقرآن والنبوَّة، فإذا صَدَرَ منكم تولٍّ عن الطاعة، كان تصديقُكم كلا تصديق، فأَشبه سماعُكم سماعَ مَن لا يُصدِّق.

وجاءت الجملةُ النافية على غيرِ لفظِ المُثبِتة، إذ لم تأتِ: وهم ما سمعوا، لأنَّ لفظَ المضيِّ لا يدلُّ على استمرار الحال ولا ديمومتِه، بخلاف نفي المضارع،

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٨٧٠) عن عدي بن حاتم: أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله» وهو عند أحمد (١٨٢٤٧).

(٢) في النسخ: وسويد. وكذا في مطبوع الكشاف ٢/ ١٥١ ومخطوطه الورقة (١٨٤)، وتفسير السمرقندي ٢/ ١٢، وتفسير النيسابوري ٩/ ١٣٩، والمثبت من السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢٥، والمغازي للواقدي ١/ ١٥٥، والإصابة ٤/ ٢٩٧-٢٩٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٢٩، والبغوي ٢/ ٢٤٠، وهو: سُوَيْبِط بن حرملة، ويقال: ابن سعد بن حرملة القرشي العبدري.

فكما يدلُّ إثباته على الديمومة في قولهم: هو يعطي ويمنع، كذلك يَجِيءُ نفيُه.

وجاء حرفُ النفي «لا»؛ لأنَّها أوسعُ في نفي المضارع مِن «ما»، وأدلُّ على انتفاءِ السماع في المستقبل، أي: هم ممَّن لا يَقبل أن يَسمع.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ لمَّا أخبر تعالى أنَّ هؤلاء المشبَّهَ بهم لا يَسمعون، أخبر أنَّ شَرَّ الحيوان الذي يَدِبُّ الصُّمُّ، أو أنَّ شَرَّ البهائم، فجمع بين هؤلاء وبين جميع الدوابِّ، وأخبر أنَّهم شرُّ الحيوان مطلقاً.

ومعنى «الصُّمّ» عن ما يُلقى إليهم مِن القرآن، «البُكْم» عن الإقرار بالإيمان وما فيه نجاتُهم، ثم جاء بانتفاء الوَصْف المنتج لهم الصَّمَمَ والبَكَمَ الناشِئَين عنه وهو العقل، وكان الابتداءُ بالصَّمَم؛ لأنَّه ناشئٌ عنه البَكَم، إذ يَلزم أن يكون كلُّ أصَمّ خِلْقةً أبْكَمَ؛ لأنَّ الكلام إنَّما يتلقَّفه ويتعلَّمه مَن كان سالمَ حاسَّةِ السمع، وهذا مطابِق لقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١] إلَّا أنَّه زاد في هذه وَصْف العَمَى، وكلُّ هذه الأوصاف كنايةٌ عن انتفاء قَبولهم للإيمان وإعراضهم عمَّا جاء به الرسولُ ﷺ.

وظاهر هذا الإخبار العمومُ، وقيل: نزلت في طائفة مِن بني عبد الدار كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عمَّا جاء به محمَّد، لا نَسمعه ولا نُجيبه، فقُتلوا جميعاً بأُحُد، وكانوا أصحابَ اللواء. وقال ابنُ جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم أهل الكتاب[(١)].

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قال ابنُ عطيَّة: أخبر تعالى بأنَّ عدمَ سمعهم وهداهم إنَّما هو بما علمه اللهُ منهم وسَبَق مِن قضائه عليهم، فخرج ذلك في عبارة بليغة في ذمِّهم بقوله: «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم»، والمراد: لأسمعهم إسماعَ تفهُّم وهُدًى، ثم ابتدأ عزَّ وجلَّ الخبرَ عنهم بما هو عليه مِن حَتْمه عليهم بالكفر، فقال: «ولو أسمعهم» أي: ولو فهَّمهم «لتَولَّوا وهم معرضون» بحكم القضاء السابق فيهم، ولأعرضوا عمَّا تبيَّن لهم مِن الهدى[(٢)].

(١) الكشاف ٢/ ١٥١، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٩، والطبري ١١/ ١٠٠.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٣-٥١٤.

وقال الزمخشريُّ: «ولو علم اللهُ» في هؤلاء الصُّمِّ البُكْم «خيراً»، أي: انتفاعاً باللُّطف، «لأسمعهم» اللُّطفَ بهم حتى سمعوا سماعَ المُصدِّقين، ثم قال تعالى: «ولو أسمعهم لتولَّوا» يعني: ولو لطفَ بهم لما نفعهم اللطف، فلذلك مَنَعهم ألطافه، أي: ولو لطفَ بهم فصدَّقوا لارتدوا بعد ذلك وكذَّبوا ولم يَستقيموا[(١)].

وقال الزجَّاج: «لأسمعهم» جوابَ كلِّ ما سألوا[(٢)].

وحكى ابنُ الجوزيِّ: «لأسمعهم» كلامَ الموتى الذين طَلَبوا إحياءَهم، لأنَّهم طلبوا إحياءَ قصيّ بنِ كلاب وغيرِه ليَشهدوا بنبوَّة محمَّد ﷺ[(٣)].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: حَسُنَ التعبيرُ عن عدمِه في نفسِه بعَدَم عِلْم الله بوجودِه، وتقديرُ الكلام: لو حصل فيهم خيرٌ لأسمعهم اللهُ الحُجَجَ والمواعظَ سماعَ تعليم وفَهْم، «ولو أسمعهم» إذ علم أنَّه لا خيرَ فيهم، لم ينتفعوا بها، وتولَّوا وهم معرضون.

وقال أيضاً: معلومات الله تعالى على أربعةِ أقسام: أحدها: جملة الموجودات. الثاني: جملة المعدومات. الثالث: إن كان كلُّ واحد مِن الموجودات لو كان معدوماً، فكيف حاله؟. الرابع: إن كان كلُّ واحدٍ مِن المعدومات لو كان موجوداً، فكيف حاله؟

فالقِسْمان الأوَّلان علمٌ بالواقع، والقسمان الثانيان علم بالمقدَّر الذي هو غير واقع، فقوله: «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم» مِن القسم الثاني، وهو العِلْم بالمقدَّرات، وليس مِن أقسام العلم بالواقعات، ونظيره قولُه تعالى حكايةً عن المنافقين ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ فقال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١١-١٢] فعَلِم اللهُ تعالى في المعدوم أنَّه لو كان موجوداً كيف يكون حاله، وأيضاً قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟﴾ [الأنعام:٢٨] أخبر عن المعدوم

(١) الكشاف ٢/ ١٥١.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٩.
(٣) ينظر زاد المسير ٣/ ٣٣٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٨٢.

أنَّه لو كان موجوداً كيف يكون حاله[١]. انتهى.

وأقول: ظاهر هاتين الملازمتين يَحتاج إلى تأمُّلٍ[٢]؛ لأنَّه تعالى أخبر أنَّه كان يقع إسماعٌ منه لهم على تقدير عِلْمه خيراً فيهم، ثم أخبر أنَّه كان يقع تولِّيهم على تقدير إسماعِه إيَّاهم، فأنتج أنَّه كان يقع تولِّيهم على تقدير عِلْمه تعالى خيراً فيهم، وذلك بحذف[٣] الواسطة؛ لأنَّ المرتَّب على شيء يكون مُترتِّباً على ما رُتِّب عليه ذلك الشيء، وهذا لا يكون؛ لأنَّه لا يقع التولِّي على تقدير عِلْمه فيهم خيراً، ويصير الكلام في الجملتَيْن في تقدير كلامٍ واحد، فيكون التقدير: ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً فأسمعهم لتولَّوا، ومعلوم أنَّه لو عَلِمَ فيهم خيراً ما تولَّوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ تقدَّم الكلام في: استجابَ، في: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ [البقرة:١٨٦] وأفردَ الضمير في «دعاكم» كما أفرده في «ولا تولَّوا عنه»؛ لأنَّ ذِكْر أحدِهما مع الآخَر إنَّما هو على سبيل التوكيد، والاستجابة هنا الامتثالُ والدعاء بمعنى التحريض والبَعْثِ على ما فيه حياتهم.

وظاهر «استجيبوا» الوجوبُ، ولذلك قال الرسول ﷺ لأُبَيٍّ حين دَعاهُ وهو في الصلاة فتَلَبَّث: «ما مَنَعَكَ عن الاستجابة، أَلَم تُخبَر فيما أُوحيَ إليَّ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾؟»[٤].

والظاهر تعلُّق «لِمَا» بقوله: «دعاكم»، ودعا يتعدَّى باللام، قال:

دعوتُ لِمَا نابَني مِسْوَراً[٥]

---

(١) تفسير الرازي ١٥/ ١٤٤-١٤٥.

(٢) في المطبوع: تأويل.

(٣) في (ب): بخلاف. وفي المطبوع: بحرف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤١)، وأحمد (٩٣٤٥) عن أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أنس، وفيه عن أبي سعيد بن المعلَّى. اهـ. وحديث أبي سعيد بن المعلَّى عند البخاري (٤٤٧٤)، قال الحافظ في الفتح ٨/ ١٥٧: وجمع البيهقي بأن القصة وقعت لأبي بن كعب ولأبي سعيد بن المعلى، ويتعين المصير إلى ذلك لاختلاف مخرج الحديثين، واختلاف سياقهما.

(٥) وعجزه: فلبَّى، فلبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ، وهو في الكتاب ١/ ٣٥٢، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٧٤٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٢٤٧، و٤/ ١٨١٨، ومغني اللبيب ص٧٥٣، وخزانة =

وقال آخَر:

وإنْ أُدعَ للجُلَّى أَكُنْ مِن حُماتِها[1]

وقيل: اللام بمعنى «إلى»، وتتعلَّق بـ«استجيبوا»، فلذلك قدَّره بـ«إلى» حتى يتغايرَ مدلُول الكلام فيتعلَّق الحرفان بفعلٍ واحد. قال مجاهد والجمهور: المعنى: استجيبوا للطاعة وما تضمَّنه القرآنُ مِن أوامرَ ونواهٍ؛ ففيه الحياةُ الأبديَّة والنِّعْمة السرمديَّة[2]. وقيل: «ما يُحْييكم» هو مجاهدة الكفَّار؛ لأنَّهم لو تَرَكوها لغَلَبوهم وقَتَلوهم، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]. وقيل: الشهادة؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] قاله ابنُ إسحاق[3]. وقيل: «لما يحييكم» مِن علوم الديانات والشرائع؛ لأنَّ العلمَ حياةٌ، كما أنَّ الجهلَ موتٌ، وقال:

لا تُعْجِبنَّ الجهولَ حِلْيتُهُ فذاكَ مَيْتٌ وثوبُه كَفَنُ[4]

وهذا نحوٌ مِن قول الجمهور ومجاهد، وقال مجاهد أيضاً: «ما يحييكم» هو الحقُّ[5]. وقيل: هو إحياءُ أمورِهم وطِيْب أحوالهم في الدنيا ورِفْعَتهم، يقال: حَيِيَتْ حالُه: إذا ارتفعت. وقيل: ما يَحصل لكم مِن الغنائم في الجهاد وتعيشون منها. وقيل: الجنَّة.

= الأدب ٢/ ٩٣، قال البغدادي: هذا البيت من الأبيات الخمسين التي لا يعرف لها قائل. ونسبه السيوطي في شرح شواهد المغني ٢/ ٩١٠ لأعرابي من بني أسد.

(١) وعجزه: وإنْ يأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ، والبيت من معلقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٣٥، والجُلَّى: تأنيث الأجل، وهي الخطة العظيمة، والأمر العظيم.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٤، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٨٤، والذي أخرجه الطبري ١١/ ١٠٤-١٠٥ عن مجاهد أنه فسَّره بالحقِّ، وعن قتادة أنه ما تضمَّنه القرآن. . . . وكذا ورد عند الثعلبي ٣/ ١٢٩، وينظر ما سيأتي قريباً عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري ١١/ ١٠٥بنحوه، وأورده الثعلبي ٣/ ١٢٩ لكن عن القتيبي، وعن ابن إسحاق بنحوه.

(٤) القائل الزمخشري، والبيت في الكشاف ٢/ ١٥٢، قال الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي ٤/ ٢٦٤: البيت المذكور للزمخشري من قصيدة مدح بها المؤتمن بالله الخليفة. وينظر روح المعاني ١٠/ ٧٦، وورد في مطبوع الكشاف ومخطوطه الورقة (١٨٤) وبعض النسخ الخطية للبحر والمطبوع: حلَّته. بدل: حليته.

(٥) سلف تخريجه قريباً.

والذي يَظهر هو القول الأوَّل؛ لأنَّه في سياق قوله: «ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسمعهم» فالذي يحيا به مِن الجهل هو سماعُ ما يَنفع ممَّا أمَر به ونهى عنه، فيمتثل المأمورَ به، ويَجتنب المنهيَّ عنه، فيَؤول إلى الحياتين الطيِّبتين الدنياويَّة والأخراويَّة.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ المعنى أنَّه تعالى هو المتصرِّف في جميع الأشياء والقادر على الحيلولة بين الإنسان وبين ما يَشتهيه قلبُه، فهو الذي ينبغي أن يُستجابَ له إذا دَعا، إذ بيده تعالى مَلَكوتُ كلِّ شيء وزمامُها، وفي ذلك حضٌّ على المراقبة والخوف لله، والبِدار إلى الاستجابة له تعالى.

وقال ابنُ عباس وابنُ جبير والضحَّاك: «يحول» بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان. وقال مجاهد: «يحول» بين المرء وعَقْلِه، فلا يدري ما يَعمل[(١)]، عقوبةً على عنادِه، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق:٣٧] أي: عقل. وقال السُّدِّيُّ: «يَحول» بين كلِّ واحدٍ وقلبِه، فلا يَقدر على إيمان ولا كفرٍ إلَّا بإذنه. وقال ابنُ الأنباري: بينه وبين ما يتمنَّاه[(٢)]. وقال ابنُ قتيبة: بينَه وبينَ هواه[(٣)]. وهذان راجعان إلى القول الأوَّل.

وقال عليُّ بنُ عيسى: هو أن يتوفَّاه، لأنَّ الأَجَل يَحول بينه وبين أَمَلِ قلبه[(٤)]، وهذا حثٌّ على انتهازِ الفُرْصة قبلَ الوفاة، °وبَسَطَ هذا القولَ الزمخشريُّ، فقال: يعني أنَّه يميتُه فتفوته الفُرصَة° التي هو واجدها، وهي التمكُّن مِن إخلاص القلب ومخالجة[(٦)] أدوائِه وعِلَلِه، وردِّه سليماً، كما يُريده اللهُ تعالى، فاغتنموا هذه الفُرْصة

(١) النكت والعيون ٢/٣٠٨، وأخرجه عنهم الطبري ١١/١٠٧-١١١.
(٢) النكت والعيون ٢/٣٠٨، وقول السدي أخرجه الطبري ١١/١١١-١١٢، وينظر زاد المسير ٣/٣٣٩.
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧٨.
(٤) النكت والعيون ٢/٣٠٨.
(٥-٥) ليست في المطبوع.
(٦) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٢/١٥٢ ومخطوطه الورقة (١٨٤): ومعالجة.

وأخلصوا قلوبَكم لطاعةِ الله ورسولِه. انتهى. وهو على طريقة المعتزلة، وعليُّ بنُ عيسى: هو الرُّمَّانيُّ، وهو معتزليٌّ[١].

وقال الزمخشريُّ أيضاً: وقيل معناه: أنَّ اللهَ قد تملَّك[٢] على العبد قلبَه، فيفسخ عزائمَه ويغيِّر نيَّاته ومقاصدَه، ويُبدله بالخوف أَمْناً وبالأَمْن خوفاً، وبالذِّكْر نسياناً، وبالنِّسيان ذِكْراً، وما أشبَهَ ذلك ممَّا هو جائز على الله تعالى؛ فأمَّا مايُثاب عليه العبدُ ويُعاقَب مِن أفعال القلوب فلا، والمُجبرة على أنَّه يَحول بين المرءِ والإيمان إذا كفر، وبينَه وبينَ الكفر إذا آمَنَ. تعالى عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيراً[٣]. انتهى.

وجعلَ هذا المسكينُ صَدْرَ هذه الأمَّة ظالمين، إذ قائلُ ذلك هو ابنُ عبَّاس تَرْجمانُ القرآن ومَن ذُكرَ معه مِن سادات التابعين.

وقيل: يُبدل الجُبْنَ جُرْأةً، وهو تحريضٌ على القتال بعد الأمْر به بقوله: «استجيبوا» ويَكشِفُ حقيقتَه قولُه ﷺ: «قلبُ ابنِ آدمَ بين أُصبعين مِن أصابعِ الرَّحمن، يُقلِّبه كيف يشاء»[٤]، وتأويلُه: بَيْنَ أثَرين مِن آثارِ رُبوبيَّته.

وقيل: يَحول بين المؤمنِ وبين المعاصي التي يهمُّ بها قلبُه؛ بالعِصْمة.

وقيل: معناه: أنَّه يَطَّلع على كلِّ ما يُخْطِرُه المرءُ بباله، لا يَخفى عليه شيء مِن ضمائره، فكأنَّه بينه وبين قلبه.

واختار الطبريُّ أن يكون المعنى: أنَّ اللهَ أخبر أنَّه أمْلَكُ لقلوب العباد منهم، وأنَّه يَحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يُدرِك الإنسانُ شيئاً إلَّا بمشيئته تعالى[٥].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق: «بين المِرْءِ» بكسر الميم[٦]؛ إتباعاً لحركة الإعراب، إذ

---

(١) تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٣-٥٣٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٨٠-١٨١.

(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: يملك. وكذا في مطبوع الكشاف ٢/ ١٥٢ ومخطوطه.

(٣) الكشاف ٢/ ١٥٢.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن عدي في الكامل ٧/ ٩٦ عن عبادة بن الصامت ﷺ، وهو قطعة من حديث أخرجه أحمد (٦٥٦٩)، ومسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو ﷺ بنحوه.

(٥) تفسير الطبري ١١/ ١١٢.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٤-٥١٥.

في «المَرء» لغتان؛ فتحُ الميم مطلقاً، وإتباعُها حركةَ الإعراب.

وقرأ الحسن والزهريُّ: «بين المَرِّ» بتشديد الراء مِن غير همز[١]، ووجهُه أنَّه نقل حركةَ الهمزة إلى الراءِ، وحذفَ الهمزة، ثم شدَّدها، كما تشدَّد في الوقف، وأجرى الوصلَ مُجرى الوقف، وكثيراً ما تَفعل العربُ ذلك تُجري الوصلَ مُجرى الوقف، وهذا توجيهُ شذوذٍ.

«وأنَّه إليه تحشرون» الظاهر أنَّ الضميرَ في «أنَّه» عائد على الله تعالى، ويحتمل أن يكون ضميرَ الشأن.

ولمَّا أَمَرَهم بأنْ يعلموا قدرةَ الله وحيلولتَه بين المرءِ ومقاصدِ قلبه، أَعْلَمَهم بأنَّه تعالى إليه مَحشرهم فيُثيبهم على أعمالهم، فكان في ذلك تذكارٌ لِمَا يَؤول إليه أمرُهم مِن البَعْث والجزاء بالثواب والعقاب.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ هذا الخطاب ظاهره العمومُ باتِّقاء الفتنة التي لا تختصُّ بالظالم، بل تعمُّ الصَّالِحَ والطَّالِحَ، وكذلك روي عن ابنِ عباس قال: أَمَرَ المؤمنين أنْ لا يُقِرُّوا المُنكَر بين أظهرهم فيعمَّهم اللهُ بالعذاب[٢]. وفي «البخاريِّ» و«الترمذيِّ»: «إنَّ الناسَ إذا رَأَوُا الظالمَ ولم يَأخذوا على يدَيْه، أَوْشَكَ أنْ يَعمَّهم اللهُ بعذاب مِن عنده»[٣]، وفي «مسلم» مِن حديث زينب بنتِ جحشٍ، سألتُ رسولَ الله ﷺ: أَنَهْلِكُ وفينا الصَّالحون؟ قال: «نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ»[٤]. وقيل: الخطاب للصَّحابة، وقيل: لأهل بدر، وقيل: لعليٍّ وعمَّار

---

(١) المحتسب ١/ ٢٧٦، والقراءة في المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥ لكن عن الحسن والزبيدي. فليحرَّر.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ١١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٢.

(٣) سنن الترمذي (٢١٦٨) و(٣٠٥٧) عن أبي بكر الصديق، ولم نقف عليه عند البخاري، وهو عند أحمد (٣٠)، والحديث أورده القرطبي في التفسير ٩/ ٤٨٧ وعزاه للترمذي، وأورد بعده حديثاً عزاه للبخاري [٢٤٩٣] والترمذي [٢١٧٣]، وهو حديث النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ: «مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها...» الحديث، فلعلَّ سَبق النظر للمصنِّف حصل من هنا، والله تعالى أعلم.

(٤) صحيح مسلم (٢٨٨٠)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٧٤١٣)، والبخاري (٣٣٤٦).

وطلحة والزبير[١]، [٢]وقيل: لرجلين مِن قريش، قاله أبو صالح عن ابنِ عباس ولم يسمِّهما.

والفتنة[٢] هنا: القتال في وَقْعَة الجمل، أو الضلالة، أو عدم إنكار المنكَر، أو بالأموال والأولاد، أو بظهور البِدَع، أو العقوبة، أقوال[٣].

وقال الزبير بنُ العوَّام يومَ الجمل: ما عَلِمْتُ أنَّا أُرِدْنا بهذه الآية إلَّا اليوم، وما كنتُ أظنُّها إلَّا فيمَن خوطب بها في ذلك الوقت[٤].

والجملة مِن قوله: «لا تصيبنَّ» خبريَّة، صفة لقوله: «فتنة» أي: غير مُصيبةٍ الظالمَ خاصَّة، إلَّا أنَّ دخولَ نون التوكيد على المنفيِّ بـ «لا» مُختَلف فيه؛ فالجمهور لا يُجيزونه ويَحملون ما جاء منه على الضرورة أو النُّدُور، والذي نختاره الجواز، وإليه ذهب بعضُ النحويين، وإذا كان قد جاء لحاقها الفعل منفيًّا بـ «لا» مع الفَصْل نحو قوله:

فلا ذا نَعِيمٍ يُتْرَكَنْ لنَعِيمِهِ وإن قال قَرِّظْنِي وخُذْ رشوةً أَبَى
ولا ذا بَئِيسٍ يُتْرَكَنَّ لِبُوسِهِ فينفَعَه شَكْوٌ إليه إنِ اشْتَكَى[٥]

فَلَأَنْ يَلحقه مع غيرِ الفَصْل أولى، نحو: «لا تصيبنَّ».

وزعم الزمخشريُّ أنَّ الجملةَ صفةٌ، وهي نَهْي، قال: وكذلك إذا جعلتَه صفةً على إرادة القول، كأنَّه قيل: واتقوا فتنةً مقولاً فيها: لا تُصيبنَّ، ونظيره قولهُ:

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٣١، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ١١٣-١١٤ عن الحسن، وفيه: وعثمان، بدل: وعمار.
(٢-٢) ليست في (ب)، وقول ابن عباس أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٤١.
(٣) ينظر زاد المسير ٣/ ٣٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٨٦، والخبر أخرجه أحمد (١٤٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٢)، والطبري ١١/ ١١٤.
(٥) البيتان في النوادر لأبي زيد ص ١١٢، ونسبهما ـ مع أبيات أُخَر ـ لحسان السعدي من زيادات ابن الأعرابي، واقتصر في ارتشاف الضَّرَب ٢/ ٦٥٧ على البيت الأول، ولم ينسبه، وورد في مطبوع البحر: قرِّظني، بدل: فرِّطني، ووقع في النوادر: بؤوس، بدل: بئيس.

حتى إذا جَنَّ الظَّلامُ واخْتَلَطْ
جاؤوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطّ[(١)]

أي: بِمَذقٍ مقولٍ فيه هذا القول، لأنَّ فيه لونَ الوُرْقَة[(٢)] التي هي معنَى الذئب[(٣)]. انتهى.

وتحريره أنَّ الجملةَ معمولةٌ لصفةٍ محذوفة، وزعم الفرَّاء أنَّ الجملةَ جوابٌ للأَمْر، نحو قولك: انْزِلْ عن الدَّابَّة لا تَطْرَحَنَّكَ، أي: إنْ تَنزل عنها لا تَطْرَحَنَّكَ. قال: ومنه: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل:١٨] أي: إن تَدخلوا لايَحْطِمَنَّكم، فدخلت النون؛ لما فيه مِن معنى الجزاء[(٤)]. انتهى.

وهذا المثال وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ليس نظيرَ: «واتقوا فتنة لا تصيبنَّ»؛ لأنَّه يَنتظم مِن المثال والآيةِ شَرْطٌ وجزاءٌ، كما قدّر، ولا يَنتظم ذلك هنا، أَلَا ترى أنَّه لا يصحُّ تقدير: إن تتَّقوا فتنةً لا تُصِبِ الذين ظَلموا منكم خاصَّة، لأنَّه يترتَّب إذ ذاك على الشَّرْط غيرُ مقتضاه مِن جهة المعنى.

وأَخَذ الزمخشريُّ قولَ الفرَّاء، وزاده فساداً وخَبَّطَ فيه، فقال: وقوله: «لا تصيبنَّ» لا يَخلو مِن أن يكون جواباً للأَمْر، أو نهياً بعد أمْرٍ، أو صفةً لـ«فتنة»، فإذا كانت جواباً، فالمعنى: إن أصابَتْكم لا تُصِبِ الظالمينَ منكم خاصَّة، ولكنَّها تعمّكم[(٥)]. انتهى تقريره هذا القولَ، فانظر كيف قرَّر أن يكون جواباً للأَمْر الذي هو «اتقوا» ثم قدَّر أداةَ الشرط داخلةً على غير مضارع: «اتَّقوا»، فقال: فالمعنى: إن أصابتكم، يعني الفتنة، وانظر كيف قدَّر الفرَّاء في: انزِل عن الدابَّة لا تَطْرَحنَّك،

---

(١) الرجز في البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٢٨١، والكامل للمبرد ٢/ ١٠٥٤، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١/ ٢٦، وخزانة الأدب ٢/ ١٠٩، وفيه: المَذْق: اللَّبن الممزوج بالماء، وهو يشبه لون الذئب لأنَّ فيه غُبْرة وكدورة. . . والرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله، وقيل: قائله العجاج، والله أعلم. اهـ. ولم نقف عليه في المطبوع من ديوانه.

(٢) في المطبوع: الزرقة. والوُرْقة: سواد في غُبْرَة، وقيل: سواد وبياض. تاج العروس (ورق).

(٣) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٢/ ١٥٢ ومخطوطه الورقة (١٨٥): لأنه سَمَارٌ فيه لون الوُرْقة التي هي لون الذئب.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٧ مختصراً، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١١، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٣١، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٨٩.

(٥) الكشاف ٢/ ١٥٢.

وفي قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ فأدخل أداةَ الشَّرْط على مضارع فِعْلِ الأمر، وهكذا يقدَّر ما كان جواباً للأمْر.

وزعم بعضُهم أنَّ قولَه: «لا تصيبنَّ» جوابُ قَسَم محذوف، فقيل: «لا» نافية، وشُبِّه النفيُ بالموجب فدخلت النون، كما دخلت في: لتضربَنَّ، التقدير: واللهِ لا تصيبنَّ، فعلى القول الأوَّل بأنَّها صفة، أو جوابُ أمْر، أو جواب قَسَم، تكون النون قد دخلت في المنفيِّ بـ «لا».

وذهب بعضُ النحويين إلى أنَّها جوابُ قَسَم محذوف، والجملة موجبة، فدخلت النون في محلِّها ومُطِلَت اللامُ[1] فصارت «لا»، والمعنى: واللهِ لتصيبَنَّ، ويؤيِّد هذا القولَ قراءةُ ابنِ مسعود وعليِّ بن أبي طالب وزيدِ بن ثابت والباقر والربيع بن أنس وأبي العالية وابن جمَّازٍ: «لَتُصيبنَّ»[2]، وفي ذلك وعيدٌ للظالمين فقط.

وعلى هذا التوجيه خرَّج ابنُ جِنِّيّ أيضاً قراءةَ الجماعة: «لا تصيبنَّ»، وكون اللام مُطِلَت فحدثت عنها الألفُ إشباعاً، ضعيف؛ لأنَّ الإشباع بابُه الشِّعْر، وقال ابنُ جنِّيّ في قراءة ابنِ مسعود ومَن معه: يحتمل أن يُراد بهذه القراءة: لا تصيبنَّ، فحذفت الألف من «لا» تخفيفاً واكتفاءً بالحركة، كما قالوا: أَمَ واللهِ[3].

قال المهدويُّ: كما حُذفت مِن «ما» وهي أخت «لا» في نحو: أَمَ واللهِ لأفعلنَّ، وشِبْهه[4]. انتهى. وليست [5]«لا» أخت «أما» لأنَّ: «أَمَا»، في قولهم: أَمَ واللهِ لأفعلنَّ، ليست[5] للنفي.

وحكى النقَّاش عن ابنِ مسعود أنَّه قرأ: «فتنة أنْ تصيب»[6]، وعن الزبير بن

---

(١) مَطَلْتُ الحديدةَ أمْطُلها مَطْلاً: مَدَدْتها. معجم مقاييس اللغة (مطل).

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥١٦ دون ذِكْر ابنِ مسعود، وهي أيضاً هكذا في المحتسب ١/٢٧٧، وذكرها عن ابن مسعود ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٩، والزمخشريُّ في الكشاف ٢/١٥٢-١٥٣.

(٣) المحتسب ١/٢٧٧-٢٧٨.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٩/٤٨٩.

(٥-٥) ليست في (أ) و(ع) و(ح) والمطبوع.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٥١٦، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٣٧.

العوَّام: «لتصيبنَّ»[(١)]، وخرَّج المبرِّد والفرَّاء والزجَّاج[(٢)] قراءةَ: «لا تصيبنَّ» على أن تكون نهياً، وتمَّ الكلامُ عند قوله: «واتقوا فتنةً»، وهو خطابٌ عامٌّ للمؤمنين تمَّ الكلام عنده، ثم ابتُدئ نَهْيُ الظَّلَمة خاصَّة عن التعرُّض للظُّلم فتصيبهم الفِتنة خاصَّة، وأُخرج النهي على جهة إسناده للفتنة، فهو نهيٌ محوَّل، كما قالوا: لا أَرَيَنَّكَ ها هنا! أي: لا تكن هنا فيقع مِنِّي رؤيتك، والمراد هنا لا يتعرَّض الظالمُ للفتنة فتقعَ إصابتُها له خاصَّة.

وقال الزمخشريُّ في تقرير هذا الوجه: وإذا كانت نهياً بعد أَمْرٍ، فكأنَّه قيل: واحذروا ذَنْباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرَّضوا للظُّلم فيصيب العقاب أو أَثَرُ الذنب مَن ظَلَم منكم خاصَّة[(٣)].

وقال الأخفش الصغير[(٤)]: «لا تصيبنَّ» هو على معنى الدعاء[(٥)]. انتهى. والذي دَعَاه إلى هذا - والله أعلم - استبعادُ دخولِ نونِ التوكيد في المنفيِّ بـ «لا» واعتياضُ تقريره نهياً، فعدل إلى جعلِه دعاءً، فيصير المعنى: لا أصابت الفتنةُ الظالمين خاصَّة، واستلزمت الدعاء على غيرِ الظالمين، فصار التقدير: لا أَصابت ظالماً ولا غيرَ ظالم، فكأنَّه قيل: واتَّقوا فتنةً لا أَوقعها اللهُ بأحَدٍ.

فتلخَّص في تخريج قوله: «لا تصيبنَّ» أقوالٌ؛ الدعاءُ والنهيُ على تقديرين، وجوابُ قَسَم على تقديرين، وجوابُ أمْرٍ على تقديرين، وصفةٌ.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف جاز أن تَدخُل النونُ المؤكِّدة في جواب الأَمْرِ؟

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٦، وقراءتُه كقراءة ابنِ مسعود وعليّ وزيد بن ثابت ومن تابعهم، وسلفت قريباً.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥-٥١٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٨٩، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٧، وللزجاج ٢/ ٤١١.

(٣) الكشاف ٢/ ١٥٢.

(٤) ليست في المطبوع، ويعني بالأخفش الصغير: أبا الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المتوفى سنة (٣١٥هـ)، والذي تلقَّى العلم عن ثعلب والمبرِّد وغيرهما. وسلفت ترجمته.

(٥) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥١٦ نقلاً عن الزهراوي.

قلت: لأنَّ فيه معنى النهي[1]، إذا قلت: انْزِل عن الدابَّة لا تَطْرَحْك، فلذلك جاز: لا تَطْرَحنَّكَ، و«لا تصيبنَّ» و«لا يحطمنَّكم». انتهى. وإذا قلت: لا تَطْرَحْك، وجعلته جواباً لقولك: انزل، فليس فيه معنى نهي، بل هو نفيٌ محضٌ، جوابُ الأمْرِ نُفيَ بـ «لا»، وجزمه على الجواب، على الخلاف الذي في جوابِ الأمْر والسِّتَّة معه، هل ثَمَّ شَرْطٌ محذوف دلَّ عليه الأمْرُ وما ذكر معه، [2]أو: ضُمِّنت جملة الأمر وما ذكر معه[2] معنى الشَّرْط، وإذا فرَّعنا على مذهب الجمهور في أنَّ الفعل المنفيَّ بـ «لا» لا تدخل عليه النونُ للتأكيد، لم يَجُزْ: انزل عن الدَّابَّة لا تَطْرَحنَّك.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى «مِن» في قوله: «الذين ظلموا منكم خاصَّة»؟

قلت: التبعيضُ على الوجه الأوَّل، والتَّبيين على الثاني، لأنَّ المعنى: لا تُصِبْكم خاصَّة على ظُلْمكم؛ لأنَّ الظُّلْم منكم أقبحُ مِن سائر الناس[3]. انتهى. ويعني بالأوَّل أن تكون جواباً بَعْدَ أمْرٍ، وبالثاني أن تكون نهياً بعد أمْرٍ.

و«خاصَّة»: أصله أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، أي: إصابةً خاصَّةً، وهي حال مِن الفاعل المستكنّ في «لا تصيبنَّ»، ويحتمل أن يكون حالاً مِن «الذين ظلموا»، أي: مخصوصين بها، بل تعمُّهم وغيرَهم.

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكون «خاصَّة» حالاً مِن الضمير في «ظلموا»[4]. ولا أتعقَّل هذا الوجه[5].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ هذا وعيدٌ شديد مناسِب لقوله: «لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّة» إذ فيه حثٌّ على لزوم الاستقامة؛ خوفاً مِن عقاب الله، لا يقال: كيف يُوصِلُ الرحيمُ الكريمُ الفتنةَ والعذابَ لمَن لم يُذنِب؛

(١) في (أ) و(ع) و(ح) والمطبوع: التمني. والمثبت من (ب) و(ز١) والكشاف ٢/ ١٥٣.
(٢-٢) ليست في المطبوع.
(٣) الكشاف ٢/ ١٥٣.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٦.
(٥) ينظر ما قاله السمين الحلبي في الدر المصون ٥/ ٥٩٤ حول هذا الكلام.

لأنَّه تصرُّف بحُكْم المِلْك، كما قد يُنزِل الفقرَ والمرضَ بعبدِه ابتداءً فيَحسُن ذلك منه، أو لأنَّه تعالى عَلِمَ اشتمالَ ذلك على مزيدِ ثوابٍ لمَن أوقع به ذلك.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ نزلت عقبَ بدر، فقيل: خطابٌ للمهاجرين خاصَّة، كانوا بمكَّة قليلي العَدَد مقهورينَ فيها يَخافون أن يستلبهم المشركون، قاله ابنُ عباس[1]، فآواهم بالمدينة، وأيَّدهم بالنصر يومَ بدر، و«الطَّيِّبات»: الغنائم وما فُتِحَ به عليهم.

وقيل: الخطاب للرسول والصَّحابة، وهي حالُهم يومَ بدرٍ، و«الناس» عَسْكرُ مكَّة وسائر القبائل المجاورة، والتأييد هو الإمداد بالملائكة والتغليب على العدوّ، و«الطيِّبات» الغنائم.

وقال وهب وقتادة: الخطاب للعرب قاطِبَةً، فإنَّها كانت أعْرى الناسِ أجساماً، وأجوعَهم بطوناً، وأقلَّهم حالاً حسنةً، و«الناس» فارس والروم، والمأوى: النبوَّة والشريعة، والتأييدُ بالنصر: فتحُ البلاد وغَلَبة الملوك، و«الطيبات» نِعَمُ[2] المآكلِ والمشارب والملابسِ.

قال ابنُ عطيَّة: وهذا التأويل يردُّه أنَّ العربَ كانت في وقت نزولِ هذه الآية كافرةً إلَّا القليلَ، ولم تترتَّب الأحوال التي ذكَرَ هذا المتأوِّل، وإنَّما كان يمكن أن يُخاطب العرب بهذه الآية في آخِرِ زمانِ عمر بن الخطاب ﷺ، فإن تمثَّل أحدٌ بهذه الآية بحالِ العرب، فتمثيلُه صحيحٌ، وأمَّا أن تكون حالةُ العرب هي سببَ نزول الآية، فبعيدٌ؛ لِمَا ذكرناه[3]. انتهى.

وهذه الآية تعديد[4] لنِعَمه تعالى عليهم، قال الزمخشريُّ: «إذ أنتم» نصب على

(١) زاد المسير ٣/٣٤٣.
(٢) في النسخ عدا (ز١): تعمّ. والمثبت من (ز١) والمحرر الوجيز ٢/٥١٦-٥١٧، وأخرج قولهما الطبريُّ ١١/١١٨-١١٩.
(٣) المحرر الوجيز ٢/٥١٦-٥١٧.
(٤) في المطبوع: تعديل.

أنَّه مفعول به مذكورٌ لا ظَرْفٌ، أي: اذكُروا وقتَ كونِكم أقلَّةً أذلَّةً[١]. انتهى.

وفيه التصرُّف في «إذ» بنصبها مفعولة، وهي مِن الظروف التي لا تتصرَّف إلَّا بأن أُضيف إليها الأزمانُ.

وقال ابنُ عطيَّة: و«إذ» ظرفٌ لمعمول: «واذكروا» تقديره: واذكروا حالَكم الكائنة أو الثابتة «إذ أنتم قليل»، ولا يجوز أن تكون «إذ» ظرفاً لـ: اذكُرْ، إنَّما يعمل: اذكُر، في «إذ» لو قدَّرناها مفعولَةً[٢]. انتهى. وهو تخريجٌ حَسَن.

وقال الحوفيُّ: «إذ أنتم» ظرفٌ، العامل فيه: «اذكروا». انتهى. وهذا لا يتأتَّى أصلاً لأنَّ: اذكُر، للمستقبل، فلا يكون ظرفُه إلَّا مستقبَلاً، و«إذ» ظرف ماضٍ يَستحيل أن يقع فيه المستقبل، و«لعلكم تشكرون» متعلِّق بقوله: «فآواكم» وما بعده، أي: فَعَلَ هذا الإحسان لإرادة الشكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قال ابن عباس والأكثرون: نزلت في أبي لُبابة حين استنصحته قريظة لمَّا أبَى الرسولُ ﷺ أن يُسيِّرَهم إلى أَذْرِعَات وأَرِيْحاء، كفعله ببني النَّضِيْر، فأشار أبو لبابة إلى حَلْقه، أي: ليس عند الرسول إلَّا الذَّبح، فكانت هذه خيانته، في قصَّة طويلة[٣].

وقال جابر: في رجلٍ مِن المنافقين كتب إلى أبي سفيان بشيءٍ مِن أخبارِ الرسول ﷺ[٤].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٦.

(٣) زاد المسير ٣/ ٣٤٣-٣٤٤، وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٣١-٢٣٢، والمحرر الوجيز ٢/ ٥١٧، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٩٠، والخبر أخرجه الطبري في التفسير ١١/ ١٢١، وفي التاريخ ٢/ ٥٨٤-٥٨٥ عن الزهري، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٧٠-٢٧١ عن الزهري، عن ابن المسيب. وأورده ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٣٦-٢٣٧، وأذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور البلقاء وعَمَّان. معجم البلدان ١/ ١٣٠-١٣١.
وأريحاء: مدينة الجبارين في الغور من أرض الأُردنّ بالشام. معجم البلدان ١/ ١٦٥.

(٤) زاد المسير ٣/ ٣٤٤، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٧، والخبر أخرجه الطبريُّ ١١/ ١٢١، وأورده ابن كثير في التفسير، ثم قال: غريب جدًّا، وفي سنده وسياقه نَظَرٌ.

وقال المغيرة بنُ شعبة: في قَتْل عثمان[1]. قال ابنُ عطيَّة: ويُشبه أن يتمثَّل بالآية في قَتْلِ عثمان، فقد كان قتلُه خيانةً لله ورسولِه والأماناتِ[2]. انتهى.

وقيل: في حاطب بنِ أبي بَلْتَعة حين كتب إلى أهل مكَّة يُعْلِمهم بخروج الرسولِ ﷺ إليها[3].

وقيل: في قومٍ كانوا يسمعونَ الحديثَ مِن الرسول فيُفْشُونه حتى يبلغَ المشركين[4].

وخيانتهم اللهَ: في عَدَم امتثال أوامرِه وفِعْلِ ما نهى عنه في سِرٍّ، وخيانةُ الرسولِ: فيما اْستحفظَ، وخيانة الأماناتِ: إسقاطُها وعدمُ الاعتبار بها.

وقيل: «وتخونوا» ذوي أماناتكم.

«وأنتم تعلمون» جملة حاليَّة، أي: وأنتم تَعلمون تَبِعَةَ ذلك ووبَالَه، فكان ذلك أبعدَ لكم مِن الوقوع في الخيانة؛ لأنَّ العالِم بما يترتَّب على الذنب يكون أبعدَ الناس[5] عنه.

وقيل: «وأنتم تعلمون» أنَّ الخيانةَ تُوجد منكم عن تعمُّد لا عن سهو.

وقيل: «وأنتم» عالمون؛ «تعلمون» قُبْحَ القبيح وحُسْن الحَسَن.

وجوَّزوا في «وتخونوا» أن يكون مجزوماً عطفاً على «لا تخونوا»، ومنصوباً على جواب النهي، وكونُه مجزوماً هو الراجحُ؛ لأنَّ النصبَ يقتضي النهيَ عن الجَمْع، والجَزْمَ يقتضي النهيَ عن كلٍّ واحد.

وقرأ مجاهد: «أمانتَكُم» على التوحيد، وروي ذلك عن أبي عمرو[6].

---

(١) زاد المسير ٣/ ٣٤٤، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٣٣، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ١٢٢، وفي إسناده: يونس بن الحارث، وهو ضعيف.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٧.
(٣) خبر حاطب أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأحمد (٦٠٠) من حديث علي ﷺ.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ٩/ ٤٩١، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ١٢٣ من قول السدي.
(٥) بعدها في (ب): من الوقوع.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ أي: سبب الوقوع في الفتنة ـ وهي الإثم، أو العذاب ـ أو مِحْنةٌ واختبار لكم، وكيف تحافظون على حدودِه فيها، وفي كون الأجر العظيم عنده تعالى إشارةٌ إلى أن لا يُفتنَ المرءُ بماله وولده فيُؤثِرَ محبَّتَه لهما على ما عندَ الله، فيَجمع المالَ ويحبّ الولدَ حتى يُؤثِر ذلك، كما فعل أبو لبابة لأجل كون مالِه وولدِهِ كانوا عند بني قريظة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ «فرقاناً» قال ابنُ عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك والسُّدِّيُّ وابنُ قتيبة ومالك فيما روى عنه ابنُ وهب وابنُ القاسم وأشهب: مَخْرجاً[(١)]، وقرأ مالك: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، والمعنى: مَخْرَجاً في الدِّين مِن الضَّلال. وقال مُزَرِّد بنُ ضرار:

بادَرَ الأفقَ أن يغيبَ فلمّا ... أظلمَ الليلُ لم يَجِدْ فُرْقانا[(٢)]

وقال الآخر:

ما لَكَ مِن طول الأسى فُرْقانُ ... بعد قَطِينٍ رَحَلوا وبانُوا[(٣)]

وقال الآخر:

وكيف أُرجِّي الخلدَ والموتُ طالبي ... وما ليَ مِن كأسِ المنيَّةِ فُرْقانُ[(٤)]

وقال ابن زيدٍ وابنُ إسحاق: فَصْلاً بين الحقِّ والباطل[(٥)].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٣٩، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٩٣، والقول أخرجه الطبري ١١/ ١٢٨-١٣٠ عن مجاهد وابن عباس والضحاك وعكرمة.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٤٩٣.

(٤) ينظر التعليق السابق.

(٥) تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٣، والثعلبي ٣/ ١٣٤، وقول ابن إسحاق ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٨٣٩، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ١٣١، وقول ابن زيد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٤٦.

وقال قتادة وغيره: نجاةً[١].

وقال الفرَّاء: فتحاً ونَصْراً. وهو في الآخرة يُدخِلكم الجنَّةَ، والكفارَ النارَ[٢].
وقال ابنُ عطية: فرقاً بين حقِّكم وباطلِ مَن ينازعكم، أي: بالنصر والتأييد عليهم.

والفرقان: مَصْدر مِن: فَرَقَ بين الشيئين: حالَ بينهما[٣].

وقال الزمخشريُّ: نَصْراً؛ لأنَّه يفرق بين الحقِّ والباطل، وبين الكُفر بإذلال حِزْبه، والإسلامِ بإعزاز أهله، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أو بياناً وظهوراً يُشْهِرُ أَمْرَكم ويَبُثُّ صِيْتكم وآثارَكم في أقطار الأرض، من قولهم: بِتُّ أَفْعَلُ كذا حتى سَطَعَ الفرقانُ، أي: طلع الفجر. أو مخرجاً مِن الشُّبُهات وتوفيقاً وشَرْحاً للصدور، أو تَفرقةً بينكم وبين غيركم مِن أهل الأديان، وفضلاً ومزيَّة في الدنيا والآخرة[٤]. انتهى.

ولفظ «فرقاناً» مُطلَقٌ، فيَصلح لما يقعُ به فرقٌ بين المؤمنين والكافرين في أحوال الدنيا والآخرة.

والتقوى هنا إن كانت مِن اتِّقاء الكفر[٥]، كانت السَّيِّئاتُ [٦]جميعَ الذنوب التي وُجدت قبل الفرقان، وإن كانت من اتِّقاء الكبائر، كانت السَّيِّئاتُ[٦] الصغائرَ؛ ليتغاير الشَّرْط والجزاء.

وتكفيرُها سَتْرها في الدنيا، ومغفرتها إزالتها في القيامة، وتغايَرَ الطَّرَفان[٧]؛ لئلا يَلزم التكرارُ، وتقدَّم شَرْح «والله ذو الفضل العظيم» في «البقرة»[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، وأورده القرطبي ٩/ ٤٩٣ عن السدي، والثعلبي ٣/ ١٣٤ عن عكرمة، وأخرجه الطبري ١١/ ١٣٠ عن عكرمة ومجاهد والسدي وابن عباس وقتادة.
(٢) تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٣، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٠٨.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨.
(٤) الكشاف ٢/ ١٥٤.
(٥) في (أ) والمطبوع: الكبائر.
(٦-٦) ليست في (أ) و(ع) و(ح) والمطبوع.
(٧) في (ز١) و(يه): الظرفان.
(٨) عند تفسير الآية (١٠٥).

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لمَّا ذَكَّر المؤمنين نعمَهُ تعالى عليهم، ذكَّره ﷺ نِعَمَه عليه في خاصَّة نفسِه، وكانت قريش قد تشاوروا في دار النَّدْوة بما يُفعل به؛ فمِن قائلٍ: يُحبَس ويُقيَّد ويُتربَّص به رَيْب المَنُون، ومِن قائل: يُخرَج مِن مكَّة ليستريحوا منه، وتصوَّر إبليسُ لهم في صورة شيخ نجديٍّ وفيَّل[1] هذين الرأيين، ومِن قائلٍ: يَجتمع مِن كلِّ قبيلةٍ رجلٌ ويَضربونه ضربةً واحدةً بأسيافهم فيتفرَّق دمُه في القبائل، فلا يَقدِر بنو هاشم محاربةَ قريش كلِّها فيَرضون بأَخْذِ الدِّيَة، فصوَّب إبليسُ هذا الرأيَ، فأَوحى الله تعالى إلى نبيِّه بذلك، وأَمَرَه أن لا يبيتَ في مَضْجعه وأَذِنَ له في الخروج إلى المدينة، وأَمَرَ عليًّا أن يبيتَ في مَضْجعه ويتَّشح ببُرْدته، وباتُوا راصِدين، فبادروا إلى المَضْجع فأَبصروا عليًّا، فبُهتوا، وخلَّف عليًّا ليَرُدَّ ودائعَ كانت عنده وخرج إلى المدينة[2].

قال ابن عباس ومجاهد: «ليُثبِتوك» أي: ليُقيِّدوك[3]. وقال عطاء والسُّدِّي وابنُ كثير: ليَسْجُنوك، وقيل: ليَسْحَروك، وقيل[4]: ليُثْخِنوك بالجَرْح والضَّرْب،

(١) في (أ) و(ب) و(يه) والمطبوع: وقيل. والمثبت من (ز١) و(ح)، ومعنى: وفيَّل، أي: وضعَّف، يقال: فيَّل رأيه تفييلاً، أي: ضعَّفه، فهو فيِّل الرأي، ورجلٌ فِيْلُ الرأي، ورجلٌ فالٌ، أي: ضعيف الرأي. الصحاح (فيل).

(٢) الخبر أخرجه ابن إسحاق في المغازي كما في الكافي الشاف ص ٦٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله عنه ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٤٨٠-٤٨٣، وأخرجه أيضاً أحمد (٣٢٥١)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٥٤)، وهو عند عبد الرزاق (٩٧٤٣) ضمن حديث مطوَّل. وفي إسناد أحمد: عثمان الجزري، قال عنه أحمد: روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه. ومبيت سيِّدنا عليّ في فراشه ﷺ أخرجه أيضاً ابنُ إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً كما في السيرة النبوية ١/ ٤٨٣، وأورده أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٦١-٢٦٢ إثر الحديث (١٥٤). وينظر تتمة التخريج في مسند أحمد ثمَّة، وتفسير الطبري ١١/ ١٣٤ وما بعدها.
وأمَّا أَمْرُه عليًّا بِرَدِّ الودائع فأخرجه ابن إسحاق بسند قوي كما في التلخيص الحبير ٣/ ٩٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٨٩.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٩، وفيه: ليوثقوك. وأخرجه هكذا عنهما الطبريُّ ١١/ ١٣٢.

(٤-٤) ليست في (أ) و(ع) والمطبوع، والقول الأول أخرجه الطبري ١١/ ١٣٢-١٣٣ عن ثلاثتهم، والقول الثاني أخرجه الطبري ١١/ ١٣٣ عن المطَّلب بن أبي وداعة.

مِن قولهم: ضَرَبوه حتى أثبتوه لا حراكَ به ولا بَرَاحَ[١]، ورَمَى الطائرَ فأثبتَه، أي: أثْخَنه. وقال الشاعر:

فقلتُ ويحكَ ماذا في صحيفتِكم ... قالوا الخليفةُ أمسى مُثبَتاً وَجِعاً[٢]

أي: مُثْخَناً.

وقرأ [٣]يحيى بن وثَّاب: «لِيُثَبِّتُوكَ» عدَّاه بالتضعيف، وقرأ[٣] النخعيُّ: «لِيُبَيِّتُوكَ» من البَيَات[٤].

وهذا المكرُ هنا هو بإجماع المفسِّرين ما اجتمعت عليه قريش في دار الندوة كما أشرنا إليه، وهذه الآية مدنيَّة كسائر السورة وهو الصَّوابُ، وعن عكرمة ومجاهد أنَّها مكِّيَّة، وعن ابنِ زيد نزلت عقيبَ كفاية اللهِ رسولَه المستهزئين، ويُتأوَّل قولُ عكرمة ومجاهد على أنَّهما أشارا إلى قصَّة الآية لا إلى وقتِ نزولها[٥]، وتكرّر «ويمكرون» إخباراً باستمرار مَكْرهم وكثرته، وتقدَّم شرح مِثْل باقي الآية في «آل عمران»[٦].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ قائل ذلك النضر بنُ الحارث ـ واتَّبعه قائلون كثيرون ـ كان مِن مَرَدة قريشٍ، سافر إلى فارس والحِيْرة، وسمع مِن قصصِ الرُّهبان والأناجيل وأخبار رُسْتُم وأسفِنْدِيَارَ[٧]، ويرى اليهودَ والنصارى يركعون ويسجدون، قَتَله رسولُ الله ﷺ صَبْراً بالصفراء بالأُثَيْل

(١) قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ٤/ ٢٦٩: والبراح مصدر: بَرِح، فكأنه زال عنه، فنفيه يدلُّ على الثبوت.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٩/ ١٣٧، والبيت ليزيد بن معاوية قاله حين أتاه نعيُ معاوية، وهو في التعازي والمراثي للمبرِّد ص١١٩، والأغاني ١٧/ ٢١٢، والعقد الفريد ٤/ ٣٧٣، وأوَّله عندهم: قلنا لك الويلُ... البيت.

(٣-٣) ليست في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع، وقراءة يحيى في القراءات الشاذة ص ٤٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٥٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٣٦، وأوردها أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥١٩ نقلاً عن النقاش عن يحيى بن وثاب.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، وأخرج قولهما الطبريُّ ١١/ ١٤٠-١٤١.

(٦) عند تفسير الآية (٥٤).

(٧) في (أ) و(ع): وأسفنديار، وفي (ب): وأسفيدبار. وينظر التعليق الآتي.

منها مُنْصَرفَهُ مِن بدر[١].

وفي هذا التركيب جوازُ وقوعِ المضارع بعد «إذا» وجوابه الماضي جوازاً فصيحاً، بخلاف أدواتِ الشرط فإنَّه لا يجوز ذلك فيها إلَّا في الشِّعْر نحو:

مَنْ يَكِدْني بِسَيِّئٍ كُنتُ منه[٢]

ومعنى «قد سمعنا»: قد سمعنا ولا نطيع، أو: قد سمعنا مِثْلَ هذا.

وقولهم: «لو نشاء» أي: لو نشاء القولَ لقُلنا مِثْلَ هذا الذي تتلوه، وذُكِّر على معنى المَتْلوِّ، وهذا القول منهم على سبيل البَهْت والمصادمة، وليس ذلك في استطاعتهم، فقد طُولبوا بسورةٍ منه فعجزوا، [٣]وكانوا أحبَّ[٣] شيء إليهم الغَلَبةُ، وخصوصاً في باب البيان، فقد كانوا يَتمالطون[٤] ويَتعارَضون ويُحكّم بينهم في ذلك، وكانوا أحرصَ الناس على قَهْرِ رسولِ الله ﷺ، فكيف يُحيلون المعارضة على

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٠، وينظر تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ٢/ ٢٤٥، وتفسير الواحدي ٢/ ٤٥٥، والروض الأنف ٢/ ٥٢-٥٣، ورستم هذا هو: رستم بن ريسان من ملوك الترك، وأسفنديار هو: ابن كي يستاسب بن كي لهراسب ـ و: كي، في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء، ويقال: عبارة عن إدراك الثأر ـ وكانت بين رستم وأسفنديار ملاحم يطول ذكرها، لكنَّ أسفنديار قَتَل رستم واستباح عساكره. ينظر الروض الأنف، وتاريخ الطبري ١/ ٥٦١ وما بعدها.
وأما قتله ﷺ للنضر بالصفراء، فأورده ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٦٤٤، وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٧١، وابن أبي شيبة (٣٧٨٤٧)، وأبو داود في المراسيل (٣٣٧) عن سعيد بن جبير، ووصله الطبراني في الأوسط (٣٨٠١) بذكر ابن عباس، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٩٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الله بن حماد بن نمير، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. وينظر التلخيص الحبير ٤/ ١٠٨.
والقَتْل صَبْراً: أي: قصاصاً، وأصله الحبس حتى يُقتَل. الفائق (شزن)، والصفراء: وادٍ من ناحية المدينة، وهو كثير النخل والزرع والخير، بينه وبين بدر مرحلة، والأُثَيْل: موضع في ذلك الصقع. معجم البلدان (الصفراء)، (الأثيل).

(٢) وعجزه: كالشَّجَا بين حَلْقِهِ والوريدِ، والبيت لأبي زُبيد الطائي، وهو في المقتضب ٢/ ٥٩، والمقرَّب ١/ ٢٧٥، ورصف المباني ص١٠٥، وخزانة الأدب ٩/ ٧٦، والشَّجَا: ما يعترض في الحَلْق كالعظم.

(٣-٣) في المطبوع: وكان أصعب.

(٤) يُقال: مالَطَ فُلانٌ فلاناً؛ إذا قال هذا نِصفَ بيتٍ وأتمَّه الآخر. اللسان (ملط).

المشيئة، ويتعلَّلون بأنَّهم لو أرادوا لقالوا مِثْلَ هذا القول؟!

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ تقدَّم شرحه في «الأنعام»[1].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ قائلُ ذلك النَّضْرُ، وقيل: أبو جهل، رواه البخاريُّ ومسلم[2]. وقال الجمهور: قائل ذلك كُفَّار قريش، والإشارة في قوله: «إن كان هذا» إلى القرآن، أو ما جاء به الرسولُ مِن التوحيد وغيره، أو نبوَّة الرسول من بين سائر قريش، أقوالٌ، وتقدَّم الكلام على «اللَّهمَّ»[3].

وقرأ الجمهور: «هو الحقَّ» بالنصب، جعلوا «هو» فَصْلاً، وقرأ الأعمش وزيد بنُ عليٍّ بالرفع[4]، وهي جائزة في العربيَّة، فالجملة خبر «كان»، وهي لغة تميم يَرفعون بعد «هو» التي هي فَصْل في لغةِ غيرهم، كما قال:

وكنتَ عليها بالمَلَا أنتَ أقْدَرُ[5]

وتقدّم الكلامُ على الفَصْل وفائدتِه في أوّل «البقرة»[6].

وقال ابنُ عطيَّة: ويجوز في العربيَّة رَفْعُ «الحقّ» على أنَّه خبر «هو»، والجملة خبر «كان»، قال الزجَّاج: ولا أعلم أحداً قرأ بهذا الجائز، وقراءة الناس إنَّما هي بنصب «الحقّ»[7]. انتهى. وقد ذكرنا مَن قرأ بالرَّفع، وهذه الجملة الشرطيَّة فيها مبالغة في إنكارٍ للحقِّ عظيمةٌ، أي: إن كان حقًّا فعاقِبْنا على إنكاره بإمطار الحجارة علينا أو بعذاب آخَر.

قال الزمخشريُّ: ومراده نفيُ كونه حقًّا، فإذا انتفى كونه حقًّا، لم يَستوجب

---

(١) عند تفسير الآية (٢٥).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٤٨)، وصحيح مسلم (٢٧٩٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) عند تفسير الآية (٢٦) من سورة آل عمران.

(٤) ينظر الكشاف ٢/ ١٥٥، والقراءات الشاذة ص ٤٩.

(٥) وصدره: تُبكِّي على لُبْنى وأنتَ تركتَها، والبيت لقيس بن ذريح، وهو في كتاب سيبويه ٢/ ٣٩٣، والحُلَل ص١٨٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٢.

(٦) عند تفسير الآية (٥).

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤١١.

مُنْكِرُه عذاباً، فكان تعليقُ العذاب بكونه حقًّا مع اعتقاد أنَّه ليس بحقٍّ، (١كتعلُّقه بالمُحال في قوله: إن كان الباطلُ حقًّا، مع اعتقاد أنَّه ليس بحقّ١)، وقوله: «هو الحقّ» تهكُّم بمَن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحقّ، ويقال: أمْطَرت، كأَنْجَمَت وأَسْبَلَت، ومَطَرَت كهَتَنَت[٢]، وكَثُرَ الإمطار في معنى العذاب.

فإن قلت: ما فائدة قوله: «مِن السماء» والإمطارُ لا يكون إلَّا منها؟

قلت: كأنَّه أراد أن يُقال: فأَمْطِر علينا السِّجِّيل، وهي الحجارة المسوَّمة للعذاب، فوضع «حجارة مِن السماء» موضع السِّجِّيل، كما يقال: صَبَّ عليه مسرودةً مِن حديد، يريد: دِرْعاً[٣]. انتهى.

ومعنى جوابه: أنَّ قولَه «مِن السماء» جاء على سبيل التوكيد، كما أنَّ قوله: مِن حديد، معناه: التأكيد؛ لأنَّ المَسْرُودة لا تكون إلَّا من حديد، كما أنَّ الإمطار لا يكون إلَّا من السماء.

وقال ابنُ عطيَّة: وقولهم: «مِن السماء» مبالغةٌ وإغراق[٤]. انتهى.

والذي يظهر لي أنَّ حكمةَ قولهم: «من السماء» هي مقابلتهم مَجِيْء الإمطار مِن الجهة التي ذَكَر ﷺ أنَّه يأتيه الوحيُ مِن جهتها، أي: إنَّكَ تَذكُر أنَّه يأتيكَ الوحيُ مِن السماء، فَأْتنا بعذابٍ مِن الجهة التي يأتيكَ منها الوحي، إذ كان يَحسُن أن يُعبّر عن إرسال الحجارة عليهم مِن غيرِ جهة السماء، بقولهم: «فأمطر علينا حجارة»، وقالوا ذلك على سبيل الاستبعاد والاعتقاد أنَّ ما أَتَى به ليس بحقٍّ.

وقيل: على سبيل الحَسَد والعِناد مع عِلْمهم بأنَّه حقٌّ، واستَبْعد هذا الثاني ابنُ فورك، قال: ولا يقول هذا على وَجْه العِناد عاقلٌ[٥]. انتهى. وكأنَّه لم يَقرأ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

(١-١) ليست في (ب).

(٢) أَنْجَمَ المطرُ: إذا كَثُر ودام، يقال: أنجمت السماءُ أياماً ثم أنجمت. وهَتَن المطرُ: إذا قَطَر متتابعاً. الصحاح (نجم) و(هتن).

(٣) الكشاف ٢/ ١٥٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١.

(٥) ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٠.

وقصّة أُميَّة بن أبي الصَّلْت[(١)] وأخبار اليهود الذين قال تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩] وقول الرسولِ لهم: «واللهِ إنَّكم لتَعلمُنَّ أنّي رسولُ الله»[(٢)] أو كلاماً يُقارِبه، واقتراحهم هذين النوعين = هو على ما جرى عليه اقتراحُ الأمم السالفة.

وسَأل يهوديٌّ ابنَ عبَّاس: ممَّن أنت؟ قال: مِن قريش. فقال: أنتَ مِن الذين قالوا: «إن كان هذا هو الحقَّ» الآية، فهلَّا قالوا: فاهدنا إليه. فقال له ابنُ عباس: فأنتَ يا إسرائيليُّ مِن الذين لم تَجِفَّ أرجلُهم مِن بَلَلِ البحر الذي أُغرقَ فيه فرعونُ وقومُه، ونُجِّي موسى وقومه حتى قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فقال لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فأطرق اليهوديُّ مُفْحَماً[(٣)].

وعن معاوية أنَّه قال لرجلٍ مِن سَبَأ: ما أَجْهَلَ قومَك حين مَلَّكوا عليهم امرأة؟! فقال: أَجهلُ مِن قومي قومُك، قالوا لرسولِ الله حين دَعَاهم إلى الحقّ: ﴿إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآية، ولم يقولوا: فاهْدِنا له[(٤)].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ نزلت هذه إلى ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بمكة. وقيل: بعد وقعة بدر حكايةٌ عمَّا مضى[(٥)].

وقال ابنُ أَبْزَى: الجملة الأولى بمكَّة إِثْر قوله: «بعذاب أليم»، والثانية عند خروجِه مِن مكَّة في طريقه إلى المدينة، وقد بَقِيَ بمكة مؤمنون يستغفرون، والثالثة بعد بدر عند ظُهور العذاب عليهم[(٦)].

ولمَّا علَّقوا إمطارَ الحجارةِ أو الإتيانَ بعذابٍ أليم على تقدير كينونةِ ما جاء به

---

(١) تقدَّم ذِكْر خبره في سورة الأعراف، عند تفسير الآية (١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١)، وأحمد (١٣٢٠٥)، من حديث أنس ﷺ، وورد فيهما وفي مطبوع البحر: لتعلمون، بدل: لتعلمنَّ.

(٣) تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٦، والخبر في المفهم ٧/ ٣٤٧.

(٤) الكشاف ٢/ ١٥٥، والخبر أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٤/ ٧١، وابن عبد البرّ في بهجة المجالس ١/ ١٠٢، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٧/ ١٨١.

(٥) في المطبوع: حصل فيها. والكلام من المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٣.

الرسولُ حقًّا، أخبر تعالى أنَّهم مستحقو العذاب، لكنَّه لا يُعذِّبهم وأنتَ فيهم؛ إكراماً له عليه الصلاة والسلام، وجرياً على عادته تعالى مع مكذِّبي أنبيائه أن لا يعذِّبهم ـ وأنبياؤهم مقيمون فيهم ـ عذاباً يَستأصلهم فيه، قال ابنُ عبَّاس: لم تُعذَّب أمَّةٌ قطُّ ونبيُّها فيها. وعليه جماعة المتأوِّلين، فالمعنى: فما كانت لتُعذَّبَ أمَّتُكَ وأنتَ فيهم، بل كرامتُك عند ربِّك أعظمُ[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ومِن رحمته تعالى أنْ لَا يعذِّبهم والرسولُ فيهم.

ولمَّا كان الإمطار للحجارة عليهم مندرجاً تحت العذاب، كان النفي متسلِّطاً على العذاب الذي إمطارُ الحجارة نوعٌ منه، فقال تعالى: «وما كان اللهُ ليعذِّبهم» ولم يَجِئ التركيب: وما كانَ الله ليُمطِرَ أو يأتي بعذابٍ، وتقييد نفي العذاب بكينونة الرسولِ فيهم إعلامٌ بأنَّه إذا لم يكن فيهم وفارَقهم، عذَّبَهُم، ولكنَّه لا يُعذِّبُهم؛ إكراماً له، مع كونهم بصددِ مَن يُعذَّب؛ لتكذيبهم.

قال ابنُ عطيَّة عن أبي زيد: سمعتُ مِن العرب مَن يقول: «وما كانَ اللهُ لَيعذِّبهم» بفتح اللام، وهي لغةٌ غيرُ معروفة ولا مُستعمَلة في القرآن[2]. انتهى. وبفتح اللام في «لَيُعَذِّبهم» قرأ أبو السَّمَّال[3]، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالفتح في لامِ الأمْرِ في قوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[4] [عبس:٢٤]. وروى ابنُ مجاهد عن أبي زيد أنَّ مِن العرب مَن يَفتح كلَّ لامٍ إلَّا في نحو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[5]. انتهى. يعني: لامَ الجرِّ إذا دخلت على الظاهر، أو على ياء المتكلِّم.

والظرفيَّة في «فيهم» مجاز، والمعنى: وأنت مقيمٌ بينهم غيرُ راحل عنهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ انظر إلى حُسْنِ مَسَاق هاتين الجملتين؛ لما كانت كينونته فيهم سبباً لانتفاء تعذيبهم، أكّد خبر «كان» باللام على

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١١/ ١٥٠بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١، وقول أبي زيد نقله عنه ابن جنّيّ في سرِّ صناعة الإعراب ١/ ٣٣٠، وقال: وهذا من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٩.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٩-٥٠.

(٥) ونقله أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٠.

رأي الكوفيين، أو جعل خبر «كان» الإرادة المنتفية على رأي البصريين، وانتفاءُ الإرادة للعذاب أبلغُ مِن انتفاء العذاب، ولمَّا كان استغفارُهم دون تلك الكينونة الشريفة، لم يؤكَّد باللام، بل جاء خبر «كان» قوله: «معذِّبهم»، فشتانَ ما بين استغفارهم وكينونتِه ﷺ فيهم.

والظاهر أنَّ هذه الضمائر كلَّها في الجمل عائدةٌ على الكفار، وهو قول قتادة[1]. وقال ابنُ عباس وابنُ أَبْزَى وأبو مالك والضحاك ما مقتضاه: إنَّ الضميرَ في قوله: «معذِّبهم» عائد على كفَّار مكَّة، والضمير في قوله: «وهم» عائد على المؤمنين الذين بَقُوا بَعْدَ الرسولِ ﷺ بمكَّة، أي: وما كان اللهُ ليُعذِّبَ الكفارَ والمؤمنونَ بينهم يستغفرون[2].

قال ابنُ عطيَّة: ويَدفع في صَدْر هذا القول أنَّ المؤمنين الذين رُدَّ الضمير إليهم لم يَجْرِ لهم ذِكْر. وقال ابنُ عباس أيضاً ما مقتضاه: إنَّ الضميرين عائدان على الكفَّار، وكانوا يقولون في دعائهم: غفرانك، ويقولون: لبَّيكَ لا شريكَ لَكَ، ونحو هذا ممَّا هو دعاءٌ واستغفار، فجَعَله اللهُ أَمَنَةً مِن عذاب الدنيا، وعلى هذا تركَّب قولُ أبي موسى الأشعريِّ وابنِ عباس: إنَّ اللهَ جَعَلَ مِن عذاب الدنيا أَمَنَتَيْنِ؛ كون الرسولِ ﷺ مع الناس، والاستغفار، فارتفعت الواحدة وبَقِيَ الاستغفار إلى يوم القيامة.

وقال الزجَّاج ـ وحكي عن ابنِ عباس ـ: «وهم يستغفرون» عائد على الكفَّار، والمراد به مَن سَبَق له في عِلْم الله أنْ يُسلِم ويستغفر، فالمعنى: وما كان اللهُ ليُعذِّب الكفَّار ومنهم مَن يستغفر ويؤمن في ثاني حال.

وقال مجاهد: «وهم يستغفرون» أي: وذُرِّيّتهم يستغفرونَ ويُؤمنون، فأسند إليهم، إذ ذُرِّيّتهم منهم[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢، وأخرجه عنهم الطبريُّ ١١/١٤٨-١٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١-٥٢٢، وقول ابن عباس الأول أخرجه الطبري ١١/ ١٥٠-١٥١، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٥٠: وفيه ضعف؛ لأن استغفار المشرك لا أثَر له في القبول.

=

والاستغفار: طَلَب الغفران، وقال الضحاك ومجاهد: معنى «يستغفرون»: يُصَلُّون. وقال عكرمة ومجاهد أيضاً: يُسلِمون[١].

وظاهر قوله: «وهم يستغفرون» أنَّهم مُلْتبسون[٢] بالاستغفار، أي: هم يستغفرون فلا يُعذَّبون، كما أنَّ الرسولَ فيهم فلا يعذَّبون، فكلا الحالين موجودٌ؛ كونُ الرسولِ فيهم واستغفارُهم.

وقال الزمخشريُّ: «وهم يستغفرون» في موضع الحال، ومعناه: نفيُ الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممَّن يُؤمِن ويَستغفر مِن الكفر لَمَا عذَّبهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود:١١٧] ولكنَّهم لا يستغفرون ولا يؤمنون ولا يُتوقَّع ذلك منهم[٣]. انتهى.

وما قاله تَقَدَّمه إليه غيرُه[٤]، فقال: المعنى: وهم بحالِ توبةٍ واستغفارٍ مِن كفرهم أنْ لو وَقَعَ ذلك منهم. واختاره الطبريُّ، وهو مرويٌّ عن قتادة وابنِ زيد[٥].

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الظاهر أنَّ «ما» استفهاميَّة، أي: أيُّ شيءٍ لهم في انتفاء العذاب، وهو استفهامٌ معناه التقرير، أي: كيف لا يُعذَّبون [٦]وهم متَّصفون بهذه الحال المقتضية للعذاب[٦]، وهي صدُّهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وليسوا بوُلاةِ البيت ولا متأهِّلين لولايته، ومِن صَدِّهم ما فعلوا

= وقول أبي موسى الأشعري أخرجه الطبري ١١/ ١٥٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٢، وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٠٨٢) عن أبي موسى مرفوعاً، وقال: هذا حديث غريب، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث. اهـ.
وينظر قول الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤١١-٤١٢.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢، وزاد المسير ٣/ ٣٥١، وأخرجه عنهم الطبري ١١/ ١٥٤-١٥٦.
(٢) في (ع): متلبِّسون.
(٣) الكشاف ٢/ ١٥٦.
(٤) يعني بذلك ابنَ عطيَّة، وكلامه في المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢.
(٥) أخرجه عنهما الطبري ١١/ ١٥٣-١٥٤، وينظر النكت والعيون ٢/ ٣١٤.
(٦-٦) ليست في (ب).

بالرسول ﷺ عامَ الحديبية، وإخراجُه مع المؤمنين داخلٌ في الصَّدِّ، كانوا يقولون: نحن ولاةُ البيت نَصُدُّ مَن نشاء، ونُدخِل مَن نشاء.

و«أنْ» مصدريَّة، وقال الأخفش: هي زائدة. قال النحَّاس: لو كان كما قال لرَفَع «يعذِّبهم»[(١)]. انتهى. فكان يكون الفعل في موضع الحال، كقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤] وموضع «أنْ» نصبٌ أو جَرٌّ على الخلاف، إذ حذف منه «في»، وهي تتعلَّق بما تعلَّق به «لهم»، أي: أيُّ شيءٍ كائن أو مستقرٌّ لهم في أنْ لا يعذِّبهم اللهُ، والمعنى: لاحظَّ لهم في انتفاء العذاب، وإذا انتفى ذلك فهم معذَّبون ولا بُدَّ، وتقديرُ الطبريِّ: وما يَمنعهم مِن أن يُعذَّبوا[(٢)]، هو تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعراب، وكذلك ينبغي أن يتأوَّل كلامُ ابنِ عطيَّة أنَّ التقدير: وما يدريهم، ونحوه مِن الأفعال التي توجب أن تكون «أنْ» في موضع نصبٍ.

والأظهر عودُ الضمير في «أولياءه»[(٣)] على المسجد؛ لقُرْبه وصحَّة المعنى.

وقيل: «ما» للنفي، فيكون إخباراً، أي: وليس لهم أنْ لا يعذِّبهم الله، أي: ليس ينتفي العذابُ عنهم مع تلبُّسهم بهذه الحال، وقيل: الضمير في «أولياءه» عائدٌ على الله تعالى، وروي عن الحسن[(٤)].

والظاهر أنَّ قوله: «وما كانوا أولياءه» استئنافُ إخبار، أي: وما استحقُّوا أن يكونوا ولاةَ أَمْرِه «إنْ أولياؤه إلَّا المتقون» أي: المتَّقون للشِّرْك، وقال الزمخشريُّ: «إلَّا المتَّقون» من المسلمين، ليس كلُّ مسلم أيضاً ممَّن يَصلُح أن يَلي أمرَه، إنَّما يَستأهل ولايته مَن كان بَرًّا تَقِيًّا، فكيف عبدة الأصنام[(٥)]؟! انتهى.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٥، وقول الأخفش فيه وفي كتابه معاني القرآن ٢/ ٥٤٥، وينظر تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٨.
(٢) تفسير الطبري ١١/ ١٥٧.
(٣) من هنا إلى لفظة: «أولياءه» الآتية، ليست في (ب).
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢، وزاد المسير ٣/ ٣٥٢، وفيهما أنَّ ما روي عن الحسن هو القول الأول ـ أي: أن الضمير عائد على المسجد ـ ولفظه في الزاد: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فردَّ الله عليهم بهذا.
(٥) الكشاف ٢/ ١٥٦.

ويجوز أن يكون «وما كانوا أولياءه» معطوفاً على «وهم يَصدُّون» فيكون حالاً، والمعنى: كيف لا يُعذِّبهم اللهُ وهم متَّصفون بهذين الوصفَين؛ صدِّهم عن المسجد الحرام، وانتفاءِ كونهم أولياءَه، أي: أولياءَ المسجد، أي: ليسوا وُلاتَه، فلا ينبغي أن يَصدُّوا عنه، أو: أولياءَ الله، فهم كفَّار، فيكون قد ارتقى مِن حالٍ إلى أعظمَ منها، وهو كونهم ليسوا مؤمنين، فمَن كان صادًّا عن المسجد كافراً بالله، فهو حقيقٌ بالتعذيب.

والضمير في «إنْ أولياؤه» مترتِّب على ما يعود عليه في قوله: «وما كانوا أولياءَه».

واختلفوا في هذا التعذيب؛ فقال قوم: هو الأوَّل، إلَّا أنَّه كان امتنع بشيئين؛ كون النبيِّ فيهم واستغفار مَن بينَهم مِن المؤمنين، فلما وقع التمييزُ بالهجرة وَقَعَ بالباقين يومَ بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكَّة.

وقال قوم: هذا التعذيبُ غيرُ ذلك، فالأوَّل: استئصالُ كلِّهم، فلم يَقع؛ لِمَا عُلمَ مِن إسلام بعضِهم وإسلام بعضِ ذراريهم، والثاني: قَتْل بعضِهم يومَ بدر.

وقال ابنُ عباس: الأوَّل عذابُ الدنيا، والثاني عذابُ الآخرة. فالمعنى: وما كان اللهُ معذِّبَ المشركين؛ لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم أنْ لا يعذِّبهم اللهُ في الآخرة، ومتعلّق «لا يعلمون» محذوف، تقديره: لايعلمون أنَّهم ليسوا أولياءَه، بل يظنُّون أنَّهم أولياؤه.

والظاهر استدراك الأكثر في انتفاء العلم، إذ كان بينهم وفي خلالهم مَن جَنَحَ إلى الإيمان، فكان يَعلم أنَّ أولئك الصَّادِّين ليسوا أولياءَ البيت، أو أولياء الله، فكأنَّه قيل: «ولكنَّ أكثرهم» أي: أكثر المقيمين بمكَّة «لايعلمون» ليخرج منهم العبَّاس وأمّ الفَضْل وغيرهما ممَّن وقع له عِلْم، أو إذ كان فيهم مَن يَعلم وهو يُعانِد؛ طلباً للرياسة، أو أُريد بالأكثر الجميع على سبيل المجاز، فكأنَّه قيل: ولكنَّهم لا يعلمون، كما قيل: قلَّما رجلٌ يقول ذلك، في معنى النفي المحض، وإبقاء الأكثر على ظاهره أولى، وكونه أُريد به الجميع هو تخريجُ الزمخشريِّ وابنِ عطيَّة[١].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٢٢.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لمَّا نَفَى عنهم أن يكونوا ولاةَ البيت، ذَكَر مِن فِعْلِهم القبيح ما يُؤكِّد ذلك، وأنَّ مَن كانت صلاته ما ذُكرَ لا يَستأهل أن يكونوا أولياءه، فالمعنى - والله أعلم - أنَّ الذي يقوم مقامَ صلاتهم هو المُكاء والتَّصْدِيَة، وَضَعوا مكانَ الصلاة والتقرُّب إلى الله الصَفيرَ والتَّصفيق، كانوا يَطوفون عُراةً رجالهم ونساؤهم، مُشبِّكين بين أصابعهم، يَصْفِرون ويُصفِّقون، يفعلون ذلك إذا قرأ الرسول، يخلِّطون عليه في صلاته، ونظير هذا المعنى قولهم: كانت عقوبَتُك عَزْلَتَك، أي: القائم مقام العقوبة هو العَزْل، وقال الشاعر:

وما كنتُ أَخشى أن يكون عطاؤه أداهِمَ سوداً أو مدحرجةً[١] سُمْرا

أقام مقام العطاءِ القيودَ والسياطَ، كما أَقاموا مقامَ الصلاة المكاءَ والتَّصْدِية.

وقال ابنُ عباس: كان ذلك عبادة في ظنِّهم[٢].

قال ابنُ عطيَّة: لمَّا نفى تعالى ولايتهم للبيت، أمكن أن يَعترض مُعتَرِض بأن يقول: كيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونُصلِّي عنده؟ فقَطَع اللهُ هذا الاعتراضَ: وما كان صلاتهم إلا المكاء والتصدية[٣]، كما يقول الرجل: أنا أفعل الخير. فيقال له: ما فِعْلك الخير إلَّا أن تشربَ الخمر وتَقتل، أي: هذه عادتك وغايتك؟!

قال: والذي مرَّ بي مِن أَمْرِ العرب في غيرِ ما ديوانٍ أنَّ المكاءَ والتصديةَ كانا مِن فِعْلِ العرب قديماً قَبْلَ الإسلام على جهة التقرُّب والتشرُّع، وروي عن بعضِ أقوياء العرب أنَّه كان يمكو على الصَّفَا فيُسمَع مِن جبل حِرَاء، وبينهما أربعةُ أميال[٤].

وعلى هذا يَستقيم تَعييرهم وتَنقُّصهم بأنَّ شرعَهم وصلاتهم وعبادتهم لم تكن رهبةً ولا رغبةً، إنَّما كانت مُكاءً وتصديةً مِن نوع اللَّعب، ولكنَّهم كانوا يتزيَّدون فيها وقتَ قراءةِ النبيِّ ﷺ ليشغلُوهُ وأمَّته عن القراءة والصَّلاة.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في ديوان الفرزدق ـ والبيت له ـ ١/ ١٨٨: مُحَدْرجةً. وسلف.
(٢) تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٨.
(٣) من قوله: وقال ابن عباس، إلى هنا، ليست في (ب).
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٤-٥٢٥، وما بعده منه أيضاً والذي كان يمكو هو: قيس بن مَخْرمة بن =

قال ابن عمر ومجاهد والسديُّ: المُكاء: الصَّفِير، والتَّصْدية: التَّصْفِيق.

وعن مجاهد أيضاً: المُكاء: إدخالُهم أصابعَهم في أفواههم، والتصدية: الصَّفِير[1].

والصَّفِير بالفَمِ، وقد يكون بالأصابع والكَفّ في الفَم، قاله مجاهد وأبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن[2]، وقد يُشارك الأنفُ، يريدون أن يُشغلوا بذلك الرسولَ عن الصلاة. وقال ابنُ جبير وابنُ زيد: التصدية: صدُّهم عن البيت. وقال ابنُ بحر: إنَّ صلاتهم ودعاءَهم غيرُ رادَّيْن عليهم ثواباً إلَّا كما يُجيب الصَّدَى الصائحَ[3].

فتلخَّص في معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: ما ظاهره أنَّ الكفارَ كانت لهم صلاة وتعبُّد، وذلك هو المكاء والتصدية.

والثاني: أنَّه كانت لهم صلاة، ولا جَدوى لها ولا ثوابَ، فجعلت كأنَّها أصواتُ الصَّدَى حيث ليس لها حقيقة.

والثالث: أنَّه لا صلاة لهم، لكنَّهم أقاموا مقامها المُكاء والتصدية.

وقال بعضُ شيوخنا: أكْثَرُ أهلِ العلم على أنَّ الصلاةَ هنا هي الطوافُ، وقد سمَّاه الرسولُ ﷺ صلاةً[4].

= المطلب بن عبد مناف، وهو صحابي، وخبره في البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٢٣، والاشتقاق لابن دريد ١/ ٨٦.

(١) تفسير القرطبي ٩/ ٤٩٨، وأخرجه عنهم الطبري ١١/ ١٦٣-١٦٥.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٢٣، وزاد المسير ٣/ ٣٥٣، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ١٦٣-١٦٤.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٠، والنكت والعيون ٢/ ٣١٥، وأخرجه عن ابن جبير وابنِ زيد الطبريُّ ١١/ ١٦٧-١٦٨.

(٤) في قوله ﷺ: «الطواف حول البيت مثلُ الصلاة إلَّا أنكم تتكلَّمون فيه، فمن تكلَّم فيه، فلا يتكلَّمنَّ إلا بخير» وهو عند الترمذي (٩٦٠) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وعند النسائي في السنن الكبرى (٣٩٣٠) عن رجلٍ أدرك النبيَّ ﷺ، و(٣٩٣١) عن ابن عباس موقوفاً.
قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١/ ١٢٩-١٣٠: واختلف في رفعه ووقفه، ورجَّح الموقوفَ النسائيُّ والبيهقيُّ وابنُ الصلاح والمنذري والنووي، . . . إلى آخر كلامه، وصحَّح رواية النسائي- الآنفة الذكر- عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ، وقال: وهي تعضد رواية عطاء بن السائب، وترجّح الرواية المرفوعة. . . . إلى آخر كلامه.

وقرأ أبان بنُ تغلب وعاصم والأعمش بخلافٍ عنهما: «صلاتَهم» بالنصب «إلّا مكاءٌ وتصديةٌ» بالرفع(١)، وخطَّأ قومٌ منهم أبو عليٍّ الفارسيُّ هذه القراءة؛ لجَعْل المعرفةِ خبراً والنكرةِ اسماً، قالوا: ولا يجوز ذلك إلّا في الضرورة، كقوله:

يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ(٢)

وخرَّجها أبو الفتح(٣) على أنَّ المُكاء والتصدية اسمُ جنسٍ، واسمُ الجنس تعريفُه وتنكيره واحدٌ. انتهى. وهو نظير قولِ مَن جَعَل «نَسْلَخ» صفة للَّيل في قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس:٣٧] و: يَسبُّني، صفة: للئيم، في قوله:

ولقد أَمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني(٤)

وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه: «إلّا مكاً» بالقَصْر منوَّناً(٥)، فمَن مَدَّ فكالثُّغاء والرُّغاء(٦)، ومَن قَصَر فكالبُكى، في لغة مَن قَصَر.

والعذاب في قوله: «فذوقوا العذاب» قيل: هو في الآخرة، وقيل: هو قَتْلهم وأَخْذ غنائمهم ببدر وأَسْرُهم. قال ابنُ عطيَّة: فيَلزم أن تكون هذه الآية الأخيرة نزلت بَعْدَ بدرٍ ولا بُدَّ، والأشبه أنَّ الكُلَّ بعد بدرٍ حكاية عن ماضٍ، وكون عذابهم بالقَتْل يوم بدر، هو قول الحسن والضحاك وابنِ جريج(٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩، والمحتسب ١/ ٢٧٨-٢٧٩.
(٢) وصدره: كأنَّ سَبِيئَةً من بيت رأس، والبيت لحسان بن ثابت، وهو في شرح ديوانه ص ٥٩، والسبيئة: الخمر، شَبَّه طعم رضابها بطعم خمر قد مُزجت بعسل وماء.
(٣) يعني: ابنَ جنّيّ، وكلامه في المحتسب ١/ ٢٧٩.
(٤) وعجزه: فمضيت ثمَّت قلت لا يعنيني، وسلف في سورة النساء، عند تفسير الآية (٩٨).
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩، ووردت فيه هكذا: مُكَأً، بالهمز، ولعله تصرُّف من المحقِّق.
(٦) الثُّغاء: صوت الشاة والمَعْز وما شاكلهما. والرُّغاء: صوت ذوات الخفّ. المختار (ثغا) و(رغا).
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٥، وقول الضحاك وابن جريج أخرجه الطبري ١١/ ١٦٩.

حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ قال مقاتل والكلبيُّ[١]: نزلت في المُطْعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشر رجلاً: أبو جهل بنُ هشام، وعُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا حجاج، وأبو البختري بنُ هشام، والنضر بنُ الحارث، وحكيم بن حزام، وأُبَيّ بنُ خَلَف، وزَمْعَة بنُ الأسود، والحارث بنُ عامر بنِ نوفل، والعبَّاس بنُ عبد المطلب، وكلُّهم مِن قريش، وكان يُطعِم كلٌّ واحد منهم كلَّ يوم عَشرَ جزائر[٢].

وقال مجاهد والسُّدِّيُّ وابنُ جبير وابنُ أبزى: نزلت في أبي سفيان بنِ حرب، استأجر يوم أُحُد أَلفين مِن الأحابيش يُقاتل بهم النبيَّ ﷺ سوى مَن استجاش مِن العرب، وفيهم يقول كعب بن مالك:

فجِئْنَا إلى موجٍ مِن البَحْرِ وَسْطَهُ أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّعُ
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نَصِيَّةٌ ثلاثُ مِئينَ إن كَثُرنا وأَرْبَعُ[٣]

وقال الحكم بن عُتَيْبَة: أنفق على الأحابيش وغيرهم أربعينَ أوقيَّة مِن ذهب[٤].

وقال الضحاك وغيره: نزلت في نفقة المشركين الخارجين إلى بدرٍ، كانوا يَنحرون يوماً عشراً مِن الإبل ويوماً تسعاً[٥]. وهذا نحوٌ مِن القول الأوَّل.

وقال ابنُ إسحاق عن رِجاله[٦]: لمَّا رَجَعَ فَلُّ[٧] قريش إلى مكَّة مِن بدرٍ، ورجع

---

(١) ونقله عنهما الثعلبي في التفسير ٣/ ١٤١، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٣٢، والبغوي ٢/ ٢٤٧.

(٢) أوردهم ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٦٦٤-٦٦٦، والواقدي في المغازي ١/ ١٤٤-١٤٥، وابن حبيب في المحبَّر ص ١٦١-١٦٢، وابن سيِّد الناس في عيون الأثر ١/ ٢٤٩-٢٥٠، مع اختلاف في عددهم وأسمائهم، تنظر ثمَّة.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٤١، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٥، والكشاف ٢/ ١٥٦، وتفسير الرازي ١٥/ ١٦٠-١٦١، والبيتان في ديوان كعب ص ١٨٢، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ١٧٠-١٧١ عن سعيد بن جبير مطوَّلاً، و١١/ ١٧٢ عن مجاهد مختصراً، وهو عند ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧، وفي النكت والعيون ٢/ ٣١٦. والنَّصِيَّة: الخيار من القوم والأشراف. اللسان (نصي)، وورد بدلها في (ز١) و(ح) و(ع): بقية.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ١٤١، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ١٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٥ وعزاه للنقاش.

(٦) سيأتي ذكرهم بعد نهاية الخبر.

(٧) قومٌ فَلٌّ: منهزمون. والجمع: فلول وأفلال. القاموس (فلل).

أبو سفيان بِعِيْره، كلَّم أبناءُ مَن أُصيب ببدر وغيرُهم أبا سفيان وتُجَّارَ العِيْر في الإعانة بالمال الذي سَلِمَ: لعلَّنا نُدرِك ثأراً لمَن أُصيب، ففعلوا، فنزلت[١]. وروي نحوه عن ابنِ شهاب، ومحمد بنِ يحيى بنِ حبَّان، وعاصم بنِ عمر بنِ قتادة، والحصين بنِ عبد الرحمن بنِ عمرو بنِ سعد بنِ معاذ[٢].

ومناسبة هذه الآية لِمَا قبلها أنَّه تعالى لمَّا ذَكَر وشَرَح أحوالَهم في الطاعات البدنيَّة ـ وهي صلاتهم ـ شَرَح حالهم في الطاعات الماليَّة، وهي إنفاقهم أموالَهم للصَّدِّ عن سبيل الله[٣].

والظاهر الإخبار عن الكفار بأنَّ إنفاقهم ليس في سبيل الله، بل سَبَبُه الصَّدُّ عن سبيل الله، فيندرج هؤلاء الذين ذُكروا في هذا العموم، وقد يكون اللفظ عامًّا والسببُ خاصًّا، والمعنى أنَّ الكفَّار يَقصدون بنفقتهم الصَّدَّ عن سبيل الله وغَلَبة المؤمنين، فلا يَقَعُ إلا عكسُ ما قَصَدوا، وهو تندُّمهم وتحسُّرهم على ذهاب أموالهم، ثم غَلَبتهم، والتمكُّن منهم أَسْراً وقَتْلاً وغُنْماً.

والعطف بـ «ثم» يقوِّي أنَّ الحسرةَ في الدنيا، وقيل: الحسرة في الآخِرة، وفي قوله: «فسينفقونها» إلى آخِره مِن الإخبار بالغيوب، لأنَّه أخبر بما يكون قَبْلَ كونه، ثم كان كما أَخبَر، والإخبار بسين الاستقبال يدلُّ على إنفاق متأخِّر عن وَقْعة أُحُد وبدر، وأنَّ ذلك إخبارٌ عن علوِّ الإسلام وغَلَبة أهله، وكذا وَقَع؛ فَتَحوا البلادَ، ودوَّخوا العبادَ، ومَلأَ الإسلامُ معظمَ أقطار الأرض، واتَّسعت هذه الملَّة اتِّساعاً لم يكن لشيء مِن المِلَل السابقة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٤١، وينظر التعليق الآتي.

(٢) هو نفس الخبر السالف الذكر، لكنَّه هنا صرَّح بأسماء من روى عنه ابنُ إسحاق، ولعلَّ المصنِّف وقع على الخبر عند الثعلبي، عن ابن إسحاق عن رجاله، ومن ثمَّ نقله عن المحرر الوجيز من قول ابن شهاب الزهري وغيره، وهما خبر واحد، والخبر في سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠-٦١، وتفسير الطبري ١١/ ١٧٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٨، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٢٤، فليحرَّر!.

(٣) ينظر تفسير الرازي ١٥/ ١٦٠.

بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ هــذا إخبار بما يَؤول إليه حالُ الكفار في الآخرة[١]؛ مِن حَشْرهم إلى جهنَّم، إذ أخبر بما آلَ إليه حالُهم في الدنيا مِن حَسْرتهم وكونهم مغلوبينَ.

ومعنى قوله: «والذين كفروا» مَن وافى[٢] على الكُفْر، وأعاد الظاهرَ؛ لأنَّ مَن أنفق مالَه مِن الكفار أسلم منهم جماعةٌ، ولام «ليميز» متعلِّقة بقوله: «يُحشرون».

والخبيث والطيِّب وصفان يَصلحان للآدميين وللمالِ، وتقدَّم ذِكْرهما في قوله: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم» فمِن المفسِّرين مَن تأوَّل الخبيث والطَّيِّب على الآدميِّين، فقال ابنُ عباس: ليميز أهلَ السعادة مِن أهل الشقاوة، ونحوَه قال[٣] السُّدِّيُّ ومقاتل، قالا: أراد المؤمنَ مِن الكافر[٤].

وتحريره: ليميز أهلَ الشقاوة مِن أهل السعادة، والكافرَ مِن المؤمن، وقدَّره الزمخشريُّ: الفريقَ الخبيثَ مِن الكفَّار مِن الفريقِ الطَّيِّب مِن المؤمنين[٥].

ومعنى جَعْلِ الخبيث بعضَه على بعضٍ ورَكْمِه: ضَمُّه وجَمْعه حتى لا يفلتَ منهم أحدٌ، واحتمل الجَعْل أن يكون مِن باب التصيير ومِن باب الإلقاء.

وقال ابنُ القشيريّ: «ليميز الله الخبيث مِن الطيِّب» بتأخير عذابِ كفَّار هذه الأمَّة[٦] إلى يوم القيامة؛ ليستخرجَ المؤمنين مِن أصلاب الكفَّار. انتهى.

فعلى ما سبق يكون التميز في الآخرة، وعلى هذا القولِ يكون في الدنيا.

ومِن المفسِّرين مَن تأوَّل الخبيثَ والطَّيِّب على الأموال، فقال ابنُ سلَّام والزجَّاج: المعنيُّ بـ«الخبيث» المال الذي أنفقه المشركون، كَمَالِ أبي سفيان وأبي جهل وغيرهما المُنفَق في عداوة رسولِ الله ﷺ والإعانة عليه في الصَّدِّ عن سبيل الله، و«الطَّيِّب» هو ما أنفقه المؤمنون في سبيل الله[٧]، كَمَالِ أبي بكر وعمر وعثمان..

(١) هنا يبدأ الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية (د١).
(٢) في (أ) و(ح) و(ع): دام.
(٣) من هنا، إلى قوله الآتي: أهل الشقاوة من، ليست في (ب).
(٤) زاد المسير ٣/ ٣٥٦، وأخرجه عن ابن عباس والسدي الطبريُّ ١١/ ١٧٥-١٧٦.
(٥) الكشاف ٢/ ١٥٧.
(٦) في (أ) و(ب): الآية.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٦، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤١٢.

ولام «ليميز» على هذا متعلِّقة بقوله: «يغلبون» قاله ابنُ عطيَّة[(١)]، وقال الزمخشريُّ: بقوله: «ثم تكون عليهم حسرة»[(٢)].

والمعنى: ليميز اللهُ الفَرْقَ بين الخبيث والطَّيِّب؛ فيخذلَ أهلَ الخبيث، وينصرَ أهلَ الطَّيِّب، ويكون قوله: «فيجعله في جهنَّم» مِن جملة ما يُعذَّبون به، كقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥] قاله الحسن[(٣)].

وقيل: «الخبيث» ما أُنفق في المعاصي، و«الطَّيِّب» ما أُنفق في الطاعات، وقيل: المال الحرام مِن المال الحلال، وقيل: ما لم تُؤَدَّ زكاته مِن الذي أُدِّيت زكاته، وقيل: هو عامٌّ في الأعمال السَّيِّئة.

وَرَكْمُها: ضمُّها[(٤)] وجَعْلُها قلائدَ في أعناق عُمَّالها في النار، ولكثرتها جُعلَ بعضُها فوق بعض.

وإن كان المعنيُّ بالخبيث الأموالَ التي أنفقوها في حرب رسولِ الله ﷺ، فقيل: الفائدة في إلقائها في النار أنَّها لمَّا كانت عزيزةً في أنفسهم عظيمةً بينهم، ألقاها اللهُ في النار ليُريَهم هَوَانَهَا، كما يُلقَى الشمسُ والقمرُ في النار ليَرى مَن عَبَدهما ذلَّهما وصَغَارَهما.

والذي يظهر مِن هذه الأقوال هو الأوَّل، وهو أن يكون المراد بالخبيث الكفَّار، وبالطَّيِّب المؤمنون، إذ الكفار أوَّلاً هم المحدَّث عنهم بقوله: «ينفقون أموالهم» وقوله: «فسينفقونها»، وبقوله: «ثم إلى جهنم يُحشرون»، وآخِراً هم المشار إليهم بقوله: «أولئك هم الخاسرون».

ولمَّا كان تقلُّب[(٥)] الإنسان في مالِه وتصرُّفه فيه يَرجو بذلك حصولَ الربح له،

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٦.
(٢) الكشاف ٢/ ١٥٧.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٦.
(٤) في (د١): وختمها.
(٥) في (أ) و(ب) و(د١) والمطبوع: تغلّب. والمثبت من (ح) و(ز١) و(يه).

أخبر تعالى أنَّ هؤلاء هم الذين خسروا في إنفاقهم، وأخفقَت صَفقَتُهم؛ حيث بَذَلَ أعزَّ ما عندَه في مقابلة عذابِ الله، ولا خسرانَ أعظمُ مِن هذا.

وتقدَّم ذِكْر الخلاف في قراءة «ليميز» في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩] ويقال: ميَّزته فتميَّز، ومِزتُه فانْمازَ، حكاه يعقوب، وفي الشَّاذِّ: «وانمازُوا اليومَ»[1] [يس:٥٩]، وأنشد أبو زيد قولَ الشاعر:

لمـا ثَـنَـى اللهُ عـنِّـي شَـرَّ غَـدْرتِـهِ[2] وانـمَـزْتُ لا مُـنْسِـأً ذُعْـراً ولا وَجِـلا

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ لـمَّا ذَكَر ما يحلُّ بهم مِن حشرهم إلى النار وجَعْلِهم فيها وخُسْرهم، تلطَّف بهم، وأنَّهم إذا انْتَهَوا عن الكفر وآمَنوا، غُفرت لهم ذنوبُهم السالفة، وليس ثمَّ ما يترتَّب على الانتهاء عنه غفران الذنوب سوى الكفرِ، فلذلك كان المعنى: إن ينتهوا عن الكفر.

واللام في «للذين» الظاهر أنَّها للتبليغ، وأنَّه أُمِرَ أن يقول لهم هذا المعنى الذي تضمَّنته ألفاظُ الجملة المحكيَّة بالقول، وسواء قاله بهذه العبارة أم غيرها، وجعل الزمخشريُّ اللامَ لامَ العلَّة، فقال: أي: قلْ لأجلهم هذا القولَ: «إن ينتهوا»، ولو كان بمعنى: خاطِبْهم به، لقيل: «إن تنتهوا يغفر لكم»، وهي قراءةُ ابنِ مسعود، ونحوه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١] خاطبوا به غيرَهم ليسمعوه[3]. انتهى.

وقرئ: «يَغْفِر» مبنيًّا للفاعل، والضمير لله عزَّ وجلَّ[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٥٢٦، وما بعده منه أيضاً، ولم نقف على القراءة عند غيره.

(٢) في المطبوع: عذرته، وفي المحرر الوجيز ٢/٥٢٦: غَدْوته. وكذا في النوادر لأبي زيد ص٢٨٥، ونسبه لمالك بن الرَّيْب المازني، وروايته عنده هكذا:

لـمَّـا ثـنـى الله عـنـي شَـرَّ غَـدْوتـه وانـمـزتُ لا مُـنْـسِـئاً ذُعْـراً ولا بَـعِـلا

وأورده أيضاً الأصفهاني في الأغاني ٢٢/٢٩٣ برواية قريبة من النوادر، إلا أن فيه: رقدت لا مُثْبَتاً، بدل: وانمزت لا مُنْسئاً. وليس فيها محلُّ الشاهد. ووقع في بعض المصادر: نبا، بدل: ثنى، وفي (د١) و(ح): رجلا، بدل: وجلا، وينظر الدر المصون ٥/٦٠٣، واللباب ٩/٥١٤.

(٣) الكشاف ٢/١٥٧، وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ٥١.

(٤) الكشاف ٢/١٥٧.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ العَوْدُ يقتضي الرجوعَ إلى شيء سابِق، ولا يكون الكفرَ؛ لأنَّهم لم يَنفصلوا عنه، فالمعنى عودُهم إلى ما أمكن انفصالهُم منه، وهو قتالُ رسولِ الله ﷺ.

وقيل: «وإن يعودوا» إلى الارتداد بعد الإسلام، وبه فسَّر أبو حنيفة «وإن يعودوا»، واحتجَّ بالآية على أنَّ المرتدَّ إذا أسلم فلا يَلزمه قضاءُ العبادات المتروكةِ في حال الرِّدَّة وقَبْلها، وأجمعوا على أنَّ الحربيَّ إذا أسلم، لم تَبْقَ عليه تَبِعةٌ، وأمَّا إذا أسلم الذِّمِّيُّ فيَلزمه قضاءُ حقوقِ الآدميين لا حقوقِ اللهِ تعالى[(١)].

والظاهر دخولُ الزِّنديق في عموم قوله: «قل للذين كفروا» فتُقبَل توبته، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعيّ، وقال مالك: لا تُقبَل[(٢)].

وقال يحيى بنُ معاذ الرازيُّ: التوحيدُ لا يَعجِز عن هَدْم ما قبله مِن كفرٍ، فلا يَعجِز عن هَدْم ما بَعْدَه مِن ذنبٍ[(٣)].

وجوابُ الشرط، قالوا: «فقد مضت سُنَّة الأوَّلين»، ولا يصحُّ ذلك على ظاهره، بل ذلك دليلٌ على الجواب، والتقدير: «وإن يعودوا» انتَقَمنا منهم وأهلكناهم «فقد مضت سُنّة الأولين» في أنَّا انتقمنا منهم وأهلكناهم بتكذيبِ أنبيائهم وكفرِهم.

ويحتمل «سُنَّة الأوَّلين» أن يُراد بها سُنَّة الذين حاقَ بهم مكرُهم يومَ بدر، وسُنَّة الذين تحزَّبوا على أنبيائهم، فدُمِّروا، فليتوقعوا مِثْلَ ذلك، وتخويفُهم بقصَّة بدرٍ أشدُّ؛ إذ هي قريبةٌ معايَنة لهم، وعليها نصّ السدّيّ وابن إسحاق[(٤)].

ويحتمل أن يُراد بقوله: «سُنَّة الأولين» مَن تقدَّم مِن أهل بدر والأممِ السالفة، والمعنى: فقد عاينتم قصَّة بدر وسَمعتم ما حلَّ بالأُمَم[(٥)].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٧، وتفسير الرازي ١٥/ ١٦٢-١٦٣، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٤٢-٨٤٣.
(٢) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٦٧-٩٦٨.
(٣) ونقله عنه الثعلبي في التفسير ٣/ ١٤٣.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٧، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ١٧٨.
(٥) في المطبوع: بهم.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرِ هذه الآية[١]، وهنا زيادة: «كلّه» توكيداً للدين.

وقرأ الأعمش: «ويكونُ» برفع النون[٢]، والجمهور بنصبها.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: «فإن انتهوا» عن الكفر، ومعنى «بصير» بإيمانهم فيجازيهم على ذلك ويُثيبهم.

وقرأ الحسن ويعقوب وسلَّام بنُ سليمان: «بما تعملون» بالتاء[٣] على الخطاب لمَن أُمِروا بالمقاتلة، أي: «بما تعملون» مِن الجهاد في سبيله، والدعاء إلى دينه، «بصير» يجازيكم عليه أحسنَ الجزاء.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ أي: مُواليكم ومُعِيْنكم، وهذا وعدٌ صريح بالظَّفر والنَّصر، والأَغْرَقُ في الفصاحة أن يكون «مولاكم» خبر «أنَّ»، ويجوز أن يكون عطفَ بيان، والجملة بعده خبر «أنَّ»، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: الله، أو: هو، والمعنى: فثِقوا بموالاته ونُصْرته.

واستُدلَّ بقوله: «وقاتلوهم» على وجوب قتالِ أصنافِ أهلِ الكفر إلَّا ما خصَّه الدليل وهم أهل الكتاب والمجوس، فإنَّهم يُقرُّون بالجزية، وأنَّه لا يُقرُّ سائرُ الكفار على دينهم بالذِّمَّة إلَّا هؤلاء الثلاثة؛ لقيام الدليلِ على جواز إقرارها بالجزية[٤].

❁ ❁ ❁

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].
(٢) القراءات الشاذة ص ٤٩.
(٣) المحرر الوجيز ٢/٥٢٨، والكشاف ٢/١٥٧.
(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٥٠.

مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى
ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ
أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ
ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ
مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ
﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ
لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا
تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟
مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ

يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ
لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ
الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ
اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ
﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾.

في المفردات

القُصُوُّ: البُعْد، والقُصْوى: تأنيث الأقصى، ومعظم أهلِ التصريف فَصَّلوا في الفُعْلى ممَّا لامُهُ واوٌ، فقالوا: إن كان اسماً أُبدلت الواو ياءً، ثم يُمثِّلون بما هو صفة، نحو: الدنيا، والعُلْيا، والقُصْيا، وإن كان صفةً أُقِرَّت نحو: الحُلْوَى، تأنيث: الأحلَى، ولهذا قالوا: شَذَّ القُصْوى - بالواو - وهي لغةُ الحجاز، والقُصْيا لغةُ تميم.

وذهب بعضُ النحوِّيين إلى أنَّه إن كان اسماً أُقرَّت الواو، نحو: حُزْوَى[١]، وإن كان صفةً أُبدلت، نحو: الدُّنيا والعُلْيا، وشَذَّ إقرارها، نحو: الحُلْوَى، ونصَّ على ندورِ القُصْوى ابنُ السِّكِّيت[٢].

---

(١) موضع بنجد في ديار تميم، وقيل غير ذلك. ينظر معجم البلدان ٢/ ٢٥٥ (حزوى).
(٢) إصلاح المنطق ص ١٥٧.

وقال الزمخشريُّ: فأمَّا القُصْوى فكالقَوَد في مَجيئه على الأصل، وقد جاء القُصْيا، إلَّا أن استعمالَ القُصوى أكثرُ، كما كَثُرَ استعمال: اسْتَصْوَبَ، مع مَجيء: اسْتَصَاب، وأَغْيَلَت مع أَغَالَت[١]. والترجيح بين المذهبين مذكورٌ في النحو.

البَطَر: قال الهَرَويُّ: الطُّغيان عند النِّعمة. وقال ابنُ الأعرابيّ: سوءُ احتمال الغنى. وقال الأصمعيُّ: الحِيرة عند الحقِّ، فلا يَرَاه حقًّا[٢]. وقال الزجَّاج: يتكبَّر عند الحقِّ فلا يَقبَلُه. وقال الكسائيُّ: مأخوذ مِن قول العرب: ذَهَبَ دَمُهُ بِطَراً، أي: باطلاً. وقال ابنُ عطيَّة: البَطَر: الأَشَر، وغَمْط النِّعمة، والشُّغْل بالمَرَح فيها عن شُكْرها[٣].

نَكَصَ، قال النَّضر بنُ شُمَيْل: رَجَعَ القَهْقَرى هارباً[٤]. وقال غيره: هذا أصلُهُ، ثم استُعمِل في الرجوع مِن حيث جاء. وقال الشاعرُ:

هم يَضربونَ حَبِيكَ البَيْضِ إذ لَحِقُوا ... لا يَنْكصون إذا ما استُلْحِموا لَحمُوا[٥]

ويقال: أراد أمراً ثم نَكَصَ عنه. وقال تأبَّط شَرًّا:

ليس النكوصُ على الأدبار مَكْرُمَةً ... إنَّ المكارمَ إقدامٌ على الأَسَلِ

ليس[٦] هنا قَهْقَرى بل هو فرار، وقال مؤرِّج: نَكَصَ: رَجَعَ، بلغة سُلَيم[٧].

شَرِّد: فرِّق وطرِّد، والمُشَرَّد[٨]: المُفرَّق المُبعَّد، وأمَّا شَرِّذ ـ بالذال ـ فسيأتي إن شاء الله تعالى عند ذِكْر قراءة مَن قرأ بالذال.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٩، وأغالت المرأةُ ولدَها وأغيلت: إذا سقته الغَيْل، وهو اللبن. مختار الصحاح (غيل).

(٢) ينظر تهذيب اللغة والصحاح (بطر).

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٧.

(٤) ونقله عنه البغوي في التفسير ٢/ ٢٥٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٨، وما بعده منه أيضاً، والبيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص١٥٩، وفيه: لا ينكلون، بدل: لا ينكصون. وأشار محقِّقه إلى هذه الرواية بالهامش. وحَبيك البَيْض: طرائقه، واحدها: حَبِيكة. واستلحموا: أُدرِكوا. وحَمُوا: غضبوا.

(٦) بعدها في (ح) و(ع): النكوص.

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٨، والبيت أورده أيضاً القرطبي في التفسير ٩/ ٤٣. والأَسَل: الرماح والنبل. تهذيب اللغة ١٣/ ٧٥.

(٨) في (ب): الشرد. وفي المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٢: والشريد: المُبْعد عن وطنٍ أو نحوه.

التحريْضُ: المبالغة في الحَثِّ، وحرَّكَهُ[١] وحرَّشه وحرَّضه بمعنًى.

وقال الزمخشريُّ: من الحَرَض، وهو أن يَنْهَكه المَرَضُ ويتبالغَ فيه حتى يُشْفيَ على الموت، أو أَنْ تُسَمّيه حَرَضاً وتقول له: ما أراك إلَّا حَرَضاً في هذا الأمر ومُمرَّضاً فيه، لتهيِّجَه ويحرّك منه[٢].

وقالت فرقة: المعنى: حرِّض على القتال حتى يتبيَّن لكَ فيمَن تَركه أنَّه حارِض. قال النقَّاش: وهذا قولٌ غيرُ ملتئم ولا لازم مِن اللفظ، ونحا إليه الزجَّاج، والحارضُ الذي هو القريبُ مِن الهلاك، لفظةٌ مباينة لهذه ليست منها في شيء[٣].

أثْخَنَتْهُ الجراحات: أَثْبَتَتْهُ حتى تثقلَ عليه الحركةُ، وأثْخَنَه المَرَضُ: أَثْقَلَه، مِن الثّخانة التي هي الغِلَظ والكثافة، والإثْخان: المبالغة في القَتْل والجراحات[٤].

* * *

التفسير ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ قال ابن الكلبيّ: نزلت ببدر، وقال الواقديُّ: كان الخُمْس في غزوة بني قَيْنُقاع بَعْدَ بدر بشهرٍ وثلاثة أيام للنصفِ مِن شوَّال على رأسِ عشرين شهراً مِن الهجرة[٥].

---

(١) في (ب): والحركة.

(٢) الكشاف ٢/ ١٦٧.

(٣) من قوله: وقالت فرقة... إلى هنا، كذا في النسخ، والعبارة من المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩-٥٥٠ إلا أنها وردت فيه هكذا: قوله: «حرض» معناه: حثهم وحضهم، قال النقاش: وقرئت: «حرّص» بالصاد غير منقوطة، والمعنى متقارب. والحارض الذي هو القريب من الهلاك لفظةٌ مباينة لهذه ليست منها في شيء، وقالت فرقة من المفسِّرين: المعنى: حرّض على القتال حتى يبين لك فيمن تركه أنه حرض. قال القاضي أبو محمد: وهذا قول غير ملتئم ولا لازم من اللفظ، ونحا إليه الزجاج. اهـ. فالعبارة فيها تقديم وتأخير واضطراب، فلتحرَّر! وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٤) ينظر الكشاف ٢/ ١٦٨، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٥٢.

(٥) الكشاف ٢/ ١٥٩، ونقله عنه الرازي في التفسير ١٥/ ١٦٦، وينظر المغازي للواقدي ١/ ١٧٦-١٨٠.

ومناسبة هذه الآية لِمَا قَبْلَها أنَّه لمَّا أَمَرَ تعالى بقتال الكفَّار حتى لا تكونَ فتنة، اقتضى ذلك وقائعَ وحروباً، فذَكَر بعضَ أحكام الغنائم، وكان في ذلك تبشيرٌ للمؤمنين بغَلَبتهم للكفار وقَسْم ما تحصَّل منهم مِن الغنائم[١].

والخطاب في «واعلموا» للمؤمنين، والغنيمةُ عُرفاً: ما يَناله المسلمون مِن العدوِّ بسَعْي، وأصله: الفوز بالشيء، يقال: غَنِم غُنْماً، قال الشاعر:

وقــد طَــوَّفــتُ فــي الآفــاقِ حــتــى رضيــتُ مِــن الــغــنــيــمــة بــالإيــابِ

وقال الآخر:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ أنَّى تَوجَّه والمَحْرومُ مَحْرُومُ[٢]

والغنيمة والفيء هل هما مترادفان أو متباينان؛ قولان، وسيأتي ذلك عند ذِكْر الفيء إن شاء الله تعالى.

والظاهر أنَّ ما غُنِمَ يُخمَّس كائناً ما كان، فيكون خمسه لمَن ذَكَرَ اللهُ، فأمَّا قوله: «فأنَّ لله خمسه» فالظاهر أنَّ ما نُسبَ إلى الله يُصرَف في الطاعات، كالصدقة على فقراء المسلمين، وعمارة الكعبة، ونحوهما. وقال بذلك فرقةٌ، وأنَّه كان الخمسُ يُقسَم على ستَّة، فما نُسبَ إلى الله قُسمَ على مَن ذكرنا.

وقال أبو العالية: سهمُ اللهِ يُصرَف إلى رِتَاج الكعبة، وعنه: كان رسولُ الله ﷺ يَأخُذ الخمسَ فيَضرب بيده فيه، فيَأخذ منه قبضةً فيَجعلها للكعبة، وهو سهمُ الله تعالى، ثم يَقسِم ما بقي على خمسةٍ. وقيل: سهم الله تعالى لبيتِ المال[٣].

وقال ابنُ عباس والحسن والنخعيُّ وقتادة والشافعيُّ: قوله: «فأنَّ لله خمسه» استفتاحُ كلام، كما يقول الرجل لعبده: أعتقكَ اللهُ، وأَعْتَقْتُكَ، على جهة التبرُّك

(١) تفسير الرازي ١٥/ ١٦٤بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥٢٨، والبيت الأول لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٩٩، والبيت الثاني لعلقمة الفَحْل، وهو في ديوانه ص ٦٦، ومعنى البيت: من كُتب له رزق وغُنم، أُطعمه أينما توجَّه، ومَن كُتب له الحرمان وقُدِّر عليه حُرِم.

(٣) الكشاف ٢/١٥٩، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وتفسير القرطبي ١٠/١٩، وقول أبي العالية أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٧٣)، وأبو عبيد في الأموال (٨٣٦)، وابن زنجويه في الأموال (٧١) و(١٢٢٧)، وأبو داود في المراسيل (٣٧٤)، والطبري ١١/ ١٨٩-١٩٠.

وتَفْخيم الأمر، والدنيا كلُّها لله، وقِسْمُ اللهِ وقِسْمُ الرسولِ واحدٌ، وكان الرسول ﷺ يَقْسِم الخمسَ على خمسة أقسام(١).

وهذا القول هو الذي أورده الزمخشريُّ احتمالاً، فقال: يَحتمل أن يكون معنى «لله وللرسول» كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وأن يُراد بقوله: «فأنَّ لله خُمسه» أي: مِن حقِّ الخُمس أن يكون متقرَّباً إليه لا غير، ثم خصَّ مِن وجوه القُرَب هذه الخمسةَ؛ تفضيلاً لها على غيرِها، كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(٢) [البقرة: ٩٨].

والظاهر أنَّ للرسول عليه الصلاة والسلام سهماً مِن الخُمس، وقال ابنُ عباس فيما روى الطبريُّ: ليس لله ولا للرسولِ شيء، وسَهمه لقرابته يُقسَم الخمس على أربعة أقسام.

وقالت فرقة: هو مَردود على الأربعة الأخماس.

وقال عليٌّ: يلي الإمامُ سهمَ اللهِ ورسولِه(٣).

والظاهر أنَّه ليس له عليه السلام غير سهم واحد مِن الغنيمة، وقال ابنُ عطيَّة: كان مخصوصاً عليه الصلاة والسلام مِن الغنيمة بثلاثة أشياء؛ كان له خُمْسُ الخُمُس، وكان له سهمُ رجلٍ في سائر الأربعة الأخماس، وكان له صَفِيٌّ يَأخذه قَبْلَ قَسْمِ الغنيمة؛ دابَّة أو سيف أو جارية، ولا صَفِيَّ بعده لأحدٍ بالإجماع إلَّا ما قاله أبو ثور مِن أنَّ الصَّفِيَّ بعده إلى الإمام، وهو قولٌ معدود في شواذِّ الأقوال(٤). انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، والآثار أخرجها الطبري ١١/ ١٨٧-١٨٩.
(٢) الكشاف ٢/ ١٥٩.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وقول ابن عباس عند الطبري ١١/ ١٩٠-١٩١، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في الأموال (٣٧) و(٨٣٥)، وابن زنجويه في الأموال (٧٧) و(١٢٢٥)، وقول عليٍّ أورده الثعلبي في التفسير ٣/ ١٤٥.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وينظر الاستذكار ١٤/ ١٩٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٤٨، قال ابن المنذر في الأوسط ١١/ ٩٦: ولا أعلم أحداً وافق أبا ثور على ما قال.

وقالت فرقة: لم يُورَث الرسولُ ﷺ، فسَقَطَ سهمُه[(١)].

وقيل: سهمُه موقوف على قَرابته عليه الصلاة والسلام، وقد بَعَثه إليهم عمرُ بنُ عبد العزيز[(٢)].

وقالت فرقة: هو لقرابةِ القائم بالأَمْرِ بَعْدَه[(٣)].

وقال الحسن وقتادة: كان للرسول ﷺ في حياته، فلمَّا توفِّي جُعِلَ لوليِّ الأمر مِن بعده[(٤)]. انتهى.

وذوو القُرْبى: معناه: قُرْبى رسولِ الله ﷺ، والظاهرُ عمومُ قُرْباه، فقالت فرقة: قريش كلُّها بأَسْرِها ذوو قُرْبى[(٥)].

وقال أبو حنيفة والشافعيُّ: هم بنو هاشم وبنو المطلب استحقُّوه بالنُّصْرة والمُظاهرة دون بني عبد شمس وبني نوفل[(٦)].

وقال عليُّ بنُ الحسين وعبد الله بنُ الحسن وابنُ عباس: هم بنو هاشم فقط. قال مجاهد: كان آلُ محمَّد لا تَحلُّ لهم الصدقة، فجُعِلَ لهم خُمْسُ الخُمُسِ. قال ابنُ عباس: ولكن أَبَى ذلك علينا قومُنا، وقالوا: قريش كلُّها قربى[(٧)].

والظاهر بقاءُ هذا السهم لذوي القُربى وأنَّه لغنيِّهم وفقيرهم، وقال ابنُ عباس: كان على ستَّة؛ لله وللرَّسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبضَ، فأجرى

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وعزاه لأصحاب الرأي، وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٦٢، والاستذكار ١٤/ ١٨٦.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، وفيه أن عمر بن عبد العزيز بعثه إلى بني هاشم وبني المطلب فقط، وأورد الخبرَ ابنُ عبد البَرِّ في الاستذكار ١٤/ ١٨٧، وعنده أن عمر بن عبد العزيز يذهب إلى أن ذوي القربى بنو هاشم فقط، وكذا أورده ابنُ المنذر في الأوسط ١١/ ١٠١، وابن حجر في فتح الباري ٦/ ٢٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٤٥.

(٤) ينظر التعليق السابق، وقول قتادة أخرجه الطبري ١١/ ١٩٥.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٤٥.

(٦) الكشاف ٢/ ١٥٨، وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٦٣-٦٤.

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠، وقول علي بن الحسين وابن عباس أخرجه عنهما الطبري ١١/ ١٩٣-١٩٤، وأخرجه عن ابن عباس أيضاً أحمد (٢٨١١)، ومسلم (١٨١٢).

أبو بكر الخمسَ على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومَن بعده مِن الخلفاء، وروي أنَّ أبا بكر مَنَعَ بني هاشم الخمسَ، وقال: إنَّما لكم أن يُعطى فقيركم، ويُزوَّج أيِّمكم، ويُخدَم مَن لا خادم له منكم، وأمَّا الغنيُّ منكم فهو بمنزلة ابنِ السبيل الغنيِّ لا يُعطى مِن الصدقة شيئاً، ولا يتيم مُوسِرٌ. وعن زيد بنِ عليٍّ: ليس لنا أن نبنيَ منه قُصوراً ولا أن نركبَ منه البراذين. وقال قوم: سهم ذوي القُربى لقَرابة الخليفة[١].

والظاهر أنَّ اليتامى والمساكينَ وابنَ السَّبيل عامٌّ في يتامى المسلمين ومساكينهم وابنِ السَّبيل منهم. وقيل: الخمسُ كلُّه للقَرابة.

وقيل لعليٍّ: إنَّ الله تعالى قال: «واليتامى والمساكين»؟ فقال: أيتامنا ومساكيننا[٢]. وروي عن عليِّ بنِ الحسين وعبد الله بنِ محمد بنِ عليٍّ أنَّهما قالا: الآية كلُّها في قريش ومساكينها[٣].

وظاهر العطف يقتضي التشريكَ، فلا يُحرَم أحدٌ، قاله الشافعيُّ، قال: وللإمام أن يُفضِّل أهلَ الحاجةِ لكن لا يَحرِم صنفاً منهم. وقال مالك: للإمام أن يُعطيَ الأحوجَ ويَحرم غيرَه مِن الأصناف[٤].

ولم تتعرَّض الآية لمَن تُصرَف الأربعة الأخماس، والظاهر أنَّه لا يُقسَم لمَن لم يَغنم، فلو لَحِقَ مَدَدٌ للغانمين قَبْلَ حَوْزِ الغنيمة لدار الإسلام، فعند أبي حنيفة: هم شركاؤهم فيها، وقال مالك والثوريُّ والأوزاعيُّ والليث والشافعيُّ: لا يُشاركونهم[٥].

والظاهر أنَّ مَن غنمَ شيئاً، خُمِّس ما غنم إذا كان وَحْدَهُ ولم يَأذن الإمام، وبه قال الثوريُّ والشافعيُّ. وقال أصحاب أبي حنيفة: هو له خاصَّة ولا يُخمَّس،

(١) الكشاف ٢/ ١٥٩، وينظر تفسير النيسابوري ١٠/ ٦.
(٢) أخرجه الطبري ١١/ ١٩٩.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠-٥٣١، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٥، والقرطبي ١٠/ ١٩.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٠.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٥٦، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٥٢، والأوسط لابن المنذر ١١/ ١٤٨-١٤٩، ومختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣/ ٤٦٠-٤٦٢.

وعن بعضهم: فيه تفصيل[١]. وقال الأوزاعيُّ: إن شاء الإمام عاقبه وحَرَمه، وإن شاء خمّس والباقي له[٢].

والظاهر أنَّ قوله: «غنمتم» خطاب للمؤمنين، فلا يُسهَم لكافر حَضَر بإذن الإمام وقَاتَل، ويَندرج في الخطاب العبيدُ المسلمون فما يخصُّهم لساداتهم. وقال الثوريُّ والأوزاعيُّ: إذا استُعين بأهلِ الذمة يُسهَم لهم. وقال أشهب: إذا خرج العبدُ[٣] والذميُّ مِن الجيش وغَنِما، فالغنيمة للجيش دونَهم[٤].

والظاهر أنَّ قوله: «أنَّما غنمتم مِن شيء فأنَّ لله خمسَه» عامٌّ في كلِّ ما يُغنَم مِن حيوانٍ ومتاع ومعدِنٍ وأرض وغير ذلك، فيخمَّس جميع ذلك، وبه قال الشافعيُّ، إلَّا الرِّجال البالغين، فقال: الإمام فيهم مخيَّرٌ بين أن يَمنَّ أو يَقتل أو يَسبي، ومَن سُبيَ منهم فسبيلُه سبيل الغنيمة. وقال مالك: إن رأى الإمامُ قسمةَ الأرض، كان صواباً، أو إن أدَّاه الاجتهاد إلى أن لا يقسِمها، لم يَقسِمْها[٥].

والظاهر أنَّه لا يُخرج مِن الغنيمة غير الخمس، فسَلَبُ المقتولِ غنيمةٌ لا يختصُّ به القاتل إلَّا أن يجعل له الأميرُ ذلك على قَتْله، وبه قال مالك وأبو حنيفة والثوريُّ. وقال الأوزاعيُّ والليث والشافعيُّ وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد والطبريُّ وابنُ المنذر: السَّلَب للقاتل. قال ابنُ سُرَيج: وأجمعوا على أنَّ مَن قَتل أسيراً أو امرأةً أو شيخاً، أو ذفَّف على جريح، أو قَتَل مَن قُطعت يداه ورجله[٦]، أو مُنهزِماً لا يمنع بانهزامه، كالمكتوف = ليس له سَلَبُ واحدٍ مِن هؤلاء، والخلاف هل مِن شرطه أن يكون القاتلُ مُقبِلاً على المقتول، وفي معركة، أم ليس ذلك مِن شرطه[٧]؟

(١) بعدها في (ب) كلمة غير واضحة، ولعلها: وتفريق. والكلام من أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٥٥، وفيه تفصيل عن محمد وأبي يوسف في المسألة، وينظر الأوسط لابن المنذر ٣/ ١٨٦-١٨٧، ومختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٥٥، ومختصر اختلاف العلماء ٣/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٣) في المطبوع: المقيد.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٨٥٣-٨٥٤، وينظر الأوسط ١١/ ١٧٩-١٨١ و١٨٥-١٨٦.

(٥) التمهيد ٦/ ٤٥٨-٤٥٩ بنحوه.

(٦) كذا في النسخ، والذي في التمهيد ٢٣/ ٢٥١، والكلام منه: ورجلاه.

(٧) التمهيد ٢٣/ ٢٤٧-٢٥١، وتفسير القرطبي ٩/ ١١-١٢ ـ وغالبُ نَقْلِ الأحكام السالفة منه ـ =

ودلائل هذه المسائل مستوفاة في كتب الفقهِ وفي كتب مسائل الخلاف، وفي كتب أحكام القرآن.

والظاهر أنَّ «ما» موصولة بمعنى «الذي»، وهي اسم «أنَّ» وكتبت «أنَّ» متصلة بـ «ما»، وكان القياس أن تُكتب مفصولةً، كما كتبوا ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام:١٣٤] مفصولةً، وخبر «أنَّ» هو قوله: «فأنَّ لله خمسه»، (١و«أنَّ لله» في موضع رفع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: فالحكم أنَّ لله خُمُسَه١)، ودخلت الفاء في هذه الجملة الواقعة خبراً لـ «أنَّ»، كما دخلت في خبر «إنَّ» في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠] وقال الزمخشريُّ: «فأنَّ لله» مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: حقٌّ، أو: فواجبٌ أنَّ للهِ خمسَه[٢]. انتهى.

وهذا التقدير الثاني الذي هو: أو: فواجب أنَّ لله خمسه. تكون «أنَّ» ومعمولاها في موضع مبتدأ، خبره محذوف، وهو قوله: فواجب، وأجاز الفرَّاء[٣] أن تكون «ما» شرطيَّة منصوبة بـ «غنمتم»، واسم «أنَّ» ضمير الشأن محذوف، تقديره: أنَّه، وحَذْفُ هذا الضمير مع «أنَّ» المشدَّدة مخصوصٌ عند سيبويه بالشِّعْر[٤].

وروى الجعفيُّ، عن هارون، عن أبي عمرو: «فإنَّ لله» بكسر الهمزة، وحكاها ابنُ عطيَّة، عن الجعفيِّ، عن أبي بكر، عن عاصم[٥]، ويقوِّي هذه القراءة قراءةُ النخعيِّ «فللّه خمسُه»[٦].

= وقول ابن المنذر في الأوسط ١١/ ١١٠، وابن سريج هو: أبو العباس أحمد بن عمر البغدادي، الباز الأشهب، كان يُفضَّل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني، له مصنفات كثيرة، منها: الرَّدّ على ابن داود في القياس وغيره. (توفي سنة ٣٠٦هـ). طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٧-٣٩، ومعنى: ذفَّف على جريح: أجهز عليه. القاموس (ذفف).

(١-١) ليست في (أ) و(ح) و(ع).

(٢) الكشاف ٢/ ١٥٨.

(٣) معاني القرآن له ١/ ٤١١.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، وينظر الكتاب ٣/ ٧١-٧٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩.

(٦) ينظر المصدران السابقان.

وقرأ الحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو: «خُمْسَه» بسكون الميم[١].

وقرأ الجعفيُّ[٢]: «خِمْسَهُ» بكسر الخاء على الإتباع، يعني: إتباع حركة الخاء لحركة ما قَبْلها، كقراءة مَن قرأ «والسماءِ ذاتِ الحِبُك»[الذاريات:٧] بكسر الحاء إتباعاً لحركة التاء[٣]، ولم يعتدَّ بالساكن[٤]؛ لأنَّه ساكنٌ غيرُ حصين.

وانظر إلى حُسْنِ هذا التركيب؛ كيف أفرد كينونة الخمس لله، وفَصَلَ بين اسمِه تعالى وبين المعاطيف بقوله: «خمسه»، ليَظهر استبدادُه تعالى بكينونةِ الخمسِ له، ثم أشرك المعاطيف مَعَه على سبيل التبعيَّة له، ولم يأتِ التركيب: فأنَّ للهِ وللرسول ولذي القُربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل خُمُسَه، وجوابُ الشرط محذوف، أي: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنَّ الخُمسَ مِن الغنيمة يجب التقرُّب به، ولا يُراد مجرَّد العلم، بل العلم والعمل بمقتضاه، ولذلك قدَّره بعضهم: إن كنتم آمنتم بالله فاقْبَلوا ما أُمرتم به في الغنائم.

وأَبْعَدَ مَن ذهب إلى أنَّ الشرطَ متعلِّق معناه بقوله: «نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصير»، والتقدير: فاعلموا أنَّ اللهَ مولاكم[٥]، «وما أنزلنا» معطوف على «بالله».

ويوم الفرقان: يومُ بدر بلا خلافٍ، فرقَ فيه بين الحقِّ والباطل، والجمعان: جَمْعُ المؤمنين وجَمْعُ الكافرين، قُتلَ فيها صناديدُ قريش، نصَّ عليه ابنُ عباس ومجاهد ومِقْسَم والحسن وقتادة، وكانت يومَ الجمعة سابعَ عشر رمضان في السنة الثانية مِن الهجرة، هذا قول الجمهور. وقال أبو صالح: لتسعة عشر يوماً[٦].

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، والكشاف ٢/ ١٥٨، وزاد المسير ٣/ ٣٥٨.
(٢) في (أ) و(ح) و(د١) و(ع) والمطبوع: النخعي. وينظر الدر المصون ٥/ ٦٠٧، واللباب ٩/ ٥١٨.
(٣) وهي قراءة أبي مالك الغفاري، وقراءته في المحتسب ٢/ ٢٨٦، وستأتي.
(٤) أي: بلام التعريف. الدر المصون ٥/ ٦٠٧.
(٥) ذكره الزجاج عن فرقة، كما في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، والآثار أخرجها عنهم الطبري ١١/ ٢٠٠-٢٠٣، وقول أبي صالح - وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث - أخرجه أيضاً الطبري ١١/ ٢٠١ بإسناده عنه، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير. وينظر عيون الأثر ١/ ٢٤١.

والمنزّل: الآياتُ والملائكةُ والنَّصر، وختَم بصفة القدرة؛ لأنَّه تعالى أدالَ[١] المؤمنين على قلَّتهم على الكافرين على كثرتهم ذلك اليومَ.

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «على عُبُدِنا» بضمَّتين[٢]، كقراءة مَن قرأ«وعُبُد الطاغوت» [المائدة: ٦٠] بضمَّتين[٣]، فعلى «عَبْدنا» هو الرَّسولُ ﷺ، وعلى «عُبُدنا» هو الرسولُ ومَن معه مِن المؤمنين.

وانتصاب «يوم الفرقان» على أنَّه ظرفٌ معمول لقوله: «وما أنزلنا». وقال الزجَّاج: ويحتمل أن ينتصبَ بـ «غنمتم» أي: إنَّ ما غنمتم يومَ الفرقان يومَ التقى الجمعان فأنَّ خمسَه لكذا وكذا، إنْ كنتم آمنتم بالله، أي: فانقادوا لذلك وسَلِّموا[٤]. قال ابنُ عطيَّة: وهذا تأويل حَسَن في المعنى، ويعترض فيه الفَصْل بين الظرف وبين ما تعلَّق به بهذه الجملة الكثيرة مِن الكلام[٥]. انتهى.

ولا يجوز ما قالهُ الزجَّاج؛ لأنَّه إن كانت «ما» شرطيَّة ـ على تخريج الفرَّاء ـ لزمَ فيه الفَصْل بين فِعْلِ الشَّرْط ومعمولِه بجملةِ الجزاء ومتعلَّقاتها، وإن كانت موصولةً فلا يجوز الفَصْل بين فِعْل الصِّلَة ومعمولِه بخبر «أنَّ».

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ﴾ العُدْوة: شَطُّ الوادي، ويسمَّى: شفيراً، وضَفَّةً[٦]، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها عَدَتْ ما في الوادي مِن ماءٍ أن يتجاوزه، أي: مَنَعَتْهُ، وقال الشاعر:

عَدَتْني عن زيارتها العَوَادي وحالت دُونها حَرْبٌ زَبُونُ[٧]

---

(١) أدال فلاناً وغيرَه على فلان أو منه: نَصَره وغَلَّبه عليه وأظفره به. المعجم الوسيط (دال).
(٢) الكشاف ٢/ ١٥٩، والقراءات الشاذة ص٥٠ دون نسبة.
(٣) وهي قراءة ابن عباس في رواية ومجاهد وابن وثاب وغيرهم، وسلفت في تفسير سورة المائدة، عند تفسير الآية (٦٠).
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١٦.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣١-٥٣٢.
(٦) في (أ) و(ب): وصفة. وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، والبيت أورده القالي في الأمالي ١/ ١٢ ولم ينسبه، ونسبه البكريُّ في شرح الأمالي ١/ ٥٨، للنابغة الذبياني، والقصيدة في ديوان النابغة الذبياني ص١٢٦ دون ذكر البيت. وعَدَتني: صَرَفَتْني. والعوادي: الصوارف. والزَّبُون من النوق: التي تَرْمَح عند =

ويسمَّى الفضاءُ المساير للوادي: عِدْوة؛ للمجاورَة[١].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «بالعِدْوة» بكسر العين فيهما، وباقي السبعة بالضَّمِّ[٢]، والحسن وقتادة وزيد بنُ عليٍّ وعمرو بنُ عبيد بالفتح[٣]، وأنكر أبو عمرو الضَّمَّ.

وقال الأخفش: لم يسمع مِن العرب إلَّا الكسرُ. وقال أبو عبيد: الضَّمُّ أكثرُهما. وقال اليزيديُّ: الكَسْر لغةُ الحجاز. انتهى. فيحتمل أن تكون الثلاثُ لُغًى، ويحتمل أن يكون الفتحُ مصدراً سُمِّي به، وروي بالكسر والضَّمِّ بيتُ أوس:

وفارسٍ لم يَحُلَّ اليوم عُدْوَتَهُ وَلَّوْا سِراعاً وما هَمُّوا بإقْبالِ[٤]

وقُرئ: «بالعِدْيَة» بقلب الواو ياءً لكسرة العين[٥]، ولم يعتدُّوا بالسَّاكن؛ لأنَّه حاجزٌ غيرُ حصين، كما فعلوا ذلك في صِبْيَةٍ وقِنْيَة، ودِنْياً مِن قولهم: هو ابنُ عمِّي دِنْياً، والأصل في هذا التصحيح كالصِّفْوة والذِّرْوَة والرِّبوة.

وفي حرف ابنِ مسعود: «بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى» ووادي بدر آخِذٌ بين الشَّرْق والقِبْلة، منحرفٌ إلى البحر الذي هو قريب مِن ذلك الصُّقْع، والمدينة مِن الوادي مِن موضع الوقعة منه في الشرق، وبينهما مَرْحلتان[٦].

= الحلب. أي: حرب شديدة صعبة. وورد في (ع) و(يه): زيون، بدل: زبون، وورد في مطبوع البحر: وقالت، بدل: وحالت.

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، والقراءة في السبعة ص ٣٠٦، والتيسير ص ١١٦، وقرأ بها أيضاً يعقوب من العشرة، النشر ٢/ ٢٧٦.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٠، والمحتسب ١/ ٢٨٠.

(٤) ديوان أوس بن حجر ص ١٠٤، وفيه: لا يحل الحي، بدل: لم يحل اليوم. ومعناه: هو عزيز الجانب يهابه الناس.

(٥) الكشاف ٢/ ١٥٩، ونقلها عنه الرازي في التفسير ١٥/ ١٦٧، وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٤٦ وضُبطت فيه بالشَّكْل بضمِّ العين.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، ولم نقف على القراءة عند غيره. والمَرْحلة، واحدة: المراحل، وهو المَنْزِل بين المَنْزِلين. تاج العروس (رحل).

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «القُصْيا»[1]، وقد ذكرنا أنَّه القياس، وذلك لغةُ تميم، والأحسن أن يكون «وهم» و«الرَّكْب» معطوفان على «أنتم»، فهي مبتدآتٌ؛ تَقْسيمٌ لحالهم وحالَي أعدائهم. ويَحتمل أن تكون الوَاوَانِ فيهما وَاوَي الحال، و«أسفل» ظرف في موضع الخبر.

وقرأ زيدُ بنُ عليّ: «أسفلُ» بالرفع[2]، اتّسع في الظَّرْف فجعله نفسَ المبتدأ مجازاً.

و«الرَّكْب»: هم الأربعونَ الذين كانوا يَقودون العِيْرَ عِيْرَ أبي سفيان.

وقيل: الإبل التي كانت تحمل أزوادَ الكفار وأمتعتهم كانت في موضع يَأمنون عليها.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما فائدةُ هذا التوقيتِ وذِكْرِ مراكز الفريقين وأنَّ العِيْرَ كانت أسفلَ منهم؟

قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالَّة على قوَّة شأن العدوِّ وشَوْكتِه وتكامل عُدَّته، وتمهُّد أسباب الغَلَبة له، وضَعْف شأن المسلمين، والْتِيَاثِ[3] أمرهم، وأنَّ غلبتهم في مِثْل هذه الحال ليست إلَّا صُنْعاً مِن الله تعالى، ودليلٌ على أنَّ ذلك أَمْرٌ لم يتيسَّر إلَّا بحَوْله تعالى وقوَّته وبَاهِر قدرته، وذلك أنَّ العُدوة القُصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماءُ وكانت أرضاً لابأسَ بها، ولا ماءَ بالعُدوة الدنيا وهي خَبَار[4] تَسوخ فيها الأرجلُ، ولا يُمشَى فيها إلَّا بتعب ومشقَّة، وكانت العِيْر وراءَ ظهور العدوِّ مع كثرة عُدَدهم، وكانت الحمايةُ دونَها تُضاعِف حَمِيَّتهم، وتَشْحَذُ في المقاتلة عنها نيَّاتهم، ولهذا كانت العربُ تَخرج إلى الحرب بظُعْنهم[5] وأموالهم

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٨، والكشاف ٢/ ١٥٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٥.
(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٤٦، وللفراء ١/ ٤١١، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٨، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٣١٥-٣١٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٦.
(٣) في المطبوع: وشتات. والالتياث: الاختلاط والالتباس وصعوبة الأمر وشدَّته. التاج (لوث).
(٤) هي الأرض الرخوة ذات الجِحَرَة. الصحاح (خبر).
(٥) الظَّعِيْنة: الهودج، كانت فيه امرأةٌ أو لم تكن، والجمع: ظُعْن، وظُعُن، وظعائن، وأظعان. مختار الصحاح (ظعن).

ليَبعثهم الذَّبُّ عن الحَرم[١] والغَيْرة على الحُرم على بَذْلِ تجهيزاتهم[٢] في القتال، وأن لا يَتركوا وراءَهم ما يُحدِّثون أنفسَهم بالانحياز إليه، فيَجمع ذلك قلوبَهم ويَضبط هِمَمَهم ويوطِّن نفوسهم على أن لا يَبرحوا مواطنهم[٣]، ولا يُخلُّوا مراكزَهم، ويَبذلوا منتهى نَجْدَتهم وقصارى شدَّتهم، وفيه تصويرُ ما دبَّر سبحانه مِن أَمْرِ وقعة بدر[٤]. انتهى. وهو كلامٌ حَسَن.

وقال ابنُ عطيَّة: كان الرَّكْبُ ومُدبِّر أَمْرِه أبو سفيان قد نَكَّب عن بدرٍ حين نَذِر بالنبيِّ ﷺ وأخَذَ سِيْفَ البحر، فهو أسفلُ بالإضافة إلى أعلى الوادي مِن حيث يأتي[٥].

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ كان الالتقاءُ على غيرِ ميعاد، قال مجاهد: أقبل أبو سفيان وأصحابُه مِن الشام تُجّاراً لم يَشعروا بأصحاب بدرٍ، ولم يَشعر أصحابُ محمَّد ﷺ بكفَّار قريش، ولا كفَّارُ قريش بمحمَّد ﷺ وأصحابِه، حتى الْتَقوا على ماءِ بدرٍ للسَّقْي[٦] كلُّهم، فاقتتلوا، فغَلَبهم أصحابُ محمَّد ﷺ فأَسروهم[٧].

قال الطبريُّ وغيره: المعنى: لو تَواعدتم على الاجتماع ثم عَلِمتم كَثْرَتَهم وقلَّتَكم، لخالفتم ولم تَجتمعوا معهم[٨]. وقال معناه الزمخشريُّ، قال: ولو تواعدتم أنتم وأهلُ مكَّة وتَواضعتم بينَكم على موعد تَلْتقونَ فيه للقتال، لخاف[٩] بعضُكم بعضاً، فثبَّطكم قلَّتُكم وكثرتُهم عن الوفاء بالموعد، وثبَّطهم ما في قلوبهم

(١) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٢/ ١٦٠ ومخطوطه الورقة (١٨٧): الحريم.
(٢) في (أ) و(ب) و(د١) و(ع) و(يه) والمطبوع: تجيهداتهم، وفي (ح) والكشاف: جهيداتهم. والمثبت من (ز١).
(٣) في المطبوع: مواطئهم، وفي (د١): مواطيهم.
(٤) الكشاف ٢/ ١٦٠.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، وسِيْفُ البحر: ساحله. الصحاح (سيف).
(٦) في (ح): ليسيقي، وفي (د١): ليسقي، وفي (ع): ليستقوا.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، والخبر أخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٢٠٤.
(٨) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، وكلام الطبري في التفسير ١١/ ٢٠٦.
(٩) في (ع) ومطبوع الكشاف ومخطوطه الورقة (١٨٧): لخالف.

مِن تهيُّب رسولِ الله ﷺ والمسلمين، فلم يتَّفق لكم مِن التلاقي ما وفَّقه الله تعالى وسبَّب له(١).

وقال المهدويُّ: المعنى: لاختَلَفتم بالقَواطع والعَوارض القاطعة بالناس. قال ابنُ عطيَّة: وهذا أنْبَلُ(٢) - يعني مِن قول الطبريِّ - وأصحُّ(٣)، وإيضاحُه أنَّ المقصدَ مِن الآية تبيُّن نعمةِ الله وقدرتِه في قصَّة بدر وتيسيره ما تيسَّر مِن ذلك، فالمعنى: إذ هيَّأ اللهُ لكم هذه الحال(٤)، «ولو تَواعدتم» لها «لاختلفتم» إلَّا مع تيسير اللهِ الذي تمَّم ذلك، وهذا كما تقول لصاحبك في أمرٍ شاءَه(٥) اللهُ دون تَعَبٍ كبير: لو بِتْنا(٦) على هذا وسَعَيْنا فيه، لم يتمَّ هكذا. انتهى.

وقال الكرمانيُّ: «ولو تواعدتم» أنتم والمشركون للقتال «لاختلفتم في الميعاد» أي: كانوا لا يَصدقون في مواعدتكم؛ طَلَباً لغرَّتكم والحيلة عليكم. وقيل: المعنى: «ولو تواعدتم» مِن غير قضاءِ الله أَمْرَ الحرب «لاختلفتم في الميعاد»؛ لأنَّه تعالى إذا لم يُقدِّر أمراً لم يَقع. انتهى.

«ولكن ليقضيَ» أي: ولكن تلاقيتم على غيرِ ميعاد «ليقضيَ اللهُ أمراً» مِن نَصْر دينه وإعزاز كلمته وكَسْر الكفار وإذلالهم «كان مفعولاً» أي: موجوداً متحقَّقاً واقعاً، وعبَّر بقوله: «مفعولاً» لتحقُّق كونه.

قال ابنُ عطيَّة: ليقضيَ أمراً قد قدَّره في الأزل مفعولاً لكم بشَرْط وجودكم في وقت وجودكم، وذلك كلُّه معلومٌ عنده(٧).

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٠.

(٢) في (ب) و(يه): نيل. وكذا وردت في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، والمثبت من (ح) و(ز١) و(ع).

(٣) في (أ) و(ب) و(د١) و(يه): واضح. وكذا في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، والمثبت من (ح) و(ز١) و(ع).

(٤) في مطبوع المحرر الوجيز: الجمال.

(٥) كذا في النسخ عدا (ب) و(ع)، وفيهما: شاء. وفي مطبوع المحرر الوجيز: سَنَّاه. ومعناه: سهَّله. ولعلَّه أقربُ للمعنى.

(٦) كذا في النسخ عدا (د١) والمطبوع، ففيهما: ثبنا، وفي المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣: بنينا.

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣.

وقال الزمخشريُّ: «ليقضيَ اللهُ» متعلِّق بمحذوف، أي: ليقضيَ الله أَمْراً كان واجباً أن يُفعَل ـ وهو نَصْرُ أوليائه وقهرُ أعدائه ـ دَبَّرَ ذلك[1].

وقيل: «كان» بمعنى «صار»، «ليهلك» بدلٌ مِن «ليقضيَ» فيتعلَّق بمثل ما تعلَّق به «ليقضي»، وقيل: يتعلَّق بقوله: «مفعولاً»، وقيل: الأصل: وليهلك، فحذف حرف العطف.

والظاهر أنَّ المعنى: ليُقتلَ مَن قُتلَ من كفَّار قريش وغيرهم عن بيانٍ مِن الله وإعذارٍ بالرسالةِ، ويعيش مَن عاش عن بيانٍ منه وإعذار، لا حجَّة لأحدٍ عليه.

وقال ابنُ إسحاق وغيره: ليكفر ويؤمن، فالمعنى أنَّ الله تعالى جعل قصَّة بدر عبرةً وآيةً ليُؤمن مَن آمَنَ عن وضوح وبيانٍ، ويَكفرَ مَن كَفَر عن مِثْلِ ذلك[2].

وقرأ الأعمش وعصمة عن أبي بكر عن عاصم: «لِيَهْلَك» بفتح اللام[3].

وقرأ نافع والبزيُّ وأبو بكر: «من حَيِيَ» بالفَكِّ، وباقي السبعة بالإدغام[4]، وقال المُتَلمِّس:

فــهــذا أوانُ الـعِـرْضِ حَــيَّ ذُبــابُــه[5]

والفَكُّ والإدغام لغتان مشهورتان، وختم بهاتين الصفتين؛ لأنَّ الكفرَ والإيمانَ يَستلزمان النطقَ اللسانيَّ والاعتقادَ الجَنَانيَّ، فهو «سميع» لأقوالكم «عليم» بنيَّاتكم.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، وقول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٣، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٦، والبغوي ٢/ ٢٥٢، والقرطبي ١٠/ ٣٦-٣٧، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٠٨.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٠، وينظر الكشاف ٢/ ١٦٠، وقراءة عاصم المشهورة عنه كقراءة الجماعة.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٣، والقراءة في السبعة ص ٣٠٦، والتيسير ص ١١٦، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر ويعقوب وخلف من العشرة، النشر ٢/ ٢٧٦، والبَزِّي هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بَزَّة، أحد راويَي ابنِ كثير.

(٥) وعجزه: زنابيره والأزرق المتلمِّس، والبيت في ديوانه ص ١٢٣، والعِرْض: وادٍ باليمامة، و: حيَّ ذبابه: عاش بالخصب فيه، ورواية الديوان: جنَّ، وبهامشه: حيَّ، و: حيٌّ. والأزرق: جنس آخر غير الأول. والمتلمس: الطالب.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ الخطابُ للرسول ﷺ، وتظاهرت الرِّوايات أنَّها رؤيا منامٍ رأى الرسولُ ﷺ فيها الكفارَ قليلاً، فأخبر بها أصحابَه، فقَوِيت نفوسُهم، وشَجُعت على أعدائهم، وقال النبيُّ ﷺ لأصحابه حين انتبه: «أبْشِروا، لقد نظرتُ إلى مصارعِ القوم»[1].

والمراد بالقلَّة هنا قلَّةُ القَدْر والبأس[2] والنجدة وأنَّهم مهزومونَ مُصَرَّعونَ، ولا يُحمل على قلَّة العَدَد؛ لأنَّه ﷺ رؤياه حقٌّ، وقد كان علمَ أنَّهم ما بين تسع مئة إلى ألفٍ، فلا يُمكن حمل ذلك على قلَّة العدد، وروي عن الحسن أنَّ معنى «في منامك»: في عينك؛ لأنَّها مكانُ النوم، كما قيل للقَطِيْفَة: المنامة؛ لأنَّه يُنام فيها، فتكون الرؤية في اليقظة، وعلى هذا فسَّر النقَّاش وذكره عن المازنيّ[3].

وما روي عن الحسن ضعيفٌ، قال الزمخشريُّ: وهذا تفسيرٌ فيه تعسُّف، وما أحسب الرِّوايةَ فيه صحيحةً عن الحسن، وما يلائم عِلْمَه بكلام العرب وفصاحته[4]. والمعنى: ولو أراكهم في منامك كثيراً لفشلتم، أي: لَخُرْتُم وجَبُنْتُم عن اللقاء، «ولتنازعتم في الأمر» أي: تفرَّقت آراؤكم في أَمْرِ القتال، فكان يكون ذلك سبباً لانهزامكم وعدمِ إقْدَامكم على قتال أعدائكم، لأنَّه لو رآهم كثيراً، أخبركم برؤياه، ففشلتم.

ولَمَّا كان الرسول عليه الصلاة والسلام محميًّا مِن الفَشَل معصوماً مِن

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٤-٥٣٥، والخبر في سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥ عن ابن إسحاق، وإخباره ﷺ بمصارع القوم أخرجه مسلم (١٧٧٩)، عن أنس ﷺ، وهو عند أحمد (١٣٢٩٧).

(٢) في (ب): الناس، وفي المطبوع: اليأس. والمثبت من باقي النسخ، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٤-٥٣٥، والكشاف ٢/ ١٦١، وقول الحسن أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩١١٩)، وقال عنه ابن كثير في تفسيره: وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه. اهـ. وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٦١.

النقائص، أسند الفشلَ [١]إلى مَن يمكن ذلك في حقِّه، فقال تعالى: «الفشلتم»، وهذا مِن محاسن القرآن، «ولكنَّ الله سلَّم» مِن الفَشَل[١] والتنازع والاختلاف بإرَاءَتِه له ﷺ الكفارَ قليلاً، فأخبرهم بذلك فقَويت به نفوسهم «إنَّه عليم بذات الصدور» يَعلم ما سيكون فيها مِن الجُرْأة والجُبْن والصَّبْر والجَزَع.

و«إذ» بدل مِن «إذ»، وانتصب «قليلاً» قال الزمخشريُّ: على الحال[٢]. وما قاله ظاهر؛ لأنَّ: أرَى، منقولةٌ بالهمزة مِن: رأى، البَصَريَّة، فتعدَّت إلى اثنين؛ الأوَّل: كافُ خطاب الرسول، والثاني: ضميرُ الكفار، فـ «قليلاً» و«كثيراً» منصوبان على الحال.

وزعم بعضُ النَّحْويِّين أنَّ: أرَى، الحُلْميَّة تتعدَّى إلى ثلاثة[٣]، كَأعلم، وجعل مِن ذلك قوله تعالى: «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً» فانتصاب «قليلاً» عنده على أنَّه مفعولٌ ثالث، وجواز حذفِ هذا المنصوب اقتصاراً يُبطِل هذا المذهب، تقول: رأيتُ زيداً في النوم، وأراني اللهُ زيداً في النوم.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ هذه الرؤية هي يَقَظة لا منام، وقُلِّل الكفار في أعين المؤمنين؛ تحقيراً لهم، ولئلا يَجبنوا عن لقائهم. قال ابنُ مسعود: لقد قُلِّلوا في أَعيننا حتى قُلت لرجلٍ إلى جَنْبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة. وهذا مِن عبد الله؛ لكونه لم يَسمع ما أعلم به الرسولُ ﷺ مِن عَدَدهم، وقُلِّل المؤمنون في أعين الكفار حتى قال قائل منهم: إنَّما هم أَكَلَةُ جَزُور[٤]. وذلك قَبْلَ الالتقاء؛ ليَجْترئوا على المؤمنين فتقعَ الحربُ ويَلتحم القتال، إذ لو كَثُروا قَبْلَ اللقاء لأَحْجَموا وتحيَّلوا في الخلاص، أو استعدُّوا واستنصَروا.

(١-١) ليست في (ع).
(٢) الكشاف ٢/ ١٦١.
(٣) أي: مفاعيل، وهي: الكاف والهاء من قوله تعالى: ﴿يُرِيكَهُمُ﴾، و﴿قَلِيلًا﴾ المفعول الثالث.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨، وقول ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٨٣٣)، والطبري ١١/ ٢١١.

ولمَّا التحمَ القتالُ كَثَّر اللهُ المؤمنين في أعين الكفار فبُهِتوا وهابوا وفُلَّت شوكتهم ورَأَوا ما لم يكن في حسابهم، كما قال: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران:١٣] وعُظْمُ الاحتجاجِ عليهم استيضاحُ الآية البيِّنة مِن قلَّتهم أوَّلاً وكَثْرتهم آخِراً، ورؤية كلٍّ مِن الطائفتين يكون بأنْ سَتَر اللهُ بعضها عن بعض، أو بأن أَحْدَث في أعينهم ما يستقلُّون به الكثيرَ، هذا إذا كانت الرؤيةُ حقيقةً، وأمَّا إذا كانت بمعنى التَّخْمِين والحَزْرِ الذي يَستعمله الناس، فيمكن ذلك.

وعلى التقديرين لا يَندرج الرسولُ في خطاب «وإذ يريكموهم» لأنَّه لا يَجوز عليه أن يَرى الكثير قليلاً لا حقيقةً ولا تخميناً، على أنَّه يحتمل أن يكون مِن باب تقليل القَدْر والمَهَابة والنَّجْدة لا مِن باب تقليل العَدَد، ألَا ترى إلى قولهم: المرءُ كثيرٌ بأخيه[1]، وإلى قولِ الشاعر:

أَرُوحُ وأَغْــتَــدي سَــفَــهــاً أُكَــثِّــرُ مَــنْ أَقِــلُّ بِــهِ[2]

فهذا مِن باب التقليل والتكثير في المنزلة والقَدْر لا مِن باب تقليلِ العَدَد.

«ليقضي» أي: فَعَل ذلك ليقضيَ، والمفعول في الآيتين هو القصَّة بأسْرِها، وقيل: هما لمعنيين مِن معاني القصَّة، أُريد بالأوَّل الوَعْد بالنُّصْرة يومَ بدر، وبالثاني الاستمرار عليها، وتقدَّم تفسير «وإلى الله ترجع الأمور»، واختلافُ القُرَّاء في «ترجع» في سورة «البقرة»[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: فئةً كافرة، حذف الوصف؛ لأنَّ المؤمنين ما كانوا يَلقون إلَّا الكفار، واللقاء اسمٌ للقتال غالِبٌ، وأَمَرهم تعالى بالثبات وهو مقيَّد بآية الضَّعف، وفي الحديث: «لا تَتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، وسَلُوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاثْبُتوا»[4]

(١) وقد ورد هذا اللفظ عن أنس عن النبيِّ ﷺ مرفوعاً، وهو عند أبي الشيخ في الأمثال (٤٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٨٦)، وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٢٦٠، وقال عنه: موضوع.

(٢) البيت للمعافى بن زكريا، وهو في الجليس الصالح الكافي ١/ ١٦٥، وفيه: غَبَناً، بدل: سَفَهاً.

(٣) عند تفسير الآية (٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢)، وهو عند أحمد (١٩١١٤) من حديث

وأَمَرهم بذِكْره تعالى كثيراً في هذا الموطن العظيم مِن مصابرة العدوّ والتَّلاحُم بالرِّماح والسُّيُوف، وهي حالة يقع فيها الذهول عن كلّ شيء، فأُمروا بذِكْر الله، إذ هو تعالى الذي يُفزَع إليه عند الشدائد، ويُستأنس بذِكْره ويُستَنصَر بدعائه، ومَن كان كثيرَ التعلُّق بالله ذَكَره في كلّ موطن حتى في المواضع التي يذهلُ فيها عن كلّ شيء ويغيب فيها الحِسُّ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وحكى لي بعضُ الشُّجْعان أنّه حالةَ التحام القتال، تَأخُذ الشجاعَ هِزَّةٌ، ويعتريه مِثْلُ السُّكْر؛ لهَوْل الملتقى، فأمَرَ المؤمنين بذِكْر الله في هذه الحالة العظيمة، وقد نَظَم الشعراءُ هذا المعنى، فذَكَروا أنَّهم في أشقّ الأوقات عليهم وأشدِّها لم يَنْسوا محبوبَهم وأكثروا في ذلك، فقال بعضهم:

ذكرتُ سُلَيْمَى وَحَرُّ الوَغَى ... كقلبيَ ساعةَ فارَقْتُها
وأَبصرتُ بين القَنا قَدَّها ... وقد مِلْنَ نَحْوِي فعانَقْتُها[(١)]

قال قتادة: افترضَ اللهُ تعالى ذِكْرَه أَشْغَلَ ما يكون العبدُ عند الضِّراب والسيوف[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: فيه إشعارٌ بأنَّ على العبد أنْ لا يَفتُر عن ذِكْر اللهِ، أَشْغَل ما يكون قلباً، وأكثر ما يكون همًّا، وأن تكون نفسُه مجتمعةً لذلك وإن كانت متوزِّعة عن غيره[(٣)]. وذكرَ أنَّ الثباتَ وذِكْرَ اللهِ سَبَبَا الفلاحِ وهو الظَّفَر بالعدوّ في الدنيا، والفوز في الآخرة بالثواب.

= عبد الله بن أبي أوفى، وورد عندهم: «فاصبروا» بدل: «فاثبتوا»، وهو بهذا اللفظ الأخير عند عبد الرزاق (٩٥١٨)، وابن أبي شيبة (٣٤١٠١)، والدارمي (٢٤٤٠) لكن من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(١) البيتان لأبي الحسن محمد أحد بني القَبْطُرْنَة - ويقال: القبطورنة، أو القبطرنية، أو القبطرية - وهما في المُغْرب في حُلَى المغرب لابن سعيد الأندلسي ١/٣٦٨، والكشكول للعاملي ١/٤٠٣، ونفح الطيب للتلمساني ٣/٢٧٠، ونفحة الريحانة للمحبي ٤/٢٤٣، وورد عند بعضهم: بقلبي، وعند آخرين: كجسمي، بدل: كقلبي، وورد أيضاً: فقبَّلتها، بدل: فعانقتها.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥٣٦، وينظر تفسير الثعلبي ٣/١٤٨، والقرطبي ١٠/٣٩، وأخرجه عنه الطبري ١١/٢١٣.

(٣) الكشاف ٢/١٦١.

والظاهر أنَّ الذِّكْرَ المأمورَ به هو باللسان، فأَمرَ بالثبات بالجَنان، وبالذِّكْر باللسان.

والظاهر أن لا يُعَيَّن ذِكْرٌ، وقيل: هو قول المجاهدين: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، عند لقاء الكفار، وقيل: الدعاء عليهم: اللَّهمَّ اخذُلْهم، اللَّهمَّ دَمِّرهم، وشِبْهه، وقيل: دعاء المؤمنين لأنفسهم بالنَّصْر والظَّفَر والتثبيت، كما فعل قومُ طالوت، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وقيل: «حم، لا يُنْصَرون» وكان هذا شعارَ المؤمنين عند اللقاء(١).

وقال محمد بنُ كعب: لو رُخِّص تَرْكُ الذِّكْر لرُخِّصَ في الحرب، ولزكريا(٢) حيث أُمرَ بالصَّمْتِ، ثم قيل له: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾(٣)[آل عمران: ٤١].

وحُكْم هذا الذِّكْر أن يكون خفيًّا إلَّا إن كان مِن الجميع وقتَ الحَمْلة فحَسَنٌ رَفْعُ الصوت به؛ لأنَّه يَفُتُّ في أعضادِ الكفار، وفي «سنن أبي داود»: كان أصحابُ الرَّسُولِ ﷺ يكرهون الصوتَ عند القتال وعند الجِنازة(٤).

وقال ابنُ عباس: يُكرَه التَّلَثُّم عند القتال(٥).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أَمَرهم تعالى بالطَّاعة للهِ ولرسوله، ونهاهم عن التنازُع وهو تجاذبُ الآراء وافتراقُها، والأظهر أن يكون «فتفشلوا» جواباً للنهي، فهو منصوب، ولذلك عطف عليه منصوبٌ؛ لأنَّه يتسبَّب عن التنازع الفَشَلُ، وهو الخَوَر والجُبْن عن لقاء العدوِّ،

---

(١) أخرج أبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢)، وأحمد (١٦٦١٥) عن المهلب بن أبي صُفْرَة، عمَّن سمعَ النبيَّ ﷺ أنه يقول: «إن بُيِّتم، فليكن شعاركم: حم، لا ينصرون».

(٢) في المطبوع: ولذكرنا.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩، والمحرر الوجيز ١/ ٤٣٢، والخبر أخرجه الطبري ٥/ ٣٩١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢١٥.

(٤) سنن أبي داود (٢٦٥٦) عن قيس بن عُباد، وأخرجه أيضاً برقم (٢٦٥٧) من طريق أبي بُردة، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ مرفوعاً. وقيس بن عُبَاد هو القيسي الضُّبَعي أبو عبد الله البصري، من تابعي أهل البصرة، وكان ثقة، قليل الحديث. تهذيب الكمال.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٠. والتلثُّم: تغطية الفم أو الأنف بعمامة ونحوها.

وذهابُ الدولة باستيلاء العدوِّ، ويجوز أن يكون «فتفشلوا» مجزوماً عطفاً على «ولا تنازعوا»، وذلك في قراءة عيسى بنِ عمر: «ويَذْهَبْ» بالياء وجزم الباء[١].

وقرأ أبو حيوة وأبان وعصمة عن عاصم: «ويَذْهَبَ» بالياء ونصب الباء[٢].

وقرأ الحسن وإبراهيم: «فتفشِلوا» بكسر الشين، قال أبو حاتم: وهذا غير معروف[٣]. وقال غيره: هي لغة.

قال مجاهد: الرِّيح: النَّصْر والقوَّة، وذهبت رِيْحُ أصحابِ رسول الله ﷺ حين نازعُوه[٤] بأُحُد[٥].

وقال الزمخشريُّ: والرِّيحُ: الدَّولة، شُبِّهت لنفوذِ أمْرِها وتَمَشِّيه[٦] بالرِّيح وهبوبِها، فقيل: هبَّت رياحُ فلانٍ: إذا دَالَت له الدولةُ ونفذَ أَمْرُه، ومنه قوله:

أَتَنْظُرانِ قليلاً رَيْثَ غَفْلَتِهم ... أم تَغْدُوانِ فإنَّ الريحَ للعادِي[٧]

انتهى. وهو قول أبي عُبيدة إنَّ الريحَ هي الدولة[٨]، ومِن استعارة الريح قولُ الآخَر:

إذا هبَّت رياحُك فاغْتَنِمْها ... فإنَّ لكلِّ عاصِفَةٍ سُكُونا[٩]

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦، وينظر الإملاء ٢/ ٨، والكشاف ٢/ ١٦٢، وزاد المسير ٣/ ٣٦٥، وعزاه الأخير لأبان.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٤٩ عن قتادة وأبان عن عاصم.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦ وعزا القراءة لإبراهيم، وهي في القراءات الشاذة ص ٥٠ عن الحسن.
(٤) في المطبوع: ناغوه.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٢١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٢.
(٦) في (أ): وسببه، وفي (ع): وتسببه، وفي (د١) و(ز١) و(يه) والمطبوع: وتشبيه. والمثبت من (ح) ومطبوع الكشاف ٢/ ١٦٢ ومخطوطه الورقة (١٨٨).
(٧) الكشاف ٢/ ١٦٢، والبيت نُسب لتأبّط شرًّا، وهو في ديوانه ص ٢٤١، ونُسب لسُلَيْك بن سُلَكة، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٣٦٦، والأغاني ٢٠/ ٣٧٧، وأورده ابن منظور في اللسان (روح) ونسبه لتأبّط شرًّا أو سُلَيك بن سُلَكة.
(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٤٧، وينظر النكت والعيون ٢/ ٣٢٤.
(٩) في (أ): سكون. والبيت بهذا اللفظ في نفح الطيب ٦/ ٣١٥ دون نسبة، وهو في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص٢٤١، وأدب الدنيا والدين للماوردي ص١٨٦، ومحاضرات الأدباء =

ورواه أبو عبيدة[١]: ركُودا. وقال شاعر الأنصار:

قد عَوَّدَتْهم صَبَاهُم[٢] أن تكونَ لهم ريحُ القتالِ وأسلابُ الذين لَقُوا[٣]

وقال زيد بنُ عليّ: «وتذهب رِيحكم» معناه: الرُّعْب مِن قلوب عدوِّكم[٤]. ومنه قيل للخائف: انْتَفَخَ سَحْرُهُ[٥].

قال ابنُ عطيَّة: وهذا حَسَن بشَرْط أن يعلم العدوّ بالتنازع، فإذا لم يعلم، فالذاهب قوَّة المتنازعين، فينهزمون[٦]. انتهى.

وقال ابن زيد وغيره: الريح على بابها، وروي في ذلك أنَّ النَّصْر لم يكن قطُّ إلَّا بريح تهبُّ فتَضْرِب في وجوه الكفَّار. واستند بعضُهم في هذه المقالة إلى قوله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبَا». وقال الحَكَم: «وتَذْهَبَ ريحكم» يعني: الصَّبَا، إذ بها نَصْرُ محمَّد ﷺ وأمَّتِه[٧].

= ١/ ٣٦٣، والحلل للبطليوسي ص٣٠٢، وغرر الخصائص الواضحة ص ٢٤٠، ونُسب عند الأخير لابن هندو، وورد عندهم الشطر الثاني هكذا: فإن لكلِّ خافقة سكون. إلا أنه ورد عند الثعالبي: فعقبى كلٍّ، بدل: فإن لكل.

(١) كذا في النسخ عدا (أ) والمطبوع، وفيهما وفي الدر المصون ٥/ ٦١٧، واللباب ٩/ ٥٣٤: أبو عبيد، ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) كذا في النسخ، ولعلَّها من ريح الصَّبَا، بدليل ما سيأتي قريباً، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٧، والدر المصون ٥/ ٦١٧: ظُبَاهم.

(٣) البيت بهذا اللفظ من المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٧، ولعلَّ المقصود بشاعر الأنصار حسانُ بن ثابت، ولم نقف على البيت في ديوانه، وهو في السيرة النبوية ٢/ ١٤٦ منسوباً لضرار بن الخطاب، ورواية صدره هكذا:

قد عُوِّدوا كلَّ يوم أن تكون لهم

وظُبَةُ السيف، وظُبَة السهم: طَرَفه. الصحاح (ظبي).

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦.

(٥) أي: مَلأَ الخوفُ جوفَه فانتفخ السَّحْرُ - وهو الرِّئة - حتى رفع القلب إلى الحلقوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]. تهذيب اللغة ٤/ ٢٩٤-٢٩٥ (سحر).

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٦-٥٣٧.

(٧) المصدر السابق، وينظر أيضاً تفسير البغوي ٢/ ٢٥٣، والقرطبي ١٠/ ٤٠-٤١، وقول ابن زيد أخرجه الطبريُّ ١١/ ٢١٥-٢١٦، والحديث المرفوع أخرجه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، وأحمد (٢٠١٣) عن ابن عباس ﷺ، والصَّبا: الريح الشرقيَّة. وهي المعنيَّة برواية بيت الشعر السالف الذكر.

وقال مقاتل: «ريحكم»: حدَّتكم. وقال عطاء: جَلَدُكم[١]. وحكى التبريزيُّ: هَيْبتكم. ومنه قول الشاعر:

كما حَمَيناكَ يومَ النَّعْفِ مِن شَطِطٍ والفَضْلُ للقوم مِن ريحٍ ومن عَدَدِ[٢]

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ نزلت في أبي جهل وأصحابِهِ خَرجوا لِنُصْرة العِيْر بالقَيْنات والمعازِف، ووَرَدُوا الجُحْفة[٣]، فبعث خُفَافُ الكنانيُّ ـ وكان صديقاً له ـ بهدايا مع ابنِه، وقال: إن شئتَ أَمْدَدْناكَ بالرِّجال، وإن شئتَ بنفسي مع مَن خفَّ مِن قومي. فقال أبو جهل: إن كنَّا نقاتل اللهَ كما يزعم محمَّد، فواللهِ ما لنا بالله طاقة، وإن كنَّا نقاتل الناسَ، فواللهِ إنَّ بنا على الناس لقوَّةً، واللهِ لا نرجع عن قتال محمَّد حتى نَرِدَ بدراً فنشربَ فيها الخمورَ، وتعزف علينا القَيْنات، فإنَّ بدراً مركزٌ مِن مراكز العرب وسُوق مِن أسواقهم، حتى تسمعَ العربُ بمَخْرجنا فتهابنا آخِرَ الأَبَد[٤].

فوَردوا بدراً، فسُقُوا كؤوسَ المنايا مكان الخمرِ، وناحت عليهم النوائحُ مكانَ القَيْنات، فنهى اللهُ المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء بَطِرين طَرِبِيْن مُرَائِين بأعمالهم صادِّين عن سبيل الله[٥].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٨، وينظر قول مقاتل في تفسير البغوي ٢/ ٢٥٣.

(٢) البيت لعَبيد بن الأَبْرص، وهو في ديوانه ص ٥٦، وفيه: شطب، بدل: شطط، والسيف المشطوب: الذي فيه طرائق، والشَّطِب: جبل، والنعف: ما انحدر من مزونة الجبل وارتفع من منحدر الوادي، ويوم النعف أحد أيام حروبهم.

(٣) الجُحْفة: منزل بين مكة والمدينة قرب رابغ بين بدر وخُلَيص، ويقال: كان اسمها: مَهْيَعة. المصباح المنير (جحف).

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٤١، والخبر في سيرة ابن هشام ١/ ٦٢١ وما بعدها، والبداية والنهاية ٥/ ٨٣-٨٤ عن ابن إسحاق، وأخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٤٤٠-٤٤١، وفي التفسير ١١/ ٢١٧-٢١٨ عن ابن عباس ﵄، وورد في المصادر: وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضة الغفاري، أو أبوه: إيماء بن رَحَضة الغفاري ـ ويقال: الكناني، لأن غِفار هو ابن مُلَيْل بن ضمرة بن عبد مناة بن كنانة ـ بعث إلى قريش ـ حين مرُّوا به ـ ابناً له بجزائره أهداها لهم،... الخبر. قال الحافظ في الإصابة ٣/ ١٤٧-١٤٨: له ولأبيه صحبة، وتوفي في خلافة عمر أو قبل ذلك. اهـ. وفيه: رَخْصة، بفتح الراء المهملة، ثم معجمة، وورد في الأنساب ٩/ ١٦٧ وفيه: رَحْضة. فليحرَّر!.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٤٨-١٤٩، والكشاف ٢/ ١٦٢.

وقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهمَّ إنَّ قريشاً أَقبلت بفَخْرِها وخُيَلائها، تُجادل وتُكذِّب رسولَك، اللَّهمَّ فأَحِنْها الغداةَ»[1].

وفي قوله: «والله بما يعملون محيط» وعيدٌ وتهديد لمَن بقيَ مِن الكفار.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ «أعمالهم» ما كانوا فيه من الشِّرْك وعبادةِ الأصنام ومسيرِهم إلى بدرٍ وعَزْمِهم على قتال الرسول ﷺ، وهذا التزيين والقولُ والنُّكوص هل ذلك على سبيل المجاز أو الحقيقة؛ قولان للمفسِّرين، بدأ الزمخشريُّ بالأوَّل فقال: وسوسَ إليهم أنَّهم لا يُغلَبون ولا يُطاقون، وأوهمهم أنَّ اتِّباع خطواتِ الشيطان وطاعتَه ممَّا يُجيرهم، فلمَّا تلاقى الفريقان، نَكَصَ الشيطانُ وتبرَّأ منهم، أي: بطلَ كيدُه حين نزلت جنودُ الله، وكذا عن الحسن: كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثَّل لهم[2]. انتهى. ويكون ذلك مِن باب مجاز[3] التمثيل.

وقال المهدويُّ: يُضعف هذا القولَ أنَّ قولَه: «وإنِّي جارٌ لكم» ليس مما يُلقى بالوسوسة. انتهى[4].

ويمكن أن يكون صدورُ هذا القول على لسان بعضِ الغُواةِ مِن الناس قال لهم ذلك بإغواء إبليسَ له، ونسبَ ذلك إلى إبليس؛ لأنَّه هو المتسبِّب في ذلك القول، فيكون القولُ والنكوص صادرَيْن مِن إنسانٍ حقيقةً.

والجمهور على أنَّ إبليس تصوَّر لهم، فعنِ ابنِ عباس: في صورة رجلٍ مِن بني

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٧، والحديث أخرجه الطبري ١١/ ٢١٩ عن قتادة بلفظ: «إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادَّك ورسولَك». والحَيْن: الهلاك.

(٢) الكشاف ٢/ ١٦٢.

(٣) لفظة: مجاز، ليست في (أ) و(ب) و(ح) و(ع).

(٤) كذا في النُّسَخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٧: وحكى المهدويُّ وغيره أنَّ التزيين في هذه الآية وما بعده من الأقوال هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس. قال القاضي أبو محمد ـ يعني: ابن عطية ـ: ويُضعف هذا القول أن قوله: «وإني جارٌ لكم» ليس مما يلقى بالوسوسة. انتهى. وهو الصواب، ولعلَّ في النُّسَخ سقطاً في الكلام، والله تعالى أعلم.

مُدْلِج في جندٍ مِن الشياطين معه رايةٌ[١].

وقيل: جاءَهم في طريقهم إلى بدر في صورة سُراقة بنِ مالك بنِ جُعْشُم، وقد خافوا مِن بني بَكْر وكِنانة لِذُحُول[٢] كانت بينهم، وكان مِن أشراف كنانة، فقال ما حكى اللهُ عنه[٣].

ومعنى: «جارٌ لكم» مُجيركم مِن بني كنانة، فلمَّا رأى الملائكةَ تَنزل، نَكَصَ.

وقيل: كانت يدُه في يَدِ الحارث بنِ هشام، فلمَّا نَكَصَ قال له الحارث: إلى أين، أتخذُلنا في هذه الحال؟ فقال: إنِّي أَرَى ما لا تَرَوْن. ودفع في صَدْرِ الحارث، وانطلق وانهزموا، فلمَّا بَلَغوا مكَّة، قالوا: هزم الناسَ سراقةُ بنُ مالك. فبَلَغ ذلك سراقة، فقال: واللهِ ما شعرتُ بمسيركم حتى بلغتني هزيمتُكم، فلمَّا أسلموا علموا أنَّه الشيطان[٤].

وفي «الموطَّأ» وغيره: ما رُئيَ الشيطانُ في يوم أقلّ ولا أحقر ولا أصغر منه في يوم عرفة، لِمَا يَرَى مِن نزول الرحمة إلَّا ما رأى يومَ بدر، قيل: وما رَأى يا رسول الله؟ قال: «رأى الملائكةَ يَزَعُها[٥] جبريلُ»[٦].

(١) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٢١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٧٨-٧٩.

(٢) في النُّسَخ عدا (ز١): لدخول. والمثبت من (ز١) وهو الصواب. والذُّحُول جمع: الذَّحْل، وهو الثأر، أو العداوة والحِقْد. القاموس (ذحل).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٢-٤٣، وينظر أيضاً التعليق ما قبل السابق، وأَثَرُ ابنِ إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٦٦٣، والطبري ١١/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) الكشاف ٢/ ١٦٣، وينظر تفسير السمرقندي ٢/ ٢١، والثعلبي ٣/ ١٤٩، والبغوي ٢/ ٢٥٤-٢٥٥، وزاد المسير ٣/ ٣٦٧.

(٥) في (أ): نرعها، وفي (ب): نزعها، وفي المطبوع: يريحها. والمثبت من باقي النسخ ومصادر التخريج.

(٦) موطأ مالك ١/ ٤٢٢ عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيْز عن النبي ﷺ مرسلاً، وأخرجه من طريقه عبد الرزاق ٤/ ٣٧٨، والبغوي في شرح السنة (١٩٣٠) ووصله البيهقي في الشعب (٣٧٧٦) عن طلحة، عن أبي الدرداء. ومعنى: ولا أدحر. أي: أبعد وأذلّ، ومعنى: يزعها: أي: يرتِّبها ويُسوِّيها ويَصفّها للحرب، فكأنه يكفّهم عن التفرق والانتشار. النهاية (وزع).

وقال الحسن: رأى إبليسُ جبريلَ يَقود فرسَه بين يدي النبيِّ ﷺ وهو مُعْتَجِرٌ ببردة وفي يده اللِّجام[١].

و«لكم» ليس متعلِّقاً بقوله: «لا غالب» لأنَّه كان يَلزم تنوينُه، لأنه يكون اسمُ «لا» مطوَّلاً، والمُطوَّل يُعرَب ولا يُبنَى، بل «لكم» في موضع رَفْع على الخبر، أي: كائن لكم، وبما تعلَّق المجرورُ تعلَّق الظرفُ.

واليوم عبارةٌ عن يوم بدر.

ويحتمل أن يكون قوله: «وإنِّي جارٌ لكم» معطوفاً على: «لا غالب لكم اليوم»، ويحتمل أن تكون الواوُ للحال، أي: لا أحدَ يَغلبكم وأنا جارٌ لكم، أُعِيْنُكم وأَنْصُركم بنفسي وبقومي.

والفئتان: جَمْعَا المؤمنين والكافرين، وقيل: فئة المؤمنين وفئة الملائكة.

«نَكَص على عَقِبَيْه» رجع في ضِدِّ إقباله «وقال إنِّي بريءٌ منكم» مبالغة في الخذلان والانفصال عنهم، لم يَكْتَفِ بالفعل حتى أكَّد ذلك بالقول: «ما لا تَرَون» رأى خَرْق العادَةِ ونزولَ الملائكة.

«إنِّي أخافُ اللهَ» قال قتادة وابنُ الكلبيّ: معذِرةٌ كاذبة، لم يَخَفِ اللهَ قطُّ. وقال الزجَّاج وغيره: بل خاف ممَّا رأى مِن الهول أنَّه يكون اليوم الذي أُنْظِرَ إليه[٢]. انتهى. ويُنظَر إلى هذه الآية قولُه تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾[٣] الآية [الحشر:١٦].

ويحتمل أن يكون «والله شديد العقاب» معطوفاً على معمولِ القول، قال ذلك

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٥٣٩، وينظر تفسير الثعلبي ٣/١٤٩-١٥٠، وأخرجه عنه الطبري ١١/٢٢٤، وابن أبي حاتم ٥/١٧١٦. والاعتجار: لَيُّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك. تاج العروس (عجر).

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥٣٩، وقول قتادة أخرجه عنه الطبري ١١/٢٢٣، وابن أبي حاتم ٥/١٧١٦، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٤٢١.

(٣) من هنا بدأ الجزء الخامس من النسخة الخطية (ح)، والأصل أن تتأخر هذه الأوراق التسعة في المخطوط إلى ما بعدها، كما أشرنا إليه سابقاً.

بَسْطاً لعُذْره عندهم، وهو متحقِّق أنَّ عقابَ الله شديد، ويحتمل أن يكون مِن كلامِ الله استأنَفَه تهديداً لإبليس ومَن تابعه مِن مشركي قريش وغيرهم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ العامل في «إذ»: «زيَّن» أو «نكص» أو «شديد العقاب»[1] أو: اذْكُروا، أقوالٌ، وظاهرُ العطفِ التغايرُ؛ فقيل: المنافقون هم مِن الأوس والخَزْرج، لمَّا خرج الرسولُ ﷺ قال بعضُهم: نَخرُج معه، وقال بعضُهم: لا نخرج «غرَّ هؤلاء» أي: المؤمنينَ «دينُهم» فإنَّهم يَزعمون أنَّهم على حقٍّ وأنَّهم لا يُغلَبون، هذا معنى قولِ ابنِ عباس، «والذين في قلوبهم مرض» قومٌ أَسلموا ومَنَعَهم أقرباؤهم مِن الهجرة، فأخرجتهم قريشٌ معها كرهاً، فلمَّا نظروا إلى قلَّة المسلمين ارْتَابوا وقالوا: «غرَّ هؤلاء دينُهم» فقُتلوا جميعاً، منهم: قيس[2] بنُ الوليد بنِ المغيرة، وأبو قيس ابنُ الفَاكه بنِ المغيرة، والحارث بنُ زَمعة بنِ الأسود، وعليّ بن أميَّة، والعاصي بنُ مُنَبِّه بنِ الحَجَّاج، ولم يُذكَر أنَّ منافقاً شهد بدراً مع المسلمين إلَّا مُعَتِّب بن قُشير، فإنَّه ظهر منه يوم أُحُد قولُه: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[3] [آل عمران: ١٥٤].

وقيل: «والذين في قلوبهم مرض» هو مِن عطف الصفات، وهي لموصوف واحد، وُصِفوا بالنِّفاق ـ وهو إظهار ما نُخفيه ـ وبالمرض كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] وهم منافقو المدينة. وعن الحسن: هم المشركون[4]، ويَبعُد هذا، إذ لا يتَّصف المشركون بالنِّفاق؛ لأنَّهم مجاهِرون بالعداوة لا منافقون.

وقال ابنُ عطيَّة: قال المفسِّرون: إنَّ هؤلاء الموصوفين بالنِّفاق ومرضِ القلوب إنَّما هم مِن أهلِ عَسْكَر الكفَّار، لمَّا أَشرفوا على المسلمين ورَأَوْا قلَّة عَدَدِهم، قالوا

(١) في النسخ: أو «سميع عليم»، ولعلَّ المثبت هو الصواب، ينظر الدر المصون ٥/٦١٨، وروح المعاني ١٠/١٤٨.
(٢) كذا في النُّسَخ والمحرر الوجيز ٢/٥٣٩، وتفسير الثعلبي ٣/١٥٠، والبغوي ٢/٢٥٥، وزاد المسير ٣/٣٦٨، والذي في مطبوع الطبري: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة. ولعلَّه الصواب، ينظر سيرة ابن هشام ١/٦٤١، والمغازي للواقدي ١/١٥٠، والمنمق لابن حبيب ص ٢٢٥، وليُحرَّر!.
(٣) المحرر الوجيز ٢/٥٣٩، وينظر خبرُ مجاهد والشعبي في تفسير الطبري ١١/٢٢٦-٢٢٧.
(٤) الكشاف ٢/١٦٣.

مشيرينَ إلى المسلمين: «غَرَّ هؤلاء دينُهم» أي: اغترّوا فأَدخلوا أنفسَهم فيما لا طاقةَ لهم به، وكنى بالقلوب عن العقائد، والمرضُ أَعَمُّ مِن النفاق، إذ يُطلَق مَرَضُ القلبِ على الكفر[١].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ هذا يتضمَّن الرَّدَّ على مَن قال: «غَرَّ هؤلاء دينُهم» فكأنَّه قيل: هؤلاء في لقاء عدوِّهم هم متوكِّلون على اللهِ فهم الغالبون، «ومَن يتوكَّل على الله» يَنصُره ويُعِزُّه، «فإنَّ اللهَ عزيزٌ» لا يُغالَب بقوَّة ولا بكَثْرة «حكيمٌ» يَضَعُ الأشياءَ مواضعَها، أو حاكِمٌ بنُصْرة مَن توكَّل عليه، فيُدِيلُ[٢] القليلَ على الكثير.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ «لو» التي ليست شرطاً في المستقبَل تَقْلِبُ المضارعَ للمضيِّ، فالمعنى: لو رأيتَ وشاهدتَ، وحَذْفُ جواب «لو» جائزٌ بَلِيْغٌ حذفُه في مِثْل هذا؛ لأنَّه يدلُّ على التعظيم، أي: لرأيتَ أَمْراً عجيباً وشَأْناً هائِلاً، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام:٢٧].

والظاهرُ أنَّ «الملائكة» فاعل «يتوفَّى»، ويدلُّ عليه قراءةُ ابنِ عامر والأعرج: «تتوفَّى» بالتاء[٣]، وذُكِّر في قراءة غيرِهما؛ لأنَّ تأنيثَ الملائكة مجازٌ، وحسَّنه الفَصْل.

وقيل[٤]: في هذه القراءة الفاعلُ ضميرُ الله، و«الملائكة» مبتدأ، والجملة حاليَّة كهيَ في: «يضربون».

قال ابنُ عطيَّة: ويُضعِّفه سقوطُ واوِ الحال، فإنَّها في الأغلب تَلزم مِثْلَ هذا[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٩.
(٢) الإدالة: الغَلَبة، ومنه حديث أبي سفيان وهِرَقْل: نُدالُ عليه، ويُدال علينا. أي: نَغلبه مرَّة، ويَغلبنا أخرى. اللسان (دول).
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٠، وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٣٠٧، والتيسير ص ١١٦، والنشر ٢/ ٢٧٧.
(٤) بعدها في المطبوع: الفاعل.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٠.

انتهى. ولا يُضعِّفه؛ إذ جاء بغير واوٍ في كتاب الله وفي كثيرٍ مِن كلام العرب[١].

و«الملائكة» مَلَكُ الموت، وذُكر بلفظ الجمع؛ تعظيماً، أو هو وأعوانُه مِنَ الملائكة، فيكون التوفِّي قبضَ أرواحهم.

أو «الملائكةُ» المُمَدّ بهم يومَ بدرٍ، والتوفِّي قَتْلُهم ذلك اليوم.

أو ملائكة العذاب، فالتوفِّي سَوْقُهم إلى النَّار، أقوالٌ ثلاثة.

والظاهر حقيقةُ الوجوه، والأدبارُ كناية عن الأسْتَاه. قاله مجاهد[٢]، وخُصَّا بالضَّرْب؛ لأنَّ الخزيَ والنَّكال فيهما أشدُّ.

وقيل: ما أَقْبَلَ منهم وأدبر، فيكون كنايةً عن جميع البَدَن، وإذا كان ذلك يوم بدر، فالظاهرُ أنَّ الضَّارِبِينَ هم الملائكةُ.

وقيل: الضمير عائد على المؤمنين، أي: يَضرِبُ المؤمنون؛ فمَن كان أمامَهم مِن المؤمنين ضَربوا وجوهَهم، ومَن كان وراءَهم ضَربوا أدبارَهم.

فإن كان ذلك عند الموت، ضَرَبتهم الملائكةُ بسياطٍ مِن نار.

«وذوقوا» هذا على إضمار القول مِن الملائكة، أي: ويقولون لهم: ذوقوا عذابَ الحريق، ويكون ذلك يوم بدر، وكانت لهم أسواط مِن نارٍ يَضربونهم بها، فتشتعلُ جراحاتهم ناراً[٣]، أو يقال لهم ذلك في الآخرة.

وهو كلام مستأنَف مِن الله على سبيل التقريع للكافرين؛ إمَّا في الدنيا حالةَ الموت، أي: مقدِّمة عذابِ النار، وإمَّا في الآخرة.

---

(١) منها قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١].
ومنها قول المُسَيَّب بن عَلَسٍ:

نَصَفَ النهارُ الماءُ غامرُهُ ورفيقُهُ بالغيبِ لا يدري

أي: انتصف النهارُ والغائص لطلب اللؤلؤ لم يَظهر، وصاحبه لا يدري ما حاله. مغني اللبيب ص ٦٥٦، ٨٣٣.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٠، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٢٣٠.

(٣) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٢٥٦، والقرطبي ١٠/ ٤٥.

ويَحتمل «ذلك» وما بَعْدَه أن يكون مِن كلام الملائكة، أو مِن كلام الله. «ذلك» أي: ذلك العذاب، (١)وهو مبتدأ، خبرُه: «بما قدَّمت أيديكم»، و«أنَّ الله» عطف على «ما»، أي: ذلك العذاب بسبب كُفْركم، وبسبب أنَّ اللهَ لا يَظلمكم، إذْ أنتم مستحقُّون العذابَ(١)، فتعذيبُكم عَدْلٌ منه، وتقدَّم تفسير هذه الجملة في أواخر سورة «آل عمران»[٢].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ تقدَّم تفسيرُ نظير هذه الآية في أوائلِ سورة «آل عمران»[٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ «ذلك» مبتدأ، وخبره: «بأنَّ الله لم يَكُ» أي: ذلك العذاب أو الانتقام بسبب كذا.

وظاهر النِّعمة أنَّه يُراد بها ما يكونون فيه مِن سَعَة الحال والرفاهِية والعزَّة والأمْن والخِصْب وكثرة الأولاد، والتغيير قد يكون بإزالة الذات، وقد يكون بإزالة الصفات، فقد تكون النِّعمة أُذهِبت رأساً، وقد تكون قُلِّلت وأُضعفت.

وقال القاضي: أنعم اللهُ عليهم بالعقل والقُدرة، وإزالة الموانع، وتسهيلِ السبيل، والمقصود أن يَشتغلوا بالعبادة والشُّكْر ويَعدلوا عن الكُفر، فإذا صرفوا هذه الأمور إلى الكفر والفِسْق، فقد غيَّروا نِعَمَ الله على أنفسهم، فلا جَرَم استحقُّوا تبديلَ النِّعَم بالنِّقَم، والمِنَح بالمِحَن، وهذا مِن أوكد ما يدلُّ على أنَّه تعالى لا يَبْتَدِئُ أحداً بالعذاب والمضرَّة، وأنَّ الذي يفعله لا يكون إلَّا جزاءً على معاصٍ سلفت، ولو كان تعالى خَلَقهم وخَلَق حياتهم[٤] وعقولهم ابتداءً للنار ـ كما يقوله القوم ـ لَمَا صحَّ ذلك. انتهى.

(١-١) ليست في (ب).
(٢) عند تفسير الآية (١٨٢)، ومن هنا إلى قوله الآتي: أوائل سورة آل عمران. سقط من (ع).
(٣) عند تفسير الآية (١١).
(٤) كذا في النُّسَخ، والذي في تفسير الرازي ١٥/ ١٨١ ـ والكلام منه ـ: جسمانهم. وكذا وردت في اللباب ٩/ ٥٤٤.

قيل: وظاهرُ الآية يدلُّ على ما قاله القاضي إلَّا أنَّه لا[١] يمكن الحملُ على الظاهر، لأنَّه يَلزم مِن ذلك أن تكون صفةُ الله معلَّلةً بفِعْل الإنسان ومتأثِّرة له، وذلك محالٌ في بديهة العَقْل، وقد قام الدليلُ على أنَّ حُكْمَه وقضاءَه سابقٌ أوَّلاً، فلا يمكن أن يكون فِعْلٌ إلَّا بقضائه وإرادته[٢].

وقيل: أشار بالنِّعمة إلى محمَّد ﷺ، بَعَثَه رحمةً فكذَّبوه، فبدَّل اللهُ ما كانوا فيه مِن النِّعمة بالنِّقمة في الدنيا، وبالعقاب في الآخرة، قاله السدِّيُّ[٣].

والظاهرُ مِن قوله: «على قوم» العمومُ في كلِّ مَن أنعم اللهُ عليه مِن مسلم وكافر، وبَرٍّ وفاجر، وأنَّه تعالى متى أنعم على أحدٍ فلم يَشكر، بدَّله عنها بالنقمة.

وقيل: القوم هنا قريش، أنعم اللهُ تعالى عليهم ليَشكروا، ويُفْرِدوه بالعبادة، فجَحدوا وأشركوا في أُلوهيَّته، وبعثَ إليهم الرسولَ ﷺ فكذَّبوه، فلمَّا غيَّروا ما اقتضته نِعَمه، وحدَّثتهم أنفسُهم بأنَّ تلك النِّعَم مِن قِبَلِ أوثانهم وأصنامهم، غيَّر تعالى عليهم بنِقَمه في الدنيا، وأعَدَّ لهم العذابَ في العُقْبى.

وقال ابنُ عطيَّة: ومثال هذا نعمةُ الله على قريش بمحمَّد ﷺ، فكَفروا وغيَّروا ما كان يَجب أن يكونوا عليه، فغيَّر اللهُ تلك النعمةَ، بأن نَقَلها إلى غيرهم مِن الأنصار وأحلَّ بهم عقوبتَه[٤]. انتهى.

وتغييرُ آلِ فرعون ومشركي مكَّة ومَن يجري مجراهم؛ بأن كانوا كفَّاراً ولم تكن لهم حالة مرضيَّة، فغيَّروا تلك الحالة المسخوطة إلى أسخطَ منها مِن تكذيبِ الرُّسُل والمعاندةِ والتحريب[٥] وقَتْلِ الأنبياء والسَّعْي في إبطال آياتِ الله، فغيَّر اللهُ تعالى ما كان أنعم عليهم به وعاجَلَهم ولم يُمهلهم.

---

(١) ليست في المطبوع.
(٢) تفسير الرازي ١٥/ ١٨١.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٢٣٣.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤١.
(٥) في (أ): والتخريب، وفي (ح) و(ع): والتحزيب، وفي (يه): والتحريف. والمثبت من (د١) و(ز١) والمطبوع، وينظر الكشاف ٢/ ١٦٤، والتحريب: إثارة الحرب. غريب القرآن للأصفهاني (حرب).

وفي قول الزمخشريِّ: ذلك العذابُ أو الانتقام بسبب أنَّ الله تعالى لم يَنْبَغِ له ولم يَصِحَّ في حكمته أن يغيِّر نِعَمَه عند قومٍ حتى يغيِّروا ما بهم مِن الحال = دَسِيْسَةُ الاعتزال، «وأنَّ الله سميع» لأقوال مكذِّبي الرسلِ «عليمٌ» بأفعالهم، فهو مجازيهم على ذلك.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ قال قومٌ: هذا التكرير للتأكيد، وقال ابنُ عطيَّة: هذا التكرير لمعنًى ليس للأوَّل، إذ الأوَّل دَأْبٌ في أنْ هلكوا لمَّا كفروا، وهذا الثاني دَأْبٌ في أنْ لم تُغيَّر نعمتهم حتى غيَّروا ما بأنفسهم[١]. انتهى.

وقال قوم: كُرِّرَ لوجوهٍ، منها: أنَّ الثاني جرى مجرى التفصيل للأوَّل، لأنَّ في ذلك ذِكْر إحْرَاقِهم[٢]، وفي هذا ذِكْر إغراقهم، وأُريد بالأوَّل[٣] ما نزل بهم مِن العقوبة حالَ الموت، وبالثاني ما نزل بهم مِن العذاب في الآخرة، وفي الأوَّل[٤]«بآيات الله» إشارةٌ إلى إنكار دلائل الإلهيَّة، وفي الثاني «بآيات ربِّهم» إشارة إلى إنكار نِعَم مَن ربَّاهم ودلائلِ تربيته وإحسانِه على كثرتها وتواليها، وفي الأوَّل اللازم منه الأَخذ، وفي الثاني اللازم منه الهَلَاك والإغراق.

وقال الزمخشريُّ في قوله تعالى: «بآياتِ ربِّهم» زيادةُ دلالة على كُفْران النِّعَم وجُحود الحقِّ، وفي ذِكْر الإغراق بيانٌ للأَخْذ بالذُّنوب[٥].

وقال الكرمانيُّ: يحتمل أن يكون الضمير في الآية الأولى في «كفروا» عائداً على قريش، وفي الأخيرة في «كذَّبوا» عائداً على «آلِ فرعون والذين مِن قبلهم»[٦]. انتهى.

وقيل: «فأهلكناهم» هم الذين أُهلكوا يوم بدر، فيَلزم مِن هذا القول أن يكون «كذَّبوا» عائداً على كفار قريش.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤١.
(٢) في المطبوع: إجرامهم. وفي تفسير الرازي ١٥/ ١٨١ ـ والكلام منه ـ: أخذهم.
(٣) يعني بذلك الوجهَ الثاني من الوجوه. ينظر تفسير الرازي ١٥/ ١٨١.
(٤) وهو الوجه الثالث من وجوه التكرار. ينظر تفسير الرازي ١٥/ ١٨١.
(٥) الكشاف ٢/ ١٦٤.
(٦) أسرار التكرار في القرآن لتاج القرَّاء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ص ٩٥.

وقال التبريزيُّ: «فأهلكناهم» قومَ نوح بالطُّوفان، وعَاداً بالرِّيح، وثموداً بالصَّيْحَة، وقومَ لوطٍ بالخَسْف، وفرعونَ وآلَه بالغَرَق، وقومَ شُعيبٍ بالظُّلَّة، وقومَ داود بالمَسْخ، وأهلك قريشاً وغيرَها؛ بعضُهم بالفَزَع، وبعضُهم بالسَّيف، وبعضهم بالعَدَسَة[١] كأبي لهب، وبعضهم بالغُدَّة[٢] كعامر بنِ الطُّفَيل، وبعضهم بالصَّاعقة كأَرْبَد بنِ قيس[٣]. انتهى.

فيَظهر مِن هذا الكلام أنَّ الضمير في «كذَّبوا» و«أهلكناهم» عائد على المشبَّه والمشبَّه به في «كدَأْب»، إذْ عمَّ الضميرُ القَبِيلَين[٤]، وإنَّما خصَّ «آل فرعون» بالذِّكْر، وذُكرَ الذي أُهلكوا به ـ وهو إغراقهم ـ لأنَّه انضمَّ إلى كفرهم دعوى الإلهيَّة والربوبيَّة لغير الله تعالى، فكان ذلك أشنع الكفر وأفظعه، ومراعاةُ لفظِ «كلّ» إذا حُذف ما أضيفت إليه ومعناه جائزةٌ، واختير هنا مراعاة المعنى؛ لأجل الفواصل، إذ لو كان التركيب: وكلٌّ كان ظالماً، لم يقع فاصلةً.

وقال الزمخشريُّ: وكلُّهم مِن غَرْقى القِبْط وقَتْلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي[٥]. انتهى. ولا يَظهر تخصيص الزمخشريِّ كلًّا بغَرقى القِبْط وقَتْلى قريش، إذ الضمير في «كذَّبوا» وفي «فأهلكناهم» لا يختصُّ بهما، فالذي يَظهر عموم المشبَّه به وهم «آل فرعون والذين من قبلهم»، أو عموم المشبَّه والمشبَّه بهم.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ نزلت في بني قريظة منهم كعبُ بنُ الأشرف وأصحابُه عاهدهم الرسولُ ﷺ أن لا يمالئوا عليه أحداً، فنكثوا بأن أعانوا

(١) العَدَسَة: بَثْرَة صغيرة شبيهة بالعَدَسة تخرج بالبَدَن مفرَّقةً كالطاعون، فتقتل غالباً، وقلَّما يسلم منها. تاج العروس (عدس)، وخبر أبي لهب سيأتي في سورة المسد.

(٢) الغُدَّة: طاعون الإبل، والسِّلْعة يركبها الشحم. اللسان (غدد).

(٣) ينظر خبر هلاك عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٦٨-٥٦٩، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البرّ ص ٣٠٧-٣٠٨، وسيأتي خبرهما عند تفسير سورة الرعد.

(٤) في (د١) والمطبوع: القبيلتين.

(٥) الكشاف ٢/ ١٦٤.

مشركي مكَّة بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم، فنكثوا ومالؤوا معهم يوم الخندق، وانطلق كعب بنُ الأشرف إلى مكَّة فحالفهم[١].

قال البغوي: مَن روى أنَّه كعب بنُ الأشرف أخطأ ووَهِم، بل يَحتمل أنَّه كعب بنُ أسد فإنَّه كان سيِّدَ قريظة[٢].

وقيل: هم بنو قريظة والنضير، وقيل: نفرٌ مِن قريش مِن عَبْدِ الدَّار، حكاه التبريزيُّ في تفسيره.

«فهم لا يؤمنون» إخبارٌ منه تعالى أنَّهم لا يؤمنون، فلا يمكن أن يقع منهم إيمان. قال ابن عباس: شرُّ الناس الكفار، وشرُّ الكفَّار المصرُّون منهم، وشرُّ المصرِّين الناكثون للعهود[٣]، فأخبر تعالى أنَّهم جامعون لأنواع الشَّرِّ.

«الذين عاهدت منهم» بدل مِن «الذين كفروا»، قاله الحوفيُّ، والزمخشريُّ[٤]، وأجاز أبو البقاء أن يكون خبر مبتدأ محذوف[٥]، وضمير الموصول محذوف، أي: عاهدتهم منهم، أي: مِن الذين كفروا.

قال ابنُ عطية: يحتمل أن يكون وصف «شرّ الدواب» بثلاثة أوصاف؛ الكفر، والموافاةِ عليه، والمعاهدةِ مع النقضِ، و«الذين» على هذا بدلُ بعضٍ مِن كلٍّ، ويحتمل أن يكون «الذين عاهدت» فرقة أو طائفة، ثم أخذ يَصِفُ حالَ المعاهَدين بقوله: «ثمَّ ينقضون عهدَهم في كلِّ مرَّة»[٦]. انتهى.

---

(١) ينظر تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣، وتفسير الطبري ١١/ ٢٣٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٢، والكشاف ٢/ ١٦٤.

(٢) الذي في تفسير البغوي ٢/ ٢٥٧: قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه. اهـ. ولم نقف على كلامه المذكور أعلاه لا عنده ولا عند غيره، وينظر خبر كعب بن أسد مع حيي بن أخطب ونقض عهده مع الرسول ﷺ في السيرة النبوية ٢/ ٢٢٠-٢٢١، وفي المغازي للواقدي ٢/ ٤٨٥ وما بعدها.

(٣) الكشاف ٢/ ١٦٤، وتفسير النيسابوري ١٠/ ١٧، دون عزوه لابن عباس.

(٤) الكشاف ٢/ ١٦٤.

(٥) الإملاء ٢/ ٨-٩.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤١.

فعلى هذا الاحتمال يكون «الذين» مبتدأ، ويكون الخبر قوله: «فإمَّا تثقفنَّهم»، ودخلت الفاء لتضمُّن المبتدأ معنى اسمِ الشرط، فكأنَّه قيل: مَن تُعاهد منهم، أي: مِن الكفار، [1]فإن تظفر بهم فاصنع كذا.

و«من» للتبعيض؛ لأنَّ المعاهدين بعضُ الكفار[1]، وهي في موضع الحال، أي: كائنين منهم. وقيل: بمعنى «مع». وقيل: الكلام محمول على المعنى، أي: أخذتَ منهم العهد، فتكون على هذا التقدير لابتداءِ الغاية، وقيل: «مِن» زائدة، أي: عاهدتهم، وهذه الأقوال الثلاثة ضعيفة، وأتى «ثمَّ ينقضون» بالمضارع؛ تنبيهاً على أنَّ مِن شأنهم نقضَ العهد مرَّة بعد مرَّة.

«وهم لا يتَّقون» لا يخافون عاقبةَ الغدر[2]، ولا يُبالون بما في نَقْض العهد مِن العارِ واستحقاقِ النَّار.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: فإن تظفر بهم في الحرب وتتمكَّن منهم «فَشَرِّد بهم مَن خَلْفَهم». قال ابنُ عباس: فنكِّل بهم مَن خلفهم. وقال ابنُ جبير: أَنْذِرْ مَن خلفهم [3]مِن أهل مكة واليمن[4]. انتهى، وكنى بتشريد مَن خلفهم[3] عن قَتْل مَن ظفر به وتنكيلِه، فكأنَّ المعنى: فإنْ تظفر بهم فاقتلهم قَتْلاً ذريعاً حتى يَفِرَّ عنك مَن خلفهم ويتفرَّق.

ولمَّا كان التشريد ـ وهو التطريد والإبعاد ـ ناشئاً عن قَتْل مَن ظفر به في الحرب مِن المعاهدين الناقضين، جُعلَ جواباً للشرط، إذ هو يتسبَّب عن الجواب.

وقالت فرقة: فسَمِّع بهم، وحكاه الزهراويُّ عن أبي عبيدة[5].

وقال الزمخشريُّ: «مَن وراءهم» مِن الكفرة حتى لا يَجسُر عليك بعدهم أحدٌ؛

(١-١) ليست في (ب).
(٢) في (أ) و(ب) والمطبوع: العدو. وفي (ع): العدّ.
(٣-٣) ليست في المطبوع.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٢-١٥٣، والبغوي ٢/ ٢٥٧، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ٢٣٦-٢٣٧.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٢، ولم نقف على كلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن، فلعلَّه أبو عبيد كما ورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٨.

اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم[١]. وقال الكرماني: قيل: التشريد: التخويف الذي لا يبقى معه القرار، أي: لا ترضَ منهم إلا الإيمان أو السَّيف.

وقرأ الأعمش بخلافٍ عنه: «فشرِّذ» بالذال، وكذا في مصحف عبد الله، قالوا: ولم تحفظ هذه المادة في لغة العرب. فقيل: الذال بدلٌ مِن الدال، كما قالوا: لَحْم خَراديل وخَراذيل[٢].

وقال الزمخشري: «فشرِّذ» بالذال المعجمة بمعنى فَفرِّق، وكأنَّه مقلوب شَذَر، مِن قولهم: ذهبوا شِذَر مِذَر، ومنه: الشَّذَر المُلتَقط مِن المعدِن؛ لتفرُّقه[٣]. انتهى.

وقال الشاعر:

غرائرُ في كِنٍّ وصونٍ ونَعمةٍ ... يُحلَّينَ ياقوتاً وشَذْراً مُفَقَّرا[٤]

وقال قطرُب: بالذال المعجمة: التنكيل، وبالمهملة: التفريق[٥].

وقرأ أبو حيوة والأعمش بخلاف عنه: «مِن خَلْفِهم» جارًّا ومجروراً[٦]، ومفعول «فشرِّد» محذوف، أي: ناساً مِن خَلْفِهم.

[٧]والضميرُ في «لعلَّهم» يظهر أنَّه عائد على «مَن خَلْفَهم»[٧] وهم المشرَّدون، أي: لعلَّهم يتَّعظونَ بما جرى لناقضي العهد، أو يتذكَّرون توعُّدَك إياهم.

وقيل: الضمير عائد إلى المثقوفين، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ مَن قُتلَ لا يُتذكَّر.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الظاهر أنَّ هذا استئنافُ كلام، أخبره تعالى بما يصنع في المستقبل مَعَ مَن

(١) الكشاف ٢/ ١٦٥.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠، والمحتسب ١/ ٢٨٠، ومعنى: خراديل، أي: لحم مقطَّع قطعاً وافرة.
(٣) الكشاف ٢/ ١٦٥.
(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٥٩، والغرائر: الغوافل، والكِنّ: ما يكتنُّ به عن الحرّ والبرد، والشَّذر: قِطَع الذهب، والمُفَقَّر: المصوغ على هيئة فِقار الجرادة.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٣، ونقله عنه القرطبي ١٠/ ٤٩.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠ عن أبي حيوة، وفي تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٣ عن الأعمش.
(٧-٧) ليست في (ب).

يخاف منه خيانةً إلى سالف الدهر. وقال مجاهد: هي في بني قريظة. (١)ولا يَظهر ما قال؛ لأنَّ بني قريظة(١) لم يكونوا في حدِّ مَن يخاف منه خيانة؛ لأنَّ خيانتهم كانت ظاهرة مشهورة، ولقوله: «مِن قوم»؛ فلو كانت في بني قريظة لقال: وإمَّا تخافنَّ منهم.

وقال يحيى بن سلَّام: «تخافنَّ» بمعنى تعلم(٢)، وحكاه بعضهم أنَّه قولُ الجمهور.

وقيل: الخوف على بابه، فالمعنى أنَّه يَظهر منهم مبادِئُ الشَّرِّ، ويُنقَل عنهم أقوالٌ تدلُّ على الغَدْر، فالمبادِئ معلومة، والخيانة التي هي غايةُ المبادئ مَخُوفة لا متيقَّنة، ولفظ الخيانة دالٌّ على تقدُّم عهد؛ لأنَّه مَن لا عهدَ بينكَ وبينه لا تكون محاربتُه خيانةً، فأَمَرَ تعالى نبيَّه إذا أحسَّ مِن أهل عهدٍ ما ذكرنا وخافَ خيانتهم، أن يُلقي إليهم عهدَهم، وهو النَّبْذُ.

ومفعول: «فانبِذْ» محذوفٌ، التقدير: فانبِذ إليهم عهدهم، أي: ارمِهِ واطْرَحْه، وفي قوله: «فانبذ» عدمُ اكتراثٍ به، كقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] كما قال: نَبْذَ الحذاءِ المرقَّع.

وكأنَّه لا يُنبَذ ولا يُرمَى إلَّا الشيءِ التافِهُ الذي لا يُبالَى به، وقوَّة هذا اللفظ تقتضِي حربَهم ومناجزتهم أن يُسْتَقْصوا(٣).

ومعنى «على سواء» أي: على طريقٍ مستوٍ قَصْدٍ، وذلك أن تُظهِر لهم نَبْذَ العهد وتُخبرهم إخباراً مكشوفاً بَيِّناً أنَّكَ قطعتَ ما بينكَ وبينهم، ولا تُناجزهم الحربَ وهم على توهُّم بقاءِ العهد، فيكون ذلك خيانةً منكَ.

«إنَّ اللهَ لا يحبُّ الخائنين» فلا يكن منكَ إخفاء العهد، قاله الزمخشريُّ بلفظه، وغيرُه ـ كابنِ عباسٍ ـ بمعناه(٤).

(١-١) ليست في (ب)، وقول مجاهد أخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٣٩.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣.
(٣) كذا في النسخ، والذي في مطبوع المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣: ومناجزتهم إن لم يستقيموا.
(٤) الكشاف ٢/ ١٦٥، ولم نقف على قول ابن عباس.

وقال الوليد بن مسلم: «على سواء» على مَهَلٍ، كما قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية[١] [التوبة: ١].

وقال الفرَّاء: المعنى: «فانبذ إليهم على» اعتدالٍ و«سواء» مِن الأمْرِ، أي: بيِّن لهم على قَدْر ما ظهر منهم، لا تفرِّط ولا تفجأ بحرب، بل افعَل بهم مثلَ ما فعلوا بك[٢]، يعني موازنةً ومقايسةً.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «سِواء» بكسرالسين[٣].

وظاهرُ «إنَّ الله» أن يكون تعليلاً لقوله: «فانبذ»، أي: «فانبذ إليهم على سواء» على تبعُّد مِن الخيانة «إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين»، ويحتمل أن يكون طعناً على الخائنين الذين عاهدهم الرَّسولُ، ويحتمل «على سواء» أن يكون في موضع الحال مِن الفاعلِ في «فانبذ» أي: كائناً على طريقٍ قَصْدٍ، أو مِن الفاعل والمجرور، أي: كائنين على استواء في العلم، أو في العداوة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ قال الزهريُّ: نزلت فيمَن أفلتَ مِن الكفار في بدر[٤]، فالمعنى: لا تظنَّهم ناجينَ مُفْلتين، فإنَّهم لا يعجزون طالبهم، بل لابدَّ مِن أخذهم. قيل: وذلك في الدنيا ولا يفوتون، بل يُظفركَ اللهُ بهم. وقيل: في الآخرة، قاله الحَسَن[٥]. وقيل: «الذينَ كفروا» عامّ، قاله ابنُ عباس[٦]، وأَعْجَزَ: غلبَ وفات، قال سُويد:

وأَعجَزَنا أبو ليلى طُفَيْلٌ صحيحَ الجِلْدِ مِن أَثَرِ السِّلاحِ[٧]

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣، وزاد المسير ٣/ ٣٧٣، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٤٠.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٣، وينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٤.
(٣) لم نقف عليها، وأوردها عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٥/ ٦٢٢.
(٤) الكشاف ٢/ ١٦٥.
(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٣.
(٦) زاد المسير ٣/ ٣٧٤.
(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٤، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ٢/ ١١ إلى صفوان بن عبد ياليل الشويعر، وكذا نقل عنه ابن رشيق في العمدة ١/ ١١٥ وفيهما: وأفلتنا. بدل: وأعجزنا.

وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص: «ولا يَحسَبنَّ» بالياء[1]، أي: ولا يحسبنَّ الرسولُ، أو حاسِبٌ، أو المؤمِنُ، أو فيه ضميرٌ يعود على «مَن خلفهم» فيكون مفعولا «يَحسَبنَّ»: «الذين كفروا» و«سبقوا» كقراءة باقي السبعة بالتاء، خطاباً للرسول أو للسَّامع.

وجوَّزوا أن يكون في قراءة الياء فاعل «لا يحسبنَّ» هو «الذين كفروا»، وخرّج ذلك على حذف المفعول الأوَّل؛ لدلالة المعنى عليه، تقديره: أنفسَهم سَبَقوا، أو على إضمار «أنْ» قبل «سبقوا»، فحذفت وهي مرادة، فسدَّت مَسدَّ مفعولَي «يحسبنَّ»، ويؤيِّده قراءة عبد الله: «أنَّهم سبقوا»[2].

وقيل: التقدير: ولا يحسبنَّهم الذين كفروا، فحذف الضمير؛ لكونه مفهوماً، وقد رَدَدْنا هذا القولَ في أواخِر «آل عمران»[3].

وعلى أنَّ الفاعل هو «الذين كفروا» خرَّج الزمخشريُّ قراءةَ الياء، وذَكَر نَقْلَ توجيهها على حذفِ المفعول؛ إمَّا الضمير، وإمَّا أنفسهم، وإمَّا حذف «أنْ»، وإمَّا أنَّ الفعلَ وقع على «أنَّهم لا يعجزون» على أنَّ «لا» صلةٌ، و«سبقوا» في موضع الحال، يعني: سابقين أي: مفلتين هاربين، وعلى: ولا يحسبنَّ قبيلُ[4] المؤمنينَ الذين كفروا سَبَقوا، ثم قال: وهذه الأقاويل كلُّها مُتَمحِّلة[5]، وليست هذه القراءة التي تفرَّد بها حمزة بنيِّرة. انتهى.

ولم يَنفرد بها حمزة كما ذَكَر، بل قرأ بها ابنُ عامر ـ وهو مِن العرب الذين سبقوا اللَّحْن وقرأ على عثمان ـ وحفصٌ عن عاصم، وأبو جعفر بنُ القعقاع، وأبو عبد الرحمن، وابنُ محيصن، وعيسى، والأعمشُ، وتقدَّم ذِكْر توجيهها ـ على غيرِ ما نقل ـ ممَّا هو جيِّد في العربيَّة، فلا التفاتَ لقوله: وليست بنيِّرة، وتقدَّم ذِكْرٌ في فتحِ السين وكسرِها في قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(١) السبعة ص ٣٠٧، والتيسير ص ١١٧، وقرأ بها أيضاً من العشرة أبو جعفر. النشر ٢/ ٢٧٧.
(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤١٤، والكشاف ٢/ ١٦٥.
(٣) عند تفسير الآية (١٧٨)، والآية (١٨٨).
(٤) في (أ) و(ز١) و(ع) والمطبوع: قتيل. وينظر الكشاف ٢/ ١٦٥.
(٥) في (ب): متحملة.

وأمَّا قوله: وقيل: وقع على «أنَّهم لا يعجزون» على أنَّ «لا» صلة. فهذا لا يتأتَّى على قراءة حمزة؛ لأنَّه يقرأ بكسر الهمزة، ولو كان واقعاً عليه لفتح «أنَّ»، وإنَّما فتحها مِن السبعة ابنُ عامر وَحْدَه.

واستبعد أبو عبيد وأبو حاتم قراءةَ ابنِ عامر[1]، ولا استبعادَ فيها؛ لأنَّها تعليلٌ للنهي، أي: لا تحسبنَّهم فائتين؛ [2]لأنَّهم لا يعجزون، أي: لا يقع منكَ حسبانٌ لفَوتهم؛ لأنَّهم لا يعجزون، أي: لا[2] يفوتون.

وقرأ الأعمشُ: «ولا يَحْسَب» بفتح السين والياء مِن تحت وحذف النون[3]، وينبغي أن يُخرَّج على حذف النون الخفيفة؛ لملاقاة الساكن، فيكون كقوله:

لا تُهينَ الفقيرَ عَلَّكَ أن تَرْ كعَ يوماً والدهرُ قد رَفَعَه[4]

وقرأ ابنُ محيصن: «لا يعجزوني»[5] بكسر النون وياء بعدها[6].

وقال الزجَّاج: الاختيار فتح النون، ويجوز كسرها على أنَّ المعنى: إنَّهم لا يعجزونَني، وتحذف النون الأولى؛ لاجتماع النونين، كما قال الشاعر:

تَرَاهُ كالثَّغامِ يُعَلُّ مِسْكاً يَسُوءُ الفاليات[7] إذا فَلَيْني[8]

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٤-٤١٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٢-١٩٤.

(٢-٢) ليست في (ب).

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٤، والقراءة في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٣ هكذا: «ولا تحسَبَ الذين» بفتح الباء، ودون نسبة، وكذا وقعت في معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٤-٤١٥ ونسبها إلى عبد الله، وتصحفت في مطبوعه إلى: «يحسبنَّ»، بدل: «يحسب». وأورد القراءة أيضاً الزمخشري عن الأعمش هكذا: «ولا تحسب الذين كفروا» بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة. ووقعت القراءة في كتاب المصاحف ١/ ٣١٧ عن مصحف ابن مسعود هكذا: «ولا يَحْسَبُ» بضم الباء على الخبر.

(٤) سلف عند تفسير الآية (١٤٢) من سورة آل عمران.

(٥) في (أ) و(ح) و(ع): لا يعجزونني، وفي (د١) والمطبوع: لا تعجزونني، والمثبت من (ب) و(ز١) و(يه)، ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٥/ ٦٢٦.

(٦) في (ع): وبحذف النون الأولى وياء بعدها.

(٧) في (ب): الغاليات، وفي المطبوع: الغالبات.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٢٢، والبيت سلف عند تفسير الآية (١٣٩) من سورة البقرة، ومن =

البيت لعَمْرو بنِ معدي كرب، وقال أبو الحسن الأخفش في قول مُتَمِّم بنِ نُوَيْرَة:

ولـقـد عَـلِـمْـت ولا مـحـالـةَ أنَّـنـي للـحـادثـاتِ فـهـل تَـرَيْـنـي أَجـزَعُ

فهذا يجوز على الاضطرار[1]. فقال قوم: حَذفَ النون الأُولى، وحذفها لا يجوز؛ لأنَّها في موضع الإعراب. وقال المبرِّد: أرى فيما كان مِثْل هذا حذف الثانية، وكذا كان يقول في بيتِ عمرٍو[2].

وقرأ طلحة: بكسر النون مِن غير تشديد ولا ياء[3]، وعن ابنِ محيصن: تشديد النون وكسرها[4]، أَدغم نونَ الإعراب في نونِ الوقاية، وعنه أيضاً: بفتح العين وتشديد الجيم وكسر النون[5]، قال النَّحَّاسُ: وهذا خطأٌ مِن وجهين؛ أحدهما أنَّ معنى عجَّزه ضَعَّفَه، وضعَّفَ أَمْرَه، والآخَر أنَّه كان يجب أن يكون بنونين[6]. انتهى.

أمَّا كونه بنونٍ واحدة فهو جائز لا واجبٌ، وقد قُرئَ به في السبعة، وأمَّا: عجَّزني، مشدَّداً، فذكر صاحبُ «اللوامح» أنَّ معناه: بَطَّأَ وثَبَّط، قال: وقد يكون بمعنى نَسبني إلى العَجْز، والتشديدُ في هذه القراءة مِن هذا المعنى، فلا تكون القراءةُ خطأً، كما ذكر النحَّاسُ.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

= قوله السالف: حاسب أو المؤمن، أو فيه ضمير يعود على من خلفهم... إلى قوله: وقرأ على عثمان وحفص عن عاصم. تكرر هنا في (أ)، ولا داعي له.

(١) لم نقف على كلامه في كتابه معاني القرآن، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٥، والبيت في المفضليات ص٥٣، ومنتهى الطلب ٦/ ٣٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٥.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٠ ونسبها لابن محيصن.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٥، والكشاف ٢/ ١٦٥، لكن ذكرها الأخير بكسر النون، ولم يذكر التشديد.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٥، وينظر الكشاف ٢/ ١٦٥، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ١٦٥.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٦٥-١٦٦، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٥٥.

﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠﴾ لـمَّـا اتّـفـق فـي قـصَّـة بـدرٍ أن قَـصَـدوا الـكـفـارَ بلا تكميلِ آلةٍ ولا عُدَّة، وأَمَره تعالى بالتشريد وبنبذِ العهد للناقضين، كان ذلك سبباً للأَخْذ في قتاله والتمالُؤِ عليه، فأَمره تعالى والمؤمنين بإعداد ما قدروا عليه مِن القوَّة للجهاد، والإعدادُ: الإرصادُ، وعلَّق ذلك بالاستطاعة لطفاً منه تعالى بهم، والمخاطبون هم المؤمنون.

والضمير في «لهم» عائد على الكفار المتقدِّمي الذِّكْر، وهم المأمورُ بحَربهم في ذلك الوقت وتَعُمُّ مَن بعدَه. وقيل: تَعود على الذين ينبذ إليهم العهد.

والظاهر العمومُ في كلِّ ما يتقوَّى به على حرب العدوِّ ممَّا أَورده المفسِّرون على سبيل الخصوص، والمراد به التمثيل كالرَّمي، وذكور[1] الخيل، وقوَّة القلوب، واتِّفاق الكلمة، والحصون المشيَّدة، وآلات الحرب وعُدَدها، والأزواد، والملابس الباهية حتى إنَّ مجاهداً رُئيَ يتجهَّز للجهاد وعنده جُوالق، فقال: هذا مِن القوَّة[2].

وأمَّا ما ورد في «صحيح مسلم» عن عقبة بنِ عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة، أَلَا وإنَّ القوَّةَ الرميُ، أَلَا إنَّ القوَّة الرمي»[3] فمعناه ـ والله أعلم ـ أنَّ [4]معظمَ القوَّة وأنكاها للعدوِّ الرميُ، كما جاء: «الحجُّ عَرَفَةُ»[5]، وجاء في[4] فضل الرمي أحاديثُ[6]، وعلى ما اخترناه

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع): وركوب.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٣، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٢، والجوالق: أعجميٌّ معرَّب، وأصله بالفارسية: كُوَالَه، وجمعه: جَوَالق، بفتح الجيم، وهو وعاء من الأوعية معروف. المعرَّب ص ١٥٨، ولسان العرب (جلق).

(٣) صحيح مسلم (١٩١٧)، وهو عند أحمد (١٧٤٣٢).

(٤-٤) ليست في (ب).

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١١١، ومسلم في التمييز (٧٦) و(٧٧)، وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩) و(٨٩٠)، والنسائي في المجتبى ٥/ ٢٥٦، وفي الكبرى (٣٩٩٧)، وابن ماجه (٣٠١٥)، وأحمد (١٨٧٧٣) عن عبد الرحمن بن يَعْمَر رضي الله عنه.

(٦) ينظر باب فضل الرمي عند مسلم الحديث (١٩١٧) وما بعده، وعند الترمذي الحديث (١٦٣٧) وما بعده.

من عموم القوَّة يكون قوله: «ومِن رباط الخيل» تنصيصٌ على فَضْل رباط الخيل، إذ كانت الخيلُ هي أَصلَ الحروب، والخير معقود بنواصيها[(١)]، وهي مراكبُ الفرسان الشُّجْعان.

وقال أبو زيد: الرباطُ مِن الخيل: الخَمْسُ فما فوقها، وجِماعُهُ: رُبُط، وهي التي تُرتَبَط، يقال منه: رَبَط رَبْطاً وارْتَبَط[(٢)]. انتهى.

قال:

تَلومُ على رَبْطِ الجِيادِ وحَبْسِها وأَوصى بها اللهُ النبيَّ محمَّدا[(٣)]

قال ابنُ عطيَّة: و«رباط الخيل» جَمْع: رَبْط، ككلب وكِلاب، ولا يكثر ربطها إلَّا وهي كثيرةٌ، ويجوز أن يكون الرباط مصدراً مِن: رَبَط، كصَاح صياحاً؛ لأنَّ مصادرَ الثلاثيِّ غيرِ المزيد لاتنقاس، وإن جعلناه مصدراً مِن: رَابَط، فكأنَّ ارتباطَ الخيل واتِّخاذها يَفعله كلُّ واحدٍ لفعلِ آخَر، فيرابط المؤمنون بعضهم بعضاً، فإذا ربط كلُّ واحد منهم فرساً لأجل صاحبِه، فقد حصل بينهم رباط، وذلك الذي حَضَّ في الآية عليه، وقد قال ﷺ: «مَن ارتبط فرساً في سبيل الله، فهو كالباسط يدَه بالصدقة لا يَقبضها»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة[(٤)]. انتهى.

فجوّز في «رباط» أن يكون جمعاً لرَبْط، وأن يكون مصدراً لرَبَط أو لرَابَط، وقوله: لأنَّ مصادر الثلاثيِّ غيرِ المزيد لاتنقاس. ليس بصحيح، بل لها مصادر منقاسة ذَكَرها النحويُّون.

---

(١) ومنه قوله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجرُ والغنيمةُ» وهو عند مسلم (١٨٧٢)، وأحمد (١٩١٩٦) عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٧، والكلام في التمهيد ٤/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) البيت قاله مكحول بن عبد الله، ينظر المصدران السابقان، وينظر أيضاً كتاب الخيل لأبي عبيدة، مقدمة كتابه، وحلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل، الباب الرابع عشر في ذكر نبذة من الشعر في إيثار العرب الخيلَ على غيرها.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، والحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي عاصم كما في الدر المنثور ٣/ ١٩٧ عن سهل ابن الحنظلية، وأخرجه عنه أيضاً أحمد (١٧٦٢٢)، وأبو داود (٤٠٨٩) بلفظ: «المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها». وتنظر بقية أحاديث الباب عند أحمد والسيوطي.

وقال الزمخشريُّ: والرِّباط: اسمٌ للخيل التي تُربَط في سبيل الله، ويجوز أن تُسمَّى بالرِّباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جَمْعَ: رَبِيْط، كفَصِيْل وفِصَال[١].

وقرأ الحسن وأبو حَيْوة وعمرو بن دينار: «ومِن رُبُط» بضمِّ الراء والباء، وعن أبي حيوة والحسن أيضاً: «رُبْط» بضمِّ الراء وسكون الباء، وذلك نحو كتاب وكُتُب وكُتْب.

قال ابنُ عطيَّة: وفي جمعه ـ وهو مصدر غير مختلف ـ نَظَرٌ[٢]. انتهى. ولا يتعيَّن كونه مصدراً، أَلَا ترى إلى قول أبي زيدٍ إنَّه مِن الخيل الخَمْس فما فوقها، وأنَّ جِماعها رُبُط، وهي التي تُرتَبط.

والظاهر عمومُ الخيل ذكورها وإناثها، وقال عكرمة: «رباط الخيل»: إناثها[٣]، وفسّر القوَّة بذكورِها، واستحبَّ رباطَها بعضُ العلماء؛ لِمَا فيها مِن النِّتاج، كما قال: بُطُونها كَنْزٌ[٤]. وقيل: «رباط الخيل» الذكورُ منها؛ لِمَا فيها مِن القوَّة والجَلَد على القتال والكفاح والكَرِّ والفَرِّ والعَدْوِ.

والضمير في «به» عائد على «ما» مِن قوله: «ما استطعتم». وقيل: على الإعداد. وقيل: على القوَّة، وقيل: على «رباط».

و«تُرهبون» قالوا: حالٌ مِن ضمير «وأعدُّوا»، أو مِن ضمير «لهم»، ويحصل بهذا الارتباط والإرهاب فوائدُ؛ منها أنَّهم لا يقصدون دخولَ دار الإسلام، وباشتداد الخوف قد يَلتزمون الجزيةَ أو يُسلمون، أو لا يُعِيْنون سائرَ الكفار.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٥، ودابَّة رَبِيط: مربوطة. اللسان (ربط).

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، والقراءتان في القراءات الشاذة ص٥٠.

(٣) أخرجه عنه ابن أبي شيبة (٣٤١٨٠)، والطبري ١١/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٢.

(٤) أورده ابن عبد البرِّ في بهجة المجالس ٣/ ٦٨ عن عمر بن الخطاب قولَه، وأورده أيضاً الجاحظ في البيان والتبيين ٢/ ١٩، وابن عبد ربِّه في العقد الفريد ١/ ١٥٢، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٥/ ٢٤١ عن النبي ﷺ مرفوعاً، ولم نقف عليه مسنداً إلا ما أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ١٥٣ عن سهل بن محمد، عن أبي عبيدة أن النبي ﷺ قال: «عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها حِرْز وبطونها كنز».

وقرأ الحسن ويعقوب وابنُ عقيل لأبي عمرو: «تُرَهِّبون» مشدَّداً، عُدِّيَ بالتضعيف، كما عُدِّي بالهمزة، قال أبو حاتم: وزَعَم عَمْرو أنَّ الحسنَ قَرَأ: «يُرْهبون» بالياء مِن تحت وخفَّفها[١]. انتهى.

والضمير في «يرهبون» عائدٌ على ما عاد عليه «لهم» وهم الكفار، والمعنى: إنَّ الكفار إذا علموا بما أعددتم للحرب مِن القوَّة ورِباطِ الخيل، خَوَّفوا مَن يَليهم مِن الكفار وأرْهبوهم، إذ يُعلمونهم ما أنتم عليه مِن الإعداد للحرب فيَخافون منكم، وإذا كانوا قد أخافوا مَن يَليهم منكم فهو أشدُّ خوفاً لكم.

وقرأ ابنُ عبَّاس وعكرمة ومجاهد: «تُخْزُونَ به»[٢] مكان «ترهبون به»، وذكرها الطبريُّ على جهة التفسير لا على جهةِ القراءة[٣]، وهو الذي ينبغي؛ لأنَّه مخالفٌ لسواد المصحف.

وقرأ السُّلمي: «عدوًّا لله» بالتنوين ولامِ الجرّ[٤]، قال صاحبُ «اللوامح»: فقيل أراد به اسمَ الجنس، ومعناه: أعداء الله، وإنَّما جعله نكرةً بمعنى العامَّة؛ لأنَّها نكرة أيضاً، لم يتعرَّف بالإضافة إلى المَعرفة؛ لأنَّه اسمُ الفاعل ومعناه الحال والاستقبال، ولا يتعرَّف ذلك وإن أُضيف إلى المعارف، وأمَّا «وعدوَّكم» فيجوز أن يكون كذلك نكرةً، ويجوز أن يكون قد تعرَّف؛ لإعادة ذِكْره، ومثله: رأيتُ صاحباً لكم، فقال لي صاحبكم، والله أعلم. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٧٧، وأورد القراءة الأولى ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٠ ونسبها للسلمي وعصمة لكن بالياء بدل التاء. والقراءة الثانية ـ وقول أبي حاتم ـ أورده السمين في الدر المصون ٥/ ٦٢٨ لكن ورد عنده: أنَّ أبا عمرو نقل قراءة الحسن. . .، يعني بزيادة: أبا. قبل: عمرو. فليحرَّر، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٠ وعزاها للسلمي والحسن.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، والكشاف ٢/ ١٦٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠ لكن تصحفت في مطبوعه إلى: يجرون به. فليحرَّر.

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٢٤٦-٢٤٧، وهي مذكورة عنده تخريجاً عنهم، لكن وقع في مطبوعه أثَرُ ابنِ عباس في بعض الروايات هكذا: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ قال: تُخْزُون به عدوَّ الله وعدوَّكم، وكذا كان يقرؤها: «تُخْزُون»، وأشار محقِّقوه إلى أن لفظة: «تخزون» وقعت في النسخ: «ترهبون»، وأن التصويب من قِبَلهم اعتماداً على ما ورد في الكشاف والبحر، فليحرَّر.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠.

وذكر أوَّلاً «عدوّ الله» تعظيماً لما هم عليهِ من الكفر وتقويةً لذمِّهم، وأنَّه يجب لأجل عداوتهم لله تعالى أن يُقاتَلوا ويُبغَضوا، ثم قال: «وعدوّكم» على سبيل التحريض على قتالهم، إذ في الطبع أن يُعاديَ الإنسانُ مَن عاداه، وأن يَبغي له الغوائل، والمراد بهاتين الصفتين مَن قَرُبَ مِن الكفار مِن ديار الإسلام مِن أهل مكَّة ومشركي العرب، قيل: ويجوز أن يُراد جميع الكفار.

«وآخَرين مِن دونهم» أصلُ: «دُون» أن تكون ظرفَ مكان حقيقةً أو مجازاً، قال ابنُ عطيَّة: «مِن دونهم» بمنزلة قولك: دون أن يكون هؤلاء، فـ «دون» في كلام العرب و«مِن دون» يقتضي عدمَ المذكور بعدها مِن النازلة التي فيها القول، ومنه المَثَل: وأُمِرَّ دونَ عُبَيْدةَ الوَذَمُ[1].

قال مجاهد: «وآخرين» بنو قريظة، وقال مقاتل: اليهود، وقال السُّدِّي: أهلُ فارس، وقالت فرقة: كفَّار الجِنِّ، ورجَّحه الطبريُّ[2]، واستند في ذلك إلى ما رُوِيَ من أنَّ صَهِيلَ الخيل تَنفر الجِنُّ منه، وأنَّ الشياطينَ لا تَدخُل داراً فيها فرسُ الجهاد، ونحو هذا.

وقالت فرقة: هم كلُّ عدوٍّ للمسلمين غيرِ الفِرْقة التي أُمِرَ النبيُّ ﷺ أن يُشرِّد بهم مَن خَلْفهم.

وقال ابن زيد: هم المنافقون[3]، وهذا أظهر؛ لأنَّه قال: «لا تعلمونهم الله يعلمهم» أي: لا تعلمون أعيانَهم وأشخاصَهم، إذ هم متستِّرون عن أن تعلموهم بالإسلام، فالعِلْم هنا كالمعرفة تعدَّى إلى واحدٍ، وهو متعلِّقٌ بالذوات وليس متعلّقاً بالنسبة، ومَن جَعَله متعلّقاً بالنسبة فقدّر مفعولاً ثانياً محذوفاً، وقدَّره: محارِبين = فقد

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٧، والمثل في جمهرة الأمثال للعسكري ١/ ١٦٥، ومجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٨٥، والمثل يُضرب للرجل يُقطَع الأمرُ دونه، وهو ممَّا يُهجى به، والوَذَم: سَيْر يُشَدُّ به أُذُن الدَّلْو. والمَثَل ورد في بيت لطرفة بن العبد:

ولقد هممتُ بذاك إذ حُبِسَت وأُمِرّ دونَ عبيدةَ الوَذَمُ

وهو في ديوانه ص ٨٩.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع): الطوسي. وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، وتفسير الطبري ١١/ ٢٤٧-٢٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٦، وتفسير الطبري ١١/ ٢٤٨-٢٤٩.

أَبعدَ؛ لأنَّ حذفَ مِثْلِ هذا دونَ تقدُّم ذِكْرٍ، ممنوعٌ عند بعض النحويِّين، وعَزيزٌ جدًّا عند بعضهم، فلا يُحمَل القرآنُ عليه مع إمكان حملِ اللفظ على غيره وتمكُّنه مِن المعنى.

وقدَّره بعضهم: «لا تَعلمونهم» فازِعين[1] راهبينَ «اللهُ يعلمهم» بتلك الحالة.

والظاهر أن تكون إشارةً إلى المنافقين ـ كما قلنا ـ على جهة الطَّعْن عليهم والتنبيهِ على سُوء حالهم، وليستريبَ بنفسِه كلُّ مَن يعلم منها نفاقاً إذا سمع الآية، وبفَزَعهم ورهبتهم غَناءٌ كبير في ظهور الإسلام وعلُوِّه.

وقال القرطبيُّ ما معناه: لا ينبغي أن يُعيِّن قوله: «وآخرين»؛ لأنَّه تعالى قال: «لا تعلمونهم اللهُ يعلمهم» فكيف يَدَّعي أحدٌ عِلْماً بهم، إلَّا أن يصحَّ حديثٌ فيه عن الرسول ﷺ[2]. انتهى.

ثم حضَّ تعالى على النفقة في سبيل الله مِن جهاد وغيرِه، وكان الصحابة ﷺ يَحملُ واحدٌ منهم الجماعةَ على الخيل والإبل، وجهَّز عثمانُ ﷺ جيشَ العُسْرةِ بألف دينار، «يوفَّ إليكم» جزاؤه وثوابُه مِن غيرِ نقص، وقيل: هذه التوفية في الدنيا على ما أنفقوا مع ما أعدّ لهم في الآخِرة مِن الثواب.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ جَنَحَ الرَّجلُ إلى الآخَر[3]: مَالَ إليه، وجَنحت الإبلُ: مالت أعناقُها في السَّير، قال ذو الرُّمَّة:

إذا مات فوقَ الرَّحْلِ أحييتُ روحَهُ بِذِكْراكِ والعِيْسُ المراسيلُ جُنَّحُ[4]

وجَنَحَ اللَّيلُ: أَقبلَ وأَمالَ أطنابَه[5] على الأرض. وقال النابغة يَصف طُيوراً تتبع الجيش:

---

(١) في (أ) و(ب) و(ع): فارغين. وفي المطبوع: فازغين. وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٦١، وينظر الحديث الذي أورده ثمَّة، والذي قال عنه ابن كثير: منكر، لا يصح إسناده ولا متنه.

(٣) في (أ): الأمر. وكذا في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٧، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٦٢.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٦٢، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٤٧، والبيت في ديوان ذي الرّمّة ٢/ ١٢١٥، ومعنى: إذا مات. أي: من شدَّة النعاس، والعيس: الإبل البيض، والمراسيل: السراع في سهولة، و: جُنَّح: قد أكبَّت في السير.

(٥) الطُّنُب: حبل طويل يُشدُّ به سُرادق البيت، أو الوتدُ، والجمع: أطناب وطِنَبَة. القاموس (طنب)، والمراد به هنا خيوط الليل.

جَوانِحَ قد أَيقَنَّ أنَّ قَبِيْلَهُ إذا ما التقى الجَمْعانِ[١] أوَّلُ غالبِ

ومنه قيل للأضلاع: جوانح؛ لأنَّها مالت على الحُشوة[٢]، ومنه: الجَناح؛ لمَيْله.

وقال النَّضر بنُ شُمَيل: جَنَحَ الرجلُ إلى فلانٍ، وجَنَحَ له: إذا تابعه، وخَضَع له[٣].

والضمير في «جنحوا» عائد على الذين نُبذَ إليهم على سواء، وهم بنو قريظة والنضير، وقيل: على مشركي قريش والعرب، وقيل: على قوم سألوا مِنَ الرسول ﷺ قَبولَ الجزية منهم.

وجَنَح يتعدَّى بـ «إلى» وباللام، و«السَّلْم» يذكَّر ويؤنَّث، فقيل: التأنيث لغة، وقيل: على معنى المسالمة، وقيل: حَمْلاً على النقيض، وهو الحرب، وقال الشاعرُ:

وأَفنيتُ في الحرب آلاتِها وأَعْدَدتُ للسَّلْم أوزارَها[٤]

وتقدَّم الخلاف في قراءة فتح السين وكسرها[٥]، والسِّلْم: الصُّلْحُ لغةً. فقال قتادة: هي موادعة المشركين ومهادنتهم[٦]، وهذا راجع إلى رأي الإمام، فإن رآه مصلحةً فَعَل، وإلَّا فلا. وقيل: نزلت في قوم معتِّب سألوا الموادعةَ، فأمر اللهُ نبيَّه بالإجابةِ إليها، ثم نُسخت بقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٢٩]. وقيل: أداء الجزية، [٧]وقال الحسن: السِّلْم: الإسلام، وعن ابنِ عباس: نُسخت بقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧] [التوبة:٢٩]، وعن مجاهد: بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١) في (أ) و(ب) و(ح) و(د١) والمطبوع: الجيشان، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٦٢، وديوان النابغة ص ١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٢، والحُشوة، بالضَّمّ والكسر: الأمعاء. النهاية (حشا).

(٣) تهذيب اللغة ٤/ ١٥٥ (جنح)، واللسان (جنح).

(٤) القائل: ابن حمديس، والبيت في ديوانه ص ١٨١.

(٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

(٦) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٢٥٢-٢٥٣، وعنه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٤٠).

(٧-٧) ليست في (أ)، وقول الحسن أخرجه الطبري ١١/ ٢٥٣ لكن عن ابن إسحاق، وكلامه في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦٧٤، وقول ابن عباس في الكشاف ٢/ ١٦٦، وأخرجه أبو عبيد

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]. قال الزمخشريُّ: والصحيح أنَّ الأمرَ موقوفٌ على ما يَرى فيه الإمامُ صلاحَ الإسلام وأهلِه مِن حرب أو سِلْم، وليس بحتمٍ أن يُقاتَلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً(١).

وقرأ الأشهبُ العقيليّ: «فاجْنُح» بضمِّ النون، وهي لغةُ قيس، والجمهور بفتحها وهي لغة تميم، وقال ابنُ جنِّيّ: القياس في فَعَلَ اللازم ضمُّ عينِ الكلمة في المضارع، وهي أقيس مِن يَفعِل بالكسر(٢).

وأمره تعالى بالتوكُّل عليه، فلا يبالي بهم وإن أَبطنوا الخديعةَ في جنوحهم إلى السَّلْم، فإنَّ اللهَ كافي مَن توكَّل عليه، وهو «السميع» لأقوالهم «العليم» بنيَّاتهم.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي: وإن يُرِدِ الجانحونَ للسَّلْم بأن يظهروا السّلْم ويبطنوا الخيانةَ والغَدْر مخادعةً، فاجنح لها، فما عليك مِن نيَّاتهم الفاسدة، فإنَّ مُحْسِبَك وكافيَك هو «اللهُ»، ومَن كان اللهُ حَسبَه لا يبالي بمن نوى سوءاً، ثمَّ ذكَّره بما فَعَل معه أوَّلاً مِن تأييده بالنَّصْر وبائتلاف المؤمنين على إعانتِهِ ونَصْره على أعدائه، فكما لطفَ بكَ أوَّلاً يَلطف بك آخِراً.

والمؤمنون هنا: الأوس والخَزْرَج، وكان بين الطائفتين مِن العداوة للحروب التي جرت بينهم ما كان ـ لولا الإسلامُ ـ لِيَنْقَضِي أبداً، ولكنَّه تعالى مَنَّ عليهم بالإسلام، فأَبْدَلهم بالعداوة محبَّةً، وبالتباعد قُرْباً.

ومعنى «لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً» أي: (٣)على تأليف قلوبهم واجتماعها على محبَّة بعضها بعضاً(٣)، وكونها في الأوس والخزرج تظاهرت به أقوالُ

= في الناسخ والمنسوخ (٣٦١)، وينظر كلام الطبري في تفسيره ١١/ ٢٥٣-٢٥٤ وابنِ عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٨ حول قضية النَّسْخ هذه.

(١) الكشاف ٢/ ١٦٦، وقول مجاهد السالف فيه.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٨، والقرطبي ١٠/ ٦٣، والقراءة ـ وكلامُ ابن جنّي ـ في المحتسب ١/ ٢٨٠، وينظر أيضاً كتابه المُنْصِف ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٣-٣) ليست في (ب).

المفسِّرين، وقال ابنُ مسعود: نزلت في المتحابِّين في الله[١].

قال ابنُ عطيَّة: ولو ذهبَ ذاهبٌ إلى عموم المؤمنين في المهاجرين والأنصار، وجعل التأليف ما كان بين جميعهم، فكلٌّ يألَفُ في الله[٢].

وقال الزمخشريُّ: التأليف بين قلوب مَن بُعثَ إليهم رسولُ الله ﷺ لما رَأَوا مِن الآيات الباهرة؛ لأنَّ العربَ لما فيهم مِن الحميَّة والعصبيَّة والانطواء على الضَّغِينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا، لا يَكاد يَأتَلِف منهم قلبان، ثم ائتَلفت قلوبُهم على اتِّباع رسول الله ﷺ واتَّحدوا، وذلك لما نظم اللهُ مِن أُلفتهم، وجَمع مِن كلمتهم، وأَحدث بينهم مِن التحابِّ والتوادِّ، وأماط عنهم مِن التباغض، وكلَّفهم مِن الحبِّ في الله، والبُغْض في الله، ولا يَقدر على ذلك إلَّا مَن يَملك القلوب، فهو يقلِّبها كما يشاء، ويَصنع فيها ما أراد[٣]. انتهى.

وكلامه أخيراً قريب مِن كلام أهل السُّنَّة؛ لأنَّهم قالوا: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ العقائد والإراداتِ والكراهاتِ مِن خَلْق الله، لأنَّ ما حصل مِن الأُلف هو بسبب الإيمان ومتابعةِ الرسول ﷺ، فلو كان الإيمانُ فِعْلاً للعبد [٤]لكانت المحبَّة المترتِّبة عليه فعلاً للعبد[٤]، وذلك خلافُ صريح الآية.

وقال القاضي: لولا أَلطاف الله تعالى ساعةً ساعةً ما حصلت هذه الأحوال، فأضيفت إلى الله على هذا التأويل، ونظيره أنَّه يُضاف عِلْمُ الولد وأَدَبُه إلى أبيه؛ لأجل أنَّه لم يُحصِّل ذلك إلَّا بمعونة الأبِ وتربيته، فكذلك هنا[٥]. انتهى. وهذا هو مذهبُ المعتزلة.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٨، وأخرجه عنه النسائي في الكبرى (١١١٤٦)، والطبري ١١/ ٢٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٨-٥٤٩، وعبارته فيه هكذا: ولو ذهب إلى عموم المؤمنين في المهاجرين والأنصار، وجعل التأليف ما كان من جميعهم من التحابّ حتى تكون ألفة الأوس والخزرج جزءاً من ذلك لساغ ذلك، وكلّ تألف في الله فتابع لذلك التألف الكائن في صدر الإسلام.

(٣) الكشاف ٢/ ١٦٦.

(٤-٤) ليست في (ب).

(٥) تفسير الرازي ١٥/ ١٨٩، وما قبله منه أيضاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ نزلت بالبَيداء في غزوة بدر قَبْلَ القتال[١]. وقال ابنُ عباسٍ وابنُ عمر وأنس: في إسلام عمر[٢]. قال ابنُ جبير: أسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وستُّ نسوةٍ، ثم أَسلم عمر، فنزلت[٣].

والظاهر رفع «ومَنْ» عطفاً على ما قبله، وعلى هذا فسَّره الحسنُ وجماعةٌ، أي: حَسْبُك اللهُ والمؤمنون[٤]. وقال الشعبيُّ وابنُ زيد: معنى الآية: حَسْبُك اللهُ وحَسْبُ مَن اتَّبعكَ.

قال ابنُ عطيَّة[٥]: فـ«مَن» في هذا التأويل في موضع نصب عطفاً على موضع الكاف؛ لأنَّ موضعها نصبٌ على المعنى بـ: يكفيك، الذي سدَّت «حَسْبُك» مسدَّها. انتهى. وهذا ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ «حَسْبك» ليس ممَّا تكون الكاف فيه في موضع نَصْب، بل هذه إضافة صحيحة ليست مِن نصب، و«حَسْبك» مبتدأ مضاف إلى الضمير، وليس مصدراً ولا اسمَ فاعل، إلَّا إن قيل: إنَّه عطف على التوهُّم، كأنَّه تُوهِّم أنَّه قيل: يكفيكَ اللهُ، أو: كفاك اللهُ، لكن العطف على التوهُّم لا ينقاس، فلا يُحمَل عليه القرآنُ ما وُجدت مندوحة عنه، والذي ينبغي أن يُحمل عليه كلام الشعبيِّ وابنِ زيد هو أن تكون «ومَن» مجرورة على حذف: وحسب، لدلالة «حَسْبك» عليه، فيكون كقوله:

أَكُلَّ امرئٍ تحسبين امْرَأً ... ونارٍ تَوقَّدُ بالليل ناراً[٦]

أي: وكلّ نارٍ، فلا يكون مِن العطف على الضمير المجرور.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩ وعزا القولَ فيه للنقاش.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩، وأثر ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٧٠)، والواحدي في الوسيط ٢/ ٤٦٩-٤٧٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨: فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وهو كذاب. اهـ. وقال القرطبي في تفسيره ١٠/ ٦٧-٦٨: ما ذكر من إسلام عمر عن ابن عباس، فقد وقع في السيرة [١/ ٣٤٢] خلافه... إلى آخر كلامه. فلينظر ثمَّة.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٥، والكشاف ٢/ ١٦٧، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم (٩١٣٥)، وينظر التعليق السابق.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٦٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٥، وقد رَدَّ هذا الكلام ابن القيم في زاد المعاد ١/ ٣٨ حيث قال: هذا التقدير وإن قاله بعض الناس، فهو خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه، فإن الحَسْب والكفاية لله وحده.

(٥) في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩، وما قبله منه أيضاً، وأثر الشعبي وابنِ زيد أخرجه عنهما الطبري ١١/ ٢٦٠.

(٦) سلف في سورة النساء، عند تفسير الآية (٣٤).

وقال ابنُ عطيَّة: وهذا الوجه مِن حذف المضاف مكروهٌ، بابُه[1] ضرورةُ الشعر. انتهى. وليس بمكروهٍ ولا ضرورة، وقد أجازه سيبويه في الكلام، وخرَّج عليه البيتَ وغيرَه مِن الكلام الفصيح[2].

وقال الزمخشريُّ: «ومَن اتَّبعك» الواو بمعنى «مع» وما بعدَه منصوبٌ، تقول: حَسْبُكَ وزيداً درهمٌ، ولا تجرّ، لأنَّ عطفَ الظاهر المجرور على المُكْنى ممتنعٌ، قال:

فحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ سيفٌ مهنَّدُ[3]

والمعنى: كفاكَ وكفى تُبَّاعَك مِن المؤمنين اللهُ ناصراً. انتهى.

وهذا الذي قاله الزمخشريُّ مخالفٌ لكلام سيبويه، قال سيبويه: قالوا: حَسْبك وزيداً درهمٌ، لمَّا كان فيه معنى: كفاكَ، وقَبُح أن يَحملوه على المضمَر، نَوَوا الفعلَ، كأنَّه قال: حَسْبُك ـ ويُحْسِبُ[4] ـ أخاكَ درهمٌ، وكذلك: كَفْيُكَ[5]. انتهى.

كَفْيُك: هو مِن كَفاه يَكفيه، وكذلك: قَطْكَ، تقول: كَفْيُك وزيداً درهمٌ، وقَطْكَ وزيداً درهمٌ، وليس هذا مِن باب المفعول معه، وإنما جاء سيبويه به حجَّةً للحمل على الفعل للدلالة، فحسبُك يدلُّ على كفاك، و: يُحْسبني، مضارع: أَحْسَبني فلانٌ: إذا أعطاني حتى أقولَ: حَسْبِي، فالناصبُ في هذا فعلٌ يدلُّ عليه المعنى، وهو في: كَفْيُك وزيداً درهمٌ، أوضحُ؛ لأنَّه مصدرٌ للفعل المضمَر، أي: ويكفي زيداً، وفي: قَطْكَ وزيداً درهمٌ، التقدير فيه أبعدُ؛ لأنَّ قَطْكَ ليس في الفعل

---

(١) في (أ) و(ب) و(د١) و(ز١) و(ع) و(يه): بأنه. والمثبت من (ح) والمحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩.
(٢) ينظر الكتاب ١/ ٦٥-٦٦.
(٣) الكشاف ٢/ ١٦٧، وعجز البيت في الصحاح (عصا)، وشرح المفصل ٢/ ٥١، والأمالي ٢/ ٢٦٢، وذيل الأمالي للقالي ص١٤٠، ونُسب عند الأخير لجرير، ولم نقف عليه في ديوانه، وصدره:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

وورد في تفسير البيضاوي ٣/ ٥٦، وروح المعاني ١٠/ ١٧٨: واشتجر القنا، بدل: وانشقت العصا، وورد البيت في روح المعاني عجزُه صدراً وبالعكس.
(٤) في (ح): ومُحْسِبُ.
(٥) الكتاب ١/ ٣١٠.

المضمَر شيءٌ مِن لفظه، إنَّما هو مفسَّرٌ مِن حيث المعنى فقط، وفي ذلك الفعل المضمَر فاعل يَعود على الدرهم، والنِّيَّةُ بالدرهم التقديمُ، فيصير مِن عطف الجمل، ولا يجوز أن يكون مِن باب الإعمال؛ لأنَّ طلبَ المبتدأ للخبر وعملَه فيه، ليسَ مِن قَبيل طَلَب الفعل أو ما جرى مجراه، ولا عمله، فلا يتوهَّم ذلك فيه.

وقال الزجَّاج: حَسْبُ: اسمُ فعلٍ، والكاف نصبٌ، والواو بمعنى «مع». انتهى. فعلى هذا يكون «الله» فاعلاً بـ «حَسْبُكَ»، وعلى هذا التقدير يجوز في «ومَن» أن يكون معطوفاً على الكاف؛ لأنَّها مفعولٌ باسم الفعل لا مجرور، لأنَّ اسمَ الفعل لا يُضاف، إلَّا أنَّ مذهبَ الزجَّاج خطأ؛ لدخول العواملِ على «حسبك»، تقول: بحَسْبك درهمٌ، وقال تعالى: «فإنَّ حَسْبَكَ اللهُ» ولم يَثبت كونه اسمَ فِعْلٍ في مكان فيُعتقد فيه أنَّه يكون اسمَ فعلٍ واسماً غيرَ اسمِ فِعْلٍ، كـ: رُوَيْدَ، وأجاز أبو البقاء رَفْعَ «ومَن» على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: وحَسْبُكَ مَن اتَّبعك، وعلى أنَّه مبتدأ محذوفُ الخبر، تقديره: ومَن اتَّبعك مِن المؤمنين كذلك، أي: حَسْبهم اللهُ[١].

وقرأ الشعبيُّ: «ومَنْ أَتْبَعك» بإسكان النون[٢]، وأتبع على وزن أكْرَم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ هاتان الجملتان شرطيَّتان في ضمنهما الأمرُ بصَبْر عشرين لمئتين، وبصبر مئة لألف، ولذلك دخلها النَّسْخ، إذ لو كان خبراً محضاً لم يمكن فيه النَّسْخ، لكن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النَّسْخ، وهذا مِن ذلك، ولذلك نُسخَ بقوله: «الآن خفَّف الله عنكم»، والتقييد بالصبر في أوَّل كلِّ شرط لفظاً هو محذوف مِن الثانية؛ لدلالة ذِكْره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله: «من الذين كفروا» لفظاً هو محذوف مِن الشرط

---

(١) الإملاء ٢/ ١٠، ولم يُذكَر في مطبوعه الوجه الثاني، بل ذُكر وجه آخر وهو أن يكون خبراً آخر، ولعلَّه سقط من مطبوعه هذا الوجه، بدليل أنه قال: للرفع ثلاثة أوجه، ولم يذكر سوى اثنين، فليحرَّر.

(٢) القراءات الشاذة ص ٥٠.

الأوَّل في قوله: «يغلبوا مئتين» فانظر إلى فصاحة هذا الكلام؛ حيث أثبت قيدٌ في الجملة الأولى وحذف نظيرُه مِن الثانية، وأُثبت قيد في الثانية وحُذف مِن الأولى، ولمَّا كان الصبرُ شديدَ المطلوبيَّة أُثبت في أُولى جملتَي التخفيف، وحُذف مِن الثانية؛ لدلالة السابقة عليه، ثم خُتمت الآية بقوله: «واللهُ مَعَ الصابرين» مبالغة في شدَّة المطلوبيَّة، ولم يأتِ في جملتَي التخفيف قيدُ الكفر؛ اكتفاءً بما قبلَ ذلك.

وتظاهرت الروايات عن ابنِ عباس[1] وغيره مِن الصحابة أنَّ ثباتَ الواحد للعشرة كان فَرْضاً، ثم لما شقَّ عليهم انتقل إلى ثباتِ الواحد للاثنين، [2]ومرويٌّ أيضاً عن ابن عباس أن ذلك كان على سبيل الندب لا الفرض[3]، ثم انتقل إلى ثبات الواحد للاثنين[2] على سبيل الندب[4] أيضاً، وسواء كان فرضاً أم نَدْباً هو نَسْخٌ، وقول مَن قال: إنَّه تخفيفٌ لا نَسْخ، كمكِّي بنِ أبي طالب = ضعيفٌ، قال مكِّيّ: إنَّما هو كتخفيفِ الفِطْر في السفر، ولو صامَ لم يَأثم وأجزأه[5].

ومناسبة هذه الأعداد أنَّ فَرْضيَّة الثبات أو نَدْبيَّته كان أوَّلاً في ابتداء الإسلام؛ فكان العشرون تمثيلاً للسَّرِيَّة، والمئة تمثيلاً للجيش، فلمَّا اتَّسع نطاقُ الإسلام ـ وذلك بعدَ زمان ـ كان المئة تمثيلاً للسرايا، والألْف تمثيلاً للجيش.

وليس في أمرِه تعالى نبيَّه بتحريض المؤمنين على القتال دليلٌ على ابتداءِ فَرْضِيَّة القتال، بل كان القتالُ مُفتَرَضاً قَبْلَ هذه الآية، وإنَّما جاءت هذه حثًّا على أَمْرٍ كان وَجَبَ عليهم.

ونصَّ تعالى على سبب الغَلَبة؛ بأنَّ الكفارَ «قومٌ لا يَفقهون»، والمعنى: أنَّهم قومٌ جَهَلة يُقاتِلون على غير احتساب وطلبِ ثواب، كالبهائم، فتَفُلُّ نيَّاتهم ويَعدَمُون؛ لجهلهم بالله تعالى نُصْرَتَه، فهو تعالى يَخذلهم، وذلك بخلاف مَن يُقاتِل على بصيرة وهو موعودٌ مِن الله تعالى بالنَّصْرِ والغَلَبة.

---

(١) أخرجه عنه البخاري (٤٦٥٢) و(٤٦٥٣).
(٢-٢) ليست في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع، والمثبت من (ب) و(ز١).
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٠، وينظر تفسير الطبري ١١/ ٢٦٢ وما بعدها.
(٤) في (د١) و(ع) والمطبوع: التقرب.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٠، وكلام مكي في الهداية ٤/ ٢٨٧٥.

وعن ابنِ جريج: كان عليهم أن لا يفرُّوا ويثبت الواحد للعَشَرة، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعث حمزةَ في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاث مئة راكب. قيل: ثم ثَقُلَ عليهم ذلك وضَجُّوا منه، وذلك بعد مُدَّةٍ طويلة، فنُسخ وخفّف عنهم بمقاومة الواحدِ للاثنين[١].

وقال بعضُ العلماء: الذي استقرَّ حُكم التكليف عليه بمقتضى هذه الآية أنَّ كلَّ مسلم بالِغ وقفَ بإزاء المشركين عبداً كان أو حرًّا، فالهزيمة عليه محرَّمة مادام معه سلاحُه يُقاتل به، فإن كان ليس معه سلاح، فله أن يَنهزم، وإنْ قابَلَه[٢] ثلاثة حلَّت له الهزيمة، والصبرُ أَحسَنُ.

وروى البيهقيُّ وغيرُه أنَّ جيشَ مُؤْتَة ـ وكانوا ثلاثةَ آلاف من المسلمين ـ وقفوا لمئتي ألفٍ؛ مئة ألفٍ مِن الرُّوم، ومئة ألفٍ مِن الأنباط، ورُويَ أنَّهم وقفوا لأربع مئة ألف[٣]، والأوَّلُ هو الصحيح.

وفي تاريخ فتح الأندلس أنَّ طارقاً مولى موسى بنِ نُصَيْر صار في ألف رجلٍ وسبع مئة رجل إلى الأندلس، وذلك في رَجَبٍ سنة ثلاثٍ وتسعين مِن الهجرة، فالتقى هو ومَلِك الأندلس لُذْرِيق، وكان في سبعين ألف عِنان، فزحفَ إليه طارق وصَبَر له، فهزم اللهُ الطاغيةَ لُذْرِيق وكان الفتحُ[٤]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/١٦٧، وأثر ابن جريج أخرجه الطبري ١١/٢٦٢ عنه، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس ﵄ مطوّلاً، وسلف قريباً أثر ابن عباس، وخبر إرسال النبيّ ﷺ حمزة أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٠-١٢، وأورده ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٩٥، وابن عبد البرّ في الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٩١، مع اختلاف بالروايات والعَدد عند البيهقي.

(٢) في (ب): قاتله.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٤/٣٥٨-٣٦٠ من حديث عروة بن الزبير ﵄، وأورده ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٣٧٣ وما بعدها، والواقدي في المغازي ٣/١١١٧، وابن سعد في الطبقات ٢/ ١٧٠، ولم نقف على الرواية الثانية.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٧١-٤٧٢، والذي في تاريخ الطبري ٦/٤٦٨، والمنتظم ٦/٣٠٣، والكامل ٤/ ٥٦١-٥٦٢ أن فتح الأندلس كان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، وأن عدد المسلمين كان اثني عشر ألفاً، وأنَّ دخول موسى بن نصير كان سنة ثلاث وتسعين، فليحرَّر. وطارق كان أميراً على طنجة بأقصى المغرب، هزم الفرنج، وافتتح قرطبة، وكتب بالنصر =

وما زالت جزيرةُ الأندلس تلتقي الشِّرْذمةُ القليلة منهم بالعدد الكثير مِن النصارى فيَغلبونهم، وأخبَرنا مَن حَضَرَ الوقعة التي كانت في الديموس الصغير على اثني عشر ميلاً مِن مدينة غِرْناطة سنة تسع عشرة وسبع مئة، وكان المسلمون ألفاً وسبع مئة فارس مِن الأندلسيين والبَرْبَر، وكان النصارى مئة ألف راجل[١]، وستِّين ألف رامٍ، وخمسةَ عَشَر ألف فارسٍ بين رامٍ ومُدرَّع، فصبروا لهم[٢]، وأسروا أكابرَهم، وقتلوا مَلِك قُشتَالَة دُوْن جُوَان[٣]، ونجا أخوه: دُوْن بِطْرُ[٤] مجروحاً، وكان ملوك النصارى - مَلِك قشتَالَة المذكور، ومَلِك أفرنسة[٥]، وملكُ يُرْطُقال[٦]، وملك غلَسِيَّة[٧]، وملك قلعة رَباح - قد خرجوا عازمينَ على استئصال المسلمين مِن الجزيرة، فهزمهم اللهُ تعالى.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: لم كرَّر المعنى الواحد؛ وهو مقاومة الجماعة لأكثرَ منها مرَّتين قبلَ التخفيف وبَعْدَه؟

قلت: للدلالة على أنَّ الحال مع القلَّة والكثرة واحدةٌ ولا تتفاوت؛ لأنَّ الحال قد تتفاوت بين مقاومةِ العشرين للمئتين والمئة للألف، فكذلك بين المئة للمئتين، والألف للألفين[٨]. انتهى.

= إلى مولاه موسى بن نصير، فحسده وتوعَّده، ثم قبض عليه وأساء إليه. وموسى بن نصير هو أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، حجَّ مع سليمان فمات بالمدينة. سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦-٥٠٢.
مع الإشارة إلى أنه وقع اسمُ ملك الأندلس في تاريخ الطبري: أذرينوق، ووقع في الكامل: أدرينوق.

(١) في (ب): واحد.
(٢) بعدها في (ب): وهزموهم.
(٣) في (أ) و(د١): دون جوان. وقُشتالَة: عمل من الأعمال الأندلسية. الروض المعطار (قشتالة).
(٤) في (أ) و(ب): بظر.
(٥) في (ب): أفريسة. وأفرنسة: مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة الأندلس. فريدة العجائب لابن الوردي.
(٦) في (أ): يرطقاك. وفي (ب): برطقال. وفي (د١) والمطبوع: يوطقال.
(٧) في (أ): غليسية. وفي (ب): علسبته. مع الإشارة إلى أن هذه المدن ضبطت هكذا في (ز١)
(٨) الكشاف ٢/ ١٦٧.

ومعنى «بإذن الله» بإرادته وتمكينه، وفي قوله: «والله مع الصابرين» ترغيبٌ في الثبات للقاء العدوّ، وتبشيرٌ بالنَّصْر والغَلَبة؛ لأنَّه مَن كان اللهُ معه هو الغالبَ.

وقرأ الأعمش: «حَرِّص» بالصاد المهملة[(١)]، وهو مِن الحِرْص، وهو قريبٌ مِن قراءة الجمهور بالضاد.

وقرأ الكوفيُّون: «يَكن منكم مئةٌ» على التذكير فيهما، ورواها خارجةُ عن نافع، وقرأ الحِرْميَّان وابنُ عامر على التأنيث، وقرأ أبو عمرو على التذكير في الأولى ولَحَظَ «يغلبوا»، والتأنيث في الثانية ولَحَظَ «صابرة»، وقرأ الأعرج على التأنيث كلِّها إلَّا قوله: «وإن يكن منكم ألفٌ» فإنَّه على التذكير بلا خلاف[(٢)].

وقرأ المُفَضّل عن عاصم: «وعُلِمَ» مبنيًا للمفعول[(٣)].

وقرأ الحِرْميَّان والعربيَّان والكسائيُّ وابنُ عُمر والحسن والأعرج وابنُ القعقاع وقتادة وابنُ أبي إسحاق: «ضُعْفاً» ـ وفي «الروم» ـ بضمِّ الضاد وسكون العين، وعيسى بنُ عمر: بضمِّهما، وحمزة وعاصم: بفتح الضاد وسكون العين[(٤)]، وهي كلُّها مصادر، وعن أبي عمرو بن العلاء: ضمُّ الضاد لغةُ الحجاز، وفتحُها لغة تميم[(٥)].

وقرأ ابنُ القعقاع: «ضُعَفاء» جمع: ضَعِيف، كظَرِيْف وظُرَفاء، وحكاها النقَّاش عن ابنِ عباس[(٦)]، فقيل: الضَّعف في الأبدان، وقيل: في البَصِيرة والاستقامة في

(١) القراءات الشاذة ص ٥٠، والكشاف ٢/ ١٦٧ نقلاً عن الأخفش، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩ دون نسبة.

(٢) قراءةُ الكوفيين ـ وهم: عاصم وحمزة والكسائي وخَلَف ـ وقراءةُ الحِرْميان ـ وهما: نافع وابن كثير ـ وابنِ عامر وأبي عمرو في السبعة ص ٣٠٨، والتيسير ص ١١٧، والنشر ٢/ ٢٧٧، وقراءة الأعرج في المحرر الوجيز ٢/ ٥٥١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥١، والحرميان: نافع وابن كثير، والعربيان: ابن عامر وأبو عمرو. والقراءتان في السبعة ص ٣٠٨-٣٠٩، والتيسير ص ١١٣، والنشر ٢/ ٢٧٧، والقراءة الثانية أيضاً قراءة خلف من العشرة.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥١.

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥١، والقراءة في النشر ٢/ ٢٧٧، والقراءات الشاذة ص ٥٠.

الدِّين، وكانوا متفاوتين في ذلك. وقال الثعالبيُّ: الضَّعْف ـ بفتح الضاد ـ في العقل والرأي، والضُّعْف في الجسم. وقال ابنُ عطيَّة: وهذا قولٌ تَردُّه القراءة[١]. انتهى.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ نزلت في أسرى بدر، وكان الرسول ﷺ قد استشار أبا بكر وعمر وعليًّا، فأشار أبو بكر بالاستحياء، وعُمر بالقَتْل، في حديث طويل يُوقَف عليه في «صحيح مسلم»[٢].

وقرأ أبو الدرداء وأبو حَيْوة: «ما كان للنَّبيّ» معرَّفاً[٣].

والمراد به في التنكير والتعريفِ الرسولُ ﷺ، ولكن في التنكير إبهام في كون النفي لم يتوجَّه عليه معيَّناً، وتقدَّم مثلُ هذا التركيب وكيفيَّة هذا النفي، وهو هنا على حذفِ مضاف، أي: ما كان لأصحابِ نبيٍّ، أَوْ: لأَتباعِ نبيٍّ، فحذِف اختصاراً، ولذلك جاء الجمع في قوله: «تريدون عَرَض الدنيا» ولم يَجِئ التركيبُ: تريد ـ أو: يُريد ـ عَرَض الدنيا؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام لم يَأمر باستبقاءِ الرجال وقتَ الحرب، ولا أَراد عَرَض الدُّنيا قطُّ، وإنَّما فَعَله جمهورُ مباشري الحرب، وقد طوَّل المفسِّرون في قصَّة هؤلاء الأسارى، وذلك مذكور في السِّيَر، وحَذَفناه نحنُ؛ لأنَّ في بعضه ما لا يناسبُ ذِكْرُه بالنسبة إلى مناصب الرُّسُل عليهم السلام.

وقرأ أبو عمرو: «أن تكون» على تأنيث لفظ الجمع[٤]، وباقي السبعة والجمهور على التذكير على المعنى.

وقرأ الجمهور والسَّبعة: «أَسْرَى» على وزن فَعْلَى، وهو قياس فَعِيْل بمعنى مفعول، إذا كان آفةً، كجريح وجَرْحَى.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٥٥١، وكلام الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسرّ العربية ص٣٣، مع الإشارة إلى أن الاضطراب الذي وقع في النسخة المحمودية (ح) ينتهي هنا، وتتتابع بعده الأوراق على الجادَّة والصواب.

(٢) برقم (١٧٦٣)، وهو عند أحمد (٢٠٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٠، وقال أيضاً: وهي في مصحف أبي الشميط.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٥٥٢، والقراءة في السبعة ص ٣٠٩، والتيسير ص ١١٧، والنشر ٢/٢٧٧ وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة.

وقرأ يزيد بنُ القعقاع والمفضَّل عن عاصم: «أُسارى»، وشُبِّه فَعِيْل بفَعْلان، نحو: كَسْلان وكُسالى، كما شبَّهوا كَسْلان بأسير، فقالوا فيه جمعاً: كَسْلَى، قاله سيبويه، وهما شاذَّان. وزعم الزجَّاجُ أنَّ أُسارى جمع أَسرى، فهو جمعُ جمعٍ[(١)]، وقد تقدَّم لنا ذِكْر الخلاف في فُعالَى؛ أهو جمعٌ أو اسمُ جَمْع، وأنَّ مذهبَ سيبويه أنَّه مِن أبنية الجموع، ومدلول أَسْرى وأُسارى واحدٌ.

وقال أبو عَمْرو بن العلاء: الأسرى هم غير المُوثَّقين[(٢)] عندما يُؤخَذون، والأسارى هم الموثَّقون ربْطاً. وحكى أبو حاتم أنَّه سمع ذلك مِن العرب، وقد ذكره أيضاً أبو الحسن الأخفش، وقال: العَرب لا تَعرف هذا، كلاهما عندهم سواء[(٣)].

وقرأ أبو جعفر ويحيى بن يَعْمَر ويحيى بن وثَّاب: «حتى يثَخّن» مشدَّداً[(٤)]، عَدَّوْه بالتضعيف، والجمهور بالتخفيف، عَدَّوه بالهمزة، إذ كان قبلَ التعدية: ثَخُن.

ومعنى «عَرَض الدنيا» ما أَخذتم في فداء الأسارى، وكان فداءُ كلِّ رجل عشرين أُوقيَّة، وفداءُ العبَّاس أربعون أوقيَّة، وعن ابن سيرين: مئة أوقيَّة، والأوقيَّة: أربعون درهماً أو ستَّة دنانير[(٥)]، وكانوا مَالوا إلى الفداء ليتقوَّوا بما يصيبونه على الجهاد وإيثاراً للقرابة ورجاءَ الإسلام، وكان ذلك الإثخان والقَتْل أهيبَ للكفَّار وأرفعَ لمنار الإسلام، وكان ذلك إذ المسلمون قليلٌ، فلمَّا اتسَعَ نطاقُ الإسلام وعزَّ أهله، نزلَ: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٢، والقراءة السالفة في النشر ٢/ ٢٧٧، وينظر الكتاب ٣/ ٦٤٧-٦٥٠، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٢) في المطبوع: الموثوقين.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٣، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٧١.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠ وعزاها ليزيد بن القعقاع وابن يعمر.
(٥) تفسير الرازي ١٥/ ١٩٨، وقول ابنِ سيرين أخرجه الطبري ١١/ ٢٧٩ عنه، عن عَبيدة، وينظر الكشاف ٢/ ١٦٨، والكافي الشاف ص٧١، والقرطبي ١٠/ ٧٥ و٨٠-٨٢ وتنظر الأقوال الواردة في المسألة، ومنها ما أخرجه أبو داود (٢٦٩١) عن ابن عباس، أن النبيَّ ﷺ جعل فداءَ أهل الجاهلية يوم بدر أربعَ مئة.

وقرئ: «يريدون» بالياء مِن تحت، وسُمِّيَ عَرَضاً؛ لأنَّه حَدَثٌ قليلُ اللُّبث[١].

وقرأ الجمهورُ: «الآخرةَ» بالنصب، وقرأ سليمان بنُ جمَّاز المدنيُّ بالجرِّ[٢]، واختلفوا في تقدير المضاف المحذوف؛ فمنهم مَن قدَّره: عَرَضَ الآخرةِ، قال: وحُذفَ؛ لدلالة «عَرَض الدنيا» عليه. قال بعضهم: وقد حُذفَ العَرَض في قراءة الجمهور وأُقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، فنُصب، وممَّن قدَّره: عَرَض الآخرةِ، الزمخشريُّ قال: على التقابل، يعني: ثوابَها[٣]. انتهى.

ويعني أنَّه لما أطلق على الفِداء «عَرَض الدنيا»، أطلق على ثواب الآخرة عَرَضاً على سبيل التقابل، لا أنَّ ثوابَ الآخرةِ زائلٌ فانٍ كعَرَض الدنيا، فسُمِّي عَرَضاً على سبيل التقابُل، وإن كان لولا التقابل لم يُسمَّ عَرَضاً.

وقدَّره بعضُهم: عَمَلَ الآخرة، أي: المؤدِّي إلى الثواب في الآخرة، وكلُّهم جعله كقوله:

ونـارٍ تـوقَّـدُ بـالـلـيـل نـاراً[٤]

ويعنون في حذف المضاف فقط وإبقاء المضاف إليه على جرِّه؛ لأنَّ جرَّ مثلِ: ونارٍ، جائزٌ فصيح، وذلك إذا لم يُفصَل بين المجرور وحرفِ العطف، أو فصلَ بـ «لا» نحو: ما مثل زيدٍ ولا أخيه يقولان ذلك، وتقدَّم المحذوف مثله لفظاً ومعنًى، وأمَّا إذا فُصل بينهما بغير «لا» كهذه القراءة، فهو شاذٌّ قليلٌ.

«والله عزيز» يَنصرُ أولياءَه ويَجعل الغَلَبة لهم ويمكِّنهم من أعدائهم قَتْلاً وأَسْراً «حكيم» يضع الأشياءَ مواضعها.

قال ابنُ عبَّاسٍ ومقاتل: لولا أنَّ اللهَ كَتَبَ في أمِّ الكتاب أنَّه سيحلّ لكم الغنائم، لمسَّكم فيما تعجَّلتم منها ومِن الفداء يوم بدرٍ قَبْلَ أن تؤمَروا بذلك عذابٌ عظيم.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥١.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٢، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٨١.

(٣) الكشاف ٢/ ١٦٨.

(٤) وصدره:

أكـلَّ امـرئ تـحـسـبـيـنَ امـرأً

وسلف.

وقال ابنُ عباس أيضاً ومجاهد: لو سَبَق أنَّه يُعذِّب مَن أتى ذنباً على جهالة، لعوقبتم. وقال عليُّ بنُ أبي طالب ومحمد بنُ عليِّ بن الحسين وابنُ إسحاق: سَبَق أن لا يعذِّب إلَّا بعد النهي، ولم يكن نهاهم.

وقال الحسن وابنُ جبير وابنُ زيد وابنُ أبي نجيح عن مجاهد: لولا ما سَبَق لأهل بدرٍ أنَّ الله لا يُعذِّبهم، لَعَذَّبهم[١].

وقال الماورديُّ: لولا أنَّ القرآنَ اقتضى غفرانَ الصغائر لعذَّبهم[٢]. وقال قوم: الكتابُ السابق عفوُه عنهم في هذا الذنب مُعيَّناً. وقيل: هو أن لا يعذِّبهم والرسولُ فيهم. وقيل: ما كَتَبه على نفسه مِن الرحمة. وقيل: سَبَقَ أنَّه لا يُضِلُّ قوماً بعد إذ هداهم. وقيل: سَبق أنَّه سيُحلُّ لهم الغنائمَ والفداءَ، قاله ابنُ عباس وأبو هريرة والحسن[٣].

وقيل: سَبق أن يَغفر الصغائر لمن اجتنبَ الكبائر، لعذَّبكم بأَخْذِ الغنائم، واختاره النحَّاسُ[٤]. وقال قوم: الكتاب السابق هو القرآنُ، والمعنى: لولا الكتاب الذي سَبق فآمنتم به وصدَّقتم، لمسَّكم العذابُ لأَخْذِكم هذه المفاداة.

وقال الزمخشريُّ: لولا حُكمٌ منه تعالى سَبق إثباتُه في اللَّوح وهو أنْ لا يُعاقِب أحداً بخطأ، وكان هذا خطأً في الاجتهاد؛ لأنَّهم نظروا في أنَّ استبقاءَهم ربَّما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم، وأنَّ فداءَهم يُتقوَّى به على الجهاد في سبيل الله، وخَفيَ عنهم أنَّ قتلَهم أعزُّ للإسلام، وأَهيَبُ لمَن وراءَهم، وأفلُّ لشوكتهم[٥]. انتهى.

ورُوي: «لو نزل في هذا الأمر عذابٌ، لنَجا منه عمر»، وفي حديثٍ آخَر: «وسعد بن معاذ»، وذلك أنَّ رَأْيهما كان أن تُقتَل الأسارى[٦].

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٣٢-٣٣٣، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٥٣-٥٥٤، وزاد المسير ٣/ ٣٨١-٣٨٢، وتنظر الآثار الآنفة الذكر في تفسير الطبري ١١/ ٢٧٦-٢٨٢.
(٢) النكت والعيون ٢/ ٣٣٣.
(٣) ينظر التعليق ما قبل السابق.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٧.
(٥) الكشاف ٢/ ١٦٨.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٨، وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨، وخبر عمر وسعد بن معاذ عن الطبري ١١/ ٢٨٣.

والذي أقوله: إنَّهم كانوا مأمورين أوَّلاً بقَتْل الكفَّار في غيرِ ما آيةٍ، كقوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء:٨٩] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة:١٩١] فلمَّا كانت وقعة بدرٍ وأَسَروا جماعةً مِن المشركين اختلفوا في أَخْذِ الفداء منهم وفي قتلهم، فعُوتبَ[١] مَن رأى الفداءَ؛ إذ كان قد تقدَّم الأَمْرُ بالقَتْل حيث لم يَستصحبوا امتثالَ الأَمْرِ، ومَالوا إلى الفداء، وحرصوا على تحصيل المال، ألَا ترى إلى قول المِقْداد حين أَمَرَ الرسولُ ﷺ بقَتْل عقبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ، قال: أسيري يارسولَ اللهِ[٢]. وقولِ مُصعَب بنِ عمير لمَن أَسَر أخاه: شُدَّ يَدَك عليه، فإنَّ له أمًّا مُوسِرةً[٣].

ثمَّ بعد هذه المعاتبة أَمَرَ الرسولُ بقَتْل بعضٍ، والمَنِّ بالإطلاق في بعضٍ، والفداءِ في بعضٍ، فكان ذلك نَسْخاً لتحتُّم القَتْل، ثم قال تعالى: «لولا كتابٌ مِن الله سَبق» في تأييدكم ونَصْركم وقَهْركم أعداءَكم حتى استوليتم عليهم قتلاً وأَسْراً ونَهْباً على قلَّة عَدَدكم وعُدَدِكم = «لمسَّكم فيما أخذتم» من غنائمهم وفدائهم «عذابٌ عظيم» منهم؛ لكونهم كانوا أكثرَ عَدداً منكم وعُدَداً، ولكنَّه سهَّل تعالى عليكم، ولم يمسَّكم منهم عذابٌ لا بقَتْلٍ ولا أَسْرٍ ولا نهب، وذلك بالحُكم السابق في قضائه أنَّه يُسلِّطكم عليهم ولا يُسلِّطهم عليكم، فليس المعنى: لمسَّكم مِن اللهِ، وإنَّما المعنى: لمسَّكم مِن أعدائكم، كما قال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران:١٤٠] وقال: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

ثمَّ قال تعالى: «فكلوا مما غنمتم حلالاً طيِّباً» أي: ممَّا غَنمتم، ومنه ما حَصَل بالفداء الذي أقرَّه الرسولُ ﷺ، وقال: «لا يفلتنَّ منهم رجلٌ إلَّا بفدية أو ضَرْبِ عُنُقٍ»[٤]، وليس هذا الأمرُ مُنْشِأً لإباحة الغنائم، إذ قد سَبق تحليلُها قبلَ يوم بدر،

---

(١) في (ب): فعوقب.
(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل (٣٣٧)، والطبري ١١/ ١٤٣ عن سعيد بن جبير.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧٦، والخبر أورده ابن هشام في السيرة ١/ ٦٤٥، والطبري في التاريخ ٢/ ٤٦٠.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٥-١٥٦، والقرطبي ١٠/ ٧٣، والحديث أخرجه أحمد (٣٦٣٢) مطوَّلاً من حديث ابن مسعود، وأخرجه أيضاً الترمذي (١٧١٤) و(٣٠٨٤) مختصراً، وقال: هذا حديث حسن، وأبو عبيدة ـ وهو ابن عبد الله بن مسعود ـ لم يسمع من أبيه. اهـ. وورد في المصادر: لا يَنْفَلِتَنَّ. بدل: لا يفلتنَّ.

ولكنَّه أَمْرٌ يفيد التوكيدَ واندراجَ مالِ الفداء في عموم ما غنمتم، إذ كان قد وقع العتابُ في المَيْل للفِداء، ثم أقرَّه الرسول عليه السلام.

وانتصبَ «حلالاً» على الحال مِن «ما» إن كانت موصولةً، أو مِن ضميره المحذوف، أو على أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوف، أي: أكلاً حلالاً، وجوَّزوا في «ما» أن تكون مصدريَّةً.

ورُوِيَ أنَّهم أَمسكوا عن الغنائم ولم يمدُّوا أيديَهم إليها، فنزلت، وجَعل الزمخشريُّ قولَه: «فكلوا» مُتسبّباً عن جملة محذوفة هي سببٌ، وأفادت ذلك الفاءُ، وقدَّرها: قد أَبحتُ لكم الغنائمَ فكلوا[1].

وقال الزجَّاج: الفاءُ للجزاء، والمعنى: قد أَحللتُ لكم الفداءَ فكلوا[2].

وأَمَرَ تعالى بتقواه؛ لأنَّ التقوى حاملةٌ على امتثال أَمْرِ الله، وعَدَمِ الإقدام على ما لم يتقدَّم فيه إذن، ففيه تحريض على التقوى مَن مَالَ إلى الفِداء، ثم جاءت الصفتانِ مشعرتَين بغفرانِ الله ورحمته عن الذين مَالوا إلى الفداء قَبْلَ الإذن.

وقال الزمخشريُّ: معناه: إذا اتَّقيتموه بعدما فَرَط منكم مِن استباحة الفِداء قَبْلَ أن يُؤذَنَ لكم فيه، غَفَرَ لكم ورَحِمَكم وتابَ عليكم[3].

وقال ابنُ عطيَّة: وجاء قوله: «واتَّقوا الله» اعتراضاً فصيحاً في أثناء القول؛ لأنَّ قوله: «إنَّ الله غفور رحيم» هو متصلٌ بقوله: «فكلوا ممَّا غنمتم حلالاً طيِّباً»[4]، وقيل: «غفور» لمَا أَتيتم «رحيم» بإحلال ما غنمتم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ نزلت هذه الآية عقيبَ بدرٍ في أسرى بدر أعلموا أنَّ لهم ميلاً إلى الإسلام، وأنَّهم يؤمِّلونه إن فُدُوا ورَجعوا إلى قومهم.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٩.
(٢) زاد المسير ٣/ ٣٨٢.
(٣) الكشاف ٢/ ١٦٩.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤.

وقيل: في عبَّاسٍ وأصحابه، قالوا للرسول: آمنَّا بما جئتَ، ونشهد أنَّك رسولُ الله، لننصحنَّ لكَ على قومنا[(١)].

ومعنى «في أيديكم» أي: في ملكتكم، كأنَّ الأيدي قابضةٌ عليهم، والصحيح أنَّ الأسارى كانوا سبعين والقَتْلى سبعين كما ثبت في «صحيح مسلم»، وهو قولُ ابنِ عباس وابنِ المسيّب وأبي عَمْرو بنِ العلاء، وكان عليهم حين جِيْءَ بهم إلى المدينة شُقْران مولى رسول الله ﷺ. وقال مالك: كانوا مشركين[(٢)]، ومنهم العباس بنُ عبد المطَّلب أَسَره أبو اليَسَر كعب بنُ عَمْرو أخو بني سَلِمة وكان قصيراً والعبَّاسُ ضَخْمٌ طويل، فلمَّا جاء به، قال الرسول ﷺ: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ»، وعن العبَّاس: كنتُ مسلماً، ولكنَّهم استكرهوني. فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن ما تقول حقًّا، فاللهُ يَجزيك، فأمَّا ظاهرُ أَمْرِكَ فقد كنتَ علينا»[(٣)]، وكان أَحَدَ الذين ضَمنوا إطعامَ أهل بدر، وخرج بالذَّهَب لذلك[(٤)].

ورُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال للعبَّاس: «افْدِ ابْنَي أخيكَ عَقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث»، فقال: يا محمد، تركتني أتكفَّف قريشاً ما بقيتُ. فقال له: «أين المال الذي دفعتَه إلى أمِّ الفَضْل وقتَ خروجك مِن مكَّة، وقلتَ لها: لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ فهو لكِ ولعبدِ الله وعُبيدِ الله والفَضْل»؟ فقال العبَّاس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربِّي». قال العبَّاسُ: فأنا أَشهد أنَّكَ صادقٌ، وأنْ لا إله إلَّا الله وأنتَ عبدُه ورسولُه، واللهِ لم يطَّلع عليه أحدٌ

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٢٨٦ عن ابن عباس، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٧٦-٧٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٦٩-٨٧٠، وخبر مسلم في صحيحه (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وقول ابن المسيب وابن عباس أخرجه الواقدي في المغازي ١/ ١٤٤ ورواه عن غيرهما أيضاً بزيادة في العَدد، ومَجِيء شُقران بهم أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٣٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٨٢، والكلام في المفهم ٦/ ٧٠، والخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/ ١١، وأحمد (٣٣١٠)، والطبري في التاريخ ٢/ ٤٦٣ عن ابن عباس مطوَّلاً.

(٤) الكشاف ٢/ ١٦٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٨، والبغوي ٢/ ٢٦٣، وتفسير الرازي ١٥/ ٢٠٤، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ٧١: لم أجد هذا.

إلَّا الله، ولقد دفعتُه إليها في سواد الليل، ولقد كنتُ مرتاباً في أمرِك، فأمَّا إذ أخبرتني بذلك فلا ريبَ، قال العباس: فأبدلني اللهُ خيراً مِن ذلك، لي الآنَ عشرون عبداً؛ إن أدناهم ليَضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم، ما أحبُّ أنَّ لي بها جميعَ أموال مكة، وأنا أنتظر المغفرة مِن ربِّي.

ورُوِيَ أنَّه قدمَ على رسول الله ﷺ مالُ البحرين ثمانون ألفاً، فتوضَّأ لصلاة الظهر وما صلَّى حتى فرَّقَه، وأمَرَ العبَّاسَ أن يَأخذ منه، فأَخَذ ما قَدرَ على حَمْله، وكان يقول: هذا خيرٌ ممَّا أُخذ منِّي، وأرجو المغفرةَ[(١)].

ومعنى: «إن يَعلم اللهُ» إن يتبيَّن للناس عِلْمُ الله «في قلوبكم خيراً» أي: إسلاماً كما زعمتم، بأن تظهروا الإسلام، فإنَّه سيُعطيكم أفضلَ «ممَّا أُخذ منكم» بالفداء، وسيغفر لكم ما اجترحتموه، فإنَّ الإسلام يجبُّ ما قَبْلَه.

وقرأ الجمهور: «مِن الأَسْرى»، وابنُ محيصن: «مِن أَسْرى» منكَّراً[(٢)]، وقتادة وأبو جعفر وابنُ أبي إسحاق ونصر بنُ عاصم وأبو عمرو مِن السبعة: «مِن الأُسَارى» واختلف عن الحسن وعن الجحدريِّ[(٣)].

وقرأ الأعمش: «يُثِبْكم خيراً» مِن الثواب[(٤)].

وقرأ الحسنُ وأبو حَيْوة وشيبة وحُمَيد: «ممَّا أَخذ» مبنيًّا للفاعل[(٥)].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٩، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٥٨، وتفسير الرازي ١٥/ ٢٠٤، والخبر الأول أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٤٢-١٤٣، عن الزهري وجماعة، وأخرجه أيضاً الحاكم ٣/ ٣٢٤ من حديث عائشة ﵂، وذِكْر إعطائه زمزم أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/ ١٣-١٤، وينظر التخريج الآنف الذكر، والخبر الثاني عند الطبري في التفسير ١١/ ٢٨٥ عن قتادة، وأخرجه أيضاً الحاكم ٣/ ٣٢٩-٣٣٠ عن أبي موسى الأشعري ﵁ بنحوه، وأصل الخبر عند البخاري (٤٢١) من حديث أنس ﵁.

(٢) الدر المصون ٥/ ٦٣٩، وأوردها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤ لكن رواها بالإدغام هكذا: «مِن لّسْرى»، فليُحرَّر.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤، والقراءة في السبعة ص ٣٠٩، والتيسير ص ١١٧، والنشر ٢/ ٢٧٧.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤، وتصحفت في مطبوعه إلى: «يثيبكم»، والقراءة في القراءات الشاذة ص ٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٤، والقراءات الشاذة ص٥٠.

وإيتاءُ هذا الخير؛ قيل: في الدنيا، وقيل: في الآخِرة، وقيل: فيهما.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «وإن يريدوا» عائدٌ على الأسرى؛ لأنَّه أقربُ مذكور، والخيانة هي كونهم أَظْهَرَ الإسلامَ بعضُهم ثم ردّوا إلى دينهم، فقد خانوا الله بخروجهم مع المشركين، وقال الكرماني: «وإن يريدوا» يعني: الأسرى «خيانتكَ» يعني: نقضَ ما عاهدوا معك «فقد خانوا اللهَ» بالكفر والشِّرك قبل العهد، وقيل: قَبْل بدر [(١)]وقيل: إنْ منعوكَ ما تدعو إليه من الإيمان، فقد فَعلوا مثلَه قبلُ[(١)] «فأمكنَ منهم» أي: فأمكنكَ منهم وهَزَمتهم وأَسَرْتهم.

وقال الزمخشريُّ: «خيانتك» أي: بنَكْثِ ما بايعوكَ عليه من الإسلام والرِّدَّة واستحباب دينِ آبائهم «فقد خانوا اللهَ مِن قَبْل» في كفرهم ونقضِ ما أُخذ على كلِّ عاقل مِن ميثاقه[(٢)] «فأمكن منهم» كما رأيتم يوم بدرٍ، فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانةَ، وقيل: المراد بالخيانة مَنْعُ ما ضمنوا مِن الفدا[(٣)].

وقال ابنُ عطيَّة: إنْ أخلصوا فعلَ بهم كذا، وإن أبطنوا خيانةَ ما رَغبوا أن يؤتمنوا عليه مِن العهد، فلا يسرُّهم ذلك، ولا يَسكنون إليه، فإنَّ اللهَ بالمرصاد، فهم الذين خانوه بكُفرهم وتَرْكهم النَّظَرَ في آياته، وهو قد بيَّنها لهم وجعل لهم إدراكاً يُحصِّلونها به، فصار ذلك كعهدٍ متقرّر، فجُعل جزاؤهم على خيانتهم إيَّاه أنْ مكَّن منهم المؤمنين، وجَعلهم أسرى في أيديهم «والله عليمٌ» بما يُبطنونه مِن إخلاص أو خيانةٍ «حكيمٌ» فيما يُجازيهم[(٤)]. انتهى.

وقيل: الضمير في «وإن يريدوا» عائد على الذين قيل في حقِّهم: «وإن جَنَحوا للسَّلْم» أي: «وإن يُريدوا خيانتك» في إظهار الصُّلح، والجمهور على أنَّ الضميرَ في «وإن يريدوا» عائد على الأسرى.

وروي عن قتادة أنَّ هذه الآية في قصَّة عبد الله بنِ أبي سَرْح، فإن كان قال ذلك

(١-١) ليست في المطبوع.
(٢) في المطبوع: مشاقه.
(٣) الكشاف ٢/ ١٦٩.
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٥.

على سبيل التمثيلِ فيُمكن، وإن كان على سبيل أنَّها نزلت في ذلك فلا؛ لأنَّه إنَّما بُيِّن أَمرُهُ في فتح مكَّة، وهذه نزلت عقيبَ بدر[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ قَسَم المؤمنين إلى المهاجرين، والأنصار، والذين لم يُهاجروا؛ فبدأ بالمهاجرين؛ لأنَّهم أصلُ الإسلام وأوَّلُ مَن استجابَ لله، فهاجر قوم إلى المدينة، وقوم إلى الحبشة، وقوم إلى ابن ذي يزن[٢]، ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا قدوةً لغيرهم في الإيمان وسبب تقويةِ الدِّين، «مَن سنَّ سُنَّة حسنةً، فله أجرُها وأجْرُ مَن عمل بها إلى يوم القيامة»[٣].

وثنَّى بالأنصار؛ لأنَّهم ساوَوْهم في الإيمان وفي الجهاد بالنَّفْس والمال، لكنَّه عادَلَ الهجرةَ الإيواءُ والنَّصْرُ، وانفردَ المهاجرون بالسَّبْق.

وذَكَر ثالثاً مَن آمَنَ ولم يُهاجِر ولم يَنصُر، ففاتهم هاتان الفضيلتان وحُرموا الولايةَ حتى يهاجروا.

ومعنى «أولياءُ بعض» في النُّصْرة والتعاوُن والمُوازَرة، كما جاء في غير آية نحو: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ذلك في الميراث؛ آخَى الرسولُ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكان المهاجريُّ يَرثه أخوه الأنصاريُّ إذا لم يكن له بالمدينة وليٌّ مهاجريٌّ، ولا توارثَ

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٥، وخبر قتادة أخرجه الطبري ١١/ ٢٨٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٨، وأخرجه أيضاً البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٦٠-٦١ عن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ دون ذكر الآية.

(٢) لم نقف على هذه الهجرة بعد مبعثه ﷺ، بل الوارد أن وفداً من قريش أَتَوا سيفَ بنَ ذي يزن وفيهم عبد المطلب وأمية وخويلد في ناسٍ من وجوه قريش يهنِّؤونه بظَفَره على الحبشة، وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين، والخبر أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/ ١٤٩ عن ابن عباس ﷺ، ورجَّح ابن حجر في الإصابة ٥/ ٤٣ في ترجمة ابن ذي يزن أنَّه مات قبل البعثة. فليحرَّر.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧) وأحمد (١٩١٥٦) من حديث جرير ﷺ.

بينه وبين قريبه المسلم غيرِ المهاجريِّ. قال ابنُ زيد: واستمرَّ أمرهم كذلك إلى فتح مكة، ثم توارثوا بَعْدُ لمَّا لم تكن هجرة[(١)]، فمعنى «مالكم مِن ولايتهم مِن شيء» نفيُ الموالاة في التوارث، وكان قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الأنفال: ٧٥] نَسْخاً لذلك.

وعلى القول الأوَّل يكون المعنى في نفي الولاية على أنَّها صفة للحال، إذ لا يمكن ولايته ونَصْره؛ لتباعُد ما بين المهاجرين وبينهم، وفي ذلك حَضٌّ للأعراب على الهجرة. قيل: ولا يجوز أن تكون الموالاة [(٢] بمعنى النُّصرة[٢)]؛ لأنَّه عطفَ عليه «وإنِ استنصروكم في الدين فعليكم النصر» والمعطوفُ مغايرٌ للمعطوف عليه، فوجبَ أن تكون الولاية المنفيَّة غيرَ النُّصْرة[(٣)]. انتهى.

ولمَّا نزل: «مالكم مِن ولايتهم مِن شيء حتى يهاجروا» قال الزبير: هل نُعينهم على أمْرٍ إنِ استعانوا بنا؟ فنزل: «وإنِ استنصروكم»[(٤)].

ومعنى «ميثاق»: عَهْدٌ؛ لأنَّ نَصْركم إيَّاهم نقضٌ للعهد فلا يُقاتَلون؛ لأنَّ الميثاق مانعٌ من ذلك، وخصَّ الاستنصار بالدِّين؛ لأنَّه بالحميَّة والعصبيَّة في غير الدِّين منهيٌّ عنه، و«على» تقتضي الوجوبَ، ولذلك قدَّره الزمخشريُّ بقوله: فواجبٌ عليكم أن تنصروهم[(٥)]. وقال زهير:

على مُكْثريهم رِزْقُ مَن يَعتريهمُ ... وعند المُقِلِّينَ السماحةُ والبَذْلُ[(٦)]

وقرأ الأعمش وابن وثَّاب وحمزة: «وِلايتهم» بالكسر، وباقي السبعة والجمهورُ بالفتح، وهما لغتان، قاله الأخفش، ولحَّنَ الأصمعيُّ الأخفشَ[(٧)] في قراءته

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٥-٥٥٦، والآثار الواردة عند الطبري١١/ ٢٨٩-٢٩٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٩-١٧٤٠، وأثر ابن عباس عند أبي داود (٢٩٢٤).

(٢-٢) ليست في (أ) و(ح) و(د١) والمطبوع.

(٣) تفسير الرازي ١٥/ ٢١٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكشاف ٢/ ١٧٠.

(٦) ديوان زهير ص١١٤، وفيه: حقّ، بدل: رزق. وسلف.

(٧) في (ب) و(ح) و(ع): الأعمش. وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٦، والكلام منه، وتصحفت في مطبوعه إلى: والأعمش. والقراءة في السبعة ص ٣٠٩، والتيسير ص ١١٧، والنشر ٢/ ٢٧٧، وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٤٨-٥٤٩، والحجّة للفارسي ٤/ ١٦٥-١٦٦.

بالكسر، وأخطأ في ذلك؛ لأنَّها قراءة متواترة. وقال أبو عبيدة: بالكسر، مِن ولاية السلطان، وبالفتح مِن المَوْلى، يقال: مولًى بيِّن الوَلاية، بفتح الواو[١].

وقال الزجَّاجُ: بالفتح مِن النُّصْرة والنسب، وبالكسر بمنزلة الإمارة، قال: ويجوز الكسرُ؛ لأنَّ في تولِّي بعضِ القوم بعضاً جنساً مِن الصناعة والعمل، وكلُّ ما كان مِن جنس الصناعة مكسورٌ، مثل: القِصَارة والخِياطة[٢].

وتَبِعَ الزمخشريُّ الزجَّاجَ، فقال: وقُرِئَ: «مِن ولايتهم» بالفتح والكسر، أي: مِن تولِّيهم في الميراث، ووجه الكَسْر أنَّ تولِّي بعضِهم بعضاً شُبِّه بالعمل والصناعة، كأنَّه بتولِّيه صاحبَه يُزاول أمراً ويُباشِر عملاً[٣].

وقال أبو عبيد: والذي عندنا الأَخْذ بالفتح في هذين الحرفين، يعني هنا وفي «الكهف»[٤]؛ لأنَّ معناهما مِن الموالاة[٥] في الدِّين. [٦]وقال أبو عليّ: الفتح أجود؛ لأنها في الدِّين[٦].

وقال الفرَّاء: يريد مِن موارثتهم، فكسرُ الواو أحبُّ إليَّ مِن فتحها؛ لأنَّها إنَّما تفتح إذا كانت نصرةً، وكان الكسائيُّ يَذهب بفتحها إلى النُّصْرة، وقد ذكرَ الفتح والكسر في المعنيين جميعاً[٧].

وقرأ السُّلميُّ والأعرج: «بما يعملون» بالياء على الغَيبة[٨].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ وقرأت فرقة: «أولى ببعضٍ»، قال ابنُ عطيَّة: هذا لجَمْع الموارثة والمعاونة والنُّصْرة[٩].

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٦، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.
(٢) تفسير الرازي ١٥/ ٢١٠.
(٣) الكشاف ٢/ ١٧٠.
(٤) عند قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].
(٥) بعدها في المطبوع: لأنها.
(٦-٦) ليست في المطبوع. وكلام أبي عليّ في الحجة ٤/ ١٦٦.
(٧) معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٨-٤١٩.
(٨) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٦، والقراءة في الدر المصون ٥/ ٦٤١.
(٩) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧.

وقال الزمخشريُّ: ظاهره إثباتُ الموالاة بينهم، كقوله في المسلمين، ومعناه نهيُ المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم، وإيجاب (١مباعدتهم ومصارمتهم١) وإن كانوا أقاربَ، وأن يُتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً.

وقال غيره: لمَّا ذَكَر أقسامَ المؤمنين الثلاثة وأنَّهم أولياء يَنصُر بعضُهم بعضاً ويَرث بعضُهم بعضاً، بَيَّن أنَّ فريقَ الكفار كذلك، إذ كانوا قبلَ بعثة الرسولِ ﷺ يُعادي أهلُ الكتاب منهم قريشاً ويتربَّصون بهم الدوائر، فصاروا بعد بَعْثِه يُوالي بعضُهم بعضاً وإلْباً[٢] واحداً على الرسولِ؛ خوفاً[٣] على رياساتهم وتحزُّباً على المؤمنين.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ الضميرُ المنصوبُ في «تفعلوه» عائدٌ على الميثاق، أي: على حفظه، أو على النَّصْر، أو على الإرث، أو على مجموع ما تقدَّم، أقوال أربعة.

وقال الزمخشريُّ: أي: إنْ لا تفعلوا ما أمرتكم به مِن تواصل المسلمين وتولِّي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القَرابَة، ولم تقطعوا العلائقَ بينكم وبين الكفار، ولم تجعلوا قرابتهم كَلَا قرابة = تحصل فتنةٌ في الأرض ومفسدةٌ عظيمة؛ لأنَّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدةً على الشِّرْك، كان الشركُ ظاهراً والفسادُ زائداً[٤].

وقال ابنُ عطيَّة: والفتنةُ: المِحْنةُ بالحرب وما انجرَّ معها مِن الغاراتِ والجلاء والأَسْر، والفساد الكبير: ظهور الشِّرْك[٥].

وقال البغويُّ: الفتنةُ في الأرض قوَّة الكفر، والفسادُ الكبير ضَعْفُ الإسلام[٦].

(١-١) في (أ) و(د١): مساعدتهم ومصادمتهم. وفي المطبوع: مسارعتهم ومصادقتهم. وينظر الكشاف ٢/ ١٧٠.

(٢) في (أ) و(ع): وإلياً، وفي (ب): والباء. والإلْب بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان. تاج العروس (ألب).

(٣) في المطبوع: صوناً.

(٤) الكشاف ٢/ ١٧٠.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧.

(٦) تفسير البغوي ٢/ ٢٦٤.

وقرأ أبو موسى الحجازيّ عن الكسائيّ: «كثير» بالثاء المثلَّثة، ورُوِيَ أنَّ الرسولَ ﷺ قرأ: «وفسادٌ عريضٌ»[1].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ هذه الآية فيها تعظيمُ المهاجرين والأنصار، وهي مختصرة، إذْ حُذفَ منها: «بأموالهم وأنفسهم» وليست تكراراً؛ لأنَّ السابقة تضمَّنت ولايةَ بعضهم بعضاً، وتقسيمَ المؤمنين إلى الأقسام الثلاثة، وبيانَ حكمهم في ولايتهم ونَصْرهم، وهذه تضمَّنت الثناءَ والتشريف والاختصاص وما آلَ إليه حالُهم مِن المغفرة والرزق الكريم، وتقدَّم تفسيرُ أواخر نظيرة هذه الآية في أوائل هذه السُّورة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ يعني الذين لحقوا بالهجرة مَن سبق إليها، فحكم تعالى بأنَّهم مِن المؤمنين السابقين في الثواب والأجر، وإن كان للسابقين شفوفُ السَّبق وتقدُّم الإيمان والهجرة والجهاد.

ومعنى «مِن بَعْدُ» مِن بعدِ الهجرة الأولى، وذلك بعد الحديبية، قاله ابنُ عباس[2]، وزاد ابنُ عطيَّة: وبيعةَ الرضوان، وذلك أنَّ الهجرةَ مِن بعد ذلك كانت أقلَّ رتبةً مِن الهجرة قَبْلَ ذلك، وكان يقال لها: الهجرة الثانية؛ لأنَّ الحربَ وضعت أوزارها نحو عامين، ثم كان فتحُ مكَّة، وبه قال عليه السلام: «لا هجرةَ بعد الفتح»، وقال الطبريُّ: مِن بعدِما بيَّنت حكم الولاية. فكان الحاجزُ بين الهجرتين نزولَ الآية، فأخبر تعالى في هذه الآية أنَّهم مِن الأوَّلين في المؤازرة وسائرِ أحكام

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧، والقراءة الأولى في القراءات الشاذة ص ٥٠-٥١، وأبو موسى هو: عيسى بن سليمان، وقراءةُ النبيِّ أخرجها الدوريُّ في جزء فيه قراءات النبيِّ ﷺ ص١٠٣-١٠٤ وهكذا: «إذا جاءكم من ترضون عرضه ودينه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» من حديث أبي هريرة، وأخرجه أيضاً هكذا الترمذيُّ (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، قال الترمذي: حديث حسن غريب. ورجَّح كونه مرسلاً، والمرسل عند أبي داود في المراسيل (٢٢٤)، وعند الترمذي برقم (١٠٨٥) عن أبي حاتم المزني، وصرَّح بأنَّ له صحبة.

(٢) زاد المسير ٣/ ٣٨٧.

الإسلام[1]. وقيل: مِن بعد يوم بدر. وقال الأصمُّ: من بعد الفتح.

وفي قوله: «معكم» إشعارٌ أنَّهم تَبَعٌ لا صَدر، كما قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦] وكذلك «فأولئكَ منكم»، كما جاء: «مولى القومِ منهم»، و«ابنُ أختِ القومِ منهم»[2].

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥﴾ أي: وأصحاب القَرابات، ومَن قال: إنَّ قوله في المؤمنين المهاجرين والأنصار «بعضهم أولياء بعض» في المواريث بالأُخوَّة التي كانت بينهم = قال: هذه في المواريث، وهي نَسْخٌ للميراث بتلك الأخوَّة وإيجاب أن يرث الإنسانَ قريبُه المؤمنُ وإن لم يكن مهاجراً، واستدلَّ بها أصحابُ أبي حنيفة على توريث ذوي الأرحام.

وقالت فرقةٌ منهم مالك: ليست في المواريث، وهذا فرارٌ عن توريث الخالِ والعمَّة ونحو ذلك.

وقالت فرقة: هي في المواريث إلَّا أنَّها نسختها آيةُ المواريث المبيَّنة[3].

والظاهرُ أنَّ «كتاب الله» هو القرآن المنزل، وذلك في آية المواريث. وقيل: «في كتابِ الله» السابقِ اللوحِ المحفوظِ، وقيل: «في كتاب الله» في هذه الآية المنزلة.

وقال الزجَّاجُ: في حكمه، وتَبِعه الزمخشريُّ فقال: في حكمه وقسمته.

وخَتم السورة بقوله: «إنَّ الله بكلِّ شيء عليم» في غاية البراعة؛ إذ قد تضمَّنت أحكاماً كثيرة في مهمَّات الدِّين وقوامه، وتفصيلاً لأحوالٍ، فصفةُ العِلْم تَجمع ذلك كلّه، وتُحيط بمبادئه وغاياته.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧، والحديث أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣)، وهو عند أحمد (١٩٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وكلام الطبري في التفسير ١١/ ٣٠٠.

(٢) أخرجهما البخاري (٦٧٦١) و(٦٧٦٢)، وأحمد (١٢١٨٧) و(١٢٧٦٦)، والطرف الثاني عند مسلم (١٠٥٩) (١٣٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧، وينظر الاستذكار ١٥/ ٤٧٠ وما بعدها، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٧٥-٧٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٠-٩٢.

سورة التوبة

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى
ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ
عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ
فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ
وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن
يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ
وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ
فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن
يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ
أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ
وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ
ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

المفردات

المَرْصَد: مَفْعَل مِن رَصَدَ يَرْصُد: رَقَبَ، يكون مصدراً وزماناً ومكاناً، وقال عامر بنُ الطُّفَيْل:

ولقد علمتَ وما إخالُك ناسياً أنَّ المَنِيَّةَ للفتى بالمَرْصَدِ[١]

الإلُّ: الحلفُ والجُؤَارُ[٢]، ومنه قولُ أبي جهلٍ:

لإلٌ علينا واجبٌ لا نُضِيْعه مَتينٍ قِوَاه غيرِ مُنْتَكِثِ الحَبْلِ[٣]

كانوا إذا تماسَحُوا وتحالفوا رفعوا به أصواتَهم وشَهروه، مِنْ الإلّ وهو الجُؤار، وله أَلِيْلٌ، أي: أنينٌ يَرفع به صوتَه. وقيل: القَرَابة، وأنشد أبو عبيدة على القَرَابة قولَ الشاعر:

أفسَدَ الناسَ خُلُوفٌ خَلَفوا قَطعوا الإلَّ وأعْرَاقَ الرَّحِمْ[٤]

وظاهر البيت أنَّه في العهد، ومِن القرابة قولُ حسَّان:

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِن قريشٍ كإلِّ السَّقْبِ مِن رَأْلِ النَّعامِ[٥]

وسُمِّيَت إلًّا؛ لأنَّها عَقَدت ما لا يَعقدُ الميثاق. وقيل: مِن أَلَّ البَرْقُ: لَمَعَ. وقال الأزهريُّ: الأَلِيْلُ: البَرِيق[٦]. يقال: أَلَّ يَؤُلُّ: صَفَا ولَمَعَ.

وقال القرطبيُّ: مأخوذ مِن الحِدَّة، ومنه: الأَلَّة، للحَرْبة، وأُذُن مؤلَّلة: مُحَدَّدة، فإذا قيل للعَهْد والجُؤَار والقَرَابة إلٌّ، فمعناه أنَّ الأُذُنَ تنصرف إلى تلك الجهة، أي تَتحدَّد لها، والعهد يُسمَّى إلًّا؛ لصفائه، ويُجمع في القلَّة: الآلّ، وفي الكثرة:

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ١١١، والثعلبي ٣/ ١٦٨، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٥٣ برواية: وما إخال سواءه، بدل: وما إخالك ناسياً.
(٢) الجُؤار: رفع الصوت بالدعاء، والتضرع والاستغاثة. القاموس (جأر).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠.
(٤) تفسير الطبري ١١/ ٣٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠ ونسبوه لابن مقبل، ولم نقف على البيت في ديوانه المطبوع.
(٥) ديوان حسان ص٤٦٥ (بشرح البرقوقي)، والسَّقْب: ولد الناقة ساعةَ يولد، والرأل: وَلَد النعام، والمعنى: أنَّ قرابتك من قريش كقرابة وَلَد الناقة لرأل النعام، أي: لستَ منهم في نسب. والبيت قاله لأبي سفيان بن الحارث.
(٦) ينظر تفسير القرطبي ١١/ ١١٩، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٤٣٥.

إلَال[1]، وأَصْلُ جَمع القلَّة: أَأْلُل، فسُهِّلت الهمزة الساكنة ـ التي هي فاء الكلمة ـ بإبدالها ألفاً، وأُدغمت اللام في اللام.

الذِّمَّة: العهد. وقال أبو عبيد[2]: الأمان. وقال الأصمعيُّ: كلُّ ما يَجب أن يُحفَظ ويُحمَى[3].

أَبَى يأْبَى: مَنَع، قال:

أَبَى الضَّيْمَ والنُّعمَانُ يَحرُقُ نابُهُ عليه فَأفضى والسيوفُ مَعَاقِلُهْ[4]

وقال:

أَبَى اللهُ إلَّا عَدْلَهُ ووفاءَهُ فلا النُّكر معروفٌ ولا العُرْفُ ضَائِعُ[5]

ومجيء مضارعه على يَفْعَل ـ بفتح العين ـ شاذٌّ[6]، ومنه: آبِي اللَّحْم، لرجلٍ مِن الصحابة[7].

شَفَاه: أزالَ سَقَمَهُ.

العشيرة: جماعةٌ مجتَمعة بنَسَب أو عَقْد أو وِدادٍ كعَقْد العَشَرة[8].

اقْتَرَف: اكْتَسَب.

كَسَدَ الشَّيءُ كَسَاداً وكُسُوداً: بَارَ ولم يكن له نَفَاقٌ.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٠٤.

(٢) في النسخ عدا (يه): أبو عبيدة، والمثبت منها ومن تفسير القرطبي ١٠/ ١١٩-١٢٠، وكلام أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٢/ ١٠٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٠.

(٤) القائل زهير، والبيت في ديوانه ص١٤٣، وسلف عند تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٥) القائل النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ص٨٢.

(٦) ومنه: رَكَن يَرْكَن. المحرر الوجيز ٣/ ١٠، وسلف الكلام عنه في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (٢٨٢).

(٧) وإنَّما سُمِّي بذلك؛ لأنَّه كان يأبى أن يأكل اللحم، وهو: عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن غفار، كان شاعراً شريفاً شهد حنيناً، وقيل: إنَّه قُتل فيها. الإصابة ١/ ١٥، وتهذيب الكمال ١/ ١٥٣.

(٨) تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٠-١٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٩٦، وينظر الكليات لأبي البقاء ص٦٨٦.

المَوطِن: المَوقف والمَقَام، قال الشاعر:

وكم موطنٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى بأَجْرامِهِ مِن قُلَّةِ النِّيْقِ مُنْهَوِي[(١)]

ومِثْلُه الوَطَن.

«حُنَيْن»: وادٍ بين مكَّة والطائف، وقيل: وادٍ إلى جنب ذي المجاز[(٢)].

العَيْلَة: الفَقْرُ، عَالَ يَعِيْلُ: افْتَقر، قال:

وما يَدري الفقيرُ متى غِنَاهُ وما يَدري الغنيُّ متى يَعِيْلُ[(٣)]

الجِزْيَة: ما أُخِذَ مِن أهلِ الذِّمَّة على مقامهم في بلاد الإسلام، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّهم يجزونها، أي: يقضُونها، أو لأنَّها يُجزَى بها مَن مَنَّ عليهم بالإعفاء عن القَتْل.

المضاهاة: المماثَلَة والمُحاكاة، وثَقِيْف تقول: المُضَاهَأَة، بالهمز، وقد ضَاهَأْتُ، فمادتها مخالفة للتي قبلها إلَّا إن كان ضاهيت يُدَّعَى أنَّ أصلَها الهمز، كقولهم في: توضَّأت وقَرأت وأخطأت: تَوَضَّيْت وقَرَيْت وأَخْطَيْت، فيُمكِن، وأمَّا ضَهْيَأ بالهمز مقصوراً فهمزته زائدة، كهمزة غِرْقِئٍ[(٤)]، أو ممدوداً فهمزته للتأنيث زائدة، أو ممدوداً بَعْدَهُ هاءُ التأنيث، حكاه النَّجِيْرَمِيّ[(٥)] عن أبي عَمرو الشيبانيّ في «النوادر»، قال: جَمَعَ بين علامَتَي تأنيث.

---

(١) البيت ليزيد بن الحكم الثقفي، وهو في أمالي القالي ١/ ٦٨، والأغاني ١٢/ ٢٩٥، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٧١، والحماسة البصرية ٢/ ٢٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ١٣٦، وفيه: طَاحَ الرجلُ يطوح ويطيح: إذا هلك. والأجرام: جمع جِرم، وهو الجسم، كأنه جَعَل أعضاءه أجراماً توسُّعاً، أي: سقط بجسمه وثقله. والنِّيْق: أرفعُ الجبل. وقلَّته: ما استدق من رأسه.

(٢) عزاه الطبريُّ لعروة بن الزبير - وأخرجه عنه - كما في تفسير الطبري ١١/ ٣٨٦. وذو المجاز: موضع سوق بعرفة.

(٣) القائل: أُحيحة بن الجلاح، والبيت في ديوانه ص٧٤.

(٤) الغِرْقِئ: قِشْر البيض الذي تحت القيض. اللسان (غرقأ).

(٥) اختلفت النسخ الخطية في رسم هذه الكلمة، ففي (أ): الحيري، وفي (ب): التي يرمي، وفي (د١) والمطبوع: البحتري، وفي (يه): التحيرمي، والمثبت من (ح) و(ز١) و(ع)، وهو: أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرَّزاذ البصري، كان علَّامة مُتْقناً، راويةً لكتب الآداب بصيراً بمعانيها، ونَجِيْرَم: محلَّة بالبصرة، مات سنة (٤٢٣هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٤١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٦٤، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥.

ومدلولُ هذه اللفظة في ثلاثِ لغاتها: المرأة التي لا تَحيض، أو التي لا ثَدْي لها شَابهت بذلك الرِّجال، فمَن زَعَم أنَّ المضاهاةَ مأخوذةٌ مِن ضهياء، فقولُه خطأ؛ لاختلاف المادَّتين؛ لأصالة همزةِ المُضَاهَأة، وزيادة همزة ضَهْيَاء في لُغاها الثلاث.

* * *

التفسير ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ هذه السورة مدنيَّة كلُّها، وقيل: إلَّا آيتين مِن آخِرها فإنَّهما نزلتا بمكة، وهذا قول الجمهور، وذكر المفسِّرون لها أسماءً، واختلافاً في سبب ابتدائها بغير بسملة، وخلافاً عن الصحابة أهيَ والأنفال سورةٌ واحدة، أو سورتان ولا تعلُّق لمدلول اللفظ بذلك؟ فأخلينا كتابنا منه ويُطالع ذلك في كتب المفسِّرين[١].

ويقال: بَرِئْتُ مِن فلانٍ أَبْرَأُ بَراءةً، أي: انقطعت بيننا العِصْمَةُ، ومنه بَرِئْتُ مِن الدَّيْن، وارتفع «بَرَاءة» على الابتداء، والخبر «إلى الذين عاهدتم»، و«من الله» صفة مسوّغة لجواز الابتداء بالنكرة، أو على إضمار مبتدأ، أي: هذه «بَرَاءةٌ».

وقرأ عيسى بنُ عمر: «بَرَاءةً» بالنصب[٢]. قال ابنُ عطيَّة: أي: الْزَمُوا، وفيه معنى الإغراء. وقال الزمخشريُّ: اسمعوا براءةً[٣]. قال: فإن قلتَ: لِمَ[٤] علِّقت البراءةُ بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؟ قلت: قد أَذِنَ اللهُ تعالى في معاهدة المشركين أوّلاً، فاتَّفق المسلمون مع رسولِ الله ﷺ وعاهدوهم، فلمَّا نقضوا العهدَ أوجب الله تعالى النَّبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجدَّد مِن ذلك، فقيل لهم: اعلموا أنَّ الله تعالى ورسوله قد بَرِئا ممَّا عاهدتم به المشركين.

---

(١) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٨٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣، والكشاف ٢/ ١٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٣، والبرهان للزركشي ١/ ٢٦٩، والإتقان للسيوطي ١/ ١٧٢-١٧٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤، والكشاف ٢/ ١٧٢.
(٤) في النسخ عدا (ح): بِمَ علقت. والمثبت منها ومن الكشاف ٢/ ١٧٢.

وقال ابنُ عطيَّة: لمَّا كان عهدُ الرسولِ ﷺ لازماً لجميع أمَّتِه، حَسُنَ أن يقول: «عاهدتم»[١].

وقال ابنُ إسحاق وغيره: كانت العرب قد أَوثقها رسولُ الله ﷺ عهداً عامَّاً على أنْ لا يُصَدَّ أحدٌ عن البيت الحرام، ونحو هذا مِن الموادعات، فنُقِض ذلك بهذه الآية، وأحلَّ لجميعهم أربعة أشهر، فمَن كان له مع الرسولِ عهد خاصٌّ وبقيَ منه أقلُّ مِن الأربعة أُبلغَ به تمامها، ومن كان أَمَدُه أكثرَ أُتِمَّ له عهدَه، وإذا كان ممَّن تُحُسِّسَ منه نقضُ العهد، قصرَ على أربعة أشهر، ومَن لم يكن له عهد خاصٌّ فُرضت له الأربعة يَسِيْح في الأرض، أي: يذهب فيها مُسَرَّحاً آمناً[٢].

وظاهر لفظة «مِن المشركين» العمومُ، فكلُّ مَن عاهده المسلمون داخلٌ فيهِ من مشركي مكَّة وغيرهم، وروي أنَّهم نَكَثوا إلَّا بني ضَمْرة وكِنَانة فنبذَ العهد إلى النَّاكثين.

وقال مقاتل: المراد بالمشركين هنا ثلاثُ قبائلَ مِن العرب: خُزَاعة، وبنو مُدْلِج، وبنو خُزَيْمة[٣].

وقيل: هذه الآية في أهلِ مكَّة وكان الرسول ﷺ صالَح قريشاً عامَ الحديبية على أن يَضعوا الحربَ عَشْرَ سنين يَأمَنُ فيها الناس، فدخلت خُزاعة في عهد الرسول، وبنو بكر بنُ عبدِ مَنَاة في عهد قريش، وكان لبَني الدِّيْل مِن بني بَكْر دَمٌ عند خُزاعة فاغتنموا الفُرصةَ وغَفْلَة خُزاعة، فخرج نوفل بنُ معاوية الدِّيْلي فيمَن أطاعه مِن بني بكر وبيَّتوا خزاعةَ، فاقتتلوا، وأعانت قريش بني بَكْر بالسلاح، وقوم أعانوهم بأنفسهم، فهزمت خُزاعة إلى الحَرَم، فكان ذلك نقضاً لصُلْح الحديبية فخرج مِن

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٩٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص١٧٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٤٣-٥٤٦، والخبر أخرجه عن ابن إسحاق الطبريُّ ١١/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٣) زاد المسير ٣/ ٣٩٣، وفيه وفي النسخة الخطية (ب): جذيمة، بدل: خزيمة.

خزاعة بديل بنُ ورقاء وعَمرو بنُ سالم في ناسٍ مِن قومهم، فقَدموا على الرَّسول ﷺ مستغيثينَ[(١)]، وأنشده عَمرو فقال[(٢)]:

يا ربِّ إنِّي ناشدٌ محمَّدا ... حِلْفَ أَبِيْنا وأبيهِ الأتْلَدَا[(٣)]
كنتَ لنا أباً وكنَّا وَلَدا[(٤)] ... ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننزع يَدَا
فانصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً عبدا[(٥)] ... وادْعُ عبادَ اللهِ يأتوا مَدَدَا
فيهم رسولُ اللهِ قد تجرَّدا ... أبيضُ مِثْل الشَّمس يَنْمُو صُعُدا
إنْ سِيْمَ خَسْفاً وجهُه تَربَّدا ... في فَيْلَقٍ كالبَحْر يجري مُزْبِدا
إنَّ قريشاً أخلفوكَ الموعدا ... ونقضُوا ميثاقَكَ المؤكَّدا
وزعموا أنْ لستَ تدعو أحدَا ... وهم أذلُّ وأقلُّ عَدَدَا
هم بيَّتونا بالحطيم[(٦)] هُجَّدا ... وقَتَّلونا رُكَّعاً وسُجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرتُ إنْ لم أَنْصُرْكم» فتجهَّز إلى مكَّة وفتحها سنةَ

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٩٨-٩٩، وينظر الدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٨٩ وما بعدها.
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٩٨-٩٩، وتنظر هذه الأبيات في السيرة النبوية ٢/ ٣٩٤، ومصنَّف ابن أبي شيبة (٣٨٠٥٧)، وأخبار مكة للفاكهي (٢٩١٤)، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٦، والاستيعاب ٨/ ٣٠٤ (بهامش الإصابة)، والمنمَّق لابن حبيب ص٩٢-٩٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٦٣-١٦٤.
(٣) الأتْلَد: القديم. الإملاء المختصر في شرح المغازي والسير للخشني ٣/ ٧٥.
(٤) كذا في النسخ وتفسير الثعلبي والقرطبي، والذي في سيرة ابن هشام: قد كنتمُ وُلْداً وكنَّا والدا، وفي الاستيعاب: ووالداً كنَّا وكنت ولداً، وبنحو هذا وقعت في باقي المصادر، قال السهيلي في الروض الأنف ٤/ ٩٧: يريد أنَّ بني عبد مناف أُمُّهم من خزاعة، وكذلك قصي أمُّه فاطمة بنت سعد الخزاعية.
(٥) كذا في النسخ، ولعلَّه من العَبَدة وهي القوَّة. القاموس (عبد)، والذي في مطبوع تفسير الثعلبي والنسخ الخطية للقرطبي: عتدا، وفي مطبوع القرطبي وبعض مصادر التخريج: أعتدا. أي: حاضراً. الإملاء المختصر ٣/ ٧٥، وفي بعض المصادر الأخرى: أيِّدا. أي: قوياً، وهو من التأييد. الإملاء المختصر.
(٦) هو حِجْر الكعبة، أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم والمقام. القاموس (حطم)، ووقع في المصادر: الوتير، وهو ماء أسفل مكة لخزاعة.

ثمانٍ، ثم خرج إلى غزوة تَبُوك وتخلَّفَ من تخلَّف مِن المنافقين وأرجفوا الأراجيفَ، فجعل المشركون يَنقضونَ عهودَهم، فأَمَرَه اللهُ تعالى بإلقاء عهدهم إليهم وأَذِنَ في الحرب[١].

«فسِيْحُوا» أَمْرُ إباحة، وفي ضمنه تهديد، وهو التفاتٌ مِن غَيبة إلى خطاب، أي: قل لهم: سِيْحُوا، يقال: سَاحَ سِيَاحةً وسُيُوحاً وسَيَحاناً، ومنه: سَيْحُ الماء، وهو الجاري المنبسط. وقال طَرَفة:

لو خفتُ هذا منكَ ما نِلْتَني   حتى ترى خيلاً أمامي تَسِيحْ[٢]

قال ابن عباس والزهريُّ: أوّل الأشهر شوّال حين نزلت الآية، وانقضاؤها انقضاءُ المحرَّم بَعْدَ يوم الأذان بخمسين، فكان أَجَلُ مَن له عهدٌ أربعةَ أشهر مِن يوم النزول، وأَجَلُ سائر المشركين خمسون ليلةً مِن يوم الأذان[٣].

وقال السُّدِّيُّ وغيره: أوَّلُها يومُ الأذان، وآخِرُها العَشْر مِن ربيعِ الآخِر. وقيل: العشر مِن ذي القَعْدة إلى عِشْرين مِن شهر ربيعِ الأوَّل؛ لأنَّ الحَجَّ في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنَّسِيْء الذي كان فيهم، ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجَّة[٤].

«غيرُ مُعْجِزي اللهِ» لا تَفوتونه وإنْ أَمْهَلَكم، وهو مُخزيكم، أي: مُذِلُّكم في الدنيا بالقَتْل والأَسْر والنَّهْب، وفي الآخرة بالعذاب.

(١) الخبر أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/(١٠٥٢) من حديث ميمونة ﵂، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٥-٧ من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، وابن أبي شيبة (٣٨٠٥٥) عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، وابن أبي شيبة (٣٨٠٥٧) عن عكرمة مرسلاً.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٩٧، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤، والصحاح (سيح) ولم نقف على البيت في ديوان طرفة بن العبد.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤، وأخرجه عن الزهريّ الطبريُّ ١١/ ٣١٠-٣١١، وينظر النكت والعيون ٢/ ٣٣٨، وزاد المسير ٣/ ٣٩٤.

(٤) زاد المسير ٣/ ٣٩٤، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٤-٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٦٢-١٦٣.

وحكى أبو عمرو عن أهلِ نَجْران أنَّهم يَقرؤون: «مِنِ اللهِ» بكسر النون؛ على أصل التقاء الساكنين وإتْباعاً لكسرةِ الميم[(١)].

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ قرأ الضحاك وعِكرمة وأبو المتوكِّل: و«إِذْنٌ» بكسر الهمزة وسكون الذَّال[(٢)].

وقرأ الحسن والأعرج: «إنَّ اللهَ» بكسر الهمزة[(٣)]، فالفتح على تقدير بأنَّ، والكسر على إضمار القول على مذهب البَصْرِيين، أو لأنَّ الأَذَان في معنى القول، فكُسرت على مذهب الكوفيين.

وقرأ ابنُ أبي إسحاق وعيسى بن عمر وزيد بن عليٍّ: «ورسولَه» بالنصب[(٤)]؛ عطفاً على لفظ اسم «أنَّ».

وأجاز الزمخشريُّ أن ينتصبَ على أنَّه مفعول معه.

وقرئ بالجرِّ شاذًّا ورُويت عن الحسن، وخُرِّجت على العطف على الجِوار، كما أنَّهم نَعتوا وأكَّدوا على الجِوار، وقيل: هي واو القَسَم، ورُوي أنَّ أعرابيًّا سمع مَن يقرأ بالجرِّ، فقال: إنْ كان اللهُ بريئاً مِن رسوله فأنَا منه بَرِيء، فلبَّبه[(٥)] القارئُ إلى عمر، فحكى الأعرابيُّ قراءَته، فعندها أَمَرَ عمرُ بتعلُّم العربية[(٦)].

---

(١) في المطبوع: النون، والقراءة في المحرر الوجيز ٣/ ٤، والقراءات الشاذة ص٥١، والمحتسب ١/ ٢٨٣.

(٢) زاد المسير ٣/ ٣٩٦ وزاد نسبتها للجحدري وابن يعمر، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥١ عن يزيد.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧، وزاد المسير ٣/ ٣٩٧، وينظر مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٣٢٣.

(٥) أي: جَمَع ثيابَه عند نحره في الخصومة، ثمَّ جَرَّهُ. القاموس (لبب).

(٦) الكشاف ٢/ ١٧٣-١٧٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٦٧، والقراءة في الإملاء للعكبري ٢/ ١١ دون نسبة، وفي تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٧، والثعلبي ٣/ ١٦٧، منسوبة للحسن.
قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ٤/ ٢٩٩: وتَرَك المصنِّف ـ يعني البيضاوي ـ قراءة الجرِّ في «رسوله» المنسوبة إلى الحسن، فإنها لم تصحّ. اهـ.
وقال السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٩: وهذه القراءة يَبعد صحتها عن الحسن للإبهام.

وأمَّا قراءةُ الجمهور بالرفع، فعلى الابتداء، والخبر محذوف، أي: ورسولُه بريءٌ منهم، وحُذف؛ لدلالة ما قَبْلَه عليه، وجوَّزوا فيه أن يكون معطوفاً على الضمير المستكنّ في «بَرِيء» وحسَّنه كونه فصلَ بقوله: «مِن المشركين» بين متحمّله والمعطوف، ومَن أجاز العطفَ على موضع اسم «إنَّ» المكسورة، أجاز ذلك مع «أنَّ» المفتوحة، ومنهم مَن أجاز ذلك مع المكسورة ومَنَعَ مع المفتوحة.

قال ابنُ عطيَّة: ومذهب الأستاذ - يعني أبا الحسن بنَ الباذش - على مقتضى كلام سيبويه أنْ لا موضعَ لِما دخلت عليه «أنَّ»، إذ هو مُعْرَبٌ قد ظهر فيه عملُ العامل، وأنَّه لا فَرْقَ بين «أنَّ» وبين «ليت»، والإجماع أنْ لا موضعَ لِما دخلت عليه هذه[1]. انتهى.

وهذا كلام فيه تعقُّب؛ لأنَّ علَّة كون أنْ لا موضعَ لِما دخلت عليه، ليس ظهورُ عملِ العامل، بدليل: ليس زيدٌ بقائم، وما في الدَّار مِن رجلٍ، فإنَّه ظَهر عملُ العامل ولهما موضع.

وقوله: والإجماع إلى آخِره، يريد أنَّ «ليت» لا موضعَ لها[2] بالإجماع، وليس كذلك؛ لأنَّ الفرَّاء خالف وجَعَلَ حُكْمَ «ليت» و«لعلَّ» و«كأنَّ» و«لكنَّ» و«أنَّ» حُكْمَ «إنَّ» في كون اسمهنَّ له موضعٌ وإعراب.

«وأذان» كإعراب «براءة» على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مِثْلها، ولا وَجْهَ لقول مَن قال: إنَّه معطوف على «براءة»، كما لا يقال: «عمرو» معطوف على «زيد» في: زيدٌ قائم وعمروٌ قاعد.

والأذَان بمعنى الإِيذَان، وهو الإِعْلام، كما أنَّ الأمان والعطاء يُستعملان بمعنى الإيمان والإعطاء.

ويُضَعَّف جَعْلُ «أنَّ» خبراً عن «وأذان» إذا أعربناه مبتدأ، بل الخبر قوله: «إلى الناس» وجاز الابتداءُ بالنكرة؛ لأنَها وُصفت بقوله: «من الله ورسوله» و«يوم» منصوب بما يتعلَّق به «إلى الناس»، وقد أجاز بعضهم نصبَه بقوله: «وأذانٌ»، وهو

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧.
(٢) بعدها في المطبوع: من الإعراب.

بعيدٌ مِن جهة أنَّ المصدر إذا وُصف قَبْلَ أَخْذِه معمولَه لا يجوز إعماله فيما بعدَ الصفة، ومِن جهة أنَّه لا يَجوز أن يُخبر عنه إلَّا بعدَ أَخْذِه معمولَه، وقد أُخبر عنه بقوله[1]: «إلى الناس».

لمَّا كان سنةَ تسعٍ أراد رسولُ الله ﷺ أنْ يَحجَّ، فكَرِهَ أن يَرَى المشركين يَطوفون عراةً، فبعثَ أبا بكر أميراً على الموسم، ثمَّ أتبعه عليًّا ليَقرأ هذه الآياتِ على أهل الموسم راكباً ناقته العَضْباء، فقيل له: لو بَعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: «لا يؤدِّي عنِّي إلَّا رجلٌ مِنِّي» فلمَّا اجتمعا، قال أبو بكر: أمير أو مأمور؟ قال: مأمورٌ. فلمَّا كان يوم التروية خَطَبَ أبو بكر وقام عليٌّ يومَ النحر بعد جَمْرة العَقَبة، فقال: يا أيُّها الناسُ، إنِّي رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم. فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثينَ آيةً أو أربعين ـ وعن مجاهدٍ: ثلاثَ عَشْرة ـ ثمَّ قال: أُمرتُ بأربعٍ: أنْ لَا يَقربَ البيتَ بعد هذا العام مشركٌ، ولا يَطوفَ بالبيت عُريان، وأن لا يَدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نفس مؤمنة، وأنْ يتمّ إلى كلِّ ذي عهدٍ عهدُه. فقالوا عند ذلك: يا عليُّ، أبلغ ابنَ عمِّكِ أنَّا قد نَبَذْنا العهدَ وراءَ ظهورنا، وأنَّه ليس بيننا وبينه عهدٌ إلا طَعْنٌ بالرِّماح وضَرْبٌ بالسيوف[2].

وقيل: عادةُ العرب في نَقْضِ عهودها أن يتولَّى رجلٌ مِن القَبيلة، فلو تولَّاه أبو بكر لقالوا: هذا خلافُ ما يُعرف منَّا في نَقْض العهود. فلذلك جَعل عليًّا يَتولاه، وكان أبو هريرة مع عليٍّ، فإذا صَحِلَ صوتُ عليٍّ نادى أبو هريرة[3].

والظاهر أنَّ «يومَ الحجِّ الأكبر» هو يوم واحد، فقال عمر وابنُ الزبير

(١) من قوله: ومن جهة... إلى هنا، ليست في (ب).

(٢) الكشاف ٢/ ١٧٢-١٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٦، والدرر في اختصار المغازي والسير ص٣٠٣-٣٠٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠١-١٠٣، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٣١٣-٣١٧ عن عدَّة منهم أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي، والسدي، وعليّ، وزيد بن يُثَيع. وخبر إرسال عليٍّ ببراءة عند أحمد (٧٩٧٧)، والبخاري (٤٦٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وخبر مجاهد عند الطبري ١١/ ٣٠٩-٣١٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٤٦، وخبر زيد بن يُثيع عند الترمذي (٣٣٠٤٥)، وأحمد (٥٩٤).

(٣) تفسير الرازي ١٥/ ٢١٨، والخبر أخرجه النسائي في المجتبى ٥/ ٢٣٤، وهو عند أحمد (٧٩٧٧)، وقوله: صحل صوت علي. أي: بُحَّ. النهاية (صحل).

وأبو جُحيفة وطاوس وعطاء وابنُ المسيّب: هو يوم عرفة. ورُويَ مرفوعاً إلى الرسول ﷺ[١]. وقال أبو موسى وابنُ أبي أوفى والمغيرة بنُ شعبة وابنُ جبير وعكرمة والشعبيُّ والنخعيُّ والزهريُّ وابنُ زيد والسدي: هو يومُ النَّحْر[٢]. وقيل: «يوم الحجِّ الأكبر» أيَّامُ الحجِّ كلُّها، قاله سفيان بنُ عيينة[٣].

قال ابنُ عطيَّة: والذي تظاهرت به الأحاديثُ أنَّ عليًّا أَذَّنَ بتلك الآياتِ يومَ عرفة إثْرَ خطبة أبي بكر، ثمَّ رأى أنَّه لم يعمَّ الناسَ بالإسماع فَتَتَبَّعهم بالأذان بها يومَ النحر، وفي ذلك اليوم بَعَثَ أبو بكر ﷺ مَن يُعينه بها كأبي هريرة وغيره وتتبَّعوا بها أيضاً أسواقَ العرب كذي المَجَاز وغيره، وبهذا يترجَّح قولُ سفيان، ويقول: كان هذا يوم صِفِّين ويوم الجَمل، يريد جميعَ أيامه.

وقال مجاهد: «يوم الحجِّ الأكبر» أيامُ مِنًى كلُّها، ومَجامع المشركين حين كانوا بذي المَجَاز وعُكَاظ ومَجَنَّة حين نُوديَ فيهم أن لا يَجتمع المسلمون والمشركون بعد عامِهم هذا[٤].

ووَصْفُه بالأكبر، قال الحسن وعبد الله بنُ الحارث بن نوفل: لأنَّه حجَّ ذلك العام المسلمون والمشركون وصادَفَ عيدَ اليهود والنصارى، ولم يتَّفق ذلك قَبْلَه

---

(١) تنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٢/ ٣٣٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٥، وزاد المسير ٣/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٤، والآثار أخرجها عنهم الطبري ١١/ ٣٢٢-٣٢٤، والحديث المرفوع أخرجه أبو داود في سننه (١٩٤٥)، وابن ماجه (٣٠٥٨)، وعلَّقه البخاري إثر الحديث (١٧٤٢) من حديث ابن عمر ﷺ، وأخرجه أيضاً أبو داود في المراسيل (١٥١) من حديث محمد بن قيس بن مخرمة مرسلاً.

(٢) تنظر المصادر السالفة الذكر، وتفسير الطبري ١١/ ٣٢٤-٣٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥، لكن هو في تفسير الثعلبي ٣/ ١٦٦، وتفسير البغوي ٢/ ٢٦٨، وزاد المسير ٣/ ٣٩٦، وتفسير الرازي ١٥/ ٢٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٥ عن سفيان الثوري لا ابن عيينة، وزاد القرطبيُّ: ابنَ جريج، وأخرجه عنهما - أي: عن ابن عيينة وابن جريج - الطبريُّ ١١/ ٣٣٦، فالصواب: سفيان بن عيينة - كما ورد عندنا وعند الطبريّ - لا الثوري؛ لأنَّ أبا عُبيد - وهو الراوي للخبر عند الطبريّ - يروي عن ابن عيينة لا الثوري. ينظر تهذيب الكمال وغيره.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٦٦، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٣٣٥-٣٣٦، وينظر كلام الطبري إثره.

ولا بَعْدَه، فعَظُم في قلب كلِّ مؤمن وكافر، وضعّف هذا القول، بأنَّه تعالى لا يَصفه بالأكبر لهذا[١].

وقال الحسن أيضاً: لأنَّه حجَّ فيه أبو بكر ونُبذت فيه العهود[٢].

قال ابنُ عطيَّة: وهذا هو القولُ الذي يُشبه نَظَر الحسن، وبيانه أنَّ ذلك اليوم كان المفتتح بالحقِّ وإمارة الإسلام بتقديم رسولِ الله ﷺ، ونُبذت فيه العهود، وعزَّ فيه الدِّين، وذلّ فيه الشِّرْك، ولم يكن ذلك في عام ثمانٍ، حين ولَّى رسولُ الله ﷺ[٣] عتَّاب بنَ أُسَيْد كان أَمْرُ العرب على أوَّله، فكلُّ حجٍّ بعد حَجِّ أبي بكر فمتركّب عليه، فحقُّه لهذا أن يُسمَّى أكبر. انتهى.

ومَن قال: إنَّه يومُ عرفة، فسُمِّي «الأكبر» لأنَّه معظمُ واجباته، فإذا فاتَ فاتَ الحَجُّ، ومَن قال: إنَّه يومُ منى؛ فلأنَّ فيه معظمَ الحَجِّ وتمامَ أفعاله مِن الطَّواف والنَّحْر والحَلْق والرَّمي، وقيل: وُصفَ بالأكبر؛ لأنَّ العمرةَ تُسمَّى بالحجِّ الأصغر.

وقال منذر بن سعيد وغيره: كان الناس يومَ عرفة مُفْتَرِقين، إذ كانت الحُمْسُ تَقف بالمزدلفة، وكان الجَمْعُ يومَ النحر بمنًى، ولذلك كانوا يُسمُّونه يومَ الحَجِّ الأكبر، أي: أكبر من الأصغر الذي هم فيه مُفْترقون. وقد ذكر المهدويُّ أنَّ الحُمْسَ ومَن اتَّبعها وقفوا بالمزدلفة في حجَّة أبي بكر رضي الله عنه[٤].

وحكى القرطبيُّ عن ابنِ سيرين أنَّ «يومَ الحجِّ الأكبر» أراد به العامَ الذي حَجَّ فيه رسولُ الله ﷺ في حجَّة الوداع وحجَّ معه الأمم[٥]. وهذا يَحتاج إلى إضمارٍ؛

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦، والكشاف ٢/ ١٧٣، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ٣٣٧-٣٣٨، وردَّ هذا القول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٣٠، وينظر أيضاً تفسير الرازي ١٥/ ٢٢٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٦، وأخرجه الطبري ١١/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) بعدها في المحرر الوجيز ٣/ ٦: الحجّ.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥، والحُمْسُ: قريش ومَن دان بدينهم، الواحد: أَحْمَس، وسُمُّوا بذلك؛ لأنهم تحمَّسوا في دينهم، أي: تشدَّدوا، فكانوا لا يستظلون... إلى آخره. المغرب في ترتيب المعرب ص٢٢٣-٢٢٤.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٦، وذكره أيضاً النحاس في معاني القرآن ٣/ ١٨٣، والبغوي في التفسير ٢/ ٢٦٨.

كأنَّه قال: هذا الأذان حكمُه يتحقَّق يومَ الحجِّ الأكبر، وهو عامُ حجِّ رسولِ الله ﷺ[١]. انتهى.

وسُمِّيَ أكبر؛ لأنَّه فيه ثبتت مناسكُ الحجِّ، وقال فيه: «خذوا عنِّي مناسككم»[٢]، وجملة «براءة مِن الله ورسوله» إخبارٌ بثبوت البراءة، وجملة «وأذان مِن الله ورسوله» إخبار بوجوبِ الإعلام بما ثَبَتَ، فافترقتا، وعلّقت البراءةُ بالمعاهدين؛ لأنَّها مختصَّة بهم، ناكثيهم وغيرِ ناكثيهم، وعلّق الأذان بالناس؛ لشموله معاهداً وغيرَه، ناكثاً وغيرَه، مسلماً وكافراً، هذا قولُ الجمهور.

قيل: ويجوز أن يكون الخطاب للكفار؛ بدليل آخِر الآية، وبدليل مناداة عليٍّ بالجُمَل الأربع، فظاهره أنَّ المُخاطَب بتلك الجُمل الكفَّار.

ولمَّا كان المجرور خبراً عن قوله: «وأذان» كان بـ «إلى»، أي: مُنْتَهٍ[٣] إلى الناس وواصلٌ إليهم، ولو كان المجرورُ في موضع المفعول لكان باللام.

و«مِن» في «مِن المشركين» متعلّقة بقوله «بَرِيْء» تعلُّق المفعول، تقول: بَرِئتُ منكَ، وبَرِئتُ مِن الدَّيْن، بخلاف «مِن» في قوله: «بَراءة مِن الله» فإنَّها في موضع الصفة.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: مِن الشِّرك الموجب لتبرُّؤ الله ورسوله منكم ﴿فَهُوَ﴾ أي: التَّوْبُ[٤] ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا؛ لعصمة أنفسِكم وأولادِكم وأموالكم، وفي الآخرة؛ لدخولكم الجنَّة وخلاصكم مِن النار.

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عن الإسلام ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: لا تفوتونه عمَّا يَحِلُّ بكم مِن نقماته ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ جعل الإنذارَ بشارةً

(١) كلام القرطبي ينتهي عند الإحالة السالفة الذِّكر، ولعلَّ الكلام المذكور هنا من كلام أبي حيان أو من المصدر الذي ينقل عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وهو عند أحمد (١٤٤١٩) من حديث جابر، بلفظ: «لتأخذوا مناسككم»، وهو باللفظ المذكور أعلاه عند البيهقي في السنن ٥/ ١٢٥، وابن عبد البرِّ في التمهيد ٧/ ٢٧٢.
(٣) في (د١) والمطبوع: مفتد. وفي (يه): ميته.
(٤) التَّوب: التوبة. مقاييس اللغة (توب).

على سبيل الاستهزاء بهم، و«الذين كفروا» عامٌّ يَشمل المشركين عبدةَ الأوثان وغيرَهم، وفي هذا وعيدٌ عظيم بما يحلُّ بهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ قال قوم: هذا استثناء مُنقَطع، التقدير: لكن الذين عاهدتم فثَبتوا على العهد أَتِمُّوا إليهم عهدَهم.

وقال قوم منهم الزجاج: هو استثناء متَّصل مِن قوله: «إلى الذين عاهدتم مِن المشركين»[١]. وقال الزمخشريُّ: وجهه أن يكون مستثنى مِن قوله: «فسيحوا في الأرض»؛ لأنَّ الكلام خطابٌ للمسلمين، ومعناه: براءةٌ مِن الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فقولوا لهم: سيحوا، إلَّا الذين عاهدتُم منهم، ثم لم ينقضوا، فأَتِمُّوا إليهم عهدَهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك، كأنَّه قيل بَعْدَ أنْ أمروا في الناكثين: ولكن الذين لم يَنكثوا فأَتِمُّوا إليهم عهدَهم، ولا تُجروهم مجراهم، ولا تَجعلوا الوفيَّ كالغادر[٢].

وقيل: هو استثناءٌ متَّصل، وقَبْله جملة محذوفة تقديرها: اقتلوا المشركين المعاهدين إلَّا الذين عاهدتم. وهذا قول ضعيف جدًّا، والأظهر أن يكون منقطعاً؛ لطُول الفَصْل بجُمل كثيرة بين ما يُمكن أن يكون مستثنًى منه وبينه.

قال مجاهد وغيره: هم قوم كان بينهم وبينَ الرسولِ ﷺ عهدٌ لمدَّة، فأُمر أن يَفيَ لهم[٣].

وعن ابنِ عباس: لمَّا قرأ عليٌّ «براءة»، قال لبَني ضَمْرة وحيٍّ مِن كنانة وحَيٍّ مِن سُلَيم: إنَّ الله قد استثناكم. ثم قَرأ هذه الآية.

والظاهر أنَّ قولَه: «إلى مدَّتهم» يكون في المدَّة التي كانت بينهم وبين الرسول ﷺ، أُمروا بإتمام العهدِ إلى تمام المدَّة.

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٣٠، وزاد المسير ٣/ ٣٩٧.
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٤.
(٣) زاد المسير ٣/ ٣٩٧، وما بعده منه أيضاً.

وعن ابنِ عباس: كان بَقِيَ لحيٍّ مِن كِنانة تسعة أشهر، فأتمَّ إليهم عهدَهم[١]، وعنه أيضاً: «إلى مدَّتهم» إلى الأربعة الأشهر التي في الآية. وهذا بعيد؛ لأنَّه يكون الاستثناء لا يَفيد تجديدَ حُكم، إذ يكون حُكمُ هؤلاء المُستَثْنين حُكمَ باقي المعاهدين الذين لم يتَّصفوا بما اتَّصف به هؤلاء؛ مِن عدم النقص وعدم المظاهرة.

وقرأ عطاء بنُ السائب الكوفيُّ وعكرمة وأبو زيد وابنُ السَّمَيْفع: «ينقضُوكم» بالضَّاد مُعْجَمة[٢]، وتُناسب العهدَ، وهي بمعنى قراءةِ الجمهور؛ لأنَّ مَن نَقَضَ العهدَ فقد نَقَصَ مِن الأَجل المضروب، وهو على حذفِ مضاف، أي: ولم يَنقضُوا عهدَكم، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه؛ لدلالة الكلام عليه.

وقال الكرماني: هي بالضَّادِ أقربُ إلى معنى العَهد إلَّا أنَّ القَراءة بالصادِ أحسنُ ليقع في مقابلته التَّمام في قوله: «فأتمُّوا إليهم» والتَّمام ضدُّ النَّقْصِ.

وانتصب «شيئاً» على المصدر، أي: لا قليلاً مِن النَّقْص ولا كثيراً «ولم يُظاهروا عليكم أحداً» كما فعلت قريش ببني بكر حين أعانوهم بالسلاح على خُزاعة.

وتعدَّى «أتمُّوا» بـ «إلى»؛ لتضمُّنه معنى: فأدُّوا، أي: فأدُّوه تامًّا كاملاً.

وقول قتادة: إنَّ المستثنين هم قريش عُوهدوا زمنَ الحديبية. مردودٌ بإسلام قريش في الفتح قَبْل الأذان بهذا كلِّه.

وقوله: «يحبُّ المتقين» تنبيهٌ على أنَّ الوفاءَ بالعهد مِن التقوى، وأنَّ مِن التقوى أنْ لا يُسوَّى بين القَبِيْلَين.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ تقدَّم الكلام على «انسلخ» في قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٥، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٦٧، والكشاف ٢/ ١٧٤، والقرطبي ١٠/ ١٠٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥١ عن عطاء، وفي المحتسب ١/ ٢٨٢ عن عكرمة.

وقال أبو الهيثم: يقال: أَهْلَلْنَا هلالَ شهرِ كذا، أي: دَخلنا فيه ولَبِسْناه، فنحن نَزداد كلَّ ليلة إلى مُضِيِّ نصفِه لباساً منه، ثم نَسْلَخه عن أنفسِنا بَعْدَ تكامل النِّصفِ منه جُزءاً فجزءاً حتى نسلخَه عن أنفسِنا كلَّه فيَنسلخ، وأنشد:

إذا ما سلخت الشهرَ أهللت مِثْلَه كفى قاتلاً سَلْخُ الشهورِ وإهلالُ[1]

والظاهر أنَّ هذه الأشهر هي التي أُبيح للناكثين أن يَسيحوا فيها، ووصفت بـ «الحُرُم»؛ لأنَّها مُحرَّم فيها القتال، وتقدَّم ذِكْر الخلاف في ابتدائها وانتهائها، وإذا تقدَّمت النكرةُ وذُكرت بعد ذلك، فالوجه أن تُذكَر بالضمير نحو: لقيتُ رجلاً فضربته، ويجوز أن يُعاد اللفظ معرَّفاً بـ «أل» نحو: لقيتُ رجلاً فضربت الرجل، ولا يجوز أن يُوصف بوصفٍ يُشعِر بالمغايرة، لو قلت: لقيتُ رجلاً فضربت الرجل الأزرق، وأنت تريد الرجلَ الذي لقيته، لم يَجز، بل يَنصرف ذلك إلى غيره، ويكون المضروبُ غيرَ الملقي، فإن وصفته بوصفٍ لا يُشعِر بالمغايرة جاز، نحو: لقيتُ رجلاً فضربت الرجل المذكورَ، وهنا جاء: «الأشهر الحرم» لأنَّ هذا الوصفَ مفهومٌ من قوله: «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» إذِ التقدير: أربعة أشهرٍ حُرُم لا يتعرَّض إليكم فيها، فليس «الحُرُم» وصفاً مُشعِراً بالمغايرة.

وقيل: الأشهر الحُرُم هي غير هذه الأربعة، وهي الأشهر التي حرَّم اللهُ فيها القتال منذ خلقَ السماوات والأرضَ، وهي التي جاء في الحديث فيها: «إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئتِه يومَ خَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عَشَر شهراً منها أربعة

---

(١) تفسير الرازي ١٥/ ٢٢٤، والبيت لعمرو بن الأهتم، وهو في مجموع شعره ص٩٨، والحماسة البصرية ٢/ ٤١٦، وتهذيب اللغة ٧/ ١٧١، وأساس البلاغة (سلخ)، وورد في مجموع شعره: الدهر، بدل: الشهر، ووقع في الحماسة: بعده، بدل: قبله، وفي أساس البلاغة: أهلكت، بدل: أهللت. وأورده أيضاً الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٤/ ٤٩ ونسبه لعبدة بن الطبيب. ومع الإشارة إلى أنه ورد عجز البيت في المصادر كلّها هكذا: كفى قاتلاً سلخي الشهورَ وإهلالي.
وأبو الهيثم هو الرازي النحوي، له: الشامل في اللغة، والفاخر في اللغة، وزيادات معاني القرآن للفراء، توفي سنة (٢٧٦هـ). إنباه الرواة ٤/ ١٨٢، وبغية الوعاة ٢/ ٣٢٩، وينظر كلامه أيضاً في تهذيب اللغة ٧/ ١٧٠.

حُرُم: ذو القَعدة، وذو الحجَّة، والمُحرَّم، ورجب»[١] فتكون الأربعةُ مِن سنتين.

وقيل: أوَّلها المحرَّم، فتكون مِن سنةٍ.

وجاء الأمْر بالقَتْل على سبيل التشجيع وتقويةِ النفس، وأنَّهم لا مَنَعَة عندهم مِن أن يَقتلوا، وفي إطلاق الأمْر بالقَتْل دليلٌ على قَتْلهم بأيِّ وجهٍ كان، وقد قَتَلَ أبو بكر أصحابَ الرِّدَّة بالإحراق بالنار وبالحجارة وبالرمي مِن رؤوس الجبال والتَّنْكِيسِ في الآبار، وتعلَّق بعموم هذه الآية، وأحرق عليٌّ قوماً مِن أهل الرِّدَّة، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن المُثْلة[٢]، ولفظ «المشركين» عامٌّ في كلِّ مشرك، وجاءت السنَّة باستثناء الأطفال والرُّهبان والشيوخ الذين ليسوا ذوي رَأْي في الحرب، ومن قاتَلَ مِن هؤلاء قُتِلَ.

وقال الزمخشريُّ: يعني الَّذينَ نَقَصوكم وظَاهروا عليكم، ولفظ: «حيث وجدتموهم» عامٌّ في الأماكن مِن حلٍّ وحَرَم «وخذوهم» عبارة عن الأسْر، والأخِيذ: الأسير ـ ويدلُّ على جواز أسْرِهم «واحصروهم» قيِّدوهم وامْنَعوهم مِن التصرُّف في البلاد[٣].

وقيل: استرقُّوهم، وقيل: معناه: حاصروهم إنْ تحصَّنوا.

وقرئ: «فحاصروهم» شاذّاً[٤]، وهذا القول رُويَ عن ابن عباس، وعنه أيضاً: حُولُوا بينهم وبين المسجد الحرام[٥]. وقيل: امنعوهم عن دخول بلادِ الإسلام والتصرُّف فيها إلَّا بإذن.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، وهو عند أحمد (٢٠٣٨٦) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٢) ينظر أحكام القرآن للهراسي ٣/ ١٧٦-١٧٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٩-١١٠، وينظر خبر أبي بكر ﷺ في تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٢-٢٦٥، وخبر عليٍّ أخرجه البخاري (٦٩٢٢)، وهو عند أحمد (١٨٧١) عن عكرمة، وخبر النهي عن المثلة عند البخاري (٤١٩٢) من حديث أنس ﷺ.

(٣) الكشاف ٢/ ١٧٥.

(٤) لم نقف عليها عند غيره.

(٥) الكشاف ٢/ ١٧٥.

قال القرطبيُّ: في قوله: «واقْعُدوا لهم كلَّ مرصد» دلالةٌ على جوازِ اغتيالِهم قَبْلَ الدَّعوة[١]؛ لأنَّ المعنى: اقْعُدوا لهم مواضعَ الغِرَّة، وهذا تنبيهٌ على أنَّ المقصودَ إيصالُ الأذى إليهم بكلِّ طريق، إمَّا بطريق القتال وإمَّا بطريق الاغتيال، وقد أجمعَ المسلمون على جواز السرقةِ من أموال أهلِ الحرب، وإسْلَال[٢] خَيْلهم، وإتلاف مواشيهم إذا عَجَز عن الخروج بها إلى دار الإسلام إلَّا أنْ يُصالحوا على مِثْلِ ذلك.

قال الزمخشريُّ: «كلَّ مَرْصد» كلَّ مَمَرٍّ ومُجْتَازٍ تَرصدونهم فيه، وانتصابه على الظَّرْف، كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] [الأعراف: ١٦]. انتهى. وهذا الذي قاله الزَّجَّاج، قال: «كلَّ مَرْصَد» ظرفٌ، كقولك: ذَهبتُ مَذْهَباً[٤]. وردَّه أبو عليٍّ[٥]؛ لأنَّ المَرْصَد المكان الذي يُرصَد فيه العدوُّ، فهو مكان مخصوص لا يُحذَف الحرفُ منه إلَّا سماعاً، كما حكى سيبويه: دخلتُ البيتَ، و:

كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ[٦]

انتهى.

وأقول: يَصحُّ انتصابُه على الظَّرْف؛ لأنَّ قولَه: «واقْعُدوا لهم» ليس معناه حقيقة القعودِ، بل المعنى: ارْصُدوهم في كلِّ مكان يُرصَد فيه، ولمَّا كان بهذا المعنى جاز قياساً أن تحذف منه «في»، كما قال:

وقد قَعدوا أَنْفَاقَها كلَّ مَقْعَد[٧]

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ١١١، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٩٠.
(٢) الإسلال: السرقة الخفيَّة. اللسان (سلل).
(٣) الكشاف ٢/ ١٧٥.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٣١، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١١.
(٥) يعني الفارسيَّ، ينظر قوله في مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ١٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١١.
(٦) الكتاب ١/ ٣٥-٣٦، وعجز البيت لساعدة بن جؤية الهذلي، وسلف في سورة الأعراف عند تفسير الآية [١٦].
(٧) عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص٢٢٨، وصدره: ولم تَدْرِ وَشْكَ البَيْنِ حتى رَأَتْهُمُ، ووَشْكُ البين: سرعته، يعني: مفارقة ولدها، رَأَتِ الرُّماةَ قد قعدوا أنفاقها مخارِجَها وطُرُقَها.

فمتى كان العامل في الظرف المختصّ عاملاً مِن لفظه أو مِن معناه، جاز أن يَصل إليه بغير واسطةِ «في»، فيجوز: جلستُ مجلسَ زيد، وقعدتُ مجلسَ زيد، تريد: في مجلس زيد، فكما يتعدَّى الفعلُ إلى المصدر مِن غير لفظه إذا كان بمعناه، فكذلك إلى الظَّرْف.

وقال الأخفش: معناهُ: على كلِّ مرصد[1]، فحذف «على» وأعمل الفعل، وحَذْفُ «على» ووصولُ الفعل إلى مجرورها فينصبَه، يَخصُّه أصحابُنا بالشِّعْر، وأنشدوا:

تَحِنُّ فتُبدي ما بها مِن صبابةٍ وأُخفي الذي لولا الأسَى لقضاني[2]

أي: لقَضَى عليَّ.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ أي: عن الكفر والغَدْر، والتوبةُ تتضمَّن الإيمانَ وتَرْكَ ما كانوا فيه مِن المعاصي، ثم نبَّه على أعظم الشعائر الإسلامية وذلك إقامةُ الصلاة، وهي أفضلُ الأعمال البدنيَّة، وإيتاءُ الزكاةِ وهي أفضلُ الأعمال الماليَّة، وبهما تطهيرُ القوَّة العمليَّة، كما بالتوبة تطهير القوَّة العِلْميَّة عن الجهل.

«فَخَلُّوا سبيلَهم» كنايةٌ عن الكَفِّ عنهم وإجرائِهم مجرى المسلمين في تصرُّفاتهم حيث ما شاؤوا ولا يتعرَّضوا لهم، كقول الشاعر:

خَلِّ السبيلَ لمَن يَبني المنارَ به[3]

أو يكون المعنى: فأَطْلقوهم مِن الأَسْر والحَصْر، والظاهر الأوَّل؛ لشمول الحُكم لمَن كان مأسوراً وغيرَه.

وقال ابنُ زيد: افتُرضت الصلاةُ والزكاة جميعاً، وأَبَى اللهُ أنْ لا تُقبَل الصلاةُ

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٤٩.
(٢) البيت لعروة بن حزام، وسلف في تفسير سورة المائدة، عند تفسير الآية (١٠٩).
(٣) صدر بيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٢١١ (بشرح ابن حبيب)، وفيه: الطريق، بدل: السبيل، وعجزه: وابرُزْ ببرزَةَ حيثُ اضطرَّك القدَرُ.

إلَّا بالزكاة، وقال: يَرْحَم اللهُ أبا بكر ما كان أَفْقَهَه في قوله: لأُقاتلنَّ مَن فَرَّق بين الصلاة والزكاة[١]. وناسب ذِكْر وَصْف الغفران والرحمة منه تعالى لِمَن تاب عن الكفر والتَزَم شرائع الإسلام.

قال الحافظ أبو بكر بنُ العربيّ: لا خلافَ بين المسلمين أنّ مَن تَرَكَ الصلاةَ وسائرَ الفرائض مستحلًّا، كَفَر ودُفِنَ في مقابر الكفار، وكان مالُهُ فَيْئاً، ومَن تَرَكَ السُّنَن فسقَ، ومَن تَرَكَ النوافل لم يَحْرَج إلَّا أن يَجحد فَضْلَها فيكفر؛ لأنَّه يَصير رادًّا على النبيِّ ﷺ ما جاء به وأخبر عنه[٢]. انتهى.

والظاهر أنَّ مفهومَ الشَّرْط لا يَنتهض أن يكون دليلاً على تعيين قَتْلِ مَن تَرَكَ الصلاةَ والزكاة متعمِّداً غيرَ مستحلٍّ ومع القدرة؛ لأنَّ انتفاءَ تخلية السبيل يكون بالحبس وغيرِه، فلا يتعيَّن القَتْل، وقد اختلف العلماءُ في ذلك:

فقال مكحول ومالك والشافعيُّ وحمَّاد بنُ زيد ووكيع وأبو ثور: يُقتَل[٣].

وقال ابنُ شهاب وأبو حنيفة وداود: يُسجَن ويُضرَب ولا يُقتَل.

وقال جماعة مِن الصحابةِ والتابعين: يُقتَل كفراً، ومالُهُ مالُ مرتدٍّ، وبه قال إسحاق، قال إسحاق: وكذلك كان رَأي أهلِ العِلْم من لَدُن النبيِّ ﷺ إلى زماننا[٤].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ قال الضَّحَّاك والسُّدِّيُّ: هي منسوخة بآية الأمر بقَتْل

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧١، وأخرجه عن ابن زيد الطبريُّ ١١/ ٣٦٢، وقوله الأخير: يرحم الله أبا بكر... أورده القرطبي ١٠/ ١١٢ وعزاه لابن عباس.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ١١٢ دون عزوٍ لابن العربي، ولم نقف على كلام ابن العربي في كتابه أحكام القرآن، فلعلَّه من كتابٍ غيره ولعلَّه من كلام القرطبيّ، والله تعالى أعلم، ومع الإشارة إلى أنَّ القرطبيَّ نقل كلاماً عن ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ٢/ ٨٩٠، ثم ذكر هذا الكلام. فليُحرَّر.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١١٣، والتمهيد ٤/ ٢٣١، والاستذكار ٥/ ٣٤٦.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١١٣، والتمهيد ٤/ ٢٢٥، والاستذكار ٥/ ٣٤٣.

المشركين[(١)]. وقال الحسن ومجاهد: هي مُحكَمة إلى يوم القيامة[(٢)].

وعن ابنِ جُبير: جاء رجلٌ إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه فقال: إن أراد الرجلُ منَّا أنْ يأتيَ محمَّداً بعدَ انقضاءِ هذا الأجَل ليسمعَ كلامَ الله، أو يأتيَه لحاجةٍ، قُتِلَ؟ قال: لا، لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ الآية[(٣)]. انتهى.

وقيل: هذه الآية إنَّما كان حُكمها مُدَّة أربعة الأشهر التي ضُربت لهم أجَلاً.

والظاهر أنَّها محكمة، ولمَّا أَمَر تعالى بقَتْل المشركين حيث وُجدوا وأَخْذِهم وحَصْرِهم وطَلَب غِرَّتهم، ذَكَر لهم حالةً لا يُقتَلون فيها ولا يُؤخَذون ويُؤسَرون، وتلك إذا جاءَ واحدٌ منهم مسترشداً طالباً للحُجَّة والدلالةِ على ما تدعو إليه مِن الدِّين، فالمعنى: «وإن أحدٌ مِن المشركين استجارك» أي: طَلَب منكَ أن تكون مُجيراً له، وذلك بعد انسلاخِ الأشهر؛ ليَسمعَ كلامَ الله وما تضمَّنه مِن التوحيد، ويَقف على ما بُعِثتَ به، فكنْ مُجيراً له «حتى يسمعَ كلامَ الله» ويَتدبَّره ويَطَّلع على حقيقة الأمر، «ثمَّ أبلغه» دارَه التي يَأمن فيها إن لم يُسْلِم، ثم قاتِلْه إن شئت مِن غير غدرٍ ولا خيانة.

و«حتى» يصحُّ أن تكون للغاية، أي: إلى أَنْ يَسمع، ويصحُّ أن تكون للتعليل، وهي متعلِّقة في الحالين بـ: أَجِره، ولا يصحُّ أن يكون مِن باب التنازع وإن كان يصحُّ مِن حيث المعنى أن يكون متعلِّقاً بـ «استجارك» أو بـ: أَجِرْه، وذلك لمانعٍ لفظيٍّ، وهو أنَّه لو أعمل الأوَّل لأضمر في الثاني، و«حتى» لا تجرّ المُضمرَ، فلذلك لا يصحُّ أن يكون من باب التنازع، لكن من ذهب مِن النحويين إلى أنَّ «حتى» تجرُّ المضمَر، يجوز أن يكون ذلك عنده مِن باب التنازع، وكون «حتى» لا تجرّ المضمر هو مذهبُ الجمهور.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩، وأورده عنهما النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٤٢٣، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٣٤٨، وأخرجه أيضاً عن السديِّ أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٣٩٣)، وينظر نواسخ القرآن لابن الجوزي ص١٧٢-١٧٣.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١١٦، وينظر تفسير السمرقندي ٢/ ٣٤، والكشاف ٢/ ١٧٥، والرازي ١٥/ ٢٢٦.

ولمَّا كان القرآن أعظمَ المعجز علّق السماع به، وذكرَ السماع؛ لأنَّه الطريق إلى الفَهْم، وقد يُراد بالسماع الفهمُ، تقول لمن خاطبته فلم يَقْبَل منكَ: أنتَ لم تَسمع؟! تريد: لم تَفهم، و«كلام الله» من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لا مِن باب إضافة المخلوق إلى الخالق، و«مَأْمَنه» مكان أَمْنِه، وقيل: «مَأْمَنه» مصدر، أي: ثمَّ أبلغه أَمْنَه.

وقد استدلَّت المعتزلة بقوله: «حتى يسمعَ كلام الله» على حدوث كلامِ الله؛ لأنَّه لا يسمع إلَّا الحروفَ والأصوات، ومعلومٌ بالضرورة حدوثُ ذلك، وهذا مذكور في علم الكلام.

وفي هذه الآية دلالةٌ على أنَّ النظرَ في التوحيد أعلى المقامات، إذ عُصم دَمُ الكافر المُهْدَر الدَّم بطَلَبه النَّظر والاستدلال، وأَوجب على الرسول أن يُبلِّغه مَأْمَنه، وفيها دلالةٌ على أنَّ التقليدَ غيرُ كافٍ في الدِّين، إذ كان لا يُمهَل، بل يُقال له: إمَّا أن تُسْلِم وإمَّا أن نقتلك، وفيها دلالةٌ على أنَّه بعدَ سماع كلام الله لا يُقَرُّ بأرض الإسلام، بل يُبلَّغ مَأْمَنه، وأنَّه يجب حِفْظه وحَوْطته مدَّةً يَسمع فيها كلامَ الله.

والخطاب بقوله: «استجارك» و«فأجِرْهُ» يدلُّ على أنَّ أمانَ السلطان جائزٌ، وأمَّا غيرُه فالحُرُّ يُمضَى أمانُه. وقال ابنُ حبيب: يَنظر الإمامُ فيه. والعَبْدُ؛ قال الأوزاعيُّ والثوريُّ والشافعيُّ وأحمد وإسحاق ومحمد بنُ الحسن وأبو ثور وداود: له الأمانُ، وهو مشهورُ مذهب مالك[١]. وقال أبو حنيفة: لا أمانَ له، وهو قولٌ في مذهب مالك[٢]. والحُرَّةُ لها الأمان على قول الجمهور، وقال عبد الملك بنُ الماجِشُون: لا، إلَّا أنْ يُجيزه الإمام. وقوله شاذٌّ. والصبيُّ إذا أطاق القتالَ جاز أمانُه[٣].

(١) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٩١-٨٩٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥، والتمهيد ٢١/ ١٨٨.

(٢) المصادر السابقة، ومع الإشارة إلى أنَّ ابنَ عبد البرِّ ذكر في التمهيد ٢١/ ١٨٨ عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنَّهما قالا في العبد: أمانه غير جائز إلا أن يقاتل. وذكر في اللباب للغنيمي ٣/ ١٩٠ عن أبي حنيفة أنه لا يجوز، وعن أبي يوسف ومحمد أنه يجوز، وفصَّل في بدائع الصنائع ٩/ ٤١٤ بين العبد المأذون له في القتال وبين العبد المحجور، فأجاز الأوَّل بالإجماع، وفصَّل في الثاني، حيث نَقَل عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يصحُّ، وعن محمد أنَّه يصحّ، وقال: وهو قول الشافعي.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١١٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٩٢، والتمهيد ٢١/ ١٩٠-١٩١.

«ذلك بأنَّهم قومٌ لا يعلمون» أي: ذلك الأمر بالإجارة وإبلاغ المَأمَن؛ بسبب أنَّهم قومٌ جَهَلة لا يَعلمون ما الإسلام وما حقيقةُ ما تدعو إليه، فلا بُدَّ مِن إعطائهم الأمانَ حتى يَسمعوا ويَفهموا الحقَّ، قاله الزمخشريُّ[١].

وقال ابنُ عطيَّة: إشارةٌ إلى هذا اللُّطف في الإجارة والإسماع وتبليغ المَأْمن «لا يعلمون» نَفَى عِلْمهم بمراشدهم في اتِّباع رسول الله ﷺ[٢].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ هذا استفهامٌ معناه التعجُّب والاستنكار والاستبعاد، قال التَّبريزيُّ والكِرْمانيُّ: معناه النَّفْي، أي: لا يكون لهم عهدٌ وهم لكم ضِدٌّ، ونبَّه على علَّة انتفاءِ العهد بالوَصْف الذي قام بهم وهو الإشراك.

وقال القرطبيُّ: وفي الآية إضمارٌ، أي: «كيف يكونُ للمشركين عهد» مع إضمار الغَدْر والنَّكْث[٣]؟! انتهى.

والاستفهام يُراد به النفيُ كثيراً، ومنه قولُ الشاعر:

فَهَذِي سيوفٌ يا صُدَيّ[٤] بنَ مالكٍ ... كثيرٌ ولكنْ كيف[٥] بالسيفِ ضارِبُ[٦]

أي: ليس بالسيف ضاربٌ، ولمَّا كان الاستفهامُ معناه النفي، صَلُحَ مَجِيْءُ الاستثناء، وهو متَّصِل، وقيل: منقطع، أي: لكن الذين عاهدتم منهم عندَ المسجد الحَرَام.

قال الحَوفيُّ: ويَجوز أن يكون «الذين» في موضع جَرٍّ على البَدَل مِن المشركين؛ لأنَّ معنَى ما تقدَّم النفي، أي: ليس يكونُ للمشركين عهدٌ إلَّا الذين لم

(١) الكشاف ٢/ ١٧٥.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١٢.
(٤) في النسخ عدا (ح) و(ز١): يا هُدَيّ. والمثبت منهما ومن مصادر التخريج.
(٥) في (د١) والمطبوع: ليس.
(٦) معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٤، ورسالة الملائكة للمعري ص٤٤، وأمالي ابن الشجري ١/ ٤٠٨، دون نسبة، وورد في المصادر كلها: أين، بدل: كيف.

يَنكُثوا. قال ابنُ عباس: هم قريش. وقال السديُّ: بنو جَذِيمَة بن الدِّيْل. وقال ابنُ إسحاق: قبائل بني بَكْرٍ، كانوا دخلوا وقتَ الحديبية في المدَّة التي كانت بين الرسول ﷺ وقريش[١].

وقال الزمخشريُّ: كبَني كِنَانة وبَني ضَمْرة[٢].

وقال قوم منهم مجاهد: هم خُزَاعة، ورُدَّ بإسلامهم عامَ الفتح. وقال ابنُ زيد: هم قريش نَزلت فلم يَستقيموا، فنَزل تأجيلهم أربعة أشهرٍ بعد ذلك. وضُعِّف هذا القولُ بأنَّ قريشاً بعد الأذان بأربعة أشهر لم يكن فيهم إلَّا مسلم، وذلك بعد فَتْح مكَّة بسنة، وكذلك خُزاعة، قاله الطبريُّ[٣].

«فما استقاموا لكم» على العَهْد «فاستقيموا لهم» على الوفاء، وجوَّز أبو البقاء أن يكون خبرُ «يكون»: «كيف»، كقوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل: ٥١] وأن يكون الخبرُ «للمشركين»، و«عند» على هذَيْن ظرفٌ للعَهْد، أو لـ «يكون»، أو للحال، أو هي وَصْفٌ للعهد، وأن يكون الخبرُ «عند الله» و«للمشركين» تبيينٌ، أو متعلِّق بـ «يكون»، و«كيف» حال مِن العهد[٤]. انتهى.

والظاهر أنَّ «ما» مصدريَّة ظرفيَّة، أي: استقيموا لهم مدَّة استقامتهم، وليست شرطيَّة.

وقال أبو البقاء: هي شرطيَّة، كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾[٥] [فاطر: ٢] انتهى. فكأنَّ التقدير: ما استقاموا لكم مِن زمانٍ فاستقيموا لهم.

وقال الحوفيُّ: «ما» شَرْطٌ في موضع رَفْع بالابتداء، والخبرُ «استقاموا»، و«لكم» متعلِّق بـ «استقاموا»، «فاستقيموا لهم» الفاء جوابُ الشرط. انتهى. فكأنَّ التقدير: فأيُّ وقتٍ استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩، وأخرجه عنهم الطبري ١١/ ٣٥٠-٣٥١.
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩، وتفسير الطبري ١١/ ٣٥٢ وفيه أثر مجاهد وابن زيد.
(٤) الإملاء ٢/ ١٢.
(٥) المصدر السابق.

وإنَّما جوّز أن تكون شرطيَّة؛ لوجودِ الفاء في «فاستقيموا» لأنَّ المصدريَّة الزمانيَّة لا تَحتاج إلى الفاء، وقد أجاز ابنُ مالك في المصدريَّة الزمانيَّة أن تكون شرطيَّة وتَجزِم، وأنشد على ذلك ما يدلُّ ظاهرُه على صحَّة دعواه[(١)]، وقد ذَكَرنا ذلك في كتاب «التكميل»[(٢)] وتأوَّلنا ما استَشهد به، فعلى قوله تكونُ زمانيَّةً شرطيَّة.

«إنَّ الله يُحبُّ المتَّقين» يعني أنَّ الوفاءَ بالعهد مِن أخلاق المتَّقين، والتربُّص بهؤلاء إن استقاموا مِن أعمال المؤمنين، والتقوى تتضمَّن الإيمانَ والوفاء بالعهدِ.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ «كيف» تأكيدٌ لنفي ثباتهم على العهد، والظاهر أنَّ الفعلَ المحذوف بعدها هو مِن جنسِ أقربِ مَذكور لها، وحُذفَ؛ للعِلْم به في «كيف» السابقة، والتقدير: كيف لهم عهدٌ وحالُهم هذه؟! وقد جاء حَذْفُ الفعلِ بعد «كيف» لدلالة المعنى عليه، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]، وقال الشاعر:

وخَبَّرتُماني أنَّما الموتُ بالقُرى   فكيف وهَاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ[(٣)]

أي: فكيف ماتَ وليس في قرية؟! وقال الحُطَيْئَة:

فكيفَ ولَم أَعْلَمْهُمُ خَذَلوكُمُ   على مُعْظَمٍ وَلا أَدِيمكُمُ قَدُّوا[(٤)]

(١) وهو قول عبد الله بن الزبير الأسدي:
فما تَحْيَ لا تَسْأَمْ حياةً وإن تَمُتْ   فلا خيرَ في الدنيا ولا العيشِ أجمعا
قال السمين الحلبي في الدُّرّ المصون ٦/ ١٦ إثره: ولا دليل فيه؛ لأنَّ الظاهر الشرطيةُ من غير تأويل بمصدرية ولا زمان. اهـ. وينظر شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٢٧، وشرح الأشموني ٤/ ١٢.

(٢) ينظر التذييل والتكميل للمصنِّف ٣/ ١١٦ وما بعدها.

(٣) القائل كعب بن سعد الغنوي، من قصيدة يرثي بها أخاه، وهو في الكتاب ٣/ ٤٨٧، والأصمعيات ص٩٧، والحماسة البصرية ١/ ٢٣٢، وتفسير الطبري ١١/ ٣٥٤، وأمالي القالي ٢/ ١٥١، مع الإشارة إلى أنه وقع في مطبوع البحر: وكثيب، بدل: وقليب، وكذا وقع في بعض المصادر، ومعنى البيت: قلتما لي أنَّ مَن سكن القرى لحقه الموت لكثرة الوباء بها، فكيف مات أخي في برِّيَّة هي هذه؟! حاشية الشهاب ٤/ ٣٠٣.

(٤) ديوان الحطيئة ص١٤٠، وفيه: على موطنٍ، بدل: على معظم. وأُشير إلى هذه الرواية في الشرح، ومعناه: لم يخذلوكم على أمرٍ حدث، وقوله: ولا أديمكم قدُّوا: أي: لم يقعوا في حسبكم.

أي: فكيف تَلومونني على مَدْحهم؟! واستغنى عن ذلك؛ لأنَّه جرى في القصيدة ما دلَّ على أَضمَرَ[١].

وقَدَّر أبو البقاء الفعلَ المحذوفَ بعد «كيف» بقوله: كيف تَطْمَئنُّون إليهم[٢]، وقدَّره غيره: كيف لا تقتلونهم[٣].

والواو في «وإن يَظهروا» واو الحال، وتقدَّم الكلام على وقوعِ جملة الشَّرْط حالاً في قوله: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

ومعنى الظُّهور: العُلُوُّ والظَّفَر، تقول: ظهرتُ على فلان: عَلَوتُه، والمعنى: وإن يَقدروا عليكم ويَظفروا بكم.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «وإنْ يُظْهَروا» مبنيًّا للمفعول[٤].

«لا يَرقُبوا» لا يَحفظوا ولا يَرْعوا «إلًّا» عهداً أو قَرابة، أو حِلْفاً، أو سياسةً، أو اللهَ تعالى، أو جُؤَاراً، أي: رَفْع صوتٍ بالتضرُّع، أقوال.

قال مجاهد وأبو مِجْلَزٍ: «إلّ» اسمُ الله بالسُّريانية وعُرِّب، ومن ذلك قولُ أبي بكر حين سمعَ كلامَ مُسَيْلمة، فقال: هذا كلامٌ لم يَخرُج مِن إلٍّ[٥].

وقرأت فرقةٌ: «أَلًّا» بفتح الهمزة، وهو مصدر مِن فِعْل الإلّ الذي هو العهد[٦].

وقرأ عكرمة: «إيْلاً» بكسر الهمزة وياء بعدها[٧]، فقيل: هو اسمُ اللهِ تعالى، ويجوز أن يُراد به إلّ، أبدل مِن أحد المضعَّفين ياء، كما قالوا في: إمَّا: إيْمَا، قال الشاعر:

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤٠١.
(٢) الإملاء ٢/ ١٢.
(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٥١، ونقله عنه الثعلبي ٣/ ١٧٠، والبغوي ٢/ ٢٧٠.
(٤) نقلها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ١٧.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٧٠-١٧١، وينظر الصحاح (ألل)، وقول مجاهد وأبي مجلز أخرجه الطبري ١١/ ٣٥٥، وقول أبي بكر أورده أيضاً البغوي ٢/ ٢٧١، والرازي ١٥/ ٢٣٠.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٢ ونسبها للكلبي.
(٧) القراءات الشاذة ص٥٢، والمحتسب ١/ ٢٨٣. وينظر لسان العرب (أيل).

يا ليتما أُمَّنا شالَت نَعامَتُها إِيمَا إلى جَنَّةٍ إِيمَا إلى نارِ[1]

قال ابنُ جِنِّيّ: ويجوز أن يكون مأخوذاً من آل يَؤُول إذا سَاسَ، أبدل مِن الواو ياء؛ لسُكونها وانكسارِ ما قَبْلها، أي: لا يَرقبون فيكم سياسةً ولا مداراةً ولا ذِمَّةً، مَن رأى أنَّ الإلَّ هو العَهْد جَعَله والذِّمَّةَ لفظين لمعنًى واحد أو متقارب، ومَن رأى أنَّ الإلَّ غير العهد فهما لفظان متباينان[2].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٠، ونَسَب البيت لسَعْد بن قُرط يهجو فيه أمَّه، والخبر أخرجه المرزباني في أشعار النساء ص١٣٧-١٤٠ ضمن أبيات ثلاثة، ثم أورد بعدها أبياتاً عن أمِّه في وَعْظه، وكان لا يتَّعظ، ولَقَّبُه فيها: النُّحيف، وأورده أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٢٢٩ ضمن أبيات أربعة، وسمَّاه: العجيف، وابن جنّيّ في المحتسب ١/ ٤١، والبغدادي في خزانة الأدب ١١/ ٨٦، وابن يعيش في شرح المفصَّل ٦/ ٧٥ مقتصراً على عَجُزه، والبيت لم ينسب عند ابن جنّيّ وابنِ يعيش. وأوردها أيضاً التبريزي في شرح ديوان الحماسة ٤/ ١٧٥ إثْر قصيدة أمِّ النحيف، وقال: وقال سعد، وليس من الكتاب.

ولفظة: إيما، هكذا وردت مكسورة الهمزة في (ز١)، ولم تُضبط في النسخ الأخرى، ووردت على أصلها: إمّا، عند ابن قتيبة في عيون الأخبار، قال البغدادي في الخزانة ١١/ ٨٦: وكذا أنشده أبو تمام في الحماسة، وهو بفتح الهمزة وسكون الياء. ثم نقل عن المرادي في شرح التسهيل قولَه: حُكي الإبدال مع كسر الهمزة وفتحها، فمثاله مع الكسر. . .، وأورد البيت المذكور، ثم نقل كلاماً عن الجوهري في الصحاح مادة (أمو) [حيث أورد الجوهريُّ العَجُز ونسبه للأحوص، وهو في ملحق ديوانه ص٢٢٦]، ثم قال أخيراً: فتلخَّص لنا في هذه الكلمة أن «أيما» بالفتح أصلها «أمَّا» المفتوحة وهي لغة في المكسورة، وأنَّ «إيما» بالكسر أصلها «إمَّا» بالكسر، لكن كثُر استعمال «أيما» بالفتح.

ثم شَرَح البيت المذكور فقال: يا ليتما أمَّنا. . . البيت، يا: حرف تنبيه، وأمَّنا: بالنصب اسم «ليت»، وجملة: شالت نعامتها، خبرها، و: شالت: ارتفعت، والنعامة: باطن القَدم، وقيل: عَظْم الساق، وقولهم: شالت نعامتُه، كناية عن الموت والهلاك، فإنَّ من ماتَ ارتفعتْ رجلاه وانتكس رأسُه وظهرت نعامةُ قدمِهِ شائلة. وقيل معناه: ارتفعت جنازته. . .

ثم قال: والنُّحَيف، بضمِّ النون وفتح الحاء المهملة وسكون الياء بعدها فاء، مصغَّر نَحيف، تصغير ترخيم، وإلا لقيل: نُحَيِّف، بتشديد الياء المكسورة، وهو لَقَب سعد بن قُرط، وهو من عبد القيس. اهـ. وأشرنا أولاً إلى اختلاف المصادر في لَقَبه، فلينظر، ولينظر أيضاً المُبْهج لابن جنّيّ ص٢١١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٠.

ولمَّا ذَكرَ حالهم مع المؤمنين إن ظَهروا عليهم، ذَكَر حالَهم معهم إذا كانوا غيرَ ظاهرين، فقال: «يُرضونكم بأفواههم» واستأنف هذا الكلام، أي: حالهم في الظاهر مُخالف لباطنهم، وهذا كلُّه تقريرٌ واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد، وإباءُ القلب مخالفتُه لما يَجري على اللسان مِن القول الحَسَن.

وقيل: «يرضونكم بأفواههم» في العِدَة بالإيمان، «وتَأبى قلوبهم» إلَّا الكفر. وقيل: «يُرضونكم» في الطاعة «وتَأبى قلوبهم» إلَّا المعصية.

والظاهر بقاءُ الأكثر على حقيقته، فقيل: «وأكثرهم»؛ لأنَّ منهم مَن قضى اللهُ له بالإيمان. وقيل: لأنَّ منهم مَن له حفظٌ لمراعاة الحالِ الحسنة مِن التعفُّف عمَّا يثلم العِرْض ويجرُّ أُحدوثة السُّوء «وأكثرهم» خُبثاء الأنفس خريجون في الشَّرِّ، لا مروءة تَرْدعهم ولا طباعَ مرضيَّة تَزَعهم، لا يَحترزون عن كذب ولا مَكْر ولا خديعة، ومَن كان بهذا الوصف كان مذموماً عند الناس وفي جميع الأديان، ألَا ترى إلى أهل الجاهليَّة وهم كفَّار كيف يَمدحون أنفسَهم بالعَفاف وبالصِّدْق وبالوفاء بالعهد وبالأخلاق الحسنة.

وقيل: معنى «وأكثرهم» وكلُّهم «فاسقون»، قاله ابنُ عطيَّة[1] والكِرْمانيُّ.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ الظاهر عودُ الضمير على مَن قَبْله مِن المشركين المأمور بقَتْلهم، ويكون المعنى «اشتروا» بالقرآنِ وما يَدعو إليه مِن الإسلام «ثمناً قليلاً» وهو اتِّباع الشهواتِ والأهواء، لمَّا تَركَتْ دينَ الله وآثرتِ الكفرَ كان ذلك كالشراء والبيع.

وقال مجاهد: هم الأعراب الذين جَمعَهم أبو سفيان على طعامه. وقال أبو صالح: هم قومٌ من اليهود، وآياتُ الله التوراةُ. وقال ابنُ عباس: هم أهلُ الطائف كانوا يمدُّون الناسَ بالأموال يَمنعونهم مِن الدخول في الإسلام «فصَدُّوا عن سبيله» أي: صَرفوا أنفسَهم عن دينِ الله وعَدَلوا عنه[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) زاد المسير ٣/ ١٤، وأخرجه عن مجاهد الطبريُّ ١١/ ٣٦٠، وأثر ابن عباس أورده أيضاً البغوي ٢/ ٢٧١.

والظاهر أنَّ ساء هنا محوَّلة إلى فَعُل ومَذْهوباً بها مذهب «بئس»، ويجوز إقرارها على وضعها الأوَّل، فتكون متعَدِّية، أي: إنَّهم ساءَهم ما كانوا يعملون، فحُذف المفعول؛ لفَهْم المعنى.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ هذا تنبيهٌ على الوصف الموجِب للعداوة وهو الإيمان، ولمَّا كان قوله: «لا يَرقبوا فيكم» يتوهَّم أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمخاطَبين، نبَّه على علَّة ذلك وأنَّ سَببَ المنافاة هو الإيمان ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾أي: الجامعون لتلك الأوصاف الذَّميمة ﴿هُمُ الْمُعْتَدُونَ ⑩﴾ المجاوزون الحدَّ في الظلم والشَّرِّ ونَقْض العهدِ.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: «فإن تابوا» عن الكفرِ ونَقْضِ العهد والتزموا أحكامَ الإسلام «فإخوانكم» أي: فهم إخوانكم، والإخوان والإِخْوَة جَمْعُ: أخ؛ مِن نَسبٍ أو دِيْنٍ، ومَن زعمَ أنَّ الإخوة تكون في النَّسب والإخوان في الصَّداقة، فقد غلط، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وعلَّق حصول الأخوَّة في الدِّين على الالتباس بمجموع الثلاثة، ويَظهر أنَّ مفهومَ الشَّرْطِ غيرُ مُرادٍ.

﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑪﴾ أي: نبيِّنها ونوضِّحها، وهذه الجملة اعتراضٌ بين الشَّرْطين؛ بين قوله: «فإن تابوا» وقوله: «وإن نكثوا» بَعْثاً وتحريضاً على تأمُّل ما فصَّل تعالى مِن الأحكام، وقال: «لقومٍ يعلمون» لأنَّه لا يتأمَّل تفصيلَها إلَّا مَن كان مِن أهلِ العِلْم والفَهْم.

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ⑫﴾أي: وإن نَقَضوا أَقْسامهم مِن بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أنْ لا يَنكثوا «وطعنوا» أي: عابوه وثَلَبوه واستنقصوه، والطَّعْن هنا مجازٌ، وأصله الإصابةُ بالرُّمْح أو العُود وشِبْهه، وهو هنا بمعنى العَيْب، كما جاء في حديث إمارة أسامة: «إنْ تَطعنوا في إمارته، فقد طعنتم في إمارة أبيه مِن قَبْلُ»(١). أي: عبتموها واستنقصتموها.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٢، والحديث أخرجه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦)، وهو عند أحمد (٤٧٠١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والظاهرُ أنَّ هذا الترديد في الشَّرطين هو في حقِّ الكفَّار أصلاً لا فيمَن أسلم ثم ارتدَّ، فيكون قوله: «فقاتلوا أئمَّةَ الكفرِ» أي: رؤساءَ الكفر وزعماءَه، والمعنى: فقاتلوا الكفَّار، وخَصَّ الأئمةَ بالذِّكْر؛ لأنَّهم هم الذين يُحرِّضون الأَتْباعَ على البقاء على الكُفر.

وقال الكِرْمانيُّ: كلُّ كافرٍ إمامُ نفسِه، فالمعنى: فقاتلوا كلَّ كافر.

وقيل: مَن أَقْدَم على نَكْث العهد والطَّعْن في الدِّيْن صار رأساً في الكفر، فهو مِن أئمَّة الكفر.

وقال ابن عباس: «أئمَّة الكفرِ» زعماءُ قريش[١]. وقال القرطبيُّ: هو بعيدٌ؛ لأنَّ الآيةَ في سورة «براءة»، وحين نزلت كان اللهُ قد استأصلَ شَأْفَة قريش ولم يبْق مِنهم إلَّا مُسلِم أو مسالِم[٢].

وقال قتادة: المراد أبو جهل بنُ هشام وعُتْبةُ بنُ رَبيعة وغيرُهم. وهذا ضعيف إن لم يُؤخَذ على جهة المثال؛ لأنَّ الآيةَ نزلت بعد بدرٍ بكثير، وروي عن حُذَيفة أنَّه قال: لم يَجِئ هؤلاء بَعْدُ. يُريد لم يَنقرضوا، فهم يجيئون[٣] أبداً ويقاتلون.

وقال ابنُ عطية[٤]: أصوبُ ما في هذا أن يُقال: إنَّه لا يعني بها معيَّن، وإنَّما وقع الأَمْرُ بقتال أئمَّة الناكثين العهود مِن الكَفَرة إلى يوم القيامة دون تعيين، واقتضت حال كفَّار العرب ومحارِبي رسول الله ﷺ أن تكون الإشارة إليهم أوَّلاً بقوله: «أئمَّة الكفر» وهم حَصَلوا حينئذ تحتَ اللفظة، إذ الذي يتولَّى قتال النبيِّ ﷺ والدَّفع في صَدْر شريعته هو إمامُ كلِّ مَن يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم يأتي في كلِّ جيلٍ مِن الكفَّار أئمَّة خاصَّة بجيلٍ جيلٍ. انتهى.

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٣٤٥، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٣٦٣ بنحوه.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ١٢٦.

(٣) في مطبوع المحرر الوجيز ٣/ ١٢ والكلام منه: يحيون.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٢، وما قبله منه أيضاً، وأثر قتادة وحذيفة أخرجه الطبري ١١/ ٣٦٣-٣٦٥.

وقيل: المراد بالعَهد الإسلام، فمعناه: كفروا بعد إسلامهم، ولذلك قَرَأ بعضُهم: «وإنْ نَكَثوا إِيمانهم» بالكسر[1]، وهو قولُ الزمخشريِّ، قال: «فقاتلوا أئمَّة الكفر» فقاتلوهم، فوضع «أئمَّة الكفر» موضعَ ضميرهم إشعاراً بأنَّهم إذا نكثوا في حالة الشِّرْك تمرُّداً وطغياناً وطَرْحاً لعادات الكرام الأوفياء مِن العرب، ثم آمنوا وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة، وصاروا إخواناً للمسلمين في الدِّيْن، ثم رجعوا فارتدُّوا عن الإسلام ونَكَثوا ما بايعوا عليه مِن الإيمان والوفاءِ بالعهد، وقَعدوا يَطعنون في دِيْن الله تعالى، ويقولون: ليس دِيْنُ محمَّد بشيء = فهم «أئمَّة الكفر»، وذوو الرئاسة والتقدُّم فيه، لا يَشقُّ كافرٌ غبارَهم[2]. انتهى.

والمشهور مِن مذهب مالك أنَّ الذِّمِّيَّ إذا طَعَن في الدِّين، ففَعَل شيئاً مِثْل تكذيب الشريعة والسَّبِّ للنبيِّ ﷺ ونحوه، قُتِلَ. وقيل: إن أَعلن بشيء ممَّا هو معهود مِن مُعتَقده وكفره، أُدِّب على الإعلان وتُرِك، وإن كفر بما هو ليس مِن مُعتَقده كالسَّبِّ ونحوه، قُتلَ. وقال أبو حنيفة: يُسْتتاب[3].

واختلف إذا سَبَّ الذِّمِّيُّ[4] ثم أسلم تقيَّةَ القَتْلِ؛ فالمشهور مِن مذهب مالك أنَّه يُترَك؛ لأنَّ الإسلام يَجبُّ ما قَبْله، وفي «العُتْبِيَّة» أنَّه يُقتَل، ولا يكون أحسن حالاً مِن المسلم[5].

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عَمرو بإبدال الهمزة الثانية ياءً[6]، وروي عن نافع مَدُّ

---

(١) وهي قراءة ابن عامر. السبعة ص٣١٢، والتيسير ص١١٧.
(٢) الكشاف ٣/ ١٧٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٢، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٢٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٩٣، وللهراسي ٣/ ١٨٣.
(٤) يعني النبيَّ ﷺ، وحاشاه ﷺ مِن ذلك.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٢، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٢٦، والبيان والتحصيل لابن رشد ١٦/ ٣٩٧-٣٩٨، والشفا ٢/ ٥٦٧-٥٦٨، والصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص٣١١-٣١٢، والعُتْبِيَّة لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي المتوفى سنة (٢٥٤هـ)، وهي مسائل في مذهب مالك. كشف الظنون ٢/ ١١٢٤.
(٦) أي: «أيمَّة»، والحِرْميَّان نافع وابن كثير، والقراءة في السبعة ص٣١٢، والتيسير ص١١٧، وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة. النشر ١/ ٣٧٨-٣٧٩.

الهمزة[١]، وقرأ باقي السبعة وابن أبي أويس عن نافع بهمزتين[٢]، وأدخل هشام بينهما ألفاً[٣]، وأصله: أأْمِمَة على وزن أفْعِلَة، جَمْع: إمام، أدغموا الميمَ في الميم فنُقلت حركتها إلى الهمزة قَبْلها.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: كيف لفظ «أئمَّة»؟ قلت: همزةٌ بعدها همزةٌ بينَ بينَ، أي: بينَ مَخْرج الهمزة والياء، وتحقيقُ الهمزتين قراءةٌ مشهورة، وإن لم تكن مقبولةً عند البَصْريين، وأمَّا التصريح بالياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون، ومَن صرَّح بها فهو لاحِنٌ مُحرِّف[٤]. انتهى. وذلك دَأْبُهُ في تلحين المقرِئين، وكيف يكون ذلك لَحْناً وقد قَرأ به رأسُ البَصْريين النحاة أبو عَمْرو بن العلاء، وقارئُ مكَّة ابنُ كثير، وقارئُ مدينةِ الرسول ﷺ نافع؟!.

ونفى أيمانهم؛ لمَّا لم يَثبتوا عليها ولا وَفوا بها، جُعلوا لا أيمان لهم، أو يكون على حذف الوصف، أي: لا أيمانَ لهم يُوفون بها.

وقرأ الجمهور بفتح الهمزة، وقرأ الحسن وعطاء وزيد بنُ عليٍّ وابنُ عامر: «لا إيمان لهم»[٥] أي: لا إسلام ولا تصديق. قال أبو عليٍّ: وهذا غيرُ قويٍّ؛ لأنَّه تكرار، وذلك أنَّه وصف أئمة الكفر بأنَّهم «لا أيمان لهم» فالوجهُ في كَسْر الألف أنَّه مصدرُ: آمَنَهُ إيماناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤] فالمعنى أنَّهم لا يُؤمَنون أهلُ الذِّمَّة، إذِ المشركون لم يَكن لهم إلَّا الإسلام أو السيف. قال أبو حاتم: فسَّر الحَسن قراءتَه: لا إسلام لهُم[٦]. انتهى.

وكذا تَبِعه الزمخشريُّ، فقال: وقُرئَ: «لا إيمان لهم» أي: لا إسلام لهم، ولا يُعطَون الأمانَ بعد الرِّدَّة والنكث ولا سَبيل إليه. وبقراءة الفَتْح استشهد أبو حنيفة

(١) أي: «أيِمَّة»، والقراءة رواها عنه المسيِّبي وأبو بكر بن أبي أويس. السبعة ص٣١٢.
(٢) أي: «أئمَّة» ينظر المصادر السالفة الذكر.
(٣) أي: «آإِمَّة»، ينظر التيسير ص١١٧، والنشر ١/ ٣٨٠-٣٨١.
(٤) الكشاف ٣/ ١٧٧.
(٥) السبعة ص٣١٢، والتيسير ص١١٧، والنشر ٢/ ٢٧٨.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٢، وينظر الحجَّة لأبي علي الفارسي ٤/ ١٧٧-١٧٨، وتفسير الطبري ١١/ ٣٦٦.

على أنَّ يمين الكافر لا يكون يميناً، وعند الشافعيِّ يمينهم يمينٌ، وقال: معناه: إنَّهم لا يُوفون بها، بدليل أنَّه تعالى وَصَفها بالنَّكث، «لعلَّهم ينتهون» متعلِّقٌ بقوله: «فقاتلوا أئمَّة الكفر» أي: ليكن غَرَضكم في مقاتلتهم بعد ما وُجد منهم من العظائم ما وُجدَ انتهاءَهم عمَّا هم فيه، وهذا مِن كَرَمه سبحانه وفَضْله وعَوده على المُسِيْءِ بالرحمة[1].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ «ألا» حرفُ عَرْض، ومعناه هنا الحضُّ على قتالهم، وزعموا أنَّها مركَّبة من همزة الاستفهام و«لا» النافية، فصار فيها معنى التحضيض.

وقال الزمخشريُّ: دخلت الهمزة على «لا تقاتلون»؛ تقريراً على انتفاء المقاتلة، ومعناها الحضُّ عليها على سبيل المبالغة[2].

ولمَّا أَمَر تعالى بقتال أهلِ الكفر أتْبع ذلك بالسبب الذي يَبعث على مقاتلتهم، وهو ثلاثةُ أشياء جَمَعوها، وكلُّ واحد منها على انفراده كافٍ في الحَضِّ على مقاتلتهم، ومعنى «نكثوا أيمانهم» نَقْض العهد، قال السديُّ وابنُ إسحاق والكلبيُّ: نزلت في كفَّار مكَّة نَكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية، وأعانوا بني بكرٍ على خُزاعة[3]. انتهى.

وهمُّهم هو هَمُّ قريش بإخراج الرسول مِن مكَّة حين تشاوروا بدَار النَّدْوة، فأَذِنَ الله في الهجرة فخَرج بنفسه، أو بنو بكر بإخراجه مِن المدينة لما أقدموا عليه من المشاورة والاجتماع، أو اليهود همُّوا بغَدْر الرَّسولِ ﷺ ونَقضوا عهدَه وأعانوا المنافقين على إخراجه مِن المدينة، ثلاثة أقوال، أوَّلها للسُّدِّي[4].

(١) الكشاف ٢/ ١٧٧، وينظر تفسير الرازي ١٥/ ٢٣٤، والنيسابوري ١٠/ ٤٨، واللباب في شرح الكتاب ٣/ ١٠٩، وبدائع الصنائع ٤/ ٣٢-٣٣.
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٧.
(٣) ينظر تفسير الرازي ١٥/ ٢٣٥، والنيسابوري ١٠/ ٤٩، وورد عند الأول: ابن عباس، بدل: ابن إسحاق، وأخرجه عن السدي وابن إسحاق الطبريُّ ١١/ ٣٦٨-٣٦٩، وأثر ابن عباس في تفسير الخازن ٢/ ٦٥، وينظر خبر الكلبي عند الواحدي في أسباب النزول ص٢٤٢.
(٤) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٣٦٨، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٠٥.

وقال الحسن: مِن المدينة. قال ابنُ عطيَّة: وهذا مستقيم، كغزوة أُحُد والأحزاب وغيرهما[١].

وهم الذين كانت منهم البدَاءة بالمقاتلة؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ جاءَهم أوّلاً بالكتاب المُبين وتحدَّاهم به، فعَدلوا عن المعارضة ـ لعَجْزهم عنها ـ إلى القتال، فهم البادِئون والبادِئُ أظلم، فما يَمنعكم مِن أن تُقاتلوهم بمِثْله، تَصْدِمونهم بالشَّرِّ كما صدموكم، وبَّخهم بتَرْك مقاتلتهم وحضّهم عليها، ثم وَصَفهم بما يُوجب الحَضَّ عليها، ويُقرّر أنَّ مَن كان في مِثْل صفاتهم مِن نَكْثِ العهود، وإخراجِ الرسول، والبَدْء بالقتال مِن غير موجب، حقيقٌ بأنْ لا تُتْرَك مُصادمته، وأنْ يُوبَّخ مَن فرَّط فيها. قاله الزمخشريُّ[٢]. وهو تكثير.

وقال ابنُ عطيَّة: «أوَّلَ مرَّة» قيل: يريد أفعالهم بمكَّة بالنبيِّ ﷺ والمؤمنين، وقال مجاهد: ما بَدَأت به قريش مِن معونة بني بَكْر حلفائهم على خُزاعة حلفاءِ النبيّ ﷺ، فكان هذا بَدْءَ النَّقْض، وقال الطبريُّ: يعني فِعْلَهم يومَ بدر[٣]. انتهى.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «بَدَوْكم» بغير همز[٤]، ووَجْهه أنَّه سَهَّل الهمزةَ مِن بَدَأت، بإبدالها ياءً، كما قالوا في: قَرَأت: قَرَيْتُ، فصار كرَمَيْت، فلمَّا أسندَ الفعل إلى واوِ الضمير سقطت، فصار: بَدَوكم، كما تقول: رَمَوْكم.

«أتخشونهم» تقريرٌ للخشية منهم وتوبيخٌ عليها «فالله أحقُّ أنْ تَخشوه» فتَقتلوا أعداءَه، ولفظُ الجلالة مبتدأً، وخبره: «أحقُّ»، و«أنْ تَخشوه» بدل مِن «الله»، أي: وخشيةُ اللهِ أحقُّ مِن خشيتهم، و«أنْ تَخشوه» في موضع رَفْع، ويجوز أن تكون في موضع نصب أو جَرٍّ على الخلاف إذا حذف حرف الجرِّ وتقديره: بأن تخشوه، أي: أحقُّ مِن غيره بأنْ تخشوه، وجوَّز أبو البقاء أن يكون «أن تَخشوه» مبتدأ و«أحقُّ» خبره، قدِّم عليه[٥]، وأجاز ابنُ عطيَّة أن يكون «أحقّ» مبتدأ، وخبره «أن

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣.
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٧-١٧٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٣، وينظر تفسير الطبري ١١/ ٣٦٨، وفيه خبر مجاهد.
(٤) لم نقف عليها عند غيره، وينظر النشر ١/ ٤٣٨-٤٣٩، مبحث تسهيل الهمزة.
(٥) الإملاء ٢/ ١٢.

تَخشوه»، والجملة خبر عن الأوَّل[(١)]، وحَسُنَ الابتداءُ بالنَّكرة؛ لأنَّها أَفْعَل التفضيل، وقد أجاز سيبويه أن تكون المعرفة خبراً للنَّكرة في نحو: اقْصِد رجلاً خيرٌ منه أبوه[(٢)].

«إن كنتم مؤمنين» أي: كامِلي الإيمان؛ لأنَّهم كانوا مؤمنين، وقال الزمخشريُّ: يعني أنَّ قضيَّة الإيمان الصحيح أنْ لا يَخشى المؤمنُ إلَّا ربَّه، ولا يُبالي بمَن سواه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٣)] [الأحزاب: ٣٩].

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ قرَّرت الآياتُ قَبْلَ هذه أفعالَ الكفرة المقتضيةَ لقتالهم والحضَّ على القتال، وجَزَم الأمْرَ بالقتال في هذه، وتعذيبُهم بأيدي المؤمنين هو في الدنيا بالقَتْل والأَسْر والنَّهْب، وهذه وُعُود ثبَّتت قلوبَهم، وصحَّحت نياتِهم، وخِزْيُهم هو إهانتهم وذُلُّهم، «وينصركم» يُظْفِرْكم بهم، وشفاء الصُّدور بإعلاء دِيْن الله، وبتعذيب الكفار وخِزْيهم.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «ونَشْفِ» بالنونِ على الالتفات[(٤)]، وجاء التركيب: «صدورَ قومٍ مؤمنين» ليَشمل المخاطَبين وكلَّ مؤمن؛ لأنَّ ما يُصيب أهلَ الكفر مِن العذاب والخِزْي هو شفاءٌ لصَدْرِ كلِّ مؤمن.

وقيل: المراد قومٌ مُعَيَّنون، قال ابنُ عباس: هم بطونٌ مِن اليَمَن وسَبَأ قَدِموا مكَّةَ فأسلموا فَلَقوا مِن أهلها أذًى شديداً، فبعَثوا إلى رسولِ الله ﷺ يَشْكُون إليه، فقال: «أبشروا، فإنَّ الفَرَج قريب»[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٣، وعبارته فيه: ويجوز أن يكون «الله» ابتداء، و«أحقّ» ابتداء ثانٍ، و«أن تخشوه» خبر الثاني، والجملة خبر الأول.
(٢) ينظر الكتاب ٢/ ١١٣-١١٤.
(٣) الكشاف ٢/ ١٧٨.
(٤) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٢٧، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٣٩.
(٥) الكشاف ٢/ ١٧٨، وأورده أيضاً النيسابوري في التفسير ١٠/ ٥٠، ولم نقف عليه مسنداً.

وقال مجاهد والسُّدّيُّ: هم خُزاعة[١]. ووجه تخصيصهم أنَّهم هُمُ الذين نُقِضَ فيهم العهد ونالَتْهمُ الحرب، وكان يومئذٍ في خُزاعة مؤمنون كثيرٌ، ألَا ترى إلى قول الخُزَاعيِّ المستنصِر بالنبيِّ ﷺ:

ثَــمَّــتَ أَسْــلَــمْــنــا فــلــم نَــنْــزِع يــدا

وفي آخِرِ الرَّجَز:

وقَــتَّــلــونــا رُكَّــعــاً وسُــجَّــدا[٢]

وإذهابُ الغيظ بما نال الكفارَ مِن المكروه، وهذه الجملة كالتأكيد للتي قَبْلَها؛ لأنَّ شفاءَ الصَّدْر مِن ألَم[٣] الغيظ هو إذهابُ الغيظِ.

وقرأت فرقة: «ويَذْهَب» فِعْلاً لازِماً «غيظُ» فاعل به[٤]، وقرأ زيد بن عليٍّ كذلك إلَّا أنَّه رَفَع الباء[٥].

وهذه المواعيد كلُّها وُجدت، فكان ذلك دليلاً على صِدْق الرسولِ ﷺ وصحَّة نبوَّته، وبُدِئَ أوَّلاً فيها بما تسبّب عن النَّصْر وهو تعذيبُ اللهِ الكفارَ بأيدي المؤمنين وإخزاؤهم، إذ كانت البداءة بما يَنال الكفَّار مِن الشَّرِّ هي التي يُسَرُّ بها المؤمنون، ثم ذَكَر السَّببَ وهو نَصْر اللهِ المؤمنين على الكافرين، ثم ذَكَر ما تسبَّب أيضاً عن النَّصْر مِن شفاء صدور المؤمنين وإذهابِ غيظهم تَتْميماً للنِّعم، فذَكَر ما تسبَّب عن النَّصْر بالنسبة للكفار، وذَكَر ما تسبَّب للمسلمين مِن الفرح والسرور بإدراك الثَّأْر، ولم يَذكُر ما نالوه مِن المغانم والمطاعِم، إذِ العربُ قومٌ جُبِلوا على الحميَّة والأنَفة، فَرَغْبتهم في إدراك الثَّأْر وقَتْل الأعداء هي اللائقة بطباعهم:

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٣، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٣٦٩-٣٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٣-١٤، والرجز سلف في بداية هذه السورة الكريمة.
(٣) في (د١) والمطبوع: آلة.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٤، والقراءة في القراءات الشاذَّة ص٥١ ولم تُضبط، ونسبها لعيسى بن عمر.
(٥) أي: «ويَذْهَبُ»، ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ٢٧، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٤٠.

إنَّ الأسـودَ أسـودَ الـغـابِ هِـمَّـتُـهـا يومَ الكَريهة في المسلوبِ لا السَّلَبِ[١]

وقرأ الجمهور: «ويتوبُ اللهُ» رَفْعاً، وهو استئنافُ إخبار بأنَّ بعضَ أهل مكة وغيرهم يَتوبُ عن كفرِه، وكان ذلك، أَسْلَم عالَمٌ كثيرون وحَسُنَ إسلامهم.

قال الفرَّاء والزجَّاج وأبو الفتح: وهذا أَمْرٌ موجود، سَواء أُقُوتلوا أو لم يُقاتلوا، فلا وَجْه لإدخال التوبة[٢] في جواب الشرط الذي في «قاتلوهم»[٣]. انتهى.

وقرأ زيدُ بن عليٍّ والأعرج وابنُ أبي إسحاق وعيسى الثقفيُّ وعَمْرو بن عُبيد وعَمرو بن فائد وأبو عمرو ويعقوب فيما رُويَ عنهما: «ويتوبَ اللهُ» بنصب الباء[٤]، جَعَلَه داخلاً في جواب الأمر مِن طريق المعنى، قيل: ويمكن أن تكون التوبةُ داخلةً في الجزاء.

قال ابنُ عطيَّة: ويتوجَّه ذلك عندي إذا ذُهِبَ إلى أنَّ التوبةَ يُرادُ بها هنا أنَّ قَتْلَ الكافرين والجهادَ في سبيل الله هو توبةٌ لكم أيُّها المؤمنون، وكمالٌ لإيمانكم، فتَدخل التوبة على هذا في شَرْط القتال[٥].

وقال غيرُه: لمَّا أَمَرهم بالمقاتلة شَقَّ ذلك على بعضهم، فإذا أقدموا على المقاتلة صار ذلك العمل جارياً مَجرى التوبة مِن تلك الكراهة. وقيل: حُصول الظَّفَر وكثرة الأموال لذَّة تطلب بطريق حرام، فلمَّا حَصلت لهم بطريق حلال، كان ذلك داعياً لهم إلى التوبة ممَّا تقدَّم، فصارت التوبة متعلِّقةً بتلك المقاتلة[٦]. انتهى.

(١) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه ١/ ٦٦، وفيه: الغِيل، بدل: الغاب، وأشير بهامشه إلى رواية: الغاب، في عددٍ من النسخ الخطية، وكلاهما بمعنًى.
(٢) في (د١) والمطبوع: اليوم.
(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٦، وللزجاج ٢/ ٤٣٧، والمحتسب لأبي الفتح ابن جنِّي ١/ ٢٨٥، ونقل كلامه أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٤.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٧٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٠-١٣١، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٠٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥١، والمحتسب ١/ ٢٨٤-٢٨٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٤.
(٦) تفسير الرازي ١٦/ ٤.

وهذا الذي قرَّروه مِن كون التوبة تدخل تحتَ جواب الأمْر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أُمروا بقتال الكفار، والذي يَظهر أنَّ ذلك بالنسبة إلى الكفَّار، فالمعنى: على مَن يشاء مِن الكفَّار، وذلك أنَّ قتالَ الكفار وغَلَبة المسلمين إيَّاهم قد يَنشأ عنها إسلامُ كثيرٍ مِن الناس وإن لم تكن لهم رغبةٌ في الإسلام ولا داعيةٌ قَبْل القتال، ألَا ترى إلى قتال رسول الله ﷺ أهلَ مَكَّة كيف كان سبباً لإسلامهم؛ لأنَّ الداخلَ في الإسلام قد يَدخُل فيه على بَصِيرة، وقد يَدخل على كُره واضطِرار، ثم قد تَحسُن حالُه في الإسلام، ألا تَرى إلى عبد الله بنِ أبي سَرْح[١] كيف كان حاله أوَّلاً في الإسلام ثم صار أمْرُه إلى أحسن حالٍ، وماتَ أَحْسَنَ ميتة في السجود في صلاته، وكان مِن خيار الصحابة.

«والله عليم» يَعلم ما سيكون مِثْل ما يَعلم ما قد كان، وفي ذلك تقريرٌ لما رتَّب مِن تلك المواعيد وأنَّها كائنةٌ لا محالةَ «حكيمٌ» في تصريف عبادِه مِن حالٍ إلى حال على ما تقتضيه حكمتُه تعالى.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرِ هذه الجملة، والمعنى: إنَّكم لا تُترَكون على ما أنتم عليه حتى يَتبيَّن الخُلَّصُ منكم - وهم المجاهدون في سبيل الله الذين لم يتَّخذوا بطانةً مِن دون الله - مِن غَيْرِهم، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ «ولم يتَّخذوا» معطوف على «جَاهدوا» داخلٌ في حيِّز الصلة، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من ضمير «جاهدوا» أي: جاهدوا[٢] غيرَ متخذين وليجةً.

والوَلِيْجة: فَعِيْلَة مِن وَلَج، كالدَّخِيْلةِ من دَخَل، وهي البِطانة[٣]، والمَدْخَل يدخلُ فيه على سبيلِ الاستسرار، شَبَّه النفاقَ به.

---

(١) وهو: أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح القرشي العامري، توفي بعسقلان سنة ستٍّ أو سبع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وخمسين. الاستيعاب لابن عبد البرّ الترجمة (١٤٨٦)، والإصابة ٦/ ١٠٠-١٠٢، وسلف الكلام عنه في تفسير سورة الأنعام، عند تفسير الآية (٩٣).

(٢) من قوله: داخل في حيِّز... إلى هنا ليست في المطبوع.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٣٧، وللفراء ١/ ٤٢٦، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣١-١٣٢.

وقال قتادة: الوَلِيْجة: الخِيانة، وقال الضَّحَّاك: الخديعة[١]، وقال عطاء: الأَوِدَّاء[٢]. وقال الحسنُ: الكفر والنفاق. وقال أبو عبيدة: كلُّ شيء أَدْخَلْته في شيء وليس منه فهو وَلِيجة، والرَّجُلُ يكون في القوم وليس منهم وَلِيجَة[٣]، يكون للواحد والاثنين والجمع بلفظٍ واحد، ووليْجَة الرَّجُل: مَن يختصُّ بدَخِيلة أمْرِهِ من الناسِ، وجَمْعها: ولائجُ وَوُلُجُ، كصَحِيْفة وصَحَائف وصُحُفٍ.

وقال عبادة بنُ صفوان الغنويُّ:

وَلائِجهم في كلِّ مَبْدًى ومَحْضَرٍ إلى كلِّ مَن يُرجَى ومَن يُتخوَّفُ[٤]

وفي هذه الآية طعنٌ على المنافقين الذين اتَّخذوا الوَلائجَ لاسيَّما عند فَرْض القتال، والمعنى لا بُدَّ مِن اختباركم أيُّها المؤمنون، كقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] ولمَّا كان الرجل قد يُجاهِدُ وهو منافقٌ نَفَى هذا الوصفَ عنه، فبيَّن أنَّه لا بُدَّ للجهاد مِن الإخلاص خالياً عن النِّفاق والرِّياء والتَّودُّد إلى الكفَّار.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ قرأ الجمهور بالتاء على الخطاب مناسَبة لقوله: «أم حسبتم»، وقرأ الحسنُ ويعقوب في رواية رُويس وسَلَّامٌ بالياء على الغَيبة التفاتاً[٥].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ قرأ ابنُ السَّميفع: «أنْ يُعْمِروا» بضمِّ الياء وكسر الميم[٦]، أي: يُعينوا على عمارته.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٣، والبغوي ٢/ ٢٧٣.
(٢) المصدرين السابقين، وفيهما: أولياء.
(٣) تفسير الثعلبي ٢/ ١٧٣، وينظر تفسير البغوي ٣/ ٢٧٣، والقرطبي ١٠/ ١٣١-١٣٢، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٥٤، وقول الحسن أخرجه الطبري ١١/ ٣٧٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٤، وأورده أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٢٩.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٥، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٤، وأوردها أيضاً النيسابوري في غرائب القرآن ١٠/ ٣٦ ونسبها لعباس، وينظر القراءات الشاذة ص٥١-٥٢ حيث نسبها لعلي بن أبي طالب ولعباس عن أبي عمرو، لكن وقعت في مطبوعه هكذا: «تعملون» فلعلَّها خطأ مطبعي، لأنَّ قراءةَ التاء قراءةُ الجمهور.
(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٣.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرو والجَحْدريُّ: «مسجدَ اللهِ» بالإفراد، وباقي السبعة ومجاهد وقتادة وأبو جعفر والأعرج وشيبة بالجمع[١].

ومناسبة هذه الآية لمَا قَبْلها أنَّه تعالى لمَّا ذَكَر البراءةَ مِن المشركين وأنواعاً مِن قبائحهم تُوجب البراءَةَ منهم، ذَكَروا أنَّهم موصوفون بصفاتٍ حميدَة تُوجِب انتفاءَ البَراءة؛ منها كونهم عامري المسجدِ الحرام[٢]، رُويَ أنَّه أقبلَ المهاجرون والأنصار على أسارى بَدْرٍ يُعيِّرونهم بالشِّرْك، وطَفِقَ عليٌّ يُوبِّخ العباسَ بقتالِ[٣] الرسولِ وقَطِيعةِ الرَّحم، وأغلظ له في القول، فقال العباسُ: تُظهِرون مساوينا وتَكتمون محاسننا؟ فقال: أوَلَكم محاسن؟ قالوا: نَعَم، ونحنُ أفضل منكم أجراً؛ إنَّا لنَعْمُرُ المسجدَ الحرام، ونَحجُب[٤] الكعبة، ونَسقي الحجيجَ، ونَفُكُّ العانِي[٥]. فأنزل اللهُ هذه الآية ردًّا عليهم[٦].

ومعنى «ما كانَ للمشركين» أي: بالحقِّ الواجب، وإلَّا فقد عَمَروه قديماً وحديثاً على سبيل التغلُّب. وقال الزمخشريُّ: أي: ما صحَّ وما استقام[٧]. انتهى.

وعِمارته دخولُه والقعودُ فيه والمكْثُ، مِن قولهم: فلانٌ يَعمُر المسجدَ، أي: يُكثِر غشيانه، أو رَفْعُ بنائِه وإصلاحُ ما تهدَّم منه، أو التعبُّد فيه والطوافُ به والصلاةُ، ثلاثة أقوال.

ومَن قرأ بالإفراد؛ فيَحتمل أن يُراد به المسجدُ الحرام؛ كقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩] أو الجِنسُ فيَدخل تحته المسجدُ الحرام، إذ هو صَدْرُ ذلك

(١) ينظر السبعة ص٣١٣، والتيسير ص١١٨، والنشر ٢/ ٢٧٨، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٦، وللنحاس ٣/ ١٩١، ومجمع البيان ٣/ ٢٨.
(٢) ينظر تفسير الرازي ١٦/ ٦-٧.
(٣) تصحفت في النسخ عدا (ح) و(ع) إلى: فقال. والمثبت منهما ومن مطبوع الكشاف ٢/ ١٧٩ ومخطوطه الورقة (١٩٣)، والكلام منه.
(٤) حِجَابة الكعبة: سِدَانتُها وتولِّي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفتاحها. النهاية (حجب).
(٥) العاني: الأسِيْر. وكلُّ من ذَلَّ واستكان وخَضَع فقد عَنَا يعنو، وهو عانٍ، والمرأة عانية، وجمعها: عوانٍ. النهاية (عون).
(٦) الكشاف ٢/ ١٧٩، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٤٠.
(٧) المصدر السابق ٢/ ١٧٨.

الجنسِ ومقدِّمته، ومَن قرأ بالجَمْع فيَحتمل أن يُراد به المسجد الحرام، وأُطلق عليه الجَمْع؛ إمَّا باعتبار أنَّ كلَّ مكان منه مسجد، وإمَّا لأنَّه قِبْلَةُ المساجد كلِّها وإمامها، فكأنَّ عامِرَه عامرُ المساجد، ويَحتمل أن يُراد الجمعُ فيَدخل تحته المسجدُ الحرام، وهو آكَدُ؛ لأنَّ طريقتَه طريقةُ الكِناية، كما لو قلتَ: فلانٌ لا يَقْرَأ كُتُبَ اللهِ، كنتَ أنْفَى لقراءةِ القرآن مِن تصريحك بذلك[١].

وانتصبَ «شاهدين» على الحال، والمعنى: ما استقامَ لهم أن يَجمعوا بين أَمْرَين متنافِيين؛ عمارة متعبَّدات اللهِ تعالى مع الكفر به وبعبادته.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «شاهدون»[٢] على إضمار: فهم شاهدون.

وشهادَتُهم على أنفسِهم بالكفر قولُهم في الطَّواف: لبيكَ لبيكَ لا شريكَ لَكَ إلَّا شريكاً هو لكَ تَمْلِكه وما مَلَك. أو قولهم إذا سُئِلوا عن دينهم: نَعبُد اللاتَ والعُزَّى. أو تكذيبُهم الرَّسول، أو قولُ المُشْرِك: أَنَا مُشْرِك. كما يقول اليهوديُّ هو يهودي، والنصرانيُّ هو نصرانيّ، والمجوسيُّ هو مجوسيّ، والصابئُ هو صابئ، أو ظهورُ أفعالِ الكفرةِ من نَصْبِ أصنامهم وطوافهم بالبيت عُرَاة، وغير ذلك، أقوالٌ خمسة[٣]، هذا إذا حمل «على أنفسهم» على ظاهره.

وقيل: معناه شاهدين على رسولهم، وأطلق عليه «أنفسهم»؛ لأنَّه ما مِن بطنٍ مِن بطون العرب إلَّا وله فيهم وِلادة، ويُؤيِّد هذا القولَ قراءةُ مَن قرأ: «على أَنْفَسِهم» بفتح الفاء[٤]، أي: أَشْرَفِهم وأجلِّهم قَدْراً.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٨-١٧٩، وما بعده منه أيضاً.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، ونقلها عنه السمينُ في الدر المصون ٦/ ٣٠، وابنُ عادل في اللباب ١٠/ ٤٤.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٤-١٧٥، والنكت والعيون ٢/ ٣٤٦-٣٤٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٣-١٣٤، وتفسير الطبري ١١/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٤) قال الرازي في التفسير ١٦/ ٨: لو قرأ أحدٌ من السلف: «شاهدين على أنفسهم بالكفر» من قولك: زيد نفيس وعمرو أنفس منه، لصحَّ هذا الوجه من عدول فيه عن الظاهر. اهـ. ولم نقف على القراءة عند غيره، ونقلها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ٣٠، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٤٤، ووقع عند الأخير: بضم الفاء. ولعلَّه خطأ مطبعي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ التي هي العِمارة والحِجابة والسِّقاية وفَكُّ العُناة وغيرُها ممَّا ذُكر أنَّه مِن المآثر[1] الحميدة.

قال الزمخشريُّ: وإذا هَدَمَ الكفرُ أو الكبيرةُ الأعمالَ الثابتة الصحيحة إذا تعقَّبها، فما ظَنُّك بالمقارِن، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله: «شاهِدِين» حيث جَعَله حالاً عنهم، ودلَّ على أنَّهم قارنون بين العِمارة والشَّهادة بالكفر على أنفسهم في حالٍ واحدة، وذلك محالٌ غيرُ مستقيم[2]. انتهى.

وقوله: أو الكبيرة، دسيسةُ اعتزال؛ لأنَّ الكبيرة عندهم مِن المعاصي تُحبِط الأعمال.

﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾ ذكر مآلَ المشركين وهو النَّار خالدين فيها.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «خالدين» بالياء[3] نصباً على الحالِ، و«في النار» هو الخبر، كما تقول: في الدار زيدٌ قاعداً.

وقال الواحديُّ: دلَّت الآيةُ على أنَّ الكفارَ ممنوعون مِن عمارة مسجدِ المسلمين، ولو أوصى لم تُقبَل وصيَّته، ويُمنَع مِن دخول المساجد، فإن دَخَل بغير إذنِ مسلمٍ استحقَّ التعزيرَ، وإن دخل بإذنٍ لم يُعزَّر، والأَولى تعظيمُ المساجد ومَنْعُها منهم، وقد أنزل رسولُ الله ﷺ وَفْدَ ثَقِيْف ـ وهم كفَّار ـ المسجدَ، ورَبَط ثُمَامَةَ بنَ أُثَال الحنفيَّ في ساريةٍ مِن سَوَاري المسجد وهو كافر[4].

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ قرأ الجحدريُّ

---

(١) في (أ) و(ح) و(د١) و(ع) والمطبوع: الأعمال.
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٩.
(٣) لم نقف عليها عند غيره، ونقلها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ٣١، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٤٥.
(٤) تفسير الرازي ١٦/ ٧-٨، وينظر الوسيط للواحدي ٢/ ٤٨٢، وخبر وَفْد ثقيف عند أبي داود (٣٠٢٦) من حديث عثمان بن أبي العاص، وإسناده فيه مقال. وينظر طبقات ابن سعد ١/ ٣١٢-٣١٣، وزاد المعاد ٣/ ٦٠٠-٦٠٢، وخبر ثُمامة عند البخاري (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤)، وأحمد (٩٨٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وحمَّاد بنُ سَلَمة عن ابنِ كثير: «مسجدَ الله» بالتوحيد، وقرأ السبعة وجماعة بالجمع[١]، والمعنى: إنَّما يَعمرها بالحقِّ والواجب. ويَستقيم ذلك فيمَن اتَّصَف بهذه الأوصاف، وفي ضمن هذا الخبر أَمْرُ المؤمنين بعمارة المساجد وتتناول عمارتها رَمُّ ما تهدَّم منها وتنظيفُها وتنويرها وتعظيمها، واعتيادُها للعبادة والذِّكْر، ومِن الذِّكْر درسُ العِلْم، بل هو أجلُّه، وصَونها عمَّا لم تُبْنَ له مِن الخَوضِ في أحوال الدنيا، وفي الحديث: «إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المسجدَ فاشْهَدُوا له بالإيمان»[٢].

ولم يُذكَر الإيمانُ بالرسول؛ لأنَّ الإيمانَ باليوم الآخر إنَّما هو مُتلقَّف مِن أخبارِ الرسولِ فتضمَّن الإيمانَ بالرسول، أو لم يُذكَر لِمَا عُلمَ وشُهِرَ مِن أنَّ الإيمانَ بالله تعالى قرينتُه الإيمان بالرسول؛ لاشتمالِ كلمة الشهادة والأذانِ والإقامة وغيرِها عليهما مقترنَيْن مزدوجَيْن، كأنَّهما شيءٌ واحد، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه، فانطوى تحت ذِكْر الإيمانِ بالله تعالى الإيمانُ بالرسول ﷺ.

وقيل: دلَّ عليه بذِكْر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، إذ لا يُتلقَّى ذلك إلَّا منه.

والمقصود مِن بناء المساجد وعمارتِها هو كونها مُجتَمعاً لإقامة الصلوات فيها والتعبُّدات مِن الذِّكْر والاعتكاف وغيرهما، وناسَبَ ذِكْرُ إيتاء الزكاة[٣] مع عمارة المساجد؛ أنَّها لمَّا كانت مَجمعاً للناس بانَ فيها أَمْرُ الغنيِّ والفقير، وعُرفت أحوالُ مَن يؤدِّي الزكاة ومَن يَستحقُّها.

---

(١) السبعة ص٣١٣ ـ وفيه تخريج قراءة حمَّاد بن سلمة عن ابن كثير ـ والتيسير ص١١٨، والقراءة فيهما عن ابن كثير وأبي عمرو، وزاد في النشر ٢/ ٢٧٨ يعقوبَ، وقراءة الجحدري عند الثعلبي في التفسير ٣/ ١٧٥، ومع الإشارة إلى أنه وقع في النسخ عدا (يه): وحماد بن أبي سلمة. والمثبت من (يه) ومصادر التخريج.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٧) و(٣٠٩٣) ـ وقال عنه: حديث حسن غريب ـ وابن ماجه (٨٠٢)، وأحمد (١١٦٥١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفي إسناده: درَّاج بن سمعان، قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري ضَعْف.

(٣) في (ز١): الصلاة.

«ولم يَخْشَ إلَّا الله» قال ابنُ عطيَّة: يريد خشيةَ التعظيم والعبادة والطَّاعة، ولا محالةَ أنَّ الإنسانَ يَخشى غيرَه ويَخشى المحاذير الدنياويَّة، وينبغي أن يَخشى في ذلك كلِّه قضاءَ الله وتَصْريفه[1].

وقال الزمخشريُّ: هي الخشية والتقوى في أبواب الدِّين[2]، وأنْ لا يَختار على رضى اللهِ رِضى غيرِه، وإذا اعتَرَضه أمْرانِ أحدهما حقُّ الله تعالى والآخر حقُّ نفسِه، خافَ اللهَ وآثَرَ حقَّ اللهِ على حقِّ نفسه، وقيل: كانوا يَخْشَون الأصنام ويَرجونها، فأُريد نفيُ تلك الخشية عنهم[3]. انتهى.

و«عَسَى» مِن الله تعالى واجبةٌ حيثما وقعت في القرآن، وفي ذلك قَطْعُ أطماعِ المشركين أن يكونوا مهتدينَ، إذ مَن جَمَع هذه الخصالَ الأربعة جعل حاله حالَ مَن تُرجى له الهداية، فكيف بمَن هو عارٍ منها، وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء ورَفْضُ الاغترار بالأعمال الصالحة، فربَّما دَخَلها بعضُ المفسدات وصاحِبُها لا يَشعر بها.

قال تعالى: «أن يكونوا مِن المهتدين» أي: مِن الله سَبَقت لهم الهداية، ولم يأتِ التركيبُ: أن يكونوا مهتدين، بل جُعلوا بعضاً مِن المهتدين، وكونهم منهم أقلُّ في التعظيم مِن أن يُجرّد لهم الحُكم بالهداية.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ في «صحيح مسلم» مِن حديث النُّعمان بنِ بَشِير، قال: كنتُ عند مِنْبَرِ رسولِ الله ﷺ، فقال رجلٌ: ما أُبالي أنْ لا أعمل عملاً بَعْدَ أن أسقيَ الحاجّ. وقال الآخَر: ما أُبالي أنْ لا أعمل عملاً بَعْدَ أنْ أَعْمُرَ المسجدَ الحرام. وقال آخَر: الجهاد في سبيل الله أفضلُ ممَّا قلتم. فزَجَرَهم عُمَرُ، وقال: لا تَرفعوا أصواتكم عند منبرِ رسولِ الله ﷺ - وهو يوم

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٦.
(٢) في المطبوع: الدنيا.
(٣) الكشاف ٢/ ١٨٠.

الجمعة ـ ولكنِّي إذا صليتُ الجمعة دخلتُ فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ فيما اختلفتم فيه. فنزلت هذه الآية[١].

وذَكَر ابنُ عطيَّة وغيره[٢] أقوالاً أُخَر في سبب النزول كلُّها تدلُّ على الافتخار بالسِّقاية والعمارة.

وقرأ الجمهور: «سِقاية» و«عِمارة» وهما مصدران نحو: الصِّيانة والوِقاية، وقُوبلا بالذوات فاحتِيج إلى حذفٍ من الأوَّل، أي: أهلَ سقاية، أو حذفٍ مِن الثاني، أي: كعَمَل مَن آمَنَ، وقرأ ابنُ الزبير والباقر وأبو وَجْزَة[٣]: «سُقَاةَ الحَاجِّ وعَمَرَةَ المسجدِ» جَمْع: سَاقٍ، وجمع: عامر، ك: رَامٍ ورُماة، وصَانع وصَنَعَة.

وقرأ ابنُ جبير كذلك إلا أنه نصبَ «المسجدَ» على إرادة التنوين في «عَمَرة»[٤].

وقرأ الضَّحَّاك: «سُقَايَة» بضمِّ السين «وعَمَرَةً»[٥] بَنَى الجَمْعَ على فُعَال، ك: رخل ورُخال، وظِئْر وظُؤَار[٦]، وكان المناسب أن يكون بغير هاء، لكنَّه أدخل الهاء، كما دخلت في: حجارة.

وكانت السِّقاية في بني هاشم وكان العبَّاس يتولَّاها، ولمَّا نزلت هذه الآية قال العبَّاس: ما أراني إلَّا أتْرُك السِّقاية. فقال النبيُّ ﷺ: «أقيموا عليها فهي

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٥، والخبر عند مسلم (١٨٧٩)، وأحمد (١٨٣٦٧)، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٤٠-٢٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ١٦.

(٢) في (ب): وذكر ابن عباس وابن عطية وغيره. وفي (د١) والمطبوع: وذكر ابن عطية وقوله. والمثبت من باقي النسخ، وينظر قولُ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٦-١٧، وتنظر المصادر السالفة الذكر، والآثارُ الواردة في ذلك عند الطبري ١١/ ٣٧٧-٣٨١.

(٣) في (أ): وأبو وجرة، وفي المطبوع: وأبو حيوة. والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٢، والمحتسب ١/ ٢٨٥ وزاد الأخيرُ أبا جعفر ـ وهو من العشرة ـ وقراءته في النشر ٢/ ٢٧٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٦، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٣٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥١ هكذا: «وعمارةَ المسجدَ الحرام» بالنصب، سعيد بن جبير.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٦، وزاد نسبتها لأبي وجزة وأبي جعفر، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٨٥ مقتصراً في نسبتها إلى الضحاك، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٣٦.

(٦) الرِّخْل والرِّخِل: الأنثى من أولاد الضأن، والذَّكر: حَمَل، والجمع: أَرْخُل ورِخال ورُخال. والظِّئْر: العاطفةُ على غير ولدها المرضعةُ له من الناس والإبل، الذَّكر والأنثى في ذلك سواء، والجمع: أَظْؤُر، وأَظْآر، وظُؤُور، وظُؤَار، وظُؤْرة. اللسان (رخل) و(ظأر).

لكم خَيْر»[١].

و«عمارة المسجد» هي السِّدَانَة، وكانت في بني عَبْد الدَّار، وشيبة وعثمان ابْنَا طلحة هما اللَّذان دَفَع إليهما رسولُ الله ﷺ مفتاحَ الكعبة في ثاني يوم الفَتْح بَعْدَ أنْ طَلَبه العبَّاسُ وعليٌّ، وقال ﷺ لعثمان وشيبة: «خُذُوها خالدةً تالدةً لا يُنازِعكما عليها إلَّا ظالِم»[٢]، يعني السِّدانة.

ومعنى الآية: إنكارُ أن يُشبَّه المشركون بالمؤمنين، وأعمالُهم المُحبَطة بأعمالهم المُثبَتة، ولمَّا نَفَى المساواة بينهما أَوْضَحَ بقوله: «والله لا يهدي القوم الظالمين» مَن الراجِح منهما، وأنَّ الكافرينَ بالله هم الظالمون، ظَلَموا أنفسَهم بتَرْك الإيمان بالله وبما جاء به الرسولُ، وظَلَموا المسجدَ الحرامَ، إذ جَعَله اللهُ متعبَّداً له، فجَعلوه متعبَّداً لأوثانهم، وذَكَر في المؤمنين إثباتَ الهداية لهم بقوله: «فعسى أولئك أن يكونوا مِن المهتدين»، وفي المشركين هنا نَفَى الهدايةَ بقوله: «واللهُ لا يهدي القوم الظالمين».

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ زادت هذه الآيةُ وضوحاً في التَّرجيح للمؤمنين المتَّصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرِين بالسِّقاية والعِمارة، فطهَّروا أنفسَهم مِن دَنَس الشِّرْك بالإيمان، وطَهَّروا أبدانَهم بالهجرة إلى موطن الرَّسول وتَرْكِ ديارِهم التي نَشَؤوا عليها، ثم بالغوا في الجهاد في سبيل الله بالمال والنَّفْس المعرَّضَيْن بالجهاد للتَّلَف، فهذه الخصال أعظمُ درجاتِ البشرية.

و«أعظمُ» هنا يَسوغ أن تَبقى على بابها مِن التفضيل، ويكون ذلك على تقدير اعتقادِ المشركين بأنَّ في سقايتهم وعِمارتهم فضيلةً، فخُوطبوا على اعتقادهم، أو يكون التقدير: أعظم درجةً مِن الذين آمنوا ولم يُهاجروا ولم يُجاهدوا.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٦، ولم نقف عليه مسنداً.

(٢) المصدر السابق، والخبر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٢٣٤)، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٤٥٥، من حديث ابن عباس ﵄، وفي إسناده: عبد الله بن المؤمل، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: ضعيف. وأخرجه أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص١٥١ عن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة. وسلف في سورة النساء عند تفسير الآية (٥٨).

وقيل: «أعظم» ليست على بابها، بل هي، كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] وقولِ حسَّان:

فَشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ[١]

وكأنَّه قيل: عظيمونَ درجةً، و«عند الله» بالمكانة لا بالمكان، كقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قال أبو عبد الله الرازيُّ: الأرواح المقدَّسة البَشَريَّة إذا تطهَّرت عن دَنَس الأوصاف البَدَنيَّة والقاذوراتِ الجسدانيَّة، أشْرَقَت بأنوار الجلال وتجلَّى فيها أضواءُ عالَم الجمال، وتَرقَّت مِن العَبْديَّة إلى العِنْديَّة، بل كأنَّه لا كمالَ في العبديَّة إلَّا مشاهدة الحقيقة العِنْديَّة، ولذلك قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[٢] [الإسراء: ١]. انتهى. وهو شَبيه بكلام الصوفيَّة.

ثمَّ ذَكَر تعالى أنَّ مَن اتَّصف بهذه الأوصاف هو الفائزُ الظافر بأمنيته، النَّاجي مِن النار.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال ابنُ عباس: هي في المهاجرين خاصَّة[٣]. انتهى.

وأسندَ التبشير إلى قوله: «ربّهم»، لمَا في ذلك مِن الإحسان إليهم، بأنَّ مالكَ أمْرِهم والناظرَ في مصالحهم هو الذي يُبشِّرهم، فدلَّ ذلك على تحقُّق عبوديتهم لربِّهم.

ولمَّا كانت الأوصافُ التي تَحلَّوا بها وصاروا بها عبيدَه حقيقةً هي ثلاثةٌ؛ الإيمان والهِجْرة والجهاد بالمال والنَّفْس، قُوبلوا في التبشير بثلاثة؛ الرَّحمة والرّضوان والجنَّات، فبَدَأ بالرحمة؛ لأنَّها الوصف الأعمُّ الناشئُ عنها تيسيرُ الإيمان لهم، وثَنَّى بالرّضوان، لأنَّه الغايةُ مِن إحسان الرَّبِّ لعبده، وهو مقابِل الجهاد، إذ هو بَذْل النَّفْس والمال، وقدّم على الجنات؛ لأنَّ رِضَا الله عن

(١) وصدره: أتهجوه ولست له بكُفْءٍ، والبيت في شرح ديوان حسان ص٦٤، وسلف عند تفسير الآية (١٤٠) من سورة البقرة.

(٢) تفسير الرازي ١٦/ ١٤.

(٣) الكشاف ٢/ ١٨٠، والخبر أورده أيضاً الثعلبي في التفسير ٣/ ١٧٧.

العبد أفضلُ مِن إسكانهم الجنَّة، وفي الحديث الصحيح: «إنَّ الله تعالى يقول: يا أهلَ الجنَّة، هل رَضِيْتم؟ فيقولون: يا ربّنا، كيف لا نَرْضى وقد بَاعَدْتنا عن نارِك، وأَدْخلتنا جنَّتك؟ فيقول: لكم عندي أفضلُ مِن ذلك. فيقولون: وما أفضل مِن ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضائي فلا أَسْخَطُ عليكم بَعْدَها»[١].

وأتى ثالثاً بقوله: «وجنَّات لهم فيها نعيمٌ مقيم» أي: دائمٌ لا يَنقطع، وهذا مقابلٌ لقوله: «وهاجروا» لأنَّهم تركوا أوطانَهم التي نشؤوا فيها، وكانوا فيها منعَّمين، فآثَرُوا الهجرةَ عن دار الكفر إلى مستقرِّ الإيمان والرسالة، فقُوبلوا على ذلك بالجنَّات ذواتِ النعيم الدائم، فجاء الترتيب في أوصافهم على حَسَب الواقع؛ الإيمان ثمَّ الهجرة ثم الجهاد، وجاء الترتيب في المقابل على حَسَب الأعمِّ ثم الأشرف ثم التكميل.

قال التبريزيُّ: ونكَّر الرحمة والرضوان؛ للتفخيم والتعظيم، أي: «برحمة» أي: رحمةٍ لا يَبلغها وصفُ واصف.

وقرأ الأعمش وطلحة بنُ مصرِّف وحميد بنُ هلال: «يَبْشُرهم» بفتح الياء وضمِّ الشين خفيفة[٢].

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: «ورُضْوان» بضمِّ الراء، وتقدَّم ذِكْر ذلك في أوائل «آلِ عمران»[٣].

وقرأ الأعمش: بضمِّ الراء والضاد معاً، قال أبو حاتم: لا يجوز هذا[٤]. انتهى. وينبغي أن يجوز، فقد قالت العربُ: سُلُطان، بضمِّ اللام، وأورده التصريفيون في أبنية الأسماء.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأحمد (١١٨٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه عندهم: «... وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك، فيقول...»، وفيه أيضاً: «أُحِلُّ عليكم رضواني...». وسلف.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٧، والقراءة قرأ بها أيضاً حمزة، وقراءته في السبعة ص٢٠٥، والتيسير ص٨٧، والنشر ٢/ ٢٣٩.

(٣) عند تفسير الآية (١٥).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٧، ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه الدر المصون ٦/ ٣٢-٣٣، واللباب ١٠/ ٥٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ كان قَبْلَ فتحِ مكة مَن آمَنَ لم يَتمّ إيمانُه إلَّا بأنْ يُهاجِر ويُصارِم أقاربَه الكَفَرةَ ويَقطع موالاتهم، فقالوا: يا رسول الله، إنْ نحن اعتزلنا مَن يُخالفنا في الدِّين، قَطَعْنا آباءَنا وأبناءَنا وعشائرَنا، وذهبت تجارتُنا وهَلَكت أموالنا وخربت ديارُنا وبَقِيْنا ضائعِين. فنزلت، فهاجروا، فجَعل الرجلُ يأتيه ابنُه أو أبوه أو أخوه أو بعضُ أقاربه فلا يَلتفت إليه ولا يُنزِلُهُ ولا يُنفِق عليه، ثم رُخِّص لهم بعد ذلك[1]. فعلى هذا الخطابُ للمؤمنين الذين كانوا في مكَّة وغيرِها مِن بلاد العَرَب خوطبوا أنْ لا يُوالوا الآباءَ والإخوة، فيكونوا لهم تَبَعاً في سكنى بلاد الكفر.

وقيل: نزلت في التسعة الذين ارتدُّوا ولَحقوا بمكَّة، فنهى اللهُ المؤمنين عن موالاتِهم، وذَكَرَ الآباءَ والإخوان؛ لأنَّهم أهلُ الرَّأْي والمَشوَرة، ولم يَذكُر الأبناء؛ لأنَّهم في الغالب تَبَع لآبائهم[2].

وقرأ عيسى بن عمر: «أنِ اسْتَحَبُّوا» بفتح الهمزة[3]؛ جَعَله تعليلاً، وغيرُه: بكسر الهمزة، جَعَله شرطاً، ومعنى: «استحبُّوا» آثَرُوا وفضَّلوا، اسْتَفْعَل من المحبَّة، أي: طلبوا محبَّة الكفر، وقيل: بمعنى: أحبَّ، وضَمّن معنى اختار وَآثَرَ، ولذلك عُدِّيَ بـ «على»، ولمَّا نهاهم عن اتِّخاذهم أولياءَ أخبر أنَّ مَن تولَّاهم فهو ظالمٌ، فقال ابنُ عباس: هو مُشرِكٌ مِثْلهم؛ لأنَّ مَن رضيَ بالشِّرْك فهو مُشْرِك. قال مجاهد: وهذا كلُّه كان قَبْلَ فتحِ مكَّةَ. وقال ابنُ عطيَّة: وهذا ظُلْم المعصية لا ظُلْم الكفر[4].

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ

(١) الكشاف ٢/ ١٨٠ وعزاه لابن عباس، وأورده أيضاً الثعلبي في التفسير ٣/ ١٧٧ عن طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس بنحوه، وينظر تفسير الآلوسي ١٠/ ٢٦٧، وينظر خبر الكلبيّ في أسباب النزول للواحدي ص٢٤٢.

(٢) الكلام الأول من الكشاف ٣/ ١٨٠، والكلام الثاني من المحرر الوجيز ٣/ ١٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٧، وينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٠.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٨، وقول ابن عباس عند القرطبي ١٠/ ١٤٠، وقول مجاهد في المحرر الوجيز ٣/ ١٧، وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٧، والطبري ١١/ ٣٨٤.

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ هذه الآية تقتضي الحضَّ على الهِجْرة، وذَكَر الأبناءَ؛ لأنَّه ذَكَر المحبَّة وهُم أعلقُ بالنَّفْس، بخلاف الآية قَبْلها فلم يُذكَروا؛ لأنَّ المقصودَ منها الرأيُ والمَشوَرة، وقدَّم الآباءَ؛ لأنَّهم الذين يَجِبُ بِرُّهم وإكرامهم وحبُّهم، وثنَّى بالأبناء؛ لكونهم أعلق بالقلوب.

ولمَّا ذَكَر الأصلَ والفَرْع ذَكَر الحاشية وهي الإخوان، ثم ذَكَر الأزواجَ وهنَّ في المحبَّة والإيثار كالأبْناء، ثم الأبْعد بَعْد الأقرب في القرابة، فقال: «وعشيرتكم»، وقرأ الجمهور بغير ألف، وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن بألفٍ على الجمع[١]، وزعم الأخفش أنَّ العربَ تَجمع عَشيرةً على عشائر، ولا تكاد تقول: عَشِيرَات بالجمع بالألف والتاء[٢].

ثمَّ ذَكَر «وأموال اقترفتموها» أي: اكتسبتموها؛ لأنَّ الأموالَ يُعادِلُ حبُّها حبَّ القَرَابة، بل حبُّها أشدُّ، وكانت الأموال في ذلك الوقت عزيزةً، وأكثر الناسِ كانوا فقراء.

ثمَّ ذَكَر «وتجارة تَخْشَون كسادها» والتجارة لا تتهيَّأ إلَّا بالأموال، وجعل تعالى التجارة سبباً لزيادة الأموال ونمائها، وتفسيرُ ابنِ المبارك بأنَّ ذلك إشارة إلى البنات اللواتي لا يتزوَّجْنَ لِقلَّة خُطَّابِهنَّ[٣]، تفسيرٌ غريبٌ يَنبُو عنه اللفظ، وقال الشاعر:

كَسَدْنَ مِن الفَقْرِ في قَومِهنَّ وقد زَادهنَّ مُقامي كُسُودا[٤]

ثم ذكر: «ومساكن ترضونها» وهي: القُصور والدُّور، ومعنى «تَرْضونها» تختارون الإقامةَ بها، وهذه الدَّواعي الأربعة سَبَبٌ لمخالطة الكفَّار؛ حبُّ الأقارب

---

(١) يعني: «وعشيراتكم»، والقراءة في السبعة ص٣١٣، والتيسير ص١١٨، والنشر ٢/ ٢٧٨.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٨، وزاد المسير ٣/ ٤١٢-٤١٣، والمصباح المنير (عشر).
(٣) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٨، ونقله عنه القرطبي ١٠/ ١٤١، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٣٤٩ دون عزوٍ.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٨، والقرطبي ١٠/ ١٤١، والبيت أورده التبريزي في شرح ديوان أبي تمام ١/ ٢٥٤، وقال: ويُنشَد في هذا المعنى بيت ولم أجده منسوباً إلى نُصيب، ويجوز أن يكون لغيره، . . . وذكر البيت، ونُقلت عن التبريزي في مجموعِ شعر نصيب ص٨٦، وروايته عندهما: بيتهنّ، بدل: قومهنّ، و: سوادي، بدل: مُقامي.

والأموال والتجارة والمساكن، فذَكَر تعالى أنَّ مراعاة الدِّيْن خيرٌ مِن مراعاة هذه الأمور، وفي الكلام حذفٌ، أي: أحبّ إليكم مِن امتثال أَمْرِ الله تعالى ورسوله في الهجرة مِن دار الكفر إلى دار الإسلام؟!

والقُرَّاءُ على نَصْبِ «أحبّ» على أنَّه خبر «كان»، وكان الحَجَّاج بنُ يوسف يَقرأ: «أحبُّ» بالرَّفْع، ولحَّنَه يحيى بنُ يَعْمَر فنفَاهُ، وتلحِيْنه إيَّاه ليسَ مِن جهة العربيَّة، وإنَّما هو لمخالفة إجماع القُرَّاء النَّقَلَةِ، وإلَّا فهو جائز في علم العربية على أن يُضمر في «كان» ضمير الشَّأن[1]، ويلتزم ما بعدها بالابتداء والخبر، وتكون الجملة في موضع نصب على أنَّها خبر «كان».

وتضمَّن الأَمْرُ بالتربُّص التهديدَ والوعيد «حتى يأتي الله بأمره»، قال ابنُ عباس ومجاهد: الإشارة إلى فَتْح مكَّة. وقال الحسن: الإشارة إلى عذاب أو عقوبةٍ مِن الله[2].

و«الفاسقين» عمومٌ يُراد به الخصوص فيمَن يوافي على فِسْقه، أو عمومٌ مُطلَق على أنَّه لا هداية مِن حيث الفسقُ، وفي «التحرير»: الفِسْق هنا الكفرُ، ويدلُّ عليه ما قابَلَه مِن الهداية، والكفرُ ضلال، والضلال ضِدُّ الهداية وإن كان ذلك في المؤمنين الذين لم يُهاجروا، فيكون الفِسْق الخروج عن الطاعة، فإنَّهم لم يَمتثلوا أَمْرَ الله ولا أَمْرَ رسوله في الهجرة.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ لـمَّـا تقدَّم قوله: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم» واسْتَطْرَدَ بعد

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٨بنحوه، وفيه أنَّ الحجَّاج سأل ابنَ يعمر: هل تسمعني أَلْحَنُ؟ قال: نعم، في هذا الحرف، وذكر له رَفْعَ «أحبّ» فنفاه. اهـ. مع الإشارة إلى أنه تحرفت في مطبوع المحرر لفظة: ألحن، إلى: الجن؟! والخبر أخرجه ابن سلَّام الجُمَحي في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣، وذكره أبو طاهر المقرئ في أخبار النحويين في مقدمة كتابه، وفيهما أنه نفاه إلى خراسان.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٨، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٤٩، والكشاف ٣/ ١٨١، وزاد المسير ٣/ ٤١٣، والقرطبي ١٠/ ١٤٢، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١١/ ٣٨٥.

ذلك بما استطرد، ذكَّرهم تعالى نَصْرَه إيَّاهم في مواطنَ كثيرة، والمَوَاطن: مقاماتُ الحرب ومواقفها، وقيل: مشاهد الحرب تُوطِّنون أنفسَكم فيها على لقاء العدوِّ، وهي جمع: مَوْطِن، بكسر الطاء، قال:

وكم موطنٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأَجْرَامِهِ مِن قُلَّة النِّيْق مُنْهَوِي[1]

وهذه المواطن وَقعاتُ بدرٍ وقريظة والنَّضِير والحُدَيبية وخيبر وفتح مكة، ووُصفت بالكَثْرة؛ لأنَّ أئمَّة التاريخِ والعلماءَ بالمغازي نَقَلوا أنَّها كانت ثمانينَ موطناً[2].

و«حنين»: وادٍ بين مكَّة والطائف قريبٌ مِن ذي المجازَ، وصُرفَ مَذْهُوباً به مذهبَ المكان، ولو ذهب به مذهبَ البُقْعَة لم يُصْرَف كما قال:

نصروا نبيَّهم وشَدُّوا أَزْرَهُ ... بحُنَيْنَ يومَ تَواكُلِ الأبطالِ[3]

وعطف الزمان على المكان، قال الزمخشريُّ: وموطنُ يومِ حنين، أو: في أيامِ مواطنَ كثيرةٍ ويومِ حُنَين[4].

وقال ابنُ عطيَّة: «ويوم» عطف على موضع قولِه: «في مواطن»، أو على لفظه،

(١) الكشاف ٣/ ١٨١، والبيت ليزيد بن الحكم الثقفي، وهو في الكامل ٣/ ١٢٧٧، وعيون الأخبار ٣/ ٨٣، والنِّيق: أرفع موضع في الجبل.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٦-٣٧، وتفسير الآلوسي ١٠/ ٢٧٣، ونُسبَ لعليِّ بن محمد بن علي بن موسى الكاظم، وذكر الواقديُّ في المغازي ١/ ٧، وابنُ سعد في الطبقات ٢/ ٥ وغيرهما أنَّ المغازيَ التي غزاها رسول الله ﷺ بنفسه كانت سبعاً وعشرين غزوةً، وكان ما قاتل فيها تسعاً، وكانت السرايا سبعاً وأربعين سريَّة.
وقال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٢٨١: وأما البعوث والسرايا فَعَدَّ ابنُ إسحاق ستاً وثلاثين، وعَدَّ الواقديُّ ثمانياً وأربعين، وحكى ابنُ الجوزي في التلقيح [يعني: تلقيح فهوم أهل الأثر، وكلامه فيه ص٧٨]: ستاً وخمسين، وعَدَّ المسعوديُّ ستين، وبلغها شيخنا في نظم السيرة زيادة على السبعين، ووقع عند الحاكم في الإكليل أنها تزيد على مئة، فلعلَّه أراد ضمَّ المغازي إليها. انتهى كلامه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٩، والبيت لحسان بن ثابت، وهو في شرح ديوانه ص٣٩٠، وينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٠٨، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٤٩٤-٤٩٥.

(٤) الكشاف ٢/ ١٨١.

بتقدير: وفي يوم، بحذف حرفِ الخفضِ[١]. انتهى.

و«إذ» بدلٌ مِن «يوم»، وأَضاف الإعجاب إلى جميعهم وإن كان صادراً مِن واحدٍ؛ لمَّا رَأى الجمعَ الكثيرَ أَعجبه ذلك، وقال: لن نُغلَب اليوم مِن قِلَّة، والقائل؛ قال ابنُ المسيّب: هو أبو بكر[٢]، أو سَلَمة بنُ سَلَامة بنِ وَقْش[٣]، قاله ابنُ عباس[٤]، أو رجل مِن بني بكر، ونقلَ أنَّ رسولَ الله ﷺ ساءَهُ كلامُ هذا القائل ووُكِلوا إلى كلام الرَّجُل[٥].

والكَثْرة بفتح الكاف، وتُجمَع: كَثَراتٍ، وتَميمٌ تَكسرُ الكافَ وتَجمَعُ على: كِثَرٍ، كسِدْرَة وسِدَر، وكِسْرة وكِسَرٍ.

وهذه الكثرة عن ابنِ عباس: ستَّة عَشَر ألفاً[٦]، وعن النحَّاس: أربعةَ عَشَر ألفاً[٧]، وعن قتادة وابنِ زيد وابنِ إسحاق والواقديِّ: اثنا عشر ألفاً، وعن مقاتل عن ابنِ عباس: أَحَد عَشَر ألفاً وخمس مئة[٨].

والباء في «بما رَحُبت» للحال، و«ما» مصدريَّة، أي: ضاقت بكم الأرض مع

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٩.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤١٤، وينظر الكشاف ٢/ ١٨٢، والخبر أخرجه الواقدي في المغازي ٣/ ٨٩٠، وأخرجه أيضاً البزار (١٨٢٧ ـ كشف) من حديث أنس ﷺ.

(٣) تحرفت في (د١) والمطبوع إلى: قريش.

(٤) في النسخ عدا (ب) و(يه): أو ابن عباس، وفي (ب) و(يه): وابن عباس، والمثبت من زاد المسير ٣/ ٤١٤ ـ والكلام منه ـ ولعلَّه المراد، وعبارته فيه هكذا: قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عَجِبَ لكثرة الناس: لن نُغلب اليوم من قلَّة. . . . وقيل: العباس، وقيل رجل من بني بكر. اهـ. فلعلَّ المشار إليه أعلاه هو ما ذكرناه، أو المراد العباس، والله تعالى أعلم، والخبر أخرجه الواقدي في المغازي ٣/ ٨٩٠ من حديث ابن عباس عن النبيِّ ﷺ مرفوعاً.

(٥) زاد المسير ٣/ ٤١٤، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٨-١٤٩، وتنظر الآثار الواردة في ذلك عند الطبري ١١/ ٣٨٧ وما بعدها.

(٦) زاد المسير ٣/ ٤١٣، والقول أورده أيضاً الثعلبي في التفسير ٣/ ١٨٠ لكن عن عطاء.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، وقال إِثْره: وهذا غلط.

(٨) زاد المسير ٣/ ٤١٤، وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١١/ ٣٩٤، وأخرجه أيضاً ١١/ ٣٨٩-٣٩٠ وعزاه للسدي، وكلام الواقدي في المغازي ٣/ ٨٨٩.

كونها رَحْباً واسعةً؛ لشِدَّة الحال عليهم وصعوبتها، كأنَّهم لا يَجدون مكاناً يَستصلحونه للهَرَب والنَّجاة؛ لفَرْط ما لَحقهم مِن الرُّعْب، فكأنَّها ضاقت عليهم.

والرُّحْبُ: السَّعَةُ، وبفتح الراء: الواسِع، يقال: فلانٌ رُحْبُ الصَّدْر، و: بَلَد رُحْبٌ، وأَرْضٌ رَحْبَةٌ، وقد رَحُبَتْ رُحْباً ورَحَابةً[١].

وقرأ زيد بن عليٍّ: «بما رَحْبَتْ»[٢] في الموضعين بسكون الحاء، وهي لغة تميم؛ يُسكِّنون ضمَّةَ: فَعُل، فيقولون في ظَرُف: ظَرْفَ.

«ثم ولَّيتم مدبرين» أي: ولَّيتم فارِّين على أدباركم منهزمين تاركينَ رسولَ الله ﷺ وأَسندَ التولِّي إلى جميعهم وهو واقع مِن أكثرهم، إذ ثَبَت مع رسولِ الله ﷺ ناسٌ مِن الأبطال على ما يأتي ذِكْره، فنقول:

لمَّا افتَتَح رسولُ الله ﷺ مكَّةَ كان في عَشَرة آلاف مِن أصحابه، وانضافَ إليه ألفان مِن الطُّلَقاء، فصاروا اثني عشر ألفاً إلى ما انضافَ إليهم مِن الأعراب مِن سُلَيم وبني كِلاب وعَبْس وذُبْيَان، وسمع بذلك كفَّارُ العرب فشَقَّ عليهم، فجمَعت له هوازن وأَلْفافها وعليهم مالك بنُ عوف النَّصْري[٣]، وثَقِيف وعليهم عَبْدُ يَالِيْلَ بنُ عمرٍو، وانضاف إليهم أخلاطٌ مِن الناس حتى كانوا ثلاثين ألفاً، فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ بعد استعماله عتَّاب بنَ أُسَيْدٍ على مكَّة، حتى اجتمعوا بحُنين، فلما تصافَّ الناسُ حَمَلَ المشركون مِن مَحَانِي[٤] الوادي ـ وكانوا قد كَمنوا بها ـ فانهزم المسلمون.

قال قتادة: ويُقال: إنَّ الطُّلَقاء مِن أهل مكَّة فَرُّوا وقصدوا إلقاءَ الهزيمة في المسلمين، وبلغ فَلُّهُم[٥] مكَّةَ، وثبت رسولُ الله ﷺ في مَرْكزه على بَغْلة شَهْبَاء

---

(١) الصحاح (رحب)، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٩.
(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الدر المصون ٦/ ٣٦، واللباب ١٠/ ٥٨.
(٣) في المطبوع: النضري. وهو: مالك بن عوف النَّصْري، من بني نصر بن معاوية. الدُّرر لابن عبد البّر ص٢٦٦.
(٤) في (د١) والمطبوع: مجاني. وكذا تصحَّفت في مطبوع المحرر الوجيز ٣/ ١٩، والكلام منه، ومحاني الوادي: معاطفه. النهاية (حنا).
(٥) الفَلُّ: المنهزمون، من فَلَّه: إذا كَسَره. المغرب (فلل).

تُسمَّى دُلْدُل لا يَتَخلْخَل[١]، والعبَّاسُ قد اكْتَنَفَهُ آخِذاً بلجَامها، وابنُ عمه أبو سفيان بنُ الحارث بنِ عبد المطلب وابنُه جعفر، وعليّ بنُ أبي طالب، وربيعة بنُ الحارث، والفَضْل بنُ العبَّاس، وأسامة بنُ زيد، وأَيْمَن بنُ عُبَيْد، وهو أَيْمن ابنُ أمِّ أيْمن، وقُتِلَ بين يدي الرَّسُول ﷺ هؤلاء مِن أهلِ بيته، وثَبَتَ معه أبو بكر وعمر، فكانوا عَشَرةَ رجال، ولهذا قال العبَّاس:

نَصَرْنا رسولَ الله في الحرب تِسْعَةً ... وقد فَرَّ مَن قد فرَّ منهم وأَقْشَعوا

وعاشِرُنا لاقى الحِمَام بنفسِهِ ... بما مسَّهُ في اللهِ لا يَتَوجَّعُ[٢]

وثَبتت أمُّ سُلَيم في جملة مَن ثبت مُمْسِكة بعيراً لأبي طلحة وفي يدها خِنْجَر[٣]، ونَزَلَ ﷺ عن بغلته إلى الأرض واستنصر اللهَ، وأَخَذَ قبضةً مِن تراب وحصًى، فرَمَى بها في وجوه الكفَّار، وقال: «شاهَتِ الوجوه»[٤].

قال يعلى بنُ عطاء: فحدَّثني أبناؤهم عن آبائِهم، قالوا: لم يَبْقَ منَّا أحدٌ إلَّا دخل عينيهِ من ذلك التراب[٥].

وقال للعبَّاس وكان صَيِّتاً: «نادِ أصحاب السَّمُرَة»، فنادى الأنصارَ فَخذاً فَخذاً،

---

(١) بعدها في (ح): ولا يتقلقل.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٣-١٤٦، والثعلبي ٣/ ١٧٩، والدُّرر ص٢٦٦-٢٧٢، والبيتان في الاستيعاب ص٥٥٧، وأسد الغابة ١/ ١٨٩، وعيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/ ٢٩٤، والبيت الأول في العمدة لابن رشيق ص٣٦، مع الإشارة إلى أنه ورد في المصادر: سبعة، بدل: تسعة، و: عنه، بدل: منهم، وورد في الاستيعاب وعيون الأثر: بسيفه، بدل: بنفسه. وينظر الاختلاف في عدد الذين ثبتوا مع النبيّ ﷺ في فتح الباري ٨/ ٢٩-٣٠، وفيه أيضاً البيتان باللفظ المذكور أعلاه، وخبر قتادة عند الطبري ١١/ ٣٨٧-٣٨٩.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٠٩)، وهو عند أحمد (١٢٩٧٧) من حديث أنس ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ، ومعنى: شاهت، أي: قَبُحت، أو: شوِّهت وجوههم.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٨٠، والخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٤٤، وابن أبي شيبة في المصنَّف (٣٨١٥٣)، وأحمد (٢٢٤٦٧) ضمن حديث أبي عبد الرحمن الفهري ﷺ.

ثم نادى: يا أصحابَ الشَّجَرة، يا أصحابَ البقرة، فَكَرُّوا عُنُقاً واحداً وهم يقولون: لبيكَ لبيكَ. وانهزم المشركون، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى قتال المسلمين، فقال: «هذا حين حميَ الوَطِيْس»، وركض رسول الله ﷺ خلفَهم على بغلته[(١)].

وفي «صحيح مسلم» من حديث البَرَاء أنَّ هوازنَ كانوا رماةً، فرَمَوهم برِشْقٍ مِن نَبْلٍ كأنَّها رِجْلٌ مِن جَرَاد، فانكشفوا، فأَقْبَل القومُ إلى رسولِ الله ﷺ وأبو سفيان يَقُود بغلتَه، فنزلَ ودَعَا واسْتَنْصَر، وهو يقول:

«أنـــا الـــنـــبـــيُّ لا كَـــذِب أنـــا ابـــنُ عـــبـــدِ الـــمُـــطَّـــلِـــب

اللهمَّ أَنْزِل نَصْرَكَ».

قال البَرَاء: كنَّا - والله - إذا حَمِيَ البأسُ نتَّقي به ﷺ، وإنَّ الشُّجاع منَّا الذي يُحاذي به. يعني النبيَّ ﷺ، وفي أوَّل هذا الحديث: أَكُنْتُم ولَّيتم يومَ حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أَشْهَدُ على رسول الله ﷺ ما وَلَّى[(٢)].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ السَّكِيْنَة: النَّصْرُ الذي سَكَنت إليه النفوس، قاله ابنُ عطيَّة[(٣)]. وقال الزمخشريُّ: رحمته التي سَكَنوا بها[(٤)]. وقيل: الوَقار والثَّبات بعد الاضْطِراب والقَلَق، ويخرجُ مِن هذا القولِ الرسولُ ﷺ؛ فإنَّه لم يَزَل ثابتَ الجَأْش ساكِنَه.

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٥، والخبر عند مسلم (١٧٧٥)، وأحمد (١٧٧٥) من حديث العباس بن عبد المطلب، والسَّمُرة: شجرة بيعة الرضوان، وكانوا بايعوه عندها على أن لا يفرُّوا. ينظر المفهم ٣/ ٦١٥، والوطيس: هو شبه تَنُّور يُسْجَر فيه ويُضرب مَثَلاً لشدَّة الحرب التي يُشبه حرُّها حرّه. وقيل غير ذلك.

(٢) صحيح مسلم (١٧٧٦)، وهو عند البخاري (٢٩٣٠)، وأحمد (١٨٤٧٥) لكن دون قول البراء الأخير، ومعنى: رِجْل من جراد، أي: قطعة من جراد، قال في النهاية (رجل): الرِّجْل بالكسر: الجراد الكثير. ومعنى: فانكشفوا، أي: انهزموا وفارقوا مواضعهم وكشفوها. وورد عند مسلم: احمرَّ البأسُ، بدل: حَمي البأس، واحمرار البأس كناية عن شدَّة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاسْتِعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠.

(٤) الكشاف ٢/ ١٨٢.

«وعلى المؤمنين» ظاهره شمولُ مَن فرَّ ومَن ثَبَتَ، وقيل: هم الأنصار، إذ هُمُ الذين كرُّوا وردُّوا الهزيمةَ، وقيل: مَن ثَبَتَ مع الرسولِ ﷺ حالة فَرَّ الناسُ.

وقرأ زيد بن عليٍّ: «سِكِّيْنَتَهُ» بكسر السين وتشديد الكاف[1]، مبالغة في السَّكِيْنة، نحو: شِرِّيبٍ وطِبِّيخ[2].

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة بلا خلافٍ، ولم تتعرَّض الآيةُ لعَدَدِهم؛ فقال الحسن: ستَّة عشر ألفاً، وقال مجاهد: ثمانية آلافٍ، وقال ابنُ جبير: خمسة آلافٍ[3]، وهذا تناقضٌ في الإخبار، والجمهور على أنَّها لم تُقاتِل يومَ حنين، وعن ابنِ المسيّب: حدَّثني رجلٌ كان في المشركين يومَ حنين، قال: لمَّا كَشَفْنا المسلمين، جَعَلْنا نَسوقهم، فلمَّا انتهينا إلى صاحب البَغْلة الشَّهْباء تلقَّانا رجالٌ بيضُ الوجوهِ حِسَانُها، فقالوا: شاهت الوجوه، ارْجِعوا. فرَجَعْنا فرَكِبوا أكتافَنا[4].

والظاهر انتفاءُ الرُّؤية عن المؤمنين؛ لأنَّ الخطاب هو لهم، وقد رُوِيَ أنَّ رجلاً مِن بني النَّضِيْر[5] قال للمؤمنين بَعْدَ القتال: أينَ الخيلُ البُلْقُ والرِّجال الذين كانوا عليها بِيْض[6]، ما كُنَّا فيهم[7] إلَّا كهيئة الشَّامَة، وما كان قَتْلنا إلَّا بأيديهم؟! فأخبروا النبيَّ ﷺ، فقال: «تلك الملائكة».

---

(١) لم نقف عليها عند غيره.

(٢) رَجُلٌ شارب وشَرُوب وشِرِّيب وشَرَّاب: مُولَعٌ بالشراب. تاج العروس (شرب)، وطِبِّيخ لغةٌ في بِطِّيخ. تاج العروس (طبخ).

(٣) زاد المسير ٣/ ٤١٦، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٠ وفيه عن الحسن أنهم كانوا ثمانية آلاف، وأنَّ السِّتَّة عَشَر ألفاً قولُ عطاء لا الحسن، والأقوال ذكرها أيضاً الزمخشري في الكشاف ٢/ ١٨٢-١٨٣ لكن دون عزوٍ، وخبر ابن جبير عند الطبري في التفسير ١١/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٠، وأورده أيضاً القرطبي ١٠/ ١٤٦ لكن نَسَبه لسعيد بن جبير، والخبر أخرجه الطبري في التفسير ١١/ ٣٩٣ و٣٩٥ من حديث عبد الرحمن مولى أمّ بُرْثُن.

(٥) كذا في النسخ، والذي في تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٠، والبغوي ٢/ ٢٧٩: من بني نضر، والذي في تفسير القرطبي ١٠/ ١٥٠: من بني نَصْر. ولعلَّه الصواب، بدليل ما سلف عن أمير هوازن وهو مالك بن عوف النصري، من بني نَصْر بن معاوية، فلعلَّ المذكور من قومه.

(٦) كذا في النسخ، والذي في المصادر الآنفة الذكر: والرجال الذين كانوا عليها، عليهم ثياب بيض.

(٧) الذي في المصادر الآنفة الذكر: ما كُنَّا نراكم فيهم.

وقيل: «لم تروها» نفيٌ عن الجميع، ومَن رَأى بعضَهم لم يَرَ كلَّهم، وقيل: لم يَرَها أحدٌ مِن المسلمين ولا الكفَّار، وإنَّما أنزلهم يُلْقُون التثبيتَ في قلوب المؤمنين والرُّعْبَ والجُبْنَ في قلوب الكفَّار، وقال يزيد بنُ عامر: كان في أجوافنا مِثْل ضَرْبة الحَجَر في الطَّسْتِ مِن الرُّعب(١).

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: بالقَتْل الذي استحرَّ فيهم، والأَسْر لذَرَارِيهم ونسائهم، والنَّهْب لأموالهم، وكان السَّبيُ أربعةَ آلافِ رأس، وقيل: ستَّة آلافٍ، ومن الإبل اثنا عَشَر ألفاً سوى ما لا يُعلم مِن الغنم، وقَسمها الرسولُ بالجِعرانة، وفيها قصَّة عَبَّاس بنِ مِرْدَاس وشِعْره، وكان مالك بن عوف قد أَخرج الناسَ للقتال والذَّرَارِي ليُقاتلوا عليها، فخطَّأه في ذلك دريد بنُ الصِّمَّة، وقال: هل يَرُدُّ المنهزمَ شيءٌ؟! وفي ذلك اليوم قُتلَ دريد القِتْلَة المشهورة، قَتَلَه ربيعة بن رُفَيْع بنُ أُهْبَان السُّلَمِيُّ، ويقال له: ابنُ الدُّغُنَّة(٢).

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ إخبارٌ بأنَّ الله يتوب على مَن يشاء، فيَهدي مَن يشاء ممَّن بَقيَ مِن الكفار للإسلام، ووَعْدٌ بالمغفرة والرحمة، كمالك بنِ عوف النَّصْري رئيس هوازن ومَن أسلم معه مِن قومه، ورُوِيَ أنَّ ناساً منهم جاؤوا فبَايعوا على الإسلام وقالوا: يا رسول الله، أنتَ خيرُ الناس وأَبرُّ الناس، وقد سُبيَ أهلونا وأولادُنا، وأُخِذَت أموالنا ـ وكان سُبيَ يومئذٍ ستَّة آلاف نَفْس وأُخذَ مِن الإبل والغنم ما لا يُحصَى ـ فقال: «إنَّ خيرَ القول أَصْدَقُه، اختاروا إمَّا ذراريكم ونساءكم، وإمَّا أموالَكم»؟ فقالوا: ما نَعْدِل بالأحساب شيئاً. وتمام الحديث أنَّهم أَخذوا نساءَهم وذراريهم إلَّا امرأة وَقَعَ عليها صفوانُ بنُ أميَّة فحَمَلت منه فلم يَردَّها»(٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، والخبر سلف تخريجه في سورة الأنفال، عند تفسير الآية (١٢).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، والأخبار الواردة سلفت في سورة الأنفال.
(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٨١-١٨٢، والقرطبي ١٠/ ١٥٠-١٥١، والخبر أخرجه أحمد (٦٧٢٩) و(٧٠٣٧)، والنسائي في المجتبى ٦/ ٢٦٢-٢٦٤ من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرج بعضه البخاري (٤٣١٨) و(٤٣١٩)، وأحمد (١٨٩١٤) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، وينظر الدُّرر ص٢٧٦، والطبري ١١/ ٣٩١.

أخبرنا القاضي العالِم أبو عليٍّ الحسين بنُ عبد العزيز بنِ أبي الأحوص القُرَشيُّ[1] قراءةً منِّي عليه بمدينة مَالَقَة، قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد بن يَبْقى بن جَبَلة الخَزْرَجيُّ[2] بـ: أُوْرِيُولة، قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بنُ محمَّد السِّلَفي الأصبهانيُّ[3] بإسكندريَّة (ح) وأخبرنا أستاذنا الإمام العلَّامة الحافظ أبو جعفر أحمد بنُ إبراهيم ابن الزبير[4] قراءةً منِّي عليه بغرناطة، عن القاضي أبي الخطَّاب محمد بنِ أحمد بنِ خليل السَّكُوني[5]، عن أبي طاهر السِّلَفي، وهو آخِرُ مَن حدَّث عنه بالمغرب (ح) وأخبرنا عالياً القاضي السعيد صفيُّ الدِّين أبو محمد عبد الوهاب بنُ حسن بنِ الفُرات[6] قراءةً عليه مرَّتين بثَغْر الإسكندريَّة،

---

(١) ويعرف أيضاً بابن الناظر، الحافظ النحوي، كان من فقهاء المحدّثين القرَّاء النحاة الأدباء، وكان من أهل الضبط والإتقان في الرواية ومعرفة الأسانيد، ألَّف في القراءات، وله برنامج ومسلسلات، وأربعون سمعها منه أبو حيَّان، له شرح المستصفى، وشرح الجمل، توفي سنة (٦٧٩هـ). طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٢٤٢، وطبقات المفسرين ١/ ١٥٠-١٥١، وبغية الوعاة ١/ ٥٣٥.

(٢) هو: علي بن محمد بن يَبْقى بن جَبَلة الأندلسي الأنصاري خطيب أُوريولة، شيخ عالم، سمع من السِّلَفي وأحمد بن المسلم اللخمي، وغيرهما. توفي سنة (٦٣٠هـ). تاريخ الإسلام ١٣/ ٩٢٨.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الجَرْواني، ويلقَّب جدُّه أحمد سِلَفة، وهو الغليظ الشفة، وأصله بالفارسية: سلبَة، وكثيراً ما يمزجون الباء بالفاء، كان جوَّالاً في الآفاق، حافظاً ثقة متقناً مُغرًى بجمع الكتب والاستكثار منها. توفي سنة (٥٧٦هـ). ميزان الاعتدال ١/ ١٦٩، والسير ٢١/ ٥-٣٩.

(٤) هو العاصمي الغرناطي المُسنِد الشهير، كان خاتمة المحدّثين وصدور العلماء والمقرئين، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث وغيرها، من تأليفه كتاب: صلة الصلة لابن بَشْكُوال، وملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل وغيرهما. توفي سنة (٧٠٨هـ). الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ١٨٨-١٩٣، وفهرس الفهارس للكتاني ١/ ٤٥٤. ورَمْز (ح) إشارة إلى تحويل الإسناد.

(٥) الأندلسي المنشئ، شيخ البلاغة والإنشاء، تفرَّد بتلك البلاد بإجازة أبي طاهر السِّلَفي، وكان عالي الرواية، ثبتاً، له معرفة بالرجال، توفي سنة (٦٥٢هـ). السير ٢٣/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٤/ ٥٣٢.

(٦) شيخ فقيه معمّر، تفرَّد بالإجازة من إسماعيل بن ياسين، وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وعبد اللطيف بن أبي سعد الصوفي، توفي سنة (٦٨٣هـ). تاريخ الإسلام ١٥/ ٥٠١، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ١٥٨.

عن أبي الطاهر إسماعيل بنِ صالح بنِ ياسين الجَبَليّ[١]، وهو آخِرُ مَن حدَّث عنه، قالا (أعني السِّلَفيَّ والجَبَليَّ): أخبرنا أبو عبد الله محمد بنُ أحمد بنِ إبراهيم الرازيُّ[٢]، قال: أخبرنا أبو الحسن عليُّ بنُ بَقَاء بنِ محمد الورَّاق بمصر[٣]، أخبرنا أبو عبد الله محمد بنُ الحسين بنِ عمر اليمني التَّنُوخِي[٤] بانتقاءِ خَلَف الوَاسِطيّ[٥] الحافظ، (ح) وأخبرنا المحدِّث العَدْل نجيب الدين أبو عبد الله محمَّد بنُ أحمد بنِ محمَّد بنِ المؤيَّد الهَمَذانيّ، عرف بابنِ العَجَميّ[٦]، قراءةً منِّي عليه بالقاهرة، قلت

(١) نسبة إلى جبل مصر، الشفيقي نسبة إلى خدمة شفيق الملك، المصري، سمع من أبي عبد الله الرازي، وهو آخِر من حدَّث بمصر عنه، حدَّث عنه الحافظ عبد الغني والحافظ الضياء وأبو الحسن السخاوي وغيرهم. التكملة للمنذري ١/ ٣٦٧ ترجمة (٥٥٧)، والسير ٢١/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) مُسنِد الإسكندرية ومصر، الشروطي، المعدَّل، المعروف بـ: ابن الحطاب، قال عنه أبو طاهر السِّلفي: لم يَكُ في وقته في الدنيا من يَدانيه في عُلُوّ الإسناد. سمع من كثير، وروى عنه السِّلفي ويحيى بن سعدون القرطبي، وإسماعيل بن ياسين، وغيرهم، توفي سنة (٥٢٥هـ). العبر ٤/ ٦٥، والسير ١٩/ ٥٨٣-٥٨٤، وحُسْن المحاضرة ١/ ٣٧٥.

(٣) روى عن القاضي أبي الحسن الحلبي، وأبي عبد الله التنوخي اليمني، وأبي مسلم الكاتب، والحافظ عبد الغني بن سعيد، كان مفيد مصر في وقته، ثقة، مرضياً، توفي سنة (٤٥٠هـ). تاريخ الإسلام ٩/ ٧٤٩.

(٤) النحوي الأديب، كان مقيماً بمصر، صنَّف أخبار النحويين، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة، روى عن أبي القاسم جعفر النحوي، وأبي جعفر الطحاوي وجماعة، وروى عنه أبو الحسن العتيقي، وعلي بن بقاء، وأبو ذرٍّ الهروي. توفي سنة (٤٠٠هـ). الوافي بالوفيات٢/ ٣٧٩-٣٨٠، وبغية الوعاة ١/ ٩٣.

(٥) هو: أبو علي، ويقال: أبو محمد ـ خَلَف بن محمد بن علي بن حمدون، سمع أبا بكر القطيعي وطبقته، وابن السقا بواسط، وأبا بكر الإسماعيلي بجرجان، روى عنه الحاكم وهو من شيوخه، وأبو علي الأهوازي، وأبو القاسم الأزهري، وغيرهم، صنَّف كتاب أطراف الصحيحين، بقي إلى بُعيد الأربع مئة بيسير. أخبار أصبهان ١/ ٣١٠، والسير ١٧/ ٢٦٠-٢٦١.

(٦) شيخ عالم فاضل، قرأ الحديث على عبد العزيز بن باقا وغيره، وسمع من ابن الجبَّاب، وله إجازة من عفيفة الفارفانية وعمر بن طبرزد وجماعة. توفي سنة (٦٨٧هـ). تاريخ الإسلام ١٥/ ٥٩٨، وحُسْن المحاضرة ١/ ٣٨٤، وشذرات الذهب ٧/ ٧٠٣. والخبر بهذا الإسناد المذكور أورده المَقَّرِي التلمساني في نفح الطيب ٢/ ٥٦١-٥٦٣ نقلاً عن برنامج الفقيه المحدِّث محمد بن سعيد الرُّعيني.

له: أخبرك أبو الفخر أسعد بنُ أبي الفتوح بنِ رَوْحٍ[١] وعَفِيْفَةُ بنتُ أحمد بنِ عبد الله[٢] في كتابيهما، قالا: أخبرتنا فاطمة بنتُ عبد الله بنِ أحمد بنِ عقيل الجُوْزدَانيَّة[٣]، قالت: أخبرنا أبو بكر محمد بنُ عبد الله بنِ رِيْذَة الضَّبيّ[٤]، قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بنُ أحمد بنِ أيوب الطبرانيُّ الحافظ[٥]، قالا (أعني التنوخيَّ والطبرانيَّ): أخبرنا عبيد الله بن رُمَاحِس ـ زاد التنوخيُّ: ابنَ محمد بنِ خالد بنِ حبيب بنِ قيس من رمادة[٦] مِن الرَّمْلة على بَرِيْدَيْن، في ربيعٍ الآخر مِن سنة ثمانين ومئتين، وقال الطبرانيُّ: ابنُ رُماحِس الجُشَمِي القَيْسِيّ بِرَمَادَة الرَّمْلة،

(١) هو: أسعد بن سعيد بن محمود بن محمد بن رَوْح، مُسنِد أصبهان، سمع من فاطمة الجوزدانية «المعجم الكبير» بِفَوْتٍ، وجميع «المعجم الصغير»، وهو آخِر من حدَّث عنها، روى عنه ابن نقطة والضياء وابن العز، توفي بأصبهان سنة (٦٠٧هـ). التقييد لابن نقطة ص٢١٥، وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٥٧.

(٢) الشيخة الجليلة المعمّرة، مُسنِدة أصبهان، أمّ هانئ الأصبهانية، كانت آخِر من حدَّث بالسماع عن عبد الواحد بن محمد الدَّشْتَج، وإسحاق الأشناني، وفاطمة الجوزدانية، حدَّث عنها أبو موسى بن عبد الغني، والضياء، وابن نقطة، توفيت سنة (٦٠٦هـ). التقييد ص٥٠٠، والسير ٢١/ ٤٨١-٤٨٣.

(٣) أمُّ إبراهيم الأصبهانيَّة، مُسنِدة الوقت، وآخِر من روى في الدنيا عن ابن رِيْذة، حدَّث عنها أبو العلاء العطار، وأبو موسى المديني، وأبو الفخر أسعد بن روح، وعفيفة الفارفانية، توفيت سنة (٥٢٤هـ). التقييد ص٤٩٧، والسير ١٩/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني التَّاني التاجر، المشهور بـ: ابن رِيْذَة، سمع من الطبراني، ولعلَّه لم يَسمع من غيره، حدَّث عنه خَلْق لا يحصون، منهم أبو العلاء الكاغدي وأخوه أبو بكر، وأبو غالب الكوشيذي، توفي في رمضان سنة (٤٠٤هـ). العبر ٣/ ١٩٣، والسير ١٧/ ٥٩٥-٥٩٦.

(٥) هو صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير وغيرها من المصنَّفات، المحدِّث المشهور.

(٦) يعني: عبيد الله بن محمد بن خالد بن حبيب بن حُميد بن قيس بن عمرو...، هكذا ذكره ابن حجر في لسان الميزان ٥/ ٣٢٦ نقلاً عن ابن قانع في معجم الصحابة، وقال إثره: فعبيد الله هو ابن رُماحس، وكأنَّ رُماحس لقب أبيه أو جدّه، والله أعلم. اهـ.
وروى عنه الأمير بدر الحَمَامي، والطبراني، وأبو سعيد بن الأعرابي وغيرهم، قال الذهبي في المغني في الضعفاء ٢/ ٤١٥: ما علمت أحداً وهَّاه، ولا احتج به. اهـ. ولم تذكر مصادرُ ترجمته سنةَ وفاته. ميزان الاعتدال ٣/ ٨، والمغني في الضعفاء ٢/ ٤١٥، والأنساب ٦/ ١٦٢، ولسان الميزان ٥/ ٣٢٢-٣٢٨.

سنة سبع وسبعين ومئتين ـ قال: حدَّثنا أبو عَمرو زياد بن طارق[١] ـ زاد التنوخيُّ: الجُشَميّ، وقال الطبرانيُّ: وكان قد أتَت عليه عشرون ومئة سنة ـ قال التنوخيُّ: عن زياد، أنبأنا زهير أبو جَرْوَل ـ وكان سيِّدَ قومه، وكان يكنى: أبا صُرَد[٢] ـ قال: لمَّا كان يوم حنين أسَرَنا رسولُ الله ﷺ، فبَيْنَا هو يُميِّز بين الرجال والنساء وَثَبْتُ حتى قَعَدتُ بين يديه أُذكِّره حيث شبَّ ونَشَأ في هَوَازن، وحيث أرضعوه، فأنشأتُ أقول ـ وقال الطبرانيُّ: عن زياد، قال: سمعتُ أبا جَرْوَل زهير بنَ صُرَد الجُشَمِيَّ، يقول: لمَّا أسَرَنا رسولُ الله ﷺ يومَ حنين قوم هَوَازن وذهب يُفرِّق السَّبْيَ والشَّاء، فأتيته فأنشأتُ أقول هذا الشعر ـ:

امْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَم ... فإنَّك المَرْءُ نَرجوه ونَنتظِرُ
امْنُنْ على بيضةٍ قد عاقَها قَدَرٌ ... مُفرَّقٌ شَمْلها في دَهْرها غِيَرُ
أبْقَتْ لنا الحربُ هُتَّافاً[٣] على حَزَنٍ[٤] ... عَلَى قلوبِهُمُ الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إن لم تُداركْهُمُ نَعْماءُ تَنْشُرها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حين يُخْتَبرُ
امْنُنْ على نِسْوَةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فُوكَ يَمْلَؤُهُ مِن مَحْضِها الدُّرَرُ
إذ أنتَ طفلٌ صغيرٌ كنتَ تَرْضَعها ... وإذ يَزِيْنُكَ[٥] ما تأتي وما تَذَرُ
يا خيرَ مَن مَرَحَتْ كُمْتُ الجِيادِ بِهِ ... عند الهِياج إذا ما استُوقِد الشَّرَرُ
لا تَجعلنَّا كَمَن شَالت نَعَامتُه ... واستَبْقِ مِنَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنَّا نُؤَمِّل عفواً مِنكَ تُلبِسُهُ ... هَذِي البَرِيَّةَ أن تَعفو وتَنْتَصِرُ
إنَّا لَنَشْكُرُ للنُّعْمَى وقد كُفِرَت[٦] ... وعندنا بعدَ هذا اليوم مُدَّخَرُ

---

(١) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٨٤: زياد بن طارق، عن أبي جرول، نكرة لا يُعرف، تفرَّد عنه عُبيد الله بن رُماحِس. وقال ابن حجر في لسان الميزان ٣/ ٥٣٣: وقد ضبطه الدَّارقطني في المؤتلف والمختلف ٣/ ١١٣٥: بفتح الزاي وتشديد الياء. أي: زَيَّاد.
(٢) تنظر ترجمته في الاستيعاب ص٢٥٨-٢٥٩، وأسد الغابة ٢/ ٣١١.
(٣) في مطبوع نفح الطيب ٢/ ٥٦٢: هَتَّاناً. ولعلَّه من: هَتَنَ الدَّمع، أي: قَطَر. المختار (هتن).
(٤) في (د١) والمطبوع: حرن.
(٥) في مطبوع نفح الطيب ٢/ ٥٦٢: يريبك. وسيشير إليها المصنِّف قريباً.
(٦) في مطبوع نفح الطيب: للنعماء إذ كُفِرت.

فألبِس العفوَ مَن قد كنتَ تَرْضَعُهُ مِن أُمَّهاتِكَ إنَّ العفوَ مُشْتَهِرُ
واعْفُ عفا اللهُ عمَّا أنت راهبُهُ يومَ القيامة إذ يُهدَى لَكَ الظَّفَرُ

وفي رواية الطبرانيِّ تقديمٌ وتأخير في بعض الأبيات، وتغييرٌ لبعضِ ألفاظٍ، فترتيب الأبياتِ بعد قوله: إذ أنتَ طفلٌ، قوله: لا تَجعلنَّا، ثمَّ: إنَّا لَنَشْكُر، ثمَّ: فألبِس العفوَ، ثمَّ يا خيرَ مَن مَرَحَتْ، ثمَّ: إنَّا نُؤَمِّل، ثمَّ: فاعْفُ، وتغييرُ الألفاظِ؛ قوله: وإذْ يرِيبُكَ، بالراء والباء، مكان الزاي والنون، وقوله: للنَّعماء إذ كفرت، وقوله: إذ تعفو.

وفي رواية الطبرانيِّ: قال: فلمَّا سمعَ النبيُّ ﷺ هذا الشعرَ، قال ﷺ: «ما كان لي ولبَني عَبْد المطَّلب فهو لكم»، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسولِه، وقالت الأنصار: ما كانَ لنا فهو لله ولرسولِه.

وفي رواية التنوخيِّ: فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا ما كان لي ولبَني عَبْد المطَّلب فلله ولكم»، وقالت الأنصار: ما كان لنا فللَّه ولرسولِه. فرَدَّت الأنصارُ ما كان في أيديها مِن الذَّراري والأموال(١).

(١) المعجم الكبير (٥٣٠٣)، والأوسط (٤٦٣٠)، والصغير (٦٦١)، وأخرجه أيضاً من طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٦٩٧)، وابن عساكر في معجمه (١٢٤٧)، وقال إثره: هذا حديث غريب. اهـ. وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٨، وأعلَّه بأنَّ عُبيد الله بن رُماحِس أسقط رجلين من الإسناد ثم صرَّح بالتحديث، وردَّ الحافظ ابنُ حجر في لسان الميزان ٥/٣٢٢ هذه العلَّة التي ذكرها الذهبي، وقال: هذا تحكُّم لا دليل عليه، ولا له فيما حكاه ابنُ عبد البَرِّ [وكلامه في الاستيعاب ص٢٥٩] حُجَّةٌ قائمة... إلى آخِره، ثم قال: فهؤلاء عددٌ من الثقات رَوَوْه عن عُبيد الله بن رُماحِس، قال: حدثنا زياد، سمعت أبا جرول، فالظاهر أن قولهم أولى بالصواب، والعدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد، ولاسيَّما وهو لم يُسَمَّ، ثم قال أخيراً: فالحديث حسن الإسناد؛ لأن راوِيَيْه مستوران لم تتحقَّق أهليتهما، ولم يُجرَّحا، ولحديثهما شاهدٌ قويٌّ. ثم ساق الحديثَ بإسناده إلى الطبراني، ثم أورده أيضاً بإسناد آخَر إلى ابنِ الأعرابيِّ [والحديث عنده في معجمه (٢٠١٩)]، وعن ابن قانع في معجم الصحابة [وهو عنده ٢٣٨/١]، وعن الحاكم في الكنى، ثم ذكر آخِر الكلام: فكملت عندي عدَّة من رواه عن عبيد الله بن رماحس غير الطبراني أربعة عشر نفساً، فظهر من مجموع هذه الطرق صحة ما قلته، والله أعلم.
وأخرجه أيضاً ابن زنجويه في الأموال (٤٨٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن =

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ لمَّا أَمَرَ النبيُّ ﷺ عليًا أن يَقرأ على مُشْرِكي مكَّة أوَّلَ «براءة»، ويَنبِذ إليهم عهدَهم، و«أنَّ الله بريءٌ مِن المشركين ورسولُه»، قال أناسٌ: يا أهلَ مكَّة ستعلمون ما تَلْقَون مِن الشِّدَّة وانقطاع السُّبُل وفَقْد الحمولات، فنزلت[1].

وقيل: لمَّا نَزَلَ: «إنَّما المشركون نَجَس» شَقَّ على المسلمين وقالوا: مَن يَأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَقْدُمونَ عليهم بالتجارة، فنزلت: «وإن خفتم عَيْلَة» الآية.

الجمهور على أنَّ المشركَ مَن اتَّخذ مع الله إلهاً آخَرَ، وعلى أنَّ أهلَ الكتاب ليسوا بمشركين، ومِن العلماء مَن أطلقَ عليهم اسمَ الإشراك؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي: يُكفَر به.

وقرأ الجمهور: «نَجَس» بفتح النون والجيم، وهو مصدر: نجسَ نَجَساً، أي: قذرَ قَذَراً، والظاهر الحكم عليهم بأنَّهم نجسٌ، أي: ذوو نَجَس.

قال ابنُ عبَّاس والحسن وعمر بنُ عبد العزيز والطبريُّ وغيره: الشِّرْكُ هو الذي نَجَّسهم، فأعيانهم نَجِسة، كالخمر والكلاب والخنازير[2].

وقال الحسن: مَن صافح مشركاً فليتوضَّأ[3]. وفي «التحرير»: وبَالَغَ الحسنُ

= شعيب، عن أبيه، عن جَدِّه بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٧: رواه الطبراني، وفيه: ابن إسحاق، وهو مُدَلِّس، ولكنَّه ثقة، وبقية رجاله ثقات.

وينظر الخبر في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٨٨ وما بعدها، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٤٩ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البَرِّ ص٢٥٨-٢٥٩، وفتح الباري ٨/ ٣٣، وطبقات الشافعية للسبكي ١/ ٢٤٣-٢٤٥.

ومعنى: بيضة: أي: حَوْزَة. المختار (بيض)، ومعنى: شالت نعامته: أي: هلكوا. القاموس (شول).

(١) تفسير الرازي ١٦/ ٢٤، والنيسابوري ١٠/ ٦٤.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠، وتفسير الطبري ١١/ ٣٩٨-٣٩٩، والكشاف ٢/ ١٨٣، وزاد المسير ٣/ ٤١٧، قال الطبري عن أثَر ابن عباس: وهذا قولٌ رُوي عن ابن عباس من وجهٍ غير حميد؛ فكرهنا ذكره.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٢٤١)، والطبري ١١/ ٣٩٨-٣٩٩، وينظر المصادر السالفة الذكر.

حتى قال: إنَّ الوضوءَ يَجِبُ مِن مسِّ يَدِ المُشرِك. ولم يَأخذ أحدٌ بقول الحسن إلَّا الهادي مِن الزيديَّة[١].

وقال قتادة ومعمر بنُ راشد وغيرُهما: وصف المشرك بالنَّجاسة؛ لأنَّه جُنُبٌ، إذ غُسْله مِن الجنابة ليس بغُسْل[٢]. وعلى هذا القول يَجب الغُسْل على مَن أسلم مِن المشركين، وهو مذهب مالك. وقال ابنُ عبد الحكم: لا يَجب[٣]. ولا شكَّ أنّهم لا يَتطهَّرون ولا يَغتسلون ولا يَجتنبون النجاسات، فجُعلوا نَجَساً؛ مبالغةً في وصفهم بالنجاسة.

وقرأ أبو حيوة: «نِجْسٌ» بكسر النون وسكون الجيم[٤]، على تقدير حذف الموصوف، أي: جِنْسٌ نِجْسٌ، أو: ضَرْبٌ نِجْسٌ، وهو اسم فاعل مِن نَجَسَ، فخفَّفوه بعد الإتباع، كما قالوا في كَبِدٍ: كِبْدٍ، وكَرِشٍ: كِرْش.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفع: «أَنْجاس»[٥]، فاحتمل أن يكون جمع: نَجَس، المَصْدر، كما قالوا: أضياف، واحتمل أن يكون جَمْع: نَجِس، اسم الفاعل.

وفي النهي عن القُربان مَنْعُهم عن دخوله والطوافِ به لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، وهذا النهيُ مِن حيث المعنى هو متعلِّق بالمسلمين، أي: لا تتركوهم يَقْرَبون المسجد الحرام.

والظاهر أنَّ النهيَ مختصٌّ بالمشركين وبالمسجد الحرام، وهذا مذهب أبي حنيفة، وأباح دخول اليهودِ والنصارى المسجدَ الحرام وغيرَه ودخول عَبَدة الأوثان في سائر المساجد[٦].

وقال الزمخشريُّ: إنَّ معنى قوله: «فلا يَقربوا المسجد الحرام»: فلا يَحجُّوا

(١) تفسير الرازي ١٦/ ٢٤، والنيسابوري ١٠/ ٦٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٣٩٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٢-١٥٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٢.
(٥) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ٣٧، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٦١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٦، وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٨٨.

ولا يَعتمروا، ويدلُّ عليه قولُ عليٍّ حين نادى بـ «براءة»: لا يحجّ بعد عامِنا هذا مُشْرِكٌ، قال: ولا يُمنعون مِن دخول الحَرَم والمسجدِ الحرام وسائرِ المساجد عند أبي حنيفة[(١)]. انتهى.

وقال الشافعيُّ: هي عامَّةٌ في الكفَّار، خاصَّة في المسجد الحرام، فأَباح دخول اليهود والنصارى والوَثَنيِّين في سائر المساجد، وقاسَ مالكٌ جميعَ الكفَّار مِن أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائرَ المساجدِ على المسجد الحرام، وَمَنَعَ مِن دخول الجميع في جميع المساجد. وقال عطاء: المراد بالمسجد الحَرَامِ الحَرَمُ، وأنَّ على المسلمين أن لَّا يُمكِّنوهم مِن دخوله[(٢)].

وقيل: المراد مِن القُرْبان أنْ يُمنعوا مِن تولِّي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويُعزلوا عن ذلك[(٣)].

وقال جابر بنُ عبد الله وقتادة: لا يَقرب المسجدَ الحرام مشركٌ إلَّا أن يكون صاحبَ جِزْيَةٍ، أو عَبْداً لمسلم[(٤)].

والمعنيُّ بقوله: «بَعْدَ عامِهم هذا» هو عامُ تسعٍ مِن الهجرة، وهو العامُ الذي حجَّ فيه أبو بكر أميراً على المَوْسِم، وأُتبع بعَليٍّ ونودي فيها بـ «براءة».

وقال قتادة: هو العامُ العاشرُ الذي حجَّ فيه رسولُ الله ﷺ[(٥)].

والعَيْلَة: الفَقْر، وقرأ ابنُ مسعود وعلقمة مِن أصحابه: «عائلةً»[(٦)]، وهو مصدرٌ

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٠، والكشاف ٢/ ١٨٣-١٨٤، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٥٣-١٥٥، وقول عطاء أخرجه عبد الرزاق (٩٨٨٠) و(٩٨٨١)، والطبري ١١/ ٣٩٨، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٤٢٨.
(٣) الكشاف ٢/ ١٨٤.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٧، وأخرجه عنهما عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧١-٢٧٢، والطبري ١١/ ٤٠٣-٤٠٤.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٠١، وتفسير الطبري ١١/ ٣٠٤ وما بعدها.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٢، والمحتسب ١/ ٢٨٧، وينظر الكشاف ٢/ ١٨٤.

كالعَاقِبة، أو نَعْتٌ لمحذوف، أي: حالاً عائلةً.

و«إنْ» هنا على بابها مِن الشَّرْط، وقال عمرو بن فائد: المعنى: وإذ خِفْتم[١]، كقولهم: إنْ كنتَ ابني فأَطِعْني، أي: إذْ كنتَ، وكونُ «إنْ» بمعنى «إذ» قولٌ مرغوب عنه، وتقدَّم سببُ نزول هذه الآية.

وفَضْلُه تعالى؛ قال الضحاك: ما فتح عليهم مِن أَخْذِ الجزية مِن أهل الذِّمَّة. وقال عكرمة: أغناهم بإِدْرَار المطر عليهم. وأسلمت العربُ فتمادى حجُّهم وتَجْرهم، وأغنى اللهُ مِن فَضْله بالجهاد والظهورِ على الأمم[٢].

وعلّق الإغناء بالمشيئة؛ لأنَّه يقع في حقِّ بعضٍ دون بعض، وفي وقتٍ دون وقت، وقيل: لإجراء الحُكم على الحكمة، فإنِ اقتضت الحكمة والمصلحة إغناءَكم أغناكم.

وقال القرطبيُّ: إعلاماً بأنَّ الرزقَ لا يأتي بحِيْلة ولا اجتهادٍ، وإنَّما هو فَضْلٌ مِن اللهِ[٣]. ويُروى للشافعيِّ:

لو كان بالحِيَلِ الغِنى لوَجَدْتَني ... بنجومِ أقطارِ السماء تعلُّقي
لكنَّ مَن رُزِقَ الحِجَا حُرم الغِنى ... ضِدَّان مفترقانِ أيَّ تَفَرُّقِ
ومِن الدليل على القضاءِ وكونِه ... بُؤْسُ اللبيب وطِيْبُ عيشِ الأحمقِ[٤]

«إنَّ اللهَ عليمٌ» بأحوالكم «حكيمٌ» لا يُعطي ولا يَمنع إلَّا عن حكمة، وقال ابنُ عباس: «عليم» بما يُصلِحكم «حكيم» فيما حكم في المشركين[٥].

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ نزلت حين أَمَرَ الرسولُ ﷺ بغَزْوِ الروم، وغَزَا بَعْدَ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٧، والثعلبي ٣/ ١٨٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٧-١٥٨، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ٤٠٠-٤٠٢.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١٦١.
(٤) ديوان الشافعي (إعداد محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر) ص١٠٦، والحِجا: العقل.
(٥) زاد المسير ٣/ ٤١٨.

نزولِها تبوكَ[١]. وقيل: نزلت في قريظة والنَّضِير، فصالحهم، وكانت أولَ جِزْيَةٍ أصابها المسلمون، وأوّلَ ذُلٍّ أصابَ أهلَ الكتاب بأيدي المسلمين[٢]. نفى الإيمانَ بالله عنهم؛ لأنَّ سبيلَهم سبيلُ مَن لا يؤمن بالله، إذ يَصفونَه بما لا يَليق أن يُوصَف[٣] به، قاله الكرمانيُّ.

وقال الزجَّاج[٤]: لأنَّهم جَعَلوا له ولداً، وبَدَّلوا كتابَهم، وحَرَّموا ما لم يُحَرِّم، وحَلَّلُوا ما لم يُحَلِّل.

وقال ابنُ عطيَّة: لأنَّهم تَرَكوا شرائعَ الإسلام الذي يجبُ عليهم الدخول فيه، فصار جميعُ ما لَهم في البعث وفي الله مِن تخيُّلات واعتقادات لا معنى لها، إذ تَلَقَّوها مِن غير طريقها، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمةً؛ لأنَّهم شَبَّهُوا، وقالوا: عُزَيْرٌ ابنُ الله، وثالثُ ثلاثة، وغير ذلك، ولهم أيضاً في البعث آراءٌ كشراء[٥] منازلِ الجنَّةِ مِن الرُّهبان، وقولِ اليهود في النَّار: نكونُ فيها أياماً. انتهى.

وفي «الغنيان»: نَفَى عنهم الإيمانَ؛ لأنَّهم مُجسِّمة، والمُؤمن لا يُجَسِّم. انتهى.

والمنقول عن اليهود والنصارى إنكارُ البعث الجسمانيّ، فكأنَّهم يَعتقدون البعثَ الرَّوحانيَّ.

«ما حرَّم اللهُ» في كتابه، «ورسولُه» في السُّنَّة، وقيل: في التوراة والإنجيل؛ لأنَّهم أباحوا أشياءَ حرَّمَتْها التوراة والإنجيل، والرسول على هذا موسى وعيسى عليهما السلام، وعلى القول الأوَّل محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: «ولا يُحرِّمون» الخمرَ والخنزير، وقيل: «ولا يُحرِّمون» الكذبَ على الله، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وقيل: «ما حرَّم اللهُ» مِن الرِّبَا وأموالِ الأُمِّيِّين.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٤ وعزاه لمجاهد، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٤٠٧، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وتفسير البغوي ٢/ ٢٨٢.
(٢) تفسير البغوي ٢/ ٢٨٢ وعزاه للكلبيّ.
(٣) هنا تنتهي النسخة البريطانية (ب).
(٤) معاني القرآن له ٢/ ٤٤١، وينظر زاد المسير ٣/ ٤١٩.
(٥) الذي في النسخ: آراء كثيرة في. والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ٢١، وهو الصواب.

والظاهرُ عمومُ ما حَرَّم اللهُ ورسولُه في التوراة والإنجيل والقرآن.

«ولا يدينون دِيْنَ الحَقِّ» أي: لا يعتقدون دينَ الإسلام الذي هو دينُ الحقِّ، وما سواه باطل، وقيل: «دِين الحقّ» دينُ الله، و«الحقّ هنا» هو الله، قاله قتادة[١]. يُقال: فلانٌ يَدِيْنُ بكذا، أي: يتَّخذه دِيْناً ويَعتقِدُه. وقال أبو عبيدة: معناهُ: ولا يطيعونَ طاعةَ أهلِ الإسلام، وكلُّ مَن كان في سُلطانِ مَلِك فهو على دِيْنِه، وقد دانَ له وخَضَع، قال زهير:

لَئِنْ حَلَلْتَ بجوٍّ في بني أسدٍ ... في دِيْنِ عمرٍو وحالَت بيننا فَدَكُ[٢]

«من الذين أوتوا الكتاب» بيانٌ لقوله: «الذين»، والظاهر اختصاصُ أَخْذِ الجزية مِن أهلِ الكتاب، وهم بنو إسرائيل والروم نصًّا، وأَجمعَ الناسُ على ذلك، وأمَّا المجوسُ، فقال ابنُ المنذرِ: لا أعلم خلافاً في أنَّ الجزيةَ تُؤخَذ منهم[٣]. انتهى. ورُوِيَ أنَّه كان بُعثَ في المجوس نَبِيٌّ اسمُه: زَرَادَشْت.

واختلفَ أصحابُ مالكٍ في مَجُوس العَرَب.

وأمَّا السَّامِرة والصابئة، فالجمهور على أنَّهم مِن اليهود والنصارى تُؤخَذ منهم الجِزية وتُؤكَل ذبيحتهم، وقالت فرقة: لا تُؤخَذ منهم جزيةٌ، ولا تُؤكَل ذبائحهُم، وقيل: تُؤخَذ منهم الجزية ولا تُؤكَل ذبائحهم.

وقال الأوزاعيُّ: تُؤخَذ مِن كلِّ عابدِ وثنٍ أو نارٍ أو جاحدٍ مُكذِّب.

وقال أبو حنيفة: لا يُقبَل مِن مشركي العرب إلَّا الإسلام أو السيف، وتُقبَل مِن أهلِ الكتاب ومِن سائرِ كفَّار العَجَم الجزيةُ.

وقال مالك: تُؤخَذ مِن عابدِ النارِ والوَثَنِ وغيرِ ذلك كائناً مَن كان؛ مِن عربيٍّ تَغْلِبيٍّ أو قُرَشيٍّ أو عَجَميٍّ إلَّا المُرتَدّ. وقال الشافعيُّ وأحمد وأبو ثور: لا تُقبَل إلَّا مِن اليهود والنصارى والمجوس فقط.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٤، وزاد المسير ٣/ ٤١٩، وتفسير البغوي ٢/ ٢٨٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٤، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٢٠، والبيت في شرح ديوان زهير ص١٨٣، و: جوّ: وادٍ، وفَدَك: أرض بالحجاز بينها وبين المدينة يومان.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٤، وكلام ابن المنذر في كتابه الإقناع ٢/ ٤٧٠-٤٧١.

والظاهرُ شمُولُ جميعِ أهلِ الكتاب في إعطاء الجزية، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعيُّ: لا تُؤخَذ إلَّا مِن الرجال البالغين الأحرار العقلاء، ولا تُضرَبُ على رُهبان الدِّيارات والصوامع المنقطِعين. وقال مالك في «الواضحة»: إن كانت قد ضُربت عليهم ثم انقطعوا، لم تسقط وتُضرَب على رُهبان الكنائس، واختُلف في الشيخ الفاني(١).

ولم تتعرَّض الآيةُ لمقدارِ ما على كلِّ رأسٍ ولا لوقتِ إعطائها؛ فأمَّا مقدارُها، فذهب مالك وكثيرٌ مِن أهلِ العلم إلى ما فرضه عمر أربعةُ دنانيرَ على أهلِ الذَّهَب، وأربعون درهماً على أهل الفِضَّة، وفرض عُمَرُ ضيافةً وأرزاقاً وكسوة. وقال الثوريُّ: رُوِيَت عن عمر ضرائبُ مختلفة. وأظنُّ ذلك بحسَب اجتهادِه في عُسْرهم ويُسْرهم(٢).

وقال الشافعيُّ وغيره: على كلِّ رأسٍ دينارٌ، وقال أبو حنيفة: على الفقير المُكتسِب اثنا عَشَر درهماً، وعلى المتوسِّط في الغِنَى ضِعْفها، وعلى المُكثِر ضعفُ الضِّعْف ثمانيةٌ وأربعون درهماً، ولا يُؤخذ عنده مِن فقيرٍ لا كَسْبَ له(٣). قال ابنُ عطيَّة: وهذا كلُّه في الفترة، وأمَّا الصُّلح، فهو ما صُولحوا عليه مِن قليلٍ أو كثير(٤).

وأمَّا وقتها؛ فعند أبي حنيفة أوَّل كلِّ سَنَة، وعند الشافعيِّ آخِر السَّنَة.

وسُمِّيت جزيةً؛ مِن جَزَى يَجْزِي: إذا كافَأ عمَّا أُسْدِيَ إليه، فكأنَّهم أعْطَوها جزاءَ ما مُنحوا مِن الأَمْن، وهي كالقِعدة والجِلْسة، ومِن هذا المعنى قولُ الشاعر:

يَجْزِيكَ أو يُثْني عليكَ وإنَّ مَن ... أثنى عليكَ بما فعلتَ فَقَدْ جَزَى(٥)

---

(١) تنظر المصادر السالفة الذِّكر، والاستذكار ٩/ ٢٩٤، والتمهيد ٢/ ١١٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٠٩-٩١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٥-١٦٥، وخبر عمر أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٧٩، وقول الثوري في التمهيد ٢/ ١٣٠.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٢-٢٣، والكشاف ٢/ ١٨٥، وينظر أيضاً تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٥-١٦٦، ومختصر اختلاف العلماء للجصَّاص الرازي ٣/ ٤٨٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣، وورد في مطبوعه: العنوة، بدل: الفترة.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٩، والبيت نسبه ابنُ عبد ربّه في العقد الفريد ٥/ ٢٧٥ لزهير بن جناب، وهو في الأغاني ٣/ ١١٧، وسمط اللآلي ١/ ٢٠٦؛

وقيل: لأنَّها طائفة ممَّا على أهل الذِّمَّة أن يُجْزُوه، أي: يقضُوه عن يَدٍ.

قال ابنُ عبَّاس: يُعطونها بأيديهم ولا يُرْسِلون بها. وقال عثمان[١]: يُعطُونها نقداً لا نَسِيْئَةً. وقال قتادة: يُعطونها وأيديهم تحتَ يَدِ الآخِذِ. فالمعنى أنَّهم مستعلًى عليهم، وقيل: عن اعترافٍ، وقيل: عن قوَّةٍ منكم وقَهْرٍ، وذُلٌّ منهم ونفاذِ أَمْرٍ فيهم، كما تقول: اليَدُ في هذا لفلانٍ، أي: الأَمْرُ له[٢]. وقيل: عن إنعامٍ عليهم بذلك؛ لأنَّ قَبولها منهم عِوَضاً عن أرواحهم إنعامٌ عليهم، مِن قولهم: له علَيَّ يَدٌ، أي: نعمةٌ.

وقال القتبيُّ: يقال: أعطاه عن يَدٍ، وعن ظَهْرِ يَدٍ: إذا أَعطاه مُبْتَدِئاً غيرَ مُكافِئٍ[٣].

وقيل: «عن يد» عن جماعة، أي: لا يعفى عن ذي فَضْل منهم لفَضْله.

واليَدُ: جماعةُ القوم، يقال: القومُ على يَدٍ واحدة، أي: هم مجتمعون. وقيل: «عن يَدٍ» أي: عن غنًى وقدرة، فلا تُؤخَذ مِن الفقير.

ولخَّصَ الزمخشريُّ في ذلك، فقال: إمَّا أن يُريد يَدَ الآخِذ، فمعناه حتى تَعْلُوها عن يدٍ قاهرةٍ مُسْتولية، أو عن إنعام عليهم؛ لأنَّ قَبولَ الجزية منهم وتَرْكَ أرواحهم لهم نعمةٌ عظيمة عليهم، وإمَّا أن يُريد يَدَ المعطي، فالمعنى عن يدٍ مواتِيَةٍ غيرِ مُمتنِعةٍ؛ لأنَّ مَن أَبَى وامتنَعَ لم يُعْطِ يَدَهُ، بخلاف المطيع المنقاد، ولذلك قالوا: أعطى بيدِه: إذا انقادَ وأصحبَ، ألَا تَرى إلى قولهم: نَزَع يدَه عن الطاعة.

أو «عن يدٍ»: إلى يدٍ، أي: نقداً غيرَ نَسِيْئَةٍ، أو: لا مَبْعُوثاً على يدِ آخَرَ، ولكن عن يدِ المعطي إلى يَدِ الآخِذِ[٤].

= وخزانة الأدب ٣/ ٣٩٣، وحماسة البحتري ص٣٩٨ لورقة بن نوفل، ونسبه هشام بن عروة كما في الأغاني ٣/ ١١٧ لغَرِيض اليهودي.

(١) يعني: ابن مقسم، وقوله في زاد المسير ٣/ ٤٢٠، وينظر قول ابن عباس في تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٥، والبغوي ٢/ ٢٨٢، والطبري ١١/ ٤٠٨ وقال إثره: فيه نظر.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٤٢.

(٣) غريب القرآن له ص١٨٤، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٥، وزاد المسير ٣/ ٤٢٠.

(٤) الكشاف ٢/ ١٨٤.

«وهم صاغرون» جملة حاليَّة، أي: ذليلون حقيرون، وذَكَروا كيفيَّاتٍ في أَخْذِها منهم، وفي صَغَارِهم، لم تتعرَّض لتعيينِ شيءٍ منها الآيةُ؛ قال ابنُ عباس: يَمشُون بها مُلَبَّبين[١]. وقال سلمان الفارسيُّ: لا يُحمَدون على إعطائهم. وقال عكرمة: يكون قائماً والآخِذُ جالساً[٢].

وقال الكلبيُّ: يُقال له عند دَفْعِها: أدِّ الجزيةَ، ويُصَكُّ في قَفَاهُ. وحكى البغويُّ: يُؤخَذ بِلحْيته ويُضرَب في لِهْزِمَتِه[٣].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بيَّن تعالى لحاقَ اليهود والنصارى بأهلِ الشِّرْك وإن اختلفت طُرُق الشِّرك، فلا فَرْقَ بين مَن يَعبُد الصَّنَمَ وبين مَن يَعبُد المسيحَ وغيرَه؛ لأنَّ الشِّرْكَ هو أن يتَّخذَ مع اللهِ معبوداً، بل عابدُ الوَثَن أخفُّ كفراً مِن النَّصْرانيِّ؛ لأنَّه لا يَعتقد أنَّ الوَثَن خالِقُ العالَم، والنَّصْرانيّ يقول بالحُلول والاتِّحاد.

وقائل ذلك قومٌ مِن اليهود كانوا بالمدينة، قال ابنُ عباس: قالها أربعةٌ مِن أَحبارهم: سَلَّام بن مِشْكَم، ونعمان بنُ أوفى، وشَأْس بنُ قيس، ومالك بنُ الصَّيْف، وقيل: قاله فِنْحَاص، وقال النَّقَّاش: لم يَبْقَ يهوديٌّ يقولها بلِ انْقَرَضُوا[٤].

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤٢١، والقولان الآخران منه، وقول ابن عباس في معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٩٨، ووردت في مطبوعه هكذا: مُلبِّينَ. ولَبَّبْتُهُ تلبيباً: أخذتُ من ثيابه ما يقع على موضع اللَّبَب؛ وهو المَنْحَر كاللَّبَّة وموضعُ القِلادة من الصَّدْر. المصباح المنير والقاموس المحيط (لبب). والقول أورده الثعلبي في التفسير ٣/ ١٨٥ هكذا: يتلتلون بها تلتلة. ومعنى تَلْتَله: زعزعه وأقلقه وزلزله. المختار (تلل)، وأورده أيضاً البغوي في التفسير ٢/ ٢٨٢ هكذا: تُؤخذ منه ويُوطأ عنقه.

(٢) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٤٠٨.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ٢٨٢، وقول الكلبي السالف منه، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٥-١٨٦، واللِّهْزِمتان: عظمان ناتئان في اللَّحْيَيْن تحت الأذنين، الواحد: لِهْزِمة، والجمع: اللَّهازِم. الصحاح (لهزم).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٢-١٧٣، والخبر في سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٠، وتفسير الطبري ١١/ ٤٠٨-٤٠٩، والثعلبي ٣/ ١٨٦.

وتُذَمُّ الطائفةُ أو تُمدَح بصدور ما يُناسب ذلك مِن بعضهم.

قيل: والدليل على أنَّ هذا القولَ كان فيهم؛ أنَّ الآيةَ تُليت عليهم فما أنكروا ولا كذَّبوا مع تَهَالُكِهم على التكذيب.

وسبب هذا القول أنَّ اليهودَ قَتَلوا الأنبياءَ بعد موسى عليه السلام، فرَفَع اللهُ عنهم التوراةَ ومَحَاها مِن قلوبهم، فخرج عُزَيْرٌ وهو غلامٌ يَسِيْح في الأرض، فأتاه جبريلُ عليه السلام فقال له: إلى أينَ تذهب؟ قال: أطلبُ العلمَ. فحفَّظه التوراةَ، فأملاها عليهم عن ظَهْر لسانه لا يَخْرِمُ حرفاً، فقالوا: ما جَمَعَ اللهُ تعالى التوراةَ في صَدْرِه وهو غلامٌ إلَّا أنَّه ابنُه[1]. ونَقَلوا حكاياتٍ في ذلك.

وظاهرُ قولِ النَّصارى: «المسيحُ ابنُ الله» بُنُوَّة النَّسْل، كما قالت العرب في الملائكة، وكذا يقتضي قولُ الضَّحَّاك والطبريِّ وغيرِهما عنهم أنَّ المسيحَ إلهٌ وأنَّه ابْنُ الإله[2]، ويقال: إنَّ بعضَهم يَعتقدها بُنُوَّةَ حُنُوٍّ ورحمة، وهذا القول لم يَظهر إلَّا بعد النُّبُوَّة المحمديَّة وظهورِ دلائلِ صِدْقها، وبعد أنْ خَالطوا المسلمينَ وناظروهم، فرَجَعوا عمَّا كانوا يَعتقدونه في عيسى عليه السلام.

وقرأ عاصم والكسائيُّ: «عُزَيْرٌ» منوَّناً؛ على أنَّه عربيٌّ، وباقي السبعة بغير تنوينٍ ممنوعَ الصَّرْف[3]؛ للعُجْمة والعَلَميَّة، كـ: عازَر وعَيْزَار وعِزْرَائِيل[4]، وعلى كلتا القراءتين فـ «ابن» خبرٌ.

وقال أبو عبيد: هو أعجميٌّ خفيف فانصرف، كـ: نُوح ولُوط وهُود[5]. قيل: وليس قولُه بمستقيم؛ لأنَّه على أربعةِ أحرف وليس بمصغَّر، إنَّما هو اسمٌ أعجميٌّ

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٣، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٤١٠-٤١١ عن السدي مطوَّلاً.

(٢) بعدها في (ح): تعالى اللهُ وعزَّ وجَلَّ. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣، والقراءة في السبعة ص٣١٣، والتيسير ص١١٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٧٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٨٥، وعازَر كهَاجَر: الذي أحياه عيسى عليه السلام. القاموس (عزر).

(٥) ينظر الدر المصون ٦/ ٣٨، وروح المعاني ١٠/ ٢٩٢.

جاء على هيئة المُصَغَّر كسليمان جاء على هيئة عثمان[١]، وليس بمصغَّر.

ومَن زعم أنَّ التنوينَ حُذف مِن «عُزَير» لالتقاء الساكنين، كقراءة: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ» وقولِ الشاعر:

إذا غُطَيْفُ السُّلَمِيُّ فَرَّا[٢]

أو: لأنَّ ابناً صفةٌ لـ «عُزير» وَقَع بين عَلَمين فحُذف تنوينه، والخبر محذوف، أي: إلهنا، أو: مَعبودُنا = فقولُه مُتَمَحَّل؛ لأنَّ الذي أنكر عليهم إنَّما هو نسبة البُنُوَّة إلى الله تعالى.

ومعنى «بأفواههم» أنَّه قولٌ لا يَعْضُده برهانٌ، فما هو إلَّا لفظٌ فارغ يَفوهُون به كالألفاظ المهملة التي هي أجراسٌ ونَغَم لا تدلُّ على معانٍ، وذلك أنَّ القولَ الدَّالَّ على معنًى لفظُه مَقُولٌ بالفم ومَعناهُ مُؤثِّر في القلب، وما لا معنى له مقولٌ بالفَمِ لا غير.

وقيل: معنى «بأفواههم» إلزامُهم المقالةَ والتأكيد، كما قال: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]، ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ولا بُدَّ مِن حذف مضاف في قوله: «يُضاهون»[٣] أي: يُضاهي قولُهم.

و«الذين كفروا» قدماؤهم، فهو كفرٌ قديم فيهم، أو المشركون القائلونَ: الملائكةُ بناتُ الله. وهو قولُ الضَّحَّاك، أو الضمير عائد على النصارى، و«الذين كفروا» اليهود، أي: يُضاهي قولُ النصارى في دعواهم بُنُوَّةَ عيسى قولَ اليهود في دَعْواهم بُنُوَّةَ عُزَير، واليهود أَقْدَمُ مِن النصارى، وهو قول قتادة[٤].

(١) كذا في النسخ، والذي في الدر المصون ٦/ ٣٨: كسليمان جاء على مثال: عثيمان وعُبَيْدان.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٣-٢٤، والكشاف ٢/ ١٨٥، وتفسير الطبري ١١/ ٤١٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٠، والقراءة السالفة ذكرها ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٨٢ ونسبها لنصر بن عاصم، والرجز في النوادر لأبي زيد ص٩١، وضرائر الشعر لابن عصفور ص١٠٦، والإنصاف ٢/ ٦٦٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٣١، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٦٢، واللسان (دعس) دون نسبة.
(٣) الكشاف ٢/ ١٨٥، وهي قراءة الجمهور عدا عاصم، وستأتي قريباً.
(٤) المصدر السابق، وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٩-١٩٠، والبغوي ٢/ ٢٨٥، والنكت =

وقرأ عاصم وابنُ مُصَرِّف: «يُضاهِئُون» بالهمز، وباقي السبعة بغير همز[(١)].

«قاتلهم اللهُ أنَّى يُؤفَكون» دعاءٌ عليهم عامٌّ لأنواع الشَّرِّ، ومَن قاتَلَه اللهُ فهو المقتول، وقال ابنُ عبَّاس: معناه: لَعَنَهم اللهُ[(٢)]. وقال أبان بنُ تَغْلِب:

قَاتَلَها اللهُ تَلْحاني وقد عَلِمَتْ أَنِّي لنَفْسِيَ إفسادي وإصلاحي[(٣)]

وقال قتادة: قَتَلهم. وذكر ابنُ الأنباريّ: عاداهم[(٤)]. وقال النَّقَّاش: أصل «قَاتل» الدعاءُ، ثم كَثُرَ استعمالهم حتى قالوه على جهة التعجُّب في الخير والشَّرِّ، وهم لا يُريدون الدعاءَ. وأنشد الأصمعيُّ:

يا قاتَلَ اللهُ ليلَى كيف تُعجِبني وأُخْبِرُ الناسَ أنِّي لا أُباليها[(٥)]

وليس مِن باب المُفاعلة، بل مِن باب: طارقتُ النعلَ، وعاقبتُ اللِّصَّ.

«أنَّى يُؤفكون»: كيف يُصْرَفون عن الحقِّ بعد وضوح الدليل على سبيل التعجُّب.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ تَعدَّت اتَّخذَ هنا لمفعولين، والضمير عائدٌ على اليهود والنصارى، قال حُذيفة: لم يَعبدوهم لَكِنْ أحلُّوا لهم الحرام فأَحلُّوه، وحرَّموا عليهم الحلالَ فحرَّموه[(٦)]. وقد

= والعيون ٢/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥، وزاد المسير ٣/ ٤٢٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ١١/ ٤١٤.

(١) السبعة ص٣١٤، والتيسير ص١١٨، والنشر ٢/ ٢٧٩.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٤١٥، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦، والبيت لم نقف عليه عن أبان بن تغلب، وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص٥٢، وكذا نسبه الماورديُّ في النكت والعيون ٢/ ٣٥٣-٣٥٤، ونسبه ابن ميمون في منتهى الطلب من أشعار العرب ٢/ ٢١٩ لأوس بن حجر. وتَلْحاني: تلومني. اللسان (لحا).

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٢٥.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦، والبيت نسبه صاحبا الأشباه والنظائر من أشعار المتقدِّمين والجاهلية والمخضرمين ص٧٤ لابن الدُّمَيْنَة، وفيه: سلمى، بدل: ليلى. والبيت في ديوان ابن الدُّمينة (القسم الثالث: روايات أُخَر لقصائد ممَّا سبق) ص١٧٢ نقلاً عن الأشباه والنظائر.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٧، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٠١، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢، والطبري ١١/ ٤١٨-٤٢٠.

جاء هذا مرفوعاً في «الترمذيّ» إلى الرَّسول ﷺ مِن حديث عَدِيٍّ بنِ حاتم[١].

وقيل: كانوا يَسجدون لهم كما يَسجدون لله، والسجود لا يكون إلَّا لله، فأطلقَ عليهم ذلك مجازاً.

وقيل: عَلِمَ سبحانَه أنَّهم يَعتقدون الحلولَ، وأنَّه سبحانه تَجلَّى في بواطنهم، فيَسجدون له معتقدينَ أنَّه الله الذي حَلَّ فيهم، وتَجَلَّى في سَرائرهم، فهؤلاء اتَّخذوهم أرباباً حقيقةً، ومَذْهَبُ الحلولِ فَشَا في هذه الأمَّة كثيراً، وقالوا بالاتِّحاد، وأكثر ما فَشَا في مشايخ الصوفيَّة والفقراء في وقتِناهذا، وقد رأيتُ منهم جماعةً يزعمون أنَّهم أكابر.

وحكى أبو عبد الله الرازيُّ أنَّه كان فاشِياً في زمانه، حكاهُ في تفسيره عن بعض المَرْوَزيِّين[٢] كان يقول لأصحابه: أنتم عبيدي. وإذا خَلَا ببعض الحمقى مِن أتْباعه ادَّعَى الإلهيَّة، وإذا كان هذا مشاهَداً في هذه الأمَّة، فكيف يَبْعُد ثبوتُه في الأُمم السالفة. انتهى. وهو منقولٌ مِن كتاب «التحرير والتحبير».

وقد صنَّف شيخُنا المحدِّث المتصوِّف قطبُ الدِّيْن أبو بكر محمد بنُ أحمد بن القَسْطَلَّانيّ[٣] كتاباً في هذه الطائفة[٤]، فذَكَر فيهم الحسينَ بنَ منصور الحَلَّاج، وأبا عبد الله الشَّوْذِي كان بتلمسان[٥]، وإبراهيمَ بنَ يوسف بنِ محمد بنِ دهاق، عُرِفَ بابن المَرْأة[٦]، وأبا عبد الله بنَ أَحْلَى المتأمِّر بلَوْرقَة، وأبا عبد الله بنَ العربيّ

(١) سنن الترمذي (٣٠٩٥)، وقال إثره: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغُطَيْف بن أعْيَن ـ من رجال الإسناد ـ ليس بمعروف في الحديث.

(٢) كذا في النُّسخ، والذي في مطبوع تفسير الرازي ١٦/ ٣٧: المزوِّرين.

(٣) القَيْسي التَّوْزَري ـ نسبة إلى توزر مدينة في أقصى أفريقية ـ الفقيه المحدِّث، الأديب الصوفي العابد، سمع من شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي ومن أصحاب السِّلَفي، وَلِيَ مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، له: المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع، ومختصر في الأسماء المبهمة في الحديث، وغيرهما، توفي سنة (٦٨٦هـ). طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٤٣-٤٤، والعقد الثمين للفاسي ١/ ٣٢١-٣٣٠.

(٤) جاء في هامش (ح) ما نصه: سمَّاه: دلالة الاغتباط في الارتباط، رأيته وهو كتاب جليل.

(٥) سلفت ترجمتهما في سورة المائدة، عند تفسير الآية (١٧).

(٦) أبو إسحاق الأوسي المالقي، الفقيه الحافظ المتكلِّم، روى الموطأ عن ابن حنين، وصنَّف

الطَّائيّ[١]، وعمر بنَ عليّ بن الفَارِض، وعبدَ الحقِّ بنَ سَبْعِيْن، وأبا الحَسَن الشُشْتريَّ مِن أصحابه، وابنَ مُطَرِّف الأعمى مِن أصحاب ابنِ أَحْلَى[٢]، والصُّفَيْفير[٣] مِن أصحابه أيضاً، والعَفِيْف التِّلمسانيّ[٤]، وذَكَر في كتابه مِن أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدلُّ على هذا المذهب، وقَتلَ السلطانُ أبو عبد الله بنُ الأحمر مَلِكُ الأندلس الصُّفَيْفير بغرناطة وأَنَا بها[٥]، وقد رأيتُ العَفِيفَ الكوفيَّ وأنشدني مِن شعره، وكان يتكتَّم منِّي هذا المذهب، وكان أبو عبد الله الإيكي[٦] شيخ خانكاه سعيد السعداء مخالطاً له خلْطةً كثيرةً، وكان متَّهماً بهذا المذهب، وخرج التّلمسانيُّ مِن القاهرة هارباً إلى الشامِ من القَتْل على الزَّنْدَقة.

وأمَّا ملوكُ العُبَيْدِيِّين[٧] بالمغرب ومصر فإنَّ أتباعهم يَعتقدون فيهم الإلهيَّة، وأوَّلُهُم: عُبيد الله المتلقِّب بالمَهْدِي[٨]، وآخِرهم عبد الله[٩] المتلقِّب بالعَاضِد.

= كتاباً في الإجماع، وشرح الإرشاد للإمام الجويني، توفي سنة إحدى عشرة وستّ مئة للهجرة. الوافي بالوفيات ٦/ ١٧١-١٧٢، والديباج المذهب ١/ ٢٧٣-٢٧٤.

(١) بعدها في (ح): صاحب فصوص الحكم.

(٢) سِتَّتُهم سلفت ترجمتهم في سورة المائدة، عند تفسير الآية (١٧).

(٣) في (ح): والصُّفَيْفَر. ولم نقف على ترجمته.

(٤) سلفت ترجمته في الموضع المشار إليه آنفاً.

(٥) في (ح): وكنتُ إذ ذاك بها.

(٦) سلفت ترجمته أيضاً.

(٧) رسمت في (ز١) هكذا: العُيدبن، وفي (يه) هكذا: العبَيْدين.

(٨) الذي ادَّعى أنَّه فاطميٌّ من ذرية جعفر الصادق، فقال: أنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقال: أنا عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل: لم يكن اسمه: عُبيد الله، بل إنما هو: سعيد بن أحمد، وقيل: سعيد بن الحسن. وهو أوَّل من قام من الخلفاء الخوارج العُبَيْديَّة الباطنيَّة الذين قَلَبوا الإسلام، وأعلنوا الرفض، وقيل: كان أبوه يهوديًا، ففي نَسَبه أقوال، حاصلها أنَّه ليس بهاشميٍّ ولا فاطميٍّ. وكان موته سنة (٣٢٢هـ)، وكانت دولته خمساً وعشرين سنة وأشهراً. وقيل: إنَّه تملَّك المغرب، فلم يكن يُفْصِح بهذا المذهب إلَّا للخَواصِّ، فلمَّا تمكَّن أكثر القَتْل جدًّا، وسبى الحريمَ، وطمع في أَخْذِ مصر. الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٤، والروضتين لأبي شامة ٢/ ٢١٤ وما بعدها، والسير للذهبي ١٥/ ١٤١-١٥١.

(٩) في النسخ: سليمان، وهو تحريف، والمثبت هو الصواب، وهو: العاضد لدين الله =

والأحْبار: علماءُ اليهود، والرُّهبان: عُبَّاد النَّصارى، الذين زَهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخَلْق في الصَّوَامِع، أخبر عن المجموع، وعادَ كلٌّ إلى ما يناسِبُه، أي: اتَّخذ اليهودُ أحبارَهم، والنصارى رهبانَهم، «والمسيح ابنَ مريم» عطف على «رُهبانهم».

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ الظاهر أنَّ الضميرَ عائدٌ على مَن عاد عليه في «اتَّخذوا» أي: أُمِروا في التوراة والإنجيل على ألسنة أنبيائهم. وقيل: في القرآن على لسانِ رسولِ الله ﷺ. وقيل: في الكتب الثلاثة. وقيل: في الكتب المُنزلة، وعلى لسان جميعِ الأنبياء.

وقال الزمخشريُّ: أَمَرَتْهم بذلك أدلَّةُ العقل والنصوصُ في الإنجيل والمسيحُ عليه السلام أنَّه مَن يُشْرِك بالله فقد حرَّم اللهُ عليه الجنَّة[1].

وقيل: الضمير عائد على الأحبار والرُّهبان المتَّخذين أرباباً، أي: وما أُمرَ هؤلاء إلَّا ليَعبدوا اللهَ ويُوحِّدوه، فكيف يصحُّ أن يكونوا أرباباً وهم مأمورونَ مُسْتَعْبَدون، وفي قوله: «عمَّا يشركون» دلالةٌ على إطلاق اسمِ الشِّرْك على اليهود والنَّصارى.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ مَثَّلهم ومثَّلَ حالَهم في طلبهم أن يُبطلوا نُبوَّةَ محمدٍ ﷺ بالتَّكذيبِ بحالِ مَن يُريد أن يَنفُخَ في نورٍ عظيم مُنْبَثٍّ في الآفاق، و«نورُ الله» هُداه الصادرُ عن

= أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن عبد المجيد العُبيدي الحاكمي المصري، خاتَم الدولة العُبيدِيَّة، تملَّك واحتكر الغلَّات، وقتل عدَّة أُمراء، وأضْعف أحوال الدولة بقَتْل ذوي الرأي والبأس، ثم تلاشى أَمْرُه مع صلاح الدين إلى أن خَلَعه، وخطب لبني العبَّاس، واستأصل شَأفة بني عبيد، ومَحَق دولة الرفض، وكانوا أربعةَ عَشَر متخلِّفاً لا خليفة، والعاضد في اللغة: القاطع، فكان هذا عاضداً لدولة أهل بيته، قال أبو شامة: كان منهم ثلاثة بإفريقية: المهديّ، والقائم، والمنصور، وأحَد عَشَر بمصر، آخِرهم العاضد. الروضتين لأبي شامة ٢/ ٢١٥ وما بعدها، والسير ١٥/ ٢٠٧-٢١٥، مع الإشارة إلى أنَّ الذهبيَّ - رحمه الله تعالى - سَرَدَ هؤلاء الملوك العُبيديَّة في كتاب السير ١٥/ ١٤١-٢١٥ على التوالي، وقال: ليتأمله الناظِرُ مُجتَمِعاً.

(١) الكشاف ٢/ ١٨٦.

القرآنِ والشَّرع المُنْبثّ، فمِن حيث سمَّاه نوراً سمَّى محالةَ إفسادِه إطفاءً.

وقالت فرقة: النورُ القرآنُ، وكنى بالأفواه عن قلَّة حِيْلتهم وضَعْفِها، أَخْبَر أنَّهم يُحاولون أمراً جسيماً بسَعْي ضعيفٍ، فكان الإطفاء بنفخ الأفواه.

ويحتمل أن يُراد بأقوالٍ لا بُرهان عليها، فهي لا تتجاوز الأفواهَ إلى فَهْم سامعٍ، وناسب ذِكْر الإطفاء الأفواه.

وقيل: إنَّ الله لم يَذكُر قولاً مقروناً بالأفواه والألْسُن إلَّا وهو زُوْرٌ، ومَجِيْءُ «إلّا» بعد «ويَأْبَى» يدلُّ على مستثنًى منه محذوف؛ لأنَّه فِعْلٌ مُوجِبٌ، والمُوجِب لا تَدخُل معه «إلّا»، لا تقول: كرهتُ إلَّا زيداً، وتقدير المستثنى منه «ويأبى الله» كلَّ شيء «إلَّا أنْ يُتِمَّ»، قاله الزجَّاج[1].

وقال عليُّ بنُ سليمان: جاز هذا في أبَى؛ لأنَّها مَنْعٌ أو امتناعٌ، فضارعت النَّفْيَ[2].

وقال الكِرْمانيُّ: معنى: «يأبى» هنا: لا يَرضى «إلَّا أنْ يتمَّ نورَه» بدوام دينه إلى أنْ تقومَ الساعة.

وقال الفرَّاء[3]: دخلَت «إلَّا» لأنَّ في الكلام طَرَفاً من الجحد.

وقال الزمخشريُّ: أُجريَ أَبَى مُجرى: لم يُرِد، أَلَا تَرى كيف قُوبل «يريدون أن يُطفِئوا» بقوله: «ويَأْبَى الله»، وكيف أُوقعَ موقعَ: ولا يريد اللهُ إلَّا أن يتمَّ نورَه[4].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هو محمَّدٌ ﷺ، والهُدَى: التوحيد، أو القرآن، أو بيانُ الفرائض، أقوالٌ ثلاثة، و«دين الحقّ» الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «ليُظْهِره» عائدٌ على الرَّسول؛ لأنَّه المُحدَّث عنه،

(١) معاني القرآن له ٢/ ٤٤٤.
(٢) ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢١١، وقال إثرها: وهذا قولٌ حسن. وينظر القرطبي ١٠/ ١٧٩.
(٣) معاني القرآن ١/ ٤٣٣، وينظر القرطبي ١٠/ ١٧٨.
(٤) الكشاف ٢/ ١٨٦.

والدِّينُ هنا جنسٌ، أي: ليُغْلِبَه على أهلِ الأديان كلِّهم، فهو على حَذْف مضافٍ، فهو ﷺ غَلَبت مِلَّتُه اليهود، وأخرجوهم مِن بلاد العرب، وغَلَبوا النصارى على بلاد الشام إلى ناحية الرُّوم والمَغْرب، وغلبوا المجوسَ على مُلْكِهم، وغَلَبوا عُبَّادَ الأصنام على كثيرٍ مِن بلادِهم ممَّا يَلي التُّرْك والهندَ وكذلك سائر الأديان.

وقيل: المعنى: يُطْلِعه على شرائع الدِّين حتى لا يَخفى عليه منه شيء، فالدِّين هنا شَرْعه الذي جاء.

وقال الشافعيُّ: قد أظهر اللهُ رسولَه ﷺ على الأديانِ بأنْ أبان لكلِّ مَن سَمِعَه أنَّه الحقُّ، وما خالفَهُ مِن الأديان باطلٌ[١].

وقيل: الضمير يَعود على «الدِّيْن»؛ فقال أبو هريرة والباقر وجابر بن عبد الله: إظهارُ الدِّيْن عند نزولِ عيسى بنِ مريم ورجوعِ الأديانِ كلِّها إلى دِيْنِ الإسلام[٢]. كأنَّها ذهبت هذه الفرقةُ إلى إظهاره على أتمِّ وجوهِهِ حتى لا يَبقى معه دِيْنٌ آخَرُ.

وقالت فرقة: ليَجعله أعْلَاها وأظْهَرها، وإن كان مَعَهُ غيرُه كان دُونَه، وهذا القولُ لا يَحتاج معه إلى نزولِ عيسى، بل كان هذا في صَدْرِ الأمَّة، وهو كذلك باقٍ إن شاءَ اللهُ تعالى[٣]. وقال السُّدِّيُّ: ذلك عند خروج المَهْديّ لا يَبقى أحدٌ إلَّا دَخَلَ في الإسلام أو أَدَّى الخَراجَ[٤].

وقيل: مخصوص بجزيرة العَرَب، وقد حصل ذلك، ما أبقى فيها أحداً من الكُفَّار. وقيل: مخصوص بقُرْب السَّاعة، فإنَّه إذ ذاك يَرجِعُ الناسُ إلى دِيْن آبائهم. وقيل: «ليُظْهِرَه» بالحُجَّة والبَيَان، وضُعِّفَ هذا القول، لأنَّ ذلك كان حاصلاً أوَّلَ الأمْرِ[٥].

---

(١) الأمّ للشافعي ٤/ ٩٤، وينظر تفسير البغوي ٢/ ٢٨٧.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦، وينظر تفسير البغوي ٢/ ٢٨٦، وزاد المسير ٣/ ٤٣٧-٤٣٨، والقرطبي ١٠/ ١٧٩، وقول أبي هريرة وأبي جعفر الباقر عند الطبري ١١/ ٤٢٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦.
(٤) زاد المسير ٣/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٩، والرازي ١٦/ ٤٠.
(٥) تفسير الرازي ١٦/ ٤٠.

وقيل: نزلت على سببٍ؛ وهو أنَّه كان لقريش رحلتان، رحلة الشِّتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام والعراقَيْن، فلمَّا أسلموا انقطعت الرحلتان؛ لمباينة الدِّيْن والدَّار، فذكروا ذلك للرَّسولِ ﷺ، فنزلت هذه الآية، فالمعنى: «ليُظهِرَه على الدِّين كلِّه» في بلاد الرِّحْلَتين، وقد حصل هذا؛ أسلم أهلُ اليمن وأهلُ الشام والعراقَيْن، وفي حديث: «زُوِيَت لي الأرضُ، فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيَبْلُغ مِلْكُ أمَّتي ما زُوِيَ لِي منها»[1]، قال بعضُ العلماءِ: ولذلك اتَّسع مجالُ الإسلام بالمشرق والمغرب، ولم يتَّسع في الجنوب[2]. انتهى. ولاسيَّما اتِّساعُ الإسلام بالشَّرْق في زماننا فَقَلَّما بقي فيه كافر، بل أسلم معظمُ التُّرك والتَّتار والخِطَا[3]، وكلّ من كان يُناوِئ الإسلامَ، ودخلوا في دين الله أفواجاً، والحمد لله.

وخُصَّ المشركون هنا بالذِّكْر لما كانت كراهة مختصَّةً بظهور دِيْن محمَّد ﷺ، وخُصَّ الكافرون قَبْلُ؛ لأنَّها كراهة إتمامِ نورِ الله في قديم الدَّهْر وباقيه يعمُّ الكفرة مِن لَدُن خَلْقِ الدنيا إلى انقراضها، ووقعت الكراهة والإتمام مِرَاراً كثيرة.

❁ ❁ ❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا
جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥ إِنَّ
عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ
أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ، وهو عند أحمد (١٧١١٥) من حديث شدَّاد بن أوس ﷺ.
(٢) ينظر إكمال المعلم للقاضي عياض ٧/ ٢١٧، والمفهم لأبي العباس القرطبي ٨/ ٤٢٥.
(٣) بلاد الخِطَا: بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر، وهم جنس من التُّرْك، بلادهم في متاخمة بلاد الصين، وقد ذكر في مسالك الأبصار مدينة: قمجوهي، وقال: إنها أوَّل بلاد الخِطا، وإنَّ منها مدينة جالق بالق التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخِطا. صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣-٤٨٤.

يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ
بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا
لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ
ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا
تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ
لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ
بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن
كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ
وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ
يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا
كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا
فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ
كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا

تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ
وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾
لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ
رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ
وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾.

المفردات

أصْلُ الكَنْزِ في اللغة الضَّمُّ والجَمْعُ، ولا يختصُّ بالذَّهب والفضَّة، قال:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطعمتُ جائعَهم قِرْفَ الحَتِيِّ وعندِي البُرُّ مَكْنُوزُ(١)

وقالوا: رجلٌ مُكتنزُ الخَلْق، أي: مُجتَمِعُه، وقال الراجز:

على شديدٍ لحمُه كِنَازِ باتَ يُنَزِّيني على أوْفَازِ(٢)

ثم غلب استعماله في العُرْف على المدفون مِن الذَّهَب والفضَّة.

الكَيُّ معروفٌ، وهو إلزاقُ الحارِّ بعضوٍ مِن البَدَن حتى يتمزقَ الجِلْدُ.

والجبهةُ معروفةٌ، وهي صفحةُ أَعْلَى الوَجْه.

والغَارُ معروفٌ، وهو نَقْرٌ في الجبل يُمكن الاستخفاءُ فيه.

وقال ابنُ فارس: الغارُ: الكَهْفُ(٣)، والغَارُ: نَبْتٌ طيِّب الريح، والغار:

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ١٨١-١٨٢، والبيت للمتنخِّل الهذلي، وهو في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٦٣، والكتاب ٢/ ٨٩، واللسان (كنز)، برواية: إن أطعمت نازلكم، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ٢٧، وفي الدر المصون ٦/ ٤٢ برواية المصنِّف، وقِرْفُ كلِّ شيء: ما قُرِف، يعني قِشْرَه، والذي يُقلع عنه يُؤكل. والحتِيّ: المُقْل، وهو الدَّوْم، وينظر شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/ ٥٥١. ومعنى البيت: أنَّه نَزَل بقوم، فكان قِراهُ عندهم سويق المُقْل ـ وهو الحَتِيُّ ـ فلمَّا نزلوا به قال البيتَ المذكور.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٧، ونقله عن المصنِّف السمينُ في الدر ٦/ ٤٢، وابنُ عادل في اللباب ١٠/ ٧٩، ويُنزِّيني: يَثِبُ بي، والأوفاز، من قول العرب: فلان على أوفاز، أي: عجلة.

(٣) كذا في زاد المسير ٣/ ٤٣٩، والذي في معجم مقاييس اللغة (كهف): الكهف: غارٌ في جبل.

الجماعة، والغاران: البَطْنُ والفَرْجُ[١].

ثَبَطه عن الأمْرِ: أبْطَأ به عنه، وناقةٌ ثبطةٌ، أي: بَطِيْئة السَّيْر[٢]، وأصلُ التَّثْبِيطِ التعويقُ، وهو أن تَحولَ بين الإنسان وبين أمْرٍ يُريده بالتزهيدِ فيه.

الزَّهَقُ: الخروجُ بصعوبة. قال الزجَّاج: بالكسر: خرجت الرُّوح[٣].

وقال الكسائيُّ والمبرِّد: زَهِقَتْ نَفْسُه وزَهَقَتْ لغتان، والزَّهَق: الهَلَاكُ، وزَهَقَ الحَجَر مِن تحت حافِرِ الدَّابَّة: إذا نَدَر[٤]، والزُّهُوق: البُعْدُ، والزَّهُوقُ: البِئْر البعيدةُ المَهْوَاة.

المَلْجأ مَفْعَل، مِن لَجَأ إلى كذا: انحازَ والْتَجأ، أو أَلْجَأْتُه إلى كذا: اضْطَرَرْتُه.

جَمَحَ: نَفَرَ بإسراع، مِن قولهم: فرسٌ جَمُوحٌ، أي: لا يَردُّه اللِّجامُ إذا حملَ، قال:

سَبُوحاً جَمُوحاً وإحضارُها ... كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ المُوقَدِ[٥]

وقال مُهَلْهِل:

وقد جَمَحْتُ جِماحاً في دِمائِهِمُ ... حتى رأيتُ ذَوِي أحسابِهم خَمَدوا[٦]

وقال آخَرُ:

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤٣٩، وقيل: الغاران: فَمُ الإنسان وفرجه. تهذيب اللغة ٨/ ١٨٠ واللسان (غور).
(٢) لم نقف على هذا المعنى فيما بين أيدينا من مصادر، ونقلها عنه السمين في الدر ٦/ ٣٥، وابن عادل في اللباب ١٠/ ١٠٥.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٤ بنحوه.
(٤) الفاخر لأبي طالب المفضَّل بن سلمة ص٢٠٧.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠ ونسبه لأبان بن ثعلب، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٢-٢٤٣ ولم يُنسب، ونُسب لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٨٧، قال شارح الديوان: السَّبُوح: التي تسبح في سيرها. والجَموح: التي تذهب على وجهها من السرعة. والمعمعة هنا: صوت النار في السَّعف. اهـ. وأحضر الفرس: ارتفع في عَدْوِه واشتدَّ. معجم متن اللغة (حضر).
(٦) في (أ) و(ع): أجسامهم حمدوا، وفي (د١): أحسابهم حمدوا، وفي (ح): أجسامهم خمدوا، وفي المطبوع: أجسامهم جمدوا. والمثبت من (ز١) و(به)، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠، والنكت والعيون ٢/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٦.

إذا جَمَحَتْ نِسَاؤكم إليهِ أَشَظَّ كأنَّه مَسَدٌ مُغَارُ[1]

جَمَزَ: قَفَزَ[2]، وقيل: بمعنى: جَمَخَ[3]، قال رؤبة:

قارَبْتُ بين عَنَقي وجَمْزِي[4]

اللَّمْزُ، قال الليث: هو كالغَمْز في الوجه[5]. وقال الجوهريُّ: العَيْبُ، وأَصْلُه الإشارة بالعينِ ونحوِها[6]. وقال الأزهريُّ: أَصْلُ اللَّمْزِ الدَّفْعُ، لَمَزْتُهُ: دَفَعْتُه[7].

الغُرْمُ: أَصْلُه لزومُ ما يَشُقُّ، والغَرَام: العذابُ الشَّاقُّ، وسُمِّيَ العِشْقُ غَرَاماً؛ لكونه شاقاً ولازماً[8].

* * *

التفسير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ لمَّا ذَكَر أنَّهم اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً مِن دون الله ذَكَر ما هو عليه كثيرٌ منهم، تنقيصاً مِن شأنهم وتحقيراً لهم، وأنَّ

(١) البيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص٣٠١، وأَشَظَّ: أَنْعَظَ، أي: قام، فصار كالشظاظ، وهو عُودٌ مقدار شبر يُدخل في عروتي الجوالق، ومَسَدٌ: حَبْلٌ، ومُغار: مفتول.

(٢) ذَكَر المصنِّف هذا المعنى بناءً على قراءة أنس بن مالك والأعمش: «يَجْمِزُون» بدل: «يجمحون» [التوبة: ٥٧]، وهي في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والكشاف ٢/ ١٩٦، وتفسير الرازي ١٦/ ٩٦، قال الزمخشريُّ والرازيُّ إِثْرها: وسئل عنها ـ أي: أنس ـ فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدُّون واحد. وقال ابن عطية: ومعناه: يهربون. وستأتي هذه القراءة عند شرح الآية المذكورة، فلتنظر لزاماً.

(٣) في النسخ عدا (يه): جمح. والمثبت منها، وهو الصواب. ينظر لسان العرب وتاج العروس (جمخ).

(٤) وقبله: فإن تَرَيْني اليومَ أمَّ حَمْزِ، وهو في ديوانه ص٦٤، وفيه: وجَمْزِ، بدل: وجمزي. قال ابن سِيْده في المحكم (جمز): الجَمْزُ: عَدْوٌ دون الحُضْر وفوق العَنَق.

(٥) تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٠ (لمز).

(٦) الصحاح (لمز).

(٧) تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢١ (لمز).

(٨) تفسير الرازي ١٦/ ١١٢.

مِثْلَ هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فَضْلاً عن اتِّخاذهم أرباباً؛ لمَا اشتملوا عليه مِن أكلِ المال بالباطل وصدِّهم عن سبيلِ الله، واندرجوا في عموم الذين يَكنزونَ الذَّهَبَ والفِضَّة، فجمعوا بين الخَصْلتَيْن المذمومَتَيْن؛ أكْلِ المال بالباطل وكَنْزِ المال إذ ضَنُّوا أنْ يُنفِقوها في سبيلِ الله.

وأَكْلُهم المالَ بالباطل هو أخْذُهم مِن أموالِ أتْباعهم ضرائبَ باسم الكنائسِ والبِيَع وغيرِ ذلك ممَّا يُوهمونهم به أنَّ النَّفَقة فيه مِن الشَّرْع والتقرُّب إلى الله وهم يَحجبونَ تلك الأموال، كالرَّاهب الذي اسْتَخْرَج سلمانُ كَنْزَه[1]، وكما يَأخذونه مِن الرُّشَا في الأحكام وإيهامِ حِمَاية دينِهم.

وصَدُّهم عن سبيلِ الله، هو دِيْن الإسلام واتِّباع الرسول، وقيل: الجَوْرُ في الحُكم، ويحتمل أن يكون «يَصُدُّون» متعدِّياً، وهو أبلغُ في الذَّمِّ، ويحتمل أن يكون قاصراً.

وقرأ الجمهور: «والذين» بالواو، وهو عامٌّ يندرجُ فيه مَن يَكنِز مِن المسلمين، وهو مبتدأ ضُمِّنَ معنى الشَّرْط، ولذلك دخلت الفاءُ في خبره في قوله: «فبشِّرهم»، وقيل: «والذين يكنزون» مِن أوصاف الكثير مِن الأحبار والرهبان، ورُوِيَ هذا القول عن عثمانَ ومعاوية[2].

وقيل: كلامٌ مُبتدأٌ المراد به مانعي الزكاة مِن المسلمين، وروي هذا القول عن السُّدِّيِّ[3]، والظاهرُ العمومُ كما قلناه، فيُقرن بين الكانزين مِنَ المسلمين وبين المُرْتَشِين مِن الأحبار والرُّهْبان؛ تغليظاً ودلالةً على أنَّهم سواء في التبشير بالعذاب،

(١) يعني: سلمانَ الفارسيَّ، وخبره عند ابن إسحاق في السير والمغازي ص٨٧-٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٨١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٦، وتفسير الرازي ١٦/ ٤٣، وخبر إلحاق الواو في «والذين» أخرجه ابن الضُّرَيْس في فضائل القرآن ص١٥١ عن عِلباء بن أحمر أنَّ عثمانَ بنَ عفَّان ﷺ قال: لمَّا أراد أن يكتب أرادوا أن يلقوا الواو في «براءة» ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال لهم أبيّ ﷺ: لتلحقنَّها أو لأضعنَّ سيفي على عاتقي. فألحقوها.

(٣) تفسير الرازي ١٦/ ٤٣ دون عزوه للسديّ، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٨٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٤٢٦.

ورُوِيَ العمومُ عن أبي ذَرٍّ وغيره[١].

وقرأ ابنُ مُصرِّف: «الَّذِين» بغير واو[٢]، وهو ظاهرٌ في كونه مِن أوصاف مَن تقدَّم، ويحتمل الاستئنافَ والعمومَ.

والظاهر ذَمُّ مَن يَكْنِزُ ولا يُنفِق في سبيل الله، وما جاء في ذَمِّ مَن تَرَكَ صفراءَ أو بيضاء، وأنَّه يُكوَى بهما[٣] إلى غير ذلك مِن الأحاديث هو قَبْلَ أنْ تُفْرَض الزكاة، والتوعُّد في الكنزِ إنَّما وَقَع على مَنْعِ الحقوق منه، فلذلك قال كثيرٌ مِن العلماء: الكَنْز هو المال الذي لا تُؤدَّى زكاتُه وإن كان على وَجْه الأرض، فأمَّا المال المدفونُ إذا أُخرجت زكاتُه، فليس بكنز، قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ ما أدَّيت زكاته فليسَ بكنزٍ»[٤]، وعن عمرَ أنَّه قال لرجلٍ باع أرضاً: أَحْرِزْ مالَكَ الذي أخذتَ، احْفِر له تحتَ فراشِ امرأتِكَ. فقال: أليسَ بكنزٍ؟ قال: ما أُدِّيَ زكاتُه فليس بكنزٍ[٥].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٧، وتفسير الرازي ١٦/٤٣، والقرطبي ١٠/١٨٣، والنيسابوري ١٠/٧٧، وخبر أبي ذرٍّ عند البخاري (١٤٠٦) من حديث زيد بن وهب.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٦/٤١، وابن عادل في اللباب ١٠/٧٨.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٤٨٠)، والبخاري في التاريخ الكبير ٦/٥٩-٦٠، والطبري ١١/٤٢٧-٤٢٨، وقد اختُلف في اسم شيخِ شعبة ـ وهو من رجال الإسناد ـ قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٥/١٣١ في ترجمة يحيى بن عبد الواحد: يروي عنه شعبة، عن أبي المجيب بحديث منكر.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢٨، وأخرجه بهذا اللفظ الطبراني في الأوسط (٨٢٧٩)، والبيهقي في السنن ٤/٨٢، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي إسناده: سويد بن عبد العزيز، وليس بالقوي، كما قال البيهقي. وأخرجه موقوفاً عبد الرزاق (٧١٤١)، والطبري ١١/٤٢٥-٤٢٦، والبيهقي ٤/٨٢، وقال إثره: هذا هو الصحيح موقوف. اهـ. وأخرج البخاري في صحيحه (١٤٠٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: من كنزها فلم يُؤَدِّ زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تُنْزَل الزكاة، فلمَّا أنزلت جعلها الله طهراً للأموال. وقد عَنْوَن البخاريُّ لهذا الباب بقوله: باب ما أُدِّي زكاته فليس بكنز. اهـ.
وأخرجه أبو داود (١٥٦٤) من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها بنحوه، وفي إسناده: عتَّاب بن بشير، أخرج له البخاري، وتكلَّم فيه غير واحد.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/١٩٣، والكشاف ٢/١٨٧، والخبر أخرجه عبد الرزاق (٧١٤٦)، عن بُسر ـ أو: بشر ـ بن سعيد، وابن أبي شيبة (١٠٦١٨) عن سعيد بن أبي سعيد.

وعن ابنِ عمر وعكرمة والشعبيِّ والسدّيِّ ومالك وجمهور أَهْلِ العِلْم مثل ذلك.

وقال عليٌّ: أربعةُ آلافٍ فما دُونها نفقةٌ، وما زَادَ عليها فهو كنزٌ وإن أديت زكاته[١]. وقال أبو ذَرٍّ وجماعةٌ معه: ما فَضَل مِن مالِ الرَّجُلِ عن حاجة نفسِه فهو كنزٌ[٢]. وهذان القولان يقضيان أنَّ الذَّمَّ في حَبْسِ[٣] المال لا في مَنْعِ الزكاة فقط.

وقال عمر بنُ عبد العزيز[٤]: هي منسوخةٌ بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] فأَتَى فَرْضُ الزكاة على هذا كلِّه، كأنَّ الآيةَ تضمَّنت: لا تَجمعوا مالاً فتعذَّبوا به، فنَسَخه التقريرُ الذي في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]. واللهُ تعالى أكرمُ مِن أنْ يَجمع على عبدِه مالاً مِن جهةٍ أَذِنَ له فيها ويُؤدِّي عنه ما أَوجَبَه عليه فيه، ثم يُعاقِبه، وكان كثيرٌ مِن الصحابة رضوان الله عليهم كعبدِ الرحمن بن عَوف وطلحة بنِ عبيد الله يَقْتَنون الأموالَ ويَتصرَّفون فيها، وما عابهم أَحَدٌ ممَّن أعرض عن القنيَة؛ لأنَّ الإعراضَ اختيارٌ للأفضل، وإلّا دخل في الوَرَع والزُّهد في الدنيا، والاقتناءُ مُباحٌ مُوسَّع لا يُذَمُّ صاحبُه، وما رُويَ عن عليٍّ كلامٌ في الأَفْضَل.

وقرأ أبو السَّمَّال ويحيى بنُ يَعْمَر: «يُكْنِزُونَ» بضمِّ الياء، من: أكنز.

وخصَّ بالذِّكر الذهب والفِضَّة مِن بين سائرِ الأموال؛ لأنَّهما قِيَمُ الأموال وأثمانهما، وهما لا يُكنزان إلّا عن فَضْلةٍ وعن كَثْرة، ومَن كَنَزهما لم يَعْدَم سائرَ أجناسِ الأموال، وكنزُهما يدلُّ على ماسواهما.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٣، والقرطبي ١٠/ ١٨٤، والخبر أخرجه عبد الرزاق (٧١٥٠)، والطبري ١١/ ٤٢٧، قال ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٩١٩: وليس بشيء يُذكر؛ لبطلانه.

(٢) المفهم ٣/ ٣٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٨٥، وخبر أبي ذرٍّ عند البخاري (١٤٠٧) و(١٤٠٨)، ومسلم (٩٩٢) (٣٥)، وأحمد (٢١٣٨٤)، قال القرطبيُّ ١٠/ ١٨٥ إثره: وهو ممَّا نُقلَ من مذهبه، وهو من شدائده، وممَّا انفرد به ﷺ.

(٣) في (د١) و(ع) و(يه) والمطبوع: جنس.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٠٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨، والاستذكار ٩/ ١٢٩، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكيّ ص٣١٤.

والضمير في «ولا ينفقونها» عائدٌ على الذَّهَب؛ لأنَّ تأنيثَه أشهرُ، أو على الفِضَّة، وحذف المعطوف في هذين القولَين، أو عليهما باعتبار أنَّ تحتهما أنواعاً فَرُوعيَ المعنى، كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩] أو لأنَّهما محتوياتٍ على جَمع دنانير ودراهم، أو على المكنوزاتِ لدلالة «يكنزون»، أو على الأموال، أو على النفقة، وهي المصدر الدَّالُّ عليه «ولا ينفقونها»، أو على الزكاة، أي: ولا ينفقون زكاةَ الأموال، أقوال.

وقال كثيرٌ من المفسِّرين: عاد على أحدِهما، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١] وليس مِثْله؛ لأنَّ هذا عطفٌ بـ «أو» فحكمها أنَّ الضميرَ يَعود على أَحَدِ المتعاطفين، بخلاف الواو، إلَّا إن ادُّعي أنَّ الواوَ في «والفضة» بمعنى «أو» فيمُكن، وهو خلافُ الظاهر.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يقال: حميتُ الحديدةَ في النَّار، أي: أوقدتُ عليها لتحمَى، وتقول: أحْمَيْتُها: أدْخلْتُها لكي تحمَى أيضاً فحَمِيَت.

وقرأ الجمهور: «يوم يُحمَى عليها» بالياء، أصله: تُحمَى النارُ عليها، فلمَّا حُذفَ المفعولُ الذي لم يُسَمَّ فاعلُه، وأُسند الفعلُ إلى الجارِّ والمجرور، لم تلحق التاء، كما تقول: رُفِعَت القِصَّةُ إلى الأمير، فإذا حذفت القصَّة وقامَ الجارُّ والمجرور مقامَها، قلت: رُفع إلى الأمير[١]. ويَدلُّ على أنَّ ذلك في الأصل مُسْنَدٌ إلى النَّار قراءةُ الحسنِ وابنِ عامر في رواية: «تُحمَى» بالتاء[٢].

وقيل: مَن قَرأ بالياء فالمعنى: يُحمَى الوَقود، ومَن قَرأ بالتاء فالمعنى: تُحمَى النارُ.

والناصبُ لـ «يوم»: «أليم»، أو مُضمَر يُفسِّره: عذاب، أي: يُعذَّبون يومَ يُحمى.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٨، والكلام أورده السمين في الدر المصون ٦/ ٤٣، وورد في مطبوعه: القضية، بدل: القصَّة.

(٢) الكشاف ٢/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩، وتفسير الرازي ١٦/ ٤٨، والمشهور عن ابن عامر القراءةُ بالياء، كقراءة الجمهور.

وقرأ أبو حيوة: «فيكوى» بالياء[1]، لمَّا كان ما أسند إليه ليس تأنيثُه حقيقيًّا ووَقَع الفَصْل أيضاً ذُكِّرَ.

وأدغم قومٌ «جباههم» وهي مرويَّة عن أبي عمرو[2] وذلك في الإدغام الكبير، كما أدغم ﴿مَّنَـٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] و﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر: ٤٢].

وخُصَّت هذه المواضع بالكَيِّ؛ قيل: لأنَّه في الجبهة أَشنعُ، وفي الجَنْب والظَّهْر أَوجعُ، وقيل: لأنَّها مُجوَّفة فيَصلُ إلى أجوافها الحَرُّ، بخلاف اليَدِ والرِّجْل، وقيل: معناه: يكوونَ على الجهاتِ الثلاثِ؛ مقاديمهم ومآخيرهم وجُنُوبهم، وقيل: لمَّا طَلبوا المال والجاهَ شَانَ اللهُ وجوهَهم، ولما طَوَوْا كَشْحاً عن الفقير إذا جالَسَهم، كُويت جُنُوبهم، ولمَّا أسندوا ظهورهم إلى أموالهم؛ ترفيهاً واعتماداً عليها، كُويت[3] ظهورُهم[4].

وقال الزمخشريُّ: لأنَّهم لم يَطلبوا بأموالهم حيث لم يُنفقوها في سبيل الله تعالى إلَّا الأغراضَ الدنياويَّة مِن وَجاهةٍ عند الناس وتَقَدُّم، وأن يكونَ ماءُ وجوهِهم مصوناً عندهم، يُتَلَقَّون بالجميل، ويُحيَّون بالإكرام، ويُحتَشمون، ومِن أَكْلِ طيِّباتٍ يتضلَّعون منها، ويَنفخون جُنُوبهم، ومِن لُبْسِ ناعمةٍ مِن الثياب يَطرحونها على ظهورهم، كما ترى أغنياءَ زمانِكَ هذه أغراضُهم وطَلِباتهم مِن أموالهم، ولا يُخطِرون ببالهم قولَ رسولِ الله ﷺ: ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالأجور[5]. وقيل: لأنَّهم كانوا إذا

(١) الكشاف ٢/١٨٨، والقراءات الشاذة ص٥٢.
(٢) القراءات الشاذة ص٥٢.
(٣) زيادة من (ز١) و(يه).
(٤) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٢٤، ولطائف الإشارات للقشيري ٢/ ٢٣.
(٥) يعني بذلك هنا: حديثَ رسول الله ﷺ؛ أو: قولَ أصحابِ رسول الله، لأنَّ المقولةَ قالها ناسٌ من أصحابه، كما في صحيح مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ، ولفظه: أنَّ ناساً من أصحابِ النبيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يُصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفُضُول أموالهم. قال: «أوَليس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، ...» الحديث. وهو عند أحمد (٢١٤٧٣). والدُّثور: جمع: دَثْرٍ، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد والاثنين والجميع. النهاية (دثر).

أَبصروا الفقيرَ عَبَّسوا، وإذا ضمَّهم وإيَّاه مجلسٌ ازْوَرّوا عنه، وتَولَّوا بأركانهم، ووَلَّوْه ظهورَهم[١].

وأُضمِر القولُ في «هذا ما كنزتم» أي: يقال لهم وقت الكَيِّ، والإشارة بهذا إلى المال المكنوزِ، أو إشارة إلى الكَيِّ على حذفِ مضاف: مِنْ ما كنزتم، أي: هذا الكَيُّ نتيجةُ ما كنزتم، أو ثمرةُ ما كنزتم.

ومعنى: «لأنفسكم» لتنتفعَ به أنفسُكم وتلتذَّ، فصار عذاباً لكم، وهذا القولُ توبيخٌ لهم «فذوقوا ما كنتم» أي: وَبَالَ المالِ الذي كنتم تكنزون، ويجوز أن تكون «ما» مصدريَّة، أي: وَبَالَ كونِكم كانزين. وقُرئ: «تَكنُزون» بضمِّ النون[٢]، وفي حديث أبي ذَرٍّ: «بَشِّر الكانِزِينَ برَضْفٍ يُحمَى عليها في نارِ جهنَّم فتُوضَع على حَلَمَةِ ثَدْي أحدِهم حتى تَخرجَ مِن نُغْضِ كتفَيْه، وتُوضَع على نُغْضِ كتفَيْه حتى تخرجَ من حَلَمة[٣] ثَدْيَيْه وتَزَلْزِلُه[٤]. وتُكوى الجِباهُ والجُنُوب والظُّهور حتى يَلتقي الحرُّ في أجوافهم، وفي «صحيح البخاريِّ» و«صحيح مسلم» الوعيدُ الشديد لمانع الزكاة[٥].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ كانت العربُ لا عيشَ لأكْثرِها إلَّا مِن الغاراتِ وأعمالِ سلاحها، فكانت إذا تَوالت عليهم الأربعةُ الحُرُم ثم صَعُبَ عليهم وأَمْلَقوا، وكان بنو فُقَيم مِن كنانة أهلَ دِيْنٍ وتَمسُّكٍ بشَرْع إبراهِيم عليه السَّلام، فانتُدبَ منهم القَلَمَّسُ[٦]، وهو: حذيفة بنُ

(١) الكشاف ٢/ ١٨٨.
(٢) الكشاف ٢/ ١٨٨، وهي في القراءات الشاذة ص٥٢ منسوبة ليحيى بن يعمر وأبي السَّمَّال.
(٣) زيادة من (ز١) و(يه).
(٤) أخرجه البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٩٩٢) (٣٤)، وأحمد (٢١٤٢٥)، والرَّضف: الحجارة المحمَّاة، ونُغْضُ الكتف: العظم الرقيق الذي في طرف الكتف. المفهم ٣/ ٣٣، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ١٨٩-١٩٠.
(٥) ينظر صحيح البخاري (١٤٠٢) و(١٤٠٣)، وصحيح مسلم (٩٩٠) و(٩٩١).
(٦) قيل له ذلك؛ لجُوده، إذ القَلَمَّس من أسماء البحر. ينظر الروض الأنف ١/ ٦٣، وتاج العروس (قلمس).

عبد بنِ فُقَيم[١]، فنَسَأ الشهورَ للعرب، ثم خَلَفه على ذلك ابنُه عباد، ثم ابنُه قلع، ثمَّ ابنه أُميَّة، ثم ابنُه عوف، ثم ابنُه جُنادة بنُ عَوف، وعليه قام الإسلام، وكانت العربُ إذا فَرَغت مِن حَجِّها جاء إليه مَن شاء منهم مجتمعينَ، فقالوا: أَنْسِئْنا شهراً، أي: أخِّر عنَّا حُرمَةَ المُحرَّم، فاجعلها في صَفَر. فيُحلّ لهم المُحرَّم، فيُغيرون فيه ويَعيشون، ثم يلتزمون حُرْمَةَ صَفَرٍ؛ ليوافِقوا عِدَّةَ الأشهر الأربعةِ، ويُسَمُّونَ ذلك الصَّفَر المحرَّمَ، ويُسمُّونَ رَبيعاً الأوَّل صَفَراً، وربيعاً الآخِر ربيعاً الأوَّل، وهكذا في سائر الشهور يَستقبِلون نَسِيئَهم في المحرَّم الموضوعِ لهم، فيسقُط على هذا حُكمُ المحرَّم الذي حلّل لهم، وتَجِيْءُ السَّنَةُ مِن ثلاثَةَ عَشَر شهراً؛ أوَّلها المحرَّم المحلَّل، ثم المحرَّم الذي هو في الحقيقة صَفَر، ثم استقبال السَّنَة، كما ذكرنا[٢].

قال مجاهد: ثمَّ كانوا يَحجُّون في كلِّ عامٍ شهرَيْن وِلاءً، وبعد ذلك يُبدِّلون فيَحجُّون عامَيْن وِلاءً، ثمَّ كذلك حتى كانت حجَّةُ أبي بكر في ذي القَعْدة حقيقةً، وهم يُسمُّونه: ذا الحجَّة، ثم حجَّ رسولُ الله ﷺ سَنَةَ عَشْرٍ في ذي الحجَّة حقيقيةً، فذلك قوله: «إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئَتِه يومَ خَلَق اللهُ السماواتِ والأرضَ، السَّنَةُ اثنا عَشَر شهراً؛ أربعةٌ حُرُم: ذو القَعْدة، وذو الحجَّة، والمحرَّم، ورَجَب مُضَر الذي بين جُمادى وشعبان»[٣].

ومناسبةُ هذه الآية أنَّه لمَّا ذَكَر أنواعاً مِن قبائح أهلِ الشِّرْك وأهلِ الكتاب، ذَكَر أيضاً نوعاً منه، وهو تغييرُ العَرب أحكامَ اللهِ تعالى؛ لأنَّه حكم في وقتٍ بحُكمٍ خاصٍّ، فإذا غيَّروا ذلك الوقت فقد غيَّروا حُكْمَ اللهِ.

---

(١) كذا في السيرة ١/ ٤٤، والروض الأنف، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٩٤، وشفاء الغرام للفاسي ٢/ ٣٩، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٣٨: ابن عبد فُقيم.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩-٣٠، وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٤-٤٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٣٦-٤٣٧، وتفسير الطبري ١١/ ٤٥٦، والبغوي ٢/ ٢٩٠، والقرطبي ١٠/ ٢٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٢، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٤٥٤-٤٥٥، وعبد الرزاق في التفسير ١/ ٢٧٥-٢٧٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٦، وقوله ﷺ: «إنَّ الزمان قد استدار. . .» عند البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، وأحمد (٢٠٣٨٦) من حديث أبي بكرة ﷺ.

و«الشهور» جَمْعُ كَثْرة لما كانت أزيدَ مِن عَشَرة، بخلاف قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] فجاء بلفظ جَمْع القِلَّة، والمعنى شهور السَّنَة القَمَريَّة؛ لأنَّهم كانوا يُؤَرِّخون بالسَّنَة قمريَّة لا شمسيَّة، تَوارَثُوهُ[١] عن إسماعيل وإبراهيم.

ومعنى «عند الله» أي: في حُكْمِه وتقديرِه، كما تقول: هذا عند أبي حنيفة، وقيل: التقدير: عِدَّة الشُّهور التي تُسمَّى سنةً واثنا عَشَر؛ لأنَّهم جعلوا أشهر العامِ ثلاثَةَ عَشَر.

وقرأ ابنُ القعقاع وهُبَيْرة عن حفصٍ بإسكانِ العين مع إثبات الألف[٢]، وهو جمع بين ساكنين على غير حَدِّه، كما رُوِيَ: التقت حَلْقَتا البِطانِ[٣]، بإثبات ألف: حَلْقَتا، وقرأ طلحة بإسكان الشين[٤].

وانتصَب «شهراً» على التمييز المؤكِّد، كقولك: عندي مِن الرِّجال عشرون رجلاً.

ومعنى «في كتاب الله» قال ابنُ عباس: هو اللَّوح المحفوظ، وقيل: في إيجاب الله، وقيل: في حُكمه، وقيل: في القرآن؛ لأنَّ السَّنة المعتبرةَ في هذه الشريعة هي السَّنَةُ القمريَّة، وهذا الحُكم في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال ابنُ عطيَّة: أي: فيما كَتَبَه وأَثبتَه في اللوح المحفوظ وغيرِه، فهي صفةٌ

(١) في (ز١): تواتروه، وفي (يه): تواترونه. والمثبت من باقي النسخ وتفسير الرازي ١٦/ ٥٠.
(٢) يعني: «اثنا عْشر» ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠، وزاد المسير ٣/ ٤٣٢، والنشر ٢/ ٢٧٩، وابن القعقاع هو أبو جعفر يزيد، وهو من القرَّاء العشرة، وهبيرة الراوي عن حفص هو: هبيرة بن محمد التمار أبو عمر الأبرش البغدادي، أخذ عن حفص، ولم تذكر وفاته. طبقات القراء ٢/ ٣٥٣.
(٣) يُقال ذلك للأمر إذا اشتَدَّ، والبِطان: الحزام الذي يُجعل تحت بطن البعير. الصحاح (بطن)، وينظر الخصائص لابن جنِّي ١/ ٩٣، والإنصاف للأنباري ٢/ ٦٥١ و٦٦٦، وجمهرة الأمثال ١/ ١٨٨.
(٤) يعني: «اثنا عَشْر» ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٧.

فعلٍ، مِثْل: خَلَقه ورَزَقه، وليس بمعنى قضائه وتقديرِه؛ لأنَّ تلك هي قَبْلَ خَلْقِ السماوات والأرض[١]. انتهى.

و«عند الله» متعلِّق بـ «عِدَّة»، وقال الحوفيُّ: «في كتاب الله» متعلِّق بـ «عِدَّة» «يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ» متعلِّق أيضاً بـ «عِدَّة». وقال أبو عليٍّ: لا يجوز أن يتعلَّق قوله في «كتاب الله» بـ «عِدَّة»؛ لأنَّه يقتضي الفَصْلَ بين الصِّلَة والموصول بالخبر الذي هو «اثنا عشر شهراً»، وأنَّه لا يجوز[٢]. انتهى. وهو كلامٌ صحيح.

وقال أبو البقاء: «عدَّة» مصدرٌ مِثْل العَدَد، و«في كتاب الله» صفة لـ «اثنا عشر»، و«يوم» معمول لـ «كتاب» على أن يكون مصدراً لا جُثَّة، ويجوز أن يكون جُثَّةً، ويكون العامل في «يوم» معنى الاستقرار[٣]. انتهى.

وقيل: انتصَب «يوم» بفعلٍ محذوف، أي: كتب ذلك يومَ خَلَق السماوات.

ولمَّا كانت أشياءُ تُوصَفُ بكونها عند الله، ولا يقال فيها: إنَّها مكتوبةٌ في كتاب الله، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] جَمَعَ هنا بينهما، إذ لا تَعارُض.

والضمير في «منها» عائد على «اثنا عشر» لأنَّه أقربُ لا على الشهور، وهي في موضع الصفة لـ «اثنا عَشَر»، أو في موضع الحالِ من ضمير في مُسْتَقِرّ.

و«أربعةٌ حُرُم» سُميِّت حُرُماً؛ لتحريم القتال فيها، أو لتعظيم انتهاكِ المَحارم فيها، وتسكينُ الراء لغةٌ، وذكر ابنُ قتيبةَ عن بعضهم أنَّها الأَشْهُر التي أُجِّلَ المشركون فيها أن يَسيحوا[٤]، والصحيح أنَّها رجب، وذو القَعْدة، وذو الحجَّة، والمُحرَّم، وأوَّلُها عند كثير مِن العلماء: رَجَب، فتكون مِن سَنَتَيْن، وقال قوم: أوَّلُها: المُحرَّم، فتكون مِن سَنَة واحدة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠.
(٢) تفسير الرازي ١٦/ ٥٠.
(٣) الإملاء ٢/ ١٤.
(٤) تفسير غريب القرآن ١٨٥.

«ذلك الدِّيْنُ القَيِّم» أي: القضاء المستقيم، قاله ابنُ عبَّاسٍ[١]، وقيل: العَدَد الصحيح، وقيل: الشَّرْعُ القَويم، إذ هو دِيْن إبراهيم عليه السلام.

«فلا تَظلموا فيهنَّ أنفسَكم» الضمير في «فيهنَّ» عائد على الاثني عَشَر شهراً، قاله ابنُ عباس، والمعنى: لا تَجعلوا حلالاً حراماً ولا حراماً حلالاً، كفِعْل النَّسِيْء[٢]، ويُؤيِّده كون الظُّلْم منهيًّا عنه في كلِّ وقتٍ لا يختصُّ بالأربعة الحُرُم.

وقال قتادة والفرَّاء: هو عائدٌ على الأربعة الحُرُم، نُهِيَ عن المظالم فيها؛ تشريفاً لها وتعظيماً بالتخصيص بالذِّكر، وإن كانت المظالمُ منهيًّا عنها في كلِّ زمان[٣].

وقال الزمخشريُّ: «فلا تظلموا فيهنَّ» أي: في الأَشْهُر الحُرُم، أي: تَجعلوا حرامَها حلالاً، وعن عطاء: تاللهِ ما يحلُّ للناس أن يَغزوا في الحَرَم ولا في الأَشْهر الحُرُم إلَّا أنْ يُقتَلوا، وقد نسخت[٤]، وعن عطاء[٥] الخراسانيِّ: أَحَلَّتِ القتالَ في الأشهر الحُرُم «براءةٌ مِن اللهِ ورسولِه».

وقيل: معناه: لا تأثَّموا فيهنَّ، بياناً لعِظَم حرمتهنَّ، كما عظَّم أشهر الحجِّ بقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة:١٩٧]. وإن كان ذلك محرَّماً في سائر الشهور[٦]. انتهى.

ويُؤيِّد عوده على الأربعة الحُرُم؛ كونها أقربَ مذكورٍ، وكون الضمير جاء بلفظ: «فيهنَّ» ولم يَجِئ بلفظ «فيها»، كما جاء «منها أربعةٌ حُرُم»؛ لأنَّه قد تقرَّر في علم العربية أنَّ الهاءَ تكون لِمَا زاد على العَشَرة، تُعامَل في الضمير معاملةَ الواحدة

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١، وزاد المسير ٣/ ٤٣٣، وقول ابن عباس أخرجه الطبريُّ ١١/ ٤٤٤.
(٢) زاد المسير ٣/ ٤٣٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣١، وزاد المسير ٣/ ٤٣٣، وقولُ قتادة أخرجه الطبري ١١/ ٤٤٤-٤٤٥، وقولُ الفرَّاء في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٣٥، وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١١١.
(٤) في مطبوع الكشاف ٢/ ١٨٨ ومخطوطه الورقة (١٩٦): وما نسخت. وكذا وردت في أحكام القرآن للجصاص ١/ ٣٢٢، وتفسير البغوي ٢/ ٢٩٠، والقرطبي ١٠/ ١٩٨.
(٥) من قوله: تالله ما يحل للناس... إلى هنا، زيادة من (ح) والكشاف.
(٦) الكشاف ٢/ ١٨٨.

المؤنَّثة، فتقول: الجذوعُ انْكَسرت، وأنَّ النونَ، والهاءَ والنونَ، للعَشرة فما دُونها إلى الثلاثة، تقول: الأَجْذاع انْكَسَرْنَ، هذا هو الصحيح، وقد يُعكس قليلاً فتقول: الجذوع انْكَسَرن، والأجذاع انْكسرت[١].

والظُّلم بالمعاصي، أو النَّسِيْء في تحليل شهرٍ محرَّم وتحريمِ شهرٍ حلال، أو بالبداءَةِ بالقتال، أو بتَرْك المُحارَبة لعدوِّكم، أقوالٌ.

وانتصب «كافَّةً» على الحال مِن الفاعل، أو المفعول، ومعناه: جميعاً، ولا يُثنَّى، ولا يُجمَع، ولا تَدخُله «أل»، ولا يتصرَّف فيها بغير الحال، وتقدَّم بَسْطُ الكلام فيها في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فأغنى عن إعادته، والمعيَّة بالنَّصْر والتأييد، وفي ضِمْنه الأَمْرُ بالتقوى والحَثُّ عليها.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يقال: نَسَأه وأَنْسَأَهُ: إذا أخَّره، حكاه الكسائيُّ[٢].

قال الجوهريُّ وأبو حاتم: «النَّسِيْءُ» فَعِيْل بمعنى مفعول، مِن: نَسَأْتُ الشَّيْءَ فهو مَنْسُوء، إذا أخَّرْتَه، ثم حُوِّل إلى نَسِيْءٍ، كما حُوِّل مَقْتُولٌ إلى قَتِيْل، ورَجُلٌ ناسِئٌ، وقومٌ نَسَأَةٌ، مثل فاسِقٍ وفَسَقَةٍ[٣]. انتهى.

وقيل: «النَّسِيْءُ» مصدرٌ مِن أَنْسَأَ، كالنذير مِن أَنْذَرَ، والنَّكِير مِن أَنْكَر، وهو ظاهرُ قولِ الزمخشريِّ، لأنَّه قال: «النَّسْيءُ» تأخيرُ حرمةِ الشهر إلى شهرٍ آخَرَ[٤]. وقال الطبريُّ: «النَّسِيءُ» بالهمزة معناه الزيادة[٥]. انتهى. فإذا قلت: أَنْسَأَ اللهُ أَجَلهَ بمعنى أَخَّر، لزم مِن ذلك الزيادة في الأَجَل، فليس النَّسِيْءُ مُرادفاً للزيادة، بل قد

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٣٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٠، والكليات لأبي البقاء الكفوي ص٣٣٤.
(٢) ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢١٣، والقرطبي ١٠/ ٢٠١.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠١، وينظر الصحاح (نسأ).
(٤) الكشاف ٢/ ١٨٩.
(٥) تفسير الطبري ١١/ ٤٤٩-٤٥٠، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٢٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٠١.

يكون منفرداً عنها في بعض المواضع، وإذا كان النَّسِيْءُ مصدراً كان الإخبار عنه بمصدرٍ واضحاً، وإذا كان بمعنى: مفعول، فلا بُدَّ مِن إضمارٍ؛ إمَّا في النَّسِيء، أي: إنَّ نِسَاءَ النَّسِيْء، أو في زيادة، أي: ذو زيادة، وبتقدير هذا الإضمار يُرَدُّ على أبي عليٍّ قوله: ولا يجوز أن يكون فَعِيلاً بمعنى مفعول، لأنَّه يكون المعنى: إنَّما المؤخَّر زيادةٌ، والمؤخَّرُ الشهرُ، ولا يكون الشهرُ زيادةً في الكفرِ.

وقرأ الجمهور: «النَّسِيءُ» مهموز على وزن فَعِيْل، وقرأ الزُّهْريُّ وحميد وأبو جعفر وورش عن نافع والحلوانيّ: «النَّسِيُّ» بتشديد الياء من غير همز[1]، وروي ذلك عن ابنِ كثير[2]، سهَّل الهمزة بإبدالها ياءً وإدغام الياء فيها، كما فعلوا في: نبيء وخَطِيْئَة، فقالوا: نبيٌّ وخَطِيَّة، بالإبدال والإدغام.

وفي كتاب «اللوامح»: قرأ جعفر بنُ محمد والزُّهريُّ والأشهب: «النَّسْيُ» بالياء من غير همزٍ، مثل النَّدْي[3].

وقرأ السُّلَميُّ وطلحة والأشهب وشِبْل: «النَّسْءُ» بإسكان السين[4].

وقرأ مجاهد: «النَّسُوْءُ» على وزن فَعول، بفتح الفاء، وهو التأخير، ورُويت هذه عن طلحة والسُّلميّ[5]، وقولُ أبي وائل أنَّ النَّسِيْءَ رَجُلٌ مِن بني كنانة[6]، قولٌ ضعيف، وقال الشاعر:

أَلَسْنا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ شهورَ الحِلِّ نجعلُها حراماً[7]

(١) يعني: «النَّسِيُّ»، والقراءة في السبعة ص٣١٤، والتيسير ص١١٨، والنشر ١/ ٤٠٥، ووافق حمزةُ وهشامٌ وَرْشاً عند الوقف.
(٢) المصادر السالفة الذكر.
(٣) القراءات الشاذة ص٥٢، والمحتسب ١/ ٢٨٧، وعُزيت في السبعة ص٣١٤ لابن كثير.
(٤) السبعة ص٣١٤، والقراءات الشاذة ص٥٢، والمحتسب ١/ ٢٨٧-٢٨٨، وضُبطت في المصدرين الأولين هكذا: «النَّسْءُ» على وزن النَّسْع. ولعلَّ الصواب: «النِّسْءُ» على وزن النِّسْع، وهو السَّيْر الذي تُشَدُّ به الرِّحال.
(٥) الحُجَّة في القراءات السبع لابن خالويه ص١٧٥.
(٦) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٤٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٤.
(٧) البيت نُسب لعمير بن قيس بن جذل الطعان الكناني، وهو في السيرة النبوية ١/ ٤٥، ومعجم الشعراء للمرزباني ص٧٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ٨٣، وسمط اللآلي ١/ ١١، وأحكام القرآن =

وقال آخر:

نَسَؤُوا الشهورَ بها وكانوا أهلَها مِنْ قَبْلِكم والعِزُّ لم يتحوَّلِ[1]

وأخبر أنَّ النسيءَ زيادةٌ في الكفر، أي: جاءَت مع كفرهم باللهِ؛ لأنَّ الكافرَ إذا أحدث معصيةً ازداد كفراً، قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. كما أنَّ المؤمنَ إذا أحدث طاعةً ازداد إيماناً، قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وأعاد الضمير «به» على «النَّسِيء» لا على لفظ زيادة.

وقرأ ابنُ مسعود والأخوان وحفص: «يُضَلّ» مبنيًّا للمفعول[2]، وهو مناسبٌ لقوله: «زُيِّنَ»، وباقي السبعة مبنيًّا للفاعل.

وابن مسعود في رواية والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون ويعقوب: «يُضِلّ»[3] أي: اللهُ، أو: يُضِلُّ به الذين كفروا أتْباعَهم، ورُوِيَت هذه القراءة عن الحسن والأعمش وأبي عمرو وأبي رجاء.

وقرأ أبو رجاء أيضاً: «يَضَلّ» بفتحتين[4]، من: ضَلِلْت ـ بكسر اللام ـ أَضَلُّ بفتح الضاد، منقولاً فَتْحها مِن فتحة اللام، إذِ الأصلُ: أَضْلَلُ.

وقرأ النخعيُّ ومحبوب عن الحسن: «نُضِلُّ» بالنون المضمومة وكسر الضاد[5]، أي: نُضِلُّ نحنُ.

= لابن العربي ٢/ ٩٣٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٠٥، وغيرها، وأورده أيضاً بهذا اللفظ الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٠٠، والقرطبي ١٠/ ٢٠٤ ونسباه للكميت، وهو في ديوانه ص٣٥٧ لكن برواية:

وكنَّا الناسئين على مَعَدٌّ شهورَهُمُ الحرام إلى الحليلِ

وكذا أورده في الزاهر ٢/ ٤٥٢، وفي سمط اللآلي ١/ ١١.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢، والبيت في أمالي القالي ١/ ٤، والزاهر ٢/ ٤٥٢ دون عزوٍ، وعزاه البكريُّ في سمط اللآلي ١/ ١٢ لأميَّة ابن الأسكر الكناني، وقال: وقيل إنَّه للشويعر ربيعة بن عبس الليثي.

(٢) الأخوان: حمزة والكسائي، والقراءة في السبعة ص٣١٤، والتيسير ص١١٨.

(٣) النشر ٢/ ٢٧٩، والمحتسب ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢، والقراءات في المحتسب ١/ ٢٨٨.

(٥) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٦/ ٤٨، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٨٨.

ومعنى: تحريمهم عاماً وتحليلهم عاماً، لا يُراد أنَّ ذلك كان مُداولةً في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام، وقد تأوَّلَ بعضُ الناس القصَّة على أنَّهم كانوا إذا شقَّ عليهم توالي الأشْهر الحُرُم، أُحِلَّ لهم المحرَّم، وحُرِّم صفر بدلاً مِن المحرَّم، ثم مَشَتِ الشهور مستقيمةً على أسمائها المعهودة، فإذا كان مِن قابل حرّم المحرَّم على حقيقته وأحلّ صَفَر، ومَشَت الشهورُ مستقيمةً، وأنَّ هذه كانت حالَ القوم[1].

وتقدَّم لنا أنَّ الذي انتدَب أوّلاً للنَّسِيْء القَلَمَّس، وقال ابنُ عبَّاس وقتادة والضحاك: الذين شرَعوا النَّسِيْءَ هم بنو مالك مِن كنانة، وكانوا ثلاثةً[2]، وعن ابنِ عباس أنَّ أوّلَ مَن فَعَلَ ذلك عَمرو بن لُحَيّ، وهو أوّلُ مَن سيَّب السوائبَ وغيَّر دينَ إبراهيم عليه السلام[3].

وقال الكلبيُّ: أوّلُ مَن فَعَل ذلك رجلٌ مِن بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة[4].

والمُواطَأة: المُوافقة، أي: ليُوافقوا العِدَّة التي حرَّم اللهُ، وهي الأربعة، ولا يُخالفوها، وقد خالفوا التخصيصَ الذي هو أحَد الواجبَيْن، والواجبان هما العدد الذي هو: أربعة، في أشخاصِ أشهرٍ معلومة، وهي: رَجَب وذُو القَعدة وذُو الحجَّة والمُحرَّم، كما تقدَّم، ويقال: تَواطَؤُوا على كذا، إذا اجتمعوا عليه، كأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يَطأُ حيث يَطَأُ صاحبُه، ومنه الإيطاء في الشِّعْر، وهو أن يأتيَ في الشِّعْر بقافيتَيْن على لفظٍ واحد ومعنًى واحد، وهو عَيْبٌ إن تَقَارَبَ[5].

واللام في «ليواطِئوا» متعلِّقة بقوله: «ويُحرِّمونه»، وذلك على طريق الإعمال، ومَن قال: إنَّه متعلِّقٌ بـ «يُحلُّونه» و«يُحرِّمونه» معاً فإنَّه يُريد مِن حيث المعنى لا مِن حيث الإعرابُ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٠، والبغوي ٢/ ٢٩١، والقرطبي ١٠/ ٢٠٤، وقول قتادة عند الطبري ١١/ ٤٥٤.

(٣) المصادر السالفة الذكر.

(٤) التعليق ما قبل السابق.

(٥) ينظر العمدة لابن رشيق ١/ ١٦٩-١٧١، ومعجم مصطلحات العروض والقافية للشوابكة وأبو سويلم ص٣٦-٣٧.

قال ابنُ عطيَّة: ليَحفظوا في كلِّ عام أربعة أشهرٍ في العَدَد، فأزالوا الفَضِيْلَةَ التي خصَّ اللهُ بها الأشهر الحُرُمَ وَحْدَها، بمثابة أن يُفطِر رمضانَ ويَصوم شهراً مِن السَّنَةِ بغيرِ مرضٍ أو سفرٍ[1]. انتهى.

وقرأ الأعمش وأبو جعفر: «ليواطيُوا» بالياء المضمومة[2]، لمَّا أبدلَ مِن الهمزة ياءً، عامَلَ البدلَ معاملةَ المبدَل منه، والأصحُّ ضمُّ الطاءِ وحَذْفُ الياء؛ لأنَّه أخلصَ الهمزةَ ياءً خالصةً عند التخفيف، فسكنت؛ لاستثقالِ الضَّمَّة عليها، وذهبت لالتقاءِ الساكنين، وبدِّلت كسرةُ الطاء ضمَّةً، لأَجْلِ الواو التي هي ضمير الجماعة، كما قيل في رِضِيُوا: رَضُوا.

وجاء عن الزهريِّ: «ليُواطِيُّوا» بتشديد الياء[3]، هكذا الترجمةُ عنه. قال صاحبُ «اللوامح»: فإن لم يُرد به شدَّةَ بيانِ الياء وتخليصها مِن الهمز دون التضعيف، فلا أَعرف وجهَه. انتهى.

«فيُحِلُّوا ما حرَّم اللهُ» أي: بمواطأة العِدَّة وَحْدَها مِن غيرِ تخصيصِ ما حرَّم الله تعالى مِن القتال أو مِن تَرْكِ الاختصاص للأشهر بعينها.

وقرأ الجمهورُ: «زُيِّنَ لهم سوء أعمالهم» مبنيًّا للمفعول، والأولى أن يكون المنسوب إليه التزيين الشيطان، لأنَّ ما أخبر به عنهم سِيْقَ في المبالغة في مَعرِض الذَّمِّ. وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «زَيَّن لهم سوءَ» بفتح الزاي والياء والهمزة[4]، والأَولى أن يكون: زيَّن لهم ذلك الفعلُ سُوءَ أعمالهم.

قال الزمخشريُّ: خَذَلهم اللهُ تعالى فحسبوا أعمالَهم القبيحةَ حسنةً «واللهُ لا يَهدي» أي: لا يَلطُف بهم، بل يَخْذُلهم[5]. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال.

---

(١) المحرّر الوجيز ٣/ ٣٣.
(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر ٦/ ٤٨، وابن عادل في اللباب ١٠/ ٩٨.
(٣) الكشاف ٢/ ١٨٩.
(٤) الكشاف ٢/ ١٨٩ دون عزوٍ، والقراءات الشاذة ص٥٢ وعزاها لابن مسعود.
(٥) الكشاف ٢/ ١٨٩.

وقال أبو عليٍّ: لا يَهديهم إلى طريق الجنَّة والثواب. وقال الأَصَمُّ: لا يَحكم لهم بالهداية. وقيل: لا يفعل بهم خيراً، والعربُ تُسمِّي كلَّ خيرٍ هدًى، وكلَّ شرٍّ ضلالةً. انتهى. وهذا إخبارٌ عمَّن سَبَق في عِلْمه أنَّهم لا يَهتدون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ لمَّا أَمَرَ اللهُ رسولَه بغَزَاة تبوك، وكان زمانَ جَدْبٍ وحَرٍّ شديد، وقد طابَتِ الثمارُ، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبُّوا المقامَ = نزلت عتاباً على مَن تخلَّف عن هذه الغزوة، وكانت سنةَ تسعٍ مِن الهجرة بعد الفَتْح بعامٍ، غَزَا فيها الرومَ في عشرين ألفاً مِن راكب وراجِلٍ، وتخلَّف عنه قبائلُ مِن الناس ورجالٌ مِن المؤمنين كثيرٌ، ومنافقون، وخَصَّ الثلاثةَ بالعِتاب الشديد بحسَب مكانهم مِن الصُّحْبَة، إذ هم مِن أهلِ بدرٍ وممَّن يُقتَدَى بهم، وكان تخلُّفهم لغيرِ علَّة حسبما يأتي إن شاء الله تعالى[1].

ولمَّا شَرَح معايبَ الكفَّار رغَّبَ في مقاتلتهم، و«ما لكم» استفهامٌ معناهُ الإنكار والتقريعُ، وبُنِيَ «قيل» للمفعول، والقائل: هو الرسولُ ﷺ، لم يُذكَر؛ إغلاظاً ومخاشنةً لهم، وصوناً لذِكْره، إذ أَخْلَدَ إلى الهُوَينا والدَّعَة مَن أَخْلَدَ، وخالَفَ أَمْرَه ﷺ.

وقرأ الأعمش. «تَثَاقَلْتُم»[2] وهو أصلُ قراءةِ الجمهور: «اثَّاقَلْتُم»، وهو ماضٍ بمعنى المضارع، وهو في موضع الحال، وهو عاملٌ في «إذا» أي: ما لكم تَثَاقلون إذا قيل لكم انفروا.

وقال أبو البقاء: الماضي هنا بمعنى المضارع، أي: ما لكم تتثاقلون، وموضعه نَصْب، أي: أيّ شيءٍ لكم في التثاقل؟!! أو في موضع جَرٍّ على مذهب الخليل[3]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٣٦-٤٣٧، وخبرُ مجاهد عند الطبري ١١/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤ نقلاً عن المهدويّ، وينظر القراءات الشاذة ص٥٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٧، والكشاف ٢/ ١٨٩.

(٣) الإملاء ٢/ ١٥.

وهذا ليس بجيِّد؛ لأنَّه يَلزم منه حذف «أنْ»؛ لأنَّه لا يَنسَبِك مصدر إلَّا مِن حرف مصدريٍّ والفعلِ، وحَذْفُ «أن» في نحو هذا قليلٌ جدًّا، أو ضرورة، وإذا كان التقدير في التثاقل فلا يمكن عمله في «إذا» لأنَّ معمولَ المصدرِ الموصول لا يتقدَّم عليه، فيكون الناصبُ لـ «إذا» والمتعلّق به في التثاقل ما تعلَّق به «لكم» الواقع خبراً لـ «ما».

وقُرِئَ: «أَثَّاقَلْتُم» على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ[١]، ولا يُمكن أن يعمل في «إذا» ما بعد حرفِ الاستفهام، فقال الزمخشريُّ: يَعمل فيه ما دلَّ عليه، أو ما في «ما لكم» مِن معنى الفعل، كأنَّه قال: ما تصنعونَ إذا قيل لكم، كما تعمله في الحال إذا قلتَ: مالَكَ قائماً[٢]؟

والأظهر أن يكون التقدير: مالكم تتثاقلون إذا قيل لكم: انْفِروا، وحُذفَ لدلالة: «اثَّاقلتم» عليه.

ومعنى «اثَّاقلتم إلى الأرض» ملْتُم إلى شهواتِ الدنيا حين أَخرجت الأرضُ ثمارَها، قاله مجاهد، وكَرِهْتُم مَشَاقَّ السَّفَر، وقيل: ملْتُم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزجَّاج[٣].

ولمَّا ضُمِّن معنى المَيْل والإخلاد عُدِّيَ بـ «إلى»، وفي قوله: «أَرَضِيتُم» نوعٌ مِن الإنكار والتعجُّب، أي: أرضيتم بالنَّعيم العاجل في الدنيا الزائل بَدَلَ النَّعيم الباقي، و«مِنْ» تظافرت أقوالُ المفسرين على أنَّها بمعنى: بَدَل، أي: بَدَل الآخرة، كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠] أي: بَدَلاً منكم، ومنه قول الشاعر:

فليتَ لنا مِن ماءِ زَمْزَمَ شَربةً   مُبَرَّدةً باتَت على طَهَيَانِ[٤]

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) زاد المسير ٣/ ٤٣٧، وقول مجاهد عند الطبري ١١/ ٤٥٩-٤٦٠، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٤٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٧-٢٠٨، والبيت نَسَبه الأصفهانيُّ في الأغاني ٢٢/ ١٤٩ ليعلى بن مسلم الأحول الأزدي، وكذا نَسَبه البغدادي في خزانة الأدب ٥/ ٢٧٦ ضمن قصيدة له، وأورده مُفرَداً في ٩/ ٤٥٣ ونَقَل عن الصغاني أنه نَسَبه للأحول الكندي، وقال إثره: وهذا خلاف ما عليه الرواة... إلى آخر كلامه، وكذا نُسب ـ يعني للأحول الكندي ـ في معجم البلدان ٤/ ٥٢ (طَهَيان)، واللسان (طها).

أي: بدلاً مِن ماء زمزمَ، والطَّهَيَان: عُودٌ يُنصَب في ناحية الدَّار للهواء تُعلَّقُ فيه أوعيةُ الماء حتى تبردَ، وأصحابُنا لا يُثبِتون أن تكون «مِن» للبدل، ويتعلق «في الآخرة» بمحذوفٍ، التقدير: فما متاعُ الحياةِ الدنيا محسوباً في نعيم الآخرة.

وقال الحوفيُّ: «في الآخرة» متعلِّق بـ «قليل»، و«قليل» خبرُ الابتداء، وصَلُحَ أن يعمل في الظَّرْف مقدّماً؛ لأنَّ رائحةَ الفعل تَعمل في الظرف، ولو قلت: ما زيدٌ عَمْراً إلَّا يَضرب، لم يَجُز.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ هذا سُخْط على المتثاقلين عظيمٌ؛ حيث أوعدهم بعذاب أليم مُطلَق يَتناول عذابَ الدَّارَيْن، وأنَّه يُهلكهم ويَستبدل قوماً آخَرِين خيراً منهم وأطوع، وأنَّه غنيٌّ عنهم في نُصْرة دينِه، لا يقدحُ تثاقلهم فيها شيئاً. وقيل: «يُعذِّبكم» بإمساك المَطَر عنكم، وروي عن ابنِ عباس أنَّه قال: استَنْفَرَ رسولُ الله ﷺ قبيلةً فقَعَدت، فأَمْسَكَ اللهُ عنها المطرَ وعذَّبها به[1].

والمُستَبْدَل الموعودُ بهم؛ قال جماعةٌ: أهل اليمن[2]، وقال ابنُ جبير: أبناءُ فارس[3]، وقال ابنُ عباس: هم التابعون[4]، والظاهرُ مستغنٍ عن التخصيص. وقال الأصَمُّ: معناه أنَّه تعالى يُخرِج رسولَه مِن بين أَظهرهم من المدينة. قال القاضي: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ اللفظَ لا دلالةَ فيه على أنَّه يَنتقل مِن المدينة إلى غيرها، ولا يمتنع أن يُظْهِرَ في المدينة أقواماً يُعينونه على الغَزْوِ، ولا يَمتنع أن يُعينَه بأقوامٍ مِن الملائكة أيضاً حالَ كونه هناك[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٢، والقرطبي ١٠/ ٢٠٩، والخبر عند عبد بن حميد في المنتخب من مسنده (٦٨١)، والطبري ١١/ ٤٦١، والحاكم ٢/ ١٠٤، وصحَّحه، وقول ابن عباس: فأمسك الله عنهم المطر، فكان عذابَهم. أخرجه أبو داود (٢٥٠٦)، وفي إسناده: نجدة بن نفيع، وهو مجهول، كما في التقريب.

(٢) نسبه الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٠٢ لأبي صلاح ـ ولعلَّه: أبو صالح ـ والرازيُّ ١٦/ ٦١ لأبي روق.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) تفسير الرازي ١٦/ ٦١.

(٥) المصدر السابق.

والضمير في «ولا تَضُرُّوه» عائدٌ على الله تعالى، أي: ولا تَضُرُّوا دينَه شيئاً، وقيل: على الرسول؛ لأنَّه تعالى قد عَصَمه، ووَعَدَهُ بالنَّصْرَ، وَوَعْدُهُ كائنٌ لا محالة.

ولمَّا رَتَّب على انتفاءِ نَفْرهم التعذيبَ والاستبدالَ وانتفاءَ الضَّرر أخبر تعالى أنَّه على كلِّ «شيء» تتعلَّق إرادتُه به «قدير» مِن التعذيب والتغيير وغير ذلك.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ «إلَّا تنصروه» فيه انتفاء النَّصْرِ بأيِّ طريقٍ كان مِن نَفْرٍ أو غيره، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فسَيَنْصُره، ويدلُّ عليه «فقد نَصَره اللهُ» أي: يَنْصُره في المستقبل، كما نَصَرَهُ في الماضي.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: كيفَ يكون قوله تعالى: «فقد نَصَرَه اللهُ» جواباً للشَّرْط؟

قلت: فيه وجهان؛ أحدهما: فسَيَنْصُره، وذَكَر معنى ما قدَّمناه.

والثاني: أنَّه تعالى أوجَبَ له النُّصْرَةَ، وجَعَله منصوراً في ذلك الوقت فلن يُخذَل مِن بعده[1]. انتهى.

وهذا لا يَظهر منه جوابُ الشَّرْط؛ لأنَّ إيجابَ النُّصْرَة له أَمْرٌ سَبَق، والماضي لا يَترتَّب على المستقبل، فالذي يَظهر الوجهُ الأوَّل.

ومعنى إخراج الذين كفروا إيَّاه فِعْلُهم به ما يُؤدِّي إلى الخروج، والإشارة إلى خروج رسولِ الله ﷺ مِن مكَّة إلى المدينة، ونَسَبَ الإخراجَ إليهم مجازاً، كما نَسَبَ في قوله: ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] وقصَّة خروجِ الرَّسولِ ﷺ وأبي بَكْرٍ مذكورةٌ في السِّيَر.

وانتصبَ «ثاني اثنين» على الحال، أي: أَحَد اثنين، وهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، ورُوِيَ أَنَّهُ لما أُمِرَ بالخروج قال لجبريل عليه السلام: مَن يخرج مَعِي؟ قال: أبو بكر[2].

وقال الليث: ما صَحِبَ الأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام مِثْلَ أبي بكر.

وقال سفيان بنُ عُيينة: خرج أبو بكر بهذه الآية مِن المعاتبة التي في قوله:

(١) الكشاف ٢/ ١٩٠.

(٢) المصدر السابق، وكذا نقله عنه ابنُ حجر في الكافي الشافي ص٧٦ ولم يُخرِّجه.

«إلا تنصروه»[١]. قال ابنُ عطيَّة: بل خَرَج منها كلُّ مَن شاهَدَ غزوةَ تبوك، وإنَّما المعاتبةُ لمَن تخلَّف فقط، وهذه الآيةُ مُنوِّهةٌ بقَدْرِ أبي بكر وتقدُّمِهِ وسابِقَتِه في الإسلام[٢].

وفي هذه الآية ترغِيبهم في الجهاد ونَصْرِ دينِ الله، إذ بيَّن فيها أنَّ الله يَنْصُرُه كما نَصَرَه إذ كان في الغار وليس معه فيه أحدٌ سوى أبي بكر.

وقرأت فرقة: «ثانيْ اثنين» بسكون ياء «ثاني»، قال ابنُ جِنّيّ: حكاها أبو عَمرو، ووَجْهُها أنَّه سكَّن الياء، تشبيهاً لها بالألف[٣].

والغَارُ: نَقْبٌ في أعلى ثور، وهو جَبَلٌ في يُمنَى مكَّة على مسيرة سَاعةٍ، مَكَثَ فيها ثلاثاً، «إذ هما» بَدَلٌ، و«إذ يقول» بدلٌ ثانٍ.

وقال العلماء: مَن أَنْكَرَ صُحبةَ أبي بكرٍ فقد كَفَر؛ لإنكاره كلامَ الله تعالى، وليس ذلك لسائر الصحابة[٤].

وكان سببُ حُزْنِ أبي بكر خوفه على رسولِ الله ﷺ، فنهاه الرسولُ؛ تسكيناً لقَلْبه، وأخبره بقوله: «إنَّ اللهَ معنا» يعني: بالمعونة والنَّصْرِ، وقال أبو بكر: يا رسولَ الله، إنْ قُتلتُ فأنا رجلٌ واحدٌ، وإن قُتِلتَ هَلَكتِ الأمَّةُ، وذَهَبَ دينُ الله. فقال ﷺ: «ما ظَنُّكَ باثنين اللهُ ثالثهما»[٥]، وقال أبو بكر رضي الله عنه:

قال النَّبيُّ ولم يَجْزَعْ يُوَقِّرُني ... ونحنُ في سُدَفٍ مِن ظُلمةِ الغارِ
لا تَخْشَ شيئاً فإنَّ اللهَ ثالِثُنا ... وقد تَكَفَّل لي منه بإظهارِ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١١.
(٢) المحرر الوجيز٣/ ٣٦.
(٣) المصدر السابق، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٨٩ وفيه كلام ابن جنّيّ. وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢١٢.
(٤) الكشاف ٢/ ١٩٠، وينظر الوسيط للواحدي ٢/ ٤٩٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١٥.
(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٢-٢٠٣، والبغوي ٢/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١٥، وقوله ﷺ: «ما ظنُّكَ باثنين الله ثالثهما» عند البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، وأحمد (١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وإنَّمـا كيـدُ مَن تُخشَى بوادرُه كَيْدُ الشَّياطينِ قد كادت لكُفَّارِ
واللهُ مُهْلِكُهم طُرًّا بما صَنَعوا وجاعِلُ المُنْتَهَى منهم إلى النَّارِ[١]

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ قال ابنُ عباس: السَّكِيْنةُ: الرحمةُ. وقال قتادة في آخرين: الوقارُ. وقال ابنُ قتيبة: الطّمأنينة[٢]، وهذه الأقوال متقاربةٌ.

والضمير في «عليه» عائد على صاحبه، قال حبيب بنُ أبي ثابتٍ: أو على الرسول، قاله الجمهور[٣]، أو عليهما، وأفرده؛ لتلازُمهما، ويؤيِّده أنَّ في مصحف حفصة: «فأنزلَ الله سكينتَه عليهما وأيَّدهما»[٤].

والجنودُ: الملائكةُ يومَ بدرٍ والأحزاب وحُنَين، وقيل: ذلك الوقت يُلقُون البِشارة في قلبه، ويَصرفون وجوهَ الكفَّار عنه.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «عليه» عائدٌ على أبي بكر، لأنَّ النبيَّ ﷺ كان ثابتَ الجَأْش، ولذلك قال: «لا تَحْزَن إنَّ اللهَ معنا»، وأنَّ الضميرَ في «وأيَّدَه» عائد على الرسولِ ﷺ، كما جاء: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] يعني: الرَّسول، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني: اللهَ تعالى.

وقال ابنُ عطيَّة: والسَّكِيْنة عندي إنَّما هي ما يُنزله الله على أنبيائه مِن الحياطَة لهم والخصائص التي لا تَصلُح إلَّا لهم، كقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ويَحتمل أن يكون قوله: «فأنزل اللهُ سكينته» إلى آخِر الآية يُراد به

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٣-٢٠٤، والأبيات ذكرها السهيلي في الروض الأنف ٢/ ٢٣٤ ضمن قصيدة طويلة، وقدَّم لها بقوله: وفي السير من رواية يونس شعرٌ لأبي بكر ﷺ في قصة الغار. اهـ. وكذا أوردها الشاميُّ في سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٥٤-٣٥٦، ونَسَب الخبر فيها لابن عساكر عن ابن إسحاق، والسَّدْفَة والسُّدْفة: الظُّلْمة. الصحاح (سدف)، مع الإشارة إلى أنه ورد في (ز١) و(يه): وعاجل، بدل: وجاعل.
(٢) زاد المسير ٣/ ٤٤١، وكلامُ ابن قتيبة في كتابه غريب القرآن ص١٨٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦.
(٤) المصدر السابق.

ما صَنَعه اللهُ لنَبِيِّه إلى وقت تَبوك مِن الظُّهور والفتوح، لا أن يكون هذا يختصُّ بقصَّة الغار[(١)].

و«كلمة الذين كفروا» هي الشِّرْكُ، وهي مقهورةٌ، و«كلمة الله» هي التوحيد، وهي ظاهرة، هذا قولُ الأكثرين، وعنِ ابنِ عباس: كلمةُ الكافرين ما قرَّروا بينهم مِن الكَيْدِ به ليقتلوه، وكلمةُ اللهِ أنَّه ناصرُه[(٢)]. وقيل: كلمةُ الله: لا إلهَ إلَّا الله، وكلمةُ الكفَّار: قولهم في الحرب: يا لَبَنِي فلانٍ ويا لفلان، وقيل: كلمةُ الله قولُه تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وكلمةُ الذين كفروا: قولُهم في الحرب: اُعْلُ هُبَل، اُعْلُ هُبَل، يعنون صنَمهم الأكبرَ.

وقرأ مجاهد: «وآيَدَهُ»[(٣)]، والجمهور: «وأَيَّدَهُ» بتشديد الياء، وقُرِئَ: «وكلمةَ الله» بالنصب[(٤)]، أي: وجَعَلَ، وقراءةُ الجمهور بالرَّفْع أثبتُ في الإخبار، وعن أنسٍ: رأيتُ في مصحف أُبَيٍّ: «وجَعَلَ كلمَتَه هي العَلْيا»[(٥)] وناسَب الوصفَ بالعزَّة الدَّالَّةِ على القَهْر والغَلَبة، والحكمةِ الدَّالَّة على ما يَصنع مع أنبيائه وأوليائه ومَن عاداهم؛ من إعزاز دينِه، وإخماد الكُفْر.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ لما توعَّد تعالى مَن لا يَنفِرُ مع الرسولِ ﷺ وضَرَبَ له مِن الأمثال ما ضَرَب، أَتْبَعَه بهذا الأمْرِ الجَزْم، والمعنى: انفِرُوا على الوصف الذي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) زاد المسير ٣/٤٤١، وقول ابن عباس عند الطبري ١١/٤٦٧، وينظر تفسير الثعلبي ٣/٢٠٤.

(٣) كذا أوردها الثعلبي في التفسير ٣/ ٢٠٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦، ونَصَّا على أنَّها بألفين، أي: بالمدِّ في أوَّلها، مع الإشارة إلى أنَّها رُسمت في (ز١) و(د١) هكذا: «وأيْدَه»، ورسمت في (ع) بسكون الياء، ولم تُجوَّد في النسخ الأخرى.

(٤) هي قراءة يعقوب، من العشرة، وهي في النشر ٢/ ٢٧٩، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٢ عن الأعمش والحسن وأبي مجلز.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦.

يَخِفُّ عليكم فيه الجهادُ، أو على الوصف الذي يَثْقُلُ، والخِفَّة والثِّقَل هنا مستعارٌ لمَن يُمكنه السفرُ بسهولة ومَن يُمكنه بصعوبة، وأمَّا مَن لا يمكنه كالأعمى ونحوِه فخارجٌ عَن هذا، ورُوِيَ أنَّ ابنَ أمِّ مَكْتُوم جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعَلَيَّ أنْ أنْفِرَ؟ قال: «نعم». حتى نزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1] [النور: ٦١].

وذَكَر المفسِّرون مِن معاني الخِفَّة والثِّقَل أشياءَ لا على وَجْهَ التَخْصِيص بعضها دونَ بعض، وإنَّما يُحمل ذلك على التمثيل لا على الحَصْر، قال الحسنُ وعكرمة ومجاهد: شباباً وشيوخاً، وقال أبو صالح: أغنياء وفقراء، وفي اليُسْر والعُسْر. وقال الأوزاعيُّ: رُكباناً ومشاةً، وقيل عكسُه. وقال زيدُ بنُ أسْلَم: عُزْباناً ومُتَزوِّجين. وقال جُوَيْبر: أصحَّاء ومَرْضى.

وقال جماعة: «خِفافاً» مِن السلاح، أي: مُقِلِّينَ منه، و«ثقالاً» أي: مُستكثِرِين منه. وقال الحكم بنُ عُتَيْبَة وزيد بن عليٍّ: «خفافاً» مِن الأشغال و«ثقالاً» بها. وقال ابنُ عبَّاس: «خفافاً» مِن العيال و«ثقالاً» بهم.

وحكى التبريزيُّ: «خفافاً» مِن الأتْباع والحاشية، «ثقالاً» بهم. وقال عليُّ بنُ عيسى: هو مِن خفَّة اليقين وثِقَلِه عند الكراهة.

وحكى الماورديُّ: خفافاً إلى الطاعة، و«ثقالاً» عن المخالفة. وحكى صاحب «الغنيان»: «خفافاً» إلى المبارزة، و«ثقالاً» في المصابرة. وحكى أيضاً: «خفافاً» بالمسارعة والمبادرة، و«ثقالاً» بعد التروِّي والتفكُّر. وقال ابنُ زيدٍ: ذوي ضَيْعَة وهو الثَّقيل، وغير ذوي ضَيْعَةٍ وهو الخفيف. وحكى النَّقَّاشُ: شجعاناً وجُبناءَ. وقيل: مَهازيلَ وسِماناً. وقيل: سُبَّاقاً إلى الحرب، كالطَّليعة وهو مقدَّم الجيش، والثِّقال: الجيشُ بأسْره. وقال ابنُ عباسٍ وقتادة: النَّشِيط والكَسْلان[2].

---

(١) المصدر السابق، وينظر الكشاف ٢/ ١٩١، والقرطبي ١٠/ ٢٢١، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٤٩، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦١ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه بنحوه.

(٢) تنظر هذه الأقوال الواردة في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢١١-٢١٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٤، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥-٣٦٦، وتفسير البغوي ٢/ ٢٩٦، والكشاف ٢/ ١٩١، وزاد المسير ٣/ ٤٤٢-٤٤٣، وتفسير الرازي ١٦/ ٦٩-٧٠، والقرطبي ١٠/ ٢٢٠-٢٢٢، وينظر تخريجها عند الطبري ١١/ ٤٦٨-٤٧٤.

والجمهور على أنَّ الأَمْرَ موقوفٌ على فَرْض الكفاية ولم يَقْصِد به فرضَ الأعيان.

وقال الحسن وعكرمة: هو فَرْضٌ على المؤمنين، عنى به فرضَ الأعيان في تلك المدَّة، ثم نُسخَ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾(١) [التوبة: ١٢٢].

وانتصب «خفافاً وثقالاً» على الحال، وذَكَر «بأموالكم وأنفسكم» إذ ذلك وَصْفٌ لأكملِ ما يكون مِن الجهاد وأنفعِه عند الله، فحضَّ على كمالِ الأوصاف، وقُدِّمَتِ الأموالُ؛ إذ هيَ أوَّل مَصْرِف وقت التجهيز، وذَكَر ما المجاهَدُ فيه وهو سبيلُ الله، والخيريَّة هي في الدنيا بغَلَبة العَدُوِّ ووراثةِ الأرض، وفي الآخِرة بالثواب ورِضْوان الله، وقد غَزَا أبو طلحة حتى غَزَا في البحر ومات فيه(٢)، وغزا المقدادُ على ضخامتِه وسِمَنه(٣)، وسعيدُ بنُ المسيب وقد ذهَبَت إحدى عينيه(٤)، وابنُ أمِّ مَكْتُوم مع كونِه أعمى(٥).

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٢١.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٤، والقرطبي ١٠/ ٢٢١-٢٢٢، وأبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود، وخبره أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٧٠، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٨٨٩)، وأبو يعلى (٣٤١٣)، وابن حبان (٧١٨٤)، والواحديُّ في أسباب النزول ص٢٤٥ من حديث أنس ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٣: رواه أبو يعلى ورجاله الصحيح، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٤٦٨٣) من حديث أنس، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٣: رجاله رجال الصحيح.
ونقل ابن سعد في الطبقات عن الواقديِّ أنَّه مات ـ يعني أبا طلحة ـ بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وصلَّى عليه عثمان بن عفان، وهو يومئذ ابنُ سبعين سنة، وأهل البصرة يَرْوونَ أنَّه ركب البحر فمات فيه، فدفنوه في جزيرة.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٢، والخبر أخرجه الطبريُّ ٣/ ٤٧٣-٤٧٤، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٢٣٦ (٥٥٦)، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٤٩، والمقداد هو: ابن الأسود فارسُ رسولِ الله ﷺ.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٤، والقرطبي ١٠/ ٢٢٢، والبغوي ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، والكشاف ٢/ ١٩١ نقلاً عن الزهري.

(٥) كذا ذَكَر القرطبي في التفسير ١٠/ ٢٢٢-٢٢٣، حيث نَقَل عنه أنَّه قال يوم أُحُد: أنا رجلٌ أعمى، فسلِّموا لي اللواء، فإنه إذا انهزم حاملُ اللواء انهزم الجيشُ، وأنا ما أدري مَن يقصدني بسيفه فما أبرح. وقال بعد ذلك: فأخذ اللواء يومئذٍ مصعب بن عُمير. اهـ.
=

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لو كان ما دُعُوا إليه غُنْماً قريباً سَهْلَ المَنالِ «وسَفَراً قاصداً» وسطاً مُقارِباً، وهذه الآية في قصَّة تبوك حين استنفَر المؤمنين، فنَفَروا واعتَذَرَ منهم لا محالةَ فريق، لاسيَّما مِن القبائل المجاورة للمدينة.

وليس قوله: «يا أيها الذين آمنوا مالكم» خطاباً للمنافقين خاصَّةً، بل هو عامٌّ، واعتَذَر المنافقون بأعذارٍ كاذبةٍ، فابتَدَأ تعالى بذِكْر المنافقين وكَشْفِ ضمائرهم.

«لاتَّبعوكَ» لبَادَروا إليه لا لوجهِ اللهِ، ولا لظهورِ كلمته، «ولكن بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ» أي: المسافةُ الطويلة في غَزْوِ الرُّوم، و«الشُّقَّة» بالضَّمِّ، مِن الثياب، والشُّقَّة أيضاً السَّفَرُ البعيدُ، ورُبَّما قالوه بالكسرِ، قاله الجوهريُّ[1]. وقال الزجَّاج: «الشُّقَّة»: الغايةُ التي تُقْصَد[2]. وقال ابنُ عيسى: الشُّقَّةُ: القِطْعة مِن الأرض يَشُقُّ ركوبُها. وقال ابنُ فارس: «الشُّقَّة» المسيرُ إلى أرضٍ بعيدةٍ[3]، واشتقاقها مِن الشِّقِّ أو مِن المَشَقَّة.

وقرأ عيسى بنُ عُمر: «بَعِدَت عليهم الشِّقَّة» بكسر العين والشين، وافقه الأعرج في «بَعِدَت»[4]. وقال أبو حاتم: إنَّها لغةُ بني تميم في اللفظَيْن[5]. انتهى. وحكى الكسائيُّ: شُقَّة وشِقَّة[6].

= ولم نقف على هذا الخبر عند غيرِ القرطبي، والمشهور عن ابن أمّ مكتوم أنَّ رسول الله ﷺ استَخْلَفَه يوم أُحُد على من بقيَ بالمدينة، كذا ذكر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤ و٦٦، وابنُ عبد البَرِّ في الدُّرر ص١٥٧، وابن حجر في الإصابة ٧/ ٨٤، وأنَّه شَهِدَ فتح القادسية، وكان معه اللواء، وقُتِلَ شهيداً بالقادسية. جمهرة نسب قريش ٢/ ٩٦٥-٩٦٦، والاستيعاب الترجمة (١٧٥٠)، والإصابة ٧/ ٨٣-٨٥.

(١) الصحاح (شقق)، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٦.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٠، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٤٤.
(٣) ينظر النكت والعيون ٢/ ٣٦٧.
(٤) ينظر زاد المسير ٣/ ٤٤٤، وقول ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة ٣/ ١٧١ (شق).
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣.
(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٧.

«وسيحلفون» أي: المنافقون، وهذا إخبارٌ بغيبٍ، قال الزّمخشريُّ في قوله: «وسيحلفون بالله» ما نصُّه: «بالله» متعلِّق بـ«سيحلفون» أو هو مِن كلامهم، والقولُ مرادٌ في الوجهين، أي: سيحلفون مُتَخلِّفين عندَ رجوعكَ مِن غزوة تَبُوك مُعْتَذِرين، يقولون: «بالله لو استطعنا لخَرَجنا معكم»، أو: وسيحلفونَ بالله، يقولون: «لو استطعنا»، وقوله: «لخرجنا» سَدَّ مَسَدَّ جوابي القَسَم و«لو» جميعاً، والإخبارُ[1] بما سوف يكون بعدَ القُفُول[2] مِن حَلِفهم واعتذارِهم، وقد كان مِن جملة المعجزاتِ، ومعنى الاستطاعة استطاعةُ العُدَّة أو استطاعةُ الأبدان، كأنَّهم تَمارَضُوا. انتهى.

وما ذهب إليه مِن أنَّ قوله: «لخرجنا» سَدَّ مَسَدَّ جوابَي القَسَم و«لو» جميعاً. ليس بجيِّدٍ، بل للنَّحْوِيِّين في هذا مذهبان؛ أحدهما: أنَّ «لخرجنا» هو جوابُ القَسَم، وجَوابُ «لو» محذوف على قاعدة اجتماع القَسَم والشَّرْط إذا تقدَّم القَسَم على الشَّرط، وهذا اختيار أبي الحسن بن عُصْفُور. والآخَر: أنَّ «لخرجنا» هو جوابُ «لو» وجوابُ القَسَم هو «لو» وجوابُها، وهذا اختيارُ ابنِ مالك[3]، أمَّا أنَّ «لخرجنا» يَسُدُّ مَسَدَّهما، فلا أَعْلَم أحداً ذهبَ إلى ذلك، ويَحتمل أن يُتأوَّل كلامه على أنَّه لمَّا حُذفَ جوابُ «لو» ودلَّ عليه جوابُ القَسَم جُعلَ كأنَّه سَدَّ مَسَدَّ جوابِ القَسَم وجوابِ «لو» جميعاً.

وقرأ الأعمش وزيد بن عليٍّ: «لَوُ اسْتَطَعْنا» بضمِّ الواوِ[4]، فَرَّ مِن ثِقَلِ الكسرة على الواو، وشبَّهها بواو الجَمْع عند تحريكِها لالتقاء الساكنين.

وقرأ الحسن: بفتحها[5]، كما جاء: «اشْتَرَوَا الضلالة» [البقرة: ١٦] بالأَوْجُه الثلاثة[6].

---

(١) من هنا، وحتى قوله الآتي: جواب القسم ولو جميعاً. ليست في (يه).
(٢) في النسخ عدا (ح): القول. والمثبت منه ومن مطبوع الكشاف ٢/ ١٩١. ومخطوطه الورقة (١٩٧).
(٣) ينظر التسهيل ص١٥٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٢.
(٥) يعني: «لَوَ استطعنا»، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٥، وينظر الدر المصون ٦/ ٥٤، واللباب ١٠/ ١٠٠، قال ابن جنّيّ في المحتسب ١/ ٢٩٢: فلو قرأ قارئ متقدِّم: «لَوَ استطعنا» بفتح الواو، لكان محمولاً على قول من قال: «اشتَرَوَا الضلالة»، فأما الآن فلا عذر لأحدٍ أن يرتجل قراءة وإن سوَّغتها العربية، من حيث كانت القراءة سنَّة متَّبعة.
(٦) ينظر ما سلف عند تفسير الآية (١٦) من سورة البقرة.

«يهلكون أنفسَهم» بالحَلِف الكاذب، أي: يُوقِعُونها في الهلاك به، والظاهر أنَّها جملةُ استئنافِ إخبارٍ منه تعالى.

وقال الزمخشريُّ: «يُهلكون أنفسَهم» إمَّا أن يكون بدلاً مِن «سيحلفون»، أو حالاً بمعنى: مُهْلكين، والمعنى أنَّهم يُوقعونها في الهَلَاك بحَلِفهم الكاذب، وما يحلفون عليهِ من التخلُّف، ويحتمل أن يكون حالاً مِن قوله «لخرجنا» أي: لخَرَجنا معكم وإن أَهْلَكْنا أنفُسَنا وأَلْقيناها في التَّهلكة بما نُحَمِّلُها مِن المسير في تلك الشُّقَّة، وجاء به على لفظ الغائبِ؛ لأنَّه مُخبرٌ عنهم، أَلَا ترى أنَّه لو قيل: سَيَحْلِفون بالله لو استطاعوا لخَرَجوا. لكان سَدِيداً، يقال: حَلَفَ بالله لَيَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلَنَّ، فالغَيبةُ على حُكم الإخبار، والتكلُّمُ على الحكاية[1]. انتهى.

أمَّا كون «يُهْلِكون» بدلاً مِن «سَيَحْلفون»، فبعيدٌ؛ لأنَّ الإهلاك ليس مُرادفاً للحَلِف ولا هو نوعٌ مِن الحَلِف، ولا يجوز أن يُبْدَلَ فِعْلٌ مِن فِعْلٍ إلَّا أن يكون مرادفاً له، أو نوعاً منه[2].

وأمَّا كونه حالاً مِن قوله: «لخَرَجنا» فالذي يَظهر أنَّ ذلك لا يجوز؛ لأنَّ قوله: «لخرجنا» فيه ضمير التكلُّم، فالذي يَجري عليه إنَّما يكون بضمير المتكلِّم، فلو كان حالاً من ضمير «لخرجنا» لكان التركيب: نُهْلِكُ أنفسَنا، أي: مهلكي أنفسِنا.

وأمَّا قياسُه ذلك على: حَلَف بالله لَيَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلَنَّ، فليس بصحيح؛ لأنَّه إذا أجْرَاهُ على ضمير الغَيبة لا يَخرجُ منه إلى ضمير المتكلِّم، لو قلت: حَلَفَ زيدٌ لَيَفعلنَّ وأنَا قائمٌ، على أن يكون: وأنا قائم، حالاً مِن ضمير: ليَفْعلنَّ، لم يَجُز، وكذا عكسُه، نحو: حَلَف زيدٌ لأفعلنَّ يقوم، تريد: قائماً، لم يَجز.

وأمَّا قوله: وجاء به على لفظ الغائب، لأنَّه مُخبرٌ عنهم. فمغالطةٌ، ليس مُخبراً عنهم بقوله: «لو استطعنا لخرجنا معكم» بل هو حاكٍ لفظَ قولهم.

ثمَّ قال: أَلَا ترى لو قيل: لو استطاعوا لخرجوا، لكان سديداً، إلى آخره، كلامٌ صحيح، لكنَّه تعالى لم يَقُل ذلك إخباراً عنهم، بل حكاية، والحالُ مِن جملة

(١) الكشاف ٢/ ١٩١.

(٢) ينظر ما قاله السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٥٥ حول هذا الكلام.

كلامهم المحكيِّ، فلا يجوز أن يُخالفَ بين ذي الحالِ وحالِه؛ لاشتراكهما في العامل، لو قلت: قال زيد: خرجت يضرب خالداً، تريد: أضربُ خالداً، لم يَجز، ولو قلت: قالت هند: خرج زيدٌ أَضرِبُ خالداً، تريد خرج زيد ضارباً خالداً، لم يَجز.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ قال ابنُ عطيَّة: هذه الآيةُ في صِنْفٍ مبالِغ في النِّفاق استأذنوا دونَ اعتذارٍ، منهم: عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ، والجَدُّ بنُ قيس، ورِفاعة بن التابوت، ومَن اتَّبعهم، فقال بعضهم: ائْذَنْ لي ولا تَفتنِّي، وقال بعضُهم: ائْذَنْ لنا في الإقامة، فأَذِنَ لهم استبقاءً منهُ عليهم[١]، وأَخْذاً بالأسهل مِن الأمور وتوكُّلاً على الله، قال مجاهد: قال بعضُهم: نَستأذِنُهُ، فإن أَذِنَ في القُعود قَعَدْنا، وإن لم يَأْذَن قَعَدنا، فنزلت الآيةُ في ذلك[٢]. انتهى.

وقال أبو عبد الله إبراهيم بن عَرَفَة النَّحْويُّ الدَّاوديُّ، المَنْبُوز بـ: نِفْطَوَيْه: ذَهَبَ ناسٌ إلى أنَّ النبيَّ ﷺ مُعاتَبٌ بهذه الآية، وحاشاه مِن ذلك، بل كان له أنْ يَفعل وأنْ لا يَفعل حتى يَنزل عليه الوَحْيُ، كما قال: «لو استقبلتُ مِن أَمْري ما استدبرتُ، لجَعلْتُها عمرةً»[٣] لأنَّه كان له أنْ يَفعل وأنْ لا يَفعل، وقد قال الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] لأنَّه كان له أنْ يَفعل ما يَشاء ممَّا لم يَنزل عليه فيه وحيٌ، واستأذنه المخلَّفون في التخلُّف واعتذروا، اختار أَيْسَرَ الأَمْرين؛ تكرُّماً وتفضّلاً منه ﷺ، فأبانَ اللهُ تعالى أنَّه لو لم يَأذَن لهم لأقاموا؛ للنِّفاق الذي في قلوبهم، وأنَّهم كاذبون في إظهار الطاعة والمشاوَرَة.

فـ «عفا اللهُ عنكَ» عنده افتتاحُ كلام، أعلمه اللهُ به أنَّه لا حَرَجَ عليه فيما فَعَلَ مِن الإذن، وليس هو عفواً عن ذَنْبٍ، إنَّما هو أنَّه تعالى أَعلَمَه أنَّه لا يَلزمه تَرْكُ الإذنِ

(١) الذي في مطبوع المحرر الوجيز ٣/٣٨: استيفاءً منه ﷺ.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٨، وقول مجاهد عند الطبري ١١/٤٧٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٥.
(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١٢٥٠٢)، وأبو يعلى (٤٣٤٥) من حديث أنس ﷺ، وهو عند مسلم (١٢١٨) من حديث جابر في صفة حجِّه ﷺ، ولفظه عنده: «لو أنِّي استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ، لم أَسُقِ الهديَ، وجعلتها عمرةً، . . . .» الحديث.

لهم، كما قال ﷺ: «عفا اللهُ لكم عن صَدَقة الخيل والرَّقِيق»[1] وما وَجَبَتا قَطُّ، ومعناه: تَرْكُ أنْ يَلزمكم ذلك. انتهى.

ووافقَه عليه قومٌ، فقالوا: ذِكْرُ العَفْوِ هنا لم يكن عن تقدُّم ذَنْبٍ، وإنَّما هو استفتاحُ كلامٍ جَرَت عادةُ العرب أنْ تُخاطِب بمثلِه لمَن تُعظِّمُه وتَرفَع مَن قَدْره، يَقصدون بذلك الدعاءَ له، فيقولون: أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ، كان كَذَا وكَذَا، فعلى هذا صِيْغَتُه صيغةُ الخبرِ ومعناه الدعاءُ. انتهى.

و«لِمَ» و«لهم» متعلِّقان بـ «أَذِنْتَ» لكنَّه اختلف مدلولُ اللَّامَيْن؛ إذ لامُ «لم» للتعليل، ولامُ «لهم» للتبليغ، فجاز ذلك؛ لاختلاف معنَيَيْهما.

ومتعلّق الإذن غيرُ مذكور، فما قدَّمناه يَدُلُّ على أنَّه القُعود، أي: «لِمَ أذنتَ لهم» في القُعود والتخلُّف عن الغَزْوِ حتى تعرفَ ذوي العُذْر في التخلُّف ممَّن لا عُذْرَ له.

وقيل: متعلّق الإذن هو الخروجُ معه للغَزْوِ لِمَا يترتَّب على خروجهم مِن المفاسد؛ لأنَّهم كانوا عيناً للكفَّار على المسلمين، ويَدُلُّ عليه قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] وكانوا يَخذلون المؤمنين ويَتمنَّون أن تكون الدَّائرةُ عليهم، فقيل: «لِمَ أذنتَ لهم» في إخراجهم وهم على هذه الحالة السَّيِّئة، وبيَّن أنَّ خروجَهم معه ليس مصلحةً بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

و«حتَّى» غايةٌ لمَا تَضمَّنه الاستفهام، أي: ما كان لَكَ أن تأذنَ لهم حتى يَتَبيَّن مَن له العُذْر، هكذا قدَّره الحَوفيُّ.

وقال أبو البقاء: «حتى يَتَبَيَّنَ» متعلّق بمحذوفٍ دَلَّ عليه الكلامُ، تقديره: هلَّا أخَّرتهم إلى أنْ يتبيَّن أو لِيَتبيَّن، وقوله: «لِمَ أَذنتَ لهم» يَدُلُّ على المحذوف، ولا يجوز أن تتعلَّق «حتى» بـ «أَذِنتَ»؛ لأنَّ ذلك يوجب أن يكون أَذِنَ لهم إلى هذه الغاية، أو لأجل التَّبيين، وهذا لا يُعاتَب عليه[2]. انتهى.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البزار في المسند (٨٤٠)، وهو عند أبي داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، وابن ماجه (١٧٩٠)، وأحمد (٧١١) من حديث علي ﷺ، بلفظ: «قد عفوتُ عن صدقة الخيل والرقيق،...» الحديث.

(٢) الإملاء ٢/١٦.

وكلام الزمخشريِّ في تفسير قوله: «عفا اللهُ عنك لِمَ أذنتَ لهم» ممَّا يَجبُ اطِّراحُهُ، فَضْلاً عن أنْ يُذكَرَ فيُرَدَّ عليه(١).

وقوله: «الذين صدقوا» أي: في استئذانِكَ، وأنَّك لو لم تَأذَن لهم خَرَجوا معك «وتَعلَم الكاذبين» يريدُ في أنَّهم استأذنوكَ، يُظهِرون لَكَ أنَّهم يَقفونَ عند حَدِّك، وهم كَذَبةٌ، وقد عَزَموا على العصيان أذِنْتَ أو لَم تأْذَن.

وقال الطبريُّ: «حتى تعلم الصادقين» في أنَّ لهم عُذْراً «وتعلم الكاذبين» في أنْ لا عُذرَ لهم، وقال قتادة: نزلت بعد هذه الآيةِ آيةُ «النُّور»: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: ٦٢] وهذا غَلَطٌ، لأنَّ «النُّورَ» نزلت سنةَ أربعٍ مِن الهجرة في غزوة الخَنْدق في استئذانِ بعضِ المؤمنين الرَّسُولَ في بعضِ شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباحَ اللهُ له أنْ يَأذنَ، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى(٢).

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ قال ابنُ عباس: «لا يستأذنك» أي: بَعْدَ غزوةِ تبوك(٣).

وقال الجمهور: ليس كذلك؛ لأنَّ ما قَبْلَ هذه الآية وما بَعْدَها وَرَدَ في قصَّة تَبوك، والظاهرُ أنَّ متعلّق الاستئذان هو «أنْ يُجاهدوا»، أي: ليس مِن عادة المؤمنين أنْ يستأذنوك في أن يُجاهدوا، وكان الخُلَّص مِن المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبيَّ ﷺ أَبَداً، ويقولون: لَنُجاهدنَّ مَعَهُ بأموالنا وأنفسنا.

وقيل: التقدير: لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القُعود كراهةَ أن يُجاهدوا، بل إذا أَمَرْتَ بشيءٍ ابتدروا إليه، وكان الاستئذانُ في ذلك الوقت علامةً على النِّفاق، وقوله: «واللهُ عليم بالمتَّقين» شهادةٌ لهم بالانتظام في زُمرة المتَّقين، وعِدَةٌ لهم بأجزلِ الثواب.

---

(١) وعبارته عنده هكذا: «عفا الله عنك» كناية عن الجناية؛ لأنَّ العفوَ رادف لها، ومعناه: أخطأتَ وبئس ما فعلت. الكشاف ٢/ ١٩٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩، وكلام الطبري وقتادة في التفسير ١١/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٣) تفسير الرازي ١٦/ ٧٦.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ هم المنافقون، وكانوا تسعةً وثلاثينَ رجلاً[(١)]، ومعنى «ارتابت» شَكَّت، و«يَتَردَّدون» يَتحيَّرون، لا يَتَّجه لهم هدًى، فتارةً يَخطُر لهم صحَّةُ أمْرِ الرسولِ، وتارةً يَخطُر لهم خلافُ ذلك.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ قال ابنُ عباسٍ: «عُدَّةً» مِن الزَّادِ والماء والراحلة[(٢)]؛ لأنَّ سفرَهم بعيد، وفي زمان حَرٍّ شديد، وفي تَرْكهم العُدَّة دليلٌ على أنَّهم أرادوا التخلُّف. وقال قوم: كانوا قادرين على تحصيل العُدَّة والأُهْبة. وروى الضحاك عن ابنِ عباس: العُدَّة: النِّيَّةُ الخالصة في الجهاد[(٣)]. وحكى البغويُّ[(٤)]: كلُّ ما يُعَدُّ للقتال مِن الزَّاد والسِّلاح.

وقرأ محمد بنُ عبد الملك بنِ مروان وابنُه معاوية: «عُدَّهُ» بضمِّ العين مِن غير تاء[(٥)]، والفَرَّاءُ يقول: تسقط التاء؛ للإضافة، وجعلَ مِن ذلك ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، أي: وإقامةِ الصلاة[(٦)]، ووَرَدَ ذلك في عِدَّة أبياتٍ مِن لسانِ العربِ[(٧)]، ولكن لا نَقِيسُ ذلك، إنَّما نَقِفُ فيه مع مَوردِ السَّماع.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٢.
(٢) تفسير الرازي ١٦/ ٧٨.
(٣) زاد المسير ٣/ ٤٤٦.
(٤) في (د١) والمطبوع: الطبري. وينظر تفسير البغوي ٢/ ٢٩٨.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٢.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠، وينظر كلام الفرَّاء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٢٥٤، وينظر رَدُّ ابنِ جنِّيَ عليه في المحرر، وفي المحتسب ١/ ٢٩٢.
(٧) من ذلك قول الشاعر:
إنَّ الخليط أَجَدُّوا البينَ فانجردوا ... وأخلفوكَ عِدَ الأمرِ الذي وَعَدوا
نَسَبه في اللسان (غلب) للفضل بن العباس اللهبي، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٣٩، دون نسبة، والشاهد فيه: عِدَ، يريد: عِدَة الأمر، فاستجاز إسقاط الهاء حين أضافها. وسيأتي في تفسير سورة النور عند تفسير الآية (٣٧).
وعجز البيت أورده أيضاً ابن جنِّيَ في الخصائص ٣/ ١٧١ بلفظ: عِدًا، بزيادة الألف على أنه جمع: عِدَة. وأورد أيضاً كلامَ الفرَّاء فلينظر ثمَّة.

قال صاحبُ «اللوامح»: لمَّا أضافَ جَعَلَ الكنايةَ نائبةً عن التاء فأسقطها، وذلك لأنَّ العُدَّ ـ بغير تاء ولا تقديرها ـ هو البَثْر الذي يَخرُج في الوجه.

وقال أبو حاتم: هو جَمْعُ: عُدَّةٍ، كَبُرَّةٍ وَبُرٍّ، ودُرَّةٍ ودُرٍّ، وَالوَجْه فيه: عُدَدٌ، ولكن لا يُوافق خطَّ المصحف[1].

وقرأ زِرُّ بنُ حُبَيْش وأبانٌ عن عاصم: «عِدَّهُ» بكسر العين وهاءِ إضمارٍ، قال ابنُ عطيَّة[2]: وهو عندي اسْمٌ لما يُعَدُّ كالذِّبْح والقِتْل للعَدوّ، سُمِّيَ قِتْلاً[3]، إذ حقُّه أن يُقتَل.

وقُرِئَ أيضاً: «عِدَّةً» بكسر العين وبالتاء دونَ إضافة[4]، أي: «عِدَّةً» مِن الزَّاد والسلاح، أو ممَّا لهم، مأخوذ مِن العَدَد.

ولمَّا تضمَّنت الجملةُ انتفاءَ الخروج والاستعدادِ، وجاء بَعْدَها: «ولَكِن» وكانت لا تَقَعُ إلَّا بين نقيضَيْن أو ضِدَّين أو خلافَيْن ـ على خلافٍ فيه ـ لا بين متَّفِقَيْن، وكان ظاهرُ ما بَعْدَ «لَكِن» موافقاً لِمَا قبلها، قال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: كيف موقعُ حرفِ الاستدراك؟ قلتُ: لمَّا كان قوله: «ولو أرادوا الخروجَ» مُعْطِياً معنى نَفْي خروجهم واستعدادِهم للغَزْوِ، قيل: «ولكِنْ كَرِهَ اللهُ انبعاثَهم» كأنَّه قيل: ما خرجوا ولَكِنْ تَثَبَّطوا عن الخروج؛ لكراهة انبعاثِهم، كما تقول: ما أَحْسَنَ إليَّ زيدٌ ولكن أَسَاءَ إليَّ[5]. انتهى.

وليست الآيةُ نظيرَ هذا المثال؛ لأنَّ المثالَ واقعٌ فيه «لَكِن» بين ضِدَّيْن، والآية واقعٌ فيها «لَكِن» بين متَّفِقَيْن، مِن جهة المعنى والانبعاثِ؛ الانطلاقِ والنهوض.

قال ابنُ عباسٍ: «فثبَّطَهم» كَسَّلهم وفَتَّرَ نيَّاتهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠، والقراءة السالفة في القراءات الشاذة ص٥٣.
(٣) أي: العَدوّ، قال الجوهري في الصحاح (قتل): والقِتْلُ بالكسر: العَدُوُّ، وقال الشاعر:
واغترابي عن عامر بن لؤيٍّ ... في بلادٍ كثيرة الأقتال
والأقتال: الأعداء، والبيت لعبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات، وهو في ديوانه ص١١٣.
(٤) الكشاف ٢/ ١٩٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣ وعزاها لزرّ بن حبيش.
(٥) الكشاف ٢/ ١٩٣.

وبُنيَ «وقِيْلَ» للمفعول؛ فاحتمل أن يكون القولُ إذْنَ الرسولِ لهم في القعود، أو قولَ بعضِهم لبعضٍ، إمَّا لفظاً وإمَّا معنًى، أو حكايةً عن قولِ الله في سابقِ قضائه.

وقال الزمخشريُّ: جَعَلَ إلقاءَ اللهِ تعالى في قلوبهم كراهةَ الخروج أمْراً بالقُعود، وقيل: هو مِن قولِ الشيطان بالوَسْوَسة.

قال: فإن قلتَ: كيفَ جازَ أن يُوقِعَ اللهُ تعالى في نفوسهم كراهةَ الخروج إلى الغَزْوِ وهي قَبِيحةٌ، وتعالى اللهُ عن إلهام القبيح؟ قلتُ: خروجُهم كان مفسدةً؛ لقوله تعالى: «لو خَرجوا فيكم ما زادُوكم إلَّا خبالاً» فكان إيقاعُ كراهةِ ذلك الخروج في نفوسهم حَسَناً ومصلحةً[1]. انتهى.

وهذا السؤالُ والجواب على طريقة الاعتزال في المفسدة والمصلحة، وهذا القولُ هو ذَمٌّ لهم، وتعجيزٌ، وإلحاقٌ بالنِّساء والصِّبْيان والزَّمْنَى الذين شأنهم القُعود والجُثُوم في البيوت، وهم: القاعدونَ والخالفونَ والخَوَالف، ويُبَيِّنُه قولُه تعالى: «رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخَوَالف»، والقُعود هنا عبارةٌ عن التخلُّف والتراخي، كما قال:

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها وَاقْعُدْ فَإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي[2]

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ لمَّا خَرَج رسولُ الله ﷺ ضَرَبَ عَسْكَرَه إلى ثَنِيَّة الوَدَاع، وضَرَبَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ عسكرَه أسفلَ مِنها، ولم يكن بأقلِّ العسكرَيْن، فلمَّا سار تَخلَّفَ عنه عبدُ الله فيمَن تَخلَّفَ، فنزلت يُعزِّي اللهُ رسولَه، إلى قوله: «وهم كارهون»[3].

و«فيكم» أي: في جيشِكم، أو في جُملتكم، وقيل: «في» بمعنى «مع»، قال ابنُ عبَّاسٍ: الخَبَالُ: الفَسَادُ، ومُراعاة إخماد[4] الكلمة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البيت للحطيئة، وهو في ديوانه ص٢٨٤. وسلف عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

(٣) ينظر أسباب النزول للواحديّ ص٢٤٦، وزاد المسير ٣/ ٤٤٧، وسيرة ابن هشام ٢/ ٥١٩، وتفسير الطبري ١١/ ٤٩٠.

(٤) كذا رُسمت في بعض النسخ واضطربت في البعض الآخر، ورسمت في (ز١) هكذا:

وقال الضَّحَّاك: المَكْر والغَدْر. وقال ابنُ عيسى: الاضْطِراب[(١)]. وقال الكلبيُّ: الشَّرُّ، وقاله ابنُ قتيبة[(٢)]. وقيل: إيقاعُ الاختلاف والأراجيف[(٣)]، وتقدَّم شَرْحُ الخبال في «آل عمران»[(٤)].

وهذا الاستثناء متَّصِل، وهو مفرَّغ، إذِ المفعول الثاني لـ: زاد، لم يُذكَر، وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثيرٌ ولهم لا شَكَّ خَبَالٌ، فلو خرج هؤلاء لالْتَأموا[(٥)] فزادَ الخبال.

وقال الزمخشريُّ: المستثنى منه غيرُ مذكورٍ، فالاستثناء مِن أعمِّ العامِّ الذي هو الشيء، فكان استثناءً متَّصلاً؛ لأنَّ الخبالَ بعضُ أعمِّ العامِّ، كأنَّه قيل: ما زادوكم شيئاً إلَّا خبالاً[(٦)].

وقيل: هو استثناءٌ منقطع، وهذا قولُ مَن قال: إنَّه لم يكن في عَسْكَر الرَّسولِ ﷺ خَبَالٌ، فالمعنى: ما زادوكم قوَّةً ولا شِدَّةً، لَكِن خبالاً[(٧)].

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: «ما زادوكم» بغيرِ واوٍ[(٨)]، يعني: ما زَادَكم خروجُهم إلَّا خبالاً.

والإِيْضَاعُ: الإسراع، قال:

= إخماذ. ولم نهتدِ لمعناه، ولم نقف على كلامٍ لابن عباس هكذا، بل ورد في النكت والعيون ٢/ ٣٦٨ عنه أنَّه الفساد، ولعلَّ الكلمة مصحَّفة عن لفظة: اتِّحاد، لأنَّ ابن عطية فسَّر الخبالَ بقوله: والخَبَال: الفساد في الأشياء المؤتلفة الملتحمة كالمودَّات.. إلى آخر كلامه، فالخَبَال هنا هو الفساد ومراعاة اتِّحاد الكلمة؛ لتفريقهم. والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) النكت والعيون ٢/ ٣٦٨.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٦ عن الكلبي، وزاد المسير ٣/ ٤٤٧ عن ابن قتيبة، وكلام ابن قتيبة في كتابه غريب القرآن ص١٨٧.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٠، والإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. المعجم الوسيط (رجف).
(٤) عند تفسير الآية (١١٨) منها.
(٥) في المطبوع: لتألبوا.
(٦) الكشاف ٢/ ١٩٤.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠.
(٨) المصدر السابق.

أَرَانا مُوضِعِيْنَ لأَمْرِ غيبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ[1]

ويقال: وَضَعتِ الناقةُ تَضَعُ وَضْعاً ووُضُوعاً[2] قال:

يا ليتني فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[3]

قال الحسنُ: معناه: لأسرعوا بالنَّمِيْمة. وقال محمد بنُ القاسم: لأسرعوا بالفِرار.

ومفعول: «أَوْضَعُوا» محذوفٌ، تقديره: ولأَوْضَعوا ركائبَهم بينكم؛ لأنَّ الراكبَ أسرعُ مِن الماشي.

وقرأ مجاهد ومحمد بنُ زيد: «ولأَوْفَضوا»[4] أي: أَسرعوا، كقوله: ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

وقرأ ابنُ الزُّبير: «ولأَرْفَضوا» بالرَّاء[5]، مِن: رَفَضَ: أَسْرَعَ في مَشْيه رَفْضاً ورَفَضاناً، قال حسان:

بِزُجاجةٍ رَفَضَت بما في جَوْفِها رَفَضَ القَلُوصِ براكبٍ مُسْتَعْجِلِ[6]

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٩٧، ومُوضِعِين: مسرعين، ولأَمرِ غيب: للموت المُغيَّب.

(٢) كذا في النسخ وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٠، والذي في المعاجم اللغوية وتفسير الطبري (١٤/ ٢٧٨ بتحقيق الشيخ محمود شاكر): موضوعاً، وأمَّا: وضوعاً، فهي مصدر لوَضَع فلان نفسه وَضْعاً ووضوعاً: أذلَّها، ينظر الصحاح والقاموس واللسان وتاج العروس (وضع)، وتفسير الطبري (١١/ ٤٨٣ طبعة دار هجر)، وهامش تفسير القرطبي.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٦، والرجز لدريد بن الصِّمَّة، وهو في ديوانه ص٩٣، قاله يومَ حنين وقد كان شيخاً هِمًّا لا قوَّة فيه، والجَذَع: الشَّابُّ الحَدَث، والخَبَب: ضَرْبٌ من العَدْوِ.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤١، والكشاف ٢/ ١٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤١، وتفسير الرازي ١٦/ ٨١.

(٦) ديوان حسان ص٣٦٨ (بشرح البرقوقي) و١/ ٧٥ (بتحقيق وليد عرفات)، برواية:

بزجاجةٍ رَقَصَتْ بما في قَعْرِها رَقَصَ القَلوص براكبٍ مُسْتَعْجِلِ

وأشار شارحه بالهامش إلى رواية: بما في جوفها، بدل: بما في قَعْرها. ولم نقف على رواية: رَفَضَت، ورَفضَ، يعني: بالفاء، ولعلَّها اشتبهت على المصنِّف، أو تصحَّفت من النُّسَّاخ، وينظر البيت أيضاً في الأغاني ١٧/ ١٧٤، والمحتسب ١/ ٢٩٣، والتذكرة =

وقال غيرُه:

والـرافـضـاتِ إلـى مـنًـى فـالـغَـبْـغَـبِ[١]

والخِلالُ جَمْعُ الخَلَل، وهو: الفُرْجَةُ بين الشيئين، وقال الأصمعيُّ: تَخَلَّلْتُ القومَ: دخلتُ بين خَلَلِهم وخِلَالِهم، وجلسنا خِلَالَ البيوتِ وخِلال الدُّوْرِ، أي: بينها[٢].

ويَبْغُون حالٌ، أي: باغِين، قال الفرَّاء: يَبْغُونها لكم[٣].

والفِتْنَةُ هنا الكُفْرُ، قاله مقاتل وابنُ قُتيبة والضَّحَّاك[٤]، أو: العَيْبُ والشَّرُّ، قاله الكلبيُّ[٥]، أو: تفريقُ الجماعة[٦]، أو: المِحْنَةُ باخْتِلاف الكَلِمة، أو: النَّمِيْمةُ.

= الحمدونية ٨/ ٣٧٢، وخزانة الأدب ٤/ ٣٨٥، واللسان (رقص)، قال ابن دريد في جمهرة اللغة ٢/ ٣٥٧: رَقَص يَرْقُص رَقَصاً، وهو من أحَد المصادر التي جاءت على: فَعَل فَعَلاً، وهي ستَّة أو سبعة: رَقَص رَقَصاً ورَفَضَ رَفَضاً... إلى آخرها، ثم أورد بيت حسان، وفيه: رَقَصت، ورَقَص، وقال: ومن سكَّن القاف فقد أخطأ.

(١) في النسخ عدا (يه): فالقبقب. والمثبت منها، وشطر البيت في مطبوع الكشاف ٢/ ١٩٤ ومخطوطه الورقة (١٩٨)، وفيه: والراقصات، بدل: والرافضات، وتمامه في كتاب الأصنام للكلبي ص٢١، والصحاح (غبب)، ومعجم البلدان للحموي ٤/ ١٨٦:

يـا عـامِ لـو قَـدَرَتْ عـلـيـكَ رمـاحُـنـا   والـراقـصـاتِ إلـى مـنًـى فـالـغَـبْـغَـبِ

ونُسبَ لنُهَيْكَة الفزاريّ، يقوله لعامر بن الطُّفيل، وأورده أيضاً ابن منظور في اللسان (غبب) دون أن ينسبه.

و: عامِ، ترخيم: عامر، وهو عامر بن الطُّفَيل، والغَبْغَب: المَنْحَر، وهو جُبَيْل بمنًى، وقيل: هو الموضع الذي كان فيه اللَّاتُ بالطائف، أو كانوا يَنحرون للَّاتِ فيه بها، وقيل: كلُّ مَنْحَر بمنًى غَبْغَبٌ. الأصنام ص٢٠، وتاج العروس (غبب).

ولم نقف على رواية: والرافضات، فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) تهذيب اللغة ٦/ ٥٧٢ (خلّ).

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٠.

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٤٧، وكلامُ ابنِ قتيبة في كتابه غريب القرآن ص١٨٧، وقول الضحاك في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٦، والبغوي ٢/ ٢٩٨.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٦ وتحرَّفت في مطبوعه إلى: الغيب والسّرّ؟!، وتفسير البغوي ٢/ ٢٩٨ وفيه: العَنَت، بدل: العيب، وكذا فسَّرها الزمخشري في مطبوع الكشاف ٢/ ١٩٤ ومخطوطه الورقة (١٩٨).

(٦) زاد المسير ٣/ ٤٤٨.

وقال الزمخشريُّ: يُحاوِلون أنْ يَفتنوكم، بأنْ يُوقعوا الخلافَ فيما بينَكم، ويُفسِدوا نيَّاتِكم في مَغْزَاكم «وفيكم سمَّاعون لهم» أي: نَمَّامون يَسمعون حديثَكم فينقلونَه إليهم، أو: فيكم قومٌ يَسمعون للمنافقين ويُطيعونهم[1]. انتهى.

فاللام في القول الأوَّل للتعليل، وفي الثاني لتقوية التعدية، كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، والقولُ الأوَّل قاله سفيان بنُ عيينة والحسنُ ومجاهد وابنُ زيد، قالوا: معناه: جَوَاسِيسُ يَستمعون الأخبارَ ويَنقلونها إليهم. ورجَّحه الطبريُّ، والقول الثاني قولُ الجمهور، قالوا: معناه: وفيكم مُطِيْعونَ سامعونَ لهم[2].

ومعنى «وفيكم» في خِلالِكم، منهم أو منكم، مِمَّن قَرُبَ عَهْدُه بالإسلام «والله عليمٌ بالظالمين» يَعُمُّ كلَّ ظالم، ومعنى ذلك أنَّه يُجازيه على ظُلْمِه، واندرج فيه مَن يَقْبَلُ كلامَ المنافقين ومَن يؤدِّي إليهم أخبارَ المؤمنينَ، ومَن تَخلَّف عن هذه الغَزَاةِ مِن المنافقين.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ تَقدَّم ذِكْر السبب في نزولِ هذه الآية والتي قَبْلَها مِن قصَّة رجوعِ عبدِ الله بن أُبَيٍّ وأصحابِه في هذه الغَزَاة، حَقَّرَ شَانهم في هذه الآية وأخبر أنَّهم قديماً سَعَوا على الإسلام، فأَبْطَلَ اللهُ سَعْيَهم.

وفي الأمور المُقَلَّبة أقوالٌ؛ قال ابنُ عباس: بَغَوا لَكَ الغَوائِل[3].

وقال ابنُ جريج: وَقَفَ اثنا عَشَر مِن المنافقين على الثَّنِيَّة ليلةَ العَقَبة كي يَفْتِكوا به[4].

(١) الكشاف ٢/ ١٩٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤١، وينظر المصادر الآنفة الذكر، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٩، وتفسير الطبري ١١/ ٤٨٥-٤٨٧ وفيه خبر مجاهد وابنِ زيد.
(٣) زاد المسير ٣/ ٤٤٨.
(٤) الكشاف ٢/ ١٩٤، وينظر المصدر السابق، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٣١، والرازي ١٦/ ٨٣، والعَقَبة هنا هي عقبةُ تبوك. المفهم ٧/ ٤١١.
والخبر أخرجه مسلم (٢٧٧٩) (١١) وهو عند أحمد (٢٣٣٢١) عن أبي الطفيل، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٦٠-٢٦١ عن حذيفة.

وقال أبو سليمان الدِّمَشْقيُّ: احْتَالُوا في تَشْتِيْتِ أَمْرِكَ وإبطالِ دِينك. قال ابنُ جرير[١]: كانْصِرافِ ابنِ أُبَيٍّ يومَ أُحُدٍ بأصحابِه.

ومعنى «مِنْ قَبْلُ» أي: مِن قَبْل هذه الغزوة، وذلك ما كان مِن حالِهم وقتَ هجرة رسولِ الله ﷺ ورجوعِهم عنه في أُحُدٍ وغيرِها.

وتقليبُ الأُمور هو تدبيرُها ظهراً لبَطْنٍ، والنَّظَر في نواحيها وأقسامها، والسَّعْي بكلِّ حِيْلةٍ، وقيل: طَلَبُ المَكِيدة، مِن قولهم: هو حُوَّلٌ قُلَّبٌ[٢].

وقرأ مسلمة بنُ مُحارب: «وقَلَبوا» بتخفيف اللام[٣].

«حتى جاء الحقُّ» أي: القرآنُ وشريعةُ الرسولِ ﷺ، ولفظةُ «جاء» مُشْعِرَةٌ بأنَّه كان قد ذهبَ وظَهَرَ أَمْرُ اللهِ، وَصَفَه بالظُّهور؛ لأنَّه كان كالمستور، أي: غَلَبَ وعَلَا دِيْنُ اللهِ «وهُمْ كَارهونَ» لِمَجِيْءِ الحَقِّ وظهورِ دِيْنِ اللهِ، وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّه لا تأثيرَ لمَكْرهم وكَيْدِهم ومبالغتِهم في إثارة الشَّرِّ، فإنَّهم مُذْ رَامُوا ذلك، رَدَّهُ اللهُ في نَحْرِهم، وقَلَبَ مُرَادَهم، وأتَى بضدِّ مقصودِهم، فكما كان ذلك في الماضي كذا يكون في المستقبل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ نزلت في الجَدِّ بنِ قيس، وذُكِرَ أنَّ رسولَ اللهِ لمَّا أَمَرَ بالغَزْوِ إلى بلاد الروم حَرَّضَ الناسَ، فقال للجَدِّ بنِ قيس: «هل لَكَ العام في جلادِ بني الأَصْفَر» وقال له وللناس: «اغْزُوا، تَغْنَموا بناتِ الأصفر». فقال الجَدُّ: ائْذَنْ لي في التَّخَلُّف ولا تَفْتِنِّي بذِكْر بناتِ الأصفر، فقد عَلِمَ قومي أنِّي لا أتمالكُ عن النِّساء إذا رَأَيْتُهنَّ ويَفْتِنَّني[٤].

---

(١) في النسخ: ابن جريج، وهو تصحيف، والمثبت من زاد المسير ٣/ ٤٤٨، وكلامُ ابنِ جرير الطبريِّ في تفسيره جامع البيان ١١/ ٤٨٨، وقول أبي سليمان الدمشقي فيه أيضاً، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) أي: محتالٌ بصيرٌ بتقليب الأمور. الصحاح (قلب)، وينظر تفسير الرازي ١٦/ ٨٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤١-٤٢ وعزاه لابن إسحاق، والخبر في سيرة ابن هشام ٥/ ٥١٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٧، وأسباب النزول للواحدي ص٢٤٦، وتفسير الطبري ١١/ ٤٩٢، =

«ولا تَفْتِنِّي» بالنساء، هو قولُ ابن عباس ومجاهد وابن زيد[(١)].

وقيل: «ولا تَفْتِنِّي» أي: لا تُصعِّب عليَّ حتى أحتاجَ إلى مُواقَعَةِ معصيتك، فَسَهِّل أنتَ عليَّ ودَعْني غيرَ مختلج. وقال قريباً منه الحسنُ وقتادة والزجّاج، قالوا: لا تُكَسِّبْني الإثمَ بأَمْرِك إيَّايَ بالخروج، وهو غيرُ متيسِّرٍ لي، فآثَمَ بمخالفتك[(٢)].

وقال الضَّحَّاك: لا تُكفِّرني بإلزامك إيايَ الخروجَ مَعَكَ. وقال ابنُ بحرٍ: لا تَصْرِفني عن شُغْلي فتُفوِّت عليَّ مصالحي ويَذهَب أكثرُ ثماري[(٣)].

وقيل: «ولا تَفْتِنِّي» في الهَلَكة، فإنِّي إذا خرجتُ معكَ هَلَكَ مالي وعِيالي، وقيل: إنَّه قال: ولَكِن أُعينكَ بمالي[(٤)].

ومتعلّق الإِذْن محذوفٌ، تقديرُه: في القُعود، وفي محاورتِهِ الرَّسولَ ﷺ دليلٌ على نِفَاقه.

وقرأ وَرْش بتخفيف همزة «ائْذَن لي» بإبدالها واواً؛ لضَمَّة ما قَبْلَها[(٥)]، وقال النَّحَّاسُ ما معناه: إذا دخلت الواوُ أو الفاءُ على «إيذن» فهجاؤها في الخَطّ: ألفٌ وذالٌ ونونٌ بغير ياء، أو «ثُمَّ» فالهجاء: ألفٌ وياءٌ وذالٌ ونون، والفرق أنَّ «ثُمَّ» يُوقَف عليها وتَنفصل، بخلافهما[(٦)].

وقرأ عيسى بن عمر: «ولا تُفْتِنِّي» بضمِّ التاء الأولى[(٧)]، مِن أُفْتن، قال

= وزاد المسير ٣/ ٤٤٩، والقرطبي ١٠/ ٢٣٢، ويعني ببنات الأصفر الرُّومَ، لأنَّ أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو: رُوم بن عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم. النهاية (صفر).

(١) زاد المسير ٣/ ٤٤٩، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٤٩١-٤٩٣.

(٢) ينظر المصدران السابقان، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٥١.

(٣) زاد المسير ٣/ ٤٤٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٩٤، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٤٩٢ و٤٩٩، من طريق ابن جريج عن ابن عباس ﷺ، وهو منقطع.

(٥) يعني: «اوذَنْ لي» حالة الوصل، ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٢، والتيسير ص٣٤-٣٥، وهي أيضاً رواية للسوسي عن أبي عمرو ولأبي جعفر، ينظر النشر ١/ ٣٩٠ وما بعدها.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٩.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢، والكشاف ٢/ ١٩٤، وتفسير الرازي ١٦/ ٨٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣.

أبو حاتم: هي لغةُ تميم، وهي أيضاً قراءةُ ابنِ السَّمَيْفع، ونَسَبها ابنُ مجاهد إلى إسماعيل المَكِّيِّ[١]، وجَمَعَ الشاعرُ بين اللُّغتين، فقال:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي فَهْيَ بالأَمْسِ أَفْتَنَتْ سَعيداً فَأَمْسَى قَدْ قَلَا كُلَّ مُسْلِمِ[٢]

والفِتْنَةُ التي سَقطوا فيها هي فتنةُ التخلُّف وظهور كُفرهم ونِفَاقهم، ولفظة «سقطوا» تُنْبِئُ عن تمكُّن وقوعِهم فيها، وقال قتادة: الإثم، بخلافهم الرسولَ في أَمْرِه، وإحاطةُ جهنَّم بهم إمَّا يوم القيامة، أو الآنَ على سبيل المجاز؛ لأنَّ أسبابَ الإحاطة معهم، فكأنَّهم في وَسَطها، أو لأنَّ مصيرَهم إليها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ قال ابنُ عبَّاس: الحَسَنةُ في يوم بدرٍ، والمُصيبةُ يومَ أُحُدٍ[٣]، ويَنبغي أن يُحمَل قولُه على التمثيل، واللفظ عامٌّ في كلِّ مَحبوب ومَكْروه، وسياقُ الجُمَل يقتضي أن يكون ذلك في الغَزْوِ، وَلذلك قالوا: الحَسَنةُ: الظَّفَرُ والغنيمة، والمُصيبة: الخَيْبَة والهزيمة، مِثْل ما جَرَى في أوَّل غزوةِ أُحُدٍ.

ومعنى «أَمْرنا» الذي نحن متَّسِمون به مِن الحَذَر والتيقُّظ والعمل بالحَزْم في التخلُّف عن الغزوِ «مِن قَبْل» ما وقع مِن المصيبة، ويحتمل أن يكون التَّولِّي حقيقةً، أي: «ويَتَوَلَّوا» عن مقام التَّحديث بذلك والاجتماع له إلى أَهْلِيهم وهم مسرورون، وقيل: أعرضوا عن الإيمان، وقيل: عن الرسولِ، فيكون التولِّي مجازاً.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ قرأ ابنُ مسعود وابنُ مُصَرِّف: «هل يُصِيبُنا»[٤] مكان «لَنْ يُصِيبَنا»، وقرأ ابنُ مُصرِّف أيضاً وأَعْيَنُ قاضي الرَّيِّ: «هل يُصَيِّبُنا» بتشديد الياء[٥]، وهو مضارعُ: فَيْعَلَ، نحو:

---

(١) وكذا نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٣.

(٢) البيت لأعشى هَمْدان، وهو في الصحاح (فتن).

(٣) تفسير الرازي ١٦/ ٨٥، وأورده أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٣٧٠ وعزاه للكلبي.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢ نقلاً عن ابن جنّي، والقراءة ـ هكذا بِشَدِّ الياء ـ في المحتسب ١/ ٢٩٤، وهي في مطبوع إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٩ هكذا: «لن يُصِبَنَّا» عن ابنِ أعين وحده، =

بَيْطَر، لا مضارع: فَعَّلَ، إذ لو كان كذلك، لكان: صَوَّب، مضاعف العين، قالوا: صَوَّبَ رَأيه لمَّا بَنَاهُ على فَعَّل؛ لأنَّه مِن ذواتِ الواو، قالوا: صَابَ يَصُوبُ، وَمَصَاوِب جَمْعُ مُصِيبَة، وبعضُ العرب يقول: صَابَ السَّهْمُ يَصِيبُ، جَعَلَه مِن ذوات الياء، فعلى هذا يجوز أن يكون «يُصَيِّبنا» مضارع: صَيَّبَ، على وزن فَعَّل، والصَّيِّب يحتمل أن يكون كـ: سَيِّد، وكـ: لَيِّن.

وقال عَمرو بنُ شقيق: سمعتُ أَعْيَنَ قاضي الرَّيِّ يقول: «قل لن يُصيبَنَّا» بتشديد النون. قال أبو حاتم: ولا يجوز ذلك؛ لأنَّ النونَ لا تَدخُل مع «لَنْ»، ولو كانت لطلحة بنِ مُصرِّف لجازَت؛ لأنَّها مع «هَلْ» قال الله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾[1]. انتهى.

وَوَجْهُ هذه القراءة تشبيهُ «لن» بـ «لا» وبـ «لم»، وقد سُمِعَ لحاقُ هذه النون بـ «لا» وبـ «لم»، فلمَّا شاركتهما «لن» في النفي، لحقت معها نونُ التوكيد، وهذا توجيهُ شذوذٍ، أي: ما أَصَابنا فليس منكم ولا بكم، بل اللهُ هو الذي أصابَنا.

و«كَتَبَ» أي: في اللوح المحفوظ، أو في القرآن مِن الوَعْد بالنَّصْر ومضاعفة الأَجْر على المصيبة، أو ما قَضَى وَحَكم، ثلاثةُ أقوال.

«هو مولانا» أي: ناصِرُنا وحافظُنا، قاله الجمهور، وقال الكلبيُّ: أَولَى بنا مِن أنفسِنا في الموت والحياة[2]. وقيل: مالِكُنا وسَيِّدُنا، فلهذا يتصرَّف كيف شاء، فيَجبُ الرضا بما يَصْدُر مِن جهته، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] فهو مولانا الذي يتولَّانا ونَتَولَّاه.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي:

= ونقلها عنه القرطبيُّ ١٠/ ٢٣٤ هكذا: «لن يصيبنَّا»، يعني: بتشديد النون، وكذا وردت في القراءات الشاذة ص٥٣ عن طلحة بن مصرِّف، قال النحاس إثرها: بنون مُشدَّدة، وهذا لحنٌ، لا يُؤكَّد بالنون ما كان خبراً، ولو كان هذا في قراءة طلحة لجاز، قال تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]. اهـ. وستأتي قريباً، وأَعْيَن هو ابن عبد الله، روى عن أبي الطُّفَيل، وروى عنه عمرو بن أبي قيس. الجرح والتعديل للرازي ٢/ ٣٢٥.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢، وسلف الكلام على هذه القراءة قريباً.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٨.

ما ينتظرون بنا إلَّا إحدى العاقِبَتَيْن، كلٌّ واحدةٍ منهما هي الحُسنى مِن العواقب؛ إمَّا النُّصرة، وإمَّا الشهادة، فالنُّصْرَةُ مَآلُها إلى الغَلَبة والاستيلاء، والشهادةُ مآلُها إلى الجنَّة. وقال ابنُ عباس: إنَّ الحُسْنَيَيْن الغَنيمةُ والشهادة[١]. وقيل: الأَجْرُ والغنيمة، وقيل: الشهادة والمغفرة.

وفي الحديث: «تَكفَّلَ اللهُ لمَن جَاهَدَ في سبيله لا يُخْرِجُهُ مِن بيتِه إلَّا الجهادُ في سبيلِه وتَصْدِيقُ كلمتِه أنْ يُدخِلَه الجنَّة، أو يَرْجِعَه إلى مَسْكنِه الذي خَرَج منه مَعَ ما نَالَ مِن أجرٍ وغَنيمةٍ»[٢].

والعذابُ مِن عندِ الله، قال ابنُ عباسٍ: هو هنا الصَّواعِق، وقال ابنُ جريج: الموت[٣]، وقيل: قارِعَة مِن السماء تُهْلِكهم، كما نزلت على عادٍ وثمود[٤].

قال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكون تَوعُّداً بعذابِ الآخِرة، «أو بأيدينا» بالقَتْل على الكفرِ، «فتربَّصُوا» مواعيدَ الشيطان «إنَّا معكم مُتَربِّصُون» إظهارَ دِيْنِه واستئصالَ مَن خالفه، قاله الحسن[٥].

وقال الزمخشريُّ: «فتربَّصوا» بنا ما ذَكَرنا مِن عواقبنا «إنَّا معكم مُتَرَبِّصون» ما هو عاقِبَتكم، فلا بُدَّ أن يلقى كُلُّنا ما يَتربَّصه لا يتجاوزه[٦]. انتهى. وهو أَمْرٌ يتضمَّن التهديد والوعيد.

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن: «إلَّا حْدَى» بإسقاط الهمزة، قال ابنُ عطيَّة: بوَصْل ألفِ «إحدى»، وهذه لغةٌ وليست بالقياس، وهذا نَحْوُ قولِ الشاعر:

يــابَــا الــمُــغِــيْــرةِ رُبَّ أَمْــرٍ مُــعْــضِــلِ

ونَحْوُ قولِ الآخَرِ:

---

(١) أخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٤٩٧.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة ﵁، وهو عند أحمد (٩١٧٤).
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٨، وزاد المسير ٣/ ٤٥٠-٤٥١.
(٤) الكشاف ٢/ ١٩٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤.
(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٨، والبغوي ٢/ ٣٠٠.

إن لـم أُقـاتِـل فـالْـبِـسِـيْـنـي بُـرْقُـعـا[١]

انتهى.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ قرأ الأعمش وابنُ وثَّاب: «كُرْهاً» بضمِّ الكاف[٢]، ويعني: في سبيلِ الله ووُجُوه البِرِّ، قيل: وهو أَمْرٌ معناه التهديدُ والتوبيخ، وقال الزمخشريُّ: هو أَمْرٌ في معنى الخبر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] ومعناه: لن يُتقبَّل منكم، أنفقتم طَوعاً أو كرهاً، ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ﴾ [المنافقون: ٦] وقوله:

أَسِـيْـئـي بِـنـا أو أَحْـسِـنِـي لا مَـلـومـةٌ[٣]

أي: لن يَغفِرَ اللهُ لهم، استغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم، ولا نَلُومُكِ أحسنتِ أو أسأتِ[٤]. انتهى.

وعبَّر بعضُهم عن هذا بأنَّ معناه الجزاءُ والشَّرْطُ، أي: إن تُنفقوا طَوعاً أو كرهاً لم يُتقبَّل منكم، وذَكَر الآيةَ وبيتَ كُثَيِّرٍ على هذا المعنى[٥].

قال ابنُ عطيَّة: «أنفقوا» أَمْرٌ في ضِمْنِه جزاءٌ، وهذا مستمرٌّ في كلِّ أَمْرٍ معه جوابٌ[٦]، والتقدير: إنْ تُنفقوا لَنْ نَتقبَّل منكم، وأمَّا إذا عَرِيَ الأَمْرُ مِن الجواب، فليس يَصحبه تضمُّن الشرط. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٥، وصدر البيت الأوَّل لأبي الأسود الدُّؤلي، وعجزه: فرَّجْتُهُ بالنُّكْرِ مِنِّيَ والدَّها، وهو في الحجَّة للفارسي ٣/ ٢١١ و٣٠٧ و٦/ ٣٤٠، وضرائر الشعر لابن عصفور ص٩٨، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٤١، والرَّجز الثاني أورده الفارسيُّ في الحجَّة ٣/ ٢١١ و٣٠٧ و٦/ ٣٤٠، ونقله عنه ابن جنِّيَ في الخصائص ٣/ ١٥١، والمحتسب ١/ ١٢٠، وعندهم: فألبسوني، بدل: فالْبِسِيني، وأورد معه الفارسيُّ في الموضع الآخر قوله: وفَتَخاتٍ في اليدين أربعاً. وسلف عند تفسير الآية (٢٠) من سورة النساء.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤، وهي أيضاً قراءة حمزة والكسائي وخَلَف من العشرة، ينظر السبعة ص٢٢٩، والتيسير ص٩٥، والنشر ٢/ ٢٤٨.

(٣) صدر بيت لكُثَيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص٨٠، وعجزه: لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ، وقوله: مقلية، من: قَلَاه قِلًى وقلاءً: أبغضه وكرهه غاية الكراهة. القاموس (قلى).

(٤) الكشاف ٢/ ١٩٥.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٦.

(٦) في النسخ عدا (يه): جزاء، والمثبت منها ومن المحرر الوجيز ٣/ ٤٤.

ويَقدَحُ في هذا التخريج أنَّ الأَمْرَ إذا كان فيه معنى الشَّرْط كان الجواب كجوابِ الشَّرْط، فعلى هذا يقتضي أن يكون التركيب: فلَنْ يُتقبَّل، بالفاء؛ لأنَّ «لن» لا تقع جواباً للشَّرْط إلَّا بالفاء، فكذلك ما ضُمِّنَ معناه، أَلَا تَرَى جَزْمَه الجوابَ في مِثْل: اقْصِدْ زيداً يُحْسِن إليك.

وانتصب «طوعاً أو كرهاً» على الحال، والطَّوع أن يكون مِن غير إلزام اللهِ ورسولِه، والكرهُ إلزامُ ذلك، وسُمِّي الإلزامُ إكراهاً؛ لأنَّهم منافقون، فصار الإلزام شاقًّا عليهم، كالإكراه، أو يكون مِن غير إلزامٍ مِن رؤسائِكم، أو إلزام منهم، لأنَّهم كانوا يَحْملونهم على الإنفاق لِمَا يَرَون فيه من المصلحة.

والجمهور على أنَّ هذه نزلت بسبب الجَدِّ بنِ قيس حين استأذن في القعود، وقال: هذا مالِي أُعينُكَ به[(١)]. وقاله ابنُ عباس[(٢)]، فيكون مِن إطلاق الجَمْع على الواحدِ، أو: له ولمن فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، فقد نَقَلَ البيهقيُّ وغيرُه مِن الأئمة أنَّهم كانوا ثلاثةً وثمانينَ رجلاً، استُثنِيَ منهم الثلاثة الذين خُلِّفوا، وأُهْلِكَ الباقون[(٣)].

ونَفْيُ التقبُّل إمَّا كونُ الرَّسول لم يَقْبَلْه منهم ورَدَّه، وإمَّا كونُ اللهِ لا يُثيبُ عليه، وعلَّل انتفاءَ التقبُّل بالفِسْق، قال الزمخشريُّ: وهو التمرُّد والعُتُوُّ[(٤)].

والأولى أن يُحمل على الكفر، قال أبو عبد الله الرازيُّ: هذه إشارةٌ إلى أنَّ عَدَمَ القَبول مُعلَّلٌ بكونهم فاسقين، فدلَّ على أنَّ الفِسْقَ يُؤثِّر في إزالة هذا المعنى، وأَكَّدَ الجُبَّائيُّ ذلك بدليلِه المشهور في هذه المسألة، وهو أنَّ الفِسْقَ يُوجِبُ الذَّمَّ والعقابَ الدائمَين، والطاعة تُوجِبُ المدحَ والثوابَ الدائمَين، والجَمْعُ بينهما مُحَالٌ، فكان الجمع بين استحقاقِهما مُحالاً، وقد أزال اللهُ هذه الشُّبْهة بقوله: «وما مَنَعَهُم» الآية، فإنَّه بصريحِ هذا اللَّفظ لا يُؤثِّر في القَبول إلَّا الكُفْر، وقد دَلَّ ذلك على أنَّ مُطلقَ الفِسْق لا يُحبِط الطاعات، فبيَّن تعالى أنَّ عدمَ القَبول ليس معلَّلاً بعموم كونه

---

(١) سلف تخريجه أوَّل هذه الآيات.

(٢) أخرجه الطبري ١١/ ٤٩٩. وينظر ما سلف.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٧٥، وينظر المغازي للواقدي ٣/ ١٠٤٩، والدُّرر لابن عبد البرّ ص٢٨٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٩.

(٤) الكشاف ٢/ ١٩٦.

فسقاً، بل بخصوصِ وَصْفِه وهو كون ذلك الفِسْق كفراً، فثبتَ أنَّ استدلالَ الجُبَّائيِّ باطل[١]. انتهى. وفيه بعضُ تلخيصٍ.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ذَكَر السَّبَبَ الذي هو بمفردِه مانِعٌ مِن قَبول نفقاتِهم، وهو الكفر، وأَتْبَعَهُ بما هو ناشئٌ عن الكُفر ومُستَلْزِمٌ له، وهو دليلٌ عليه، وذلك هو إتيانُ الصلاةِ وهم كُسالى، وإيتاءُ النفقةِ وهم كارهون، فالكَسَل في الصلاة وتَرْك النشاط إليها وأَخْذها بالإقبال مِن ثمراتِ الكفر، فإيقاعُها عندهم لا يَرجون به ثواباً، ولا يَخافون بالتفريط فيها عقاباً، وكذلك الإنفاق للأموال لا يَكرهون ذلك إلَّا وهم لا يَرجون به ثواباً.

وذَكَرَ مِن أعمال البِرِّ هذين العملَين الجليلَين، وهما الصلاة والنفقة، واكتفى بهما وإن كانوا أفسدَ حالاً في سائرِ أعمال البِرِّ؛ لأنَّ الصلاةَ أشرفُ الأعمال البدنيَّة والنفقة في سبيل الله أشرفُ الأعمال الماليَّة، وهما وصفان، والمطلوبُ إظهارُهما في الإسلام، ويُستدلُّ بهما على الإيمان، وتعدادُ القبائح يَزيد الموصوفَ بها ذمًّا وتقبيحاً.

وقرأ الأخوان وزيدُ بنُ عليٍّ: «أن يُقْبَلَ» بالياء، وباقي السَّبْعة بالتاء[٢]، و«نفقاتهم» بالجَمْع، وزيدُ بنُ عليٍّ بالإفراد[٣].

وقرأ الأعرج بخلافٍ عنه «أنْ تُقْبَلَ» بالتاء مِن فوق، «نفقتُهم» بالإفراد[٤].

وفي هذه القراءات الفعلُ مبنيٌّ للمفعول، وقَرَأت فرقةٌ: «أن نَقْبَلَ منهم نَفَقَتَهم» بالنُّون ونَصْب النفقة[٥].

(١) تفسير الرازي ١٦/ ٨٨-٨٩.
(٢) الأخوان: حمزة والكسائي، والقراءة في السبعة ص٣١٥، والتيسير ص١١٨، وقرأ بها أيضاً خَلَف من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٧٩.
(٣) الكشاف ٢/ ١٩٦، وتفسير الرازي ١٦/ ٩١ دون عزوٍ.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥.

قال الزمخشريُّ: وقراءة السُّلَمِيِّ: «أَنْ نَقْبَلَ منهم نفقاتهم» على أنَّ الفعلَ لله تعالى[1]. انتهى.

والأولى أن يكون فاعلُ: مَنَعَ، قولَه: «إلا أنَّهم» أي: كفرهم، ويَحتمل أن يكون لفظَ الجلالة، أي: وما مَنَعَهم اللهُ، ويكون «إلَّا أنَّهم» تقديرُه: إلَّا لأنَّهم كفروا، و«أنْ تُقْبَلَ» مفعول ثانٍ إمَّا لوُصول: مَنَعَ، إليه بنفسِه، وإمَّا على تقدير حذفِ حرفِ الجَرِّ، فوصل الفعلُ إليه.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ لمَّا قَطَعَ رجاءَ المنافقين عن جميع منافع الآخِرة، بَيَّنَ أنَّ الأشياءَ التي يظنُّونها مِن باب منافع الدُّنيا جَعَلَها تعالى أسباباً ليُعذِّبهم بها في الدنيا، أي: ولا تُعجبك أيُّها السامع، بمعنى: لا تستحسن ولا تَفْتَتن بما أُوتوا مِن زينة الدنيا، كقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١] وفي هذا تحقيرٌ لشأنِ المنافقين.

قال ابنُ عباسٍ وقتادة ومجاهد والسُّدِّيُّ وابنُ قتيبة: في الكلام تقديمٌ وتأخير، والمعنى: «فلا تُعْجِبك أموالُهم ولا أولادُهم» في الحياة الدنيا «إنَّما يُريدُ اللهُ ليُعذِّبهم بها» في الآخرة[2]. انتهى.

ويكون «إنَّما يُريد اللهُ ليُعذِّبهم بها» جملةَ اعتراضٍ فيها تشديدٌ للكلام وتقويةٌ لانتفاء الإعجاب؛ لأنَّ مَن كان مآل إيتائه المالَ والولدَ للتعذيب، لا ينبغي أن تُسْتَحْسَن حالُه ولا يُفْتَتَن بها إلَّا أنَّ تقييدَ الإعجابِ المنهيِّ عنه الذي يكون ناشئاً عن أموالهم وأولادهم مِن المعلوم أنَّه لا يكون إلَّا في الحياة الدّنيا، فنَفْيُ ذلك كأنَّه زيادةُ تأكيدٍ، بخلاف التعذيب فإنَّه قد يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة، ومع أنَّ التقديمَ والتأخيرَ يَخُصُّه أصحابُنا بالضَّرورة.

وقال الحسنُ: الوَجْهُ في التعذيب أنَّه بما أَلزمهم فيها مِن أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله. فالضمير في قوله: «بها» عائدٌ في هذا القول على الأموال فقط.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٦، وورد في مطبوعه: «يقبل» بالياء، بدل التاء.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٥٢، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٠، وأخرج قولَ ابنِ عباس وقتادة الطبريُّ ١١/ ٥٠٠، وكلام ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ص١٦٠، وفيه قول ابن عباس أيضاً.

وقال ابنُ زيد وغيره: التعذيبُ هو بمصائبِ الدنيا ورَزَاياها هي لهم عذابٌ؛ إذ لا يُؤْجَرون عليها[١]. انتهى.

ويتقوّى هذا القولُ بأنَّ تعذيبَهم بإلزام الشريعة أعظم مِن تعذيبهم بسائر الرزايا، وذلك لاقترانِ الذِّلَّة والغَلَبة وأَمْرِ الشريعة لهم. قاله ابنُ عطيَّة[٢].

وقد جَمَعَ الزمخشريُّ هذا كلَّه، فقال: إنَّما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب، بأنْ عَرَّضهم للمَغْنَم والسَّبْي، وبَلَاهم فيه بالآفاتِ والمصائب، وكلَّفهم الإنفاقَ منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رَغْم أُنوفهم، وأذاقهم أنواعَ الكُلَف والمَجَاشِم في جَمْعه، واكتسابه، وفي تربية أولادِهم[٣].

وقيل: أموالهم التي يُنفقونها فإنَّها لا تُقبَل منهم، ولا أولادهم المسلمون مِثْل عبد الله بنِ عبد الله بنِ أُبَيٍّ وغيره، فإنَّهم لا يَنفعون آباءَهم المنافقين. حكاه القشيريُّ.

وقيل: بتمكُّن حُبِّ المال مِن قلوبهم، والتَّعَب في جَمْعه، والوَجَل في حِفْظه، والحَسْرة على تَخْلِيفِه عندَ مَن لا يَحمدُه، ثم يَقْدُمُ على مَلِكٍ لا يَعْذُره.

وقَدَّم الأموالَ على الأولاد؛ لأنَّها كانت أعلقَ بقلوبهم ونفوسُهم أميل إليها، فإنَّهم كانوا يَقتلون أولادَهم خشيةَ ذهاب أموالهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

قال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: إنْ صَحَّ تعليقُ العذابِ بإرادة الله تعالى، فما بَالُ زُهُوقِ أنفسِهم «وهم كافرون»؟

قلت: المرادُ الاستدراجُ بالنِّعَم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] كأنَّه قيل: ويُريد أن يُدِيم عليهم نعمتَه إلى أنْ يموتوا «وهم كافرون» مُلْتهونَ بالتَّمتُّع عن النَّظَر للعاقبة[٤]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥، وقول الحسن وابنِ زيد أخرجه الطبريُّ ١١/ ٥٠١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٥٢-٤٥٣.
(٣) الكشاف ٢/ ١٩٦.
(٤) المصدر السابق.

وهو بَسط كلامِ ابنِ عيسى ـ وهو الرُّمَّانيّ ـ وهما كلاهما معتزليَّان، قال ابنُ عيسى: المعنى: «إنما يُريد اللهُ» أن يُمْلِيَ لهم ويَستدرجهم «ليُعَذِّبهم». انتهى. وهي نزعة اعتزاليَّة.

والذي يَظهر مِن حيث عطف «وتَزهق» على: ليُعذِّب، أنَّ المعنى: ليُعذِّبهم بها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونَبَّهَ على عذاب الآخِرة بعِلَّتِه وهو زهوقُ أنفسهم على الكفر؛ لأنَّ مَن ماتَ كافراً عُذِّب في الآخِرة لا محالةَ.

والظاهرُ أنَّ زهوقَ النَّفْس هنا كنايةٌ عن الموت، قال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أن يُريد «وتَزهق أنفسُهم» مِن شدَّة التعذيب الذي يَنالُهم[١].

﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦﴾ أي: لَمِن جُملة المسلمين، وأكذبهم اللهُ بقوله: «وما هم منكم»، ومعنى: «يَفْرَقون» يَخافون القَتْلَ وما يُفعَل بالمشركين، فيتظاهرون بالإسلام تَقِيَّةً وهم يُبطنون النِّفاقَ، أو يخافون إطْلاعَ اللهِ المؤمنين على بواطنِهم، فيحلّ بهم ما يحلّ بالكفار.

ولمَّا حَقَّر تعالى شَأْنَ المنافقين وأموالهم وأولادهم عاد إلى ذِكْر فضائحهم وما هم عليه مِن خُبْثِ السَّرِيرة، فقال: «ويَحلفون» على الجملة لا على التَّعيين، وهي عادَةُ الله في سَتْرِ أشخاصِ العُصَاة.

﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧﴾ لـمَّـا ذَكَـر فَرَقَ المنافقين مِن المؤمنين، أَخْبَرَ ما هم عليه مَعَهم ممَّا يُوجِبُه الفَرَقُ وهو أنَّهم لو أَمكنهم الهروبُ منهم لهربوا، ولَكِن صُحْبتهم لهم صحبة اضْطِرارٍ لا اختيار.

قال ابنُ عباس: المَلْجَأ: الحِرْزُ، وقال قتادة: الحِصْن، وقال السُّدِّيُّ: المَهْرَبُ[٢]، وقال الأصمعيُّ: المكان الذي يُتحصَّن فيه، وقال ابنُ كيسان: القوم يَأمنون منهم[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٣٧٢، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤١، وقول ابن عباس وقتادة أخرجه الطبريُّ ١١/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٩، والبغوي ٢/ ٣٠١.

والمَغَارَات جَمْعُ: مَغَارة، وهي الغَارُ، ويُجمَعُ على: غِيْرَان، بُنِيَ مِن: غَارَ يَغُور: إذا دَخَلَ، مَفْعَلَة للمكان، كقولهم: مَزْرَعة، وقيل: المَغَارة: السَّرَب تحتَ الأرضِ، كنَفَق اليَرْبُوع.

وقرأ سعد بنُ عبد الرحمن بنِ عوف: «مُغارَات» بضمِّ الميم(١)، فيكون مِن: أغار.

قيل: وتقول العربُ: غَار الرَّجُلُ وأَغار بمعنًى: دَخلَ، فعلى هذا يكون «مُغارات» مِن أَغَارَ اللَّازِم، ويجوز أن يكون مِن أَغَار المنقول بالهمزة مِن: غارَ، أي: أماكن في الجبالِ يُغيرونَ فيها أنفسَهم.

وقال الزجَّاج: ويصحُّ أن يكون مِن قولهم: حَبْلٌ مُغَارٌ، أي: مَفْتُول، ثم يُستعار ذلك في الأَمْر المُحكَم المُبْرَم، فيَجِيْءُ التأويلُ على هذا: «لو يَجدون» نُصْرَةً(٢) أو أموراً مرتبطةً مشدَّدة تَعْصِمهم منكم، أو «مُدَّخَلاً لَوَلَّوا إليه».

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون مِن أغارَ الثعلبُ: إذا أَسْرَعَ بمعنى: مَهَارِبَ ومَغَارَّ. انتهى.

والمُدَّخَل، قال مجاهد: المَعْقِل يَمنعهم مِن المؤمنين، وقال قتادة: السَّرَبُ يَسيرون فيه على خَفاءٍ، وقال الكلبيُّ: نَفَقاً كَنَفَقِ اليَرْبُوع. وقال الحسن: وَجْهاً يَدخلُون فيه على خلافِ الرَّسول. وقيل: قبيلة يَدخلُون فيها تَحميهم مِن الرَّسول ومِن المؤمنين(٣).

وقرأ الجمهور: «مُدَّخَلاً» وأصله: مُدْتَخَل، مُفْتَعَل، من: ادَّخَل، وهو بناءُ تأكيدٍ ومبالَغَة، ومعناه: السَّرَب والنَّفَق في الأرض، قاله ابنُ عباس(٤).

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٥، والقراءات الشاذة ص٥٣، لكن عزاها الأخير لعبد الرحمن بن عوف، وكذا نَسَبها الثعلبي ٣/ ٢٠٩، وعزاها ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٥٣ لسعيد بن جبير وابنِ أبي عبلة.

(٢) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والكلام منه: عُصْرة. والعُصْرَة: الملجأ. الصحاح (عصر).

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠، والبغوي ٢/ ٣٠١، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٥٠٤.

بُدِئَ أوَّلاً بالأعمِّ وهو المَلْجأ، إذ يَنطلق على كلٍّ ما يَلْجَأُ إليه الإنسانُ، ثم ثَنَّى بالمغارات، وهي الغِيْرَان في الجبال، ثم أَتَى ثالثاً بالمُدَّخَل، وهُوَ النَّفَق باطِن الأرض، وقال الزجَّاجُ: المُدَّخَلُ: قومٌ يُدخِلُونهم في جملتهم[1].

وقرأ الحسن وابنُ أبي إسحاق ومسلمة بنُ محارب وابنُ محيصن ويعقوب وابنُ كثير بخلافٍ عنه: «مَدْخَلاً» بفتح الميم[2]، مِن: دَخَلَ.

وقرأ محبوب عن الحسن: «مُدْخَلاً» بضمِّ الميم، مِن: أُدْخِل، ورُوِيَ ذلك عن الأعمش وعيسى بنِ عُمر[3].

وقرأ قتادَة وعيسى بنُ عمر وَالأعمش: «مُدَّخَّلاً» بتشديد الدَّالِ والخاءِ معاً[4]، أصله: مُتَدَخَّل، فأُدغمت التاءُ في الدَّالِ.

وقرأ أُبَيٌّ: «مُنْدَخلاً» بالنون مِن: انْدَخل، قال:

ولا يَـدي فـي حَـمِـيـتِ الـسَّـمْـنِ تَـنْـدَخِـلُ[5]

وقال أبو حاتم: قراءة أُبَيٍّ: «متدخلاً» بالتاء[6].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٤٦، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٥٥.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/٤٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٢، وزاد المسير ٣/٤٥٣، والقراءة عن يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٧٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/٤٦ عن الأعمش وعيسى بن عمر، ورواية محبوب عن الحسن لم نقف عليها، وأوردها عنه الدر المصون ٦/٦٩، واللباب ١٠/١١٨، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٢، وتفسير الرازي ١٦/٩٦، والكشاف ٢/١٩٦، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠ ونسبها لمسلمة بن محارب.
(٤) المحرر الوجيز ٣/٤٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢١-٢٢٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٢.
(٥) المحرر الوجيز ٣/٤٦، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٥، وعَجُز البيت للكميت، وهو في ديوانه ص٢٩٥، وصدره: لا خطوتي تتعاطى غير موضعها، وأورده أيضاً ابنُ قتيبة في المعاني الكبير ٣/١٢٥٨، وابن جنِّيّ في المحتسب ١/٢٩٦، ورواية الديوان والمعاني والمحتسب: السَّكن، بدل: السمن، قال ابن قتيبة: يقول: لا أخطو إلى رِيْبَة، والحَمِيت: نِحْي السمن، والسكن: الحيّ، وهذا مَثَلٌ، يقول: لا أُخرِّق جلود الحيِّ بالشتم. اهـ.
(٦) المحرر الوجيز ٣/٤٦، والكشاف ١٦/٩٦، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣، قال السمين في الدر المصون ٦/ ٧٠ إثر كلام أبي حاتم: وهو معذور، لأنَّ: انفعل، قاصر لا يتعدَّى، فكيف بُني منه اسم مفعول؟!

وقرأ الأشهبُ العُقَيليُّ: «لَوَالَوا إليه»[١] أي: لتَايعوا[٢] إليه وسَارَعوا.

وروى ابنُ أبي عُبيدة بن معاوية بنِ نوفل، عن أبيه، عن جَدِّه ـ وكانت له صُحْبَة ـ أنَّه قَرَأَ: «لَوَالَوا إليه» مِن الموالاة[٣]، وأنكرها سعيد بنُ مسلم، وقال: أظنُّها: «لَوَأَلُوا» بمعنى: للجؤوا[٤].

وقال أبو الفضل عبدُ الرحمن بنُ أحمد الرازيُّ: وهذا ممَّا جاء فيه فَاعَلَ وفَعَّل بمعنًى واحدٍ، ومثله: ضَاعَفَ وضَعَّفَ[٥]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: وقرأ أُبَيُّ بنُ كعب: «متدخلاً لَوَأَلُوا إليه»: لالْتَجؤوا إليه[٦]. انتهى.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠، وعزاه للأعمش والعقيلي، وتنظر القراءة الآتية.

(٢) في النسخ عدا (ز١): لتابعوا، والمثبت منها ولعلَّه الصواب، يقال: تَايَعَ ـ وتتايع ـ فلانٌ على الشَّرِّ: تهافَتَ عليه وأسرع. المعجم الوسيط (تيع).

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠ هكذا: «لولوا» دون ألف ودون ذِكْر: ابن أبي عبيدة، بل ذَكَرها مباشرة عن معاوية بن نوفل، عن أبيه، عن جدّه، وقال إثرها: بتخفيف اللام؛ لأنها من التولية، يقال: ولي إليه بنفسه، إذا انصرف، ولولّوا إليه من المولى. اهـ.
وأوردها أيضاً ابنُ جنِّيّ في المحتسب ١/ ٢٩٨ عن ابن أبي عبيدة بن معاوية بن قرمل، عن أبيه، عن جدّه، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦ عن جدّ أبي عبيدة بن قرمل، ولا ندري: ابن نوفل وابن قوقل، أهما واحد أم اثنان؟ وكلاهما مذكور في أُسد الغابة ٥/ ٢١٣ و٢١٥، فالأول ذكره هكذا: معاوية بن قَرْمَل المحاربي، مذكور في الصحابة، روى عنه مودع بن حبان، وذَكَر له خبراً عن الثلاثة، وكذا ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب ص٦٧٣، وابن حجر في الإصابة ٩/ ٢٣٦-٢٣٧.
والثاني ذكره هكذا: معاوية أبو نَوْفَل ـ وفي هامشه: معاوية بن نوفل، هكذا في مطبوعه وهو خطأ ـ الدّيلي، أورده الطبراني في الصحابة، روى عبد الرزاق [في مصنَّفه (٢٢٢٠)] عن ابن أبي سبرة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن نوفل بن معاوية، عن أبيه، . . . وذَكَر الخبر، وقال: أخرجه أبو نعيم وأبو موسى. اهـ. وكذا ذكره ابن حجر في الإصابة ٩/ ٢٤١-٢٤٢، فليُحرَّر! وهل هما قراءتان: «لَوَالوا» و«لولوا» أم قراءة واحدة؟!

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، وينظر الكشاف ٢/ ١٩٦، وسينقلها المصنِّف عنه قريباً.

(٥) ينظر المحتسب ١/ ٢٩٨.

(٦) الكشاف ٢/ ١٩٦، ونقلها عنه الرازي في التفسير ١٦/ ٩٦.

وعن أُبَيٍّ: «لَوَلَّوا وجوهَهم إليه»[١].

ولمَّا كان العطف بـ «أو» عَاد الضمير في «إليه» مفرداً على قاعدة النحو في «أو» فاحتمل مِن حيث الصناعةُ أن يعودَ على المَلْجأ، أو على المُدَّخل، ولا يَحتمل أنْ يَعودَ في الظَّاهِرِ على المغارات؛ لتذكيرِه، وأمَّا بالتأويل فيجوز أن يَعودَ عليها.

«وهم يَجْمَحُونَ» يُسرِعون إسراعاً لا يَرُدُّهُم شيء.

وقرأ أنس بنُ مالك والأعمش: «وهم يجمزون»[٢].

قيل: يَجْمَحُون ويَجْمِزُون ويَشْتَدُّون واحدٌ[٣].

وقال ابنُ عطيَّة: «يَجْمِزُون» يُهَرْوِلون، ومنه قولهم في حديث الرَّجْم: فلمَّا أَذْلَقَتْه الحِجَارةُ جَمَزَ[٤].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ اللَّامِزُ: حُرْقُوص بنُ زهير التميميّ، وهو ابنُ ذي الخُوَيْصِرَة رَأْس الخوارج، كان الرّسولُ ﷺ يَقْسِم غنائمَ حُنين، فقال: اعْدِل يا رسولَ الله[٥]، الحديث.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠ عن الأعمش، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والكشاف ٢/ ١٩٦، عن أنس، والقراءة في المحتسب ١/ ٢٩٦ عن الأعمش، عن أنس بن مالك ﷺ.
(٣) قاله أنس بن مالك إثر قراءته السابقة، وكلامه في المحتسب ١/ ٢٩٦، والكشاف ٢/ ١٩٦، وتفسير الرازي ١٦/ ٩٦-٩٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري (٥٢٧٠) عن جابر ﷺ، وهو عند مسلم (١٦٩١)، وأحمد (١٤٤٦٢) بلفظ: فرَّ، بدل: جَمَزَ.
وأخرجه أيضاً بنفس اللفظ البخاريّ (٦٨٢٥) عن أبي هريرة ﷺ، وهو عند أحمد (٩٨٤٥) بلفظ: هرب. وينظر ما سلف عن: جَمَزَ، عند شرح المفردات.
(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٠-٢١١، وأسباب النزول للواحدي ص٢٤٧-٢٤٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٣-٢٤٤، والخبر عند البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨)، وأحمد (١١٥٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقيل: هو ابنُ الجوَّاظ[1] المنافق، قال: أَلَا تَرَوْنَ إلى صاحبكم إنَّما يَقْسِمُ صدقاتكم في رُعاة الغنم؟!

وقيل: ثعلبة بنُ حاطب كان يقول: إنَّما يُعطِي محمدٌ قريشاً[2]!

وقيل: رجلٌ مِن الأنصار، أُتِيَ الرَّسولُ بصدقةٍ يَقْسِمها، فقال: ما هذا بالعَدْلِ. وهذه نزغةُ منافِق[3]. والمعنى: مَن يَعِيبك في قَسْم الصدقات.

وضمير «ومنهم» للمنافقين، والكافُ للرسولِ، وهذا الترديد بين الشَّرْطين يَدلُّ على دناءة طباعهم ونجاسةِ أخلاقهم، وأنَّ لَمْزَهم الرَّسولَ إنَّما هو لشَرَهِهم في تحصيل الدنيا ومحبَّة المال، وأنَّ رضاهم وسَخَطهم إنَّما متعلَّقه العطاء، والظاهر حصولُ مُطلَق الإعطاء أو نَفْيه.

وقيل: التقدير: «فإن أُعطوا منها» كثيراً «رَضُوا»، «وإنْ لم يُعطَوا منها» كثيراً بل قليلاً، وما أَحْسَن مجيء جواب هذين الشَّرْطين؛ لأنَّ الأوَّل لا يَلزم أن يقارنَه ولا أنْ يَعتقبه، بل قد يجوز أن يتأخَّر، نحو: إن أَسلمتَ دخلتَ الجنَّةَ، فإنَّما يقتضي مُطلَق الترتُّب.

وأمَّا جوابُ الشَّرْطِ الثاني فجاء بـ «إذا» الفجائيَّة، وأنَّه إذا لم يُعطَوا فَاجَأ سخطهم، ولم يُمكِن تأخُّره؛ لِمَا جُبلوا عليه مِن محبَّة الدنيا والشَّرَهِ في تحصيلها.

---

(١) كذا في (ح) و(د١) والمطبوع، وفي (أ) و(ع): ابن الحواط، وفي (ز١): ابن الحواظ، وفي (يه): ابن الخراط، والخبر في تفسير السمرقندي ٢/ ٥٦، ومطبوع الكشاف ٢/ ١٩٧ ومخطوطه الورقة (١٩٩)، وتفسير البيضاوي ٤/ ٣٣٥، والنيسابوري ١٠/ ١٠٩-١١٠، ونسبوه للكلبي، وورد فيها: أبو الجواظ، وهو في تفسير البغوي ٢/ ٣٠٢، وفيه: أبو الجواظ، مع الإشارة إلى أنه ورد أيضاً في تفسير السمرقندي: أبو الخواص. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص٧٦: لم أجده. اهـ. وقال الحافظ العراقي: لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث، والجوَّاظ: بصيغة المبالغة والظاء المعجمة كشدَّاد: الضخم المتكبِّر، والكثير الكلام. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٤/ ٣٣٥.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٣٧٣، وزاد المسير ٣/ ٤٥٤، والخبر أورده الواقدي في المغازي ٣/ ١٠٦٤-١٠٦٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٥٠٦ عن داود بن أبي عاصم.

ومفعول «رَضُوا» محذوف، أي: رَضُوا ما أُعطوه، وليس المعنى: رَضُوا عن الرسول؛ لأنَّهم منافقون، ولأنَّ رضاهم وسَخطهم لم يكن لأجل الدِّيْن بل للدنيا.

وقرأ الجمهور: «يَلْمِزُكَ» بكسر الميم، وقرأ يعقوب وحمَّاد بنُ سَلَمة عن ابنِ كثير والحسن وأبو رجاء وغيرُهم بِضَمِّها[١]، وهي قراءة المكِّيِّين، ورُويت عن أبي عَمرو.

وقرأ الأعمش: «يُلَمِّزُكَ»، وروى أيضاً حماد بنُ سَلَمة عن ابن كثير: «يُلامِزُكَ» وهي مفاعلة مِن واحدٍ[٢].

وقيل: وَفَّرَ الرسولُ ﷺ قَسمَ أهلِ مكَّة في الغنائم، استعطافاً لقلوبِهم، فَضَجَّ المنافقون.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ هذا وَصْفٌ لحالِ المستقيمين في دينهم، أي: رَضوا قسمةَ اللهِ ورسولِه، وقالوا: كفانا فَضْلُ اللهِ، وعَلَّقوا آمالَهم بما سُيؤتيه اللهُ إيَّاهم، وكانت رغبتُهم إلى الله لا إلى غيرِه.

وجوابُ «لو» محذوف، تقديرُه: لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم، وكان ذلك الفعلُ دليلاً على انتقالهم مِن النِّفاق إلى مَحْضِ الإيمان؛ لأنَّ ذلك تَضَمَّنَ الرِّضَا بقَسم اللهِ والإقرارَ باللهِ وبالرسولِ، إذ كانوا يقولون: سيُؤتينا اللهُ مِن فضلِه ورسولُه.

وقيل: جواب «لو» هو قوله: «وقالوا» على زيادة الواو، وهو قولٌ كوفيٌّ.

قال الزمخشريُّ: والمعنى: ولو أنَّهم رَضُوا ما أَصابهم به الرسولُ مِن الغنيمة وطابَتْ به نفوسُهم وإن قَلَّ نصيبُهم، وقالوا: كفانا فَضْلُ اللهِ تعالى وصُنْعُه، وحَسْبُنا ما قُسِمَ لنا، سَيَرْزقنا اللهُ غنيمةً أُخرى، فَيُؤتينا رسولُ الله ﷺ أكثرَ ممَّا آتانا اليوم، «إنَّا إلى الله» في أنْ يُغْنِمنا ويُخوِّلنا فَضْلَه «راغبون»[٣]. انتهى.

---

(١) أي: «يَلْمُزُك»، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ٤٧، وقراءة حماد عن ابن كثير في السبعة ص٣١٥، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٢٨٠، وينظر القراءات الشاذة ص٥٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧، والقراءتان في القراءات الشاذة ص٥٣، وقراءة حمَّاد عن ابن كثير في السبعة ص٣١٥.

(٣) الكشاف ٢/ ١٩٧.

وقال ابنُ عباس: «رَاغِبونَ» فيما يَمنحنا مِن الثواب ويَصرِفُ عنَّا مِن العقاب[١].

وقال التبريزيُّ: «راغبون» في أنْ يُوسِّع علينا مِن فَضْلِه فيُغْنِينا عن الصدقة وغيرِها ممَّا في أيدي الناس[٢].

وقيل: «ما آتاهم اللهُ» بالتقدير، «ورسولُه» بالقَسم. انتهى.

وأَتَى أوَّلاً بمقام الرِّضا، وهو فِعْلٌ قلبيٌّ يَصْدُر عمَّن عَلِمَ أنَّه تعالى مُنَزَّهٌ عن العَتب والخَطَأ عَلِيمٌ بالعواقبِ، فكُلُّ قضائِهِ صَوَابٌ وحَقٌّ لا اعتراضَ عليه، ثم ثنَّى بإظهار آثارِ الوَصْف القلبيّ، وهو الإقرار باللِّسان، فحَسْبُنا ما رضيَ به، ثم أَتَى ثالثاً بأنَّه تعالى ما دَامُوا في الحياة الدنيا مَادٌّ لهم بنعمِه وإحسانِه، فهو إخبارٌ حَقٌّ، إذ ما مِن مُؤمِنٍ إلَّا ونِعَمُ اللهِ مترادفةٌ عليه حالاً ومآلاً، إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة، ثم أَتَى رابعاً بالجُملة المقتضية الالتجاءَ إلى الله لا إلى غيره والرغبةَ إليه، فلا يطلب بالإيمان أَخْذَ الأموال والرئاسة في الدنيا.

ولمَّا كانت الجملتان متغايرتين وهما ما تضمَّن الرِّضا بالقلب وما تضمَّن الإقرارَ باللسان، تعاطفتا، ولمَّا كانت الجملتان الأخيرتان مِن آثارِ قولهم: «حسبُنا الله» لم تتعاطفا، إذ هما كالشَّرْح لقولهم: «حسبُنا اللهُ» فلا تغايرَ بينهما.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾
لمَّا ذَكَر تعالى مَن يعيبُ الرَّسولَ في قَسْم الصَّدَقات بأنَّه يُعطي مَن يَشاءُ ويَحْرِم مَن يَشاء، أو يَخصُّ أقاربَه، أو يَأخُذ لنفسِه ما بقيَ، وكانوا يَسألون فوقَ ما يَستحقُّون، بيَّن تعالى مَصْرِفَ الصدقاتِ وأنَّه ﷺ إنَّما قَسَمَ على ما فَرَضَه اللهُ تعالى.

ولفظة «إنَّما» إن كانت وُضِعَت للحَصْر، فالحَصْر مستفادٌ مِن لفظها، وإنْ لم تُوضَع للحَصْر، فالحَصْرُ مستفادٌ مِن الأوصافِ، إذ مَنَاطُ الحُكم بالوصف يقتضي التعليلَ به، والتعليلُ بالشَّيء يقتضي الاقتصارَ عليه. والظاهرُ أنَّ مَصْرِفَ الصدقات

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١١.
(٢) الكلام في المصدر السابق، وتفسير الطبري ١١/ ٥٠٨-٥٠٩ دون عزو.

هؤلاء الأصناف، والظاهِرُ أنَّ العَطفَ مُشْعِرٌ بالتغاير فيكون الفقراءُ عينَ المساكين.

والظاهِرُ بقاءُ هذا الحكم للأصناف الثمانية دائماً، إذ لم يَرِدْ نَصٌّ في نَسْخِ شيءٍ منها.

والظاهر أنَّه يُعتَبر في كلِّ صِنْفٍ منها ما دَلَّ عليه لفظُه إن كان موجوداً، والخلافُ في كلِّ شيءٍ مِن هذه الظواهر.

فأمَّا أنَّ مَصْرِفَ الصَّدقاتِ هؤلاء الأصناف؛ فذهب جماعةٌ مِن الصحابة والتابعين إلى أنَّه يجوز أن يقتصرَ على بعضِ هؤلاء الأصناف، ويجوز أن يُصرَف إلى جميعها، فمِن الصحابة: عُمر وعليٌّ ومعاذ وحُذيفة وابنُ عباس، ومِن التابعين: النَّخَعيُّ وعُمر بنُ عبد العزيز وأبو العالية وابنُ جُبير، قالوا: في أيِّ صِنْفٍ منها وَضَعْتَها أَجْزَأَتْكَ[١]. قال ابنُ جُبير: لو نظرتَ إلى أهلِ بيتٍ مِن المسلمين فقراء مُتَعفِّفين فجبرتهم بها كان أحبَّ إليَّ. قال الزمخشريُّ: وعليه مذهبُ أبي حنيفة، قال غيرُهُ: وأبي يوسف ومحمد وزفر ومالك[٢].

وقال جماعةٌ مِن التابعين: لا يجوز الاقتصارُ على أَحَدِ هذه الأصناف، منهم: زينُ العابدين عليُّ بنُ الحسين وعكرمة والزهريُّ، بل تُصرَف إلى الأصناف الثمانية، وقد كَتَبَ الزهريُّ لعُمرَ بنِ عبد العزيز يُفرِّقها على الأصناف الثّمانية، وهو مذهب الشافعيِّ، قال: إلَّا المؤلَّفة، فإنَّهم انقطعوا[٣].

وأمَّا أنَّ الفقراءَ غيرُ المساكين؛ فذهب جماعةٌ مِن السَّلَف إلى أنَّ الفقيرَ والمسكينَ سواءٌ، لا فَرْقَ بينهما في المعنى وإنِ افترقا في الاسم، وهما صِنْفٌ

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٥٠-٤٥١، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٣٩، وللهرَّاسي ٣/ ٢٠٦، والاستذكار ٩/ ٢٠٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٦، وتنظر الآثار عند أبي عبيد في الأموال ص٦٨٨ وما بعدها، وعند الطبري ١١/ ٥٣١ وما بعدها.

(٢) الكشاف ٢/ ١٩٧، وأثر ابن جبير السالف عنده أيضاً وعند النيسابوري في التفسير ١٠/ ١١٧، وهو عند الطبري ١١/ ٥٣٢ لكن عن عطاء.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧، وينظر الأمّ للشافعي ٢/ ٦٠-٦١، وخبر الزهري لعمر بن عبد العزيز أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٨٥٠)، وابن زنجويه في الأموال (٢٠٤٩) ضمن خبر مطوَّل.

واحدٌ سُمِّيَ باسمين؛ ليُعطَى سَهْمَين نظراً لهم ورحمةً. قال في «التحرير»: وهذا هو أَحَدُ قولي الشافعيّ.

وذهبَ الجمهورُ إلى أنَّهما صِنْفان يَجمعهما الإقلال والفَاقة، واختلفوا فيما به الفَرْق:

فقال الأصمعيُّ وغيرُه، منهم أحمد بنُ حنبل وأحمد بنُ عُبيد: الفقيرُ أبلغُ فاقةً[1]. وقال غيرُه، منهم أبو حنيفة ويونس بنُ حبيب وابنُ السِّكِّيت وابنُ قتيبة: المسكينُ أَبلغُ فاقةً؛ لأنَّه لا شيءَ له، والفقير مَن لَهُ بُلْغَةٌ مِن الشيء[2].

وقال الضحاك: الفقراء هم مِن المهاجرين، والمساكين ممَّن لم يُهاجر. وقال النخعيُّ نحوَه[3].

وقال عكرمة: الفقراءُ مِن المسلمين، والمساكينُ مِن أهلِ الذِّمَّة، ولا نقولُ لفقراءِ المسلمين مساكين[4]. ورُوِيَ عنه بالعكس، حكاه مَكّيّ.

وقال الشافعيُّ في كتاب ابنِ المنذر: الفقيرُ: مَن لا مالَ له ولا حرفةَ، سائلاً كان أو متعفِّفاً، والمسكين: الذي له حرفةٌ أو مالٌ ولَكِن لا يُغنيه ذلك، سائلاً كان أو غيرَ سائلٍ[5].

وقال قتادة: الفقيرُ: الزَّمِنُ المُحتاج، والمسكين: الصَّحيحُ المُحتاج[6].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧.

(٢) ينظر كلام ابن السكيت في كتابه إصلاح المنطق ص٣٦٠، وينظر أيضاً كتابه تهذيب الألفاظ ١/ ١٥ وما بعدها، وفيه أيضاً كلام يونس، وكلامُ ابنِ قتيبة في كتابيه أدب الكاتب ص٣٤، وتفسير غريب القرآن ص١٨٨.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٢، وقول الضحاك أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٩٤٠)، وابن أبي شيبة في المصنَّف (١٠٦٩٦)، وقول النخعي عند أبي عبيد في الأموال (١٩٣٩)، والطبري ١١/ ٥١٢.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٢، والقرطبي ١٠/ ٢٥٠ و٢٥٥، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥١٣-٥١٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨، وينظر الأمّ ٢/ ٦١، وأحكام القرآن للشافعي ١/ ١٦١-١٦٢ (جمع الإمام البيهقي).

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص١٨٨، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ١/ ٢٧٨، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٩٤)، والطبري ١١/ ٥١١.

وقال ابنُ عباس والحسن ومجاهد والزهريُّ وابنُ زيد وجابر بن زيد والحكم ومقاتل ومحمد بنُ مسلمة: المساكين: الذين يَسْعَونَ ويَسألون، والفقراء: هم الذين يتصاونون[١].

وأمَّا بقاء الحُكم للأصناف الثمانية؛ فذهبَ عمر بنُ الخطَّاب والحسنُ والشعبيُّ وجماعةٌ إلى أنَّه انقطعَ صِنْفُ المؤلَّفة؛ بِعِزَّة الإسلام وظهورِه، وهذا مشهورُ مذهب مالكٍ وأبي حنيفة، قال بعضُ الحنفِيِّين: أجمعت الصحابةُ على سقوطِ سَهْمِهم في خلافة أبي بكر لمَّا أعزَّ اللهُ الإسلامَ وقَطَعَ دابرَ الكافرين. وقال القاضي عبدُ الوهَّاب: إنِ احتيجَ إليهم في بعض الأوقات أُعْطُوا مِن الصَّدَقات[٢].

وقال كثيرٌ مِن أهلِ العلم: المؤلَّفةُ قلوبهم موجودونَ إلى يوم القيامة، قال ابنُ عطيَّة: وإذا تأمَّلْتَ الثغورَ وجدتَ فيها الحاجةَ إلى الائتلاف[٣]. انتهى.

وقال يونس: سألتُ الزهريَّ عنهم، فقال: لا أَعلم نَسْخاً في ذلك[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨، وزاد المسير ٣/ ٤٥٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٠، وقول ابن عباس عند أبي عبيد في الأموال (١٩٤٢)، والطبري ١١/ ٥٠٩، وقول الحسن عند ابنِ زنجويه في الأموال (٢٠٤٣)، والطبري ١١/ ٥٠٩، وقول مجاهد عند أبي عبيد في الأموال (١٩٤٣)، والطبري ١١/ ٥١٠، وقول الزهري عند ابن أبي شيبة (١٠٦٩٧)، والطبري ١١/ ٥١٠، وقول ابن زيد عند الطبري ١١/ ٥١٠، وقول جابر بن زيد عند ابن أبي شيبة (١٠٦٩٥)، وأبي عبيد في الأموال (١٩٤٤)، والطبري ١١/ ٥١٠، وقول الحكم ومقاتل عند ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٥٥، وقول محمد بن مسلمة عند النحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٩٨)، والثعلبي في التفسير ٣/ ٢١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٥-٢٦٦، وقول عُمر والحسن والشعبي أخرجه الطبري ١١/ ٥٢٢، وقول عمر ﷺ أخرجه أيضاً أحمد في فضائل الصحابة (٣٨٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٣-٢٩٤، وينظر قول بعض الحنفيين في بدائع الصنائع للكاساني ٢/ ٤٧٠، وقولُ القاضي عبد الوهَّاب في عِقْد الجواهر الثمينة لابن شاس ١/ ٣٤٤، وينظر أيضاً أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٥٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦، والمغني لابن قدامة المقدسي ٤/ ١٢٥.

قال أبو جعفر النَّحَّاس: فعلى هذا: الحُكم فيهم ثابتٌ، فإن كان أحدٌ يُحتاج إلى تألُّفِه ويُخاف أن تَلحق المسلمينَ منه آفةٌ، أو يُرجى حُسْنُ إسلامِه بَعْدُ، دُفِعَ إليه[١].

وقال القاضي أبو بكر بنُ العربيّ: الذي عندِي أنَّه إنْ قَوِيَ الإسلامُ زالوا، وإن احتيجَ إليهم أُعْطُوا سَهْمَهم، كما كان رسولُ الله ﷺ يُعطيهم، فإنَّ في «الصحيح»: «بَدَأ الإسلامُ غريباً وسَيعودُ كما بَدَأ»[٢].

وفي كتاب «التحرير»: قال الشافعيُّ: العاملُ والمؤلَّفةُ قلوبهم مفقودانِ في هذا الزمانِ، بَقِيَت الأصناف السِّتَّةُ، فالأَوْلَى صَرْفُها إلى السِّتَّة[٣].

وأمَّا أنَّه يُعتبر في كلِّ صِنْفٍ منها ما دلَّ عليه لفظُه إن كان موجوداً، فهو مذهبُ الشافعيِّ، ذهبَ إلى أنَّه لا بُدَّ في كلِّ صِنْفٍ مِن ثلاثةٍ؛ لأنَّ أقلَّ الجَمْعِ ثلاثةٌ، فإن دَفَعَ سهمَ الفقراء إلى فقيرَيْن ضَمِنَ نصيبَ الثالث وهو ثُلثُ سهم[٤].

قال أصحاب أبي حنيفة: يجوز أن يُعطي جميعَ زكاته مسكيناً واحداً.

وقال مالك: لا بأس أن يُعطي الرجلُ زكاةَ الفطر عن نفسِه وعيالِه واحداً[٥].

واللام في «للفقراء»، قيل: للملك، وقيل: للاختصاص، والظاهرُ عمومُ الفقراء والمساكين، فيَدخل فيه الأقاربُ والأجانب وكُلُّ مَنِ اتُّصِفَ بالفَقْر والمَسْكَنة، فأمَّا ذوو قُرْبى الرسول ﷺ، فقال أصحاب أبي حنيفة: تَحرُم عليهم الصدقة منهم آلُ العبَّاس، وآلُ عليٍّ، وآلُ جعفرٍ، وآلُ عقِيلٍ، وآلُ الحارث بن عبد المطَّلب[٦]. ورُويَ عن أبي حنيفة وليس بالمشهور: أنَّ فقراءَ بني هاشم

(١) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦، والحديث عند مسلم (١٤٥) و(١٤٦) من حديث أبي هريرة وابن عمر ﷺ.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١١٥.
(٤) المصدر السابق ١٦/ ١٠٥، وينظر الأمّ للشافعي ٢/ ٦٨-٦٩، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٣٦، ومختصر اختلاف العلماء ١/ ٤٨١.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٣٦، وينظر بدائع الصنائع ٢/ ٤٧٣، والمدونة لمالك ١/ ٥٩٩.
(٦) تنظر هذه المسائل والأقوال الواردة فيها في أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٨ وما بعدها، =

يَدخلون في آية الصَّدَقة، وقال أبو يوسف: لا يَدخُلون. قال أبو بكر الرازيُّ: المشهورُ عن أصحابِنا أنَّهم مَن تقدَّم مِن آلِ العبَّاس ومَن ذُكِرَ معهم، ويخصُّ التحريم الفَرْضَ لا صدقةَ التطوع.

وقال مالك: لا تحلُّ الزكاةُ لآلِ محمَّدٍ، ويحلُّ التَّطوُّع. وقال الثوريُّ: لا تحلُّ لبني هاشم، ولم يذكر فرقاً بين النَّفْل والفَرْض. وقال الشافعيُّ: تَحرُم صدقةُ الفَرْض على بني هاشم وبني المطَّلب، وتجوز صدقةُ التَّطوُّع على كلِّ أحدٍ إلَّا رسول الله ﷺ فإنَّه كان لا يَأخُذها. وقال ابنُ الماجشون ومُطَرِّف وأَصْبَغ وابنُ حبيب: لا يُعطَى بنو هاشم مِن الصدقة المفروضة ولا مِن التَّطوُّع. وقال مالك في «الواضحة»: لا يُعطى آلُ محمد مِن التَّطوُّع.

وأمَّا أَقاربُ المُزكِّي، فقال أصحابُ أبي حنيفة: لا يُعطَى منها والدٌ وإن عَلَا ولا ابنٌ وإن سَفُل ولا زَوجةٌ. وقال مالك والثوريُّ والحسنُ بنُ صالح والليث: لا يُعطي مَن تَلْزَمه نفقتُه، وقال ابنُ شبرمة: لا يُعطِي قرابتَه الذين يَرثونه، وإنَّما يُعطِي مَن لا يَرثه وليس في عياله. وقال الأوزاعيُّ: لا يتخطَّى بزكاة مالِه فقراءَ أقاربِه إذا لم يكونوا مِن عيالِه، ويَتصدَّق على مَواليه مِن غيرِ زكاةِ مالِه. وقال مالك والثوريُّ وابنُ شُبْرُمة والشافعيُّ وأصحاب أبي حنيفة: لا يُعطَى الذِّمِّيُّ مِن الزكاة. وقال عبيد الله بنُ الحسن: إذا لم يَجد مُسلماً أعطى الذِّمِّيَّ. وكأنَّه يعني الذِّمِّيَّ الذي هو بين ظَهْرَانيهم.

وقال مالك وأبو حنيفة: لا تُعطِي الزَّوجةُ زوجَها مِن الزكاة. وقال الثوريُّ والشافعيُّ وأبو يوسف ومحمد: تُعطيه.

واختلفوا في المِقْدار الذي إذا مَلَكه الإنسانُ دَخَلَ به في حدِّ الغِنَى وخرجَ عن حدِّ الفَقْر وحَرُمت عليه الصدقةُ؛ فقال قومٌ: إذا كان عند أهلِه ما يُغدِّيهم ويُعشِّيهم حَرُمت عليه الصدقةُ، ومَن كان عنده دونَ ذلك حَلَّت له. وقال قوم: حتى يَملك

= ولابن العربي ٢/ ٩٥٩ وما بعدها، ومختصر اختلاف العلماء للجصاص ١/ ٤٧٧ وما بعدها، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٨ وما بعدها، وينظر تخريج الأقوال الواردة عنده بالهامش.

أربعينَ درهماً أو عِدْلَها مِن الذَّهَب. وقال قومٌ: حتى يملك خمسين درهماً أو عِدْلَها مِن الذَّهَب، وهذا مرويٌّ عن عليٍّ وعبدِ الله[1] والشعبيّ[2].

وقال مالك: حتى يملك مئتي درهم أو عِدْلها مِن عَرْض أو غيرِه، فاضلاً عمَّا يَحتاج إليه مِن مسكنٍ وخادمٍ وأثاثٍ وفَرْشٍ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة.

فلو دَفَعها إلى مَن ظَنَّ أنَّه فقيرٌ، فتبيَّن أنَّه غَنِيٌّ أو تَبيَّن أنَّ المدفوعَ إليه أَبُوه أو ذِمِّيٌّ ولم يَعلم بذلك وقتَ الدفع؛ فقال أبو حنيفة ومحمد: يُجزئه. وقال أبو يوسف: لا يُجزئه.

والعاملُ: هو الذي يَسْتَنيبه الإمامُ في السَّعْي في جَمْعِ الصدقات، وكلُّ مَن يَصْرِفُ[3] ممَّن لا يُستغنى عنه فيها فهو مِن العاملين، ويُسمَّى: جابي الصَّدَقةِ والسَّاعِي، قال:

إن السُّعَاةَ عَصَوْكَ حينَ بَعَثْتَهم ... لم يَفعلوا ممَّا أَمَرْتَ فَتِيْلا[4]

وقال:

سَعَى عِقالاً فلم يَتْرُكْ لَنا سَبَدا ... فكيف لو قد سَعَى عمرٌو عِقالَيْنِ[5]

أراد بالعِقال هنا زكاةَ السَّنَة.

وتعدَّى بـ «على» ولم يقل: «فيها»؛ لأنَّ «على» للاستعلاء المُشعِرِ بالولاية.

والجمهور على أنَّ للعامل قَدْرَ سَعْيه ومُؤنته مِن مالِ الصدقة، وبه قال مالك

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٢، وأخرجه عنهما الدارقطني في سننه (٢٠٠٥).

(٢) أورده عنه الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ١٢٨.

(٣) أي: مِن عونٍ، كما في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩.

(٤) النكت والعيون ٢/ ٣٧٥، والبيت للراعي النُّمَيْري وهو في ديوانه ص٢٣٦ ضمن قصيدةٍ يَمدح بها عبدَ الملك بنَ مروان ويشكو من السُّعاة، لكن ورد فيه هكذا:

إنَّ السُّعاةَ عصوك حين بعثتهم ... وأتَوا دواعيَ لو علمت وَغولا

إنَّ الذين أمرتهم أن يعدلوا ... لم يفعلوا ممَّا أمرتَ فتيلا

(٥) البيت لعَمرو بن العداء الكلبي، وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير مفردات الآية (٤٤).

والشافعيُّ في كتاب ابنِ المنذر، وأبو حنيفة وأصحابه، فلو تَجاوز ذلك مِن الصدقة، فقيل: يُتَمُّ له مِن سائر الأنصباء، وقيل: مِن خُمس الغَنيمة.

وقال مجاهد والضحاك والشافعيُّ: هو الثُّمُنُ على قَسم القرآن. وقال مالك من رواية ابن أبي أويس وداود بنِ سعيدٍ عنه: يُعطَون مِن بيت المال(١).

واختُلف في الإمام هل له حقٌّ في الصدقات؛ فمنهم مَن قال: هو العاملُ في الحقيقة، ومنهم مَن قال: لا حَقَّ له فيها(٢).

والجمهور على أنَّ أَخذَها مُفوَّض للإمام ومَن استنابه، فلو فَرَّقها المُزكِّي بنفسِه دونَ إذْنِ الإمام، أَخَذَها منه ثانياً(٣).

وقال أبو حنيفة: لا يجوز أنْ يَعمل على الصدقة أحدٌ مِن بني هاشم ويَأْخُذ عُمالته منها، فإنْ تَبرَّع، فلا خلافَ بين أهلِ العلم في جوازه. وقال آخرون: لا بأسَ لهم بالعُمالة مِن الصَّدَقة(٤). وقيل: إنْ عَمِلَ أُعطِيَها مِن الخُمُس.

والمؤلَّفة قلوبُهم: أشرافٌ مِن العرب مسلمونَ لم يَتمكَّن الإيمانُ مِن قلوبهم، أعطاهم؛ ليتمكَّن الإيمانُ مِن قلوبهم، أو: كفارٌ لهم أَتْباعٌ أعطاهم؛ ليتألَّفهم وأَتْبَاعَهم على الإسلام.

قال الزهريُّ: المؤلَّفة: مَن أسلم مِن يهوديٍّ أو نصرانيٍّ وإن كان غنياً(٥).

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢١٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٠-٢٦١، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٣، ولابن العربي ٢/ ٩٤٩-٩٥٠، وقول مجاهد والضحاك أخرجه الطبري ١١/ ٥١٧.
وداود بن سعيد، هو: ابن أبي زُنْبَر، قرشيٌّ، صحب مالكاً وروى عنه حديثاً وفقهاً كثيراً، وكان أَحَد أوصيائه. ترتيب المدارك ١/ ٣٧٢، والإكمال ٤/ ١٦٧.

(٢) تفسير النيسابوري ١٠/ ١١٤، قال الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٣٧٥: وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم. اهـ. وكذا نقل ابن عبد البرّ عن الشافعي، ينظر الاستذكار ٩/ ٢١٧.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٣.

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٣٣.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩، وأخرجه عنه ابن أبي شيبة (١٠٨٦٧)، والطبري ١١/ ٥٢١.

فمن المؤلَّفة: أبو سفيان بنُ حرب، وسُهَيل بنُ عَمرو، والحارثُ بنُ هشام، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزَّى، وصَفْوان بنُ أُمَيَّة، ومالك بنُ عوف النَّصْرِي، والعَلاء بنُ حارثة[١] الثَّقَفِيُّ، فهؤلاء أعطاهم الرسولُ ﷺ مئةَ بعيرٍ مئةَ بعيرٍ[٢]، ومَخْرَمة بنُ نَوفل الزُّهْريّ، وعُمَير بنُ وهب الجُمَحيّ، وهِشَام بنُ عَمْرو العامريّ[٣] أعطاهم دونَ المئة.

ومن المؤلَّفة: سعيد بنُ يَرْبُوع[٤]، والعَبَّاس بنُ مِرْدَاس، والأَقْرَع بن حَابِس، وزَيْد الخيل، وعَلْقَمة بنُ عُلَاثة، وأبو سفيان الحارث بنُ عبد المطلب، وحكيم بن حِزَام، وعكرمة بنُ أبي جهل، وسعيد بن عَمرو، وعُيَيْنة بنُ حِصْن.

وحَسُنَ إسلامُ المؤلَّفة حاشى عُيَينة فلم يزل مغموصاً عليه.

وأمَّا قوله: «وفي الرقاب» فالتقدير: وفي فَكِّ الرقاب، فيقتضي ما حصل به فَكُّ الرِّقاب مِن ابتداءِ عِتْقٍ يُشتَرى منه العبدُ فيعتق، أو تخليص مُكاتَب أو أَسِير.

وقال النخعيُّ والشعبيُّ وابنُ جبير وابنُ سيرين: لا يُجزئ أن يَعتق مِن الزكاة رقبةً كامِلةً، وهو قولُ أصحاب أبي حنيفة والليث والشافعيّ.

وقال ابن عباس وابنُ عُمر: أَعْتِق مِن زكاتِك[٥].

وقال ابنُ عُمر والحسن وأحمدُ وإسحاق: يَعتق مِن الزكاة وولاؤُه لجماعةِ المسلمين لا للمعتِق، وعن مالك والأوزاعيّ: لا يُعطَى المكاتَب مِن الزكاة شيئاً،

---

(١) كذا في النسخ، والذي في أغلب المصادر: والعلاء بن جارية.
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٣-٢١٤، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٥٢٠ عن يحيى بن أبي كثير، وهو عند عبد الرزاق في التفسير ١/ ٢٨١-٢٨٢، وينظر خبرهم أيضاً في سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٣-٤٩٦، والدرر لابن عبد البرّ ص٢٧٨-٢٨١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٠-٩٥٤.
(٣) في النسخ: العايدي. والمثبت من المصادر الآنفة الذِّكْر، حيث صُرِّح عند بعضهم بأنَّه أخو بني عامر بن لؤي.
(٤) ابن عَنْكَثَة بن عامر بن مخزوم. السيرة ٢/ ٤٩٣.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٤-١٢٥، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٥-٢١٦، والقرطبي ١٠/ ٢٦٦-٢٦٧، وخبر ابن عباس أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٧٨٥)، وبنحوه ابن أبي شيبة (١٠٥٢٥)، وابن زنجويه في الأموال (٢٢٠١).

ولا عبدٌ كان مَولاه موسراً أو معسراً[١]. وعن ابنِ عباسٍ والحسن ومالك: هو ابتداءَ العِتْقِ وعَوْنُ المكاتَب بما يأتي على حُرِّيَّته[٢].

والجمهور على أنَّ المكاتَبين يُعانُون في فَكِّ رقابِهم مِنَ الزكاة، ومذهب أبي حنيفة وابنِ حبيب أنَّ فَكَّ رقابِ الأسارى يَدخُل في قوله: «وفي الرِّقاب» فيُصْرَف في فكاكها مِن الزكاة[٣]. وقال الزهريُّ: سهمُ الرقاب نصفان؛ نصفٌ للمكاتَبين، ونصفٌ يعتقُ منه رقابٌ مسلمونَ مِمَّن صَلَّى[٤].

والغارِمُ: مَن عليه دَيْنٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وزاد مجاهدٌ وقتادة: في غيرِ معصيةٍ ولا إسراف[٥].

والجمهور على أنَّه يُقضَى منها دَيْنُ الميت، إذ هو غارمٌ. وقال أبو حنيفة وابنُ المَوَّاز: لا يُقضى منها[٦]. وقال أبو حنيفة: ولا يُقضَى منها كفَّارة ونحوها مِن حقوق الله تعالى، وإنَّما الغارمُ مَن عليه دَيْنٌ يُحبَس فيه[٧].

وقيل: يَدخُل في الغارمين مَن تحمَّل حَمالاتٍ في إصلاحٍ وبِرٍّ وإن كان غنياً، إذا كان ذلك يُجْحِف بماله، وهو قول الشافعيّ وأصحابه وأحمدَ[٨].

«وفي سبيل الله» هو المجاهد يُعطَى منها إذا كان فقيراً، والجمهور على أنَّه يُعطَى منها وإن كان غنيًّا ما يُنفق في غزوته. وقال الشافعيُّ وأحمد وعيسى بنُ دينار

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٥، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦-٢٦٧، والكافي لابن عبد البَرّ ١/ ٣٢٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٩-٢٧٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠، وتفسير الرازي ١٦/ ١١٢، والخبر أخرجه عنه أبو عبيد في الأموال (١٨٥٠)، وابن زنجويه في الأموال (٢٠٤٩)، وسلف أوَّل المسألة.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٦، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٥٢٦-٥٢٧.
(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٦.
(٧) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠.
(٨) المصدر السابق، وينظر أيضاً أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٦، والتمهيد ٥/ ٩٩.

وجماعة: لا يُعطَى الغنيُّ إلَّا إن احتاجَ في غزوتِه وغابَ عنه وَفْرُه[١].

وقال أبو حنيفة وصاحباه: لا يُعطَى إلَّا إن كان فقيراً أو منقطَعاً به، فإذا أُعطيَ مَلَكَ، وإنْ لم يَصْرِفه في غزوته. وقال ابنُ عبدِ الحَكَم: ويُجعَل مِن الصدقة في الكُراع والسِّلاح وما يُحتاج إليه مِن آلاتِ الحرب وكفِّ العدوِّ عن الحَوْزَة؛ لأنَّه كلَّه مِن سبيل الغَزْوِ ومنفعتِه[٢].

والجمهور على أنَّه يَجوز الصَّرْف منها إلى الحُجَّاج والمعتمرين وإن كانوا أغنياء، وقال الزمخشريُّ: «وفي سبيل الله» فقراءُ الغَزاة والحَجِيجُ المنقطَع بهم[٣]. انتهى.

والذي يقتضيه تعدادُ هذه الأوصاف أنَّها لا تتداخل، واشتراط الفَقْر في بعضها يَقضِي بالتداخل، فإن كان الغازي أو الحاجُّ شَرْطُ إعطائه الفَقْر، فلا حاجةَ لِذِكْره؛ لأنَّه مندرجٌ في عموم الفقراء، بل كلُّ مَن كان بوصفٍ مِن هذه الأوصاف جاز الصَّرْف إليه على أيِّ حالٍ كان مِن فقرٍ أو غنًى؛ لأنَّه قام به الوصفُ الذي اقتضى الصَّرْفَ إليه.

قال ابنُ عطيَّة: ولا يُعطَى منها في بناء مسجدٍ، ولا قَنْطَرةٍ، ولا شراءِ مصحف[٤]. انتهى.

«وابن السبيل» قال ابنُ عبَّاسٍ: هو عابِرُ السَّبيل. وقال قتادة في آخرين: هو الضَّيْف[٥]. وقال جماعةٌ: هو المسافِر المُنقَطَع به وإن كان له مالٌ في بلده. وقالت جماعةٌ: هو الحاجُّ المُنقَطِع[٦]. وقال الزجَّاج: هو الذي قُطعَ عليه الطريقُ[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٣، وقول عيسى بن دينار عند ابن عبد البرّ في التمهيد ٥/ ٩٨-٩٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٢-٢٧٣.
(٣) الكشاف ٢/ ١٩٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠.
(٥) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣/ ٢٥٢، وقول قتادة أخرجه الطبري ١١/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣/ ٢٥٢، والقول فيه أيضاً عن ابن عباس ﵄.
(٦) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٨، وللجصاص ٣/ ١٢٧-١٢٨.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٦.

وفي كتاب سحنون: قال مالك: إذا وجد المسافرُ المنقطع به مَن يُسْلِفه، لم يجز له أن يأخذ مِن الصدقةِ[(١)].

والظاهر الصَّرْف إليه وإن كان له ما يُغنيه في طريقه؛ لأنَّه ابنُ سَبيلٍ، والمشهورُ أنَّه إذا كان بهذا الوصف لا يُعطى.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: لِمَ عَدَلَ عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة؟

قلت: للإيذان بأنَّهم أرسخُ في استحقاق التَّصَدُّق عليهم ممَّن سَبَق ذِكْره، لأنَّ «في» للوعاءِ، فنبّه على أنَّهم أحقَّاءُ بأنْ تُوضَع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنَّةً لها ومَصَبًّا، وذلك لما في فَكِّ الرِّقاب مِن الكتابة أو الرِّق أو الأَسْر، وفي فَكِّ الغارمين مِن الغُرْمِ من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقيرِ أو المنقطع في الحجِّ بين الفَقْر والعبادة، وكذلك ابنُ السبيل جامِعٌ بين الفَقْر والغُرْبة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في قوله تعالى: «وفي سبيل الله وابنِ السبيل» فيه فَضْلُ ترجيحٍ لهذَيْن على الرِّقاب والغارمين.

فإنْ قلتَ: فكيف وقعت هذه الآيةُ في تضاعيف ذِكْر المنافقين ومكايدهم؟

قلت: دلَّ بكون هذه الأصنافِ مصارفَ الصدقاتِ خاصَّةً دونَ غيرهم على أنَّهم ليسوا منهم، حَسْماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمانَ وأنَّهم بُعَداءُ عنها وعن مَصَارفها، فما لهم ولها، وما سلَّطهم على الكلام فيها ولمَن قاسَمَها[(٢)]؟!

وانتصب «فريضةً» لأنَّه في معنى المصدر المؤكّد؛ لأنَّ قولَه تعالى: «إنَّما الصدقاتُ للفقراء» معناه: فَرْضٌ مِن الله الصدقاتُ لهم.

وقُرِئَ: «فريضةٌ» بالرفع، على: تلك فريضةٌ[(٣)]. انتهى.

---

(١) أحكم القرآن لابن العربي ٢/ ٩٥٨.
(٢) الكشاف ٢/ ١٩٩.
(٣) المصدر السابق، وأوردها أيضاً القرطبيُّ في التفسير ١٠/ ٢٨٢ وعزاها لابن أبي عبلة، قال الزجاج في معاني القرآن ٢/ ٤٥٧: ولا أعلمه قُرئ به. وقال الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٤٤: والرفع في «فريضة» جائزٌ لو قُرئ به.

وقال الكرمانيُّ وأبو البقاء[(١)]: «فريضةً» حالٌ مِن الضمير في الفقراء، أي: مفروضةً، قال الكرمانيُّ: كما تقول: هي لَكَ طِلْقاً. انتهى.

وذُكرَ عن سيبويه أنَّها مصدرٌ، والتقديرُ: فَرَضَ اللهُ الصَّدَقات فَرِيضةً[(٢)]. وقال الفَرَّاء: هي منصوبةٌ على القَطْع[(٣)].

«واللهُ عليمٌ حكيمٌ» لأنَّ ما صَدَرَ عنه هو عن عِلْم منه بخَلْقِه، وحكمةٍ منه في القِسْمة، أو «عليمٌ» بمقادير المصالح، «حكيمٌ» لا يُشرِّع إلَّا ما هو الأصلحُ.

* * *

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ
يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ
وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن
طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ
بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ
مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ

(١) الإملاء ٢/ ١٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٢، ولم نقف عليها في كتاب سيبويه.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٤.

اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ
فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ
لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ
اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ

عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

المفردات الاعْتِذارُ: التَّنَصُّل مِن الذَّنْب، فقيل: أَصْلُه المَحْوُ، مِن قولهم: اعْتَذَرتِ المنازلُ: دَرَست[1]، فالمُعتذِر يُحاوِل إزالةَ ذَنْبِهِ، قال ابنُ أَحْمَر:

قد كنتَ تَعْرِفُ آياتٍ فقد جَعَلَتْ ... أطلالُ إِلْفِكَ بالوَعْسَاءِ تَعْتَذِرُ[2]

وعن ابنِ الأعرابيِّ أنَّ الاعتذارَ هو القَطْعُ، ومنه: عُذْرَةُ الجارية؛ لأنها تُعذَر، أي: تُقْطَع، واعتذرتِ المياهُ: انْقَطعت، والعُذْر سَبَبٌ لقَطْع الذَّمِّ.

عَدَنَ بالمكان يَعْدِنُ عُدُوناً: أقام، قاله أبو زيد وابنُ الأعرابيِّ[3]، قال الأعشى:

وإن يَسْتَضِيفُوا إلى حِلْمِهِ ... يُضَافُوا إلى راجحٍ قد عَدَنْ[4]

وتقول العرب: تَرَكْتُ إبلَ فلانٍ عَوَادِنَ بمكانِ كذا، وهو أن تَلْزَمَ الإبلُ المكانَ فتأْلَفَه ولا تَبْرَحه، وسُمِّيَ المَعْدِنُ مَعْدِناً؛ لإنبات اللهِ الجوهرَ فيه وإثباته إيَّاه في الأرض حتى عَدَن فيها، أي: ثَبَت، وعَدَنُ مدينةٌ باليَمَن؛ لأنَّها أكثرُ مدائنِ اليَمَن قُطَّاناً وَدُوراً[5].

* * *

(١) تهذيب اللغة ٢/ ٣١١، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٩٢.

(٢) البيت في العمدة لابن رشيق ٢/ ١٨٠، ولسان العرب (عذر)، وفي معجم البلدان ٥/ ٣٦٩، ونُسبَ فيها لابن أحمر، وأورده أيضاً الجوهريُّ في الصحاح (عذر)، والقرطبي في التفسير ١٠/ ٢٩٢ دون نسبة، وورد في المصادر كلها: بالودكاء، بدل: بالوعساء، قال ياقوت: الوَدْكاء: من الوَدَك، وهو الدهن والدسم: رملة أو موضع بعينه. اهـ. والوَعْساء: موضع معروف بين الثعلبيَّة والخزيمية على طريق جادَّة الحاج، وهي شقائق رمل متصلة. تاج العروس (وعس).

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ٢١٨ (عدن).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وينظر تفسير الطبري ١١/ ٥٥٩، والبيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص٦٩، وفيه: إلى حكمه، بدل: إلى حِلْمه، ورَزَنْ، بدل: عَدَن، وكلاهما بمعنًى.

(٥) ينظر المُغرب للمطرزي (عدن)، ولسان العرب (قطن).

التفسير ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ كان خذامُ(١) بنُ خالد وعُبَيْد بنُ هلال والجُلَاسُ بنُ سُوَيْد في آخَرين يُؤْذُون الرسولَ ﷺ، فقال بعضُهم: لا تفعلوا؛ فإنَّا نخاف أنْ يَبْلُغَه فيُوقِعَ بنا. فقال الجُلَاس: بل نقولُ ما شِئْنَا، فإنَّ محمَّداً أُذُنٌ سامعةٌ، ثم نَأْتيه فيصدِّقنا. فنزلت(٢).

وقيل: نزلت في نَبْتَل بنِ الحارث، كان يَنُمُّ حديثَ الرَّسولِ ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تَفْعَلْ. فقال ذلك القول(٣).

وقيل: نزلت في الجُلَاس وزَمْعة(٤) بن ثابت في آخَرين أرادوا أنْ يَقَعوا في الرَّسولِ، وعندهم غلامٌ مِن الأنصار يُدْعَى: عامِرَ بنَ قيس(٥)، فحقَّروه، فقالوا: لَئِنْ كان ما يقول محمَّد حقًّا، لنَحنُ شَرٌّ مِن الحَمِير. فَغَضِبَ الغلامُ وقال: واللهِ إنَّ ما يقول محمَّدٌ حَقٌّ، وإنكم لشَرٌّ مِن الحمير. ثم أتى الرَّسولَ ﷺ فأخبره، فدعاهم فسَأَلَهم، فحلفوا أنَّ عامِراً كاذبٌ، وحَلَفَ عامِرٌ أنَّهم كَذَبَةٌ، وقال: اللَّهمَّ لا تُفرِّق بيننا حتى يتبيَّنَ صِدْقُ الصادقِ وكَذِبُ الكاذب. ونزلت هذه الآية: «يَحلفونَ بالله لكم ليُرْضُوكم».

---

(١) في المطبوع: قدام. والأقوال الواردة هنا في سبب النزول جميعها من زاد المسير ٣/ ٤٦٠.

(٢) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٤٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢١٧، وتفسير البغوي ٢/ ٣٠٦، وأورده أيضاً النيسابوري في التفسير ١٠/ ١١٩ وعزاه لابن عباس.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٢٤٨-٢٤٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢١٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٢، والنيسابوري ١٠/ ١٢٠، وأورده ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٢١-٥٢٢ نقلاً عن ابن إسحاق، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٣٥-٥٣٦.

(٤) كذا في النسخ، والذي في المصادر: وديعة، ينظر تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢، وزاد المسير ٣/ ٤٧٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٤، والخبر أورده أيضاً الواحديُّ في أسباب النزول ص٢٤٩ وعزاه للسُّدِّي، وأخرجه عنه وعن قتادة ابنُ أبي حاتم ٦/ ١٨٢٨، وأخرجه أيضاً الطبريُّ ١١/ ٥٦٩-٥٧٠ لكن عن عروة بن الزبير.

(٥) الذي في تفسير الطبري أنَّ القائل هو ابنُ امرأةِ الجُلَاس. وأمَّا عامر بن قيس ـ المذكور هنا ـ فهو ابن عمِّ الجُلَاس. ينظر الإصابة ٥/ ٢٩٥، قال ابن حجر: وكذلك ذكره أبو الأسود عن عروة، ونقله الثعلبي عن قتادة والسدي، والقصة مشهورة لعمير بن سعد. اهـ. وكذا ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥١٩-٥٢٠، وأخرجها الطبري في التفسير ١١/ ٥٧٠-٥٧١ عن ابن إسحاق.

يقال: رَجُلٌ أُذُنٌ: إذا كان يَسمَعُ مقالَ كلِّ أَحَدٍ، يَستوي فيه الواحدُ والجَمْعُ، قاله الجوهريُّ[(١)].

وقال الزمخشريُّ: الأُذُنُ: الرَّجُل الذي يُصدِّق كلَّ ما يَسمع، ويَقْبَل قولَ كلِّ أَحَدٍ، سُمِّيَ بالجارحة التي هي آلةُ السماع، كأنَّ جملتَه أُذُنٌ سامعةٌ، ونظيره: قولهم للرَّبِيئة: عينٌ[(٢)].

وقال الشاعر:

قـد صِـرْت أُذنـاً لـلـوُشـاةِ سَـمِـيْـعَـةً ... يَنالونَ مِن عِرْضِي ولو شئت ما نالوا[(٣)]

وهذا منهم تَنقُّصٌ للرسولِ ﷺ إذ وَصَفُوه بقِلَّة الحَزَامَة والانْخِداع.

وقيل: المعنى: ذو أُذُنٍ، فهو على حذف مضافٍ، قاله ابنُ عبَّاس[(٤)].

وقيل: «أُذُن» حديدُ السَّمْع، رُبَّما سَمِعَ مقالتنا.

وقيل: «أُذُن» وَصْفٌ بُنِيَ على فُعُل، مِن أَذِنَ يَأْذَن أَذَناً: إذا اسْتَمع، نحو: أُنُفٌ، وشُلُلٌ[(٥)].

وارتفع «أُذُن» على إضمارِ مبتدأ، أي: قل: هو أُذُنُ خيرٍ لكم، وهذه الإضافةُ نظيرُها: قولهم: رجُلُ صِدْقٍ، تريد الجودةَ والصَّلاح، كأنَّه قيل: نَعَم هو أُذُن، ولكِنْ نِعْمَ الأُذُن.

ويجوز أن يُرادَ «هو أُذُن» في الخير والحقِّ وما يَجب سماعُه وقَبولُه، وليس بأُذُنٍ في غيرِ ذلك، ويدلُّ عليه جَرُّ «ورحمةٍ» في قراءةِ مَن جرَّها عطفاً على «خيرٍ»

---

(١) الصحاح (أذن).

(٢) الكشاف ٢/ ١٩٩، والربيئة: الطَّلِيْعَة الذي ينظر للقوم؛ لئلا يدهمهم عدوٌّ. لسان العرب (ربأ).

(٣) البيت لعمرو بن أبي بكر العدوي القرشي قاضي دمشق، وهو في الأغاني ١١/ ٣٤٠، ومعجم الشعراء للمرزباني ص٣٤، ومعجم الأدباء للحموي ٢/ ٢٢٢ ضمن أبيات ثلاثة.

(٤) لم نقف على كلامِ ابنِ عباس، وورد في تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٨ عن ابن العبَّاس الأزهري، عن أبي حاتم السجستاني أنه قال: هو أذن، أي: ذو أذن سامعة. اهـ. فلعلَّه المراد، والله تعالى أعلم.

(٥) رَجُلٌ مِشَلٌ وشَلُولٌ وشُلُلٌ: خفيفٌ سريع. اللسان (شلل).

أي: هو أُذُن خيرٍ ورحمةٍ لا يَسمع غيرَهما ولا يَقبَلُه. قاله الزمخشريُّ[١].

وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بنُ عليٍّ وأبو بكر عن عاصم في رواية: «قُلْ أُذُنٌ» بالتنوين، «خيرٌ» بالرفع[٢].

وجوَّزوا في «أُذُن» أن يكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ، و«خيرٌ» خبرٌ ثانٍ لذلك المحذوف، أي: هو أُذُنٌ هو خيرٌ لكم؛ لأنَّه ﷺ يَقبَلُ مَعاذِيْرَكم ولا يُكافِئكم على سُوء خِلَّتكم[٣].

وأن يكون «خير» صفةً لـ «أذن» أي: أُذُن ذو خيرٍ لكم، أو على أنَّ خيراً أَفْعَلُ تفضيلٍ، أي: أكثرُ خيراً لكم، وأن يكون «أُذن» مبتدأً، خبرُه «خير»، وجاز أن يُخبر بالنَّكرة عن النَّكرة مع حصولِ الفائدة فيه، قاله صاحبُ «اللوامح»، وهو جائزٌ على تقدير حَذْفِ وَصْفٍ، أي: أُذنٌ لا تُؤاخِذُكم خيرٌ لكم.

ثُمَّ وَصَفه تعالى بأنَّه «يُؤمِنُ بالله» ومَن آمَنَ بالله كان خائفاً منه لا يُقدِم على الإيذاء بالباطل، «ويُؤمن للمؤمنين» أي: يَسمع مِن المؤمنين، ويُسلِّم لهم ما يَقولون، ويُصدِّقهم؛ لكونِهم مؤمنين، فهم صادقون «ورحمة للذين آمنوا منكم» وخصَّ المؤمنين وإن كان رحمةً للعالمين؛ لأنَّ ما حصلَ لهم بالإيمان بسبب الرَّسول لم يَحصل لغيرهم، وخُصُّوا هنا بالذِّكر وإن كانوا قد دَخلوا في العَالَمِين، لحصول مزيَّتهم، وهذه الأوصاف الثلاثة مُبيِّنةٌ جهةَ الخيريَّة، ومُظْهِرَةٌ كونَه ﷺ «أُذُن خيرٍ».

وتعديةُ «يُؤمِن» أوَّلاً بالباء وثانياً باللام، قال ابنُ قتيبة: هما زائدان، والمعنى: يُصدِّقُ اللهَ ويُصدِّق المؤمنين[٤].

وقال الزمخشريُّ: قَصَدَ التصديقَ باللهِ الذي هو نقيضُ الكفر، فعُدِّي بالباء، وقَصَدَ الاستماعَ للمؤمنين وأنْ يُسلِّم لهم ما يقولون، فعُدِّيَ باللام، ألَا ترى إلى

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٩، وقراءة جَرِّ «ورحمة» قراءةُ حمزة، وهي في السبعة ص٣١٥، والتيسير ص١١٨، والنشر ٢/ ٢٨٠. وستأتي قريباً.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٣، وقراءة الحسن عند الطبري ١١/ ٥٣٦، وقراءة عاصم المشهورة عنه كقراءة الجماعة. ينظر السبعة ص٣١٥.

(٣) الكشاف ٢/ ١٩٩.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٤٠، وينظر أيضاً كتابه تفسير غريب القرآن ص١٨٩.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] ما أنْبَاهُ عن الباء، ونحوُه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣] ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾[1] [طه: ٧١]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: «يُؤمِنُ بالله» يُصدِّقُ بالله، «ويُؤمِنُ للمؤمنين» قيل: معناه: ويُصدِّق المؤمنينَ، واللامُ زائدةٌ، كما هي في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، وقال المُبرِّدُ: هِيَ متعلِّقةٌ بمصدرٍ مقدَّرٍ مِن الفِعْل، كأنَّه قال: وإيمانُه للمؤمنين، أي: وتصديقه. وقيل: يقال: آمنتُ لَكَ بمعنى صَدَّقْتُكَ، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧].

وعندي أنَّ هذه التي معها اللام في ضِمْنها باءٌ، فالمعنى: ويُصدِّقُ للمؤمنين فيما يُخبِرونه به، وكذلك ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ بما نَقُوله لَكَ[2]. انتهى.

وقرأ أُبيٌّ وعبد الله والأعمش وحمزةُ: «ورَحْمةٍ» بالجرِّ، عطفاً على «خير»[3] فالجملةُ مِن «يُؤمِن» اعتراضٌ بين المتعاطِفَيْن، وباقي السَّبْعَة بالرَّفْع عطفاً على «يُؤمِن».

و«يُؤمِن» صفةٌ لـ «أذن خير»، وابنُ أبي عَبْلَة بالنَّصب[4] مفعولاً مِن أجْلِه حُذف متعلَّقه، التقدير: ورحمةً يَأذَنُ لكم، فحذف؛ لدلالة «أذن خير لكم» عليه.

وأُبرزَ اسمُ الرَّسُولِ ولم يأتِ به مضمراً على نَسَق «يؤمن» بلفظ «الرسول»؛ تعظيماً لشأنه وجَمْعاً له في الآية بين الرُّتبتَين العظيمتين مِن النُبوَّة والرِّسالة، وأضافه إليه زيادةً في تشريفه، وحَتَم على مَن آذاهُ بالعذاب الأليم، وحُقَّ لهم ذلك، «والذين يُؤذُون» عامٌّ يَندرجُ فيه هؤلاءِ الذين آذَوْا هذا الإيذاءَ الخاصَّ وغيرُهم.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ الظاهر أنَّ الضميرَ في «يحلفون» عائدٌ على الذين يقولون «هو أُذُن» أنْكَروه وحَلَفوا أنَّهم ما قالوه.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣.
(٣) المصدر السابق وسلفت القراءة قريباً، وسلف تخريجها ثمَّة.
(٤) أي: «ورحمةً»، والقراءة في الكشاف ٢/ ١٩٩، ونقلها عنه الرازي في التفسير ١٦/ ١١٨، لكن وردت في مطبوعه عن ابنِ عامر، بدل: ابن أبي عبلة.

وقيل: عائدٌ على الذين قالوا: إن كان ما يقولُ محمَّد حقًّا، فنحنُ شَرٌّ مِن الحمير. وتقدَّم ذِكْرُ ذلك.

وقيل: عائدٌ على الذين تخلَّفوا عن غزوةِ تَبُوك، فلمَّا رَجَعَ الرَّسولُ ﷺ والمؤمنون، اعْتَذَروا وحَلَفوا واعْتَلُّوا، قاله ابنُ السائب واختاره البيهقيُّ[1]، وكانوا ثلاثةً وثمانينَ، حَلَفَ منهم ثمانونَ، فقَبِلَ الرَّسول أعذارَهم، واعترفَ منهم بالحقِّ ثلاثةٌ، فأَطْلَعَ اللهُ رسولَه على كَذِبهم ونِفَاقهم، وهَلَكوا جميعاً بآفاتٍ، ونَجَا الذين صَدَقوا.

وقيل: عائدٌ على عبد الله بنِ أُبيّ ومَن معه حَلَفوا أنْ لا يَتخلَّفوا عن رسولِ الله وليكونوا معه على عَدُوِّه[2].

وقال ابنُ عطيَّة: المرادُ جميعُ المنافقين الذين يَحلفون للرَّسول والمؤمنين أنَّهم معهم في الدِّيْن وفي كلِّ أَمْرٍ وحِزْبٍ، وهم يُبطِنون النِّفاقَ ويتربَّصون بالمؤمنين الدوائرَ، وهذا قولُ جماعةٍ مِن أهلِ التأويل[3].

واللام في «ليُرْضوكم» لام «كي» وأَخْطَأَ مَن ذهب إلى أنَّها جوابُ القَسَم[4].

وأفرد الضميرَ في «أَنْ يُرْضُوه» لأنَّهما في حُكمِ مَرْضِيٍّ واحدٍ، إذ رِضَا اللهِ هو رِضَا الرَّسول، أو يكون في الكلام حذفٌ.

قال ابنُ عطيَّة: مذهبُ سيبويه أنَّهما جملتان، حُذفت الأولى لدلالةِ الثانية عليها، والتقديرُ عندَه: واللهُ أَحقُّ أنْ يُرْضوه، ورسولُه أَحقُّ أنْ يُرْضُوه، وهذا كقولِ الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٨-٢١٩، والبغوي ٢/ ٣٠٦-٣٠٧، وزاد المسير ٣/ ٤٦١-٤٦٢ عن ابن السائب ومقاتل، وينظر خبرُ البيهقيّ في كتابه دلائل النبوة ٥/ ٢٧٤ وما بعدها، وخبر الثلاثة الذين تخلَّفوا عن تبوك وتاب الله عليهم عند البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأحمد (١٥٧٩٠) من حديث عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه كعب رضي الله عنه.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٦١-٤٦٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣.

(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٨، وزاد المسير ٣/ ٤٦٢.

نَحنُ بما عِنْدَنا وأنتَ بما عندكَ راضٍ والرَّأي مُختَلِفُ[١]

ومذهبُ المُبرِّد أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديرُه: واللهُ أَحقُّ أَنْ يرضوه ورسولُه.

وقيل: الضميرُ عائدٌ على المذكور، كما قال رُؤْبَةُ:

فيها خطوطٌ مِن سَوَادٍ وبَلَقْ كأنَّه في الجِلْد تَوْلِيْعُ البَهَقْ[٢]

انتهى.

فقوله: مذهبُ سيبويه أنَّهما جملتان، حُذفت الأُولى. إن كان الضميرُ في «أنَّهما» عائداً على كلِّ واحدةٍ مِن الجملتين، فكيف تقول: حُذفت الأُولى. ولم تُحذَف الأُولى، إنَّما حُذف خبرها، وإن كان الضمير عائداً على الخبر وهو «أحقُّ أنْ يُرضوه» فلا يكون جملةً إلَّا باعتقاد كونِ «أنْ يُرضوه» مبتدأ، أو «أحقّ» المتقدِّم خبره، لكن لا يتعيَّن هذا القول، إذ يجوز أن يكون الخبرُ مُفرَداً، بأَنْ يكون التقديرُ: أحقُّ بأَنْ يُرضوه، وعلى التقدير الأوَّل يكون التقدير: واللهُ إرضاؤه أحقُّ، وقدَّره الزمخشريُّ: واللهُ أحقُّ أَنْ يُرضوه ورسولُه كذلك[٣].

«إن كانوا مؤمنين» كما يَزعمون، فأَحقُّ مَن يُرضُونَه اللهُ ورسولُه ﷺ بالطَّاعة والوِفاق.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ أي: أَلَم يَعلم المنافقون، وهو استفهامٌ معناه التوبيخُ والإنكار.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٤-٢٨٥، وينظر كلام سيبويه في الكتاب ١/ ٧٥، ونُسِبَ البيت فيه لقيس بن الخطيم، ونسبه صاحب جمهرة أشعار العرب ١/ ١١٣ و٢/ ٦٧٥ لعمرو بن امرئ القيس، وهو ما رجَّحه البغداديُّ في خزانة الأدب ٤/ ٢٨٣، ونَسَبه ابن الأنباري في الإنصاف ١/ ٩٥ لدرهم بن زيد الأنصاري، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١/ ٤٣٤، وللأخفش ٢/ ٥٥٣، وللزجاج ٢/ ٤٤٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٥٨، وتفسير الطبري ١١/ ٤٣٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣، والرجز في ديوان رؤبة ص١٠٤، وسلف في تفسير سورة البقرة عند تفسير الآية (٦٨).

(٣) الكشاف ٢/ ١٩٩.

وقرأ الحسنُ والأعْرجُ بالتاء على الخطاب[(١)]، فالظاهرُ أنَّه التفاتٌ، فهو خطاب للمنافقين.

قيل: ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين، فيكون معنى الاستفهام التقرير، وإن كان خطاباً للرَّسول فهو خطابُ تعظيم، والاستفهامُ فيه للتعجُّب، والتقدير: أَلَا تَعْجَب مِن جهلهم في محادَّة اللهِ تعالى!

وفي مصحف أُبَيٍّ: «أَلَم تَعْلَم»، قال ابنُ عطيَّة: على خطاب النبيِّ عليه السلام[(٢)]. انتهى.

والأولى أن يكون خطاباً للسامع، قال أهلُ المعاني: «أَلَم تَعْلَم» الخطابُ لمَن حاول تعليمَ إنسان شيئاً مُدَّةً وبالَغَ في ذلك التعليمِ فَلَم يَعْلَم، فقال له: أَلَم تَعْلَم بَعْدَ المباحثِ الظاهِرة والمُدَّة المَدِيْدة؟! وحَسُنَ ذلكَ؛ لأنَّه طالَ مُكْثُ النبيِّ ﷺ معه، وكَثُرَ منه التحذيرُ عن معصيةِ الله والترغيب في طاعةِ الله.

قال بعضهم: المحادَّة: المخالفة، حَادَدْتُه: خالفتُه، واشتقاقه مِن الحَدِّ، أي: كان على حدٍّ غيرِ حادِّه، كقولك: شاقَّه، كان في شِقٍّ غيرِ شِقِّه.

وقال أبو مسلم: المُحادَّة مأخوذةٌ مِن الحديد حديدِ السِّلاح[(٣)].

والمحادَّةُ هنا؛ قال ابن عباسٍ: المخالفة، وقيل: المحاربة، وقيل: المُعاندة، وقيل: المعاداة، وقيل: مُجاوزة الحدِّ في المخالفة، وهذه أقوالٌ متقاربة[(٤)].

وقرأ الجمهور: «فَأَنَّ له» بالفتح، والفاءُ جوابُ الشَّرْط، فتقتضي جملةً، و«أنَّ له» مُفرَدٌ في موضع رَفْعٍ على الابتداء، وخبرُه محذوف، قدَّرَه الزمخشريُّ مُقدَّماً نكرة، أي: فحقٌ أنَّ له، وقدَّره غيرُه متأخِّراً، أي: فأنَّ له نارَ جهنَّم واجبٌ، قاله الأخفش، ورُدَّ عليه بأنَّ «أنّ» لا يُبتَدأ بها متقدِّمة على الخبر، وهذا مذهبُ سيبويه

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٩، والكشاف ٢/ ١٩٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٢. وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١١٩-١٢٠.
(٤) المصدر السابق، وزاد المسير ٣/ ٤٦٢، والنكت والعيون ٢/ ٣٧٨.

والجمهورِ، وأجاز الأخفش والفرَّاء وأبو حاتم الابتداء بها متقدِّمة على الخبر؛ فالأخفشُ خَرَّج ذلك على أصلِه، أو في مَوضع رَفْع على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، أي: فالواجبُ أنَّ له النارَ، قاله عليُّ بنُ سليمان، وقال الجَرْميُّ والمُبرِّد «أنَّ» الثانية مُكرَّرة للتوكيد، كأنَّ التقدير: فله نارُ جهنم، وكرَّر «أنَّ» توكيداً[(١)].

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون «فأنَّ له» معطوفاً على «أنَّه» على أنَّ جوابَ «مَن» محذوفٌ تقديرُه: أَلَم يَعلموا أنَّه «مَن يُحادِدِ اللهَ ورسولَه» يَهْلِكْ «فأَنَّ له نارَ جهنَّم»[(٢)]. انتهى. فيكون «فأنَّ له نارَ جهنَّم» في موضع نَصْب.

وهذا الذي قَدَّره لا يَصحُّ؛ لأنَّهم نَصُّوا على أنَّه إذا حُذفَ الجوابُ لدلالةِ الكلام عليه، كان فِعْلُ الشَّرْط ماضياً في اللفظ، أو مضارعاً مجزوماً بـ «لم»، فمِن كلامِهم: أنتَ ظالمٌ إنْ فعلتَ، ولا يجوز: إنْ تفعل، وهنا حُذفَ جوابُ الشَّرْط، وفِعْلُ الشَّرْط ليس ماضِيَ اللفظِ ولا مضارعاً مقروناً بـ «لم»، وذلك إنْ جاء في كلامهم فمخصوصٌ بالضرورة، وأيضاً فتجد الكلام تامًّا دون تقدير هذا الجواب.

ونقلوا عن سيبويه أنَّ «أنَّ» بدلٌ مِن «أنَّه»، قال ابنُ عطيَّة: وهذا مُعتَرَض بأنَّ الشَّيءَ لا يُبدَل منهُ حتى يستَوفي، والأُولى في هذا الموضع لم يأتِ خبرُها بَعْدُ إذ لم يتمّ جوابُ الشَّرْط، وتلك الجملةُ هي الخبر، وأيضاً فإنَّ الفاءَ تُمانِع البدلَ، وأيضاً فهي معنًى آخر غيرِ الأوَّل، فيقلق البَدَل، وإذا تُلُطِّفَ للبَدَل فهو بدلُ اشتمال[(٣)]. انتهى.

وقال أبو البقاء: وهذا ـ يعني البَدَلَ ـ ضعيفٌ؛ لوجهين: أحدهما: أنَّ الفاءَ

---

(١) ينظر الكتاب لسيبويه ٣/ ١٣٣-١٣٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٤-٢٢٥، ومشكل إعراب القرآن لمكّيّ ١/ ٣٣٢-٣٣٣، والمقتضب ٢/ ٣٥٦-٣٦٠ وورد فيه قول الأخفش والجرميّ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) الكشاف ٢/ ١٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤، ولم نقف على كلام سيبويه في الكتاب، بل الوارد فيه ٣/ ١٣٣ مسألةُ فتح الهمزة من قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قال إثرها: ولو قال: «فإنَّ» كانت عربيَّة جيدة. اهـ. وقال السمين في الدر ٦/ ٧٨ عن مسألة البَدَل المنقولة عن سيبويه: وهذا لا يصحُّ عن سيبويه، فإنه ضعيف أو ممتنع.

التي معها تَمنع مِن ذلك، والحُكم بزيادتها ضعيفٌ. والثاني: أنَّ جَعْلَها بَدَلاً يُوجِبُ سُقوطَ جوابِ الكلام[١]. انتهى.

وقيل: هو على إسقاط اللّام، أي: فَلِأنَّ له نارَ جهنَّم، فالفاءُ جوابُ الشَّرْط ويحتاج إلى إضمار ما يَتِمُّ به جوابُ الشرط جملةً، أي: فمحادَّتُه لأنَّ له نارَ جهنَّم.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «فإنَّ له» بالكسر في الهمزة، حكاها عنه أبو عمرو الدَّانيّ[٢]، وهي قراءةُ محبوب عن الحسن، وروايةُ أبي عُبَيْدة عن أبي عمرو، ووَجْهه في العربيَّة قَويٌّ؛ لأنَّ الفاءَ تقتضي الاستئنافَ[٣]، والكَسْرُ مختار؛ لأنَّه لا يحتاج إلى إضمارٍ، بخلاف الفتح، وقال الشاعر:

فمَن يَكُ سائلاً عَنِّي فإنِّي ... وجِرْوَةَ لا تَرُودُ ولا تُعَارُ[٤]

وعلى هذا يجوز في «أنَّ» بَعْدَ فاءِ الجزاء وجهان الفَتْحُ والكسر.

«ذلك» أي: كينونةُ النارِ له خالداً فيها هو الهوانُ العظيم، كما قال ربُّنا: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ كان المنافقون يَعيبون الرَّسولَ ويَقولون: عسى اللهُ أنْ لا يُفْشِيَ سِرَّنا. فنزلت، قاله مجاهد[٥].

---

(١) الإملاء ٢/ ١٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤، والقراءة في زاد المسير ٣/ ٤٦٢ ونسبها لأبي رزين وأبي عمران وابنِ أبي عبلة.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤.

(٤) البيت لشداد بن معاوية والدِ عنترة ـ ويقال: عمّ عنترة، كما في أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص٥٧ ـ وجِرْوَة: فرسه، وهو بهذا اللفظ المذكور أعلاه عند ابنِ الأعرابي في أسماء خيل العرب ص٥٧، وابن فارس في الصاحبي ص٢٢٠، وابنِ منظور في اللسان (جرا)، والأصفهانيّ في الأغاني ١٧/ ٢٠٧، وورد عند الأخير: ... لا نرود ولا نُعارُ، وهو في نسب الخيل لابن الكلبي ص٤٦، وفيه: ... لا تُباع ولا تُعار، وفي جمهرة أشعار العرب للقرشي ١/ ١١٤ وورد عنده: .. لا تُعارُ ولا تباعُ، وفي العقد الفريد لابن عبد ربّه ٥/ ١٥٦ وورد فيه هكذا: ... كالشَّجا تحت الوريد.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٩، وأسباب النزول للواحدي ص٢٤٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٥٤١-٥٤٢.

وقال السُّدِّيُّ: قال بعضُهم: وَدِدْتُ أَنِّي جُلِدْتُ مئةً ولا ينزلُ فينا شيءٌ يَفْضَحنا. فنزلت[١].

وقال ابنُ كيسان: وَقَفَ جماعةٌ منهم للرسول ﷺ في ليلة مُظْلِمة عند مَرْجِعِهِ مِن تَبُوكَ ليَفْتِكوا به، فأخبره جبريلُ عليه السلام، فنزلت[٢].

وقيل: قالوا في غزوة تبوك: أَيَرْجُو هذا الرجلُ أن تفتحَ له قصورُ الشام وحصونُها، هيهات هيهات! فأنزل الله: «قل استهزؤوا»[٣].

والظاهر أنَّ «يَحْذَر» خبرٌ، ويدلُّ عليه «إنَّ اللهَ مُخْرِجٌ ما تَحذرون»، فقيل: هو واقعٌ منهم حقيقةً، لمَّا شاهدوا الرَّسولَ يُخبِرهم بما يَكتمونه وَقَعَ الحذرُ والخوف في قلوبهم. وقال الأصمُّ: كانوا يَعرفونه رسولاً مِن عند الله فكفروا حَسَداً، واستبعَدَ القاضي في العالِم بالله ورسولِه وصحَّةِ دينه أَنْ يكون محادًّا لهما، وليس ببعيدٍ؛ فإنَّه إذا استحكم الحَسَدُ نازَعَ الحاسدَ في المحسوسات[٤].

وقيل: هو حَذَرٌ أظهروه على وَجْهِ الاستهزاء حين رَأَوا الرَّسولَ يَذكُر أشياءَ وأنَّها عن الوحي، وكانوا يُكذِّبون بذلك، فأخبرَ اللهُ رسولَه بذلك، وأَعْلَمَ أنَّه مُظْهِرٌ سِرَّهم، ويَدلُّ عليه قوله: «قل استهزئوا».

وقال الزجَّاجُ وغيرُه ممَّن ذَهَبَ إلى التَّحرُّز مِن أن يكونَ كُفرهم عناداً: هو مضارعٌ في معنى الأمرِ، أي: ليَحْذَر المنافقون، ويُبْعِده: «مخرجٌ ما تحذرون»[٥].

و«أَنْ تُنَزَّلَ» مفعول «يَحذر» وهو متعدٍّ، قال الشاعر:

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٢٤٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٧.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٣.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص٢٤٩-٢٥٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٠ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٤٤، وينظر الكشاف ٢/ ٢٠٠، والنكت والعيون ٢/ ٣٧٨، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٥، وزاد المسير ٣/ ٤٦٥، وقائل هذه المقالة: وديعة بن ثابت، كما في المحرر الوجيز ٣/ ٥٥.
(٤) تفسير الرازي ١٦/ ١٢١.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٥٩ بنحوه، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٨.

حَذِرٌ أُموراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ ما ليسَ مُنْجِيه مِن الأقْدارِ[(١)]

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] لمَّا كان قَبْلَ التَّضعيف متعدِّياً إلى واحدٍ، عدَّاه بالتضعيف إلى اثنين.

وقال المبرِّد: حَذِر، إنَّما هي مِن هيئاتِ الأنفس التي لا تَتعدَّى، مثل: فَزِعَ، والتقدير: «يَحذَر المنافقون» مِن «أنْ تُنزَّل»[(٢)]، ولا يَلزم ذلك، ألَا تَرَى أنَّ: خافَ، مِن هيئاتِ النَّفس وتَعدَّى.

والظاهر أنَّ قولَه: «عليهم» و«تُنبِّئهم» الضميرانِ فيهما عائدانِ على المنافِقين، وجاء «عليهم» لأنَّ السورةَ إذا نزلت في معناهم، فهي نازلةٌ عليهم. قاله الكرمانيُّ والزمخشريُّ، قال الكرمانيُّ: ويَحتمل أنَّه مِن قولك: هذا عليكَ لا لَكَ، ومعنى «تُنبِّئهم بما في قلوبهم» تُذيع أسرارَهم حتى يَسمعوها مُذاعةً مُنتشِرةً، فكأنَّها تُخبِرهم بها[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: والضميرُ في «عليهم» و«تُنبِّئهم» للمؤمنين، و«في قلوبهم» للمنافقين، وصحَّ ذلك؛ لأنَّ المعنى يَقودُ إليه[(٤)]. انتهى.

والأمْرُ بالاستهزاءِ هو أمرُ تهديدٍ ووعيدٍ، كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. ومعنى «مُخرِجٌ ما تَحذرون» مُبرِزٌ إلى حَيِّز الوجود ما تَحذرونه مِن إنزال السورةِ، أو مظهرٌ ما كنتم تَحذرونه مِن إظهار نِفَاقكم، وفَعَلَ ذلك تعالى في هذه السورة، فهي تُسمَّى: الفَاضِحَة؛ لأنَّها فَضَحت المنافقين، قيل: كانوا سبعين رجلاً أَنْزَلَ اللهُ

(١) البيت في الكتاب ١/ ١١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٥، والمقتضب ٢/ ١١٦، والحُلَل للبَطَلْيَوسي ص١٣١، وخزانة الأدب ٨/ ١٦٩، قال المبرِّد: هذا بيت موضوع مُحدَث. وقال البطليوسي: هذا البيت مصنوع، ليس بعربي، ولأجل هذا رُدَّ على سيبويه. وقال البغدادي: إن طُعن على سيبويه بهذا البيت، فقد استشهد ببيت آخرَ لا مَطْعن فيه، وهو قول لَبِيْد:

أو مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بِسَرَاتِه نَدَبٌ لها وكُلومُ

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٥-٢٢٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٨، والمقتضب للمبرِّد ٢/ ١١٦.

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٢٠٠.

(٤) المصدر السابق.

أسماءَهم وأسماءَ آبائهم في القرآن، ثم رفعَ ذلك ونسخَ؛ رأفةً ورحمة منه على خَلْقه؛ لأنَّ أبناءَهم كانوا مسلمين[١].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي: «ولئن سألتهم» عمَّا قالوا مِن القَبيح في حقِّكَ وحقِّ أصحابك مِن قولِ بعضهم: انظروا إلى هذا الرجل يُريد أنْ يَفتتح قصورَ الشام، وقول بعضهم: كأنَّكم غداً في الحبال أَسْرَى لبَني الأصفر، وقول بعضهم: ما رأيتُ كهؤلاء لا أرغبَ بطوناً، ولا أكثرَ كَذِباً، ولا أجبنَ عند اللقاء. فأَطْلَع اللهُ نبيَّه على ذلك، فعنَّفهم، فقالوا: يا نبيَّ اللهِ، ما كنَّا في شيء مِن أَمْرِك ولا أَمْرِ أصحابك، إنما كنَّا في شيء ممَّا يَخوض فيه الركبُ، كنَّا في غيرِ جِدٍّ[٢].

«قل أَبِالله» تقريرٌ على استهزائهم، وضمَّنه الوعيدَ ولم يَعْبَأ باعتذارهم؛ لأنَّهم كانوا كاذبين فيه، فجُعلوا كأنَّهم معترفونَ باستهزائهم، وبأنَّه موجودٌ منهم، حتى وُبِّخوا بإخطائهم مَوْضِع الاستهزاء، حيث جُعل المُسْتَهزأ به على حرفِ التقرير، وذلك إنَّما يَستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته. قاله الزمخشريُّ[٣]، وهو حَسَنٌ.

وتقديم «بالله» وهو معمول خبر «كان» عليها، يدلُّ على جواز تقديمِه عليها.

وعن ابنِ عمر: رأيتُ قائلَ هذه المقالة ـ يعني: إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلْعب ـ وديعةَ بنَ ثابت متعلِّقاً بحَقَبِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ يُماشيها والحجارة تَنْكُبه، وهو

(١) تفسير البغوي ٢/٣٠٧ وعزاه لابن عباس ﷺ، ونقله عنه القرطبي ١٠/٢٨٩.
(٢) أسباب النزول للواحدي ص٢٥٠ وعزاه لزيد بن أسلم ومحمد بن كعب. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢١٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٤-٤٦٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٩، والمغازي للواقدي ٣/ ١٠٠٤، والخبر عند الطبري ١١/ ٥٤٣ عن زيد بن أسلم وعن عبد الله بن عمر ﷺ، وخبرُ ابنِ عمر عند الواحدي في أسباب النزول ص٢٥٠-٢٥١، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٩٣-٩٤ مختصراً، وفيهما أنَّ المتعلِّق عبد الله بن أبي ابن سلول، ولم يُصرِّح باسم المتعلِّق في رواية الطبري، وفي إسناده: إسماعيل بن مخراق، قال عنه البخاري: منكر الحديث مدني، وقال العقيلي: ليس له أصلٌ من حديث مالك، عن نافع، عن ابن عمر.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٠.

يقول: إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ. والنَّبيُّ يقول: «أبالله وآياتِه ورسولِه كنتم تستهزئون»[(١)].

وذُكِرَ أنَّ هذا المتعلِّق عبد الله بنُ أُبَيّ ابن سَلُول، وذلك خطأ؛ لأنَّه لم يَشْهَد تبوك[(٢)].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ إِن يُعْفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ تُعَذَّب طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[(٣)] نُهُوا عن الاعتذار؛ لأنَّها اعتذاراتٌ كاذبة، فهي لا تَنفع «قد كَفَرْتُم» أَظْهَرْتم الكفرَ «بعد إيمانكم» أي: بَعْدَ إظهارِ إيمانكم؛ لأنَّهم كانوا يُسِرُّونَ الكفرَ، فأظهروه باستهزائِهم.

وجاء التقسيمُ بالعَفْو عن طائفةٍ والتعذيب لطائفةٍ، وكان المنافقونَ صِنْفَين؛ صِنْفٌ أُمِرَ بجهادهم ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] وهم رؤساؤهم المُعلنون بالأراجيف، فعُذِّبوا بإخراجهم مِن المسجد وانكشافِ معظم أحوالهم، وصِنْفٌ ضَعَفَةٌ مُظْهِرون الإيمانَ وإنْ أبطنوا الكفرَ لم يُؤْذُوا الرسولَ، فعُفِيَ عنهم، وهذا العذابُ والعفو في الدنيا.

وقيل: المَعْفُوّ عنها مَن عَلِمَ اللهُ أنَّهم سَيخلصون مِن النفاق ويُخلِصون الإيمانَ، والمُعذَّبون مَن ماتَ منهم على نفاقه.

وقيل: المَعْفُوّ عنه رجلٌ واحدٌ اسمه: مَخْشِيُّ بنُ حُمَيْر، بضمِّ الحاءِ وفتح الميم وسُكون الياء، كان مع الذين قالوا: إنَّما كنا نخوضُ ونلعبُ. وقيل: كان منافقاً، ثم تابَ توبةً صحيحةً. وقيل: إنَّه كان مسلماً مُخلصاً إلَّا أنَّه سمعَ كلامَ المنافقين فضحك لهم ولم يُنكِر عليهم، فعفا اللهُ عنه، واستشهدَ باليمامة وقد كان تاب،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٥، ونقله عنه القرطبي ١٠/ ٢٨٩، وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٣/ ٢١٩-٢٢٠، والخبر سلف تخريجه في التعليق ما قبل السابق، والحَقَب: حبلٌ يُشَدُّ به الرَّحْلُ في بطن البعير. القاموس (حقب).

(٢) المصادر السابقة، وينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٠٨، وفيه أن الخبرَ عن عمر، لا ابن عمر، والخبر سلف تخريجه قريباً عند العقيلي والواحدي، وفيهما التصريح بأنَّ المتعلِّق عبد الله بن أُبي ابن سلول، ولم يُصرَّح باسمه في رواية الطبري.

(٣) كذا في النسخ، وهي قراءة السبعة عدا عاصماً، وستأتي قريباً.

وتَسمَّى عبدَ الرحمن، فدعا اللهَ أَنْ يَستشهدَ ويُجهَل أَمْرُه، فكان ذلك باليمامة ولم يُوجَد جَسَدُه[١].

وقرأ زيد بنُ ثابت وأبو عبد الرحمن وزيد بنُ عليٍّ وعاصم مِن السبعة: «إنْ نَعْفُ» بالنون «نُعذِّب» بالنون «طائفةً»[٢]، ولقيني شيخُنا الأديبُ الحافل أبو الحكم مالك بنُ المُرَحَّل المَالِقيُّ بغرناطة[٣] فسأَلَني: قراءة مَن تَقْرَأ اليومَ على الشيخ أبي جعفر بنِ الطَّبَّاع؟ فقلت: قراءة عاصم، فأنشدني:

لعاصمٍ قراءةٌ لغيرِها مُخالِفَه إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ مِنْكُم نُعَذِّب طائِفَه

وقرأ باقي السبعة: «إنْ يُعْفَ» «تُعذَّب» «طائفةٌ» مبنيًّا للمفعول.

وقرأ الجَحْدَرِيُّ: «إنْ يَعْفُ» «يُعذِّب» مبنيًّا للفاعل فيهما، أي: «إنْ يَعْفُ» اللهُ[٤].

وقرأ مجاهد: «إنْ تُعْفَ» بالتاء مبنيًّا للمفعول «تُعذَّب» مبنيًّا للمفعول بالتاء أيضاً، قال ابنُ عطيَّة: على تقدير «إنْ تُعْفَ» هذه الذنوبُ[٥].

وقال الزمخشريُّ: الوجهُ التذكيرُ، لأنَّ المُسندَ إليه الظَّرْفُ، كما تقول: سِيْرَ بالدَّابَّة، ولا تقول: سِيْرت بالدَّابَّة، ولكنَّه ذهب إلى المعنى، كأنَّه قيل: إنْ تُرْحَم طائفةٌ، فأنَّث لذلك، وهو غريبٌ، والجَيِّدُ قراءةُ العامَّة: «إن يُعْفَ عن طائفة» بالتذكير، و«تُعذَّب طَائفةٌ» بالتأنيث[٦]. انتهى.

«مجرمين»: مُصِرِّين على النِّفاق غير تائبين.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٥، ونقله عنه القرطبي ١٠/ ٢٩٢-٢٩٣، وينظر خبره والاختلافُ باسمه في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٢٤-٥٢٥، وتاريخ خليفة بن خياط ص١١٤، والاستيعاب الترجمة (٢٤٩١)، والتعريف والإعلام للسهيلي ص٧٠، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢/ ٦٤، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدِّين ٣/ ٣٣٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٥، والقراءة في السبعة ص٣١٦، والتيسير ص١١٨، والنشر ٢/ ٢٨٠.

(٣) سلفت ترجمته في سورة البقرة، عند تفسير الآية (٢٥).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٥، والقراءة في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٦، والكشاف ٢/ ٢٠٠، وتفسير الرازي ١٦/ ١٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٥، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٣، والمحتسب ١/ ٢٩٨، والكشاف ٢/ ٢٠٠.

(٦) الكشاف ٢/ ٢٠٠، وينظر كلام ابنِ جنِّيّ في المحتسب ١/ ٢٩٨.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ بيَّن تعالى أنَّ ذكورَهم وإناثَهم ليسوا مِن المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] بل بعضُهم مِن بعض في الحُكم والمَنْزلة والنِّفاق، فهم على دِيْنٍ واحد، وليس المعنى على التبعيضِ حقيقةً؛ لأنَّ ذلك معلومٌ.

ووَصَفهم بخلافِ ما عليه المؤمنون مِن أنَّهم «يَأمرون بالمنكر» وهو الكفرُ وعبادةُ غيرِ الله والمعاصي، «ويَنْهَون عن المعروف» وهو الإيمان والطاعات، وليس المعنى: أنَّهم يحملون على المنكر، ويمنعون من المعروف[١]؛ لأنَّ الذين نزلت فيهم لم يكونوا أهلَ قدرة ولا أفعالٍ ظاهرةٍ، وذلك بظهور الإسلام وعزَّته.

وقَبْضُ الأيدي عبارةٌ: عن الإنفاق في سبيل الله[٢]، قاله الحسن. وقال قتادة: عن كلِّ خير[٣]. وقال ابنُ زيد: عن الجهاد وحَمْلِ السلاح في قتال أعداءِ الدِّين[٤]. وقال سفيان: عن الرَّفْع في الدُّعاء[٥]، وقيل: ذلك كنايةٌ عن الشُّحِّ في النفقاتِ في المبارِّ والواجبات[٦].

والنِّسْيان هنا التَّرْكُ، قال قتادة: تركوا طاعَةَ الله وطاعةَ رسوله «فنَسِيَهم» أي: تَرَكهم مِن الخير، وأمَّا مِن الشَّرِّ فلم يَنْسَهم[٧].

وقال الزمخشريُّ: أَغْفَلوا ذِكْره «فنَسِيَهم» تَرَكَهم مِن رحمته وفَضْله - ويُعبَّر بالنِّسيانِ عن التَّرْك؛ مبالغة في أنَّه لا يَخطُر ذلك ببالٍ - «هم الفاسقون» أي: هم

(١) من قوله: وهو الإيمان... إلى هنا، ليست في (د١) والمطبوع.
(٢) أي: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله. والكلام وما بعده من زاد المسير ٣/ ٤٦٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٧٩.
(٣) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٢.
(٤) النكت والعيون ٢/ ٣٧٩ وعزاه لبعض المتأخرين، ومجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٩٧ وعزاه للجبائي، وزاد المسير ٣/ ٤٦٧ نقلاً عن الماوردي.
(٥) النكت والعيون ٢/ ٣٧٩، وزاد المسير ٣/ ٤٦٧ دون عزوٍ.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٠٠.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٦، وينظر معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٣١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٩٣-٢٩٤، والخبر أخرجه الطبريُّ ١١/ ٥٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٣.

الكاملونَ في الفِسْق الذي هو التَّمرُّد في الكفر والانسلاخُ مِن كلِّ خير، وكفى المسلم زَاجِراً أَنْ يلمَّ بما يُكْسِبُه هذا الاسمُ الفاحشُ الذي وَصَفَ اللهُ به المنافقين[١].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ الكُفَّار هنا: المُعلِنون بالكفر، و«خالدين فيها» حالٌ مُقدَّرة؛ لأنَّ الخلودَ لم يُقارِن الوعدَ، و«حَسْبُهم» كافِيهم، وذلك مبالغةٌ في عِظَم عذابِهم، إذ عذابُهم شيءٌ لا يُزاد عليه، «ولعَنَهُم» أهانَهم مع التعذيب، وجعَلهم مذمومينَ مُلْحَقِين بالشياطين المَلاعِين، كما عَظَّم أهلَ الجنَّةِ وألحقهم بالملائكة المُقرَّبين، «مقيمٌ» مُؤبَّدٌ لا نقلةَ فيه.

قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يُريد «ولهم عذابٌ مُقِيم» معهم في العاجل لا يَنفكُّون عنه، وهو ما يُقاسُونه مِن تَعَب النِّفاق والظاهرِ المخالفِ للباطن، خوفاً مِن المسلمين، وما يَحذرونه أبداً مِن الفَضِيحة ونزولِ العذاب إنِ اطَّلعَ على أسرارِهم.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ هذا التفاتٌ مِن ضميرِ الغَيبة إلى ضميرِ الخطاب، قال الفرَّاء: التشبيهُ مِن جهة الفِعْل، أي: فَعَلْتُم كأفعال الذين مِن قبلكم[٢]، فتكون الكافُ في موضعِ نَصْبٍ.

وقال الزجَّاج: المعنى: وَعْداً كما وَعَد الذين مِن قبلكم[٣]، فهو متعلِّق بـ «وَعَدَ»، وقال ابنُ عطيَّة[٤]: وفي هذا قَلَق.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن تكون مُتعلِّقةً بـ «يستهزئون»[٥]، وهذا فيه بُعْدٌ.

(١) الكشاف ٢/ ٢٠٠-٢٠١ دون ما ورد بين معترضتين، إذ هو من المحرر الوجيز ٣/ ٥٦.
(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٦، وما بعده من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٦٨.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٦٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٦، وما قبله منه أيضاً.
(٥) لم نقف على كلامه في كتابه الإملاء، بل الذي ذكره فيه ٢/ ١٨: وعداً كوعد الذين.

وقيل: في موضعِ رفعٍ، التقدير: أَنتم كالذين، والتشبيه وَقَع في الاستمتاع والخَوْض، وقوله: «كانوا أشدَّ» تفسيرٌ لشَبَهِهم بهم، وتمثيلٌ لفِعْلهم بفِعْلهم، والخلاقُ: النَّصِيْب، أي: ما قُدِّرَ لهم.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: أيُّ فائدةٍ في قوله: «فاستمتعوا بخَلَاقِهم» وقولُه «كما استَمتعَ الذين مِن قَبْلِكم بخلاقِهم» مغنٍ عنه، كما أغنى «كالذي خاضوا»[١]؟

قلت: فائدته أنْ يذمَّ الأوَّلين بالاستمتاع بما أُوتوا مِن حظوظ الدنيا ورضاهم بها، والْتِهَائِهم بشهواتهم الفانية عن النَّظَر في العاقبة وطَلَب الفلاح في الآخرة، وأنْ يُخَسِّسَ أَمْرَ الاستمتاع ويُهَجِّنَ أَمْرَ الراضي به، ثم شبَّه بعد ذلك حالَ المخاطَبين بحالهم، كما تريد أنْ تنبِّه بعضَ الظَّلَمة على سَماجَة فِعْلِه فتقول: أنتَ مِثْل فرعونَ كان يَقْتُلُ بغير جُرْمٍ ويُعذِّب ويُعسِّف، وأنتَ تَفْعَلُ مِثْلَ فِعْلِه. وأمَّا «وخُضْتُم كالذي خاضوا» فمعطوفٌ على ما قَبْلَه مُستَنِدٌ إليه مُسْتَغنٍ بإسناده إليه عن تلك المقدِّمة[٢]. انتهى.

يعني: استغنى عن أن يكونَ التركيبُ: وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا.

قال ابنُ عطيَّة: «كانوا أشدَّ منكم» وأعظمَ فَعَصَوا فهَلكوا، فأنتم أحرى بالإهلاك؛ لمعصيتكم وضَعْفكم، والمعنى: عَجَّلوا حظَّهم في دنياهم وتَركوا بابَ الآخِرة فاتَّبعتموهم أنتم[٣]. انتهى.

ولمَّا ذَكَر تشبيهَهُم بمَن قَبْلَهم، وذَكَر ما كانوا فيه مِن شدَّة القوَّة وكثرةِ الأولاد واستمتاعِهم بما قدِّر لهم مِن الأنصباء، شَبَّه استمتاعَ المنافقين باستمتاعِ الذين مِن قَبْلهم، وأَبرزهم بالاسمِ الظَّاهر، فقال: «كما استمتعَ الذين مِن قِبْلِكم بخَلَاقِهم» ولم يَكن التركيب: كما استمتعوا بخلاقهم، ليدلَّ بذلك على التحقير؛ لأنَّه كما يدلُّ بإعادة الظاهر مكانَ المُضمَر على التفخيم والتعظيم، كذلك يدلُّ بإعادته على التحقير والتصغير لشأن المذكور، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ

(١) أي: عن أن يقال: وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا. الكشاف ٢/ ٢٠١، وسيأتي.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٠١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٦.

عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤] وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]. ولم يأتِ التركيب: إنَّه كان، ولا: إنَّهم هم.

«وخُضْتُم» أي: دخلتم في اللَّهو والباطل، وهو مستعارٌ مِن الخوض في الماء ولا يُستعمل إلَّا في الباطل؛ لأنَّ التصرُّف في الحقِّ إنَّما هو على ترتيبٍ ونظام، وأُمورُ الباطلِ إنَّما هيَ خوضٌ، ومنه: «رُبَّ مُتخوِّضٍ في مالِ اللهِ له النارُ يومَ القيامة»[1].

«كالذي خاضوا» أي: كالخوضِ الذي خاضوا، قاله الفرَّاء[2]، وقيل: كالفوج الذين خاضُوا. وقيل: النون محذوفة، أي: كالذين خاضُوا، أي: كخَوضِ الذين. وقيل: «الذي» مع ما بَعْدَها يُسْبَك منهما مصدر، أي: كخوضهم.

والظاهر أنَّ «أولئك» إشارةٌ إلى الذين وَصَفَهم بالشِّدَّة وكثرةِ الأموال والأولاد، والمعنى: وأنتم كذلك تحبطُ أعمالكم.

قال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أن يريد بـ «أولئك» المنافقينَ المعاصرينَ لمحمَّدٍ ﷺ، ويكون الخطابُ لمحمَّد ﷺ، وفي ذلك خروجٌ مِن خِطابٍ إلى خطابٍ غيرِ الأوَّل.

وقوله: «في الدنيا» ما يُصيبهم في الدنيا مِن التَّعَب وفسادِ أعمالهم، وفي الآخِرة بأنْ لا تنفع ولا يقع عليها جزاءٌ، ويُقوِّي الإشارة بـ «أولئك» إلى المنافقين قولُه في الآية المُستقبَلَة: «أَلَم يأْتِهم» فتأمَّلْه[3]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: «حَبِطَت أعمالُهم في الدنيا والآخِرَة» نقيضُ قولِه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4] [العنكبوت: ٢٧].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لـمَّا شبَّه المنافقينَ بالكفَّار المتقدِّمين في الرَّغْبة في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٤)، وهو عند أحمد (٢٧١٢٤) من حديث خولة بنت قيس بن قَهد امرأةِ حمزة بن عبد المطلب، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ومعنى: «متخوِّض»: متصرِّف فيه على غير وجهه.

(٢) معاني القرآن له ١/ ٤٤٦.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٠١.

الدنيا وتكذيبِ الأنبياء، وكان لفظُ «الذين مِن قَبْلِكم» فيه إبهامٌ، نَصَّ على طوائفَ بأعيانِها سِتَّة؛ لأنَّهم كان عندهم شيء مِن أَنْبَائهم وكانت بلادُهم قريبةً مِن بلاد العرب، وكانوا أكثرَ الأُمم عدداً وأنبياؤهم أعظمُ الأنبياء؛ نوح أوَّلُ الرُّسل، وإبراهيم الأبُ الأقربُ للعرب، وما يليها من الأمم مُقارِبون لهم في الشِّدَّة وكثرةِ المال والوَلَد، فقومُ نوح أُهلكوا بالغَرَق، وعادٍ بالرِّيح، وثمود بالصَّيْحة، وقوم إبراهيم بسَلْب النِّعمة عنهم حتَّى سُلِّطت البعوضةُ على نمروذ مَلِكِهم، وأصحاب مَدْيَن بعذاب يومِ الظُّلَّة، والمؤتفكات بجَعْل أعالي أرضِها أسافلَ وإمطار الحجارة عليهم.

قال الواحديُّ: معنى الائتفاكِ الانقِلابُ، أَفَكْتُه فائتَفَكَ، أي: قَلَبْتُه فانْقَلَب، و«المُؤْتَفِكات» صفةٌ للقُرَى ائتَفَكت بأهلها، فجعل أعلاها أسفلَها، و«المؤتفكات» مدائنُ قومِ لوطٍ[١].

وقيل: قَرْيات قومِ لوط وهُود وصَالح، وائْتِفَاكهنَّ انقلابُ أحوالِهنَّ عن الخير إلى الشَّرِّ[٢].

قال ابنُ عطيَّة: «والمؤتفكات» أهلُ القرى الأربعة، وقيل: التِّسْعَة[٣] التي بُعِثَ إليهم لوطٌ عليه السلام، وقد جاءَت في القرآن مُفْرَدَةً تدلُّ على الجَمْع، ومِن هذه اللفظةِ قولُ عمران بنِ حطان:

لمَنْطِق مُسْتَبِيْن غير مُلْتَبِسٍ   به اللسانُ ورَأْيٍ غير مُؤْتَفِكِ[٤]

أي: غير مُنْقَلِب مُتَصرِّف مُضْطَرِب، ومنه يقال للريح: مُؤْتَفِكَة؛ لتصرُّفها، ومنه: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] والإفْكُ: صَرْفُ القولِ مِن الحقِّ إلى الكذب[٥]. انتهى.

(١) الوسيط للواحدي ٢/ ٥٠٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٠١.
(٣) الذي في المحرر الوجيز ٣/ ٧٠: السبعة.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٧، ولم نقف على البيت عند غيره.
(٥) المصدر السابق ٣/ ٥٧-٥٨.

وفي قوله: «أَلَم يَأْتِهم» تذكيرٌ بأنْباء الماضِين وتخويفٌ أنْ يُصيبَهم مِثْل ما أصابهم، وكان أكثرهم عالمينَ بأحوالِ هذه الأمم، وقد ذَكَر شيئاً منها في أشعارِهم جاهليَّتهم؛ كالأفْوَه الأوديّ وعَلْقَمة بنِ عَبْدَة وغيرِهما[١].

ويحتمل أن يكون قوله: «أَلَم يأتهم» تذكيراً بما قصَّ اللهُ عليهم في القرآن مِن أحوالِ هؤلاء وتفاصيلِها.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «أَتَتْهم رسلُهم بالبيِّناتِ» عائدٌ على الأُمم السِّتَّة المذكورة، والجملة شَرْحٌ للنَّبأ.

وقيل: يعود على «المُؤْتَفِكات» خاصَّة، وأَتَى بلفظ: رُسُل، وإنْ كان نبيُّهم واحداً؛ لأنَّه كان يُرسِل إلى كلِّ قريةٍ رسولاً داعياً، فهم رُسُلُ رسولِ الله. ذكره الطبريُّ[٢].

وقال الكِرْمانيُّ: قيل: يعود على «المُؤْتَفِكات» أي: أتاهم رسولٌ بَعْدَ رسولٍ، والبيِّناتُ: المعجزاتُ، وهي واضحات بالنسبة إلى الحقِّ لا بالنسبة إلى المُكذِّبين.

قال ابنُ عبَّاس: «لِيَظْلِمهم» ليُهْلِكهم حتى يبعث فيهم نبيًّا يُنذِرهم، والمعنى أنَّهم أُهلكوا باستحقاقِهم[٣].

وقال مَكِّيّ: «فما كانَ اللهُ» لِيَضَع عقوبتَه في غيرِ مُستحقِّها، إذِ الظُّلم وَضْعُ

---

(١) أمَّا الأفوه الأودي فينظر ما قاله في قصيدته الدَّاليَّة ص٩ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية):

كانوا كمثل لُقيم في عشيرته ... إذ أُهلكت بالذي قد قدَّمت عادُ

وما قاله في قصيدته الرائيَّة ص١٢:

رَيَّشَت جُرْهُمُ نبلاً فرمى ... جُرهماً منهنَّ فُوقٌ وغِرارُ

وأمَّا علقمة بن عبدة، فلم نقف على شيء من هذا في ديوانه المطبوع، ولعلَّه من شعرِه المفقود، والله تعالى أعلم.

وأمَّا غيرهما: فمنهم أمية بن أبي الصلت، وهو القائل:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العَرِما

والبيت في ديوانه ص١٩٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وكلام الطبريّ في التفسير ١١/ ٥٥٥.

(٣) زاد المسير ٣/ ٤٦٨.

الشيءِ في غيرِ موضعه «ولكن كانوا أنفسَهم يَظلمون» إذ عصوا اللهَ وكذَّبوا رسلَه حتى أسخطوا ربَّهم واستوجبوا العقوبةَ، فظلموا بذلك أنفسَهم.

وقال الكِرْمانيُّ: «ليَظْلِمهم» بإهلاكهم، «يَظْلِمون» بالكفر والتَّكذيب.

وقال الزمخشريُّ: فما صحَّ منه أنْ يَظْلِمَهم، وهو حكيمٌ لا يَجوز عليه القَبيح، وأنْ يُعاقبَهم بغير جُرْم، ولكِنْ ظَلَموا أنفسَهم حيث كَفَروا به فاستحقُّوا عقابه[1]. انتهى. وذلك على طريقة الاعتزال.

ويَظهر أنَّ بينَ قوله: «بالبيِّنات» وقوله: «فما كان» كلاماً محذوفاً، تقديره، واللهُ أعلم: فكذَّبوا فَأَهْلَكهم اللهُ، فما كان اللهُ ليظلمهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ لمَّا ذَكَر المنافقين والمنافقاتِ وما هُم عليهِ مِن الأوصاف القَبيحة والأعمال الفاسدة، ذَكَر المؤمنينَ والمؤمناتِ، وقال في أولئك: «بعضُهم مِن بعض» وفي هؤلاء: «بعضُهم أولياءُ بعض»، قال ابنُ عطيَّة: إذ لا ولايةَ بين المنافقين، ولا شفاعةَ لهم، ولا يَدْعُو بعضُهم لبعضٍ، فكان المراد هنا الولايةَ في اللهِ خاصَّة[2].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: «بعضُهم مِن بعضٍ» يدلُّ على أنَّ نِفَاقَ الأتْباع وكفرَهم حَصَلَ بسببِ التقليدِ لأولئكَ الأكابرِ، وسببِ مقتضى الطَّبيعة والعادة، أمَّا الموافقةُ الحاصلة بين المؤمنين فإنَّما حَصَلت لا بسببِ المَيْلِ والعادةِ بل بسببِ المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية، والولايةُ ضِدُّ العَدَاوة، ولمَّا وَصَف المؤمنين بكونِ بعضِهم أولياءَ بعضٍ، ذَكَر بَعْدَه ما يَجري كالتفسير والشَّرْح له، وهي الخمسةُ التي يتميَّز بها المؤمن على المنافق، فالمنافق يَأمُر بالمُنْكَر ويَنهى عن المعروف، ولا يَقوم إلى الصلاة إلَّا وهو كسلان، ويَبخل بالزكاة، ويَتخلَّف بنفسِه عن الجهاد، وإذا أَمَرَهُ اللهُ تَثبَّط وُيثبِّط غيرَه، والمؤمنُ بضِدِّ ذلك كلِّه؛ مِن الأَمْرِ

(١) الكشاف ٢/ ٢٠١-٢٠٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨.

بالمعروف، والنَّهْيِ عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهادِ، وهو المرادُ في هذه الآية بقوله: «ويطيعونَ اللهَ ورسولَه»(١). انتهى. وفيه بعضُ تلخيص.

وقال أبو العالية: كلُّ ما ذَكَره اللهُ في القرآن مِن الأَمْرِ بالمعروف، فهو دعاءٌ مِن الشِّرْك إلى الإسلام، وما ذكرَ مِن النهي عن المنكر، فهو النَّهْي عن عبادةِ الأوثان والشياطين. وقال ابن عباس: «ويقيمونَ الصلاةَ» هي الصلواتُ الخَمْس(٢).

قال ابنُ عطيَّة: وبحَسَب هذا تكون «الزكاةُ» المفروضةَ، والمَدْحُ عندي بالنوافل أبلغُ، إذ مَن يقيم النوافلَ أحرى بإقامة الفروضِ «ويطيعونَ اللهَ ورسولَه» جامعٌ للمندوبات(٣). انتهى.

«سَيَرْحَمهم» قال ابنُ عطيَّة: السين مُدْخِلة في الوعد مُهْلَةً؛ لتكونَ النفوسُ تتنعَّم برجائه وفَضْلِه تعالى(٤).

وقال الزمخشريُّ: السينُ مُفيدةٌ وجوبَ الرَّحمة لا محالةَ، فهيَ تُؤكِّد الوعدَ كما تؤكِّد الوعيدَ في قولك: سَأَنْتَقم منكَ يوماً، يعني أنَّكَ لا تَفوتني وإن تَباطَأَ ذلك، ونحوه: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥] ﴿سَوْفَ نُؤْتيهم(٥) أُجُورَهُمْ﴾(٦) [النساء: ١٥٢] انتهى.

وفيه دفينةٌ خفيَّة مِن الاعتزال، بقوله: السِّيْن مفيدةٌ وجوبَ الرحمَةِ لا محالةَ، يُشِير إلى أنَّه يجب على الله تعالى إثابةُ الطائع كما تجبُ عقوبةُ العاصي، وليس مدلولُ السِّيْن توكيدَ ما دخلت عليه، إنَّما تدلُّ على تخليصِ المضارع للاستقبال فقط.

ولمَّا كانت الرحمة هنا عبارةً عمَّا يترتَّب على تلك الأعمال الصالحة مِن الثواب في الآخِرَة، أَتَى بالسِّيْن التي تدلُّ على استقبالِ الفِعْل «إنَّ اللهَ عزيزٌ» غالبٌ على كلِّ شيء قادرٌ عليه «حكيمٌ» واضعٌ كُلًّا موضِعَه.

---

(١) تفسير الرازي ١٦/ ١٣١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وقول أبي العالية وابن عباس نقله عن الطبري، وهما في تفسير الطبري ١١/ ٥٥٧، وأثَر أبي العالية أخرجه أيضاً ابنُ أبي حاتم ٦/ ١٨٣١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) كذا في النسخ، وهي قراءة الجمهور عدا حفصاً، مع اختلاف في ضبطها، وسلفت.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٠٢.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ لمَّا أعقب المنافقين بذِكْر ما وَعَدهم به مِن نار جهنَّم، أعقب المؤمنين بِذكْر ما وَعَدهم به مِن نعيم الجنان، ولمَّا كان قوله: «سَيَرْحَمهم اللهُ» وعداً إجماليًّا، فَصَّله هنا؛ تنبيهاً على أنَّ تلك الرحمةَ هي هذه الأشياءُ.

«ومساكنَ طَيِّبَةً» قال ابنُ عباس: هي دُوْرُ المقرَّبين. وقيل: دُورٌ في جنَّات عَدْن مختلفةٌ في الصفات باختلاف حالِ الحالِّينَ بها. وقيل: قصورُ زَبَرْجَد ودُرٌّ وياقوتٍ يَفُوح طِيْبُها مِن مسيرةِ خمس مئةِ عام في أماكنِ إقامتهم، وفي الحديث: «قَصْرٌ في الجنَّة مِن اللؤلؤ، فيه سبعونَ داراً مِن ياقوتةٍ حمراء، في كلِّ دارٍ سبعونَ بيتاً مِن زُمُرُّدَةٍ خضراءَ، في كلِّ بيت سبعونَ سريراً»، وذَكَر في آخِرِ هذا الحديث أشياءَ، وإن صحَّ هذا النَّقْلُ عن الرَّسول ﷺ وَجَبَ المصير إليه[1].

«في جنَّات عدن» أي: إقامة، وقال كعب الأحبار: هي بالفارسيَّة: الكُرُوم والأعْناب، قال ابنُ عطيَّة: وأَظنُّ هذا ممَّا اختلطَ بالفردوس[2].

وقال ابنُ مسعود: «عَدْن» بُطْنان الجنَّة وشُرُفُها[3]، وعنه: وَسَط الجنَّة[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٢، من حديث الحسن عن عمران بن الحصين وأبي هريرة، والخبر أخرجه البزار في المسند (٣٥٦٣)، والطبري في التفسير ١١/ ٥٥٨-٥٥٩، والطبراني في الكبير ١٨/ (٣٥٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (١٧٠٤).
قال البزار: لا نعلم أحداً يرويه عنهما إلا هذا الطريق، وجسر بن فرقد ـ وهو أحَد رجال الإسناد ـ ليِّن الحديث، وقد روى عنه أهل الحديث وحدَّثوا عنه، والحسن لا يصح سماعه من أبي هريرة، من رواية الثقات عن الحسن. اهـ. وجسر بن فرقد قال عنه البخاري: ليس بذاك عندهم. وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف. ميزان الاعتدال ١/ ٣٦٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٢-٢٢٣، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٥٦١.

(٣) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٣/ ٥٨: وسُرَّتها. ولعلَّه الصواب، وورد في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٢، والبغوي ٢/ ٣١٠، والقرطبي ١٠/ ٣٠٠: أي: وسطها. والخبر أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥١٦٧)، والطبري ١١/ ٥٦١.

(٤) هو في رواية عند الطبري ١١/ ٥٦١ من قول الأعمش إثْرَ حديثه عن ابن مسعود.

وقال عطاء: نهرٌ في الجنَّة جَنَّاته على حافَّتَيْه[١].

وقال الضَّحَّاك وأبو عُبَيْدَةَ: مدينةُ الجنَّة وعِظَمُها، فيها الأنبياء والعُلماء والشُّهداء وأئمَّة العَدْل، والنَّاسُ حولَهم بَعْدُ، والجنَّات حولَها[٢].

وقال الحسن: قَصْرٌ في الجنة لا يَدخُله إلَّا نبيٌّ، أو صِدِّيق، أو شهيد، أو حَكَمٌ عَدْلٌ. ومَدَّ بها صوتَه[٣]. وعنه: قصورٌ مِن اللُّؤلُؤ والياقوت الأحمر والزَّبَرْجَد[٤].

وروى أبو الدرداء عن رسولِ الله ﷺ: «عَدن» دارُ اللهِ تعالى التي لم تَرَها عينٌ، ولم تَخْطُر على قلب بَشَر، ولا يَسكنها غيرُ ثلاثة: النَّبيّون والصِّدِّيقون والشُّهداء، يقول اللهُ تعالى: «طُوبَى لمَن دَخَلَكِ»، وإنْ صحَّ هذا عن الرسولِ وجب المصيرُ إليه[٥].

وقال مقاتل: هي أعلى درجة في الجنَّة[٦].

وقال عبد الله بنُ عَمرو: قَصْرٌ حولَه البُروج والمُروج، له خمسةُ آلافِ باب، على كلِّ بابٍ خَيْرَة، لا يَدْخُله إلَّا نبيّ أو صِدِّيق أو شهيد[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٨، وتفسير البغوي ٢/ ٣١٠، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٦٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣ عن الضحاك، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٦٣-٥٦٤.

(٣) المصدر السابق، وتفسير البغوي ٢/ ٣١٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٠، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٥٦٢-٥٦٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٠٢، وأورده أيضاً في النكت والعيون ٢/ ٣٨١ دون عزو.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٠٢، والخبر أخرجه البزار (٣٥١٦ كشف الأستار)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ٣/ ١١٥١-١١٥٢، وابن الجوزي في العلل (٢١)، قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، لم يتابعه عليه أحد، قال البخاري عنه: هو منكر الحديث، وقال ابنُ حبان: هو منكر الحديث جدًّا، يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك.

(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣، والبغوي ٢/ ٣١٠، والقرطبي ١٠/ ٣٠٠.

(٧) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣، والبغوي ٢/ ٣١٠، والخبر أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٧٢٦) (١٩٧٣٩) و(٢٢٣٥٠) و(٣٣٢٢٧) عن عبد الله بن عمرو موقوفاً كما هنا، والطبري في التفسير ١١/ ٥٦٣، وأخرجه أيضاً البزار في المسند(٢٤٨٧) من طريق عبد الله بن مسلم=

وقيل: قَصَبة الجنَّة، فيها نهرٌ على حافَّتَيْه بساتين. وقيل: التَّسنيم، وفيه قصورُ الدُّرِّ والياقوت والذهب والأرائك عليها الخيراتُ الحِسَان، سَقْفُها عَرْش الرحمن، لا يَنْزِلها إلَّا الأنبياء والصِّدِّيقون والشُّهداء والصالحونَ يَفُوح رِيْحُها مِن مسيرة خمسِ مئة عام[1].

وهذه أقوالٌ عن السَّلَف كثيرةُ الاختلافِ والاضْطِراب، وبعضُها يدلُّ على التخصيص، وهو مخالفٌ لظاهرِ الآية، إذ وَعَدَ اللهُ بها المؤمنين والمؤمنات.

وقال الزمخشريُّ: و«عَدْن» عَلَم، لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] ويدلُّ عليه ما روى أبو الدَّرْداء[2]، وسَاقَ الحديثَ المتقدِّم الذِّكْر عن أبي الدَّرْداء.

وإنَّما استَدلَّ بالآية على أنَّ عَدْناً عَلَمٌ؛ لأنَّ المضافَ إليها وُصِفَ بـ «التي» وهي معرفةٌ، فلو لم تكن «جنَّات» مضافة لمَعْرِفة، لم تُوصَف بالمعرفة، ولا يتعيَّن ذلك، إذ يجوز أن تكون «التي» خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أو منصوباً بإضمارِ: أعني، أو أمدح، أو بَدَلاً مِن «جنَّات»، ويبعد أن تكون صفةً لقوله: الجنَّة؛ للفَصْل بالبَدَل الذي هو «جنَّات»، والحُكْم أنَّه إذا اجتمعَ النَّعْت والبَدَل، قُدِّمَ النعتُ، وجِيْءَ بَعْدَهُ بالبَدَل.

وقرأ الأعمش: «ورُضُوان» بضمَّتين[3]، قال صاحب «اللوامح»: وهي لغةٌ.

«ورضوان» مبتدأ، وجاز الابتداءُ به؛ لأنَّه موصوفٌ بقوله: «من الله»، وأَتَى به

= عن ابن سابط، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٩٦: رواه البزار، وفيه: عبد الله بن مسلم بن هرمز، وهو ضعيف. اهـ. وينظر العلل لابن أبي حاتم ٤/١٢٨. ووقع في مطبوع البزار: حيَّرة، وفي مطبوع ابن أبي شيبة (١٩٧٢٦) وتفسير الطبري والثعلبي: حِبَرة، بدل: خَيْرَة، وامرأةٌ خَيْرَةٌ في جمالها ومِيْسَمِها، والخَيْرَة أيضاً: الكريمة النَّسَب، الشريفةُ الحَسَب، الحَسَنةُ الوجه، الحَسَنة الخُلُق، الكثيرةُ المال، التي إذا وَلَدَت أنْجَبت.

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٣/٢٢٣، والوسيط للواحدي ٢/ ٥١٠، وتفسير الرازي ١٦/ ١٣٣، والقرطبي ١٠/ ٢٩٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١٧، لكن عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، قال أبو حاتم إثْرها: وهذا لا يجوز.

نكرةً؛ ليدلَّ على مُطلَق، أي: وشَيءٌ مِن رضوانه أكبرُ مِن كلِّ ما ذكرَ، والعبدُ إذا عَلِمَ برضا مَولاه عنه كان أكبرَ في نفسه ممَّا وراءَه مِن النَّعيم، وإنَّما يتهيَّأ له النعيمُ بعِلْمه برضاهُ عنه، كما أنَّه إذا عَلِمَ بسَخَطه، تَنغَّصَت حالُه ولم يَجِد لها لذَّة.

ومعنى هذه الجملة موافقٌ لِمَا رُويَ في الحديث: «إنَّ اللهَ تعالى يقول لعبادِهِ إذا استقرُّوا في الجنَّة: هل رَضِيتُم؟ فيقولون: وكيف لا نَرْضى يا ربّنا. فيقول: إنِّي سَأُعطيكم أفضلَ مِن هذا كلّه رِضْواني، أَرْضَى عنكم فلا أَسْخَط عليكم أبداً»[1].

وقال الحسن: وَصَل إلى قلوبهم برضوان اللهِ مِن اللَّذَّة والسرورِ ما هو ألذّ عندهم وأقرُّ لأعينهم مِن كلِّ شَيءٍ أصابوه مِن لذَّة الجنَّة.

قال ابنُ عطيَّة: ويَظهر أن يكون قوله تعالى: «ورضوانٌ مِن اللهِ أكبرُ» إشارةً إلى منازل المقرَّبين الشَّاربين مِن تسنيم، والَّذين يُرَونَ كما يُرى النَّجْمُ الغائرُ في الأفق، وجميعُ مَن في الجنَّة راضٍ، والمنازلُ مختلفةٌ، وفَضْلُ اللهِ تعالى مُتَّسِعٌ[2]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: رضاهُ تعالى هو سببُ كلِّ فوزٍ وسعادةٍ[3]. انتهى.

والإشارةُ بـ «ذلك» إلى جميعِ ما سَبَق، أو إلى الرِّضوان قولان، والأظهر الأوَّل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ لمَّا ذَكَر وعيدَ غيرِ المؤمنين وكانت السورةُ قد نَزَلت في المنافقين، بَدَأَ بهم في ذلك بقولِه: «وَعَدَ اللهُ المنافقينَ والمنافقاتِ والكُفَّارَ نارَ جهنَّم»، ولمَّا ذَكَرَ أَمْرَ الجهاد وكان الكُفَّارُ غيرُ المنافقين أَشَدَّ شَكِيْمَةً وأَقوى أسباباً في القتال وإنْكاءً بتصدِّيهم للقتال، قال: «جَاهِدِ الكفارَ والمنافقينَ» فبَدَأَ بهم.

قال ابنُ عباس وغيره: جَاهِدِ الكفارَ بالسيفِ، والمنافقينَ باللسان[4].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨-٥٩، وينظر الكشاف ٢/ ٢٠٢، والحديث أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، وهو عند أحمد (١١٨٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٩، وخبر الحسن السالف منه.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٢.

(٤) النكت والعيون ٢/ ٣٨٢، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٥٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤١ و١٨٤٢.

وقال الحسن وقتادة: «والمنافقين» بإقامة الحدودِ عليهم إذا تَعاطوا أسبابَها(١).

وقال ابنُ مسعود: جاهدهم باليَدِ، فإنْ لم تَسْتَطِع فباللسان، فإن لم تَسْتطع فبالقلب، والاكْفِهْرَار في وجوهِهم(٢).

«واغْلُظ عليهم» في الجهادَيْن، والغِلَظ ضِدُّ الرِّقَّة، والمراد بخشونةِ الكلام وتعجيلِ الانتقام، على خلافِ ما أُمِرَ به في حقِّ المؤمنين: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وكلُّ مَن وُقِفَ منه على فسادٍ في العقائد فهذا حُكْمُه يُجَاهَد بالحُجَّة ويُسْتَعمَل معه الغلظة ما أمكن.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ الضميرُ عائدٌ على المنافقين، فقيل: هو حَلِفُ الجُلَاس، وتقدَّمت قصَّته مع عامر بنِ قيس، وقيل: حَلِفُ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ أنَّه ما قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية(٣) [المنافقون: ٨].

وقال الضحاك: حَلِفُهم حين نَقَلَ حذيفةُ إلى الرسول ﷺ سَبَّهم أصحابَه وإيَّاهُ في خَلْوتهم(٤).

وأمَّا «وهمُّوا بما لم يَنالوا» فنزلت قيل: في ابنِ أُبَيٍّ في قوله: «لَيُخْرِجنَّ»، قاله قتادة، وروي عن ابنِ عباس، وقيل: بقَتْل الرسولِ، والذي هَمَّ به رجلٌ يقال له: الأسود، مِن قريش، رواه مجاهد عن ابنِ عباس(٥).

---

(١) النكت والعيون ٢/ ٣٨٢-٣٨٣، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٥٦٧.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٩، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤١، وابن المبارك في الزهد (١٣٧٧).
(٣) النكت والعيون ٢/ ٣٨٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٤، وزاد المسير ٣/ ٤٧٠-٤٧١، والقول الأول أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (١٨٣٠٣)، والطبري ١١/ ٥٦٩-٥٧٠ عن عروة. والقول الثاني أخرجه الطبري ١١/ ٥٧٢ عن قتادة.
(٤) زاد المسير ٣/ ٤٧١.
(٥) المصدر السابق، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥، وخبر قتادة وابن عباس عند الطبري ١١/ ٥٧١-٥٧٢،

وقال مجاهد: نزلت في خَمْسَةَ عَشَرَ هَمُّوا بقَتْله وتواثقوا على أنْ يَدْفَعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنَّم العَقَبة، فأخَذَ عمار بنُ ياسر بخِطَام راحلتِه يَقودُها وحذيفةُ خَلْفَها يَسوقُها، فبينما هما كذلك إذ سمعَ حذيفةُ بوَقْعِ[1] أخفافِ الإبلِ وقَعْقَعَةِ السِّلاح، فالتفتَ، فإذا قومٌ مُتَلَثِّمون، فقال: إليكم يا أعداءَ اللهِ. فهَربوا.

وكان منهم: عبد الله بنُ أُبَيٍّ، وعبد الله بنُ سعد بنِ أبي سَرْح، وطعمة بنُ أُبَيْرق، والجُلَاس بنُ سويد، وأبو عامر بنُ النعمان وأبو الأحوص[2].

وقيل: همُّهم بما لم يَنالوا هو أن يُتَوِّجوا عبدَ الله بنَ أُبَيّ إذا رجعوا مِن غزوة تبوك، يُباهونَ به الرّسولَ ﷺ، فلم ينالوا ما همُّوا به، فنزلت[3].

وعن ابنِ عباس: كان الرسول ﷺ جالساً في ظِلِّ شجرةٍ، فقال: «إنَّه سَيأْتيكم إنسانٌ فيَنْظُر إليكم شيطان، فإذا جاء فلا تُكلِّموه» فلم يَلبثوا أنْ طَلَع رجلٌ أزرقُ، فدَعَاه، فقال: «عَلَامَ تَشتُمني أنتَ وأصحابُك»؟ فانْطَلَق الرجلُ، فجاء بأصحابه، فحَلَفوا بالله ما قالوا، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ[4].

= وخبر مجاهد عند الطبري ١١/ ٥٧٣، وأخرجه أيضاً ابنُ أبي حاتم ٦/ ١٨٤٥ عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (د١) و(ز١) و(يه): برفع. والمثبت من باقي النسخ ومن الكشاف ٢/ ٢٠٣، وتفسير الرازي ١٦/ ١٣٦، والخبر فيهما كاملاً لكن دون عزوه لمجاهد، وعزاه له الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٢٨٣ مقتصراً على هَمِّ القتل، وأورده مختصراً الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٢٥ وعزاه للكلبيّ، وابنُ الجوزيّ في زاد المسير ٣/ ٤٧١ وعزاه لمقاتل.
والخبر أخرجه أحمد (٢٣٧٩٢) من حديث أبي الطُّفَيْل عامر بن واثلة، وهو عند البزار في المسند (٢٨٠٠) من حديث أبي الطفيل، عن حذيفة رضي الله عنه، وعند البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٦٠-٢٦١ من طريق آخر، عن حذيفة رضي الله عنه بنحوه، وأصل الخبر عند مسلم (٢٧٧٩) (١١) من حديث أبي الطُّفَيل رضي الله عنه، وسلفت الإشارة إليه عند تفسير الآية (٤٧) من هذه السورة، عند إيراد المصنِّف خبر ابن جريج عن المنافقين ليلة عقبة تبوك.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥، وأبو النعمان هو: عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، فارَقَ قومَه حين اجتمعوا على الإسلام مع بِضْعَة عشر منهم، ولَحِقَ بالشام ومات بها طريداً غريباً. السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٨٥-٥٨٦.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٥ عن السُّدّيّ، وعزاه السيوطيُّ في الدر المنثور ٣/ ٢٦٠ لأبي الشيخ.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٤، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٥٧١، وعزاه له السيوطي في الدر =

و«كلمة الكُفْر» قولُ ابن أُبَيٍّ لَمَّا تشاوَرَ الجهجاه الغفاريُّ وسنانُ بنُ وَبْرَة الجُهَنيُّ، وقد كَسَعَ أحدُهما رِجْلَ الآخرِ في غزوة المُرَيْسِيع، فصاح الجهجاه: يا للأنصار! وصاح سنان: يا للمهاجرين! فثَار الناسُ وهَدَّأَهُم الرَّسولُ، فقال ابنُ أُبيٍّ: ما أَرى هؤلاء إلَّا قد تَدَاعَوا علينا، ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلَّا كما قال الأوّل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ[1].

أو الاستهزاءُ، أو قولُ الجُلَاس المتقدِّم، أو قولُهم بعَقْدِ التَّاجِ، أو قولهم: ليس بِنَبيٍّ، أو القول: لئن رَجَعنا إلى المدينة، أقوال[2].

«وكفروا» أي: أَظهروا الكفرَ بعد إسلامهم، أي: إظهارِ إسلامهم، ولم يأتِ التركيب: «بعد إيمانهم» لأنَّ ذلك لم يَتجاوز أَلسنَتَهم.

والهَمُّ دون العَزْم، وتقدَّم الخلاف في الهامِّ والمهموم بِه[3].

وقيل: هو هَمُّ المنافقين أو الجُلاس بقَتْل ناقلِ حديثِ الجُلاس إلى الرَّسول ﷺ[4].

= المنثور ٣/ ٢٥٨ ولأبي الشيخ والطبراني وابنِ مردويه، وهو عند الطبراني في الكبير (١٢٣٠٧) في سبب نزول الآية (١٨) من سورة المجادلة، وكذا أورده القرطبي ٢٠/ ٣٢٦ عند تفسير الآية (١٤) منها، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٤٠٧)، والطبري ٢٢/ ٤٨٩.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٣ وعزاه لقتادة، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٥١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٢-٣٠٣، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣-١٨٤٤، والخبر عند أحمد (١٥٢٢٣)، والبخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر ﷺ، وأيضاً عند أحمد (١٩٣٣٤)، والبخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم ﷺ. ومعنى الكَسْع: ضَرْبُ الدُّبر باليد أو الرِّجل. النهاية (كسع)، فتح الباري ٨/ ٦٤٩. والجهجاه: ابن قيس، ويقال: ابن سعيد، كان مع عمر بن الخطاب يقود له فرسه، وسنان حليفٌ للأنصار.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٤-٢٢٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٦٠-٦١، والكشاف ٢/ ٢٠٢، وزاد المسير ٣/ ٤٧٠-٤٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٢-٣٠٤.

(٣) عند تفسير مفردات الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥، وزاد المسير ٣/ ٤٧١، والقرطبي ١٠/ ٣٠٢، وعزوه لمجاهد، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٧١ و٥٧٣.

وفي تعيينِ اسمِ الناقلِ خلافٌ؛ فقيل: عاصم بن عديّ، وقيل: حذيفة، وقيل: ابنُ امرأةِ الجُلاس عميرُ بنُ سعد، وقيل: اسمه: مصعب[١].

وقيل: همُّوا بالرَّسول والمؤمنين أشياءَ لم ينالوها.

«وما نقموا إلَّا أَنْ أغناهم اللهُ ورسولُه مِن فَضْلِه» هذا مِثْلُ قولِه: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ﴾ [البروج: ٨] وكان حقُّ الغنيِّ مِن الله ورسوله أَنْ يَشْكُر لا أَنْ يَنقم، جعلوا الغِنَى شيئاً ينقم به، فهو كقوله:

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فُلولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ[٢]

وكان الرَّسولُ قد أَعْطى لعبد الله بنِ أُبَيٍّ دِيَةً كانت قد تغلَّظت له، قال عكرمة: اثنا عَشَر ألفاً، وقيل: بل كانت للجُلاس[٣]، وكانت الأنصارُ حين قَدِمَ الرسولُ ﷺ المدينة في ضَنكٍ مِن العيش، لا يَركبون الخيلَ، ولا يَحوزون الغنيمة، فأثروا[٤]، وقال الرَّسول للأنصار: «وكُنتم عالةً فأغناكم اللهُ بي»[٥]. وقيل: كان على الجُلاس دَيْنٌ كثير، فقضاه الرسولُ، وحصل له مِن الغنائم مالٌ كثير[٦].

وقوله: «وما نقموا» الجملة كلامٌ أُجريَ مُجرَى التهكُّم به، كما تقول: مالي عندكَ ذَنْبٌ إلَّا أنِّي أَحسنتُ إليكَ! فإنَّ فِعْلَهم يدلُّ على أنَّهم كانوا لِئاماً، وقال الشاعر:

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٢، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٦٠، وخبر عمير بن سعد أورده ابن هشام في السيرة ١/ ٥١٩، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٧١٦) عن ابن إسحاق، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣ من حديث كعب بن مالك برقم (١٠٤٠١)، ومن حديث ابن عباس برقم (١٠٤٠٢)، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في المصنَّف (١٨٣٠٣) من حديث عروة، وسُمِّي مصعباً في خبر الطبري ١١/ ٥٧٠ عن عروة بن الزبير.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١، وسلف عند تفسير الآية (٢٢) من سورة النساء.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٠، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٥، وخبر قتادة عند عبد الرزاق في المصنَّف (١٧٢٧٣)، والترمذي (١٣٨٩)، والطبري ١١/ ٥٧٤-٥٧٥، وأخرجه ابنُ ماجه (٢٦٣٢)، والطبري ١١/ ٥٧٥ من طريق عكرمة، عن ابنِ عباس ﵄.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥، والبغوي ٢/ ٣١٢، والقرطبي ١٠/ ٣٠٥، ونسبوه للكلبي.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وهو عند أحمد (١٦٤٧٠) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٦ عن عروة بن الزبير.

مـا نـقـمـوا مِـن بـنـي أُمَيَّـة إلَّا أنَّـهـمُ يَـحـلُـمـون إن غَـضِـبـوا
وأنَّـهـم سـادةُ الـمـلـوكِ ولا يَـصْـلُـحُ إلَّا عَـلـيـهـمُ الـعَـرَبُ[1]

وقال آخَرُ، وهو نظيرُ البيتِ السابق:

ولا عَيْبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لمَعْشَرٍ كِرامٍ وأنَّا لا نَخطُّ[2] على النَّمْلِ[3]

«فإن يتوبوا» هذا إحسانٌ منه تعالى ورِفْقٌ ولطفٌ بهم؛ حيث فتح لهم بابَ التوبة بعد ارتكابِ تلك الجرائم العظيمة، وكان الجُلاس بعد حَلِفه وإنكاره أنْ قال ما نُقلَ عنه، قد اعترفَ، وصَدَقَ الناقلُ عنه، وتابَ وحَسُنَت توبتُه[4]، ولم يَرِد أنَّ أحداً

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤٧١-٤٧٢، والبيتان لعبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات، وهما في ديوانه ص٤، وورد فيه: مَعْدِن، بدل: سادة.

(٢) في (أ) و(ح) و(دا) و(ع) والمطبوع: لا نحطّ. وهي رواية للبيت كما سيأتي، والمثبت من (ز١) و(يه).

(٣) البيت دون نسبة في أدب الكاتب ص٢٢، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٦٣ و٢/ ٦٣٧، والاقتضاب للبطليوسي ص٢٩٠، وشجرة الدّرّ لأبي الطيب ص٢٠١، والعمدة لابن رشيق ٢/ ٤٩، والصحاح ولسان العرب (نمل)، وورد في كتاب المسلسل في غريب لغة العرب لأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي المعروف بـ: ابن الأَشْتَركوني السرقسطي ص١٣٩ منسوباً إلى هند بنت النعمان بن بشير، قالته في روح بن زِنْباع زوجِها، وأورده أيضاً الجواليقي في شرح أدب الكاتب ص١٢٠ وقال: قال الشاعر، قيل: إنه لعمرو بن حممة الدوسي، ثم ذَكَر ثلاثة أبيات، آخِرها هذا المذكور أعلاه، ثم قال: وهذا البيت يروى لمزاحم العقيلي وعروة بن أحمد الخزاعي. اهـ.
وورد في المصادر كلها: ولا نخطّ، أي: بالخاء، وأشرنا آنفاً إلى رواية الحاء المذكورة في بعض النسخ، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٣٧: النمل هاهنا قروح تظهر في الساق، وقال أبو عمرو: المجوس يقولون أنه إذا كان الرَّجُلُ من أخته ثم خطَّ على النملة - يعني هذه القرحة - لم تلبث أن تجفّ، وإنما عرَّض الشاعر بِرَجُلٍ أخوالُه مجوس، فقال: لستُ كأولئك. اهـ.
وقال البطليوسي: من روى: نحطّ، غير معجمة، فله معنيان: أحدهما: أن يكون الحطّ الدلكَ، فيكون معناه كالمعنى في رواية الخاء، والثاني: أن يريد بالنمل الحيوانَ المعروف ولا يريد القروح، فيكون تأويله: أنّا لا نحفر بيوت النمل نستخرج منها مهانةً وخساسةً... إلى آخر كلامه.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٦١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٥، وخبر توبة الجُلاس أخرجه عبد الرزاق =

قُبلَت توبتُه منهم غيرُ الجُلاس، قيل: وفي هذا دليلٌ على قَبول توبةِ الزِّنْدِيق المُسِرِّ للكفر المُظْهِر للإيمان، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعيّ، وقال مالك: لا تُقبَل، فإن جاء تائباً مِن قِبَلِ نفسِه قَبْلَ أَنْ يُعثَر عليه، قُبلَت توبتُه بلا خلافٍ.

«وإنْ يَتولَّوا» أي: عن التوبةِ، أو الإيمان، أو الإخلاص، أو الرسول، والمعنى: وإنْ يُدِيموا التولِّي، إذ هم متولّون في الدنيا بإلحاقهم بالحربيّين؛ إذ أظهروا الكفرَ، فيحلّ قتالُهم، وقَتْلُهم، وسَبْيُ أولادِهم وأزواجِهم، وغنمُ أموالِهم.

وقيل: ما يُصيبهم عند الموت ومعاينةِ ملائكةِ العذاب، وقيل: عذاب القبر، وقيل: التَّعَب والخوف والهُجْنَة عند المؤمنين، وفي الآخِرة بالنَّار.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ قال الضَّحَّاك: هم نَبْتَل بنُ الحارث، وجَدُّ بنُ قيس، ومُعتِّب بن قُشَير، وثَعْلَبة بنُ حاطب، وفيهم نزلت الآيةُ.

وقال الحسن ومجاهد: في مُعَتِّب وثَعْلَبة خَرَجا على مَلَإٍ، فقالا ذلك.

وقال ابنُ السائب: في رجلٍ مِن بني عمرو بنِ عوف، كان له مالٌ بالشام، فأَبْطأَ عنه، فجُهِد لذلك جُهداً شديداً، فحلف بالله: لَئِن آتانا مِن فَضْله، أي: مِن ذلك المال، لأَصَدَّقَنَّ منه ولأَصِلَنَّ. فآتاه، فلم يَفعل[1].

والأكثر على أنَّها نزلت في ثَعْلَبة، وذَكَروا له حديثاً طويلاً، وقد لَخَّصتُ منه أنَّه سأَلَ الرسول ﷺ أَنْ يَدعُوَ اللهَ أَنْ يَرزقَه مالاً، فقال له: «قليلٌ تُؤَدِّي شُكْرَه خيرٌ مِن كثيرٍ لا تُطيقه» فأَلَحَّ عليه، فدعا اللهَ، فاتَّخذ غَنَماً كثرت حتى ضَاقَت عنها المدينةُ، فنزل وادياً، ومازالت تَنمو فاشتغل بها حتى تَرَكَ الصلواتِ، وبَعَثَ إليه الرَّسولُ ﷺ

= (١٨٣٠٣) عن عروة، وأورده ابن عبد البرّ في الاستيعاب ترجمة (٣٥٣) ، وابن حجر في الإصابة ٢/ ٩٢-٩٣.

(١) زاد المسير ٣/ ٤٧٢-٤٧٤، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٧، والقرطبي ١٠/ ٣٠٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٨٤، وقول الحسن ومجاهد عند الطبري ١١/ ٥٨٢-٥٨٣.

المُصَدِّقَ، فقال: ما هذه إلَّا جِزْيَة، ما هذه إلَّا أختُ الجِزْيَة! فنزلت هذه الآيةُ، فأخبره قريبٌ له بها، فجاء بصَدَقته إلى الرَّسول فلم يَقْبَلْها، فلمَّا قُبِضَ الرَّسولُ أتَى أبا بكرٍ فلم يَقْبَلْها، ثمَّ عمر فلم يَقْبَلْها، ثمَّ عثمان فلم يَقْبَلْها، وهَلَكَ في أيامِ عثمان[١].

وقرأ الأعمش: «لنَصَّدَّقَنْ ولَنَكُونَنْ» بالنون الخفيفة فيهما[٢].

والظاهرُ والمستفيضُ مِن أسباب النزولِ أنَّهم نطقوا بذلك ولفظوا به، وقال معبد بنُ ثابت وفرقةٌ: لم يتلفَّظوا به، وإنَّما هو شَيءٌ نَوَوْهُ في أنفسِهم ولم يتكلَّموا به، ألَم تَسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾[٣] [التوبة: ٧٨].

و«من الصالحين» أي: مِن أهلِ الصلاح في أموالهم بصِلة الرَّحِم والإنفاق في الخير والحَجِّ وأعمالِ البِرِّ. وقيل: مِن المؤمنين في طَلَب الآخِرة.

«بخلوا به» أي: بإخراج حقِّه منه، وكلُّ بخلٍ أُعقبَ بوعيدٍ فهو عبارةٌ عن مَنْع الحقِّ الواجب.

---

(١) ينظر المصادر السالفة الذِّكر، والمحرر الوجيز ٣/ ٦١-٦٢، والخبر أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٥٣)، والطبري ١١/ ٥٧٨-٥٨٠، والطبراني في الكبير (٧٨٧٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٣٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوَّة ٥/ ٢٨٩-٢٩٢، والواحدي في أسباب النزول ص٢٥٢ ـ ٢٥٤، من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ مطوَّلاً.
قال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يُروى موصولاً بأسانيد ضعاف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢: فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف. وقال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ص٦٦ عن الخبر: مُنْكَر بمرَّة، وقيل: قُتل يوم أحد. وقال ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٩: ولا أظنُّه يَصِح... إلى آخر كلامه.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٣ دون عزوٍ، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤، وأوردها أيضاً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٦٢ عن الأعمش، لكن بالنون الثقيلة في الأولى، وبالنون الخفيفة في الثانية.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٨، وزاد المسير ٣/ ٤٧٥، وأورده الأخير عن كَهْمَس، عن معبد، وأورده أيضاً ابن عبد البرّ في الاستذكار ١٠/ ٣٠٥، وفي التمهيد ١١/ ١٩٤ عن سُنَيْد، عن معمَر بن سليمان، عن معبد بن ثابت، وأخرجه الطبري ١١/ ٥٨٧ عن معتمر، عن كهمس، عن سعيد بن ثابت.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «فأعقبهم» هو عائدٌ على الله، عاقَبَهم على الذَّنْبِ بما هو أشدّ منه.

قال الزمخشريُّ: خذلهم حتى نافقوا، وتمكَّن مِن قلوبهم نِفاقُهم، فلا ينفكُّ عنها إلى أنْ يَموتوا؛ بسبب إخلافهم ما وَعَدُوا اللهَ تعالى مِن التَّصدُّق والصَّلاح وكونهم كاذبين، ومنه: «خُلْفُ الموعِد ثُلُثُ النِّفاق»[1]. انتهى. وقوله: خذلهم، هو لفظُ المعتزلة.

وقال الحسن وقتادة: الضمير في «فأعقبهم» للبُخْل، أي: فأورثهم البخلُ «نِفاقاً» متمكِّناً «في قلوبهم»[2].

وقال أبو مسلم: «فأعقبهم» هذا الفعل، أي: البخل والتولِّي والإعراض[3].

قال ابنُ عطيَّة: يحتمل أن يكون نفاقَ كُفْرٍ، ويكون تقريرُ ثعلبة بَعْدَ هذا النَّصِّ والإبقاء عليه لمكان إظهارِه الإسلام وتعلُّقه بما فيه احتمال، ويحتمل أن يكون نفاقَ معصيةٍ وقلَّة استقامة، فيكون تقريرُه صحيحاً، ويكون تَرْكُ قَبولِ الزكاة منه؛ عقاباً له ونكالاً، وهذا نحو ما رُويَ أنَّ عاملاً كتب إلى عمر بنِ عبد العزيز أنَّ فلاناً يَمنع الزكاةَ، فكتب إليه: أنْ دَعْهُ، واجْعَلْ عقوبتَه أنْ لا يؤدِّيَ الزكاة مع المسلمين، يُريد لِمَا يَلحقه مِن المَقْتِ في ذلك[4].

والظاهر عودُ الضميرِ في «يلقونه» على الله تعالى، وقيل: يلقونَ الجزاءَ، فقيل: جزاءَ بُخْلِهم، وقيل: جزاءَ أفعالهم.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٠٤، والخبر الأخير أورده ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٩٧٣ عن ابن عمر وابن عباس مطوَّلاً، ونقله عنه القرطبي ١٠/ ٣١٣، قال ابن العربي: هذا حديث مجهول الإسناد. اهـ. والحديثُ المشهورُ: «آية المنافق ثلاث...» وهو عند البخاري (٣٣)، ومسلم (٩٥)، وأحمد (٨٦٨٥) من حديث أبي هريرة ﵁، وحديث: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً...» وهو عند البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأحمد (٦٧٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو ﵄.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، وخبر الحسن عند ابنِ الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٧٥.

(٣) ينظر تفسير الرازي ١٦/ ١٤١-١٤٢.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٦٢، وخبرُ عاملِ عمرَ بن عبد العزيز أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٧٠ بلاغاً، وأورده عنه ابنُ عبد البرّ في الاستذكار ٩/ ٢٣١-٢٣٢.

وقرأ أبو رجاء: «يُكذِّبون» بالتشديد[١].

ولفظة «فأعقبهم نفاقاً» لا تدلُّ ولا تُشعِر بأنَّه كان مسلماً، ثمَّ لمَّا بَخِلَ بالمال ولم يَفِ بالعهد صار منافقاً، كما قال أبو عبد الله الرازيُّ[٢]: لأنَّ المُعقَبَ نفاقٌ متَّصلٌ إلى وقتِ الموافاة، فهو نفاقٌ مقيَّد بغايةٍ، ولا يدلُّ المقيَّدُ على انتفاءِ المُطلَق قَبْلَه، وإذا كان الضميرُ عائداً على الله، فلا يكون اللقاءُ متضمّناً رؤيةَ اللهِ؛ لإجماع العلماء على أنَّ الكفارَ لا يَرَوْنَ اللهَ، فالاستدلالُ باللقاء على الرؤية مِن قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] ليس بظاهر، ولقوله: «مَن حَلَفَ على يمينٍ كاذبة ليَقطع حقَّ امرئٍ مسلم، لقيَ اللهَ وهو عليه غَضْبَانُ»[٣]، وأجمعوا على أنَّ المرادَ هنا: لقيَ ما عندَ الله مِن العقاب.

«أَلَم يعلموا» هذا استفهام تضمَّن التوبيخ والتقريع، وقرأ عليٌّ وأبو عبد الرحمن والحسن: «تعلموا» بالتاء[٤]، وهو خطابٌ للمؤمنين على سبيل التقرير، وأنَّه تعالى فاضح المنافقين ومُعلِّم المؤمنين أحوالَهم التي يَكتمونها شيئاً فشيئاً «سرَّهم ونَجْواهم» هذا التقسيم عبارةٌ عن إحاطة عِلْم الله بهم.

والظاهر أنَّ ٱلآيةَ في جميع المنافقين مَن عاهَدَ وأخلف وغيرهم، وخصَّتها فرقةٌ بمَن عاهَدَ وأخلفَ، فقال الزمخشريُّ: ما أسرُّوه مِن النفاق والعَزْم على إخلاف ما وَعَدوه، وما يَتناجون به فيما بينهم مِن المطاعِن في الدِّين وتَسْمِية الصدقةِ جزيةً وتدبيرِ مَنْعها[٥].

وقيل: أشار بـ «سِرّهم» إلى ما يخفونه من النفاق، وبـ «نجواهم» إلى ما يفيضون به بينهم مِن تنقُّص الرَّسول ﷺ وتعييب المؤمنين. وقيل: «سِرَّهم» ما يُسَارُّ به

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤، وزاد نسبتها للحسن، وهي في الكشاف ٢/ ٢٠٤ دون عزو.
(٢) تفسير الرازي ١٦/ ١٣٩.
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨)، وهو عند أحمد (٣٥٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وسلف.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٦٢، والقراءات الشاذة ص٥٤.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٠٤.

بعضُهم بعضاً، و«نجواهم» ما تحدَّثوا به جهراً بينهم، وهذه أقوال متقاربة متَّفقة في المعنى.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ نزلت فيمَن عاب المتصدِّقين، وكان رسول الله ﷺ حثَّ على الصَّدَقة، فتصدَّق عبد الرحمن بنُ عوف بأربعة آلافٍ، وأمسك مِثْلَها، فبارَكَ له الرَّسولُ ﷺ فيما أمسكَ وفيما أعطى، وتصدَّق عُمَرُ بنصفِ مالِه، وعاصم بنُ عديٍّ بمئة وَسْقٍ، وعثمان بصدقة عظيمة، وأبو عَقيل الإِرَاشي بصاعِ تمرٍ وتَرَكَ لعيالِه صاعاً، وكان آجَرَ نفسَه لسَقْي نخيل بهما، ورجل بناقةٍ عظيمة، قال: هي وذو بطنها صَدقةٌ يا رسول الله. وألقى إلى الرَّسول خِطَامها، فقال المنافقون: ما تَصدَّق هؤلاء إلا رياءً وسُمْعةً، وما تَصدَّق أبو عقيل إلَّا ليُذكَر مع الأكابر، أو ليُذكِّر بنفسِه فيُعطى مِن الصَّدَقات، واللهُ غنيٌّ عن صَاعِهِ[(١)].

وقال بعضهم: تَصدَّق بالناقة وهي خيرٌ منه، وكان الرَّجُل أقصرَ الناس قامةً وأشدَّهم سواداً، فنظر إليه الرَّسولُ ﷺ وقال: «بل هو خيرٌ منكَ ومنها» يقولها ثلاثاً[(٢)].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٦٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٣١، والنكت والعيون ٢/ ٣٨٥، وأسباب النزول للواحدي ص٢٥٤-٢٥٥، وخبر أبي عقيل عند البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨)، وأحمد (٢٢٣٤٦) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، وينظر ما ورد من شواهد لهذا الخبر عند الطبري ١١/ ٥٨٨-٥٩٦، والدر المنثور ٣/ ٢٦٢-٢٦٤، وتفسير ابن كثير، عند تفسير هذه الآية، وأبو عقيل اسمه: الحبحاب، وقيل: الحثحاث، وقيل: الجثجاث، وقيل اسمه: عبد الرحمن بن ثعلبة بن بَيْحان، أحَد بني أُنيف الإراثي، حليف بني عمرو بن عوف، وقيل غير ذلك. الاستيعاب ص٨٣٢ الترجمة (٣٠٤٧)، والإصابة ١١/ ٢٥٩-٢٦٠، وزاد المسير ٣/ ٤٧٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٦٠)، وابنه عبد الله في زياداته على الزهد ص١٧٣-١٧٤، والطبري في التفسير ١١/ ٥٩٤-٥٩٥، من طريق أبي السَّليل، عن رجل، عن أبيه أو عمِّه، وفي إسناده هذا المجهول وأبوه أو عمُّه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢١: رواه أحمد، وفيه رجلٌ لم يُسَمَّ.

وأصل «المُطَّوِّعين» المُتَطَوِّعين، فأدغمت التاءُ في الطاء، وهم المتبرِّعون، كعبدِ الرحمن وغيره «والذين لا يَجدون إلَّا جهدهم» هم مندرجون في «المُطَّوِّعين» ذُكِروا؛ تشريفاً لهم، حيث ما فاتتهم الصدقةُ، بل تَصدَّقوا بالشَّيء وإن كانوا أشدَّ الناس حاجةً إليه وأَتعبهم في تحصيلِ ما تصدَّقوا به كأبي عقيل وأبي خَيْثَمة[١] ـ وكان قد لُمِزَ في التصدُّق بالقليل ـ ونُظَرَائهما.

وكان أبو عليٍّ الفارسيُّ[٢] يَذهب إلى أنَّ المعطوف في هذا وشِبْهه لم يَندَرج فيما عُطف عليه، قال: لأنَّه لا يَسوغُ عَطْفُ الشيء على مِثْلِه، وكذلك كان يقول في ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وفي قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وإلى هذا كان يَذهب تلميذُه ابنُ جِنِّيّ وأكثرُ الناس على خلافهما، ويُسمِّيه بعضُهم التجريدَ، جُرِّدوا بالذِّكر على سبيل التشريف، وقد تقدَّم الكلامُ على ذلك في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقرأ ابنُ هرمز وجماعةٌ: «جَهدهم» بالفتح[٣]، فقيل: هما لغتان بمعنًى واحد. وقال القتبيُّ: بالضَّمِّ: الطَّاقة، وبالفتح: المَشَقَّة[٤]. وقال الشعبيُّ: بالضَّمِّ: القُوت، وبالفتح في العمل[٥]. وقيل: بالضَّمِّ: شَيء قليلٌ يُعاش به.

والأحسن في الإعراب أن يكون «الذين يلمزون» مبتدأ، و«في الصدقات» متعلِّق بـ «يلمزون»، و«الذين لا يجدون» معطوف على «المُطَّوِّعين»، كأنَّه قيل: يَلْمِزون الأغنياءَ وغيرَهم، و«فيسخرون» معطوف على «يَلْمزون»، و«سخر الله منهم» وما بعدَه خبرٌ عن «الذين يَلْمزون»، وذكر أبو البقاء أنَّ قوله: «والذين لا يجدون» معطوف

(١) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٦٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٧٦، نقلاً عن كعب بن مالك صاحب النبيِّ ﷺ، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٩٥ من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك.
(٢) ينظر المصدر السابق.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٦٣-٦٤، والكشاف ٢/ ٢٠٤، والقراءات الشاذة ص٥٤.
(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص١٩٠، وأدب الكاتب له أيضاً ص٣٠٨، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٧٧.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٦٤، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٥٩٧-٥٩٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٣.

على «الذين يَلْمزون»[١] ، وهذا غير ممكن؛ لأنَّ المعطوفَ على المبتدأ مُشارِك له في الخبر، ولا تمكن مشاركةُ «الذين لا يجدون إلا جهدهم» مع «الذين يلمزون» إلَّا إن كانوا مِثْلَهم منافقين.

قال: وقيل: «والذين لا يَجدون» معطوف على «المؤمنين»[٢]. وهذا بعيدٌ جِدًّا.

قال: وخبرُ الأوَّل على هذه الوجوهِ فيه وجهان: أحدُهما: «فيسخرون» ودخلت الفاءُ لِمَا في «الذين» مِن التشبيه بالشَّرْط. انتهى هذا الوجه، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّه إذ ذاك يكون الخبر كأنَّه مفهومٌ مِن المبتدأ؛ لأنَّ مَن عابَ وغَمَزَ أحداً هو ساخرٌ منه، فقَرُب أن يكون مِثْلَ: سَيِّدُ الجاريةِ مالِكُها، وهو لا يجوز.

قال: والثاني: أنَّ الخبرَ «سخر الله منهم» قال: وعلى هذا المعنى يجوز أن يكون «الذين يَلْمزون» في موضعِ نصبٍ بفِعْل محذوفٍ يُفسِّره: سخر، تقديره: عابَ الذينَ يَلْمزون، وقيل: الخبر محذوف، تقديره: منهم الذين يَلْمزون.

وقال أبو البقاء أيضاً: «من المؤمنين» حالٌ مِن الضمير في «المطَّوِّعين»، و«في الصدقات» متعلِّق بـ «يلمزون» ولا يتعلَّق بـ «المطَّوِّعين»؛ لئلا يَفْصِل بينهما بأجنبيٍّ. انتهى. وليس بأجنبيٍّ؛ لأنَّه حالٌ كما قُرِّر، وإذا كان حالاً جاز الفَصْل بها بين العاملِ فيها وبين معمولٍ أُخَر لذلك العامل، نحو: جاءني الذي يَمرُّ راكباً بزيدٍ.

والسُّخْرية: الاستهزاءُ، والظاهر أنَّ قولَه: «سَخِرَ اللهُ منهم» خبرٌ لفظاً ومعنًى، ويُرجِّحه عَطْفُ الخبر عليه، وقيل: صيغتُه خبرٌ ومعناهُ الدعاءُ.

ولمَّا قال: «فيسخرون منهم» قال: «سَخِرَ اللهُ منهم» على سبيل المقابَلَة، ومعناه أَمْهَلَهُم حتى ظنُّوا أنَّه أَهْمَلَهُم.

قال ابنُ عباس: وكان هذا في الخروج إلى غزوةِ تبوك[٣].

وقيل: معنى «سخر اللهُ منهم» جازَاهُم على سُخْرِيَّتهم، وجزاءُ الشيء قد يُسمَّى باسم الشيء، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) الإملاء ٢/ ١٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) النكت والعيون ٢/ ٣٨٥.

قال ابنُ عطيَّة: تسمية للعقوبة باسمِ الذَّنب، وهي عبارة عمَّا حَلَّ بهم مِن المَقْتِ والذُّلِّ في نفوسهم[١]. انتهى. وهو قريبٌ مِن القول الذي قَبْلَه.

وقال الأصَمُّ: أَمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يَقْبَلَ معاذيرَهم الكاذبة في الظاهر، ووَبَالُ فِعْلِهم عليهم كما هو، فكأنَّه سَخِرَ منهم، ولهذا قال: «ولهم عذابٌ أليم» وهو عذابُ الآخِرَة المُقِيمُ. انتهى.

وفي هذه الآية دلالةٌ على أنَّ لَمْزَ المؤمنِ والسُّخْرية منه من الكبائر؛ لما تَعقَّبهما مِن الوعيد.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٨٠﴾ سَأَلَ عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ رسولَ الله ﷺ - وكان رجلاً صالحاً - أنْ يَستغفر لأبيهِ في مَرَضه، ففَعَل، فنزلت، فقال ﷺ: «قد رُخِّص لي فأزيد على السبعين» فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢] [المنافقون: ٦].

وقيل: لمَّا نزل: «سخرَ اللهُ منهم ولهم عذابٌ أليم» سَألوا الرَّسولَ أنْ يَستغفر لهم، فنزلت[٣].

وعلى هذا فالضمائرُ عائدةٌ على الذين سَبَق ذِكْرُهم، أو على جميعِ المنافقين، قولان.

والخطاب بالأَمْرِ للرَّسول، والظاهر أنَّ المرادَ بهذا الكلام التخييرُ، وهو الذي رُوي عن رسولِ الله ﷺ، وقد قال له عمر: كيف تَستغفرُ لعدوِّ اللهِ وقد نَهَاكَ اللهُ عن

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٤، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٧٧، والخبر لم نقف عليه بهذا اللفظ، بل زيادةُ استغفارِه ﷺ لهم على السبعين عند البخاري (٤٦٧٠) و(٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤) من حديث ابن عمر ﷺ، وهو عند أحمد (٤٦٨٠) ضمن صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول، قال ابن حجر في الكافي الشافي ص٧٨: لم أجده بهذا السياق، وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر ﷺ.. وساق الحديث.
(٣) زاد المسير ٣/ ٤٧٧.

الاستغفارِ لهم؟! فقال ﷺ: «ما نهاني، ولكنَّه خيَّرني»[١]، فكأنَّه قال له عليه السلام: إنْ شئتَ فاستغفر، وإن شئتَ فلا تستغفر، ثم أعلمه أنَّه لا يَغفر لهم وإن استغفرَ سبعينَ مرَّة.

وقيل: لفظُه أَمْرٌ ومعناه الشَّرْطُ، بمعنى: إنِ استغفرتَ أو لم تَستغفر، لن يَغفر اللهُ، فيكون مِثْلَ قوله: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣] وبمنزلة قول الشاعر:

أَسِيئي بنا أو أحْسِني لا مَلُومةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[٢]

ومَرَّ الكلامُ في هذا في قوله: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣] وإلى هذا المعنى ذهب الطبريُّ وغيرُه[٣]، وهو اختيارُ الزمخشريِّ، قال: وقد ذَكَرْنا أنَّ هذا الأَمْرَ في معنى الخبرِ، كأنَّه قيل: لَنْ يَغفر اللهُ لهم، استغفرتَ أم لم تستغفر، وأنَّ فيه معنى الشَّرْط، وذَكَرنا النُّكْتَةَ في المجيء به على لفظ الأمر[٤]. انتهى. يعني في تفسير قوله تعالى: «قل أنفقوا»، وكان قال هناك: فإن قلتَ: كيف أَمَرَهم بالإنفاق، ثم قال: «لن يُتَقبَّل»؟ قلت: هو أَمْرٌ في معنى الخبر، كقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] ومعناه: لَنْ يُتَقبَّل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً، ونحوه قوله: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» وقوله:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة[٥]

أي: لن يَغفرَ اللهُ لهم، استغفرتَ لهم أو لا تستغفر لهم، ولا نَلُومُكِ أحسنتِ إلينا أو أَسَأْتِ.

فإن قيل: متى يجوز نحوُ هذا؟ قلت: إذا دلَّ الكلام عليه كما جاز في قولك: غَفَرَ اللهُ لزيدٍ ورَحِمَهُ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٤، وتخييره ﷺ ورد في الحديث السابق ضمن سؤال سيدنا عمر ﷺ عن صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبي ابن سلول.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٦٤، والبيت لكُثيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص٨٠، والمعنى: إن أساتِ أو أحسنتِ، فلستِ ملومةً ولا مقليَّةً، والقِلَى: البُغْض.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٤، وكلام الطبريّ في التفسير ١١/ ٥٩٨، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٧٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) صدر بيت لكُثيِّر عزَّة، وسلف قريباً.

فإن قلت: لِمَ فَعَلَ ذلك؟ قلت: لنُكْتَةٍ، وهي أنَّ كُثَيِّراً كأنَّه يقول لِعَزَّةَ: امْتَحِني لُطْفَ مَحَلِّكِ عندي، وقوَّةَ محبَّتي لكِ، وعامِليني بالإساءة والإحسان، وانظري هل يتفاوت حاليَ معكِ، مسيئةً كنتِ أو محسنةً، وفي معناه قولُ القائل:

أخوكَ الذي إنْ قُمْتَ بالسيفِ عامداً لتَضْرِبَهُ لم يَسْتَغِشَّكَ في الوُدِّ[١]

وكذلك المعنى: أنفقوا وانظروا هل يُتقبَّل منكم، و«استغفر لهم أو لا تستغفر لهم»، وانظر هل تَرَى خلافاً بين حالَي الاستغفار وتَرْكِه[٢]. انتهى.

وقيل: هو أَمْر مبالغة في الإياس، ومعناه: أنَّك لو طلبتَ الاستغفارَ لهم طَلَبَ المأمور، أو تَرَكْتَه تَرْكَ المنهيِّ عنه، لم يغفرْ لهم[٣].

وقيل: معناه الاستواءُ، أي: استغفارُك لهم وتَرْكُ الاستغفار سواء.

فإن قلت: كيف جازَ أنْ يَستغفر لهم وقد أُخبِرَ أنَّهم كفروا؟

فالجواب قالوا مِن وجوه: أحدها: أنَّ ذلك كان على سبيلِ التأليف ليخلصَ إيمانُ كثيرٍ منهم، وقد رُويَ أنَّه لمَّا استغفرَ لابنِ سَلُول وكساهُ ثوبَه وصلَّى عليه، أَسْلَمَ ألفٌ مِن الخزرج، لمَّا رَأَوْهُ يَطلب الاستشفاءَ بثوبِ الرَّسول[٤]، وكان رأسَ المنافقين وسيِّدَهم.

وقيل: فَعَلَ ذلك تطييباً لقَلْب ولدِه ومَن أَسْلَم منهم، وهذا قريبٌ ممَّا قَبْلَه.

وقيل: كان المؤمنون يسألونَ الرَّسولَ ﷺ أنْ يَسْتَغفر لقومِهم المنافقين في حياتهم؛ رجاءَ أن يخلصوا في إيمانهم، وبَعْدَ مماتِهم؛ رجاءَ الغفرانِ، فنهاهُ الله عن ذلك وأيْأَسهم منه، وقد سأل عبدُ الله بنُ عبدِ الله الرَّسولَ أنْ يَستغفر لأبيه رجاءَ أنْ يُخفِّف عنه.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٥، والبيت في العقد الفريد ٢/ ٣٠٧، والزهرة لابن داود الأصفهاني، الباب الثاني والثمانون، ذِكْر آداب المجالسات وحسن المنادمات. دون عزوٍ.

(٢) الكشاف ٢/ ١٩٥.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٣٨٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٠٦، وأورده أيضاً الثعلبي في التفسير ٣/ ٢٣٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٨٠-٤٨١، ونسباه للزجاج.

وقيل: إنَّما استغفرَ لقومٍ منهم على ظاهر إسلامهم مِن غير أن يحقّق خروجهم عن الإسلام، ورُدَّ هذا القولُ بأنَّه تعالى أخبر أنَّهم كفروا، فلا يَصحُّ أَنْ يُقال: إنَّه غيرُ عالمٍ بكفرهم.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: الأقربُ في تعلُّق هذه الآية بما قَبْلَها ما ذكره ابنُ عباس أنَّ الذين كانوا يَلْمِزونَ هم الذين طَلَبوا الاستغفارَ، ولا يجوز أن يكونَ الرَّسولُ ﷺ اشْتَغَلَ بالاستغفارِ فنهاه عنه؛ لوجوه: الأوَّل: أنَّ المنافقَ كافرٌ، وقد ظهر في شَرْعِه عليه السلام أنَّ الاستغفارَ للكافرِ لا يَجوز، فلهذا السببِ أَمَرَه اللهُ تعالى بالاقتداءِ بإبراهيم عليهما السلام إلَّا في قوله: لأستغفرنَّ لك، وإذا كان هذا مشهوراً في الشَّرْعِ، فكيف يَجوز الإقدام عليه؟

الثاني: أنَّ استغفارَ الغَيْرِ للغيرِ لا يَنفعه إذا كان ذلك الغيرُ مُصِرًّا على القبيح والمعصية.

الثالث: أنَّ إقْدَامه على الاستغفار للمنافقين يَجري مَجرى إغرائهم بالإقدام على الذَّنْب.

الرابع: أنَّه إذا كان لا يُجيبه بقي دعاءُ الرسول مردوداً عندَ اللهِ، وذلك يُوجِبُ نقصانَ مَنْصِبه ﷺ.

الخامس: أنَّ هذا الدعاءَ لو كان مقبولاً من الرَّسولِ لكان قليلُه مِثْلَ كثيرِه في حصول الإجابة، فثَبَتَ أنَّ المقصودَ مِن هذا الكلام أنَّ القومَ لمَّا طلبوا منه أنْ يَستغفرَ لهم، مَنَعَهُ اللهُ منه، وليس المقصود مِن ذِكْر هذا العددِ تحديدَ المَنْعِ، بل هو كما يقول القائلُ لمَن سأله حاجةً: لو سَأَلْتني سبعينَ مرَّة لم أَقْضِها لكَ، لا يُريد بذلك أنَّه إذا زادَ قَضَاها، فكذا هاهنا، والذي يُؤكِّد ذلك قولُه تعالى في الآية «ذلك بأنَّهم كفروا» فبيَّن أنَّ العِلَّة التي لأَجْلِها لا يَنفعهم استغفارُ الرسول لهم وإن بَلَغَ سبعينَ مرَّةً هي كفرُهم وفِسْقُهم، وهذا المعنى قائمٌ في الزيادة على السبعين، فصار هذا القليلُ شاهداً بأنَّ المرادَ إزالة الطَّمَع أنْ يَنفعهم استغفارُ الرَّسول مع إصرارهم على كفرهم، ويؤكّد «والله لا يهدي القوم الفاسقين»، والمعنى أنَّ فِسْقَهم مانعٌ مِن الهداية، فثبت أنَّ الحقَّ ما ذَكَرناه[1].

(١) تفسير الرازي ١٦/١٤٧-١٤٨.

وقال الأزهريُّ في جماعة مِن أهلِ اللغة: السبعون هنا جَمْعُ السَّبْعة المستعملَةِ للكثرة لا السبعةِ التي فوق السِّتَّة. انتهى. والعرب تَستكثر في الآحاد بالسبعة، وفي العَشَرات بالسَّبْعِين، وفي المِئِين بسبع مئة.

قال الزمخشريُّ: والسبعون جارٍ مَجرى المَثَل في كلامهم للتكثير، قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهه:

لأُصْبِحَنَّ العاصِ وابنَ العاصي سبعينَ ألفاً عاقِدِي النَّواصِي[1]

قال ابنُ عطيَّة: وأمَّا تمثيله بالسَّبْعِين دونَ غيرها مِن الأعداد؛ فلأنَّه عَدَدٌ كثيراً ما يَجِيءُ غايةً ومُقْنِعاً[2] في الكَثْرةِ، أَلَا تَرَى إلى القوم الذين اختارهم موسى، وإلى أصحاب العَقَبة، وقد قال بعضُ اللغوِّيين: إنَّ التصريفَ الذي يكون من السينِ والباءِ والعينِ هو شديدُ الأمْر، مِن ذلك السَّبْعَة، فإنَّها عددٌ مُقْنِع، هي في السماوات، وفي الأرض، وفي خَلْق الإنسان، وفي بَدَنه، وفي أعضائه التي بها يُطيع اللهَ، وبها يَعصيه - وبهذا ترتَّبت أبوابُ جهنَّم فيما ذَكَر بعضُ الناس - وهي: عيناه وأُذُناه ولسانه[3] وبَطْنه وفَرْجه ويَدَاه ورِجْلَاه، وفي سهام المَيْسِر، وفي الأقاليم، وغيرِ ذلك، ومِن ذلك السَّبُع، والعَبُوس، والعَنْبَس[4]، ونحو هذا مِن القول[5]. انتهى.

واستدلَّ القائلون بدليلِ الخطاب وأنَّ التخصيصَ بالعَدَد يدلُّ على أنَّ الحُكم فيما وراءَ ذلك بخلافه = بما روي أنَّه قال: «واللهِ لأَزِيدنَّ على السبعين» ولم يَنْصَرف حتى نزل «سواء عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تَستغفر لهم لَنْ يَغفرَ اللهُ لهم» فكفَّ عنه[6].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٠٥، والرجز في النكت والعيون ٥/ ٧٧، وديوان سيدنا عليّ ﷺ ص٥٨، وورد عند الأخير: لأوردنَّ، بدل: لأصبحنَّ.
(٢) في مطبوع المحرر الوجيز ٣/ ٦٤: وتحقيقاً.
(٣) في النسخ عدا (ح) و(ز١): وأسنانه. والمثبت منهما ومن المحرر الوجيز ٣/ ٦٥.
(٤) هو الأسد، وهو فَنْعَل من العُبوس. اللسان (عبس).
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٦٤-٦٥.
(٦) تفسير الرازي ١٦/ ١٤٧، وسلف تخريج الخبر قريباً.

قيل: ولقائلٍ أنْ يقولَ: هذا الاستدلالُ بالعكس أوْلى؛ لأنَّه تعالى لمَّا بيَّن أنَّه لا يَغفر لهم البتَّةَ ثَبَتَ أنَّ الحالَ فيما وراءَ العددِ مساوٍ للحالِ في العَدَد، وذلك يدلُّ على أنَّ التقييدَ بالعَدَد لا يُوجِب أن يكون الحُكم فيما وَراءَهُ بخلافه[1].

قال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: كيف خَفيَ على رسولِ الله ﷺ وهو أفصحُ العرب وأخبرُهم بأساليبِ الكلام وتمثيلاته، والذي يُفهَم مِن ذِكْر هذا العدد كثرةُ الاستغفار، كيف وقد تَلَاه بقوله تعالى: «ذلك بأنَّهم كفروا» الآية، فبيَّن الصارفَ عن المغفرة لهم حتى قال: «رَخَّصَ لي ربِّي فأَزيد على السبعين»[2]؟ قلت: لَمْ يَخْفَ عليه ﷺ ذلك، ولكنَّه خَيَّلَ بما قال؛ إظهاراً لغايةِ رحمته ورأفته على مَن بُعِثَ إليه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وفي إظهار النبيِّ ﷺ الرأفةَ والرحمةَ لُطْفٌ لأمَّته ودعاءٌ لهم إلى ترحُّم بعضِهم على بعض[3]. انتهى.

وفي هذا السؤالِ والجواب غَضٌّ مِن مَنْصِب النبوَّة وسوءُ أدبٍ على الأنبياء ونسبةٌ إليهم ما لا يَليق بهم، وإذا كان ﷺ يقول: «لم تكن لنبيٍّ خائِنَةُ الأَعْيُن» أو كما قال[4]، وهي الإشارة، فكيف يكون له النطقُ بشيءٍ على سبيل التخييل، حاشا منصبَ الأنبياء عن ذلك، ولكن هذا الرجل مُسَرِّح الألفاظَ في حقِّ الأنبياء بما لا يَليق بحالهم، ولقد تكلَّم عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣]، بكلامٍ في حقِّ الرسول نَزَّهْتُ كتابي هذا أَنْ أَنْقُلَه فيه[5]، واللهُ تعالى يَعصمنا مِن الزَّلَل في القول والعمل.

«ذلك» إشارةٌ إلى انتفاءِ الغفران وتبيينِ العلَّة الموجِبَة لذلك، وانتفاء هداية اللهِ الفاسقين هو للذين حَتَم لهم بذلك، فهو عامٌّ مخصوص.

(١) المصدر السابق.
(٢) سلف تخريجه قريباً.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٥.
(٤) ولفظه ﷺ: «إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنةُ أعيُن»، وهو عند أبي داود (٢٦٨٣)، والنسائي في المجتبى ٧/ ١٠٥-١٠٦ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.
(٥) ينظر الكشاف ٢/ ١٩٢.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لمَّا ذَكَر تعالى ما ظَهر مِن النِّفاق والهُزْءِ مِن الذين خرجوا معه إلى غزوة تَبُوك مِن المنافقين، ذَكَر حالَ المنافقين الذين لم يَخرجوا معه وتخلَّفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذارٍ وعِلَلٍ كاذبة حتى أَذِنَ لهم، فكشف اللهُ للرسولِ ﷺ عن أحوالهم وأعْلَمه بسوءِ فِعالهم، فأنزل عليه: «فَرِحَ المُخلَّفون» الآية، أي: عن غزوة تبوك، وكان الرَّسولُ قد خلَّفهم بالمدينة لمَّا اعتذروا، فأَذِنَ لهم، وهذه الآية تقتضي التوبيخَ والوعيدَ، ولفظة «المُخلَّفون» تقتضي الذَّمَّ والتحقيرَ، ولذلك جاء «رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخَوالف» وهي أَمْكَنُ مِن لفظ: المُتخلِّفين، إذ هم مفعولٌ بهم ذلك، ولم يَفْرَح إلَّا منافق، فخرج مِن ذلك الثلاثةُ وأصحابُ العُذْرِ.

ولفظ: المَقْعَد، يكون للزمان والمكان والمصدر، وهو هنا للمصدر، أي: بقعودهم، وهو عبارة عن الإقامة بالمدينة، وانتصب «خلاف» على الظرف، أي: بَعْدَ رسولِ الله ﷺ، يقال: فلانٌ أقامَ خلافَ الحَيِّ، أي: بَعْدَهم، إذا ظَعنوا ولم يَظْعَن معهم، قاله أبو عبيدة والأخفش[(١)] وعيسى بن عُمر، وقال الشاعر:

عَقَبَ الربيعُ خلافَهُم فكأنَّما بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهنَّ حَصِيْرا[(٢)]

ومنه قول الشاعر:

فَقل للذي يبقى خلافَ الذي مَضَى تَأَهَّبْ لأُخْرَى مِثْلِها فكأَنْ قَدِ[(٣)]

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٦٤، وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٥٨، وفيه أنَّ مخالفة مصدر: خالفوا.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٦٤، ونقله عنه الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٣٢، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٦٥، والبيت أورده أيضاً الطبريُّ في التفسير ١١/ ٦٠٢، والمعري في الفصول والغايات ص٤٥٣، دون نسبة، والأصفهاني في الأغاني ٣/ ٣٣٧ و١٧/ ٥٠، وابن منظور في اللسان (خلف)، ونسباه للحارث بن خالد المخزومي، وورد عنده: الرذاذ، بدل: الربيع، والشواطب: النساء اللواتي يَشطُبْنَ لحاءَ السَّعَف يَعْملنَ منه الحُصْر.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٥، والبيت لعبيد بن الأبرص، وهو في ديوانه ص٦٨ ضمن قصيدة طويلة يخاطب في آخِرها امرأَ القيس الذي كان يُهدِّد بني أسد قوم عبيد الذين قتلوا أباه.
=

ويُؤيِّد هذا التأويلَ قراءةُ ابنِ عباس وأبي حَيْوَة وعمرو بنِ ميمون: «خَلْفَ رسولِ الله»[١].

وقال قطرب ومُؤَرِّج والزجَّاج والطبريُّ[٢]: انتصب «خلاف» على أنَّه مفعول لأَجْله، أي: لمخالفةِ رسولِ الله؛ لأنَّهم خَالفوه حيث نَهَضَ للجهاد وقَعدوا، ويؤيِّد هذا التأويلَ قراءةُ مَنْ قَرَأَ: «خُلْفَ» بضمِّ الخاء[٣]، وما تظاهرت به الروايات مِن أنَّه أَمَرَهم بالنَّفر، فغَضبوا وخالفوا وقَعدوا مستأذِنين وغير مستأذِنين، وكراهتهم للجهاد؛ هي لكونهم لا يَرجون به ثواباً، ولا يَدفعون بزعمهم عنهم عقاباً.

وفي قوله: «فَرِحَ» و«كَرهوا» مقابلة معنويَّة؛ لأنَّ الفَرَح مِن ثمرات المحبَّة.

وفي قوله: «أَنْ يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم» تعريضٌ بالمؤمنين وبتحمُّلهم المَشاقَّ العظيمةَ، أي: كالمؤمنين الذين بَذَلوا أموالَهم وأنفسهم في الجهاد في سبيل الله وآثَرُوا ذلك على الدَّعَة والخَفْض، وكَرِهَ ذلك المنافقون، وكيف لا يَكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين مِن باعثِ الإيمان.

والفَرَحُ بالقُعود يتضمَّن الكراهةَ للخروج، وكأنَّ الفَرَح بالقعود هو لمَيْل الإقامة ببلده؛ لأجل الأُلفة والإيناس بالأهل والوَلَد، وكراهة الخروج إلى الغزو؛ لأنَّه تعريضٌ بالنَّفْس والمالِ للقَتْل والتَّلَف، واستعذروا بشِدَّة الحَرِّ، فأجاب اللهُ تعالى عمَّا ذكروا أنَّهُ سببٌ لتَرْكِ النَّفر.

= والبيت المذكور أعلاه كان الشافعيُّ ﷺ كثيراً ما ينشده مع بيتٍ آخَر، وهو:

تمنَّى رجال أن أموت وإن أمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

ذكر ذلك ابن حبان في روضة العقلاء ص٢٨٧، وأورده أيضاً المرزباني في معجم الشعراء ص٦، وابن منظور في اللسان (خلف)، ولم ينسباه، مع الإشارة إلى أنه ورد في ديوان عبيد: يبغي، بدل: يبقى، وكذا ورد في تاج العروس (خلف).

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٣ عن عمرو بن ميمون، والقراءات الشاذة ص٥٤ عن أبي حيوة، والمحرر الوجيز ٣/ ٦٦ عن ابن عباس وأبي حيوة، وزاد المسير ٣/ ٤٧٨ عن ابن مسعود وابن يعمر والأعمش وابن أبي عبلة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٦٣، وتفسير الطبري ١١/ ٦٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦.

«وقالوا» أي: قال بعضُهم لبعضٍ، وكانوا أربعةً وثمانينَ رجلاً، وقيل: «قالوا» للمؤمنين، لم يَكفهم ما هم عليه مِن النِّفاق والكَسَل حتى أرادوا أن يُكسِلوا غيرَهم ويُنبِّهوهم على العلَّة الموجبة لتَرْك النَّفر.

قال ابنُ عباس وأبو رَزِيْن والرَّبيع: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ الحَرُّ شديدٌ، فلا نَنْفِر في الحَرِّ. وقال محمد بن كعب: هو رجلٌ مِن بني سَلِمة[1]. انتهى. أي: قال ذلك عن لسانهم، فلذلك جاء: «وقالوا» بلفظ الجَمْع، وكانت غزوةُ تبوك في وقتِ شِدَّة الحَرِّ وطِيْبِ الثمار والظِّلال، فأَمَرَ اللهُ نبيَّه أن يقول لهم: «قُلْ نارُ جهنَّم أشدُّ حرًّا» أقام عليهم الحُجَّة بأنَّه قيل لهم: إذا كُنتم تَجزعون مِن حَرِّ القَيْظِ، فنارُ جهنَّم التي هي أشدُّ أَحْرَى أنْ تَجزعوا منها لو فَقُهْتُم.

قال الزمخشريُّ: «قُلْ نارُ جهنَّم أشدُّ حرًّا» استجهالٌ لهم؛ لأنَّ مَن تَصوَّنَ مِن مشقَّة ساعةٍ فوَقَعَ بسبب ذلك التصوُّنِ في مشقَّةِ الأبَد، كان أجهلَ مِن كلِّ جاهل، ولبعضهم:

مَسَرَّة أحقابٍ تلقَّيت بَعْدَها ... مساءَة يومٍ أَرْيُها شَبَهُ الصَّابِ
فكيفَ بأنْ تَلْقى مسرَّة ساعةٍ ... ورَاءَ تَقضِّيها مساءةُ أحقابِ[2]

انتهى.

وقرأ عبد الله: «يعلمون» مكان «يفقهون»[3]، وينبغي أن يُحمل ذلك على معنى التفسير؛ لأنَّه مخالفٌ لسوادِ ما أَجمع المسلمون عليه، ولِمَا رَوَى عنه الأئمَّةُ.

والأَمْرُ بالضَّحِك والبكاء في معنى الخبر، والمعنى: فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً، إلَّا أنَّه أُخرج على صيغة الأَمْرِ؛ للدلالة على أنَّه حَتْمٌ لا يكون غيره.

---

(١) المصدر السابق، وأثَر ابن عباس ومحمد بن كعب عند الطبري ١١/ ٦٠٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٥، ونقلهما عنه الرازيُّ في التفسير ١٦/ ١٤٩-١٥٠، والنيسابوري ١٠/ ١٤٠، وأوردهما السمينُ في الدر ٦/ ٩٢، وابنُ عادل في اللباب ١٠/ ١٥٩، والأَرْي: العسل، والصَّاب: شجر مُرٌّ، ومفرده: صابة. القاموس (أري) و(صوب).

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦.

رُوِيَ أنَّ أهلَ النِّفاق يكونون في النار عُمْرَ الدنيا لا يَرْقَأُ لهم دمعٌ ولا يَكتحلون بنوم[١].

والظاهر أنَّ قوله: «فليضحكوا قليلاً» إشارة إلى مُدَّة العُمُر في الدنيا، «وليبكوا كثيراً» إشارة إلى تأبيدِ الخلود، فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبرُ عن حالهم.

قال ابنُ عطيَّة[٢]: ويحتمل أن يكون صفةَ حالهم، أي: هُمْ لِمَا هُمْ عليه مِن الخطر مع اللهِ وسوءِ الحال بحيث ينبغي أن يكون ضَحِكهم قليلاً وبكاؤهم مِن أجل ذلك كثيراً، وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا، نحو قوله عليه السلام لأُمَّته: «لَو تَعلمونَ مَا أَعْلَمُ لبَكَيْتم كثيراً ولضَحِكتم قليلاً»[٣].

وانتصب «قليلاً» و«كثيراً» على المصدر؛ لأنَّهما نعتٌ للمصدر، أي: ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً، وهذا مِن المواضع التي يُحذَف فيها المنعوتُ ويَقوم نعته مَقامه، وذلك لدلالة الفِعْل عليه.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكونا نعتاً لظَرْف محذوف، أي: زماناً قليلاً وزماناً كثيراً[٤]. انتهى. والأوَّل أجودُ؛ لأنَّ دلالةَ الفِعْل على المصدر (٥بحروفه، ودلالتَه على الزمان بنيته، فدلالتُه على المصدر٥) أقوى.

وانتصب «جزاء» على أنَّه مفعولٌ لأجله، وهو متعلِّق بقوله: «وليَبْكوا كثيراً».

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الخطابُ للرَّسول، والمعنى: «فإنْ رَجَعك اللهُ» مِن سَفَرك هذا، وهو غزوة تبوك، قيل: ودخول «إنْ» هنا وهي للمُمْكِن وقوعُه غالباً إشارة إلى أنَّه ﷺ لا يَعلم بمُستَقبلات

(١) الكشاف ٢/ ٢٠٥-٢٠٦، والخبر أورده أيضاً الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٣/ ٢٣٣ وعزاه لابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦، وما قبله منه أيضاً.
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٣١)، ومسلم (٩٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو عند أحمد (٢٥٣١٢).
(٤) الإملاء ٢/ ١٩.
(٥-٥) ليست في (أ) و(ح) و(ع).

أَمْرِه مِن أَجَلٍ وغيرِه إلَّا أَنْ يُعْلِمَهُ الله، وقد صرَّح بذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُرْ﴾، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأحقاف: ٩]، قال نحوَه ابنُ عطيَّة وغيرُه[(١)].

«إلى طائفةٍ منهم» لأنَّ منهم مَن مات، ومنهم مَن تاب ونَدِمَ، ومنهم مَن تخلَّف لعذرٍ صحيح، فالطائفةُ هنا الذين خلصوا في النِّفاق وثَبتوا عليه، هكذا قيل، وإذا كان الضمير في «منهم» عائداً على المُخلَّفين الذين فَرحوا وكَرهوا أَنْ يُجاهِدوا، فالذي يَظهر أَنَّ ذِكْرَ الطائفة هو لأَجْلِ أَنَّ منهم مَن مات.

قال ابن عطية: ويُشبه أن تكون هذه الطائفة قد حُتِمَ عليها بالموافاة على النِّفاق، وعُيِّنُوا للنبيِّ ﷺ، وإلا فكيف يترتَّب على أَنْ لا يُصلِّيَ على موتاهم إن لم يُعيِّنهم[(٢)].

وقوله: «وماتوا وهم فاسقون» نَصٌّ في موافاتهم، ومِمَّا يُؤَيِّد هذا أَنَّ النبي ﷺ عيَّنهم لحذيفة بنِ اليَمَان[(٣)]، وكانت الصحابةُ إذا رَأَوْا حذيفةَ تأخَّر عن الصلاةَ على جنازةِ رجلٍ تأخَّروا هم عنها[(٤)]، ورويَ عن حذيفة أنَّه قال يوماً: بقيَ مِن المنافقين كذا وكذا، فقال له عمر بن الخطاب: أَنْشُدك اللهَ أَنَا منهم؟ فقال: لا، واللهِ، لا أَمَّنْتُ منها أحداً بَعْدَك[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦.
(٢) المصدر السابق، وما بعده منه أيضاً.
(٣) ورد ذلك في خبرٍ عن ابنِ إسحاق، وهو عند البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٥٧-٢٥٩ في قصَّة رجوعه ﷺ من غزوة تبوك، وورد أيضاً عند عبد الرزاق (٢٠٤٢٤) ـ ومن طريقه البيهقيُّ في السنن الكبرى ٨/ ٢٠٠ ـ عن معمر، عن الزهري، عن حذيفة ﷺ، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، ولذلك كان يُقال لحذيفة: إنَّه صاحبُ السِّرِّ الذي لا يَعلمه غيرُه، كما ورد ذلك عند البخاري (٣٧٤٣) أنَّ أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السِّرِّ الذي لا يَعلمه غيرُه، يعني حذيفة. وهو عند أحمد (٢٧٥٣٨).
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦، وينظر الخبر السالف الذكر.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، والخبر بهذا اللفظ مؤلَّف من خبرين، وهما عند ابن أبي شيبة (٣٨٥٤٥) عن زيد بن وهب، و(٣٨٥٤٦) عن زيد بن وهب، عن حذيفة، وقول حذيفة الأول ورد عند البخاري (٤٦٥٨) هكذا: ما بقي من أصحاب هذه =

وأَمْرُ اللهِ نبيَّه عليه السلام أَنْ يقول لهم: «لَن تَخرجوا معي» هو عقوبةٌ لهم وإظهارٌ لدناءَة منزلتهم وسُوء حالهم، وهذا هو المقصود في قصَّة ثعلبة بنِ حاطب التي تقدَّمت في الامتناع مِن أَخْذِ صدقته، ولا خِزْيَ أعظمُ مِن أن يكون إنسانٌ قد رَفَضَهُ الشَّرْعُ ورَدَّهُ كالجَمَل الأَجْرَبِ[1].

قال الزمخشريُّ: «فاستأذنوكَ للخروج» يعني إلى غزوةٍ بَعْدَ غزوةِ تبوك، وكان إسقاطُهم مِن ديوان الغَزَاة عقوبةً لهم على تخلُّفهم الذي عَلِمَ اللهُ تعالى أنَّه لم يَدْعُهُم إليه إلَّا النِّفاق، بخلاف غيرِهم مِن المخلَّفين[2]. انتهى.

وانتقلَ بالنفي مِن الشَّاقِّ عليهم وهو الخروج إلى الغَزَاة إلى الأَشَقِّ وهو قتالُ العدو؛ لأنَّه عُظْمُ الجهاد، وثَمرةُ الخروج، وموضعُ بارِقَة السيوف التي تحتها الجنَّة، ثمَّ علَّل انتفاءَ الخروج والقتال بكونهم رَضُوا بالقعود أَوَّل مرَّة، ورضاهم ناشِئٌ عن نِفاقهم وكفرهم وخداعهم، وعصيانهم أَمْرَ اللهِ في قوله: «انفروا خفافاً وثقالاً» وقالوا هم: «لا تَنفروا في الحَرِّ» فعَلَّل بالمسبَّب وهو الرضا الناشئ عن السبب وهو النِّفاق.

و«أوَّل مرَّة» هي الخَرْجة إلى غزوة تبوك، و«مَرَّة» مصدر، كأنَّه قيل: أوَّل خَرْجة دُعيتم إليها، لأنَّها لم تكن أوَّل خَرْجة خَرَجها الرَّسول للغَزاة، فلا بُدَّ مِن تقييدها، إذ الأَوَّليَّة تقتضي السَّبق.

وقيل: التقدير: أوَّل خَرْجة خَرَجها الرَّسول لغزوِ الروم بنفسه، وقيل: «أوَّل مرَّة» قَبْلَ الاستئذانِ.

وقال أبو البقاء: «أوَّل مرَّة» ظرف[3]. ويعني ظرفَ زمان، وهو بعيدٌ.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: «مرَّة» نكرة وُضعت موضعَ المرَّات للتفضيل، فَلِمَ ذُكِّرَ اسمُ التفضيل المضافُ إليها وهو دَالٌّ على واحدةٍ مِن المرَّات؟

= الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة... الخبر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٦.

(٣) الإملاء ٢/ ١٢، عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [التوبة: ١٣].

قلت: أكثر[١] اللُّغتين: هندٌ أكبرُ النِّساء، وهي أَكْبَرُهنَّ، ثم إنَّ قولك: هي كُبْرى امرأة، لا تَكاد تَعثر عليها، ولكن: هيَ أكبرُ امرأةٍ، وأوَّلُ مَرةٍ، وآخِرُ مَرةٍ[٢]. انتهى.

وذكرَ[٣] في إضافةِ صيغة التفضيل إلى مَعْرِفة المؤنَّثِ أنَّ الأكثر فيها الإفرادُ، واختلف في ذلك إذا أُضيفت الصيغةُ إلى مَعْرِفة، فذهب ابنُ الأنباري إلى أنَّ إفرادَه مُذكَّراً أفصحُ، وذهب أبو منصور الجواليقيُّ إلى أنَّ المطابقةَ أفصحُ[٤]؛ فلذلك ردَّ على ثعلب في قوله في كتاب «الفصيح»: فاخترنا أفصحهنَّ[٥]. وكان الأولى أن يقول: فصحاهنَّ، وقال الفرَّاء: يجوز أن يؤنَّث إذا أضيف إلى نكرة قريبة من المعرفة، فنقول: هند فُضْلَى امرأةٍ تقصدنا.

«فاقعدوا مع الخالفين» أي: أقيموا، وليس أَمْراً بالقعود الذي هو نظيرُ الجلوس، وإنَّما المراد منْعُهم مِن الخروج معه.

قال أبو عبيدة: الخالفُ الذي خَلَفَ بَعْدَ خارجٍ فقعدَ في رِحْلِه، وهو الذي يتخلَّف عن القوم[٦]. وقيل: «الخالفين» المخالفين، من قولِهم: عبدٌ خَالِفٌ، أي: مُخالِفٌ لمولاه، وقيل: الأخِسَّاء الأذنياء، مِن قولهم: فلانٌ خالِفَةُ قومِه، لأَخَسِّهم وأَرْذَلهم.

ودلَّت هذه الآيةُ على توقِّي صُحبة مَن يظهر له منه مَكْر وخداع وكَيْد، وقَطْعِ العُلْقَة بينهما، والاحتراز منه، وعن قتادة: ذُكرَ لنا أنَّهم كانوا اثني عشر رَجُلاً[٧].

قال ابنُ عطيَّة: والخالِفون: جميعُ مَن تخلَّف مِن نساءٍ وصبيان وأهلِ عُذْرٍ، غُلِّب المُذَكَّر فجُمعَ بالواو والنون، وإن كان ثَمَّ نساء، وهو جَمْعُ: خالف، وقال قتادة: الخالفون: النِّساء، وهذا مردودٌ، وقال ابنُ عبَّاس: هم الرِّجال، وقال

---

(١) من هنا إلى قوله: فضلى امرأة تقصدنا. ليست في (أ) و(د١) و(ع)، وجاء مكانها بياض في (أ) و(د١) بمقدار سطرين ونصف تقريباً، وورد بهامش (د١) ما نصّه: كذا في الأصل.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٦.
(٣) من هنا إلى قوله: فضلى امرأة تقصدنا. ليست في (ح) والمطبوع، وهي أيضاً ليست في (أ) و(د١) و(ع) كما أشرنا إليه قريباً.
(٤) ينظر قول ابن الأنباري والجواليقي في همع الهوامع ٣/ ٩٧.
(٥) التلويح في شرح الفصيح للهروي ص٢، ضمن مقدّمة الكتاب.
(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٦٥، وينظر زاد المسير ٣/ ٤٨٠.
(٧) الكشاف ٢/ ٢٠٦، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٧.

الطبريُّ: يَحتمل قوله: «في الخالفين» أَنْ يُريد الفاسدين، فيكون ذلك مأخوذاً مِن: خَلَفَ الشَّيْءُ إذا فَسَدَ، ومنه: «خُلُوفُ فَمِ الصائم»(١).

وقرأ مالك بنُ دينار وعكرمة: «مع الخَلِفين»(٢) وهو مقصورٌ مِن الخالفين، كما قال: عَرِداً وبَرِداً(٣)، يريد: عارِداً وبارِداً، وكما قال الآخَرُ:

مِثْلُ النَّقَا لَبَّدَهُ ضَرْبُ الظَّلَلْ(٤)

يريد: الظِّلَال(٥).

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٦٦-٦٧، وخبر قتادة سلف تخريجه آنفاً، وخبر ابن عباس عند الطبري ١١/ ٦٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٧، وكلام الطبري في التفسير ١١/ ٦١٠، والحديث المرفوع الأخير عند البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو عند أحمد (٧١٧٤).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٦٧، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤، والمحتسب ١/ ٢٩٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٣ عن مالك بن دينار.

(٣) يعني قولَ الراجز، كما في المحرر الوجيز ٣/ ٦٧، والمحتسب ١/ ٢٩٩:

أصبح قلبي صَرِدا لا يشتهي أن يَرِدا

إلا عَرَاداً عَرِدا وصِلِّياناً بَرِدا

وهو مما وضعته العرب على ألسنة البهائم، وهو قولٌ للضَّبِّ رادًّا فيه على الضفدع حين خاصمه في الظمأ، أيُّهما أصبر، والرجز في الحيوان للجاحظ ٦/ ١٢٥، وإصلاح المنطق ص٤٣٦، والمستقصى ١/ ١٤٠، ومجمع الأمثال ١/ ٣١٦، قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص٥٩١: هذا من منهوك الرجز، والصَّرِد: الذي يجد البرد، والعَرَّاد: ضربٌ من النبت، والعَرِد: الكثير الذي قد طال. والصِّلِّيان: نبت واحدته بهاء. القاموس (صلل).

(٤) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٦٧، والذي في المحتسب ١/ ٢٩٩، والخصائص لابن جنِّيّ ٣/ ١٣٤، واللسان (طلل)، ونضرة الإغريض في نصرة القريض للمظفر العلوي ص٤٨: الطَّلل، وفي اللسان (طلل): الطَّلَل، وكلاهما بالطاء، قال ابن منظور: فإنه أراد: ضَرْب الطَّلِّ، ففكَّ المُدْغَم ثمَّ حرَّكه، ورواه غيره: ضَرْب الطِّلَل، أراد: ضرب الطِّلال، فحذف ألف الجمع. اهـ. والطَّلُّ: المطر الصغارُ القَطْرِ الدائمُ، ولم نقف على رواية: الظِّلل، بالظاء، فيما بين أيدينا من مصادر قبل أبي حيان، وورد في لسان العرب (ظلل): والظِّلال: ما أظلَّك من سحابٍ ونحوِه. اهـ. ولعلَّه المرادُ برواية الظاء، والله تعالى أعلم.

(٥) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٦٧، والذي في المصادر السابقة: الطِّلال. بالطاء.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ النَّهْيُ عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا عقوبةٌ ثانيةٌ وخِزْيٌ مُتَأَبّد عليهم، وكان فيما رُوِيَ يُصلِّي على المنافقين إذا ماتوا ويَقوم على قبورهم؛ بسبب ما يُظهرونه مِن الإسلام، فإنَّهم كانوا يتلفَّظون بكلمتي الشهادة ويُصَلُّون ويَصومون، فبنى الأَمْر على ما ظَهر مِن أقوالهم وأفعالهم وَوَكَلَ سرائرَهم إلى الله، ولم يَزَل على ذلك حتى وقعت واقعةُ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ، وطوَّل الزمخشريُّ وغيرُه في قصَّته[1]، فتظافرت الرواياتُ أنَّه صلَّى عليه، فنزلت هذه الآيةُ بَعْدَ ذلك، وروى أنس أنَّه لمَّا تقدَّم ليُصلِّي عليه جاءه جبريلُ فجَبَذَهُ بثوبه وتَلَا عليه: و«لا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً» فانصرفَ ولم يُصَلِّ[2]، وذكروا محاورةَ عمرَ لرسولِ الله ﷺ حين جاءَ ليُصلِّي عليه[3].

و«مات» صفةٌ لـ «أَحَد»، تقدَّم الوَصْف بالمجرور ثمَّ بالجملة وهو ماضٍ بمعنى المُسْتَقْبَل؛ لأنَّ الموتَ غيرُ موجود لا محالة، نَهَاهُ تعالى عن الصلاةِ عليه، والقيامِ على قَبْرِه؛ وهو الوقوف عند قَبْرِه حتى يفْرغ مِن دفنه.

وقيل: المعنى: ولا تَتولَّ دفنَه وقَبْرَه، فالقَبْرُ مصدرٌ، كان ﷺ إذا دفنَ الميتَ وَقَفَ على قَبْرِه ودَعَا له، فنُهِيَ عن ذلك في حقِّ المنافقين، فلم يُصَلِّ بَعْدُ على منافقٍ، ولا قامَ على قبره.

«إنَّهم كفروا» تعليلٌ للمَنْع مِن الصلاة والقيامِ بما يقتضي الامتناع مِن ذلك، وهو الكفر والموافاةُ عليه.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ تقدَّم نظيرُ هذه الآية وأُعيد ذلك؛ لأنَّ تَجدُّد النزول له شأنٌ في

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٢٠٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٦٧-٦٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٣-٢٣٤، والقرطبي ١٠/ ٣١٩-٣٢١.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو يعلى (٤١١٢)، والطبري ١١/ ٦١٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٢: رواه أبو يعلى، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وفيه كلام وقد وثق.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٤٠٠)، من حديث ابن عمر ﵄، وهو عند أحمد (٤٦٨٠).

تقريرِ ما نَزَل له وتأكيدِه، وإرادةِ أن يكون على بالٍ مِن المخاطَب لا يَنساه ولا يَسهو عنه، وأنْ يَعتقدَ أنَّ العملَ به مُهِمٌّ مفتقر إلى فَضْلِ عناية به، لاسيَّما إذا تراخى ما بينَ النزولين، فأشبه الذي أهمَّ صاحبَه، فهو يَرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلَّص إليه، وإنَّما أُعيد هذا المعنى؛ لقوَّته فيما يجب أن يحذرَ منه، قاله الزمخشري(١).

وقال ابنُ عطيَّة: ووجهُ تكريرها توكيدُ هذا المعنى(٢).

وقال أبو عليٍّ: ظاهره أنَّه تكريرٌ وليسَ بتكريرٍ؛ لأنَّ الآيتين في فريقين مِن المنافقين، ولو كان تكريراً لكان مع تباعُدِ الآيتين لفائدة التأكيد والتذكير.

وقيل: أراد بالأُولى: لا تُعظِّمْهم في حال حياتهم بسبب كثرةِ المال والوَلَد، وبالثانية: لا تُعظِّمْهم بَعْدَ وفاتِهم لمانع الكفر والنِّفاق.

وقد تغايرت الآيتان في ألفاظٍ؛ هنا: «ولا» وهناك «فلا»، ومناسبةُ الفاءِ أنَّه عقبَ قوله: «ولا يُنفقون إلَّا وهم كارهون» أي: للإنفاق، فهم مُعجَبون بكثرة الأموال والأولاد، فنهاه عن الإعجاب بفاءِ التعقيب، ومناسبة الواو أنَّه نهيٌ عُطف على نَهي قَبْلَه: «ولاتُصلِّ» «ولا تَقُم» «ولا تُعْجِبك» فناسبت الواو.

وهنا «وأولادهم» وهناك «ولا أولادهم» فذِكْرُ «لا» مُشعرةٌ بالنهي عن الإعجاب بكلِّ واحدٍ واحدٍ على انفراده، ويتضمَّن ذلك النَّهْي عن المجموع، وهنا سقطت فكان نهياً عن إعجاب المجموع، ويتضمَّن ذلك النهي عن الإعجاب بكلِّ واحدٍ واحدٍ، فدلَّت الآيتان بمنطوقهما ومفهومِهما على النهي عن الإعجاب بالأموال والأولاد مُجتَمِعَين ومُنْفَرِدَين.

وهنا «أن يعذبهم» وهناك «ليُعذِّبهم» فأُتي باللام مشعرةً بالتعليل، ومفعول «يريد» محذوف، أي: إنَّمَا يُريد اللهُ ابتلاءَهم بالأموال والأولاد لتَعذيبِهم، وأُتي بـ «أَنْ»؛ لأنَّ مَصَبَّ الإرادة هو التعذيب، أي: إنَّما يُريد اللهُ تعذيبَهم، فقد اختلف متعلّق الفِعْل في الآيتين، هذا الظاهر، وإن كان يَحتمل زيادة اللام والتعليل بـ«أَنْ»، وهنا «في الدنيا» وهناك «في الحياة الدنيا»، فأثبت «في الحياة» على الأصل، وحذفت هنا؛

(١) الكشاف ٢/٢٠٦-٢٠٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٦٨.

تنبيهاً على خِسَّة الدنيا، وأنَّها لا تَستحقُّ أنْ تُسمَّى حياةً، ولاسيَّما حين تقدَّمها ذِكْر موت المنافقين، فناسب أنْ لا تُسمَّى حياةً.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ الجمهور على أنَّ السورةَ هنا كلُّ سورةٍ كان فيها الأَمْرُ بالإيمان والجهاد، وقيل: «براءة»؛ لأنَّ فيها الأمْرَ بهما، وقيل: بعضُ سورةٍ، فأطلق عليه سورةً كما يُطلَق على بعضِ القرآن قرآنٌ وكتابٌ، وهذه الآيةُ ـ وإنْ تقدَّم أنَّهم كانوا استأذنوا الرَّسول في القعود ـ فيها تنبيهٌ على أنَّهم كانوا متى تنزل سورةٌ فيها الأَمْرُ بالإيمان والجهاد استأذنوا، وليست هنا «إذا» تفيد التعليقَ فقط، بل انجرَّ معها معنى التكرار، سواء كان ذلك فيها بحُكْم الوَضْع أم بحُكْم غالبِ الاستعمال لا الوضع، وهي مسألةُ خلافٍ في النحو، ومما وجد معها التكرار قولُ الشاعر:

إذا وَجدتُ أُوَارَ النارِ في كَبِدي ... أَقْبلتُ نحوَ سقاءِ القوم أَبْتَرِدُ[1]

أَلَا ترى أنَّ المعنى: متى وَجدتُ، و«أنْ آمنوا» يحتمل «أنْ» أنْ تكون تفسيريَّة؛ لأنَّ قَبْلَها شرطُ ذلك، ويَحتمل أن تكون مصدريَّة، أي: بأن آمِنوا، أي: بالإيمان.

والظاهر أنَّ الخطابَ للمنافقين، أي: آمِنوا بقلوبكم كما آمَنتم بألسنتكم، قيل: ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين، ومعناه الاسْتِدَامة.

«والطَّوْل» قال ابنُ عباس والحسن: الغِنَى، وقيل: القوَّة والقُدرة، وقال الأصمُّ: «أُولو الطَّول»[2] الكُبَراء والرؤساء وأُولو الأَمْرِ، «منهم» أي: مِن المنافقين، كعبد الله بنِ أُبَيّ، والجَدِّ بنِ قيس، ومُعتِّب بن قُشَيْر[3]، وأَضْرَابِهم،

(١) البيت لعروة بن أذينة، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٥٨٠، وأمالي القالي ١/ ٣١، وسمط اللآلي ١/ ١٣٦، والأغاني ١٨/ ٣٢٩، والتذكرة الحمدونية ٦/ ١٨٩، وورد في المصادر: الحُبّ، بدل: النار. والأوار: حرُّ الشمس والنار والعطش. القاموس (أور).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٦٨ عن ابن عباس وابن إسحاق، وأخرجه عنهما الطبري ١١/ ٦١٦، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٣٨٩ وعزاه لابن عباس وقتادة.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٦٨، وورد ذلك في خبرِ ابنِ إسحاق الآنف الذكر.

وخُصَّ «أُولو الطَّول» لأنَّهم هم القادرون على السفر والجهاد، ومَن لا مالَ له ولا قدرةَ لا يَحتاج إلى الاستئذان، والاستئذانُ مع القدرة على الحركة أَقْبَحُ وأَفحشُ، والمعنى: استأذنك «أُولو الطَّول منهم» في القعود، وفي «استأذَنَك» التفاتٌ، إذ هو خروجٌ مِن لفظِ الغيبة ـ وهو قوله: «رسوله» ـ إلى ضمير الخطاب.

«وقالوا ذَرْنا نكن مع القاعدين» الزَّمْنَى، وأهل العُذْر، ومَن تُرِكَ لحراسة المدينة؛ لأنَّ ذلك عذرٌ، وفي قوله: «رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخوالِف» تهجينٌ لهم ومبالغة في الذَّمِّ، و«الخوالف» النساء، قاله الجمهور، كابنِ عباس ومجاهد وقتادة وشِمْر بنُ عطيَّة وابن زيد والفَرَّاء[1]. وذلك أبلغُ في الذَّمِّ كما قال:

وما أدري وسَوفَ إخَالُ أَدري ... أقومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ
فإن تكنِ النساءُ مخبَّآتٍ ... فَحُقَّ لكلِّ مُحْصَنةٍ هِداءُ[2]

وقال آخَر:

كُتِبَ القَتْلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ[3]

فكونهم «رَضُوا بأَنْ يَكونوا» قاعدين مع النِّساء في المدينة أبلغ ذَمٍّ لهم وتهجين؛ لأنَّهم نَزَّلوا أنفسهم منزلةَ النساء العَجَزَة اللواتي لا مُدافعة عندهنَّ ولا غَنَاء.

وقال النَّضْر بنُ شُمَيل: «الخوالف» مَن لا خيرَ فيه[4].

وقال النَّحَّاس: يُقال للرجل الذي لا خيرَ فيه: خَالِفة، وهذا جَمْعُه بحَسَب اللفظِ، والمراد أَخسَّاءُ الناسِ وأَخلافهم. وقالت فرقةٌ: «الخوالف» جمع خَالِف، فهو جارٍ مجرى فَوارس ونَواكس وهَوالك[5].

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤٨٢، والآثار السالفة الذكر عند الطبري ١١/ ٦١٧-٦١٨، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٤٧.

(٢) القائل زهير، والبيتان في شرح ديوانه ص٧٣-٧٤، والمُحصَنة: ذات الزوج، أو البِكْر، وهو المراد هنا، والهِداء: الزِّفاف، يقال: قد هُديت العروس إلى زوجها هِداءً، وهي هديَّة وهَديٌّ.

(٣) القائل عمر بن أبي ربيعة، والبيت في شرح ديوانه ص٤٩٨، ضمن أبيات ثلاثة.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٦٨ نقلاً عن كتاب النقاش.

(٥) المصدر السابق، وكلام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٢/ ٢٢٩.

والظاهر أنَّ قوله: «وطُبِعَ» خبرٌ مِن الله بما فُعل بهم، وقيل: هو استفهامٌ، أي: أَوَطُبِعَ على قلوبهم، فلأَجْلِ الطَّبْع «لا يَفقهون» لا يَتدبَّرون ولا يَتفهَّمون ما في الجهاد مِن الفوز والسعادة، وما في التخلُّف مِن الشقاء والضَّلال؟!

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ لمَّا ذَكَر أنَّ أولئك المنافقين اختاروا الدَّعَة وكَرِهوا الجهاد وفَرُّوا مِن القتال، وذَكَر ما أَثَّرَ ذلك فيهم مِن الطَّبْع على قلوبهم، ذَكَر حالَ الرَّسولِ والمؤمنين في المثابرة على الجهاد، وذلك ما لَهم مِن الثواب، ولكنْ وَضْعُها أنْ تقعَ بين متنافيين.

ولمَّا تضمَّن قولُ المنافقين «ذَرْنا» واستئذانهم في القعود، كان ذلك تصريحاً بانتفاءِ الجهاد، وكأنَّه قيل: رَضُوا بكذا ولم يُجاهدوا، و«لكن الرَّسول والذين آمنوا معه جَاهدوا»، والمعنى: إنْ تَخلَّف هؤلاء المنافقين فقد تَوجَّه إلى الجهاد مَن هو خيرٌ منهم وأَخلَص نيَّةً، كقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

و«الخيرات» جَمْعُ: خَيْرَة، وهو المُستحسن مِن كلِّ شيء، فيتناول محاسنَ الدنيا والآخِرَة؛ لعموم اللفظ، وكَثُرَ استعماله في النساء، ومنه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، وقال الشاعر:

ولقد طَعَنْتُ مجامِعَ الرَّبَلاتِ ... رَبَلاتِ هندٍ خَيْرَةِ المَلِكَاتِ[1]

وقيل: المراد بـ «الخيرات» هنا الحُور العِيْن، وقيل: المراد بها الغنائم مِن الأموال والذَّرارِي، وقيل: «أَعَدَّ اللهُ لهم جناتٍ» تفسير لـ «الخيرات»، إذ هو لفظٌ مُبْهَم.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، والطبري ١١/ ٦١٩، دون نسبة، وأورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٦٧ ونسبه لرجل جاهليّ من بني عدي عَدِي تميم، ونقله عنه ابن منظور في اللسان (خير)، والرَّبَلات: جمع: رَبْلَة، وهي باطن الفخذ. لسان العرب (رَبَلَ).

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ ولمَّا ذَكَر أحوالَ المنافقين الذين بالمدينة شَرَحَ أحوالَ المنافقين مِن الأعراب.

قرأ الجمهور: «المُعَذِّرُون» بفتح العين وتشديد الذال، فاحتمل وَزْنَيْن؛ أحدهما: أن يكون: فَعَّل، بتضعيف العين، ومعناه تَكلُّف العُذْر، ولا عذرَ له، ويقال: عَذَّر في الأَمْرِ: قَصَّر فيه وتَوانَى، وحقيقته أَنْ يُوهِم أنَّ له عذراً فيما يَفعل ولا عذرَ له.

والثاني: أن يكون وزنه: افْتَعَل، وأصله: اعْتَذَر كاخْتَصَم، فأُدغمت التاءُ في الذَّالِ ونُقلت حركتها إلى العين، فذهبت ألفُ الوصل، ويُؤيِّده قراءةُ سعيد بنِ جبير: «المُعْتَذِرون» بالتاء[1]، مِن: اعْتَذَر، وممَّن ذهب إلى أنَّ وزنَه: افْتَعَل، الأخفشُ والفَرَّاء وأبو عُبيد وأبو حاتم والزجَّاج وابنُ الأنباري[2].

وقرأ ابنُ عباس وزيد بنُ عليٍّ والضَّحَّاك والأعرج وأبو صالح وعيسى بنُ هلال ويعقوب والكسائيُّ في روايةٍ: «المُعْذِرون»[3] مِن: أَعْذَر.

وقرأ مسلمة: «المُعَّذِّرون» بتشديد العين والذَّالِ[4]، مِن: تعذَّر، بمعنى اعتذر، قال أبو حاتم: أراد المُتعذِّرين، والتاء لا تُدغَم في العين؛ لبُعْدِ المَخارج، وهي غَلَطٌ منه أو عليه.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، وأوردها أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٨٢ وعزاه لابن مسعود.

(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٥٨، وللفراء ١/ ٤٤٧، وللزجاج ٢/ ٤٦٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٠.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٦٩، وزاد المسير ٣/ ٤٨٢-٤٨٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٢٨، والقراءة في النشر ٢/ ٢٨٠ عن يعقوب، وفي جامع البيان للداني ٢/ ١٨٢ عن الكسائي، وهي رواية قتيبة عنه، وفي القراءات الشاذة ص٥٤ عن ابن عباس ﷺ، وأخرجها عنه الطبريُّ ١١/ ٦٢٠ من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. وبشر بن عمارة قال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف. والضحاك لم يسمع من ابن عباس، المراسيل لابن أبي حاتم ص٨٥-٨٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، وما بعده منه أيضاً، والقراءة أوردها أيضاً الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٣٥.

واختلف في هؤلاء المعذِّرين أهم مؤمنون أم كافرون؟ فقال ابنُ عباس ومجاهد وجماعة: هم مؤمنون، وأعذارهم صادقة، وقال قتادة وفرقة: هم كافرونَ، وأعذارهم كَذِبٌ[1]، وكان ابنُ عباس يقول: رَحِمَ اللهُ المُعْذِرين، ولَعَنَ المُعَذِّرين[2].

قيل: هم أسد وغَطَفان، قالوا: إنَّ لنا عِيَالاً وإنَّ بِنا جُهْداً. فأَذِنَ لهم في التخلُّف. وقيل: هم رَهْطُ عامر بنِ الطُّفَيْل، قالوا: إنْ غَزَونا مَعَكَ غَارَت أَعْرَابُ طَيِّئ على أهالينا ومواشينا. فقال ﷺ: «سيُغني اللهُ عنكم»، وعن مجاهدٍ: نَفَرٌ مِن غفارٍ اعْتَذَروا، فلم يَعذُرهم اللهُ تعالى[3].

قال ابنُ إسحاق: نَفَرٌ مِن غِفار، منهم: خُفافُ بنُ إِيْمَاء. وهذا يقتضي أنَّهم مؤمنون[4].

والظاهر أنَّ هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابنُ عباس؛ لأنَّ التقسيمَ يقتضي ذلك، أَلَا ترى إلى قوله: «وقَعَدَ الذين كَذَبوا اللهَ ورسولَه سَيُصيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم» فلو كان الجميعُ كفَّاراً لم يَكن لوصفِ الذين قَعَدوا بالكَذِب اختصاصٌ، وكان يكون التركيب: سَيُصِيبهم عذابٌ أليم.

ويحتمل أن يكونوا كفَّاراً كما قال قتادة، فانقسموا إلى جَاءٍ مُعْتَذِرٍ وإلى قاعِدٍ، واستؤنف إخبارٌ بما يُصيب الكافرين، ويكون الضمير في «منهم» عائداً على الأعراب، أو يكون المعنى: سَيُصيب الذين يُوافُون على الكفر مِن هؤلاء عذابٌ أليمٌ في الدنيا بالقَتْل والسَّبْي، وفي الآخِرة بالنَّارِ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، وتفسير الثعلبيّ ٣/ ٢٣٥، والطبري ١١/ ٦٢٠-٦٢١، والنكت والعيون ٢/ ٣٩٠-٣٩١.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٢٩ نقلاً عن الجوهريّ في الصحاح (عذر)، والخبر أخرجه الفراء في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٤٨ بإسنادين؛ الأول من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والثاني من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٧، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٤، والرازي ١٦/ ١٥٨، والنيسابوري ١١/ ٥، والنكت والعيون ٢/ ٣٩١.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، والخبر أخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٢٢ وورد فيه مبتوراً، وتمامه في سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥٢-٥٥٣.

وقرأ الجمهور: «كَذَبُوا» بالتخفيف، أي: في إيمانهم، فأظهروا ضِدَّ ما أَخْفَوا، وقرأ أُبَيٌّ والحسن في المشهورِ عنه ونوح وإسماعيل: «كذّبوا» بالتشديد، أي: لم يُصدِّقوه تعالى ولا رسولَه، ورَدُّوا عليه أَمْرَهُ[1]، والتشديد أبلغُ في الذَّمِّ.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لمَّا ذَكَر حالَ مَن تخلَّف عن الجهاد مع القُدرة عليه، ذَكَر حالَ مَن له عُذْرٌ في تَرْكه، و«الضعفاء» جَمْعُ: ضعيف، وهو الهَرِمُ ومَن خُلِقَ في أصل البُنية شَديد النَّحافَةِ والضُّؤولَةِ بحيث لا يمكنه الجهاد، والمريض: مَن عَرَضَ له المرضُ، أو كان زَمِناً، ويَدخل فيه العَمَى والعَرَجُ، و«الذين لا يَجدون ما ينفقون» هم الفقراء، قيل: هم مُزَيْنَة وجُهَيْنَة وبنو عذرة[2].

ونفى الحَرَجَ عنهم في التخلُّف عن الغَزْوِ، ونَفْيُ الحَرَج لا يتضمَّن المَنْعَ مِن الخروج إلى الغزو، فلو خَرج أَحَدُ هؤلاء ليُعِيْن المجاهدين بما يَقدرِ عليه مِن حفظِ متاعِهم أو تكثيرِ سوادهم، ولا يكون كَلًّا عليهم، كان له في ذلك ثوابٌ جزيل، فقد كان عَمرو بنُ الجَمُوح أَعْرَجَ، وهو مِن أتقياء الأنصار، وهو في أوَّل الجيش، وقال له رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قد عَذَرَكَ» فقال: واللهِ لأَحْفِزَنَّ بعَرْجَتي هذه في الجنَّة[3]. وكان ابنُ أمِّ مكتوم أعمى، فخرج إلى أُحُد وطَلَب أَنْ يُعطَى اللواء، فأَخَذَه [مصعبُ بنُ عُمير] فأُصيبت يده التي فيها اللواءُ، فأمسكه باليدِ الأُخرى فضُربت، فأَمْسَكه بصَدْره، وقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[4] [آل عمران: ١٤٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، والقراءة السالفة في القراءات الشاذة ص٥٤ عن ابن عباس وأبي رجاء والحسن، وفي تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٥ عن أبيّ والحسن.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣١-٣٣٢، والخبر في صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٦٤٥، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد (٧٨) عن عكرمة بلفظ: لأطأنَّ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٤ عن أشياخ من بني سلمة، بلفظ: أن أستشهد فأطأ... الخبر، والحَفْزُ: الحثُّ والإعجال. اللسان (حفز).

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣١، وما سلف بين حاصرتين استدرك منه، ولا يَصحُّ المعنى بدونه؛ =

وشَرَط في انتفاء الحَرَجِ النُّصْحَ للهِ ورسولِه، وهو أن تكون نيَّاتهم وأقوالُهم سرًّا وجهراً خالصةً لله تعالى مِن الغِشِّ، سَاعِيَةً في إيصال الخير للمؤمنين، داعيةً لهم بالنَّصْرِ والتمكين، ففي «سنن أبي داود»: «لقد تَرَكْتُم بَعْدَكم قوماً ما سِرْتُم مسيراً ولا أنفقتم مِن نفقةٍ ولا قَطَعْتُم وادياً إلَّا وهم معكم فيه»، قالوا: يا رسولَ الله، وكيف يَكونون مَعَنَا وهم بالمدينة؟ قال: «حَبَسَهُم العُذْرُ»[١].

وقرأ أبو حَيْوة: «إذا نَصَحُوا اللهَ ورسولَه» بنصب الجلالة[٢]، والمعطوف «ما على المحسنين مِن سبيل» أي: في لائمةٍ تُناطُ بهم أو عقوبة، ولفظ «المحسنين» عامٌّ يَندرج فيه هؤلاء المعذِّرون الناصحون وغيرهم، وقيل: «المحسنين» هنا المُعذِّرون الناصحون، ويَبعد الاستدلال بهذه الجملة على نَفْي القياس وأنَّ المُحسِن هو المُسلِّم لانتفاءِ جميعِ السبيل، فلا يتوجَّه عليه شَيْء مِن التكاليف إلَّا بدليلٍ منفصل، فيكون يخصّ هذا العامّ الدَّالّ على براءَةِ الذمة.

وقال الكرمانيُّ: «المحسنين» هم الذين أطاعوا اللهَ ورسولَه في أقوالهم وأفعالهم، ثم أكّد الرجاء فقال: «والله غفورٌ رحيمٌ»، وقراءةُ ابنِ عبَّاس: «واللهُ لأَهْلِ الإساءةِ «غفورٌ رحيمٌ» على سبيل التفسير، لا على أنَّه قرآنٌ؛ لمخالفته سوادَ المصحفِ[٣].

قيل: وقوله: «ما على المحسنين مِن سبيل» فيه نوعٌ مِن أنواع البَدِيع يُسمَّى: التَّمْلِيح[٤]، وهو أن يُشارَ في فَحْوى الكلام إلى مَثَلٍ سائرٍ أو شِعْرٍ نادرٍ أو قصَّةٍ

= ولعلَّه سبق نَظَر من المؤلِّف، لأنَّ الحاملَ للراية هو مصعب بن عُمير لا ابن أمِّ مكتوم، كما في المغازي للواقدي ١/ ٢٣٩-٢٤٠ وغيره، وسلف الكلام على ابنِ أمِّ مكتوم، وأنَّ رسولَ الله ﷺ استعمله على مَن بقي بالمدينة، عند تفسير الآية (٤١) من هذه السورة، وأنَّه حمل اللواء في القادسية، واستُشهِدَ فيها.

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣١، وسنن أبي داود (٢٥٠٨) من حديث أنس، وهو أيضاً عند البخاري (٤٤٢٣)، وأحمد (١٢٠٠٩).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٠، ولم نقف عليها عند غيره.

(٣) المصدر السابق، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٦٧ وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤) كذا في النسخ والدر المصون ٦/ ٩٨، واللباب ١٠/ ١٧١، والذي في مصادر كتب البلاغة وغيرها من كتب الأدب: التلميح. ينظر معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب ص٤١٣-٤١٤ (التلميح) وما ذكره من نقولات ومصادر حول هذا المعنى.

مشهورة، أو ما يَجري مجرى المَثَل، ومنه: قولُ يسار بنِ عديّ حين بَلَغه قَتْلُ أخيه وهو يشرب الخمر:

اليومَ خمرٌ ويَبْدُو في غدٍ خَبَرٌ والدَّهرُ من بينِ إنعامٍ وإبآسِ[١]

أشار إلى قولِ امرئِ القَيْس:

اليومَ خمرٌ وغداً أمْرٌ[٢]

«ولا على الذين إذا ما أَتَوك لتَحْمِلهم» معطوف على ما قَبْله، وهم مندرجونَ في قوله: «ولا على الذين لا يَجدون ما يُنفقون» وذكروا على سبيل نَفْي الحَرَج عنهم، وأنَّهم بالغوا في تحصيل ما يَخرجون به إلى الجهاد حتى أَفْضَى بهم الحالُ إلى المسألة والحَاجَةِ لبَذْلِ ماءِ وجوهِهم في طَلَب ما يَحملهم إلى الجهاد والاستعانةِ به حتى يُجاهدوا مع الرَّسول ﷺ ولا يَفوتهم أجْرُ الجهاد.

ويَحتمل أنْ لا يَندرجوا في قوله: «ولا على الذين لا يَجدون ما يُنفقون» بأنْ يكون هؤلاء هم الذين وَجدوا ما يُنفقون إلَّا أنَّهم لم يَجدوا المركوبَ، وتكون النفقةُ عبارةً عن الزاد لا عبارةً عمَّا يَحتاج إليه المجاهد مِن زادٍ ومركوب وسلاحٍ وغير ذلك ممَّا يحتاج إليه.

وهذه نزلت في العرباض بن سارية، وقيل: في عبد الله بنِ مُغَفَّل، وقيل: في عائذ بنِ عمرو، وقيل: في أَبي موسى الأشعريّ ورَهْطِه[٣]، وقيل: في سبعة نَفَرٍ مِن بطونٍ شتَّى، فهم البَكَّاؤون، وهم سالم بنُ عُمير من بني عمرو بنِ عوف، وحرمي[٤] بن عَمْرو مِن بني واقف، وأبو ليلى عبد الرحمن بنُ كعب مِن بني

(١) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٤٢٠، وفيه: هَمٌّ، بدل: خمرٌ، وورد باللفظ المذكور أعلاه في البيان والتبيين ١/ ١٧٧، ومعاهد التنصيص ٤/ ٢٠٤.

(٢) قاله امرؤ القيس حين بلغه قتل أبيه وهو يشرب الخمرَ، وهو في الأمثال لأبي عُبيد ص٣٣٤، والأغاني ٩/ ٨٨، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٤٣١، والمستقصى للزمخشري ١/ ٣٥٨، صاحب الجمهرة ذكر أنه لهمام بن مرَّة، وقيل لامرئ القيس.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، وما بعده منه أيضاً، وتنظر الآثار الواردة في ذلك عند الطبري ١١/ ٦٢٣-٦٢٤.

(٤) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٧١، والنسخ الخطية للطبري ١١/ ٦٢٧ بهامشه، والذي =

مازن بنِ النجار، وسلمان بنُ صَخْر مِن بني المُعلَّى، وأبو رعيلة عبد الرحمن بن زيد[١] من بني حارثة، وعَمرو بن عَنَمة[٢] مِن بني سلمة، وعائذ بن عَمرو المُزَنيّ[٣]، وقيل: عبد الله بن عمرو المُزَني[٤].

وقال مجاهد: البَكّاؤون هم بنو بكر مِن مُزَيْنَة[٥].

وقال الجمهور: نزلت في بني مُقَرِّن، وكانوا ستَّةَ إخوةٍ صَحِبوا النبيَّ ﷺ، وليس في الصحابة ستَّةُ إخوةٍ غيرهم[٦].

ومعنى: «لتحملهم» أي: على ظَهْر مَرْكَب، ويُحمَل عليه أثاثُ المجاهد، قال معناه ابنُ عباس[٧]، وقال أنس بن مالك: «لتحملهم» بالزاد، وقال الحسن بنُ صالح: بالنِّعال[٨].

ورُوِيَ أنَّ سبعةً مِن قبائل شَتَّى قالوا: يا رسول الله، قد نَدَبْتَنا إلى الخروج مَعَكَ، فاحْمِلنا على الخفاف المرقوعة والنِّعال المخصوفة نَغْزُ مَعَكَ. فقال: «لا أجد

= في تفسير الطبري ١١/ ٦٢٧، والقرطبي ١٠/ ٣٣٤، وسيرة ابن هشام ٢/ ٥١٨، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٩٤، والدرر لابن عبد البرّ ص٢٨٧، والاستيعاب الترجمة (٢٦٨١): وهَرَمي. والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٦٢٦-٦٢٧ عن محمد بن كعب وغيره، وعن ابن إسحاق.

(١) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٧١، والذي في المصادر الآنفة الذكر: وعُلْبَة بن زيد أخو بني حارثة. مع الإشارة إلى أنه ورد في الاستيعاب الترجمة (٢٠٤٧).

(٢) في السيرة والدرر والقرطبي: ابن الحُمام. وفي المغازي: ابن عتبة.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، ولم يرد في المصادر الآنفة، بل ورد بدلاً عنه: عرباض بن سارية الفزاري. وذَكَر ـ أي: عائذاً ـ الطبريُّ ١١/ ٦٢٣، والثعلبي في التفسير ٣/ ٢٣٦ ؛ في خبر عن قتادة في سبب نزول هذه الآية.

(٤) الذي في السيرة والدرر والقرطبي: وعبد الله بن المُغفَّل المزني، وقيل: بل هو: عبد الله بن عمرو المزني. لا أنَّه بدل عن: عائذ بن عمرو المزني.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، وورد في مطبوعه: بنو مكدر، بدل: بنو بكر. والذي ورد عن مجاهد عند الطبري ١١/ ٦٢٥: هم بنو مُقرّن من مزينة.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، والخبر ورد عن مجاهد أنهم بنو مُقرّن، كما أشرنا إليه آنفاً. وورد في زاد المسير ٣/ ٤٨٦ ذِكْر أسمائهم، وأنهم سبعة.

(٧) ينظر الوسيط للواحدي ٢/ ٥١٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٤، والبغوي ٢/ ٣١٩.

(٨) زاد المسير ٣/ ٤٨٦، وأخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٣.

ما أحملكم عليه» فتولَّوا وهم يَبكون[(١)].

وقرأ معقل بنُ هارون: «لنَحْمِلهم» بنون الجماعة[(٢)].

و«إذا» تقتضي جواباً، والأولى أنْ يكون ما يَقرُب منها وهو «قلت»، ويكون قوله «تَولَّوا» جواباً لسؤال مقدَّر، كأنَّه قيل: فما كان حالُهم إذ أجابهم الرَّسول؟ قيل: «تَولَّوا وأعينهم تفيضُ».

وقيل: جواب «إذا» «تولَّوا»، و«قلت» جملةٌ في موضع الحال مِن الكاف، أي: إذا ما أتَوك قائلاً: «لا أجِدُ»، و«قد» قَبْلَه مقدَّر كما قيل في قوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]. قاله الزمخشريُّ[(٣)]، أو على حذفِ حرفِ العطف، أي: وقلت، قاله الجرجانيُّ، وقاله ابنُ عطيَّة[(٤)]، وقدَّره: فقلت، بالفاء، و«أعينهم تفيض» جملة حاليَّة.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: فهل يجوز أن يكون قوله: «قلت لا أجِدُ» استئنافاً مِثله ـ يعني مِثْل «رَضُوا بأنْ يكونوا مع الخوالف» ـ كأنَّه قيل: إذا ما أتَوك لتَحملهم تَولَّوا، فقيل: ما لهم تَولَّوا باكينَ؟ قلت: لا أجِدُ ما أحملهم عليه، إلَّا أنَّه وُسِّط بين الشَّرْط والجزاء كالاعتراض. قلت: نعم، ويَحسُن[(٥)]. انتهى.

---

(١) تفسير النيسابوري ٣/ ٢٣٦، وأسباب النزول للواحدي ص٢٥٨، وتفسير البغوي ٢/ ٣١٩، والقرطبي ١٠/ ٣٣٤، وورد عندهم أسماء هؤلاء السبعة، قال ابن عطية عن خبر الحسن: وهذا شاذّ. اهـ. وأورد الخبر أيضاً الآلوسي في روح المعاني ١٠/ ٤٦٦ وقال: تُجوِّز بالخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة عن ذي الخفّ والحافر، فكأنهم قالوا: احملنا على ما يتيسر، أو المراد: احملنا ولو على نعالنا وأخفافنا، مبالغة في القناعة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، وأورد القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٤ وعزاها لعبد الله بن معقل، قال السمين في الدر المصون ٦/ ٩٩ عن القراءة: وفيها إشكال؛ إذ كان مقتضى التركيب: قلت: لا أجدُ ما يحملكم عليه الله؟!

(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧١، وعزا الكلام للجرجاني في كتابه النظم، وهو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني. كشف الظنون ٢/ ١٤٦٧.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٠٨.

ولا يجوز ولا يَحسُن في كلام العرب، فكيف في كلامِ الله؟! وهو فَهْم أعجميّ[١].

وتقدَّم الكلام على «وأعينهم تَفيضُ مِن الدَّمْع» في أوائلِ حزبِ: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ مِن سورة المائدة[٢].

وقال الزمخشريُّ هنا: «وأعينهم تَفيضُ مِن الدَّمع» كقولك: تَفيضُ دمعاً، وهو أَبلغُ مِن: يَفيضُ دَمْعُها؛ لأنَّ العينَ جُعلت كأنَّ كلَّها دَمْعٌ فائضٌ، و«مِن» للبيان، كقولك: أفديكَ مِن رجلٍ، ومحلُّ الجارِّ والمجرور النّصْبُ على التمييز[٣]. انتهى.

ولا يجوز ذلك؛ لأنَّ التمييزَ الذي أَصْلُه فاعل لا يَجوز جَرُّهُ بـ «مِن»، وأيضاً فإنَّه معرفةٌ، ولا يَجوز إلَّا على رأي الكوفيين الذين يُجيزون مَجيءَ التمييزِ معرفةً.

وانتصب «حَزَناً» على المفعول له، والعامل فيه «تفيض»، وقال أبو البقاء: أو مصدر في موضع الحالِ، و«أنْ لَا يَجدوا» مفعول له أيضاً، والناصب له «حَزَناً»، قال أبو البقاء: ويجوز أَنْ يَتعلَّق بـ «تفيض»[٤]. انتهى.

ولا يجوز ذلك على إعرابه «حَزَناً» مفعولاً له، والعامل فيه «تفيض» لأنَّ العاملَ لا يقضي اثنين مِن المفعول له إلَّا بالعطف أو البَدَل، وقوله: «أنْ لا يَجدوا ما يُنفقون» فيه دلالةٌ على أنَّهم مندرِجونَ تحت قوله: «ولا على الذين لا يَجدون ما يُنفقون حَرَج».

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) ينظر ما قاله السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ١٠٠.
(٢) عند تفسير الآية (٨٣) منها.
(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٨.
(٤) الإملاء ٢/ ٢٠.

لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾
يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾
الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا
تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾
وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ
حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا
تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ
أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ
خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾

وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ
لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا
ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ
ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ
مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ
وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا
كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾
وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي
ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ
كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ
أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن
تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

المفردات «الأعْرَاب»: صيغةُ جمع، وفرق بينه وبينَ العَرَبِ، فالعربيُّ مَن له نَسَبٌ في العرب، والأعْرَابيُّ: البَدويُّ مُنْتَجِع الغَيْثِ والكَلأ، كان مِن العرب أو مِن مواليهم، وللفَرْق نُسب إليه على لفظه، فقيل: الأعرابيّ، وجُمعَ الأعراب على الأعاريب جَمْع الجَمْع.

«أَجْدَر» أَحَقُّ وأَحْرَى، قال الليث: جَدُرَ جَدَارةً، فهو جَدِيرٌ، وأَجْدِر به، يُؤنَّث ويُثَنَّى ويُجمَع، قال الشاعر:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ   جَديرونَ يوماً أَنْ يَنالوا فيَسْتَعْلُوا[(١)]

«أَسَّسَ» على وزن فَعَّلَ، مُضعَّف العين، وآسَسَ على وزن فاعَلَ: وَضَعَ الأساسَ، وهو معروف، ويقال فيه: أُسٌّ.

الجُرُف: البِئْرُ التي لم تُطْوَ، وقال أبو عبيدة: الهُوَّة وما يَجرفه السيلُ مِن الأودية[(٢)].

«هارٍ» مُنْهال ساقِط يَتداعى بعضُه في إِثْر بعضٍ، وفِعْلُه: هَارَ يُهِيْرُ، ويَهارُ ويَهِيْرُ، فعَيْنُ «هار» يَحتمل أن تكون واواً أو ياءً، فأصله: هاير أو هاوِر، فقُلِبَ وصُنِع به ما صُنع بقاضٍ وغازٍ، وصار منقوصاً مثل: شَاكِي السِّلاح[(٣)]، ولاثٍ، قال:

لَاثٍ بِهِ الأَشَاءُ والعُبْرِيُّ[(٤)]

وقيل: «هار» محذوف العين لغير عِلَّةٍ فتجري الراءُ بوجوهِ الإعراب، وقد جاء ذلك في: شاكٍ ولاثٍ، أَجْرَوا آخِرَهما بوجوهِ الإعراب[(٥)].

وحكى الكسائيُّ: تَهَوَّرَ وتَهَيَّرَ[(٦)].

أَوَّاه: كثيرُ قولِ: أَوَّهْ، وهي اسْمُ فِعْلٍ بمعنى: أَتوجَّع، ووزنه: فَعَّال[(٧)]؛

---

(١) البيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص١٠٣، قال شارحه: الجِنَّة: جمع: جِنٍّ، وجديرون: خليقون، ويستعلوا: يظفروا ويَعلوا.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٩، والبغوي ٢/ ، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٦٩.

(٣) أصله: شائك. المحرر الوجيز ٣/ ٨٥، ومنه قول زهير، وهو في شرح ديوانه ص٢٣:

لدى أَسَدٍ شاكي السلاح مُقَذَّفٍ   له لِبَدٌ أظفاره لم تُقَلَّمِ

(٤) الرجز للعجاج، وقبله: ولا يلوح نَبْتَه الشَّتِيُّ، وهو في ديوانه ص٢٩٦، ومعنى: لاثٍ: مُدرك متكاثف، والأشاء: النخل الصغار، والعُبْرِيّ: السِّدْر العظام ينبت على عُبور الأنهار.

(٥) ليست في (د١) و(ع) والمطبوع.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٦.

(٧) ينظر اللسان والقاموس (أوه)، وارتشاف الضَّرَب ٥/ ٢٣٠٠، وفيها اللغات الواردة في هذه الكلمة.

للمبالغة، فقياس الفِعْل أن يكون ثلاثياً، وقد حكاه قطرب، حكى: آهَ يَؤُوهُ أَوْهاً، كـ: قَالَ يَقول قَولاً، ونُقِلَ عن النحويين أنَّهم أنكروا ذلك، وقالوا: ليس مِن لفظ: أوَّه، فِعْلٌ ثلاثيٌّ، إنَّما يُقال: أَوَّه تَأْويهاً، وتَأَوَّه تَأَوُّهاً، قال الراجز:

فـأَوَّه الـراعـي وضَـوضـى أَكْـلُـبُـه[1]

وقال المُثَقِّب العَبْديّ:

إذا مـا قـمـتُ أَرْحَـلُـهـا بـلـيـلٍ تَـأَوَّهُ آهـةَ الـرَّجُـلِ الـحَـزيـنِ[2]

وفي «أَوَّه» اسمِ الفعلِ لغاتٌ ذُكرت في علم النحو[3].

الظَّمَأ: العَطَش الشديدُ، وهو مصدر: ظَمِئَ يَظْمَأُ فهو ظمآن وهي ظَمْأَى، ويُمَدُّ فيُقال: ظِمَاء[4].

الوادي: ما انخفضَ مِن الأصل مستطيلاً كمجاري السُّيُول ونحوها، وجمعته العرب على: أَوْدِيَة، وليس بقياسه، قال تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] وقياسه: فَواعِل، لكنهم استَثْقَلُوه لجَمْع الواوين[5]، قال النَّحَّاس: ولا أعرفُ فَاعِلاً وأَفْعِلَةً سواه[6]. وذَكَر غيرُه: نادٍ وأَنْدِيَة، قال الشاعر:

وفيـهـم مـقـامـاتٌ حِسَانٌ وجوهـهـم وأَنْدِيَـةٌ يَنتـابُـهـا الـقـولُ والـفِـعْـلُ[7]

والنادي: المجلس.

وحكى الفَرَّاء في جَمْعه: أَوْدَاء، كصاحب وأَصحاب، قال جرير:

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٤٥، والثعلبي ٣/ ٢٥٧، ولم نقف على الرجز هكذا عند غيرهما من كتب الأدب وغيرها، بل ورد في معجم العين للفراهيدي ١/ ٣٤٤ (سبع): قد أَسْبَعَ الراعي وضوضى أكلُبُه.

(٢) ديوان المثقب العبدي ص١٩٤.

(٣) ينظر التعليق ما قبل السابق.

(٤) الصحاح (ظمأ).

(٥) أي: قياسه أن يُجمعَ: وَوَادي. إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) القائل زهير، والبيت في شرح ديوانه ص١١٣، والمقامات: المجالس، سُمِّيت بذلك؛ لأن الرجل كان يقوم في المجلس.

عَـرَفْـتُ بِـبُـرْقَـةِ الأوداءِ رَسْـمـاً   مُـحِـيـلاً طـالَ عَـهْـدُكَ مِـن رُسـومِ(١)

وقال الزمخشريُّ: الوادِي: كلُّ مُنْعَرَجٍ مِن جبالٍ وآكامٍ يكون منفذاً للسَّيْل، وهو في الأصل: فَاعِل، مِن: وَدَى، إذا سالَ، ومنه: الوَدْيُ، وقد شاع في استعمالِ العرب بمعنى الأرض، يقولون: لا تُصَلِّ في وادي غيرِك(٢).

* * *

التفسير ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أثبتَ في حقِّ المنافقين ما نَفاه في حقِّ المحسنين، فدلَّ لأَجْل المقابلة بأنَّ هؤلاء مُسِيْؤون، وأيّ إساءةٍ أعظم مِن النِّفاق والتَّخلُّف عن الجهاد والرغبة بأنفسِهم عن رسولِ الله ﷺ!

وليست «إنَّما» للحَصْر، إنَّما هي للمبالغة في التوكيد، والمعنى: «إنَّما السبيلُ» في اللائمةِ والعقوبة والإثم «على الذين يَستأذنونك» في التخلُّف عن الجهاد وهم قادرونَ عليه؛ لغناهم، وكان خبرُ «السبيل» «على» وإن كان قد يصل بـ «إلى»، كما قالت:

هل مِن سبيـلٍ إلى خمـرٍ فأَشْرَبَهـا   أَمْ مِن سبيل إلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ(٣)

لأنَّ «على» تدلُّ على الاستعلاء وقلَّة مَنَعَةِ مَن دخلت عليه، ففَرْقٌ بين: لا سبيلَ لي على زيدٍ، ولا سبيلَ لي إلى زيدٍ.

وهذه الآية في المنافقين المتقدِّم ذِكرهم؛ عبد الله بن أُبَيّ، والجدّ بن قيس، ومُعَتِّب بن قُشَيْر، وغيرهم، و«رَضُوا» استئنافٌ؛ كأنَّه قيل: ما بَالُهم استأذَنوا في

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٢٥، وكلام الفراء السالف منه، وبيت جرير في ديوانه ص٣٩٨، مع الإشارة إلى أنه ورد عند القرطبي: الأوداه، بدل: الأوداء.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٠.
(٣) البيت لامرأة مدنيَّة عشقت فتًى من بني سُلَيم، أو لفريعة بنت همَّام أمّ الحَجَّاج بن يوسف الثقفي، قالته عِشْقاً في نَصْرٍ، وكانت حينها تحت المغيرة بن شعبة، والبيت في عيون الأخبار ٤/ ٢٣، والدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصبهاني ١/ ٢٧٤، وبهجة المجالس ٢/ ٨١٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٢٧، وخزانة الأدب ٤/ ٨٠، وغيرها، وورد عند الأخير الروايات المختلفة للبيت، والأقوال الواردة فيه وفي قائله، فلتنظر ثمَّة.

القُعود بالمدينة وهم قادرونَ على الجهاد؟ فقيل: «رَضُوا» بالدناءَةِ وانتظامِهم في سِلْك الخوالف، وعطف «وطَبَعَ» تنبيهاً على أنَّ السببَ في تخلُّفهم رضاهُم بالدَّنَاءَةِ، «وطَبَعَ اللهُ على قلوبهم فهم لا يعلمون» ما يترتَّب على الجهاد مِن منافع الدِّيْن والدنيا.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ «لن نُؤمِنَ لكم» علَّة للنهي عن الاعْتِذار؛ لأنَّ غَرَضَ المُعتَذِر أنْ يُصدَّق فيما يَعتذر به، فإذا علمَ أنَّه مُكذَّب في اعْتِذاره، كفَّ عنه.

«قد نَبَّأنا اللهُ مِن أخباركم» علَّة لانتفاءِ التصديق؛ لأنَّه تعالى إذا أخبر الرَّسولَ والمؤمنين بما انطَوت عليه سرائرهم مِن الشَّرِّ والفَسَاد لم يُمكن تصديقهم في معاذيرهم.

قال ابنُ عطيَّة: والإشارة بقوله «قد نَبَّأنا اللهُ مِن أخباركم» إلى قوله: «ما زادوكم إلَّا خَبَالاً ولأَوْضَعوا خِلَالكم» ونحو هذا[1].

ونَبَّأَ هنا تعدَّت إلى مفعولين كـ: عرفَ، نحو قوله: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا﴾ [التحريم: ٣] والثاني هو «من أخبارِكم» أي: جملة مِن أخباركم، وعلى رأي أبي الحسن الأخفش تكون «مِن» زائدة، أي: أخبارَكم، وقيل: نبَّأ بمعنى أَعْلَم المتعدِّية إلى ثلاثة، والثالث محذوف اختصاراً؛ لدلالة الكلام عليه، أي: مِن أخبارِكم كذباً أو نحوه.

«وسيرى الله» توعُّد، أي: سيراه في حال وجودِه فيَقع الجزاءُ منه عليه؛ إنْ خيراً فخير، وإنْ شرًّا فشَرّ.

وقال الزمخشريُّ: «وسيرى اللهُ عملَكُم» أَتُنِيبون أم تَثْبتون على الكفر[2]. «ثمَّ تُردُّون» إشارة إلى البَعْث مِن القبور، والتَّنبُّؤ بأعمالهم عبارةٌ عن جزائهم عليها.

قال ابنُ عيسى: «وسيرى» يجعله مِن الظُّهور بمنزلة ما يُرى ثم يُجازي عليه.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٨.

وقيل: كانوا يُظهِرون للرَّسول عند تقريرِهم معاذيرَهم حبًّا وشَفَقةً، فقيل: «وسيرى اللهُ عملَكم» هل تَبْقون على ذلك أو لا تَبْقون؟ و«الغيب والشهادة» هما جامعان لأعمال العَبْد لا يَخلو منهما، ففي ذلك دلالةٌ على أنَّه مُطَّلِع على ضمائرهم كاطّلاعه على ظواهرهم، لا تفاوُت عنده في ذلك.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ لـمَّا ذَكَر أنَّهم يَصدُر منهم الاعتذارُ، أَخبر أنَّهم سيُؤكِّدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحَلِف، وأنَّ سببَ الحَلِف هو طلبتهم أَنْ تُعرضوا عنهم، فلا تلوموهم ولا توبِّخوهم، «فأعرضوا عنهم» أي: فأَجيبوهم إلى طلبتهم، وعلّل الإعراض عنهم بـ «إنَّهم رِجْسٌ» أي: مُستقذَرون بما انْطَوَوْا عليه مِن النفاق فتجب مباعدتهم واجتنابهم، كما قال: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] فمَن كان رِجساً لا تنفع فيه المعاتبةُ، ولا يُمكن تطهيرُ الرِّجْس.

ويحتمل أن يكون سببُ الحَلِف مخافتَهم أَنْ تُعرِضوا عنهم فلا تُقبلوا عليهم ولا تُوادُّوهم، فأَمَرَ تعالى بالإعراضِ عنهم وعَدَم تولِّيهم، وبيَّن العِلَّة في ذلك برجسيَّتهم، وبأنَّ مآلَ أمْرِهم إلى النَّار.

قال ابنُ عباس: «فأعرضوا عنهم» لا تُكلِّموهم(١). وفي الخبر أنَّه عليه السلام لمَّا قَدِمَ مِن تبوك، قال: «لا تُجالِسوهم ولا تُكلِّموهم»(٢).

قيل: إنَّ هذه الآية مِن أوَّل ما نَزَلَ في شَأْنِ المنافقين في غزوة تَبوك، وكان قد اعتذرَ بعضُ المنافقين واستأذنوه في القعود قَبْلَ مسيره، فأَذِنَ، فخرجوا، وقال أَحَدُهم: ما هو إلَّا شَحْمَةٌ لأوَّل آكِلٍ. فلمَّا خرج الرَّسول نَزَلَ فيهم القرآنُ، فانصرف رجلٌ مِن القوم، فقال للمنافقين في مجلسٍ منهم: نَزَل فيكم قرآنٌ. فقالوا له: وما ذلك؟ قال: لا أحفظُ إلَّا أنِّي سمعتُ وَصْفَكم فيه بالرِّجْس. فقال لهم مَخْشِيّ: لَوَدِدْتُ أَنْ أُجلدَ مئةً ولا أكون معكم. فخرج حتى لَحِقَ بالرَّسول ﷺ،

(١) أورده عنه القرطبي ١٠/ ٣٣٧.
(٢) المصدر السابق، وأورده البغوي في التفسير ٢/ ٣٢٠ وعزاه لابن عباس ﷺ، وأخرجه ابنُ أبي حاتم ٦/ ١٨٦٥ عن السدي.

فقال له: «ما جاءَ بِكَ»؟ فقال له: وَجْهُ رسولِ الله ﷺ تَسْفَعُه الرِّيح وأنا في الكِنِّ؟! فروي أنَّه ممَّن تاب[١].

قال ابنُ عطيَّة: «فأعرِضوا عنهم» أَمْرٌ بانتهارِهم وعقوبتهم بالإعراض والوَصْم بالنِّفاق، وهذا مع إجمالٍ لا مع تعيين مُصَرّح مِن الله ولا مِن رسوله، بل كان لكلِّ واحد منهم ميدانُ المقالة مبسوطاً، وقوله: «رِجْس» أي: نَتَنٌ وقَذَر، وناهِيْكَ بهذا الوصف محطَّة دنياويَّة، ثم عَطَفَ بمحطَّة الآخِرَة[٢].

ومِن حديث كعب بنِ مالك أنَّهم جاؤوا يَعتذرون ويَحلفون لمَّا قَدِمَ المدينةَ وكانوا بضعةً وثمانين، فقَبِلَ منهم علانيَّتهم وبايَعهم واستغفرَ لهم ووَكَلَ سرائرَهم إلى الله تعالى[٣].

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ قال مقاتل: نَزَلت في عبد الله بنِ أُبَيّ حَلَفَ بالله الذي لا إلهَ إلَّا هو لا يَتخلَّف عنه بَعْدَها، وحَلَفَ ابنُ أبي سَرْح ليكونَنَّ معه على عدوِّه، وطَلَب مِن الرَّسول أنْ يَرضى عنه، فنزلت[٤].

وهنا حُذفَ المحلوفُ به، وفي قوله: «سيَحلفون بالله» أُثبِت، كقوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ [القلم: ١٧] وقولِه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩] فلا فَرْقَ بين حذفِه وإثباته في انعقادِ ذلك يميناً.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٢، والخبر عند الطبري ١١/ ٦٢٩-٦٣٠، ومَخْشِي: هو ابن حُمَيْر الأشجعي، حليف لبني سلمة من الأنصار، كان من المنافقين، ثم تاب وحسنت توبته، وتَسمَّى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعلم مكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أَثَر. الاستيعاب الترجمة (٢٤٩١).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٢.

(٣) المصدر السابق، والخبر أخرجه البخاري (٤٦٧٦)، ومسلم (٢٧٦٩)، وهو عند أحمد (١٥٧٨٩)، والطبري ١١/ ٦٣٠-٦٣١.

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٨٧، وفيه أنَّ عبد الله بنَ أُبَيّ حلف للنبيّ ﷺ: لا أتخلَّف عنك، ولأكوننَّ معك على عدوِّك، وطلب منه أنْ يرضى عنه، وحلف ابنُ أبي سَرْح لعمر بن الخطاب، وخبر مقاتل أورده أيضاً الثعلبي ٣/ ٢٣٧، والبغوي ٢/ ٣٢٠.

وغَرَضهم في الحَلِف رضا الرّسول والمؤمنين عنهم، لنَفْعِهم في دنياهم لا أنَّ مقصدَهم وَجْهُ اللهِ تعالى والبِرُّ، إذ هي أيمان كاذبةٌ وأعذار مُختَلَقة لا حقيقةَ لها.

وفي الآية قَبْلَها لمَّا ذَكَر حَلِفَهم لأَجْلِ الإعراض، جاء الأَمْرُ بالإعراض نصًّا؛ لأنَّ الإعراضَ مِن الأمور التي تَظهر للناس، وهنا ذكر الحلف لأَجْل الرِّضا، فأبرز النهي عن الرِّضا في صورة شرطيَّة؛ لأنَّ الرِّضا مِن الأمور القلبيَّة التي تَخفى، وخرج مخرجَ المتردّد فيه، وجعل جوابه انتفاء رِضا الله عنهم، فصار رضا المؤمنين عنهم أبعد شيءٍ في الوقوع؛ لأنَّه معلومٌ منهم أنَّهم لا يَرْضَون عمَّن لا يَرضى اللهُ عنهم، ونصَّ على الوَصْف الموجب لانتفاء الرِّضا وهو الفِسْق، وجاء اللفظ عامًّا، فَيَحتمل أنْ يُراد به الخصوص، كأنَّه قيل: فإنَّ اللهَ لا يَرضى عنهم.

ويحتمل بقاءَه على العموم، فيَندرجون فيه، ويَكونون أَولى بالدُّخول، إذ العامُّ إذا نَزل على سبب مخصوص لا يُمكن إخراجُ ذلك السبب مِن العموم بتخصيصٍ ولا غيرِه.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ نزلت في أعراب مِن أَسَدٍ وتميم وغَطَفان، ومِن أعرابٍ[1] حاضري المدينة، أي: أشدُّ كفراً مِن أهلِ الحَضَر، وإذا كان الكفر متعلِّقاً بالقلب فقط، فالتقدير: أَشَدُّ أسبابِ كفر، وإذا دخلت فيه أعمالُ الجوارح تحقَّقت فيه الشِّدَّة وكانوا «أَشَدَّ كفراً ونفاقاً»، لتَوحُّشهم واستيلاءِ الهواء الحارِّ عليهم، فيزيد في تِيْهِهم ونَخْوتهم وفَخْرهم وطَيْشِهم، وتربيتهم بلا سائسٍ ولا مُؤَدِّب ولا ضابِطٍ، فنشؤوا كما شاؤوا، ولبُعْدِهم عن مشاهدة العُلماء ومعرفةِ كتابِ اللهِ وسُنَّة رسولِ الله، ولبُعْدهم عن مَهْبِط الوحي، كانوا أَطلق لساناً بالكفر والنِّفاق مِن منافقي المدينة، إذ كان هؤلاء يَستولي عليهم الخوفُ مِن المؤمنين، فكان كفرهم سرًّا، ولا يَتظاهرون به إلا تعريضاً.

---

(١) كذا في (د١) و(ز١) و(يه) والمطبوع، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧، والذي في (أ) و(ح) و(ع): من أعراب. بدون واو، وفي أسباب النزول للواحدي ص٢٥٩: وأعاريب من أعراب حاضري المدينة.

«وأَجْدَر» أي: أَحَقُّ «أَنْ لا يَعلموا» أي: بأَنْ لَا يعلموا، والحدودُ هنا الفرائضُ، وقيل: الوعيد على مخالفة الرَّسول، والتأخُّر عن الجهاد، وقيل: مقادير التكاليف والأحكام.

وقال قتادة: أَقَلّ عِلْماً بالسُّنن[1]. وقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الجفاءَ والقَسْوةَ في الفَدَّادِين»[2].

«واللهُ عليم» يَعلَمُ كلَّ أَحَدٍ مِن أهل الوَبَر والمَدَر «حكيمٌ» فيما يُصيب به مسيئَهم ومحسنَهم مِن ثوابٍ وعقاب.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ نزلت في أعرابِ أَسَدٍ وغَطَفان وتميم كانوا يَتَّخذونَ ما يُؤخَذ منهم مِن الصَّدَقات، وقيل: مِن الزكاة، ولذلك قال بعضهم: ما هيَ إلَّا جِزْية أو قريبة مِن الجزية. وقيل: كلُّ نَفَقة لا تَهواها أنفسُهم، وهي مطلوبةٌ شرعاً، وهو ما يُنفقه الرَّجُلُ وليس يَلزمه؛ لأنَّه لا يُنفق إلَّا تَقيَّة مِن المسلمين ورياءً، لا لوجهِ الله تعالى وابتغاءِ المثوبة عنده، فعلى هذا المَغْرَم إلزامُ ما لا يَلزم.

وقيل: المَغْرَم: الغُرْم والخُسْر، وهو قولُ ابنِ قتيبة[3]، وقريبٌ مِن الذي قَبْلَه. وقال ابنُ فارس[4]: المَغْرَم: ما لَزِمَ أصحابَه، والغَرَامُ: اللازِمُ، ومنه: الغَرِيم؛ للزومه، وإلحاحه.

والتربُّص: الانتظار، و«الدَّوائر» جَمْع: دائرة، وهي ما يُحيط بالشيء إحاطةً مستديرةً، و«الدوائر»: هي المصائب التي لا مَخْلَصَ منها تُحيط به كما تُحيط الدائرة.

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧، والقرطبي ١٠/ ٣٣٨، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٣٢، وابنُ أبي حاتم ٦/ ١٨٦٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٩، والخبر عند البخاري (٣٣٠٢)، ومسلم (٥١)، من حديث أبي مسعود ﷺ، وهو عند أحمد (١٧٠٦٦)، والفَدَّادون: الذين تَعْلُو أصواتُهم في حروثهم ومواشيهم، وقيل غير ذلك. النهاية (فدد).

(٣) تفسير غريب القرآن له ص١٩٠.

(٤) ينظر مجمل اللغة (غرم).

وقيل: تَرَبُّصُ الدَّوائرِ هنا موتُ الرَّسول ﷺ وظُهور الشِّرْك، وقال الشاعر:

تَرَبَّصْ بها رَيْبَ المَنُونِ لَعلَّها تُطَلَّقُ يوماً أو يَموتُ حَلِيلُها[1]

وتَرَبُّصُ الدوائر، ليَخلصوا مِن أعباء النفقة، وقوله: «عليهم دَائرةُ السَّوء» دُعاءٌ مُعترِضٌ، دَعَا عليهم بنسبة ما أخبر به عنهم، كقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة ٦٤] والدُّعاءُ مِن الله هو بمعنى إيجابِ الشيء؛ لأنَّه تعالى لا يَدعُو على مخلوقاته، وهي في قَبْضَته.

وقال الكرمانيُّ: عليهم تدورُ المصائب والحروب التي يتوقَّعونها على المسلمين، وهذا وَعْدٌ للمسلمين وإخبارٌ، وقيل: دعاء، أي: قولوا: عليهم دائرةُ السّوء، أي: المكروه.

وحقيقةُ الدَّائرة ما تدورُ به الأيَّام، وقيل: يَدور به الفُلْك في سَيْره، والدَّوائر انقلابُ النِّعمة إلى ضِدِّها، وفي «الحُجَّة»: يَجوز أن تكونَ الدَّائرةُ مصدراً كالعافية، ويجوز أن تكون صفةً[2].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو: «السُّوء» هنا، وفي سورة «الفتح» ثانِيْهِ[3]: بالضَّمِّ، وباقي السبعة: بالفتح، فالفتح مصدر.

قال الفَرَّاء: سُؤْته سَوْءاً ومَسَاءَةً وسَوائِيَةً[4]، والضَّمُّ الاسمُ، وهو الشَّرُّ والعذاب، والفَتْح ذمٌّ للدائرة، وهو مِن بابِ إضافةِ الموصوف إلى صفته، وُصفت الدائرةُ بالمصدر، كما قالوا: رَجُلُ سَوْءٍ، في نقيضِ: رَجُلُ صِدْقٍ، يَعنون في هذا

---

(١) البيت لفرَّاص بن عتبة الأزدي كما في معجم الشعراء للمرزباني ص١٩٢، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني ٣/ ٤١١، والبيت قاله في ابنةِ عمٍّ له كان يهواها، فَرُدَّ عنها وزُوِّجت غيره، كما في معجم الشعراء، أو أنَّه قاله عندما شكا إليه رجلٌ تزويجَ امرأةٍ يريد أن يتزوَّجها، كما في المحاضرات، وأورده أيضاً السَّرَّاج في مصارع العُشَّاق ٢/ ١٥٩ ونسبه لحمدان البَرْتي القاضي بالشرقية، قاله في امرأةِ طِقطِق الكوفي حين شكت إليه زوجها. وهو في جمهرة اللغة واللسان (ربص) دون نسبة.

(٢) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٤/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) أي: ثاني موضعٍ وردت فيه في سورة الفتح، وهي الآية (١٢)، والأولى في الآية (٦)، والقراءة في السبعة ص٣١٦، والتيسير ص١١٩، والنشر ٢/ ٢٨٠.

(٤) معاني القرآن له ١/ ٤٥٠.

الصلاحَ لا صِدْقَ اللسانِ، وفي ذاكَ الفسادَ، ومنه: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨] أي: امْرَأً فاسداً.

وقال المُبَرِّد: السَّوء بالفتح: الرَّداءَةُ(١). ولا يَجوز ضَمُّ السينِ في: رَجُل سَوْء، قاله أكثرهم، وقد حكي بالضَّمِّ، وقال الشاعر:

وكُنْتَ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأى دَمَاً ... بصاحِبِه يوماً أَحالَ على الدَّمِ(٢)

«واللهُ سميعٌ» لأقوالهم «عليمٌ» بنيَّاتهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾ نزلت في بني مُقَرِّن مِن مُزَيْنَة، قاله مجاهد(٣).

وقال عبد الرحمن بنُ مُغْفِل بن مُقَرِّن: كُنَّا عشرةً وَلَدَ مُقَرِّن، فنزلت: «ومِن الأعراب مَن يُؤمن» الآية، يريد السِّتَّة أو السَّبْعة الإخوة على الخلاف في عَدَدهم وبَنِيهم(٤).

وقال الضَّحَّاك: في عبدِ الله ذي البِجادَيْن ورَهْطِه. وقال الكلبيُّ: في أَسْلَم وغِفار وجُهَيْنَة(٥).

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤١، ونقله أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٣٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٤، والبيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢/ ١٨٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٩٤، والبغوي ٢/ ٣٢١، والمحرر الوجيز ٣/ ٧٤، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٣٥-٦٣٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧٤، وعزا الخبر فيه للطبري، وهو عنده في التفسير ١١/ ٦٣٦، ووقع في مطبوعه: عبد الله بن معقل، وأشار محقِّقوه إلى نسخة خطيَّة منه، وفيها: عبد الرحمن بن مغفل، وكذا ورد في مطبوع الإصابة ٧/ ٣٣٣-٣٣٤، والصواب: عبد الرحمن بن مَعْقِل بن مُقَرِّن، أبو عاصم الكوفي التابعي، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وروى له أبو داود حديثاً واحداً، تنظر ترجمته في الإصابة، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٥٤، وذكره أيضاً ابنُ الأثير في جامع الأصول ١٢/ ٦٨٠ في ترجمة أخيه: عبد الله بن معقل، وضَبَط: معقل، هكذا: بفتح الميم، وسكون العين المهملة، وكسر القاف.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧، وقول الكلبي عند البغوي ٢/ ٣٢١، وذو البِجادين هو: عبد الله بن نُهْم بن عُفَيف، كان يتيماً في حِجْر عمِّه، فلمَّا أسلم نزع عمُّه منه كلَّ شيء أعطاه، حتى =

ولمَّا ذكر تعالى مَن يَتَّخذ ما يُنفِق مَغْرَماً ذَكَرَ مقابِلَه وهو مَن يَتَّخذ ما يُنفق مَغْنَماً، وذَكَر هنا الأصلَ الذي يترتَّب عليه إنفاقُ المالِ في القُرُبات وهو الإيمان بالله واليوم الآخِر، إذ جَزاءُ ما يُنفق إنَّما يَظهر ثوابُه الدائم في الآخِرَة، وفي قصَّة أولئك اكتفى بذِكْر نتيجة الكفر وعدمِ الإيمان وهو اتِّخاذه ما يُنفِق مَغْرماً، وتربُّصه بالمؤمنين الدَّوائر، والأجود تعميمُ القُرُبات مِن جهادٍ وصدقةٍ، والمعنى: يَتَّخذه سَبَبَ وُصَلٍ عندَ اللهِ وأَدعية الرَّسول، وكان يَدعُو للمتصدِّقين بالخير والبَرَكة ويَستغفرُ لهم، كقوله ﷺ: «اللَّهمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى»، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[1] [التوبة: ١٠٣].

والظاهر عَطْفُ «وصلوات» على«قربات»، قال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكون «وصلوات الرَّسول» عطفاً على «ما يُنفق»، أي: ويَتَّخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرَّسول قربةً[2].

قال ابنُ عبَّاس: «صلوات الرَّسول» هي استغفارُه لهم.

وقال قتادة: أدعيته بالخير والبركة[3].

سمَّاها «صلوات»؛ جَرْياً على الحقيقة اللغوية، أو لأنَّ الدُّعاءَ فيها، وحين جاء ابنُ أبي أَوفى بصدقته، قال: «آجَرَكَ اللهُ فيما أَعطيتَ، وجَعَلَه لَكَ طُهوراً»[4].

والضمير في «إنَّها» قيل: عائد على «الصلوات»، وقيل: عائد على النفقات،

= جرَّده من ثوبه، فشَقَّ بجاداً نصفين، اتَّزر نصفاً وارتدى نصفاً، فقال له النبيُّ ﷺ: «أنت عبد الله ذو البجادين»، توفي في غزوة تبوك. الإصابة ٦/ ١٤٩.

(١) الكشاف ٢/ ٢١٠، والخبر أخرجه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وهو عند أحمد (١٩١١١).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٤.

(٣) أخرجه عنهما الطبري ١١/ ٦٣٥.

(٤) لم يَرِد عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال ذلك، بل الوارد ما ذُكر آنفاً أنَّه قال: «اللَّهمَّ صَلِّ على آلِ أبي أوفى»، وورد في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٤، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]: أي: استغفر لهم وادْعُ لهم، وقيل: هو قول الولي إذا أخذ الصدقة: آجركَ الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت. اهـ. وكذا ورد في الكشاف ٢/ ٢١٢، وتفسير الرازي ١٦/ ١٨٠ ونُسبَ الكلامُ فيهما للشافعي، وكلامه في كتابه الأم ٢/ ٥١.

وتحرير هذا القول أنَّه عائدٌ على «ما» على معناها، والمعنى: قربة لهم عندَ اللهِ، وهذه شهادةٌ مِن اللهِ للمتصدِّق بصحَّة ما اعتقد مِن كون نفقتِه قربات وصلوات، وتصديقٌ لرجائه على طريق الاستئنافِ مع حرفِ التنبيه وهو «أَلَا»، وحرفِ التوكيد وهو «إنَّ»، قال الزمخشريُّ[١]: وما في السِّين مِن تحقيق الوعد، وما أدلَّ هذا الكلام على رِضَا اللهِ تعالى عن المُتَصدِّقين، وأنَّ الصدقةَ منه تعالى بمكانٍ إذا خَلصت النِّيَّةُ مِن صاحبِها. انتهى. وتقدَّم الكلام معه في دعواه أنَّ السينَ تفيدُ تحقيقَ الوَعْدِ[٢].

وقرأ ورش: «قُرُبة» بضَمِّ الراء، وَباقي السبعة بالسُّكون[٣]، وهما لغتان، ولم يَختلفوا في «قُرُبات» أنَّه بالضَّمِّ، فإن كان جَمْعَ: قُرُبة، فجاء الضَّمُّ على الأصل في الوضع، وإن كان جَمْعَ: قُرْبة، بالسكون، فجاء الضَّمُّ إتْباعاً لِمَا قبله، كما قالوا: ظُلُمات، في جَمْع: ظُلْمة.

﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ قال أبو موسى الأشعريُّ وابنُ المسيّب وابنُ سيرين وقتادة: «السابقون الأوَّلون»: مَن صلَّى القِبْلَتَيْن.

وقال عطاء: مَن شَهِدَ بدراً، قال: وحُوِّلت القِبْلة قَبْلَ بدرٍ بشهرين.

وقال الشعبيُّ: مَن أدرك بيعةَ الرِّضوان ـ بيعةَ الحُديبية ـ ما بينَ الهجرتين[٤].

ومَن فَسَّر السَّابقين بواحدٍ كأبي بكر أو عليٍّ أو زيد بنِ حارثة أو خديجة بنتِ خويلد، فقولُه بعيدٌ مِن لفظِ الجَمْع، وإنَّما يُناسب ذلك في أوَّل مَن أَسْلَم.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢١٠، وما قبله منه أيضاً.
(٢) عند تفسير الآية (٧١) من هذه السورة.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٧٤، والقراءة في السبعة ص٣١٧، والتيسير ص١١٩، والنشر ٢/ ٢٨٠.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٧٥، وزاد المسير ٣/ ٤٩٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٩٤-٣٩٥، والقرطبي ١٠/ ٣٤٤، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٦٣٧-٦٤٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٨.

والظاهر أنَّ السَّبْقَ هو إلى الإسلام والإيمان، وقال ابنُ بحر: هم السابقون بالموت أو بالشهادة مِن المهاجرين والأنصار، سَبَقوا إلى ثواب الله وحُسْن جزائه[١].

و«من المهاجرينَ والأنصار» أي: ومِن الأنصار، وهم أهلُ بيعةِ العَقَبة أوَّلاً، وكانوا سبعةَ نَفَرٍ، وأهلُ العَقَبة الثانية، وكانوا سبعينَ، والذين آمَنُوا حين قَدِمَ عليهم أبو زُرَارة مصعبُ بنُ عمير فعلَّمهم القرآن.

قال ابنُ عطيَّة: ولو قال قائلٌ: إنَّ السابقينَ الأوَّلين هم جميعُ مَن هاجر إلى أنِ انقطعت الهجرةُ، لكان قولاً يَقتضيه اللفظُ، وتكون «مِن» لبيان الجنس، «والذين اتبعوهم بإحسان» هم سائرُ الصحابة، ويَدخل في هذا اللفظِ التابعونَ وسائرُ الأُمَّة لكن بشَرْطِ الإحسان، وقد لَزِمَ هذا الاسمُ الذي هو التابعون مَن رَأى مَن رَأى النبيَّ ﷺ[٢].

وقال أبو عبد الله الرَّازيُّ: الصحيح عندي أنَّهم السابقونَ في الهجرة والنُّصْرة؛ لأنَّ في لفظ السابقين إجمالاً، وَوَصْفهم بالمهاجرين والأنصار يُوجِب صَرْفَ ذلك إلى ما اتَّصفوا به وهي الهجرة والنُّصْرة، والسَّبْقُ إلى الهجرة صفةٌ عظيمة مِن حيث كونها شاقَّة على النَّفْس ومخالفة للطَّبْع، فمَن أَقْدَمَ أوَّلاً صار قدوةً لغيره فيها، وكذلك السَّبْقُ في النُّصْرة فازوا بمَنْصِب عظيم[٣]. انتهى ملخَّصاً.

ولمَّا بيَّن تعالى فضائلَ الأعراب المؤمنين المُتصدِّقين وما أعدَّ لهم مِن النعيم، بيَّن حالَ هؤلاء السابقين وما أعدَّ لهم، وشَتَّانَ ما بينَ الإعدادَيْن والثَّناءَيْن، هناك قال: «أَلَا إنَّها قربةٌ لهم»، وهنا «رضي اللهُ عنهم»، وهناك «سَيُدْخلهم اللهُ في رحمته»، وهنا «وأَعَدَّ لهم جناتٍ»، وهناك خَتَم «إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ»، وهنا «ذلك الفوزُ العظيم».

وقرأ عمر بنُ الخطَّاب والحسن وقتادة وعيسى الكوفي وسَلَّام وسعيد بنُ

(١) النكت والعيون ٢/ ٣٩٥ دون عزوه لابن بحر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٥.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١٦٨-١٦٩.

أبي سعيد وطلحة ويعقوب: «والأنصارُ» برفع الراء[١]، عطفاً على «والسابقون» فيكون الأنصار جميعُهم مُنْدَرِجين في هذا اللفظ، وعلى قراءةِ الجمهور ـ وهي الجرّ ـ يكونون قِسْمَين، سابقٌ أوّل وغيرُ أوّل، ويكون المُخبر عنهم بالرِّضا سابقوهم، «والذين اتَّبعوهم» الضميرُ في القراءتين عائدٌ على «المهاجرين والأنصار».

والظاهر أنَّ «والسابقون» مبتدأ، و«رضي اللهُ» الخبر، وجوَّزوا في الخبر أنْ يكون «الأولون» أي: هم الأوَّلون «من المهاجرين»، وأن يكون «من المهاجرين» فيكون فيه إعلام بأنَّ السابقين من هذه الأمَّة هم «من المهاجرين والأنصار»[٢].

وجوَّزوا في قوله: «والسابقون» أن يكون معطوفاً على قوله: «مَن يُؤمِن» أي: ومنهم السابقون.

وجوَّزوا في «والأنصارُ» أنْ يكون مبتدأً في قراءةِ الرفع، خَبرُه «رضيَ اللهُ عنهم» وذلك على وَجْهَي «والسابقون» وَجْهُ العطف، ووَجْهُ أنْ لا يكون الخبر «رضي الله»، وهذه أعاريبُ متكلَّفة لا تُناسب إعرابَ القرآن.

وقرأ ابنُ كثير: «مِن تحتها»[٣] بإثبات «مِن» الجارَّة، وهي ثابتةٌ في مصاحف مكَّة، وباقي السَّبْعَة بإسقاطها على ما رُسِمَ في مصاحفهم.

وعن عمر أنَّه كان يَرَى «والذين اتَّبعوهم بإحسان» بغير واوٍ صفةً للأنصار، حتى قال له زيد بنُ ثابت: إنَّها بالواو. فقال: ائتوني بأُبَيٍّ. فقال: تصديقُ ذلك في كتاب الله في أوَّل «الجمعة»: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الآية: ٣] وأوسط «الحشر»: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: ١٠] وآخِر «الأنفال»: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾[٤] [الآية: ٧٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٥، والمحتسب ١/ ٣٠٠، وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٨٠.

(٢) من قوله: وأن يكون من المهاجرين، إلى هنا زيادة من (ز١) و(يه)، ولم ترد في النسخ الأخرى والمطبوع.

(٣) السبعة ص٣١٧، والتيسير ص١١٩، والنشر ٢/ ٢٨٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٢١٠، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧-٢٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٧٥، وقراءة عمر في القراءات الشاذة ص٥٤، والخبر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٧٣، والطبري ١١/ ٦٤١-٦٤٢.

ورُويَ أنَّه سمعَ رجلاً يَقرؤه بالواو، فقال: مَن أقْرَأَكَ؟ فقال: أُبَيّ. فدَعَاه، فقال: أقْرَأَنِيْه رسولُ الله ﷺ. ومِن ثَمَّ قال عمر: لقد كنتُ أرانا رُفِعْنا رفعةً لا يَبلغها أحدٌ بعدنا[1].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ لمَّا شرَح أحوالَ منافقي المدينة، ثمَّ أحوالَ منافقي الأعراب، ثم بيَّن أنَّ في الأعراب مَن هو مُخْلِص صالح، ثُمَّ بيَّن رُؤَساء المؤمنين مَن هُم = ذَكَر في هذه الآية أنَّ منافقينَ حولكم مِن الأعراب وفي المدينة لا تعلمونهم، أي: لا تعلمونَ أعيانهم، أو لا تعلمونهم منافقين، ومعنى «حولكم» حول بَلْدتكم وهي المدينة، والذين كانوا حولَ المدينة جُهَينة وأَسْلَم وأَشْجَع وغِفار ومُزَيْنَة وعُصَيَّة ولِحْيَان وغيرهم ممَّن جاوَرَ المدينة.

«ومِن أهلِ المدينة» يجوز أن يكون مِن عَطْف المفردات، فيكون معطوفاً على «مَن» في قوله: «ومِمَّن» فيكون المجروران يشتركان في المبتدأ الذي هو «منافقون» ويكون «مَرَدُوا» استئنافاً، أخبر عنهم أنَّهم خرِّيجون في النِّفاق.

ويَبعد أن يكون «مَرَدُوا» صفةً للمبتدأ الذي هو «منافقونَ»؛ لأَجْلِ الفَصْل بين الصفة والموصوف بالمعطوف على «ومِمَّن حولكم»، فيصير نظيرَ: في الدارِ زيدٌ، وفي القَصْرِ العاقلُ، وقد أجازَه الزمخشريُّ تابعاً للزجَّاج[2].

ويجوز أن يكون مِن عطف الجُمَل، ويُقدَّر موصوف محذوف هو المبتدأ، أي: ومِن أهل المدينة قومٌ مَرَدُوا أو منافقون مَرَدُوا، قال الزمخشريُّ: كقوله:

أَنَــــا ابــــنُ جَــــلَا[3]

انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢١٠، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٦٤١، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٣/ ٢٦٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٢١١، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٦٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١١، وتمام البيت:

أنـا ابـنُ جَـلَا وطَـلَّاع الـثـنـايـا ... مـتـى أضَـعِ الـعـمـامـةَ تـعـرفـونـي =

فإن كان شَبَّهه في مُطلَق حذفِ الموصوف فَحَسَنٌ، وإن كان شَبَّهه في خصوصيَّته فليسَ بحَسَنٍ؛ لأنَّ حذفَ الموصوف مع «مِن» وإقامة صفته مقامه، وهي في تقدير الاسم، ولاسيَّما في التفصيل منقاس، كقولهم: مِنَّا ظَعَن ومِنَّا أَقام، وأَمَّا: أَنا ابنُ جَلَا، فضرورةُ شعرٍ، كقوله:

تَـرمـي بـكـفَّـيْ كـان مِـن أَرْمـى الـبَـشَـر[1]

أي: بكفَّي رَجُلٍ، وكذلك: أَنَا ابنُ جَلَا، تقديره: أَنَا ابنُ رَجُلٍ جَلَا، أي: كَشَفَ الأمورَ وبَيَّنها.

وعلى الوجه الأوَّل يكون «مَرَدُوا» شاملاً للنوعَيْن، وعلى الوجه الثاني يكون مختصًّا بأَهْلِ المدينة، وتقدَّم شَرْح «مَرَدوا» في قوله: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧].

وقال هنا ابنُ عبَّاس: «مَرَدوا» مَرَنوا وثبتوا. وقال أبو عبيدة: عتوا، مِن قولهم: تمرَّد[2]. وقال ابنُ زيد: أقاموا عليه لم يتوبوا[3].

«لا تَعْلَمهم» أي: حتى نُعْلِمَك بهم، أو لا تَعْلَم عواقبَ أَمْرِهم، حكاه ابنُ الجوزيِّ[4]، أو لا تَعلمهم منافقين؛ لأنَّ النفاقَ مختصٌّ بالقَلْب، وتقدَّم لفظ منافقين، فدَلَّ على المحذوف، فتعدَّت إلى اثنين، قاله الكرمانيُّ.

= وهو لسُحَيم بن وَثيل اليربوعي، كما في الكتاب ٣/ ٢٠٧، والأصمعيات ص١٦، والشعر والشعراء ٢/ ٦٤٣، وخزانة الأدب ١/ ٢٥٥.

(١) الرجز في المقتضب ٢/ ١٣٩، والأصول في النحو ٢/ ١٧٨، والخصائص ٢/ ٣٦٧، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٤٠٦، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١١٥، ومغني اللبيب ص٢١٢، قال البغدادي في خزانة الأدب ٥/ ٦٥: وهذا الشاهد قلَّما خلا منه كتاب نحوي، لكنَّه لم يُعرف له قائل. اهـ. وجاء قبله:

مـالَـكَ عـنـدي غـيـر سـهـمٍ وحَـجَـرْ . وغَـيْـرُ كَـبْـداءَ شـديـدةِ الـوَتَـرْ

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٩١، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١/ ٢٦٨.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٧٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤١، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٩.

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٩٢.

وقال الزمخشريُّ: يَخْفَونَ عليكَ مع فِطْنَتك وشهامَتكَ وصِدْق فراستك؛ لِفَرْطِ تَنَوُّقهم في تحامي ما يُشَكِّك في أمرهم[1].

وأسند الطبريُّ عن قتادة في قوله: «لا تَعْلَمهم نحن نَعْلَمُهم» قال: فمَا بالُ أقوامٍ يَتكلَّفون عِلْم الناسِ: فلانٌ في الجنَّة، فلانٌ في النَّار. فإذا سألتَ أحدَهم عن نفسِه، قال: لا أدري. أنتَ لَعَمْرِي بنفسِك أَعْلَم منكَ بأعمالِ الناس، ولقد تكلَّفت شيئاً ما تَكلَّفه الرُّسُل، قال نبيُّ اللهِ نوح: ﴿وَمَا عِلۡمِى بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]، وقال نبيُّ اللهِ شُعيب: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [هود: ٨٦]، وقال الله تعالى لنبيِّه: «لا تَعْلمهم نَحنُ نَعْلَمهم»[2]. انتهى.

فلو عاش قتادةُ إلى هذا العَصْرِ الذي هو قرن ثمان مئة وسَمع ما أحدثَ هؤلاء المنسوبونَ إلى الصُّوف مِن الدَّعاوى والكلام المُبَهْرَج الذي لا يَرجع إلى كتابِ الله وإلى سُنَّة رسول الله ﷺ، والتَّجرِّي على الإخبار الكاذب عن المغيَّبات = لقَضَى مِن ذلك العَجَب، وما كنتُ أظنُّ أنَّ مِثْلَ ما حكى قتادةُ يَقَعُ في ذلك الزمان؛ لقُرْبِه مِن الصحابة وكثرة الخير، لكن شياطين الإِنْس يَبْعُدُ أنْ يَخلوَ منهم زمان!

«نحن نَعْلَمهم» قال الزمخشريُّ: نَطَّلِعُ على سرِّهم؛ لأنَّهم يُبطِنون الكفرَ في سويداءِ قلوبهم إبطاناً، ويَبْرُزونَ لكَ ظاهراً بظاهر المُخلصين مِن المؤمنين لا تشكُّ معه في إيمانهم، وذلك أنَّهم مَرَدوا على النِّفاق وضَرَوْا فيه، فلهُم فيه اليَد الطُّولى[3]. انتهى.

وفي قوله: «نحن نَعْلَمُهم» تهديدٌ، وتَرتَّب عليه الوعيدُ بقوله: «سَنُعذِّبهم مرَّتين»، والظاهر إرادةُ التَّثنية، ويَحتمل أن يكون لا يُراد بها شَفْعُ الواحد، بل يكون المعنى على التكثير، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: ٤] أي: كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ، كذلك يكون معنى هذا: سَنُعذِّبهم مرَّة بعد مرَّة، وإذا كانت التثنيةُ مرادةً، فأكثر الناس على أنَّ العذابَ الثانيَ هو عذابُ القَبْر، وأمَّا المرَّة الأُولى، فقال ابنُ عباس

(١) الكشاف ٢/ ٢١١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٦، وخبر قتادة عند الطبري ١١/ ٦٤٣-٦٤٤، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في التفسير ١/ ٢٨٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٢١١.

في الأشهر عنه: هو فَضيحتهم ووَصْمُهم بالنِّفاق، ورُوِيَ في هذا التأويل أنَّه عليه السلام خَطَبَ يومَ جمعة بدر فنَدَّد بالمنافقين وصرَّح، وقال: «اْخْرُج يا فلان مِن المسجد؛ فإنَّك منافق، واخْرُج أنتَ يا فلان، واخْرُج أنتَ يا فلان» حتى أَخْرَج جماعةً منهم، فرآهم عمرُ يَخرجون مِن المسجد وهو مُقْبِلٌ إلى الجمعة، فظنَّ أنَّ الناسَ انتشروا وأنَّ الجمعةَ فاتَتْه، فاختفى منهم حياءً، ثمَّ وَصَلَ المسجدَ فرأى أنَّ الصلاةَ لم تُقْضَ، وفَهِمَ الأَمْرَ[١].

قال ابنُ عطيَّة: وفِعْلُه ﷺ هذا بهم على جهة التأديب اجتهادٌ منه فيهم، ولم يَسلخهم ذلك مِن الإسلام وإنَّما هو كما يُخرَج العصاة والمتَّهمون، ولا عذابَ أعظم مِن هذا، وكان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما يتكلَّم فيهم على الإجمال دونَ تعيين، فهذا أيضاً مِن العذاب[٢]. انتهى.

ويَبعُد ما قال ابنُ عطيَّة، لأنَّه نصَّ على نِفاق مَن أُخرِج بعَيْنه، فليس مِن باب إخراج العصاة، بل هؤلاء كفارٌ عنده وإنْ أظهروا الإسلام.

وقال قتادة وغيره: العذاب الأوَّل عِلَلٌ وأَدْوَاءٌ، أخبر اللهُ نبيَّه عليه السلام أنَّه سيُصيبهم بها، وروي أنَّه أَسَرَّ إلى حذيفة باثني عَشَر منهم، وقال: «ستَّة منهم تكفيهم الدُّبَيْلَة؛ سراجٌ مِن نارِ جهنَّم تَأخُذ في كتفِ أَحدِهم حتى تُفضيَ إلى صدره، وستَّة يموتون موتاً»[٣].

وقال مجاهد: هو عذابهم بالقَتْل والجُوع[٤]. قيل: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ منهم مَن لم يُصبه هذا.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٦، وخبر ابن عباس عند الطبري ١١/ ٦٤٤-٦٤٥، والطبراني في الأوسط (٧٩٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٤: وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزي، وهو ضعيف.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٦.

(٣) المصدر السابق، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٢، وقول قتادة عند الطبري ١١/ ٦٤٦-٦٤٧، وأخرجه أيضاً عن الحسن وابن جريج، والدُّبَيْلَة: خُرَاجٌ ودُمَّلٌ كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً. النهاية (دبل).

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٢، وزاد المسير ٣/ ٤٩٣، والقرطبي ١٠/ ٣٥٢، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٤٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٠.

وقال ابنُ عباس أيضاً: هو هَوَانهم بإقامة حدودِ الشَّرْع عليهم مع كراهيتهم فيه. وقال ابنُ إسحاق: هو همُّهم بظهور الإسلام وعُلُوّ كلمته. وقيل: ضَرْبُ الملائكةِ وجوهَهم وأدبارَهم عند قَبْض أرواحهم[١].

وقال الحسن: الأوَّل: ما يُؤخَذ مِن أموالهم قَهْراً، والثاني: الجهاد الذي يُؤمَرون به قَسْراً؛ لأنَّهم يَرَون ذلك عذاباً[٢].

وقال ابنُ زيد: «مرَّتين» هما عذابُ الدنيا بالأموال والأولاد، كلُّ صِنْفٍ عذابٌ، فهو مرَّتان، وقرأ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ﴾ الآية [التوبة: ٥٥][٣].

وقيل: إحراقُ مسجد الضِّرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنَّم[٤].

ولا خلافَ أنَّ قولَه: «إلى عذاب عظيم» هو عذابُ الآخرة.

وفي مصحف أنس: «سَيُعذِّبهم» بالياء[٥]، وسَكَّن عبَّاس عن أبي عمرو الباءَ[٦].

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ نزلت في عشرةِ رَهْطٍ تخلَّفوا عن غزوة تبوك، فلمَّا دَنَا الرُّسول ﷺ مِن المدينة أوثَقَ سبعةً منهم[٧].

---

(١) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٢٣، والمصادر الآنفة الذكر، قال الطبري في التفسير ١١/ ٦٤٨ عن أثرِ ابنِ عباس: ذُكرَ لنا عن ابن عباس من وجهٍ غيرِ مُرْتَضًى. اهـ. وقول ابن إسحاق فيه أيضاً ١١/ ٦٤٩، وينظر أيضاً سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٣٩٧، وزاد المسير ٣/ ٤٩٣.

(٣) لم نقف عليه هكذا، بل الوارد عنه أنَّ الأولى المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا، والأخرى عذاب الآخرة. تنظر المصادر الآنفة الذكر.

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٢٣.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٧٦، قال السمين في الدر المصون ٦/ ١١٤ عن القراءة: وقد تقدَّم أنَّ المصاحف كانت مهملةً من النَّقْط والضبط بالشكل، فكيف يقال هذا؟!

(٦) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ١١٤، وابنُ عادل في اللباب ١٠/ ١٩٠.

(٧) زاد المسير ٣/ ٤٩٣-٤٩٤، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٥٩، تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٣، والقرطبي ١٠/ ٣٥٣، والخبر أخرجه الطبري ١١/ ٦٥١-٦٥٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٢-١٨٧٤ مفرَّقاً، عن ابن عباس ﵄.

وقيل: كانوا ثمانيةً، منهم: كَرْدَمٌ ومِرْدَاس وأبو قَيْس وأبو لُبَابَة، وقيل: سبعة[١]. وقيل: ستَّة، أوثق ثلاثةٌ منهم أنفسَهم بسواري المسجد، فيهم أبو لبابة[٢]. وقيل: كانوا خمسةً[٣]. وقيل: ثلاثة، أبو لبابة بنُ عبد المنذر، وأوس بنُ ثعلبة، ووديعة بن خِذام الأنصاريُّ[٤].

وقيل: نزلت في أبي لُبابة وَحْدَه[٥]، ويَبعُد ذلك مِن لفظ «وآخرون»؛ لأنَّه جَمْعٌ، فدَخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ حينَ قَدِمَ، فصلَّى فيه ركعتين ـ وكانت عادتَه كلَّما قَدِمَ مِن سفر[٦] ـ فرَآهُم مُوثَّقين، فسَأَلَ عنهم، فذَكَروا أنَّهم أقْسَموا لا يَحلُّون أنفسَهم حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الذي يَحلُّهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «وأنَا أُقسِم أنْ لا أَحلَّهم حتى أُومرَ فيهم، رغبوا عنِّي وتخلَّفوا عن الغزوِ مع المسلمين»، فنزلت، فأَطلقهم وعَذَرهم[٧].

وقال مجاهد: نزلت في أبي لُبابة في شأنه مع بني قُريظة حين استشارُوه في

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٧٧، وتنظر المصادر السالفة، وخبر الثمانية أخرجه الطبري ١١/ ٦٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٢ عن زيد بن أسلم، وخبر السبعة أخرجه الطبريُّ أيضاً ١١/ ٦٥٣-٦٥٤ عن قتادة.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٩٤ وعزاه للعوفي عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٦٥٢-٦٥٣.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٣، ونُسبَ فيه للعوفي عن ابن عباس، وأورده أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٧٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٢١١، وتفسير الرازي ١٦/ ١٧٥، وورد في مطبوعيهما: ووديعة بن حزام.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٣-٢٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٧٧، وزاد المسير ٣/ ٤٩٤-٤٩٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٥٣ ونَسبَه لمجاهد حين قال مقالته لقريظة، والزهريُّ حين رَبَطَ نفسه بسارية المسجد عندما تخلَّف عن غزوة تبوك. وأخرجه عنهما الطبريُّ ١١/ ٦٥٦-٦٥٧، وتنظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٦-٢٣٨.

(٦) أي: أن يصلِّي ركعتين، والخبر أخرجه البخاري (٣٠٨٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك، وهو عند أحمد (٢٧٥٧).

(٧) الكشاف ٢/ ٢١١، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٧٧، والقرطبي ١٠/ ٣٥٤، والخبر أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٧١-٢٧٢، وابن مردويه كما في الكافي الشاف ص٨٠ من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ. وأخرجه أيضاً الطبريُّ ١١/ ٦٥٤-٦٥٥ من قول الضحاك.

النُّزول على حُكْم اللهِ ورسولهِ، فأشار هو لهم إلى حَلْقه، يُريد أنَّ الرَّسولَ ﷺ يَذبحهم إنْ نزلوا، فلمَّا افتُضح تاب ونَدِمَ ورَبَطَ نفسَه في سارية في المسجد وأقْسَم لا يَطْعَم ولا يَشْرب حتى يعفوَ اللهُ عنه أو يموت، فمَكَث كذلك حتى عَفَا اللهُ عنه[1].

والاعتراف: الإقرارُ بالذَّنب، «عملاً صالحاً» أي: توبةً ونَدماً «وآخَرَ سَيِّئاً» أي: تَخلُّفاً عن هذه الغَزَاة، قاله الطبريُّ[2]، أو خروجاً إلى الجهاد قَبْلُ، وتَخلُّفاً عن هذه، قاله الحسن وغيره، أو توبة وإثماً، قاله الكلبيُّ[3].

وعَطْفُ أحدِهما على الآخَر دليلٌ على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما مَخلوطٌ ومَخلوط به، كقولك: خَلَطْتُ الماءَ واللبنَ، وهو بخلافِ: خَلَطْتُ الماءَ باللَّبن، فليس فيه إلَّا أنَّ الماءَ خُلطَ باللبن، قال معناه الزمخشريُّ[4]، ومتى خلطتَ شيئاً بشيءٍ صَدُقَ على كلِّ واحد منهما أنَّه مخلوطٌ ومَخلوطٌ به مِن حيث مدلوليةُ الخَلْطِ؛ لأنَّها أمْرٌ نِسبيٌّ.

قال الزمخشريُّ: ويجوز أنْ يكون مِن قولهم: بعتُ الشاءَ شاةً ودرهماً، بمعنى: شاةً بدرهم، والاعتراف بالذَّنب دليلٌ على التوبة، فلذلك قيل: «عسى اللهُ أنْ يتوبَ عليهم».

قال ابنُ عباس: «عسى» مِن الله واجبٌ[5]. انتهى.

وجاء بلفظ «عسى» ليكون المؤمنُ على وَجَل، إذ لفظةُ «عسى» طَمَعٌ وإشفاق، فأُبرزت التوبةُ في صورته، ثم خَتَمَ ذلك بما دلَّ على قَبول التوبة، وذلك صفةُ الغفران والرحمة، وهذه الآية وإن نَزَلت في ناسٍ مخصوصين، فهي عامَّة في الأمَّة إلى يوم القيامة.

وقال أبو عثمان: ما في القرآن آيةٌ أرْجَى عندي لهذه الأمَّة مِن قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[6].

---

(١) سلف تخريجه قريباً.
(٢) تفسير الطبري ١١/ ٦٥٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٢١٢.
(٤) المصدر السابق.
(٥) جزء من خبر ابنِ عباس السالف الذكر، وهو في دلائل النبوة ٥/ ٢٧٢.
(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٥٥، وأخرجه عنه ابن أبي شيبة (٣٦٥٢٨)، والطبري ١١/ ٦٥٨، وأبو عثمان هو النَّهدِيُّ.

وفي حديث الإسراء والمعراج مِن تخريج البيهقيّ أنَّ الذين خَلَطوا عملاً صالحاً وآخَر سيئاً وتابوا رَآهُم الرَّسولُ ﷺ حولَ إبراهيم وفي ألوانهم شيءٌ، وأنَّهم خَلصت ألوانُهم بَعْدَ اغتسالهم في أنهرٍ ثلاثةٍ، وجلسوا إلى أصحابهم البِيْض الوجوه[١].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ[٢] سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ الخطابُ للرَّسول، والضميرُ عائدٌ على الذين خَلَطوا، قالوا: يا رسولَ الله، هذه أموالُنا التي خَلَّفَتْنا عنكَ فتصدَّق بها وطَهِّرنا. فقال: «ما أُمرت أنْ آخُذَ مِن أموالكم شيئاً» فنزلت[٣]، فيُروى أنَّه أخذَ ثلثَ أموالهم مراعاةً لقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، والذي تظاهرت به أقوالُ المتأوِّلين ابن عباسٍ وغيره أنَّها في هؤلاء المتخلِّفين، وقالت جماعةٌ مِن الفقهاء: المراد بهذه الآية الزكاةُ المفروضة، فقوله على هذا «مِن أموالهم» هو لجميع الأموال والناس، عامٌّ يُراد به الخصوصُ في الأموال، إذ يَخرج عنه الأموال التي لا زكاةَ فيها كالرِّباع[٤] والثياب، وفي المأخوذ منهم كالعَبِيْد، و«صدقة» مُطلَق، فتَصدُّق بأدنى شيء، وإطلاقُ ابنِ عطيَّة عليه أنَّه مُجمَل فيحتاج إلى تفسير[٥]، ليس بجيِّد.

وفي قوله: «خُذْ» دليلٌ على أنَّ الإمامَ هو الذي يتولَّى أَخْذَ الصدقات ويَنظر فيها.

و«من أموالهم» متعلِّق بـ «خُذْ»، و«تُطهِّرهم وتُزكِّيهم» حالٌ مِن ضمير «خُذْ» فالفاعل ضمير «خذ»، وأَجازوا أنْ يكون «مِن أموالهم» في موضعِ الحال، لأنَّه لو تأخَّر لكان صفةً، فلمَّا تقدَّم كان حالاً، وأجازوا أنْ يكون «تُطهِّرهم» صفة، وأنْ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٩٧-٤٠٣، وأخرجه أيضاً الطبري في التفسير ١٤/ ٤٢٤-٤٣٥، من طريق أبي العالية، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وهي قراءة الجمهور، في حين قرأ حفص وحمزة والكسائي: «إنَّ صلاتك» بالتوحيد. السبعة ص٣١٧، والتيسير ص١١٩، وستأتي.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١١-٢١٢، والكلام جزء من خبر ابن عباس السالف الذكر، وأخرجه أيضاً هنا الطبريُّ ١١/ ٦٥٩-٦٦٠.

(٤) الرَّبْعُ: محلَّةُ القوم ومنزلهم. المصباح المنير (ربع).

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٧٨.

يكون استئنافاً، وأنْ يكون ضمير «تُطهِّرهم» عائداً على «صدقة»، ويَبعُد هذا لعَطْفِ «وتزكِّيهم» فيختلف الضميرانِ، فأمَّا ما حكى مكيٌّ مِن أنَّ «تطهِّرهم» صفة للصدقة، و«تزكيهم» حالٌ مِن فاعل «خُذْ»[1]، فقد رُدَّ بأنَّ الواوَ للعطف، فيكون التقدير: صَدَقَةً مُطَهِّرةً ومزكِّيًا بها، وهذا فاسدُ المعنى، ولو كان بغير واو جاز[2]. انتهى.

ويصحُّ على تقدير مبتدأ محذوف، والواو للحال، أي: وأنتَ تزكِّيهم، لكن هذا التخريج ضعيفٌ؛ لِقلَّة نظيره في كلام العرب.

والتزكية مبالغةٌ في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبَرَكة في المال.

وقرأ الحسن: «تُطْهِرْهُم»[3] مِن أَطهر، وأطهر وطهَّر للتعدية مِن طَهَرَ.

«وصَلِّ عليهم» أي: ادْعُ لهم، أو استَغْفِر لهم، أو صَلِّ عليهم إذا ماتوا، أقوالٌ، ومعنى «سَكَنٌ» طُمأنينة «لهم» أنَّ اللهَ قَبِلَ صدقتهم، قاله ابنُ عباس، أو رحمة لهم، قاله أيضاً، أو قُرْبة، قاله أيضاً، أو زيادةٌ وقارٍ لهم، قاله قتادة[4]، أو تثبيتٌ لقلوبهم، قاله أبو عبيدة[5]، أو أَمْنٌ لهم[6]، قال:

يا جارةَ الحَيِّ ألَّا كُنتِ لي سَكَناً إذ ليسَ بعضٌ مِن الجيرانِ أَسْكَنَنِي[7]

وهذه أقوالٌ متقاربة، وقال أبو عبد الله الرازيُّ: إنَّما كانت صلاته سَكَناً لهم؛ لأنَّ رُوحَه ﷺ كانت روحاً قويَّة مُشْرِقة صافيةً، فإذا دَعَا لهم وذَكَّرهم بالخير ثَارَت آثارٌ مِن قوَّته الروحانيَّة على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب أرواحُهم، وَصَفَتْ

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٣٣٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٧٨.

(٣) المصدر السابق، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤-٥٥، والمحتسب ١/ ٣٠١.

(٤) زاد المسير ٣/ ٤٩٦، وينظر النكت والعيون ٢/ ٣٩٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٧٨، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٦٥٩-٦٦٣.

(٥) تنظر المصادر السابقة، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١/ ٢٦٨.

(٦) النكت والعيون ٢/ ٣٩٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦ عن قتادة.

(٧) البيت في النكت والعيون ٢/ ٣٩٩ دون نسبة، ومصارع العُشّاق للسراج ٢/ ٦٩ ونسبه لمالك بن أسماء الفزاري، وجاء عندهما هكذا:

يا جارةَ الحيّ كنتِ لي سَكَناً إذ ليس بعضُ الجيران بالسَّكَنِ

سرائرُهم، وانْقَلَبوا مِن الظُّلْمة إلى النُّور، ومِن الجسمانيَّة إلى الروحانيَّة[١].

قال الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بنُ سليمان ـ عُرف بابنِ النَّقِيْب ـ في كتابه «التحرير والتحبير»: كلامُ الرازيِّ كلامٌ فَلْسَفيٌّ يُشير فيه إلى أنَّ قُوَى الأنفس مُؤثِّرة فَعَّالة، وذلك غيرُ جائز على طريقة أهل التفسير. انتهى.

وقال الحسن وقتادة في هؤلاء المعترفين المَأْخوذ منهم الصدقةُ هم سوى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا[٢].

وقرأ الأَخَوان وحفص: «إنَّ صلاتك» هنا[٣]، وفي «هود»: «أصلاتك» [الآية: ٨٧] بالتوحيد[٤]، وباقي السبعة بالجَمْع.

«والله سميع» باعترافهم «عليمٌ» بندامتِهم وتوبتهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ قال الذين لم يَتوبوا مِن المتخلِّفين: هؤلاء كانوا بالأَمْسِ معنا لا يُكَلَّمون ولا يُجالَسون، فنزلت[٥].

وفي مصحف أُبَيٍّ وقراءةِ الحسن بخلافٍ عنه: «أَلَم تَعلموا» بالتاء على الخطاب[٦]، فاحتمل أن يكون خطاباً للمتخلِّفين الذين قالوا: ما هذه الخاصَّة التي يخصُّ بها هؤلاء، واحتمل أنْ يكون على معنى: قُلْ لهم: يا محمد، وأن يكون على سبيلِ الالتفات من غير إضمارٍ للقول، ويكون المرادُ به التائبين، كقراءة الجمهور بالياء، وهو تخصيصٌ وتأكيدٌ «أنَّ اللهَ» مِن شأنه قَبول توبة مَن تابَ، فكأنَّه قيل: أمَا عَلِموا قبلَ أنْ يُتاب عليهم وتُقْبَل صدقاتهم أنَّه تعالى يَقبَلُ التوبة الصحيحة، ويَقبل الصدقات الخالصة النِّيَّة لله.

---

(١) تفسير الرازي ١٦/ ١٨٤.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٩٦.

(٣) الأخوان: حمزة والكسائي، والقراءة في السبعة ص٣١٧، والتيسير ص١١٩، وهي أيضاً قراءة خَلَف من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٨١، وسلفت.

(٤) المصادر الآنفة الذكر.

(٥) الكشاف ٢/ ٢١٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٦٦، والخبر أخرجه الطبريُّ ١١/ ٦٦٤-٦٦٥ عن ابن زيد.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٧٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤.

وقيل: وَجْهُ التخصيص بـ «هو» هو أَنَّ قَبول التوبة وأَخْذَ الصدقات إنَّما هو لله لا لغيرِه، فاقْصدُوه ووجِّهوها إليه.

قال الزجَّاج: وأَخْذُ الصدقات معناه قَبولها، وقد وردت أحاديثُ كَنَّى فيها عن القَبول بأنَّ الصدقةَ تَقَعُ في يَدِ الله تعالى قَبْلَ أَنْ تَقَعَ في يَدِ السائل، وأنَّ الصدقَة تكون قَدْرَ اللُّقْمَة فيأخذها اللهُ بيمينه فيربِّيها حتى تكونَ مِثْلَ الجبل[1].

وقال ابنُ عطيَّة: المعنى يَأْمُرُ بها ويُشَرِّعها، كما تقول: أَخَذَ السلطانُ مِن الناس كذا، إذا حَمَلهم على أدائه، و«عَن» بمعنى «مِن»، وكثيراً ما يُتوصَّل في موضعٍ واحد بهذه وهذه، تقول: لا صدقةَ إلَّا عن غنًى، ومِن غنًى، وفَعَلَ ذلك فلانٌ مِن أَشَره وبَطَره، وعن أَشَره وبَطَرِه[2]. انتهى.

وقيل: كلمة «مِن» وكلمة «عن» متقاربتان إلَّا أَنَّ «عن» تفيد البُعْدَ، فإذا قيل: جلس عن يمين الأمير، أفاد أنَّه جلس في ذلك الجانب، ولكن مع ضَرْبٍ مِن البُعْد، فيفيد هنا أنَّ التائبَ يَجبُ أَنْ يَعتقدَ في نفسه أنَّه بعيدٌ عن قَبول اللهِ توبتَه؛ بسببِ ذلك الذَّنب، فيحصل له انكسارُ العبد الذي طَرَده مولاهُ وَبعَّده عن حَضْرته، فلفظة «عن» كالتنبيه على أنَّه لا بُدَّ مِن حصول هذا المعنى للتائب[3]. انتهى.

والذي يَظهر مِن موضوع «عن» أنَّها للمجاوزة، فإذا قلتَ: أخذتُ العِلْمَ عن زيد، فمعناه أنَّه جاوَزَ إليكَ، وإذا قلتَ: مِن زيدٍ، دلَّ على ابتداءِ الغاية، وأنَّه

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٦٧بنحوه، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٧٩، وأما الخبر الأول فقد ورد عن ابن مسعود ﷺ أنّه قال: ما تصدَّق رجلٌ بصدقةٍ إلَّا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يد السائل. ثم قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾وهو عند ابن المبارك في الزهد (٦٤٧)، وأبو عبيد في الأموال (٩٠١)، والطبري ١١/ ٦٦٥، والطبراني في الكبير (٨٥٧١)، وينظر الخبر الآتي.
وأما الخبر الثاني فأخرج مسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدَّق أحدٌ بصدقةٍ من طَيِّب، ولا يَقْبَلُ الله إلا الطَّيِّب، إلَّا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرةً، فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظمَ من الجبل، كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فَصِيلَه»، وهو عند البخاري (١٤١٠) بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز٣/ ٧٩، والأَشَر والبَطَر كلاهما بمعنًى.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١٨٦.

ابتداءُ أَخْذِكَ إيَّاه مِن زيد، و«عن» أبلغُ، لظهور الانتقال مَعَه، ولا يَظهر مع «مِن»، وكأنَّهم لمَّا جاوزت توبتُهم عنهم إلى اللهِ اتَّصفَ هو تعالى بالتوبة عليهم، أَلَا تَرَى إلى قوله: «وأنَّ اللهَ هو التوابُ الرحيم» فكلٌّ منهما مُتَّصفٌ بالتوبة وإنِ اختلفت جهتا النسبة، أَلَا ترى إلى ما رُوِيَ: «ومَن تَقرَّب إليَّ شبراً، تَقرَّبتُ منه ذِراعاً، ومَن تَقرَّب مِنِّي ذِراعاً، تَقرَّبتُ منه باعاً، ومَن أتاني يَمشي أتيتُه هرولةً»[1].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ صيغةُ أَمْرٍ ضِمْنُها الوعيد، والمعتذرون التائبون مِن المتَخلِّفين هم المخاطبونَ، وقيل: هم المعتذرون الذين لم يَتوبوا، وقيل: المؤمنون والمنافقون.

«فسيرَى اللهُ» إلى آخِرها، تقدَّم شَرْحُ نظيره[2]، وإذا كان الضميرُ للمعتذرين الخالطين التائبين، وهو الظاهر، فقد أُبرزوا بقوله «فسيرى اللهُ عملَكم» إبرازَ المنافقين الذين قيل لهم: «لا تعتذروا قد نَبَّأنا الله مِن أخباركم وسيرَى» الآية؛ تنقيصاً مِن حالِهم وتنفيراً عمَّا وَقَعوا فيه مِن التخلُّف عن الرَّسول، وأنَّهم وإن تابوا ليسوا كالذين جاهدوا مَعَه بأموالهم وأنفسهم لا يَرغبون بأنفسِهم عن نفسِه.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ قال ابنُ عباسٍ وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابنُ إسحاق: نزلت في الثلاثة الذين خُلِّفوا قَبْلَ التوبة عليهم: هِلالُ بنُ أميَّة الواقفيُّ، ومُرَارَةُ بنُ الرَّبيع العامريُّ، وكعب بنُ مالك.

وقيل: نزلت في المنافقين المعرضين للتوبة مع بنائِهم مسجدَ الضِّرَار[3].

وقرأ الحسنُ وطلحة وأبو جعفر وابنُ نِصَاح والأعرج ونافع وحمزة والكسائيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو عند أحمد (٧٤٢٢).

(٢) عند تفسير الآية (٩٤) من هذه السورة.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٠، وتنظر الآثار عند الطبري ١١/ ٦٧١-٦٧٢.

وحفص: «مُرْجَونَ» و﴿تُرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١] بغير همز[١]، وقرأ باقي السبعة بالهَمْزِ[٢]، وهما لغتان.

«لأمْرِ اللهِ» أي: لحُكْمه «إمَّا يُعذِّبهم» إنْ أَصَرُّوا ولم يَتوبوا، «وإمَّا يتوب عليهم» إن تابوا.

وقال الحسن: هم قومٌ مِنَ المنافقين أَرْجَأَهم رسولُ الله ﷺ عن حضرته.

وقال الأصمُّ: يعني المنافقين أَرْجَأَهم اللهُ، فلم يُخبر عنهم بما عَلِمَ منهم، وحذَّرهم بهذه الآية إن لم يتوبوا[٣].

و«إمَّا» معناها الموضوعةُ له هو أحدُ الشيئين أو الأشياء، فيَنْجَرُّ مع ذلك أنْ تكون للشَّكِّ أو لغيره، فهي هنا على أَصْلِ موضوعها، وهو القَدْرُ المشترَك الذي هو موجودٌ في سائرِ ما زعموا أنَّها وُضعت له وَضْعَ الاشتراك.

«واللهُ عليمٌ» بما يَؤول إليه أَمْرُهم «حكيمٌ» فيما يَفعله بهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ لمَّا ذَكَر طرائقَ ذميمةً لأصناف المنافقين أقوالاً وأفعالاً، ذَكَر أنَّ منهم مَن بَالغَ في الشَّرِّ حتى ابْتَنَى مجمعاً للمنافقين يُرتِّبونَ فيه ما شاؤوا مِن الشَّرِّ، وسَمَّوه مسجداً، ولمَّا بَنى عمرو بنُ عَوْف مسجدَ قُباء وبَعَثوا إلى الرَّسول ﷺ، فجاء وصَلَّى فيه ودَعَا لهم، حَسَدهم بنو عمِّهم بنو غَنْم بنِ عوف، وبَنُو سالم بنِ عوف، وحَرَّضهم أبو عامر الفاسِقُ على بنائه حين نَزَلَ الشامَ هارباً مِن وقعة حُنين، فراسَلَهم في بنائه، وقال: ابْنُوا لي مسجداً، فإنِّي ذاهبٌ إلى قَيْصَر آتي بجندٍ مِن الرُّوم، فأُخرِجَ محمداً وأصحابَه، فبَنَوه إلى مسجدِ قُباء، وكانوا اثني عَشَر

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٠، والقراءة الأولى في السبعة ص٢٨٧-٢٨٩، والتيسير ص١١٩، وهي أيضاً قراءة خَلَف ـ من العشرة ـ وقراءته في النشر ١/ ٤٠٦، والقراءة الثانية في السبعة ص٥٢٣، والتيسير ص١١٩، والنشر ١/ ٤٠٦.

(٢) يعني: «مُرْجَؤون» و«تُرْجِئ». تنظر المصادر السالفة الذكر.

(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١٩١.

رجلاً مِن المنافقين: خِذام بن خالد ـ ومِن داره أُخرج المسجدُ ـ وثعلبةُ بنُ حاطب[١]، ومُعَتِّب بنُ قُشَيْر، وجارية بنُ عامر، وابْنَاه مُجمِّع وزيد، ونَبْتَل بنُ الحارث، وعَبَّاد بنُ حُنَيْف، وبِجاد بنُ عثمان، ووديعة بنُ ثابت، وأبو حنيفة الأزهر[٢]، ويَخْزَج بنُ عَمرو رَجُلٌ مِن بني ضبيعة، وقالوا لرسولِ الله ﷺ: بَنَيْنا مسجداً لِذي العِلَّة والحاجة والليلةِ المَطِيْرَة والشاتِيَة، ونحن نُحبُّ أنْ تُصلِّيَ لنا فيه وتَدْعو لنا بالبَرَكة، فقال ﷺ: «إنِّي على جناح سَفَرٍ وحالِ شُغْلٍ، وإذا قَدِمْنا ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ صَلَّينا فيه» وكان إمامَهم مُجمِّعُ بنُ جارية ـ وكان غلاماً قارئاً للقرآن حَسَنَ الصوت، وهو ممَّن حَسُن إسلامه وولَّاه عمرُ إمامةَ مسجدِ قُباء بَعْدَ مراجَعَةٍ، ثم بَعَثه إلى الكوفة يُعلِّمهم القرآن ـ فلمَّا قَفَلَ رسولُ الله ﷺ مِن غزوة تبوك نَزَلَ بذي أوانٍ بَلَدٍ بينه وبينَ المدينة ساعةٌ مِن نهار ـ ونَزَلَ عليه القرآنُ في شأن مسجد الضِّرار، فدَعَا مالكَ بنَ الدُّخْشُم ومَعْناً وعاصماً ابْنَي عَدِيّ، وقيل: بَعَثَ عمار بنَ ياسر ووَحْشيًّا ـ قاتلَ حمزة ـ بهدمِه وتَحْرِيقه، فهُدِمَ وحُرِّق بنارٍ في سَعَفٍ، واتُّخذ كُناسةً تُرمى فيها الجِيَف والقُمامة[٣].

وقال ابنُ جريج: صَلَّوا فيه الجمعة والسبت والأَحَد، وانهارَ يوم الاثنين ولم يُحرَق[٤].

(١) قال ابنُ عبد البرّ في الدرر ص٢٩٢ عن ذِكْرِه بينهم: فيه نظر، لأنه شهد بدراً. وينظر الإصابة ٢/ ١٦.
(٢) كذا في النسخ، والذي في مصادر التخريج ـ وستأتي قريباً ـ: وأبو حبيبة بن الأزعر.
(٣) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٦٠-٢٦٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٦-٢٤٧، والنكت والعيون ٢/ ٤٠٠-٤٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٨١، وتفسير البغوي ٢/ ٣٢٦-٣٢٧، والكشاف ٢/ ٢١٣-٢١٤، والقرطبي ١٠/ ٣٧٠-٣٧١، والخبر في سيرة ابن هشام ٢/ ٥٣٠ عن ابن إسحاق، وأخرجه عنه الطبريُّ في التفسير ١١/ ٦٧٢-٦٧٤ عن الزهري ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عُمر بن قتادة وغيرهم. وينظر أيضاً المغازي للواقدي ٣/ ١٠٤٥-١٠٤٩، والدرر لابن عبد البرّ ص٢٩١-٢٩٢.
قال ابنُ حجر في الكافي الشاف ص٨٠-٨١: لم أجده بهذا السياق إلا في الثعلبي بلا إسناد، وليس صدره بصحيح؛ فإنَّ مسجدَ قباء كان قد أُسِّس والنبيُّ ﷺ بقباء أوَّل ما هاجر، وبُنِيَ مسجد الضرار وكان في غزوة تبوك، فبينهما تسع سنين... إلى آخر كلامه.
(٤) أخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٩٧.

وقرأ أهلُ المدينة؛ نافع وأبو جعفر وشيبة وغيرهم وابنُ عامرٍ: «الذين» بغيرِ واو[١]، وكذا هي في مصاحف المدينة والشام، فاحتمل أن يكون بدلاً مِن قوله: «وآخَرون مُرْجَون» وأنْ يكون خبر ابتداء، تقديره: هم الذين، وأن يكون مبتدأ، فقال الكسائيُّ: الخبر: «لا تقم فيه أبداً». قال ابنُ عطيَّة[٢]: ويتَّجه بإضمارٍ؛ إمَّا في أوَّل الآية، وإمَّا في آخِرِها، بتقدير: لا تقم في مسجدهم، وقال النَّحَّاسُ[٣] والحَوفيُّ: الخبر «لا يَزال بُنيانهم». وقال المهدويُّ: الخبرُ محذوف، تقديره: مُعذَّبون، أو نحوُه.

وقرأ جمهور القُرَّاء: «والذين» بالواو، عطفاً على «وآخَرون» أي: ومنهم الذين اتَّخذوا، ويجوز أن يكون مبتدأً وخبرُه كخبره بغير الواو إذا أُعربَ مبتدأً.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: «والذين اتَّخذوا» ما محلُّهُ مِن الإعراب؟

قلت: محلُّه النَّصْبُ على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقيل: هو مبتدأ، وخبره محذوف، معناه: فيمَن وَصَفْنا الَّذين اتَّخذوا، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[٤] [المائدة: ٣٨].

وانتصبَ «ضراراً» على أنَّه مفعولٌ مِن أجله، أي: مُضارَّةً لإخوانهم أصحابِ مسجد قُبَاء، ومعازَّةً[٥] وكفراً وتقويةً للنِّفاق وتفريقاً بين المؤمنين؛ لأنَّهم كانوا يُصلُّون مجتمعين في مسجد قُباء فيغتصُّ بهم، فأرادوا أنْ يَفترقوا عنه، وتَختلف كلمتُهم، إذ كان مَن يُجاوِر مسجدَهم يَصرفونه إليه، وذلك داعية إلى صَرْفه عن الإيمان.

ويجوز أن ينتصبَ على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال، وأجاز أبو البقاء أنْ يكون

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٠، والقراءة في السبعة ص٣١٨، والتيسير ص١١٩، والنشر ٢/ ٢٨١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٠-٨١، وما قبله منه أيضاً، وقول الكسائي أيضاً في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٥.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٥.
(٤) الكشاف ٢/ ٢١٤.
(٥) المُعَازَّة: المُغَالبةُ، تقول: عازَّني فلانٌ عِزازاً ومُعَازَّةً فَعَزَزْتُه: أي: غالَبَني فغلبته. مقاييس اللغة ٤/ ٣٩ (عز).

مفعولاً ثانياً لـ «اتخذوا»، «وإرصاداً» أي: إعداداً لأجْلِ مَن حاربَ اللهَ ورسوله، وهوَ أبو عامرٍ الرَّاهِب[١]، أَعدُّوه له ليُصلِيَ فيه ويَظهر على رسولِ الله ﷺ، وكان قد تعبَّد في الجاهليَّة فسُمِّيَ: الراهبَ، وسمَّاه الرسولُ ﷺ: الفاسقَ، وكان سيِّداً في قومه نَظِيراً وقريباً مِن عبد الله بن أُبيّ ابنِ سَلُول، فلمَّا جاء الله بالإسلام نافَقَ ولم يَزل مجاهراً بذلك، وقال لرسولِ الله ﷺ بعد محاورةٍ: لا أجدُ قوماً يُقاتِلونك إلَّا قاتَلْتُك معهم. فلم يَزَل يُقاتِله، وحَزَّبَ على رسولِ الله ﷺ الأحزابَ، فلمَّا ردَّهم اللهُ بغيظِهم أقام بمكة مظهراً للعداوة، فلمَّا كان الفتحُ هَرَبَ إلى الطائف، فلمَّا أسْلَم أهلُ الطائف هَرَبَ إلى الشام يُريدُ قَيْصَرَ مُستنصراً على الرَّسولِ[٢]، فمات وحيداً طَرِيداً غَرِيباً بقِنَّسرين[٣]، وكان قد دَعَا بذلك على الكاذب[٤]، وأمَّنَ الرَّسولُ، فكان كما دَعَا، وفيه يقول كعبُ بنُ مالك:

مـعـاذَ اللهِ مِـن فـعـلٍ خَـبِـيـثٍ ... كَسَعْيكَ في العَشِيرةِ عَبْدَ عَمْرو
وقـلـتَ بـأَنَّ لـي شَـرَفـاً وذِكْـرًا ... فـقـد تـابـعـتَ إيـمـانـاً بـكُـفْـرِ[٥]

(١) واسمه: عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، أحَد بني ضبيعة بن زيد، وهو والد حنظلة الغسيل يوم أحد. سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨١، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٥-٣٧٦، وخبرُ سببِ النزول المتقدِّم آنفاً.

(٣) ينظر زاد المسير ٣/ ٤٩٩، والكشاف ٢/ ٢١٤، وتفسير البغوي ٢/ ٣٢٧، وقِنَّسْرِين: مدينة فَتَحها أبو عبيدة بنُ الجراح سنة (١٧هـ)، وكانت حمص وقنَّسرين شيئاً واحداً. معجم البلدان ٤/ ٤٠٣.

(٤) وهو قوله: الكاذِبُ أماته اللهُ طريداً غريباً وحيداً ـ يُعرِّض برسول الله ﷺ ـ أي: إنَّكَ جئتَ بها كذلك، قال رسولُ الله ﷺ: «أَجَل، فمن كذب فَفَعَل اللهُ تعالى ذلك به». فكان هو ذلك عدوّ الله. سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٥-٥٨٦، وأورده الثعلبيُّ في تفسيره ٣/ ٢٤٣، والبغوي ٢/ ٣٢ هكذا: أماتَ اللهُ الكاذبَ منَّا طريداً وحيداً غريباً. فقال النبي ﷺ: «آمين»... الخبر.

(٥) ديوان كعب بن مالك ص١٧١، وورد فيه: عَمَل، بدل: فعلٍ، وورد فيه البيت الثاني هكذا:

فـإمَّـا قـلـتَ لـي شـرف ونَـخْـلٌ ... فَـقِـدْمـاً بِـعْـتَ إيـمـانـاً بـكُـفْـرِ

وكذا وردا عند ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٨٦، وقال بعدهما: ويروى:

فـإمَّـا قـلـت لـي شَـرَف ومَـالٌ

انتهى. ولم نقف على الرواية التي ذكرها المصنِّف.

وقرأ الأعمش «وإرْصاداً للذين حَاربوا اللهَ ورسولَه»[١].

والظاهر أنَّ «مِن قَبْلُ» متعلِّقاً بـ «حارَبَ»، يريدُ في غزوة الأحزاب وغيرِها، أي: مِن قَبْلِ اتِّخاذ هذا المسجد.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: بمَ يتَّصل قوله تعالى «مِن قَبْلُ»؟

قلتُ بـ «اتخذوا» أي: اتَّخذوا مسجداً مِن قَبْل أَنْ يُنافِق هؤلاء بالتخلُّف[٢]. انتهى. وليس بظاهرٍ.

والحالف هو بَحْزَجٌ[٣]: أي: ما أَرَدْنا ببناءِ هذا المسجد إلَّا الحُسنى والتَّوسعة علينا وعلى مَن ضَعُفَ أو عَجَزَ عن المسير إلى مسجدِ قُباء.

قال الزمخشريُّ: ما أردنا ببناءِ هذا المسجد «إلَّا» الخَصْلَةَ «الحسنى»، أو لإرادة الحسنى، وهي الصلاة وذِكْرُ اللهِ تعالى والتوسُّع على المصلِّين[٤]. انتهى.

كأنَّه في قوله: إلَّا الخَصْلَةَ الحسنى، جَعله مفعولاً، وفي قوله: أو لإرادة الحسنى، جَعله علَّة، وكأنَّه ضَمَّنَ: أَرَادَ، معنَى: قَصَدَ، أي: ما قَصَدْنا ببنائه لشيءٍ مِنَ الأشياء إلَّا لإرادة الحسنى، وهي الصلاة، وهذا وَجْهٌ مُتَكلَّفٌ، فأَكْذَبهم اللهُ في قولهم ونَهَاهُ أَنْ يَقومَ فيه، فقال: «لا تَقُم فيه أبداً» نَهَاهُ لأنَّ بُنَاته كانوا خَادعوا الرسولَ، فَهَمَّ الرسولُ ﷺ بالمشي معهم، واستَدْعَى قميصَه لينهضَ، فنزلت: «لا تَقُم فيه أبداً» وعَبَّرَ بالقيام عن الصلاةِ فيه.

قال ابنُ عباس وفرقةٌ مِن الصحابة والتابعين: المُؤَسَّس على التقوى مسجدُ قُباء[٥]، أسَّسه رسولُ اللهِ ﷺ وصلَّى فيه أيامَ مقامِهِ بقُباء، وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخَرج يومَ الجمعة، وهو أولَى؛ لأنَّ الموازنَةَ بين مسجدِ قُباء

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨١، ولم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٥٥ لكن هكذا: «وإرصاداً لمن حاربوا اللهَ ورسولَه».

(٢) الكشاف ٢/ ٢١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٢، وتصحَّف في مطبوعه إلى: يخرج.

(٤) الكشاف ٢/ ٢١٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٨٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٨، وأخرجه الطبري ١١/ ٦٨٤-٦٨٥ عن ابن عباس وعطية وابن بُرَيْدة وابن زيد وابن الزبير.

ومسجدِ الضِّرار أوقعُ منها بين مسجدِ الرَّسول ومسجدِ الضِّرار[١]، وذلك لائقٌ بالقصَّة.

وعن زيد بن ثابت وأبي سعيد وابنِ عمر أنَّه مسجدُ الرَّسول[٢]، ورُوِيَ أنَّه ﷺ قال: «هو مسجدي هذا»[٣] لمَّا سُئلَ عن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى؟ وإذا صحَّ هذا النَّقْلُ لم يُمكِن خلافه.

و«مِنْ» هنا دخلت على الزمان، واستدلَّ بذلك الكوفيُّون على أنَّ «مِن» تكون لابتداء الغاية في الزمان، وتأوَّله البَصْرِيُّون على حذفِ مضاف، أي: مِن تأسيسِ أوَّلِ يومٍ؛ لأنَّ مِن مذهبِهم أنَّها لا تَجُرُّ الأزمانَ، وتحقيقُ ذلك في عِلْم النحو[٤].

قال ابنُ عطيَّة: ويَحسُن عندي أنْ يُستغنَى عن تقديرٍ، وأَنْ تكونَ «مِنْ» تَجُرُّ لفظةَ «أوَّل»؛ لأنَّها بمعنى البُداءة، كأنَّه قال: مِنْ مُبْتَدَأ الأيَّام، وقد حُكيَ لي هذا الذي اخترته عن بعضِ أئمَّة النَّحْو[٥]. انتهى.

و«أَحقّ» بمعنى: حَقِيْقٌ، وليست أفعلَ تَفضيل؛ إذ لا اشتراكَ بين المسجدَيْن في الحَقِّ، والتاءُ في «أَنْ تَقوم» تاءُ خطابٍ للرَّسول ﷺ.

وقرأ عبد الله بنُ يَزيد: «فِيْهِ» بكسر الهاء، «فِيْهُ» الثانية بضَمِّ الهاء[٦]، جَمَع بين اللُّغتين، والأَصْلُ الضَّمُّ، وفيه رَفْعُ تَوهُّمِ التوكيدِ، ورَفْعُ «رجالٌ» بـ «تقوم»[٧]، إذ «فيه» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رَفْع.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢١٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٢-٨٣، وأخرجه الثعلبيُّ ٣/ ٢٤٨ من طريق عبد العزيز بن محمد، عن عثمان بن عبد الله بن أبي رافع، عن ثلاثتهم.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٣، والحديث أخرجه مسلم (١٣٩٨)، والترمذي (٣٢٣)، وأحمد (١١٠٤٦)، والطبري ١١/ ٦٨٦، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٨٣، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٣٧٠-٣٧٢، وخزانة الأدب ٩/ ٤٤٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٨٣.

(٦) المصدر السابق، والقراءة في المحتسب ١/ ٣٠١.

(٧) يعني: ورَفْع توهُّمِ أنَّ «رجالاً» مرفوعٌ بـ «تقوم». الدر المصون ٦/ ١٢٣.

وجوَّزوا في «فيه رجال» أن يكون صفةً «المسجد»، والحالَ، الاستئنافَ، وفي الحديث قال لهم: «يا مَعْشَرَ الأنصار، رأيتُ اللهُ أثنى عليكم بالطُّهور، فماذا تَفعلون؟» قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّا رَأَيْنَا جيرانَنا مِن اليهود يتطهَّرون بالماء ـ يريدون الاستنجاءَ بالماء ـ ففَعَلْنا ذلك، فلمَّا جاء الإسلامُ، لم نَدَعْهُ. فقال: «فلا تَدَعُوه إِذَن». وفي بعضِ ألفاظِ هذا الحديث زيادةٌ واختلافٌ[1].

وقدِ اختلفَ أَهلُ العلم في الاستنجاء بالحِجَارة أو بالماء، أيُّهما أَفْضَلُ؟ ورَأَتْ فِرقةٌ الجَمْعَ بينهما، وشَذَّ ابنُ حبيب، فقال: لا يُستنجى بالحجارة حيث يُوجَد الماءُ[2]، فعلى ما روي في هذا الحديث يكون التطهُّر عبارةً عن استعمال الماء في إزالة النجاسة في الاستنجاء. وقيل: هو عامٌّ في النجاسات كلِّها. وقال الحسن: هو التَّطهُّر مِن الذنوب بالتوبة[3]. وقيل: «يُحبُّون أنْ يتطهَّروا» بالحُمَّى المُكفِّرة للذنوب، فحُمُّوا عن آخِرهم[4].

وفي «دلائل النبوَّة» للبيهقيِّ أنَّ أهلَ قُباء شَكَوا الحُمَّى، فقال: «إنْ شِئتم

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٣، والخبر أخرجه بنحوه أحمد (١٥٤٨٥)، وابن خزيمة (٨٣)، والطبراني في الكبير ١٧/ (٣٤٨)، وفي الأوسط (٥٨٨٥) من حديث عُوَيم بن ساعدة الأنصاري، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢١٢: رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، وفيه: شرحبيل بن سعد، ضعَّفه مالك وابنُ معين وأبو زرعة، ووثَّقه ابنُ حبان. اهـ.
وأخرجه أيضاً بنحوه ابن ماجه (٣٥٥)، والدَّارقطني في السنن (١٧٤) من حديث أبي أيوب وأنس وجابر، وضعَّفه ابنُ حجر في التلخيص الحبير ١/ ١١٣.
وأصلُ استنجاءِ أهل قباء بالماء عند أبي داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف أيضاً. وتنظر الطرق الكثيرة التي أوردها الطبري في التفسير.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٠٠٤، وتفسير غريب الموطأ ١/ ١٩٨.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٥.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٩، وفيه حديث مرفوع عن أمّ مِلْدَم ـ الحُمَّى ـ رواه يزيد بن عجرة، ولم نقف عليه عند غيره بهذه الرواية، وينظر الخبر الآتي، وأمُّ مِلْدَم كنيةُ الحُمَّى. النهاية (لدم).

دعوتُ اللهَ فأزالها عنكم، وإن شِئتم جَعَلْتها لكم طُهْرَة»، فقالوا: بل اجْعَلْها لنا طُهْرَةً[١].

ومعنى محبَّتهم التَّطهُّر أنَّهم يُؤْثِرونه ويَحرصون عليه حِرْصَ المُحِبِّ الشيءَ المشتهى له على أشياء، ومَحبَّة اللهِ إيَّاهم أنَّه يُحسِن إليهم، كما يفعل المحبُّ بمحبوبه.

وقرأ ابنُ مُصَرِّف والأعمش: «يَطَّهَّروا» بالإدغام، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب: «المُتَطَهِّرين»[٢].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ قرأ نافع وابنُ عامر: «أُسِّسَ بُنْيانُهُ» مبنيًّا للمفعول في الموضعين، وقرأ باقي السبعة وجماعةٌ ذلك مبنيًّا للفاعل، وبنصب «بُنيان»[٣].

وقرأ عمارة بنُ عائذ الأوَّل على بناء الفعل للمفعول، والثاني على بنائه للفاعل[٤].

وقرأ نَصْرُ بنُ عليٍّ، ورُويت عن نصر بنِ عاصم: «أُسُسُ بُنْيَانِهِ»[٥].

---

(١) دلائل النبوَّة للبيهقي ٦/ ١٥٩ من حديث جابر بن عمرو، وأخرجه أيضاً ٦/ ١٥٨-١٥٩ عن جابر بن عبد الله، وهو عند أحمد (١٤٣٩٣)، وأبي يعلى (١٨٩٢)، وابن حبان (٢٩٣٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٠٥-٣٠٦: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح. اهـ.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، والقراءة الأولى في الكشاف ٢/ ٢١٤ دون نسبة، ولم نقف على القراءة الثانية عند غيره.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، والقراءة في السبعة ص٣١٨، والتيسير ص١١٩، والنشر ٢/ ٢٨١.

(٤) يعني: الأولى: «أُسِّسَ» والثانية: «أَسَّسَ»، والقراءة في المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، ونُسبت هكذا: عمارة بن ضبا رواه يعقوب.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، ووردت القراءة في تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٥ لكن عن نصر بن عاصم وحده، وأوردها عنه أيضاً ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص٥٥ دون ضبط، وأوردها أيضاً ابنُ جنِّيّ في المحتسب ١/ ٣٠٣ وضُبِطت في مطبوعه هكذا: «أَسَسُ بُنيانِه» في الموضعين، على وزن: فَعَل. ونَقَلها عنه ـ يعني عن ابن جنِّي ـ ابنُ عطيَّة في المحرر =

وعن نَصْر بنِ عليٍّ وأبي حيوة ونَصْر بنِ عاصم أيضاً: «آسَاسُ» جمع: أُسٍّ[(١)].

وعن نصر بنِ عاصم: أَسُسُ، بهمزة مفتوحة وسين مضمومة[(٢)].

وقرئ: «إساس» بالكسر[(٣)]، وهي جموعٌ أُضيفت إلى البُنيان.

وقرئ: «أَساسُ» بفتح الهمزة[(٤)]، و«أُسُّ» بضمِّ الهمزة وتشديد السين[(٥)]، وهما مفردان أُضيفا إلى البُنيان، فهذه تسعُ قراءات.

وفي كتاب «اللوامح»: نَصْر بن عاصم: «أَفَمَن أَسَسُ» بالتخفيف والرَّفْع «بُنْيَانِه» بالجَرِّ على الإضافة، فأَسَسٌ مصدَرُ أَسَّ الحائِطَ يَؤُسُّه أَسًّا وأَسَساً، وعن نَصْرٍ أيضاً: «أَسَاسُ بُنْيَانِه» كذلك إلَّا أنَّه بالألف، وأُسٌّ وأُسُسٌ وأَسَاسٌ كلٌّ مصادر. انتهى.

والبُنْيان مصدرٌ كالغُفْران، أُطلق على المَبْنِيّ، كالخَلْق بمعنى المَخْلُوق. وقيل: هو جمعٌ، واحدُه: بُنْيَانَة، قال الشاعر:

كَبُنْيَانَةِ القَارِيِّ مَوْضِعُ رَحْلِها ... وآثارُ نِسْعَيْها مِنَ الدَّفِّ أَبْلَقُ[(٦)]

= الوجيز ٣/ ٨٤، وقال: على وزن: فُعُل، بضمِّ الفاء والعين، وهو جمع: أساس، كقُذَال وقُذُل، ونَقَلها عن أبي حاتم بوزن: فَعَل. اهـ. وستأتي قريباً نقلاً عن كتاب «اللوامح».

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٥ نقلاً عن الفراء، وهي عنده في كتابه معاني القرآن ١/ ٤٥٢، وذكرها بقوله: ويُخَيَّل إليَّ أنِّي قد سمعتها. اهـ. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) لم نقف عليها عند غيره.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٥، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٥ ونُسبت لليماني، وجوَّزها ابنُ جنِّيّ في المحتسب ١/ ٣٠٤.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤ عن نصر بن علي، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٥ وعزاها لليماني.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤ وعزاها لنصر بن علي ونصر بن عاصم، وأوردها أيضاً ابنُ جنِّيّ في المحتسب ١/ ٣٠٣ وعزاها للأخير.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، والبيت لأوس بن حجر، وهو في الحجَّة ٤/ ٢١٩، وورد عنده: القَرْيي، بدل: القاري، وفي كتاب الشِّعر للفارسي ٢/ ٣٠٩ و٣٧٤، وورد عنده: القَرْيِّ، ولم نقف عليه في المطبوع من ديوانه، ونُسبَ أيضاً لكعب بن زهير بن أبي سلمى، وهو في شرح ديوان أبيه زهير ص٢٥٧ (بشرح ثعلب) وورد عنده: القَرْئِيّ، ولم نقف عليه في

وقرأ عيسى بنُ عمر «على تقوًى» بالتنوين، وحكى هذه القراءةَ سيبويه، ورَدَّها الناسُ، قال ابنُ جِنِّيٍّ: قياسُها أَنْ تكون أَلِفُها للإلحاق كأرطى[١].

وقرأ جماعةٌ منهم حمزة وابنُ عامر وأبو بكر: «جُرْف» بإسكان الراء، وباقي السبعة وجماعة بضَمِّها، وهما لغتان، وقيل: الأصلُ الضَّمُّ[٢].

وفي مصحف أُبَيٍّ: «فانهارت به قواعدُه في نارِ جهنَّم»[٣].

والظاهرُ أنَّ هذا الكلامَ فيه تبيينُ حالَي المسجدَيْن مسجدِ قُباء أو مسجدِ الرسول ﷺ ومسجدِ الضِّرَار، وانتفاءُ تساويهما، والتفريق بينهما، وكذلك قال كثيرٌ مِن المفسِّرين.

وقال جابر بنُ عبد الله: رأيتُ الدخانَ يَخرُج مِن مسجدِ الضِّرَار، وانْهَارَ يوم الاثنين[٤].

وروى سعيد بنُ جُبير أنَّه إذْ أَرسَلَ الرَّسولُ بهَدْمِه، رُئِيَ منه الدخانُ يَخرج[٥].

ورُوِيَ أنَّه كان الرَّجُلُ يُدْخِل فيه سَعَفَةً مِن سَعَف النَّخْلِ فيُخرجها سوداءَ محترقةً، وكان يُحفَر ذلك الموضعُ الذي انهارَ فيَخرج منه دخانٌ[٦].

= المطبوع من ديوانه، والقَرْئي: إضافة إلى القرية، شَبَّه هذه الناقة ببنيان القُرى، والدَّف: الجنب. شرح ديوان زهير. والنِّسْع: سَيْرٌ تُشَدُّ به الرِّحال. والأبلق: الأبيض في سواد. مع الإشارة إلى أنَّ لفظة: الدَّف، شُكلت في (ز١) بكسر الدَّال.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٤، والمحتسب ١/ ٣٠٤، وكلام ابن جِنِّي منه، وفيه: ك: ﴿تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، بدل: ك: أرطى.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٤-٨٥، والقراءة في السبعة ص٣١٨، والتيسير ص١١٩، والإسكان أيضاً قراءة خَلَف ـ من العشرة ـ وهي في النشر ٢/ ٢١٦.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والكشاف ٢/ ٢١٥.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٨٥، وزاد المسير ٣/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٧، وأخرجه عنه الطبري ١١/ ٦٩٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤، قال ابنُ العربي في أحكام القرآن ٢/ ١٠٠٦: ولو صحَّ هذا لكان جابر رافعاً للإشكال.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٠٠٥-١٠٠٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٧.

(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٧، وينظر قولُ ابنِ جريج عند الطبري ١١/ ٦٩٧.

وقيل: هذا ضَرْبُ مَثَلٍ، أي: مَن أسَّسَ بُنيانه على الإسلام خيرٌ أم مَن أسَّسَ بُنيانَه على الشِّرْكِ والنِّفاق، وبيّنَ أنَّ بناءَ الكافر كبناءٍ على شَفَا جُرُفٍ هارٍ يَتهوَّر أهْلُه في جهنَّم.

قال ابنُ عطيَّة: قيل: بل ذلك حقيقة، وأنَّ ذلك المسجدَ بعَيْنِه انهارَ في نار جهنَّم، قاله قتادة وابنُ جريج[1].

و«خير» لا شَرِكَة بينَ الأَمْرَيْن في خيرٍ إلَّا على مُعتَقِد باني مسجد الضِّرَار، فبحَسَب ذلك المُعتَقد صَحَّ التفضيلُ.

وقال الزمخشريُّ: والمعنى: أفَمَن أسَّسَ بُنيانَ دينِه على قاعدةٍ قويَّة مُحكمَة، وهي الحقُّ الذي هو تقوى اللهِ تعالى ورسولِه خيرٌ، أمْ مَن أسَّسَ على قاعدةٍ هي أضعفُ القواعدِ وأرخاها وأقَلُّها بقاءً، وهو الباطل والنِّفاق الذي مَثَلُه مَثَلُ شَفَا جُرُفٍ هارٍ في قلَّة الثباتِ والاستمساك، وُضِعَ شَفَا الجُرُف في مقابلة التقوى لأنَّه جُعلَ مجازاً عمَّا يُنافي التقوى[2].

فإن قلتَ: فما معنى قوله تعالى: «فانْهَارَ به في نارِ جهنَّم»؟

قلتُ: لمَّا جعلَ الجرف الهائر مجازاً عن الباطل، قيل: «فانهارَ به» على معنى: فطاحَ به الباطلُ في نار جهنَّم، إلَّا أنَّه رُشِّحَ المجازُ فجِيء بلفظ الانهيارِ الذي هو للجُرُفِ، وليُصوِّر أنَّ الباطلَ كأنَّه أُسِّسَ بُنيانه على شَفَا جُرُفٍ مِن أوديةِ جهنَّم، فانهارَ به ذلك الجُرفُ فَهوى في قَعْرها[3]، ولا تَرَى أبلغَ مِن هذا الكلام ولا أدلَّ على حقيقة الباطل وكُنْهِ أمْرِه.

والفاعل بـ: انْهَارَ، أي: البُنيان، أو الشَّفَا، أو الجُرُف «به» أي: بالمؤسِّس الباني، أو انهارَ الشَّفَا أو الجُرُف «به» أي: بالبُنيان، ويَستلزم انهيارُ الجُرُف انهيارَ الشفا والبُنيان، ولا يَستلزم انهيارُ أحدِهما انهيارَه.

«والله لا يهدي القوم الظالمين» إشارةٌ إلى تعدِّيهم ووَضْعِ الشيء في غير

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٥، وينظر قول قتادة وابن جريج عند الطبري ١١/ ٦٩٦-٦٩٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٢١٥، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق.

مَوضعه، حيث بَنَوا مسجدَ الضِّرار، إذ المساجد بيوتُ اللهِ يَجبُ أَنْ يُخلَص فيها القَصْد والنِّيَّة لوَجْهِ اللهِ وعبادتِه، فبَنَوهُ «ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمَن حاربَ الله ورسوله».

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ يَحتمل أنْ يكون البُنيان هنا مصدراً، أي: لا يزال ذلك الفِعْل وهو البنيان، ويَحتمل أنْ يُراد به المَبْنى فيكون على حذفِ مضافٍ، أي: لا يَزال بناءُ المَبْنى.

قال ابنُ عباس: لا يَزالون شاكّين. وقال حبيبُ بن أبي ثابت: غيظاً في قلوبهم، أي: سببَ غيظٍ. وقيل: كفراً في قلوبهم. وقال عطاء: نفاقاً في قلوبهم، وقال ابنُ جُبَير: أَسَفاً ونَدَامةً. وقال ابنُ السائب ومقاتِل: حسرةً وندامةً، لأنَّهم نَدموا على بُنيانِه. وقال قتادة: في الكلام حذفٌ، تقديره: «لا يَزال» هَدْمُ «بُنيانهم الذي بَنَوا ريبةً» أي: حَزَازةً وغيظاً في قلوبهم[1].

وقال ابنُ عطيَّة: «الذي بَنَوا» تأكيدٌ وتصريح بأَمْرِ المسجد ورَفْع الإشكال، والرِّيْبَةُ: الشَّكُّ، وقد يُسمَّى رِيْبَةً فسادُ المُعتَقَد واضطِرَابُه والاعتراضُ في الشيء والتخبيطُ فيه، والحزازةُ مِن أجله ـ وإن لم يكن شكًّا ـ فقد يَرتابُ مَن لا يشكُّ ولكنَّها في مُعتاد اللغة تَجري مع الشَّكِّ، ومعنى الرِّيْبَة في هذه الآية يَعُمُّ الحَنَقَ واعتقادَ صوابِ فِعْلِهم، ونحو هذا ممَّا يؤدِّي كلُّه إلى الرِّيبة في الإسلام، فمقصد الكلام: لا يَزال هذا البُنيانُ الذي هُدمَ لهم يُبقي في قلوبهم حزازةً وأَثَرَ سُوء، وبالشَّكِّ فسَّر ابنُ عباس الرِّيبةَ هنا، وفسَّرها السُّدِّيُّ بالكفر، وقيل له: أفكفَرَ مُجمّعُ بنُ جارية؟ قال: لا، ولكنَّها حَزَازةٌ[2].

قال ابنُ عطية: ومُجمِّع ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قد أَقْسَم لِعُمَرَ أنَّه ما عَلِمَ باطنَ القوم ولا قَصَدَ سُوءاً، والآيَةُ إنَّما عَنَتْ مَن أَبْطَنَ سُوءاً، وليس مُجمِّعٌ منهم[3].

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والنكت والعيون ٢/ ٤٠٥، وتفسير البغوي ٢/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٨٦، وزاد المسير ٣/ ٥٠٢-٥٠٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١١/ ٦٩٨-٧٠١، وابنِ أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤-١٨٨٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦، وأثَر ابن عباس والسُّدِّيّ سلفا آنفاً.

(٣) المصدر السابق، وخبر مُجَمِّع مع عمر عند الثعلبيّ ٣/ ٢٤٧، والبغوي ٢/ ٣٢٧، والكشاف ٢/ ٢١٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٣.

ويَحتمل أَن يكون المعنى: لا يَزالون مُريبينَ بسَبَب بنيانِهم الذي اتَّضح فيه نفاقُهم، وجُملَة هذا أَنَّ الرِّيبةَ في الآية تعمُّ معانيَ كثيرةً، يَأخذ كلُّ منافقٍ منها بحسَب قَدْرِه مِن النِّفاقِ[١].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: جُعلَ نفسُ البنيان ريبةً؛ لكونه سبباً لها، وكونه سبباً لها أَنَّه لمَّا أَمَرَ بتَخْريب ما فَرحوا ببنائِه ثَقُلَ ذلك عَلَيهم، وازداد بُغْضُهم له، وارتيابُهم في نُبوَّته، أو اعتقدوا هدمَه مِن أَجلِ الحَسَدِ، فارتفع إيمانُهم[٢]، وخَافوا الإيقاعَ بهم قَتْلاً ونَهْباً، أو بَقوا شاكِّين أيغفر اللهُ لهم تلك المعصية[٣]. انتهى، وفيه تَلخيصٌ.

وقرأ ابنُ عامر وحمزة وحفص: «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهم» بفتح التاء، أي: تَتَقَطَّع، وباقي السبعة بالضَّمِّ[٤]، مضارع: قطَّعَ، مبنيًّا للمفعول.

وقُرئَ: «تُقْطَع»[٥] بالتخفيف.

وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب: «إلى أَنْ تَقَطَّع»[٦]، وأبو حيوة: «إلى أن تُقَطِّع» بضمِّ التاء وفتحِ القاف وكسر الطاء مُشَدَّدةً[٧]، ونصب «قلوبَهم» خطاباً للرَّسُول، أي: بِقَتْلهم، أو فيه ضميرُ الرِّيْبَة، وفي مصحف عبدِ الله: «ولو قُطِّعَت قلوبُهم» وكذلك قَرأها أصحابُه. وحكى أبو عَمرو هذه القراءةَ: «إنْ قُطِعَت»

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦.
(٢) كذا في النسخ، والذي في مطبوع تفسير الرازي ـ والكلام منه ـ: فارتفع أمانهم عنه.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ١٩٨ .
(٤) أي: «تُقَطَّع» بضمِّ التاء، والقراءة في السبعة ص٣١٩، والتيسير ص١٢٠، وقراءةُ الفتح أيضاً قراءةُ أبي جعفر ويعقوب، وهما من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٨١.
(٥) كذا شُكلت في (ز١)، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠ وعزاها ليعقوب، والقرطبي ١٠/ ٣٨٩ وزاد نسبتها لأبي عبد الرحمن.
وأوردا أيضاً قراءةَ: «تَقْطَع» ونسباها لابن كثير في رواية عنه، وكذا وردت في تفسير الرازي ١٦/ ١٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والكشاف ٢/ ٢١٦، والقرطبي ١٠/ ٣٨٩، وينظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١/ ٤٥٢، وتفسير الطبري ١١/ ٧٠٢.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦، إلا أنَّه ورد في مطبوعه: بالياء مضمومة، وكسر الطاء.

بتخفيف الطاء[١]. وقرأ طلحةُ: «ولو قَطَّعْتَ قُلُوبَهم» على خطاب الرَّسول ﷺ، أو كلِّ مخاطَبٍ[٢]، وفي مصحف أُبَيٍّ: «حتى المَمَات»، وفيه «حتى تقطع»[٣].

فمَن قَرَأ بضمِّ التاء وكَسْرِ الطاء ونَصب القلوب، فالمعنى بالقَتْل، وأمَّا على مَن قَرَأه مبنيًّا للمفعول، فقال ابنُ عباس وقتادة وابنُ زيد وغيرُهم: بالموتِ[٤]، أي: إلى أنْ يَموتوا. وقال عكرمة: إلى أنْ يبعثَ مَن في القبور. وقال سفيان: إلى أنْ يَتوبوا عمَّا فَعَلُوا، فيكونون بمنزلة مَن قُطِعَ قلبُه[٥].

قال ابنُ عطيَّة: وليس هذا بظاهرٍ إلَّا أنْ يُتأوَّل أنْ يَتوبوا توبةً نصوحاً يكون معها مِن النَّدَم والحَسْرَةِ ما يَقطع القلوبَ هَمًّا[٦].

وقال الزمخشريُّ: لا يَزال هَدْمُه سَبَبَ شَكٍّ ونفاق زائدٍ على شَكِّهم، ونِفاقهم لا يَزال وَسْمُهُ في قلوبهم، ولا يَضْمَحِلُّ أَثَرُه إلَّا أنْ تُقَطَّع قلوبهم قِطَعاً وتُفرَّقَ أجزاءً، فحينئذٍ يَسْلون عنه، وأمَّا ما دامت سالمةً مجتمعةً، فالرِّيْبَة قائمةٌ فيها مُتمكِّنة، فيجوز أن يكون ذِكْرُ التقطيع تصويراً لحالِ زوالِ الرِّيْبَة فيها، ويجوز أن يُراد حقيقة تقطيعِها وما هو كائنٌ منه بقَتْلهم، أو في القبور، أو في النار، وقيل: معناه: إلَّا أنْ يَتوبوا توبةً تَتَقَطَّع بها قلوبُهم نَدَماً وأَسَفاً على تفريطهم[٧].

«والله عليم» بأحوالهم «حكيم» فيما يجري عليهم مِن الأحكام، أو «عليم» بنيَّاتهم «حكيم» في عقوباتهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦، وينظر للقراءة الأولى المصاحف لابن أبي داود ١/ ٣١٨، والطبري ١١/ ٧٠١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والكشاف ٢/ ٢١٦، وأخرجها الطبري ١١/ ٧٠١ عن سفيان، عن أصحابِ عبد الله.

(٢) الكشاف ٢/ ٢١٦، وأورد القراءة ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص٥٥ عن طلحة هكذا: «حتى تقطَّع قلوبَهم».

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦.

(٤) المصدر السابق، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٠، والنكت والعيون ٢/ ٤٠٥، وزاد المسير ٣/ ٥٠٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٨، وأخرجه الطبري ١١/ ٦٩٨-٦٩٩ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

(٥) النكت والعيون ٢/ ٤٠٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٨٦.

(٧) الكشاف ٢/ ٢١٥-٢١٦.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ نزلت في البَيْعة الثانية، وهي بيعةُ العَقَبة الكُبْرى، وهي التي أَنَافَ فيها رجالُ الأنصار على السَّبْعِين، وكان أصغرَهم سِنًّا عقبةُ بنُ عَمرو، وذلك أنَّهم اجتمعوا مع رسولِ الله ﷺ عند العَقَبة، فقالوا: اشْتَرِطْ لَكَ ولربِّكَ. والمُتكلِّم بذلك عبدُ الله بنُ رَوَاحَة، فاشْتَرَطَ ﷺ حمايتَه ممَّا يَحمون منه أنفسَهم، واشتَرَط لربِّه التزامَ الشريعة وقتالَ الأحمر والأسودِ في الدَّفْع عن الحَوْزَة، فقالوا: مالَنَا على ذلك؟ قال: «الجنَّة» فقالوا: نِعْمَ، رَبِحَ البَيْعُ، لا نُقِيْلُ ولا نُقَايل. وفي بعضِ الروايات: ولا نَسْتَقِيْل، فنزلت[(١)].

والآيةُ عامَّة في كلِّ مَن جاهَدَ في سبيل الله مِن أمَّةِ محمد ﷺ إلى يوم القيامة.

وعن جابر بنِ عبد الله: نَزلت ورسولُ الله ﷺ في المسجد، فكبَّر الناسُ، فأقبل رجلٌ مِنْ الأنصار ثانِياً طَرَفَ رِدَائه على أَحَدِ عاتقَيْه، فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه الآيةُ؟ قال: «نعم» فقال: بَيْعٌ رَبِيْحٌ، لا نُقِيْل ولا نَسْتَقيل[(٢)]، وفي بعض الروايات: فخرجَ إلى الغزوِ فاستُشْهِد[(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٨٧، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٩-٣٩٠، والكشاف ٢/ ٢١٦، وزاد المسير ٣/ ٥٠٣-٥٠٤، وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٣ وعزاه لمحمد بن كعب القُرَظي، وأخرجه عنه الطبري ١٢/ ٦-٧، وفي إسناده: أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقريب. وذَكَر ابنُ العربي في أحكام القرآن ٢/ ١٠٠٧ نحو هذا الخبر عن الشعبي، وقال: وهذا وإن كان مقطوعاً، فإن معناه ثابت من طُرُق. اهـ. وعقبة بن عمرو هو أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته، كان أحْدَثَ من شَهِدَ العقبة سنًّا، توفي سنة (٤١) وقيل: (٤٢) للهجرة. الاستيعاب الترجمة (١٨٩٥)، والإقالة: الفَسْخُ، وتكون في البيع والبَيْعة والعهد. النهاية (قيل).

(٢) أورده الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٤٠٦، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، وزادَ السيوطيُّ نسبته في الدر المنثور ٣/ ٢٨٠ لابنِ مردويه، وإسناده منقطع؛ لأنه من طريق عطاء الخراساني عن جابر، وعطاء لم يسمع من جابر. ينظر المراسيل لابن أبي حاتم ص١٣٠ ، والإقالة في البيع: الموافقة على نقضه، يقال: أقاله يقيله، وتقايلا: إذا فسخا البيع. النهاية (قيل).

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٦، وفيه أنَّ أعرابياً مَرَّ برسولِ الله ﷺ وهو يَقرأ هذه الآية فسأله: كلامُ مَن؟ =

وقال الحسنُ: لا، واللهِ، إنْ في الأرض مؤمنٌ إلَّا وقد أُخِذَتْ بَيْعَتُه[١].

وقرأ عمر بنُ الخطاب والأعمش: «وأموالَهم بالجَنَّة»[٢]، مَثَّلَ تعالى إثابتَهم بالجنَّة على بَذْل أنفسِهم وأموالهم في سبيله بالشِّراء، وقَدَّمَ الأنفسَ على الأموال؛ ابتداءً بالأشرفِ وبما لا عوضَ له إذا فُقِدَ، وفي لفظة: «اشترى» لطيفةٌ؛ وهي رغبةُ المشتري فيما اشْتَراه واغتباطُه به، ولم يَأتِ التركيبُ: إنَّ المؤمنين باعُوا.

والظاهر أنَّ هذا الشراءَ هو مع المجاهدين، وقال ابنُ عُيينة: «اشترى» منهم «أنفسَهم» أنْ لا يُعْمِلوها إلَّا في طاعة، «وأموالَهم» أنْ لا يُنفقوها إلَّا في سبيل الله[٣]. فالآية على هذا أعمُّ مِن القَتْل في سبيل الله، وعلى هذا القول يكون «يُقاتِلون» مستأنَفاً، ذَكَر أعظَم أحوالهم، ونبَّه على أشرفِ مقامه، وعلى الظاهرِ وقولِ الجمهور يكون «يقاتلون» في موضع الحال.

وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والعَرَبيَّان والحِرْميَّان وعاصم أوَّلاً على البناء للفاعل، وثانياً على البناء للمفعول، وقرأ النخعيُّ وابنُ وثَّاب وطلحةُ والأَعْمَش والأَخَوان بعكس ذلك[٤]، والمعنى واحدٌ، إذِ الغَرَضُ أنَّ المؤمنين يُقاتلون ويُوجَد فيهم مَن يَقْتُل، وفيهم مَن يُقتَل، وفيهم مَن يَجتمع له الأمران، وفيهم مَن لا يَقع له واحدٌ منهما، بل تَحصُل منهم المقاتلة.

وقال الزمخشريُّ: «يُقاتلون» فيه معنى الأمْر، كقوله تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[٥] [الصف: ١١]. انتهى.

فعلى هذا لا تكون الجملةُ في موضع الحالِ؛ لأنَّ ما فيه معنى الأمْر لا يَقعُ حالاً.

= قال: «كلام الله». قال: بيعٌ واللهِ مربح، لا نقيله ولا نستقيله. فخرج إلى الغزو فاستُشهِد. وكذا أورده الثعلبي في التفسير ٣/ ٢٥١.

(١) زاد المسير ٣/ ٥٠٤، وأورده الرازي في التفسير ١٦/ ١٩٩ بنحوه.

(٢) تفسير الرازي ١٦/ ١٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٨٧.

(٤) المصدر السابق، والقراءة في السبعة ص٣١٩، والتيسير ص٩٣، والقراءة الثانية قراءة خَلَف من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٤٦، والأَخَوان: حمزة والكسائي.

(٥) الكشاف ٢/ ٢١٦.

وانتصبَ «وعداً» على أنَّه مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجملة؛ لأنَّ معنى: «اشترى... بأنَّ لهم الجنَّة»: وَعَدَهم اللهُ الجنَّة على الجهاد في سبيله، والظاهرُ مِن قوله: «في التوراة والإنجيل والقرآن» أنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُمِرَت بالجهاد، ووُعِدَت عليه بالجنَّة، فيكون «في التوراة» متعلِّقاً بقوله: «اشترى»، ويَحتمل أن يكون متعلِّقاً بتقدير قولِه: مَذْكُوراً، وهو صفةٌ، فالعامل فيه محذوف، أي: «وَعْداً عليه حقًّا» مَذْكوراً «في التوراة»، فيكون هذا الوَعْدُ بالجنَّة لمجاهدي هذه الأُمَّة قد ذُكِرَ «في التوراة والإنجيل والقرآن».

وقيل: الأَمْرُ بالجهاد والقتالِ موجودٌ في جميع الشرائع.

و«مَن أَوْفَى» استفهامٌ على جهة التقرير، أي: لا أَحَد، ولمَّا أَكَّد الوَعْدَ بقوله: «عليه حقًّا» أَبرزه هنا في صورة العَهْد الذي هو آكَدُ وأَوثقُ مِن الوَعْدِ، إذ الوَعْدُ في غيرِ حقِّ الله تعالى جائزٌ إخلافُه، والعَهْدُ لا يَجوز إلَّا الوفاءُ به، إذ هو آكَدُ مِن الوَعْدِ.

قال الزمخشريُّ: «ومَن أوفى بعهده مِن الله» لأنَّ إخلافَ الميعاد قبيحٌ لا يُقدِمُ عليه الكِرامُ مِن الخَلْق مَعَ جوازِه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغنيِّ الذي لا يَجوز عليه قبيحٌ قَطُّ، ولا تَرَى ترغيباً في الجهاد أحسنَ منه وأبلغ[1]. انتهى.

وفيه دسيسةُ الاعتزال، واستعمال: «قَطّ» في غيرِ موضوعِه؛ لأنَّه أَتَى به مع قوله: لا يَجوز عليه قبيحٌ قَطُّ، وقَطُّ: ظَرْفٌ ماضٍ فلا يَعمل فيه إلَّا الماضي.

ثم قال: «فاستبشروا» خاطَبَهم على سبيلِ الالتفاتِ؛ لأنَّ في مُواجهتِه تعالى لهم بالخطاب تشريفٌ لهم، وهي حكمةُ الالتفاتِ هنا، وليست استفعل هنا للطَّلَب، بل هي بمعنى أَفْعَل، كاسْتَوقَد وأَوقَد. و«الذي بايَعْتُم به» وصفٌ على سبيل التوكيد، ومُحِيْلٌ على البَيْع السابق.

ثم قال: «وذلك هو الفوز العظيم» أي: الظَّفَر للحصول على الرِّبح التَّامِّ والغِبْطَة في البَيْع؛ لحطِّ الذَّنْب ودُخول الجنَّة.

---

(١) الكشاف ٢/٢١٦.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ قال ابنُ عبَّاس: لمَّا نزَلَ: «إنَّ اللهَ اشترى مِن المؤمنين» الآية، قال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق، وإنْ شَرِبَ الخَمْرَ؟ فنزلت: «التائبون»[1] الآية.

وهذه أوصافُ الكَمَلَة مِن المؤمنين ذَكَرَها اللهُ تعالى لِيَسْتَبِق إلى التحلِّي بها عبادُه، وليكونوا على أوفى درجاتِ الكمال، وآيةُ «إنَّ اللهَ اشترى» مُستقلَّةٌ بنفسِها لم يُشتَرط فيها شيءٌ سوى الإيمان، فيَندرج فيها كلُّ مؤمن قَاتَلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، وإن لم تكن فيه هذه الصفات، والشهادة ماحِيَةٌ لكلِّ ذَنْبٍ، حتى رُويَ أنَّه تعالى يَحمل عن الشهيد مظالمَ العباد ويُجازيهم عنه.

وقالت فرقة: هذه الصفات شَرْطٌ في المجاهد، والآيتان مُرْتبطتان، فلا يَدخُل في المبايعة إلَّا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف، ويَبذلون أنفسَهم في سبيل الله.

وسأل الضَّحَّاكَ رَجُلٌ عن قوله تعالى: «إنَّ اللهَ اشترى» الآية، وقال: لأحملنَّ على المشركين فأقاتلَ حتى أُقتلَ. فقال الضَّحَّاكُ: وَيْلَكَ، أينَ الشَّرْطُ: «التائبون العابدون» الآية. وهذا القولُ فيه حَرَجٌ وتَضييقٌ[2].

وعلى هذين القولَين ترتَّب إعرابُ «التائبون»؛ فقيل: هو مبتدأٌ خبرُه مذكور وهو «العابدون»، وما بعدَه خبرٌ بعد خبرٍ، أي: التائبون في الحقيقة الجامعونَ لهذه الخصال، وقيل: خبرُه «الآمِرُون»، وقيل: خبره محذوف بعد تمام الأوصاف، وتقديره: مِن أهل الجنَّة أيضاً وإن لم يجاهد، قاله الزَّجَّاجُ[3]، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [النساء: ٩٥]، ولذلك جاء «وبَشِّر المؤمنين»، وعلى هذه الأعاريب تكون الآيةُ معناها منفصلٌ مِن معنى التي قَبْلَها.

وقيل: «التائبون» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديره: هم التائبون، أي: الذين

(١) النكت والعيون ٢/ ٤٠٨.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٨٨، وخبر الضحاك عند الطبري ١٢/ ٧.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٧١.

بَايعوا اللهَ هُمُ التائبونَ، فيكون صفةً مقطوعةً للمدح، ويُؤيِّده قِراءةُ أُبَيٍّ وعبدِ الله والأعمش: «التائبين» بالياء إلى «والحافظين» نَصْباً على المدح[١].

قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون صفةً للمؤمنين، وقاله أيضاً ابنُ عطيَّة[٢].

وقيل: يجوز أن يكون «التائبون» بدلاً مِن الضمير في «يقاتلون».

قال ابنُ عباس: «التائبون» مِن الشِّرْك.

وقال الحسن: مِن الشِّرْك والنِّفاق. وقيل: عن كلِّ معصيةٍ.

وعن ابنِ عباسٍ: «العابدون» بالصلاة، وعنه أيضاً: المطيعون بالعبادة، وعن الحسن: هم الذين عَبَدوا اللهَ في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وعن ابنِ جُبير: المُوحِّدون.

«السائحون» قال ابنُ مسعود وابنُ عباس وغيرهما: الصائمون، شُبِّهوا بالسائحين في الأرض؛ لامتناعِهم مِن شهواتِهم[٣]. وعن عائشة: سياحة هذه الأمَّة الصيام. ورواه أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ[٤].

قال الأزهريُّ: قيل للصَّائم سائح؛ لأنَّ الذي يَسيح في الأرض مُتعبِّدٌ لا زَادَ معه، كان مُمسِكاً عن الأكل، والصائم ممسكٌ عن الأكلِ[٥].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢١٦، والقراءة في القراءات الشاذَّة ص٥٥، والمحتسب ١/ ٣٠٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٢١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٨٨.
(٣) تنظر الأقوال السالفة الذكر في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢، والنكت والعيون ٢/ ٤٠٦-٤٠٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٨٨-٨٩، وزاد المسير ٣/ ٥٠٥، وتفسير الرازي ١٦/ ٢٠٢-٢٠٣، والقرطبي ١٠/ ٣٩٣-٣٩٤، وينظر تخريج بعضها عند الطبري ١٢/ ٨ وما بعدها.
(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٤، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٨٩، وأثَر عائشة عند الطبري ١٢/ ١٥، والحديث المرفوع: «سياحةُ أمَّتي الصيام» أخرجه الطبري ١٢/ ١١، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٣١٧، وابنُ عدي في الكامل ٢/ ٦٣٨ من طريق حكيم بن خِذام، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال العقيلي: حكيم بن خِذام كان يرى القدر، منكر الحديث. وقال ابنُ عدي: لا أعلم رَفَع هذا الحديث عن الأعمش غير حكيم بن خذام.
وأخرجه أيضاً الطبريُّ ١٢/ ١١ من طريق إسرائيل، عن الأعمش، به، موقوفاً على أبي هريرة، وصوَّب وَقْفَه ابنُ كثير عند تفسير هذه الآية.
(٥) تفسير الرازي ١٦/ ٢٠٣، وكلام الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ١٧٣ (ساح).

وقال عطاء: «السائحون» المجاهدون[١]، وعن أبي أُمامة أنَّ رجلاً استأذنَ رسولَ الله ﷺ في السِّياحة، فقال: «إنَّ سياحةَ أُمَّتي الجهاد في سبيل الله» صحَّحه أبو محمد عبدُ الحقِّ[٢].

وقيل: المراد السياحة في الأرض، فقيل: هم المهاجرون مِن مكَّة إلى المدينة، وقيل: المسافرون لطَلَب الحديثِ والعِلْم، وقيل: المسافرون في الأرض ليَنظروا ما فيها مِن آياتِ الله وغَرَائبِ مُلْكِه نَظَرَ اعتبارٍ، وقيل: الجائِلونَ بأفكارهم في قُدْرة اللهِ ومَلَكُوتِه[٣].

والصِّفاتُ إذا تكرَّرت وكانت للمدح أو الذَّمِّ أو الترحُّم جاز فيها الإتباعُ للمنعوت والقَطْعُ في كلِّها أو في بعضِها، وإذا تباينَ ما بينَ الوصفين جاز العَطْفُ، ولمَّا كان الأَمْرُ مبايناً للنهي ـ إذ الأَمْرُ طَلَب فعلٍ، والنَّهيُ تَرْكُ فِعْلٍ ـ حَسُنَ العطفُ بالواو في قوله: «والناهونَ» ودَعوَى الزيادةِ أو واوِ الثمانيةِ ضعيفٌ[٤].

وترتيبُ هذه الصفات في غاية مِن الحُسْن؛ إذْ بَدَأَ أوَّلاً بما يخصُّ الإنسانَ مرتبةً على ما ينبغي، ثمَّ بما يتعدَّى مِن هذه الأوصاف مِن الإنسان لغيره وهو الأَمْرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، ثم بما شمل ما يخصُّه في نفسِه وما يتعدَّى إلى غيرِه وهو الحِفْظُ لحدودِ الله، ولمَّا ذَكَر تعالى مجموعَ هذه الأوصاف أَمَرَ رسولَه ﷺ بأَنْ

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٣٠، والقرطبي ١٠/ ٣٩٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٤، وكلام أبي محمد عبدِ الحقّ في كتابه الأحكام الصغرى ٢/ ٤٧٦، والحديث أخرجه أبو داود (٢٤٨٦)، وأبو محمد هو: عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخرَّاط، له «الأحكام» الصغرى والوسطى والكبرى، والجمع بين الصحيحين وغيرها، توفي سنة (٥٨١هـ). السير ٢١/ ١٩٨-٢٠٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٨٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٤.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٨٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٧، حيث نُقلَ دعوى أنها واو الثمانية عن ابنِ خالويه، ذكرَها في مناظرته لأبي عليٍّ الفارسيّ في معنى قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وأنكرها أبو عليّ، وذكرا أيضاً عن أبي عبد الله الكفيف المالقي أنها لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم أن يقولوا إذا عَدُّوا: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، تسعة، عشرة، فهكذا هي لغتهم، ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية، أدخلوا الواو. وينظر تفصيل هذه الواو في مغني اللبيب ص٤٧٤ وما بعدها، والفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي ص١٤٢.

يُبَشِّر المؤمنين، وفي الآية قَبْلَها: «فاستبشروا» أَمَرَهم بالاسْتِبْشَار فحصلت لهم المَزِيَّة التامَّة بأنَّ الله أَمَرَهم بالاستبشار وأَمَرَ رسولَه أَنْ يُبَشِّرهم.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ قال الجمهور، ومدارُه على ابنِ المسيّب والزهريّ وعَمرو بنِ دينار: نزلت في شأنِ أبي طالبٍ حين احتُضِرَ فوَعَظه، وقال: «أيْ عَمّ، قل: لا إلهَ إلَّا الله، كلمةً أُحاجُّ لكَ بها عندَ اللهِ» وكان بالحَضْرة أبو جهلٍ وعبد الله بنُ أبي أميَّة، فقالا له: يا أبا طالب، أترغبُ عن مِلَّة عبدِ المطلب؟! فقال أبو طالب: يا محمَّد، لولا أنِّي أخاف أنْ يُعَيَّرَ بها وَلَدِي مِن بعدي لأقْرَرْتُ بها عينَك، ثم قال: أنا على ملَّة عبد المطلب، ومات، فنزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فقال رسولُ الله ﷺ: «لأستغفرنَّ لَكَ ما لَم أُنْهَ عنكَ» فكان يستغفرُ له حتى نزلت هذه الآية فتَرَكَ الاستغفار لأبي طالبٍ[١]، ورُوِيَ أنَّ المؤمنينَ لـمَّا رَأَوْهُ يَستغفر لأبي طالب جَعَلوا يَستغفرونَ لموتاهم، فلذلك ذُكروا في قوله: «ما كان للنبيِّ والذين آمنوا»[٢].

وقال فُضَيْل بن عطيَّة[٣] وغيرُه: لـمَّا فَتَحَ مكَّة أتَى قبرَ أُمِّهِ ووَقَفَ عليه حتى

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٠، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٨، والخبر أخرجه الواحديُّ في أسباب النزول ص٢٦٤ عن محمد بن كعب القرظي، وأخرجه أيضاً البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من حديث سعيد بن المسيّب، عن أبيه المسيّب بن حزن، وهو عند أحمد (٢٤٦٧٤)، وخبر استغفاره ﷺ لعمِّه بعد موته عند الطبري ١٢/ ٢١ عن عمرو بن دينار، وإسناده منقطع، وقال الحسين بن الفضل كما في تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٨ عن استغفاره ﷺ لعمِّه بعد موته: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ السورة من آخِرِ ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبيُّ ﷺ بمكة. وينظر تفسير الرازي ١٦/ ٢٠٨، وفتح الباري ٨/ ٥٠٨.
وخبر عَمرو بن دينار عند الطبري ١٢/ ٢١، ومرَّ آنفاً.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٠، والخبر أخرجه الطبريُّ ١٢/ ٢١ عن مجاهد.

(٣) كذا في النُّسَخ ومطبوع المحرر الوجيز ٣/ ٩٠، والأصل الخطي لمطبوع تفسير الطبري ١٢/ ٢٢، والصواب: فُضَيْل عن عطيَّة، وكذا صُوِّبت في مطبوع تفسير الطبري ١٢/ ٢٢، وفُضَيل: هو ابنُ مرزوق، وعطيَّة: هو ابن سعد العوفي.

=

سَخُنَت عليه الشمسُ وجَعَل يَرغبُ في أنْ يُؤذَن له في الاستغفار لها، فلم يُؤذَن له، فأخبرَ أنَّه أُذنَ له في زيارة قَبْرِها، ومُنِعَ أنْ يَستغفر لها، ونزلت الآية.

وقالت فرقةٌ: نزلت بسببِ قوله ﷺ: «واللهِ لأزيدنَّ على السَّبْعِينَ».

وقال ابنُ عباس وقتادة وغيرهما: بسببِ جماعةٍ مِن المؤمنين قالوا: نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيمُ لأبيه[1].

وتضمَّن قوله: «ما كان للنبيِّ» الآية النهيَ عن الاستغفارِ لهم على أيِّ حالٍ كانوا، ولو في حالِ كونهم أولي قُرْبَى، فقوله: «ولو كانوا» جملةٌ معطوفة على حالٍ مقدَّرة، وتقدَّم لنا الكلامُ على مِثْلِ هذا التركيب أنَّ «ولو» تأتي لاستقصاء ما لولاها لم يَكن لِيَدخُل فيما قَبْلها ما بعدَها.

ودلَّت الآيةُ على المبالغة في إظهار البَرَاءَة عن المشركين والمنافقين والمَنْع مِن مُواصلتهم ولو كانوا في غاية القُرْب، ونبّه على الوَصْف الشريف مِن النبوَّة والإيمان، وأنّه منافٍ للاستغفار لمَنْ مات على ضدِّه وهو الشِّرْك بالله.

ومعنى «مِن بَعْدِ ما تبيَّن» أي: وَضُحَ لهم أنَّهم أصحابُ الجحيم؛ لموافاتِهم على الشِّرْك، والتَّبيُّن هو بإخبارِ الله تعالى أنَّ اللهَ لا يَغفرُ أَنْ يُشرَكَ به.

والظاهر أنَّ الاستغفارَ هنا هو طَلَب المغفرة، وبه تظافرت أسبابُ النزول، وقال عطاء بنُ أبي رباح: الآية في النهي عن الصلاة على المشركين، والاستغفار هنا يُراد به الصلاةُ، قالوا: والاستغفار للمُشْرِك الحيّ جائزٌ؛ إذ يُرجَى إسلامُه، ومِن هذا قولُ أبي هريرة: رَحِمَ اللهُ رجلاً اسْتَغْفَرَ لأبي هريرة ولأُمِّه. قيل له: ولأبيه؟ قال: لا، لأنَّ أبي مات كافراً[2].

= وينظر خبرُ استئذانه ﷺ في الاستغفار لأمّه عليه الصلاة والسلام عند مسلم (٩٧٦)، وأحمد (٩٦٨٨) من حديث أبي هريرة، دون ذكر سبب النزول.
وينظر خبر بُرَيْدة عند الترمذي (١٠٥٤)، وأحمد (٢٣٠١٧)، وخبرُ ابنِ عباس عند الطبري ١٢/ ٢٣، وخبرُ ابن مسعود عند الواحدي في أسباب النزول ص٢٦٥-٢٦٦، في نزول الآية بسبب استغفاره ﷺ لأمّه.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٠، والخبر أخرجه عنهما الطبريُّ ١٢/ ٢٣-٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٠، وقول عطاء وأبي هريرة أخرجهما الطبريُّ ١٢/ ٢٧-٢٨.

فإنْ وَرَدَ نصٌّ مِن الله على أحدٍ أنَّه مِن أهل النار - وهو حيٌّ كأبي لهبٍ - امتنعَ الاستغفارُ له، فتَبينُ كينونةُ المُشْرِك أنَّه مِن أصحاب الجحيم بموته على الشِّرْك، وبنصِّ اللهِ عليه وهو حيٌّ أنَّه مِن أهل النَّار.

ويَدلُّ على جواز الاستغفار للكفَّار إذا كانوا أحياءً - لأنَّه يُرجَى إسلامُهم - ما حكى رسولُ الله ﷺ عن نبيٍّ قَبْلَه شَجَّهُ قومُه، فجعل النبيُّ ﷺ يُخبِر عنه بأنَّه قال: «اللَّهمَّ اغْفِرْ لقومي فإنَّهم لا يَعلمونَ»[(١)].

ولمَّا كان استغفار إبراهيم لأبيه بصدد أَنْ يُقتدَى به - ولذلك قال جماعة مِن المؤمنين: نَستغفرُ لموتانا كما استغفرَ إبراهيمُ لأبيه[(٢)] - بَيَّنَ العِلَّةَ في استغفار إبراهيمَ لأبيه، وذَكَر أنَّه حين اتَّضحت له عداوتُه لله تَبَرَّأَ منه إبراهيمُ، والموعدة التي وَعَدَها إبراهيمُ أباه هي قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧] وقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

والضمير الفاعل في «وَعَدَها» عائد على «إبراهيم»، وكان أبوه بقَيْد الحياة، فكان يَرجو إيمانَه، «فلمَّا تبيَّن له» مِن جهة الوحي مِن الله «أنَّه عدوٌّ لله» وأنَّه يَموت كافراً وانقطعَ رجاؤه منه «تبرَّأ منه» وقَطَعَ استغفارَه.

ويدلُّ على أنَّ الفاعلَ في «وَعَد» ضميرٌ يَعود على «إبراهيم» قراءةُ الحسنِ وحمَّاد الراوية وابنِ السَّمَيْفَع وأبي نهيك ومعاذ القارئ: «وَعَدَها أبَاهُ»[(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/٣٩٩، والخبر أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو عند أحمد (٣٦١١).

(٢) سلف تخريجه قريباً.

(٣) الكشاف ٢/٢١٧ عن الحسن وحماد، وزاد المسير ٣/٥٠٩ عن البقيَّة، وهي في القراءات الشاذة ص٥٥ عن حماد، وقال بعدها: ويقال: إنَّه صحَّفه، وكذلك في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] قَرَأَهُ: «في غِرَّةٍ». انتهى. وزاد السيوطي في المزهر ٢/٣٦٨-٣٦٩ تصحيفاً ثالثاً عنه، وهو قراءته: «يَعنيه» في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] لكن عزاها جميعاً لحمَّاد بن الزبرقان.

وحمَّاد الراوية هو: حمَّاد بن ميسرة - ويقال: حماد بن سابور - أوَّلُ من سُمِّي: راوية، وكان راوية للهيثم بن عديّ، ومن أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، توفي سنة (١٥٥هـ). نزهة الألباء ص٣٥-٣٩، والأغاني ٦/ ٧٠ وما بعدها، والأعلام ٢/ ٢٧١-٢٧٢.

وقيل: الفاعل ضميرُ والدِ إبراهيم، و«إياه» ضمير «إبراهيم»، وَعَدَه أبوه أنَّه سيُؤمِن، فكان إبراهيم قد قَويَ طَمَعُه في إيمانه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نُهيَ عنه.

وقرأ طلحة: «وما استغفرَ إبراهيمُ» وعنه: «وما يَستغفر إبراهيم» على حكايةِ الحال[١].

والذي يَظهر أنَّ استغفارَ إبراهيم لأبيه كان في حالة الدنيا، ألَا تَرَى إلى قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] وقوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨] ويَضعُف ما قاله ابنُ جبير مِن أنَّ هذا كلّه يومَ القيامة، وذلك أنَّ إبراهيم يَلقى أباهُ فيَعرفه ويَتذكَّر قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧] فيقول له: الْزَمْ حَقْوَيَّ، فلَنْ أدَعَكَ اليومَ لشيءٍ. فيَدَعُه حتى يأتيَ الصراطَ فيَلتفت إليه، فإذا هو قد مُسِخَ ضِبْعاناً، فيتبرَّأ منه حينئذٍ[٢]. انتهى ما قاله ابنُ جبير، ولا يَظهر رَبْطُه بالآخِرة.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف خفيَ على إبراهيم عليه السلام أنَّ الاستغفارَ للكافر غيرُ جائز حتى وَعَده؟

قلت: يَجوز أنْ يظنَّ أنَّه ما دامَ يُرجَى له الإيمان جاز الاستغفارُ له، على أنَّ امتناعَ جواز الاستغفار للكافر إنَّما عُلِمَ بالوحي؛ لأنَّ العقلَ يُجوِّز أنْ يَغفر الله للكافر، ألَا تَرَى إلى قوله ﷺ: «لأستغفرنَّ لَكَ ما لم أُنْهَ عنك»[٣]، وعن الحسن: قيل لرسولِ الله ﷺ: إنَّ فلاناً يَستغفر لآبائه المشركين؟ فقال: «ونحن نَستغفرُ لهم»[٤]، وعن عليٍّ رضي الله عنه: رأيتُ رجلاً يَستغفرُ لأبويه وهما مشركانِ، فقلت له، فقال: أَلَيْسَ قدِ استغفرَ إبراهيمُ[٥]؟ انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩١، والكشاف ٢/ ٢١٧، والمحتسب ١/ ٣٠٥.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩١، والخبر أخرجه الطبريُّ ١٢/ ٣٢-٣٣، وأخرجه أيضاً ١٢/ ٣٣ عن عبيد بن عمير ضمن خبر طويل، وهو عند ابن أبي شيبة (٣٦١٥٨)، وهنَّاد في الزهد (٣٢٠)، والضِّبْعان: ذَكَر الضِّباع. النهاية (ضبع).
(٣) سلف تخريجه قريباً.
(٤) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص٨٢: لم أجده.
(٥) الكشاف ٢/ ٢١٧، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٥، والخبر أخرجه الترمذي (٣١٠١)، وهو عند أحمد (١٠٨٥).

وقوله: لأنَّ العقلَ يُجوِّز أنْ يَغفرَ اللهُ للكافر. رجوعٌ إلى قولِ أهل السُّنَّة[١].

والأَوَّاهُ: الدَّعَّاءُ، أو المُوقِن، أو الفقيه، أو الرَّحيم، أو المؤمن التوَّاب، أو المسبِّح، أو الكثير الذِّكْر له، أو التَّلَّاء لكتابِ الله، أو القائل مِن خوفِ الله: أوَّاه، المُكثِر ذلك، أو الجامع المتضرِّع، أو المُؤْمِن، بالحَبَشِيَّة، أو المُعلِّم للخير، أو المُوفي، أو المستغفر عند ذِكْرِ الخطايا، أو الشَّفيق، أو الراجع عن كلِّ ما يَكرهه اللهُ، أقوال للسلف، وقد ذَكَرنا مدلوله في اللغة في المفردات[٢].

وقال الزمخشريُّ: «أَوَّاهٌ» فَعَّالٌ، مِن أَوَّه ـ كـ: لَأْآل مِن اللُّؤلؤ ـ وهو الذي يُكثِر التَّأَوُّه، ومعناه أنَّه لفَرْط ترحُّمه ورقَّته وحِلْمه كان يتعطَّف على أبيه الكافر ويَستغفر له مع شكاسَتِه عليه، وقولِهِ: «لأَرْجمنَّكَ»[٣]. انتهى.

وتشبيهه أوَّاه، مِن: أوَّه بـ: لَأْآل مِن اللؤلؤ، ليس بجيِّد؛ لأنَّ مادَّة: أوَّه، موجودةٌ في صورة: أوَّاه، ومادة: لؤلؤ، مفقودةٌ في لَأْآل؛ لاختلاف التركيب، إذ لَأْآل ثلاثيٌّ، ولؤلؤ رباعيٌّ، وشَرْطُ الاشتقاقِ التوافقُ في الحروف الأصليَّة.

وفسَّروا الحليمَ هنا بالصافح عن الذَّنْب، الصابر على الأذى، وبالصَّبُور، وبالعاقل، وبالسَّيِّد، وبالرَّقيق القَلْب الشديدِ العطف.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ مات قومٌ كان عملهم على الأمْرِ الأوَّل كاستقبال بيتِ المقدس وشُرْب الخمر، فسأل قومٌ الرسولَ بعد مجيء النَّسْخ ونزولِ الفرائض عن ذلك، فنزلت[٤].

---

(١) جاء في هامش (ح) ما نصه: أليس قال: إن امتناع الاستغفار للكافر عُلم بالوحي. فلا يكون قوله رجوعاً إلى قول أهل السنة.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٦، والنكت والعيون ٢/ ٤١٠-٤١١، والمحرر الوجيز ٣/ ٩١، وزاد المسير ٣/ ٥٠٩-٥١٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٠١-٤٠٤، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري ١٢/ ٣٤-٤٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٧.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٧-٢٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٤١١، والمحرر الوجيز ٣/ ٩٢، وزاد المسير ٣/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٠٥.

وقال الكرمانيُّ: أسلم قومٌ مِن الأعراب فعَملوا بما شاهدوا الرَّسول يَفعله مِن الصلاة إلى بيتِ المقدس وصيام الأيَّام البِيْض، ثم قَدِمُوا عليه فوجدوه يُصلِّي إلى الكعبة ويَصومُ رمضان، فقالوا: يا رسولَ الله، دِنَّا بَعْدَك بالضَّلال، إنَّكَ على أَمْرٍ وإنَّا على غيره، فنزلت[١].

وقيل: خاف بعضُ المؤمنين مِن الاستغفار للمشركين دونَ إذْنٍ مِن الله تعالى، فنزلت الآيةُ مُؤْنِسَةً، أي: ما كان اللهُ بعد أنْ هدى للإسلام وأَنْقَذَ مِن النَّار ليُحبِطَ ذلك ويُضِلَّ أهلَه لمُقَارفتهم ذَنْباً لم يتقدَّم منه نَهْيٌ عنه، فأمَّا إذ بين لهم ما يتَّقون مِن الأَمْر ويَتجنبون مِن الأشياء فحينئذٍ مَن وَاقَعَ بعد النهي استوجب العقوبة[٢].

وقال الزمخشريُّ: يعني ما أَمَر الله باتِّقائه واجتنابه، كالاستغفار للمشركين وغيره ممَّا نهى عنه وبيَّن أنَّه محظورٌ ولا يُؤاخِذ به عبادَه الذين هداهُم للإسلام، ولا يُسمِّيهم ضُلَّالاً ولا يَخذلهم إلَّا إذا أَقدموا عليه بعد بيانِ حَظْرِه عليهم وعِلْمه بأنَّه واجبُ الاتِّقاء والاجتناب، وأمَّا قَبْلَ العلم والبيان فلا سبيلَ عليهم، كما لا يُؤاخَذون بشُرْب الخمر ولا ببيع الصَّاع بالصَّاعَيْن قَبْلَ التحريم، وهذا بيانٌ لعُذْرِ مَن خافَ المؤاخذةَ بالاستغفار للمشركين قَبْلَ ورود النَّهي عنه، وهذه الآية شديدةٌ ما يَنبغي أنْ يُغفَلَ عنها، وهي أنَّ المَهْدِيَّ للإسلام إذا أقبل على بعضِ محظورات اللهِ داخلٌ في حُكْم الإضلال، والمراد بما يتَّقون ما يَجبُ اتِّقاؤه للنهي، فأمَّا ما يُعلَم بالعقل، كالصِّدق في الخبر ورَدِّ الوديعة فغيرُ موقوف على التوقيف[٣]. انتهى.

وفي هذا الأخير مِن كلامه، وفي قوله قَبْلُ في تفسير «ليُضِلَّ»: ولا يُسمِّيهم ضُلَّالاً ولا يَخذلهم. دسيسةُ الاعتزال، وفي كلامه إسهابٌ، وهو بَسْطُ ما قال مجاهد، قال: ما كان ليُضلَّكم بالاستغفار للمشركين بعد إذ هَداكُم للإيمان حتى يتقدَّم بالنَّهْي عن ذلك ويُبيِّنه لكم فتَتَّقوه[٤]. انتهى، وتقدَّم في أسباب النزول ما نشرَح

(١) النكت والعيون ٢/ ٤١١ دون عزوه للكرماني.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٢.
(٣) الكشاف ٢/٢١٨.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٧بنحوه، وأخرجه عنه الطبري ١٢/٤٧-٤٨.

به الآية؛ مِن سُؤالهم عمَّن مات وقد صَلَّى إلى بيتِ المقدسِ وشرب الخمر ومن قصَّة الأعراب.

والذي يَظهر في مناسبة هذه الآية لِمَا قَبْلَها وفي شَرْحها: أنَّه تعالى لمَّا بيَّن أنَّه لا يُستغفَر للمشركين ولو كانوا أُولي قُرْبى، كان في هذه الآية وفي التي بَعْدَها تباينٌ مّا بينَ القَرَابة حتى مُنِعوا مِن الاستغفار لهم، فمُنعَ رسولُ الله ﷺ مِن الاستغفار لعمِّه أبي طالب وهو الذي تولَّى تربيته ونَصَرَهُ وحَفِظه إلى أنْ مات، ومُنعَ إبراهيمُ مِن الاستغفار لأبيه وهو أصلُ نَشْأَتِه ومُرَبِّيه، وكذلك مُنعَ المسلمون مِن الاستغفار للمشركين أقرباءَ وغير أقرباءَ، فكأنَّه قيل: لا تَعْجَبْ لتبايُن هؤلاء، هذا خليلُ اللهِ، وهذا حبيبُ اللهِ، والأقرباء المُخْتَصُّونَ بهم المشركونَ أعداءُ الله، فإضلالُ هؤلاء لم يَكن إلَّا بعد أنْ أرْشَدهمُ اللهُ إلى طريق الحقِّ بما رَكَزَ فيهم مِن حُجَج العقول التي أغفلوها وتَبْيين ما يَتَّقون بطريق الوحي، فتظافرت عليهم الحُجَج العقليَّة والسمعيَّة، ومع ذلك لم يُؤمنوا ولم يتَّبعوا ما جاءت الرسلُ به عن اللهِ تعالى، ولذلك خَتَمها بقوله: «إنَّ اللهَ بكلِّ شيء عليم» فيُضلُّ مَن يَشاء، ويَختصُّ بالهداية مَن يشاء، فالمعنى: وما كان اللهُ لِيُديمَ إضلالَ قومٍ أرشدهم إلى الهُدَى حتى يُبيِّن لهم ما يتَّقونه، أي: يَجتنبونه، فلا يُجدِي ذلك فيهم، فحينئذٍ يَدُوم إضلالُهم.

ولمَّا ذَكَر تعالى عِلْمه بكلِّ شيء، فهو يَعلم ما يصلحُ بكلِّ أحَدٍ، وما هُيِّئَ له في سابق الأزَل، ذَكَر ما دَلَّ على القُدْرَة الباهرة مِن أنَّه «له ملك السماوات والأرض» فيتصرَّف في عبادِه بما شَاءَ، ثم ذَكَر مِن أعظم تصرُّفاته الإحياء والإماتة، أي: الإيجاد والإعدام.

وتفسير الطبريِّ[١] هنا: قوله: «يحيي ويميت» بأنَّه إشارةٌ إلى أنَّه يَجبُ للمؤمنين أنْ لا يَجزعوا مِن عدوٍّ وإن كَثُرَ ولا يَهابوا أحداً، فإنَّ الموتَ المَخُوفَ والحياةَ المحبوبة إنَّما هي بيدِ الله = غيرُ مناسب هنا وإن كان في نفسِه قولاً صحيحاً، وتقدَّم شَرْحُ قولِه: «وما لكم مِن دونِ الله مِن وليٍّ ولا نصير» في البقرة[٢].

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٤٨.
(٢) عند تفسير الآية (١٠٧) منها.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ[(١)] قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ لمَّا تقدَّم الكلامُ في أحوال المنافقين مِن تخلُّفهم عن غزوة تَبوك، واستَطْرَد إلى تقسيم المنافقين إلى أعراب وغيرهم، وذَكَر ما فَعلوا مِن مسجدِ الضِّرار، وذَكَر مبايعةَ المؤمنينَ اللهَ في الجهاد، وأثنى عليهم، وأنَّه ينبغي أنْ يُباينوا المشركينَ حتى الذين مَاتُوا منهم بتَرْكِ الاستغفارِ لهم = عادَ إلى ذِكْر ما بقي مِن أحوال غزوةِ تبوك، وهذه شِنْشِنَة[(٢)] كلامِ العرب يَشرعون في شيء ثم يَذكُرون بعدَه أشياءَ مناسِبَةً ويُطيلون فيها، ثم يَعودون إلى ذلك الشيء الذي كانوا شَرَعوا فيه.

قال ابنُ عطيَّة: التوبةُ مِن الله تعالى رُجوعُه لعَبْدِه مِن حالةٍ إلى حالةٍ أرفعَ منه، وقد يكون في الأكثر رجوعاً عن حالة المعصية إلى حالة الطاعة، وقد يكون رجوعاً مِن حالة طاعةٍ إلى أكملَ منها، وهذه توبتُه في هذه الآية على النبيِّ ﷺ؛ لأنَّه رَجَع به مِن حاله قَبْلَ تحصيلِ الغزوة وتحمُّل شقائها إلى حالة بَعْدَ ذلك أكمل منها، وأمَّا توبته على «المهاجرين والأنصار» فحالُها مُعرِضَة لأنْ تكون مِن نقصانٍ إلى طاعةٍ وجِدٍّ في الغزو ونُصْرَة الدِّين، وأمَّا توبته على الفريق فرجوعٌ مِن حالةٍ مَحطُوطةٍ إلى حالِ غفرانٍ ورِضاً[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: «تابَ اللهُ على النبيِّ» كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] و﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] وهو بَعْثٌ للمؤمنين على التوبة، وأنَّه ما مِن مؤمن إلَّا وهو محتاجٌ إلى التوبة والاستغفارِ حتى النبيّ والمهاجرون والأنصار، وإبانةٌ لفَضْل التوبة ومقدارِها عند الله تعالى، وأنَّ صفة الأوَّابين صفةُ الأنبياء كما وَصَفَهم بالصالحين لتَظهر فضيلَةُ الصلاح، وقيل: معناهُ:

(١) كذا في النسخ، وهي قراءة الجمهور، في حين قرأ حمزةُ وحفص عن عاصم بالياء «يزيغ». السبعة ص٣١٩، والتيسير ص١٢٠، والنشر ٢/ ٢٨١.

(٢) الشِّنْشِنَة: الطبيعة والخَلِيقة والسَّجِيَّة. اللسان (شنن).

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٢.

تابَ اللهُ عليهِ مِن إذنِه للمنافقين في التخلُّف عنه، كقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(١) [التوبة: ٤٣]. انتهى.

وقيل: لا يَبعُد أنْ صَدَر عن المهاجرين والأنصار أنواعٌ مِن المخالفات إلّا أنَّه تعالى تابَ عليهم وعَفَا عنهم؛ لأجل أنَّهم تحمَّلوا مشاقَّ ذلك السَّفَر، ثمَّ إنَّه تعالى ضَمَّ ذِكْرَ الرَّسولِ ﷺ إلى ذِكْرِهم؛ تنبيهاً على عِظَمِ مراتبهم في قَبول التوبة.

«اتَّبَعُوهُ» أي: اتَّبعوا أَمْرَه، فهو مِن مجازِ الحَذْف، ويجوز أن يكونَ هو ابْتَدَأَ بالخروج وخَرجوا بَعْدَه، فيكون الاتِّباع حقيقةً.

«ساعة العُسْرة» أي: في وقتِ العُسْرة، والسَّاعَةُ مستعارَةٌ للزمان المُطلَق، كما استعاروا الغَدَاة والعَشِيَّة واليوم، قال:

غَـدَاةَ طَـفَـتْ عَـلْـمـاءِ بـكـرُ بـنُ وَائـلٍ

عَـشِـيَّـةَ قـارَعْـنـا جُـذَامَ وحِـمْـيَـرَا

إذا جـاء يـومـاً وارثـي يـبـتـغـي الـغِـنَـى(٢)

وهي غزوة تبوك، كانت تُسمَّى: غزوة العُسْرَة، ويَجوز أنْ يُريد بساعةِ العُسْرة الساعةَ التي وَقَعَ فيها عَزْمُهم وانقيادُهم لتحمُّل المَشقَّة، إذِ السَّفْرَة كلُّها تَبَعٌ لتلكَ

---

(١) الكشاف٢/ ٢١٨.

(٢) المصدر السابق، وصدر البيت الأول لقَطَري بنِ الفُجاءة الخارجي، وعجزه:

وعُـجـنـا صـدورَ الـخـيـل نـحـو تـمـيـم

وهو في شعر الخوارج ص١٠٦-١٠٧، والكامل للمبرِّد ٣/ ١٢٢٦، والأغاني ٦/ ١٤٨، والحماسة البصرية ١/ ٧٩، لكنَّه ورد عند الأخيرَيْن بِعَجُز آخر. وورد العَجُز المذكور آنفاً للبيت الذي بعده، ومعنى: عَلْماءِ، أي: على الماء.

وعجز البيت الثاني لزفر بن الحارث الكلابي، وصدره:

وكُـنَّـا حَـسِـبْـنـا كـلَّ بـيـضـاءَ شـحـمـةً

وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٥٥، وللتبريزي ١/ ٧٩، والحماسة البصرية ١/ ٥٢، وورد عندهم: ليالي، بدل: عشية. وليس فيه محلُّ الشاهد، وورد عند الأخيرَيْن: لاقينا، بدل: قارعنا.

وصدر البيت الثالث لحاتم الطائي، وعجزه:

تـجِـدْ جُـمـعَ كَـفٍّ غـيـرِ مِـلْءٍ ولا صِـفْـرِ

وهو في ديوانه ص٤٦، وفيه: متى يأتِ، بدل: إذا جاء.

الساعة، وبها وفيها يَقَعُ الأَجْرُ على الله، وترتبط النِّيَّةُ، فمَن اعْتَزَمَ على الغزوِ وهو مُعْسِرٌ فقد اتَّبَع في ساعة عُسرةٍ، ولو اتَّفقَ أَنْ يَطْرَأَ لهم غنًى في سائرِ سفرهم لَمَا اختلَّ كونهم مُتَّبِعين في ساعة العُسْرة.

و«العُسْرة»: الضِّيْق والشِّدَّة والعَدَم، وهذا هو جيشُ العُسْرة الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ: «مَن جهَّز جيشَ العُسْرَة، فله الجنَّة»[1] فَجهَّزه عثمان بنُ عفَّان بألفِ جَمَلٍ وألفِ دينار، ورُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَلَّب الدنانيرَ بيده، وقال: «وما على عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ هذا»[2]. وجاء أنصاريٌّ بسَبْع مئةِ وَسْقٍ[3] مِن تَمْرٍ[4].

وقال مجاهد وقتادة والحسن: بلغت العُسْرَةُ بهم إلى أنْ كان العَشَرةُ منهم يَعتقِبُونَ على بعيرٍ واحدٍ مِن قلَّة الظَّهْر، وإلى أنْ قَسموا التمرةَ بين الرَّجلين، وكان النَّفَرُ يَأخذونَ التمرةَ الواحدةَ فيَمصُّها أَحدُهم ويَشرَبُ عليها الماءَ ثم يَفعَلُ بها كلُّهم ذلك[5].

وقال عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: أَصابَهم في بعضِها عَطَشٌ شديد حتى جَعَلوا يَنحرون الإبلَ ويَشربونَ ما في كُرُوشِهَا مِن الماء، ويَعصرونَ الفَرْثَ، حتى استُسْقِي رسولُ الله ﷺ، فرَفَع يدَيه يَدعُو، فما رَجَعهما حتى انسَكَبت سَحابةٌ، فشربوا

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، وما بعده منه أيضاً، والخبر عند البخاري (٢٧٧٨) معلَّقاً عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، ووصله الدَّارقطنيُّ (٤٤٤٧)، والبيهقيُّ ٦/ ١٦٧. وينظر العلل للدارقطني ٣/ ٥٢، وفتح الباري ٥/ ٤٠٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، والخبر أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨١٦٤)، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٨٧) عن الحسن، وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن سَمُرة بنحوه.

(٣) الوَسْق: حِمْل البعير، والوِقْرُ: حِمْل البغل والحمار. مختار الصحاح (وسق).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، ولم نقف على هذا الخبر، بل الذي وقفنا عليه أنَّ عاصم بن عديّ تصدَّق بمئة وسقٍ من تمرٍ، وخبره في سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥١ من طريق ابن إسحاق، وأخرجه عنه الطبريُّ ١١/ ٥٩٢-٥٩٣، وسلف عند تفسير الآية (٧٩) من هذه السورة، وينظر أيضاً النكت والعيون ٢/ ٣٨٥، وزاد المسير ٣/ ٤٧٦-٤٧٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، وما بعده منه أيضاً، وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٤١١-٤١٢، وخبر مجاهد وقتادة عند الطبري ١٢/ ٥٠-٥٢، وخبر الحسن عند الثعلبي ٣/ ٢٥٨ .

وادَّخروا ثم ارتحلوا، فإذا السحابةُ لم تَخرج عن العسكر[١].

وفي هذه الغزوة هَمُّوا مِن المجاعة بِنَحْرِ الإبل، فأَمَرَ بجَمْع فَضْلِ أزوادهم حتى اجتمعَ منهُ على النِّطَع شيءٌ يسيرٌ، فدَعَا فيه بالبَرَكة، ثم قال: «خُذُوا في أوعيتكم»[٢]. فملؤوها حتى لم يَبْقَ وعاءٌ، وأَكَلَ القومُ كلُّهم حتى شَبِعوا وفَضَلَت فَضْلَةٌ، وكان الجيش ثلاثينَ ألفاً وزيادةً.

وهي آخِرُ مغازِيْه ﷺ، وفيها خَلَّف عليًّا بالمدينة، وقال المنافقونَ: خَلَّفه بُغْضَاً له! فأخبره بقولهم، فقال: «أَمَا تَرضى أَنْ تكون مِنِّي بمنزلة هارونَ مِن موسى»[٣].

وَوَصَل ﷺ إلى أوائلِ بلاد العدوِّ، وبَثَّ السَّرَايا، فصالَحه أهلُ أَذْرُح وأَيْلَةَ وغيرهما على الجزية وانْصَرَف[٤].

«تزيغ قلوبُ فريقٍ» قال الحسنُ: هَمَّت فرقةٌ بالانصراف لِمَا لقوا مِن المَشقَّة. وقيل: زيغها كان بظنونٍ لها سَاءَت في معنى عَزم الرَّسول على تلك الغزوةِ لِمَا رَأَتْه مِن شِدَّة العُسْرَة، وقلَّة الوَفْر، وبُعْدِ المشقَّة، وقوَّة العدوّ المقصود[٥].

وقال ابنُ عباس: «تزيغ» تَعدِلُ عن الحقِّ في المبايعة.

و«كاد» تَدُلُّ على القُرْب لا على التلبُّس بالزَّيْغ.

وقرأ حمزة وحفص: «يزيغ» بالياء[٦]، فتعيَّن أن يكون في «كاد» ضميرُ الشَّأْن، وارتفاع «قلوب» بـ «يزيغ» لامتناع أن يكون «قلوب» اسمَ «كاد»، و«يزيغ» في موضع الخبر؛ لأنَّ النِّيَّةَ به التأخير، ولا يجوز: مِن بَعْدِ ما كادَ قلوبٌ يزيغ، بالياء.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٨، والنكت والعيون ٢/ ٤١٢، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٢/ ٥٢-٥٣، وابنُ خزيمة (١٠١).

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٠٨-٤٠٩، والخبر عند مسلم (٢٧) (٤٥)، وهو عند أحمد (١١٠٨٠) من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد (شَكَّ الأعمش) رضي الله عنهما. والنِّطَع: بساطٌ من جلد.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٤١٠، والخبر عند البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص، وهو عند أحمد (١٤٦٣).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، وينظر الخبر في سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٥، وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٨. وأَذْرُح، ويقال: أَذْرُج: مدينة من أداني الشام. معجم ما استعجم (أذرح). وأَيْلَة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣.

(٦) سلف تخريجها قريباً.

وقرأ باقي السبعة بالتاء؛ فاحتمل أن يكون في «كاد» ضمير الشَّأن كقراءة الياء، واحتمل أن يكون «قلوب» اسم «كاد»، و«تزيغ» الخبر وُسِّط بينهما، كما فُعلَ ذلك بـ «كان».

قال أبو عليٍّ: ولا يجوز ذلك في «عسى»[(١)].

واحتمل أن يكون فاعل «كاد» ضمير يَعود على الجمع الذي يَقتضيه ذِكْر المهاجرين والأنصار، أي: مِن بَعْدِ ما كاد هو، أي: الجمع، وقد قَدَّر المرفوعَ بـ «كاد» باسمٍ ظاهرٍ ـ وهو القوم ـ ابنُ عطيَّة وأبو البقاء[(٢)]، كأنَّه قال: مِن بعد ما كاد القومُ.

وعلى كلِّ واحدٍ مِن هذه الأعاريب الثلاثة إشكالٌ على ما تقرَّر في علم النَّحْوِ مِن أنَّ خبرَ أفعالِ المقاربة لا يكون إلَّا مضارعاً رافعاً ضميرَ اسمِها، فبعضُهم أطلَق، وبعضُهم قَيَّدَ بغير «عسى» مِن أفعال المقاربة، ولا يكون سببياً، وذلك بخلاف «كان» فإنَّ خبرَها يرفع الضميرَ، والسَّبَبِيّ لاسم «كان، فإذا قَدَّرنا فيها ضميرَ الشأن كانت الجملة في موضع نَصْبٍ على الخبر، والمرفوع ليس ضميراً يَعود على اسم «كاد»، بل ولا سببيًّا له، وهذا يَلزم في قراءةِ الياء أيضاً.

وأمَّا توسيطُ الخبر فهو مبنيٌّ على جوازِ مِثْلِ هذا التركيب في مِثْلِ: كان يقومُ زيدٌ، وفيه خلافٌ، والصَّحيح المَنْعُ.

وأمَّا الوجه الأخير فضعيفٌ جدًّا مِن حيث أُضمرَ في «كاد» ضميرٌ ليس له على مَن يَعود إلّا بتوهُّم، ومِن حيث يكون خبر «كاد» رافعاً سببيًّا، ويُخلِّصُ من هذه الإشكالات اعتقادُ كون «كاد» زائدةً ومعناها مُرادٌ، ولا عملَ لها إذ ذاك في اسمٍ ولا خبرٍ، فتكون مِثْلَ «كان» إذا زِيدت يُراد معناها ولا عَمَل لها، ويُؤيِّد هذا التأويلَ قراءةُ ابنِ مسعود: «مِنْ بَعْدِ ما زَاغَت»[(٣)] بإسقاط «كاد»، وقد ذهبَ الكوفيونَ إلى زيادتها في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] مع تأثُّرها للعامل وعملها هي، فأَحْرَى أَنْ يُدَّعَى زيادتها، وهي ليست عاملةً ولا معمولةً.

---

(١) الحجَّة للفارسي ٤/ ٢٣٥، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، والإملاء ٢/ ٢٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٣، والقراءة في المصاحف لابن أبي داود ١/ ٣١٨.

وقرأ الأعمش والجحدريُّ «تُزِيْغُ» برَفْع التاء، وقرأ أُبَيٌّ: «مِن بعد ما كادت تزيغ»[(١)].

«ثم تاب عليهم» الضمير في «عليهم» عائد على الأوَّلين، أو على الفريق، فالجملة كرِّرت؛ تأكيداً، أو يُراد بالأوَّل إنشاءُ التوبة، وبالثاني استدامتُها، أو لأنَّه لمَّا ذَكَر أنَّ فريقاً منهم كادت قلوبهم تَزيغ نصَّ على التوبة ثانياً رَفْعاً لتوهُّم أنَّهم مسكوتٌ عنهم في التوبة، ثم ذَكَر سببَ التوبة، وهو رَأْفته بهم ورحمتُه لهم.

و«الثلاثة الذين خُلِّفوا» تقدَّمت أسماؤهم، ومعنى «خُلِّفوا» عن الغَزْوِ غزو تَبُوك، قاله قتادة[(٢)]، أو «خُلِّفوا» عن أبي لُبَابة وأصحابِه، حيث تِيْبَ عليهم بَعْدَ التوبة على أبي لُبابة وأصحابِه، أَرْجَأ أَمْرَهم خمسينَ يوماً ثم قَبِلَ توبتهم، وقد رَدَّ تأويلَ قتادةَ كعبُ بنُ مالك بنفسِه، فقال: معنى «خُلِّفوا» تُرِكُوا عن قَبول العُذْر، وليس بتخلُّفِنا عن الغَزْوِ[(٣)].

وقرأ الجمهور: «خُلِّفوا» بتشديد اللام مبنيًّا للمفعول، وقرأ أبو مالك كذلك وخَفَّف اللام[(٤)].

وقرأ عكرمةُ بنُ هارون المخزوميُّ وزِرُّ بنُ حُبَيْش وعَمْرو بنُ عُبيد ومعاذ القارِئ وحُميد: بتخفيف اللام مبنيًّا للفاعل[(٥)]، ورُوِيَت عن أبي عَمرو، أي: خَلَفُوا الغازينَ بالمدينة، أو: فَسَدوا، مِنَ الخَالفة، وخُلُوف الفَمِ.

---

(١) لم نقف على القراءة الأولى عند مَن سَبَقه، والقراءة الثانية في المحرر الوجيز ٣/ ٩٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤، وقول كعب بن مالك أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وهو عند أحمد (١٥٧٨٩) ضمن قصة توبته رضي الله عنه.
(٤) أي: «خُلِفُوا»، والقراءة في المحرر الوجيز ٣/ ٩٤.
(٥) أي: «خَلَفُوا»، والقراءة في المحرر الوجيز ٣/ ٩٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٩، والقراءات الشاذة ص٥٥، والمحتسب ١/ ٣٠٥، ووقع في القراءات الشاذة: عكرمة بن خالد وزرّ بن حبيش. وعكرمة بن خالد هو: ابن العاص المخزومي المكي، تابعي ثقة، روى عن ابنِ عباس أو أصحابه. طبقات القراء ٢/ ٥١٥، ولم نقف على ترجمة عكرمة بن هارون، ومع الإشارة إلى أنَّ السمينَ الحلبيَّ في الدر المصون ٦/ ١٣٦ ذكر القراءة عن عكرمة وعن عكرمة بن هارون وغيرهما.

وقرأ أبو العالية وأبو الجوزاء كذلك مشدَّد اللَّام[١].

وقرأ أبو رزين وأبو مِجْلَز والشعبيُّ وابنُ يَعْمَر وعليّ بنُ الحسين وابناه زيد ومحمد الباقر وابنُه جعفر الصادق: «خالفوا» بألفٍ[٢]، أي: لم يُوافِقوا على الغَزْوِ. وقال الباقر: ولو خُلِّفوا لم يَكُن لهم[٣].

وقرأ الأعمشُ: «وعلى الثلاثة المخلّفين»[٤]، ولعلَّه قَرَأ كذلك على سبيلِ التفسير؛ لأنَّها قراءةٌ مخالفة لسوادِ المصحف.

«حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبت» تقدَّم تفسيرُ نظيرِها في هذه السُّورة في قصَّة حنين[٥]، «وضاقت عليهم أنفسُهم» استعارةٌ؛ لأنَّ الهَمَّ والغَمَّ مَلَأَها بحيث لا يَسَعُها أُنْسٌ ولا سُرورٌ، وخرجت مِن فَرْط الوَحْشة والغَمِّ «وظَنُّوا» أي: عَلِموا، قاله الزمخشريُّ[٦]. وقال ابنُ عطيَّة: أَيقنوا[٧]، كما قالوا في قولِ الشاعر:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألفَي مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفارسيِّ المُسَرَّدِ[٨]

وقال قومٌ: الظَّنُّ هنا على بابِهِ من ترجيح أَحَدِ الجائزين؛ لأنَّه وُقفَ أمرُهم على الوحي ولم يَكونوا قاطعينَ بأنَّه يَنزل في شَأْنهم قرآنٌ، أو كانوا قاطعينَ لكنَّهم يُجوِّزونَ تطويلَ المُدَّة في بقائهم في الشِّدَّة، فالظَّنُّ عاد إلى تجويز تلك المدَّة قَصِيْرَة.

وجاءت هذه الجُمَلُ في كَنَف «إذا» في غاية الحُسْنِ والترتيب، فذكر أوَّلاً ضِيْقَ

---

(١) أي: «خَلَّفُوا»، والقراءة في زاد المسير ٣/ ٥١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٩، والكشاف ٢/ ٢١٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤١٢، والقراءات الشاذة ص٥٥، والمحتسب ١/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٣) بعدها في المحرر الوجيز ٣/ ٩٤ ـ والكلام منه ـ : ذَنْب.

(٤) المصدر السابق، والكشاف ٢/ ٢١٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٩.

(٥) عند تفسير الآية (٢٥).

(٦) الكشاف ٢/ ٢١٨.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤.

(٨) البيت لدريد بن الصِّمَّة، وهو في ديوانه ص٤٧، والأغاني ١٠/ ٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٨١٢، ورواية الديوان: علانية ظنُّوا... البيت، والسَّرَاة: الرؤساء والخيار، والفارسي المُسَرَّد، يعني به الدروع المسرودة. وسلف عند تفسير الآية (٤٥) من سورة البقرة.

الأرض عليهم، وهو كنايةٌ عن استيحاشِهم ونَبْوَةِ الناس عن كلامهم، وثانياً «وضاقَت عليهم أَنفسُهم» وهو كنايةٌ عن تَواتُر الهَمِّ والغَمِّ على قلوبهم حتى لم يَكن فيها شيءٌ مِن الانشراحِ والاتِّسَاع، فذَكَر أَوَّلاً ضِيْقَ المحلِّ، ثم ثانياً ضِيْقَ الحالِّ فيه؛ لأنَّه قد يَضيق المحلُّ وتكون النَّفْسُ منشرحةً:

سُمُّ الخِيَاطِ مَعَ المحبوبِ ميدانُ[1]

ثم ثالثاً لما يَئِسُوا مِن الخَلْق عَذقوا[2] أمورَهم بالله وانقطعوا إليه وعَلِموا أنَّه لا يُخلِّص مِن الشِّدَّة ولا يُفرِّجها إلَّا هو تعالى ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

و«إذا» إنْ كانت شرطيَّةً فجوابها محذوفٌ، تقديره: تابَ عليهم، ويكون قوله: «ثمَّ تَابَ عليهم» نظيرَ قوله: «ثمَّ تابَ عليهم» بعد قوله: «لقد تابَ اللهُ على النبيِّ» الآية [التوبة: ١١٧]، ودعوى أنَّ «ثمَّ» زائدة، وجواب «إذا» ما بَعْدَ «ثُمَّ»، بعيدٌ جِدًّا، وغيرُ ثابتٍ من لسان العرب زيادة «ثمَّ»، ومَن زَعَم أنَّ «إذا» بعد «حتَّى» قد تُجرَّد مِن الشَّرْط وتَبقى لمجرَّد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غايةً للفعل الذي قَبْلَها وهو قوله: «خُلِّفوا» أي: خُلِّفوا إلى هذا الوقت.

«ثم تابَ عليهم لِيَتوبوا» ثمّ رجع عليهم بالقَبول والرَّحْمَة كرَّةً أُخرى؛ لِيَستقيموا على توبتهم ويُنِيْبُوا، أو «ليتوبوا» أيضاً فيما يَستقبل إن فَرطت منهم خطيئةٌ، عِلْماً منهم أنَّ اللهَ توَّابٌ على مَن تابَ ولو عاد في اليوم مئة مرَّة.

وقيل: معنى «ليتوبوا» ليَدُوموا على التوبة ولا يُراجعونَ ما يُبطلها.

---

(١) جاء في هامش (ح) بخطٍّ مغايرٍ لخطِّ الناسخ ما نصُّه: صدره: رُحْب الفضاء مع الأعداء ضَيِّقةٌ. اهـ. ولم نقف على البيت برواية الصَّدْر هذه، بل ورد صدره هكذا: وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى. وهو في المدهش ص٣٨٥، والكشكول ١/ ٢٨٨، والمحاضرات في الأدب واللغة لليوسي ١/ ٣٣١، وورد عندهم جميعاً: مع الأحباب، بدل: مع المحبوب. وكذا وردت في (ح) فوق لفظة: المحبوب، وأُشير فوقها بالرمز: (ظ).

(٢) في (يه): علقوا. وكأنَّ معنى قولِه: عذقوا، أي: علَّقوا، ومنه: عَذَق شاتَه يَعْذُقُها عَذْقاً: إذا علَّق عليها صوفةً تُخالف لونَها. معجم مقاييس اللغة (عذق).

وقيل: «ليَتوبوا» ليَرجعوا إلى حالهم وعادتِهم مِن الاختلاط بالمؤمنين وتَسكُن نفوسُهم عند ذلك.

قال ابنُ عطيَّة: وقولُه: «ثم تابَ عليهم لِيَتوبوا» لمَّا كان هذا القولُ في تعديد نِعَمِه بَدَأَ في ترتيبه بالجهة التي هي عن اللهِ تعالى؛ ليكونَ ذلك منبِّهاً على تَلقِّي النِّعمة مِن عندِه لا ربَّ غيرُه، ولو كان القولُ في تعديد ذَنْبٍ لكان الابتداءُ بالجهة التي هي عن المُذنِب، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ ليكون هذا أشدَّ تقريراً للذَّنب عليهم، وهذا مِن فصاحة القرآن وبَديعِ نَظْمِه ومُعجِز اتِّساقه، وبيانُ هذه الآية ومَواقع ألفاظها أنَّها تَكمُل مع مطالعة حديثِ الثلاثة الذين خُلِّفوا(١). وقد خرَّج حديثَهم بكماله البخاريُّ ومسلم، وهو في السِّيَر(٢)، فلذلك اختَصَرتُ سوقَه.

وإنَّما عَظُمَ ذنبُهم واستحقُّوا عليه ذلك؛ لأنَّ الشَّرْع يُطالبُهم مِن الجِدِّ فيه بَحسَب منازِلهم منه، وتقدُّمهم فيه، إذ هم أُسوةٌ وحُجَّةٌ للمنافقين والطَّاعِنين؛ إذ كان كعبٌ مِن أهلِ العَقَبة، وصاحباه مِن أهلِ بدر، وفي هذا ما يقتضي أنَّ الرَّجُلَ العالِمَ والمقتدَى به أَقَلُّ عُذراً في السُّقوط مِن سواه، وكَتَبَ الأوزاعيُّ رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخِرِ رسالةٍ: واعْلَم أنَّ قرابتَكَ مِن رسولِ الله ﷺ لن تَزيدَ حقَّ اللهِ عليكَ إلَّا عِظَماً، ولا طاعته إلَّا وجوباً، ولا الناس فيما خالف ذلك منكَ إلَّا إنكاراً، والسلام. ولقد أَحْسَنَ القاضي التنوخيُّ في قوله:

والعَيْبُ يَعلَقُ بالكبيرِ كَبيرُ(٣)

انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤.

(٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وهو عند أحمد (١٥٧٨٩)، وسيرة ابن هشام ٢/ ٥٣١ وما بعدها.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٤، ورسالة الأوزاعيّ ـ وهو: عبد الرحمن بن عَمرو بن يُحْمَد ـ إلى أبي جعفر المنصور أوردها الذهبيُّ في السير ٧/ ١٢٥ ضمن ترجمة الأوزاعي نقلاً عن محمد بن عمر التنوخي، وأخرجها عنه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ٢١٣.
ولم نقف على عجز البيت عن القاضي التنوخي، بل ورد في اعتلال القلوب للخرائطي ص١٣٩ ضمن خبرٍ عن إسماعيل بن إسحاق قاله ـ مع بيت آخر ـ في غلام جميل رآه وهو يمشي إلى المسجد، وذكر الخرائطي في نهاية الخبر أنَّ الشِّعر لإبراهيم بن المهدي، وكذا =

ورُوِيَ أنَّ أناساً مِن المؤمنين تَخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ، ومنهم مَن بَدَا له فلَحِقَ بهم كأبي خَيْثَمة، ومِنهم مَن بَقِيَ لم يَلحق به، منهم الثلاثة.

وسُئلَ أبو بكر الورَّاق[1] عن التوبة النَّصُوح، فقال: أَنْ تَضِيْقَ على التائب الأرضُ بما رَحُبت، وتضيقَ عليه نفسُه كتوبة كعب بن مالكٍ وصاحبَيْه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ هو خطابٌ للمؤمنين أُمروا بكونهم مع أهلِ الصِّدْق بعد ذِكْر قصَّة الثلاثة الذين نَفَعهم صِدْقُهم وأزاحَهُم عن رُتْبة النِّفاق، واعترضت هذه الجملة؛ تنبيهاً على رُتْبَة الصِّدْق، وكفى بها أنَّها ثانيةٌ لرُتْبَة النبوَّة في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

قال ابنُ جريج وغيرُه: الصِّدْقُ هنا صِدْقُ الحديث. وقال الضحاك ونافع ما معناه: اللفظ أعمُّ مِن صِدْق الحديث، وهو بمعنى الصِّحَّة في الدِّين والتمكُّن في الخير، كما تقول العربُ: رَجُلُ صِدْقٍ. وقالت هذه الفرقة: كونوا مع محمَّدٍ وأبي بكر وعمر وخيار المهاجرين الذين صَدَقوا اللهَ في الإسلام[2].

وقيل: هم الثلاثة، أي: كونوا مِثْلَ هؤلاء في صِدْقِهم وثباتِهم.

وقال الزمخشريُّ[3]: هم الذين صَدَقوا في إيمانهم ومعاهدتهم اللهَ ورسولَه مِن

= أورد الخبرَ ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٦/ ١٣٧ ضمن ترجمة إسماعيل بن إسحاق القاضي، والبيتان هما:

لولا الحياءُ وأنَّني مستور والعَيْبُ يَعْلَق بالكبير كبيرُ
لَحَلَلْتُ منزلها الذي تحتلُّه ولكان منزلُها هو المهجورُ

وأوردهما أيضاً القيرواني في زهر الآداب ٢/ ٨٢٧ ـ ضمن ترجمة منصور بن إسماعيل بن عيسى التيمي الفقيه ـ بقوله: ورأيته له ـ أي: لمنصور الفقيه ـ في أكثر النسخ، على أنَّ أكثرَ الناسِ يرويه لإبراهيم بن المهدي، وهو الصحيح.

(١) الكشاف ٢/ ٢١٩، وما قبله منه أيضاً، وأخرجه عن الورَّاق الثعلبيُّ في التفسير ٣/ ٢٦٢، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٢٠، وأبو بكر الورَّاق هو: محمد بن عمر الحكيم البلخي. حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٥، وينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٨.

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٩، وما قبله منه أيضاً.

قوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وهم الذين صَدَقوا في دِيْنِ اللهِ نيَّةً وقولاً وعملاً. انتهى.

وقيل: الخطاب بـ «الذين آمنوا» لمَن تخلَّف مِن الطلقاء عن غزوة تبوك.

وعن ابنِ عبَّاس: الخطاب لمَن آمَنَ مِن أهلِ الكتاب، أي: كونوا مَعَ المهاجرين والأنصار(١).

و«مع» تقتضي الصُّحْبَة في الحال والمشاركةَ في الوَصْف المقتضي للمدح.

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عبَّاس.: «مِن الصادقين» ورُوِيَت عن النبيِّ ﷺ، وكان ابنُ مسعود يتأوَّله في صِدْقِ الحديث، وقال: الكذب لا يَصلح منه جِدٌّ ولا هَزْل، ولا أنْ يَعِدَ منكم أحَدٌ صبيَّه ثم لا يُنجِزه، اقرؤوا إن شئتم «وكونوا مع الصادقين»(٢).

وقال صاحبُ «اللوامح»: «ومِنْ» أعمُّ مِن «مع»؛ لأنَّ كلَّ مَن كان مِن قومٍ فهو معهم في المعنى المأمورِ به، ولا يَنعكس ذلك.

وقرأ زيد بن عليٍّ وابنُ السَّمَيْفَع وأبو المتوكِّل ومعاذ القارِئ: «مَعَ الصَّادِقَيْنِ» بفتح القاف وكسرِ النون على التثنية(٣)، ويَظهر أنَّهما اللهُ ورسولُه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ولمَّا تقدَّم «وظَنُّوا أنْ لا ملجأ مِن الله إلا إليه» [التوبة: ١١٨] أُمروا بأنْ يَكونوا مع اللهِ ورسولِه بامتثالِ الأمْر واجتنابِ المنهيّ عنه، كما يقال: كُن مع الله يَكُن مَعَك.

---

(١) المصدر السابق، وكلام ابن عباس ذكره القرطبي ١٠/ ٤٢١ دون عزوٍ نقلاً عن أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٠١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٥، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٢-٢٦٣، وفيه تخريج قولِ ابنِ مسعود، وأخرجه أيضاً الطبري ١٢/ ٦٨-٦٩ وفيه تخريج قراءته أيضاً، والواحدي في الوسيط ٢/ ٥٣٣، وذكر القراءة أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥١٤ وعزاها لابن مسعود، والزمخشريُّ في الكشاف ٢/ ٢١٩ ولم ينسبها.

(٣) زاد المسير ٣/ ٥١٤.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ نزلت فيمَن تخلَّف مِن أهل المدينة عن غزوة تبوك، وفيمن تخلَّف ممَّن حولهم مِن الأعراب مِن مُزَيْنَة وجُهَيْنَة وأَشْجَع وأَسْلَم وغِفَار[١].

ومناسبتها لِمَا قَبْلَها أنَّه لمَّا أَمَر المؤمنين بتقوى اللهِ وأَمَرَ بكينونتِهم مع الصادقين، وأَفْضَلُ الصادقينَ رسولُ الله ﷺ ثمَّ المهاجرون والأنصار، اقتضى ذلك موافقةَ الرَّسولِ وصحبتَه أنَّى توجَّه مِن الغزوات والمَشَاهِد، فعُوتبَ العتابَ الشديدَ مَن تخلَّف عن الرَّسول في غزوة، واقتضى ذلك الأَمْر بصحبته وبَذْل النفوس دُونَه.

قال الزمخشريُّ: بأَنْ يَصحبُوه على البَأْساء والضَّرَّاء، وأَنْ يُكابدوا معه الأهوالَ برغبةٍ ونشاطٍ واغتباطٍ، وأَنْ يُلقُّوا أنفسَهم في الشدائد ما تَلْقَاهُ نفسُه ﷺ، عِلْماً بأنَّها أعزُّ نفسٍ عندَ اللهِ تعالى وأكرمُها عليه، فإذا تعرَّضت مَعَ كرامتها وعزَّتها للخوض في شِدَّةٍ وهَوْلٍ، وَجَب على سائرِ الأَنْفُس أَنْ تتهافَت فيما تعرَّضت له، ولا يَكْتَرِث لها أصحابُها، ولا يُقيموا لها وَزْناً، وتكون أخفَّ شيء عليهم وأهونَه، فَضْلاً أَنْ يَرْبؤوا بأنفسِهم عن متابعتها ومصاحبتِها، ويَضِنُّوا بها على ما سَمح بنفسه عليه، وهذا نهيٌ بليغٌ مع تقبيحٍ لأَمْرِهم، وتوبيخٍ لهم عليه، وتهييجٌ لمتابعته بأَنَفَةٍ وحَمِيَّة[٢].

قال الكرمانيُّ: هذا نفيٌ معناه النَّهيُ، وخصَّ هؤلاء بالذِّكْر ـ وكلّ الناسِ في ذلك سواء ـ لقُرْبهم منه، وأنَّه لا يَخفى عليهم خروجه.

قال قتادة: كان هذا الإلزام خاصًّا مع النبيِّ ﷺ وجوب النَّفرِ إلى الغَزْو إذا خرج هو بنفسه، ولم يَبْقَ هذا الحكم مع غيرِه مِن الخلفاء.

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٣، وأورده أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥١٥ وعزاه لابن عباس.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٠.

وقال زيد بنُ أسلم: كان هذا الأَمْرُ والإلزامُ في قلَّة الإسلام واحتياجٍ إلى اتِّصال الأيدي، ثم نُسِخَ عند قوَّة الإسلام بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، قال[1]: وهذا كلُّه في الانْبِعاث إلى غزوِ العدوِّ على الدخول في الإسلام، وأمَّا إذا أَلَمَّ العدوُّ بجهةٍ فيتعيَّن على كلِّ أَحَدٍ القيامُ بِذَبِّه ومكافحتِه.

والإشارة بذلك إلى ما تضمَّنه انتفاءُ التخلُّف مِن وجوب الخروج معه وبَذْل النفس دونَه، كأنَّه قيل: ذلك الوجوبُ للخروج وبَذْل النفس هو بسبب ما أعدَّ اللهُ لهم مِن الثواب الجسيم على المشاقِّ التي تَنالهم، وما يَتسنَّى على أيديهم مِن إيذاء أعداءِ الإسلام.

والظَّمَأ: العَطَشُ، وقرأ عبيد بنُ عُمير: «ظَمَاء» بالمدِّ[2]، مثل سَفِهَ سَفاهاً، ولمَّا كان العَطَشُ أسبقَ الأشياء المُؤذية للمسافر بكثرة الحركة وإزعاج النَّفْس، وخصوصاً في شِدَّة الحَرِّ، كغزوة تبوك، بُدِئَ به أوَّلاً، وثُنِّيَ بالنَّصَب وهو التَّعَب؛ لأنَّه الكَلال الذي يَلحق المسافر والإعياءُ الناشئُ عن العَطَش والسَّيْر، وأُتِيَ ثالثاً بالجُوع؛ لأنَّه حالةٌ يُمكِن الصبرُ عليها الأوقات العديدة، بخلافِ العَطَش والنَّصَب المُفْضِيين إلى الخلود والانقطاع عن السَّفَر، فكان الإخبارُ بما يَعرِضُ للمسافر أوَّلاً فثانياً فثالثاً.

و«مَوطِئاً» مَفْعِلٌ، مِن وَطِئَ، فاحتمل أَنْ يكون مكاناً، واحتمل أَنْ يكون مصدراً، والفاعلُ في «يغيظ» عائد على المصدر؛ إمَّا على مَوْطِئ إن كان مصدراً، وإمَّا على ما يُفهم مِن مَوْطِئ إن كان مكاناً، أي: يَغيظُ وَطْؤُهم إيَّاه الكفارَ، وأطلقَ «موطئاً» إذا كان مكاناً ليعمَّ كلَّ مَوْطِئٍ يَغيظُ وَطْؤُه الكفَّارَ، سواء أكان مِن أمكنة الكفار، أم مِن أمكنة المسلمين، إذا كان في سلوكه غيظهم، والوَطْءُ يَدخُل فيه بالحوافر والأَخفاف والأَرْجل.

---

(١) القائل: ابن عطية، وكلامه في المحرر الوجيز ٣/ ٩٥، وما قبله منه أيضاً، وقول قتادة أخرجه الطبريُّ ١٢/ ٧٢، وكلامُ زيد بن أسلم أخرجه الطبريُّ بنحوه لكن عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكذا ورد عند ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٣، والكشاف ٢/ ٢٢٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٢٤.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ «يُغِيْظ» بضمِّ الياء[١].

والنَّيْل مصدرٌ، فاحتمل أنْ يَبقى على موضوعه، واحتمل أنْ يُراد به المَنِيْل، وأطلق «نيلاً» ليُعمَّ القليلَ والكثيرَ ممَّا يَسوءُهم؛ قَتْلاً وأَسْراً وغنيمةً وهزيمةً، وليست الياء في: نيل، بَدَلاً مِن واوٍ، خلافاً لزاعم ذلك، بل: نالَ، مادَّتان إحداهما مِن ذوات الواو، نُلْتُه أَنُوله نَوْلاً ونَوَالاً مِن العطيَّة، ومنه التناول، والأُخرى هذه مِن ذوات الياء: نِلْتُه أناله نَيْلاً: إذا أصابه وأَدْرَكه.

وبُدِئَ في هاتين الجملتين بالأسبق أيضاً وهو الوَطْءُ، ثمَّ ثُنِّيَ بالنَّيْل مِن العَدُوِّ، وجاء العمومُ في «الكفار» بالألف واللام، وفي «مِن عَدُوٍّ» لكونه في سِيَاق النفي، وبُدِئَ أوَّلاً بما يَخصُّ المسافر في الجهاد في نفسِه، ثم ثانياً بما يترتَّب على تحمُّل تلك المشاقِّ؛ مِن غيظِ الكفَّار والنَّيل مِن العَدُوِّ.

قال الزمخشريُّ: ويَجوز أنْ يُراد بالوَطْءِ الإيقاعُ والإبادةُ لا الوَطْءُ بالأقدام والحوافر، كقوله عليه السلام: «آخِرُ وَطْأَةٍ وَطِئَها اللهُ بوَجٍّ»[٢].

والكَتْب هنا يَحتمل أن يكون حقيقةً، أي: كُتبَ في الصَّحائف أو في اللوح المحفوظ؛ ليُجازَى عليه يومَ القيامة، ويَحتمل أن يكون استعارةً، عُبِّرَ عن الثبوت بالكتابة؛ لأنَّ مَن أرادَ أنْ يُثْبِتَ شيئاً كَتَبه، والجملة مِن «كُتبَ» في موضعِ الحالِ، وبه أُفرد الضمير إجراء له مُجْرى اسمِ الإشارة، كأنَّه قيل: إلَّا كُتبَ لهم بذلك عملٌ صالح، أي: بإصابة الظمأِ والنَّصَب والمَخْمَصة والوَطْء والنَّيْل، وفي الحديث:

(١) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٦/ ١٣٧، وابنُ عادل في اللباب ١٠/ ٢٣٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٠، والحديث أخرجه أحمد (١٧٥٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٥) من حديث يعلى بن مرَّة العامري ﷺ، وإسناده ضعيف، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٧٣١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٤) من حديث خولة بنت حكيم ﵂، وإسناده ضعيف أيضاً.

قال البيهقي: الوطأة المذكورة في هذا الحديث عبارة عن نزول بأسه به، قال أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي: معناه عند أهل النظر أنَّ آخِر ما أوقع الله سبحانه بالمشركين بالطائف، كان آخِر غزوة غزاها رسول الله ﷺ. ووجّ: وادٍ بالطائف.

«مَنِ اغْبرَّت قَدَمَاهُ في سبيل الله، حَرَّمَهُ اللهُ على النَّار»[(١)].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: بكلِّ رَوْعَةٍ تَنالهم في سبيلِ الله سبعونَ ألفَ حَسَنةٍ[(٢)].

والنفقة الصغيرة، قال ابنُ عبَّاس: كالتمرة ونحوِها، والكبيرةُ ما فوقها[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: «صغيرة»: ولو تَمرةً، ولو عِلاقَةُ سَوْطٍ «ولا كبيرةً» مِثْل ما أَنفق عثمان في جيش العُسْرة[(٤)]. انتهى.

وقدَّم «صغيرة»؛ على سبيل الاهتمام، كقوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ [يونس: ٦١] وإذا كُتبَ أجرُ الصغيرةِ فأَحرى أَجْرُ الكبيرةِ.

ومفعول «كُتبَ» مُضمَر يَعودُ على المصدر المفهوم مِن «يُنفقون» و«يَقطعون»، كأنَّه قيل: كتبَ لهم هو، أي: الإنفاق والقَطع، ويَجوز أَنْ يَعودَ على قوله: «عمل صالح» المتقدِّم الذِّكْر.

وتأخَّرت هاتان الجملتان وقدِّمت تلك الجُمل السابقة؛ لأنَّها أشقُّ على النَّفْس وأَنْكَى في العَدُوِّ، وهاتان أهونُ؛ لأنَّهما في الأموال وقَطْع الأرض إلى العدوِّ، سواء أَحَصَلَ غيظُ الكفَّار والنَّيْلُ مِن العَدُوِّ أم لم يَحصُلا، فهذا أعمُّ، وتلك أخصُّ، وكان تعليلُ تلك آكدَ؛ إذ جاء بالجملة الاسميَّة المؤكّدة بـ «إنَّ»، وذُكرَ فيه الأجرُ ولفظ «المحسنين»؛ تنبيهاً على أنَّهم حازوا رُتْبَة الإحسان التي هي أَعْلَى رُتَبِ المؤمنين، وفي هاتين الجملتين أَتَى بلام العلَّة، وهي متعلِّقة بـ «كُتبَ» والتقدير: أحسن جزاء الذي كانوا يَعملونَ؛ لأنَّ عملَهم له جزاءٌ حَسَنٌ وله جزاءٌ أَحسنُ، وهنا الجزاءُ أَحسنُ جزاء.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ[(٥)]: «أَحْسَنَ ما كانوا يَعملون» فيه وجهان: الأوَّل: أنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٠٧) من حديث أبي عَبْس عبدِ الرحمن بنِ جبر، وهو عند أحمد (١٥٩٣٥).
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٢٥.
(٣) زاد المسير ٣/ ٥١٥.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٢٠.
(٥) تفسير الرازي ١٦/ ٢٢٤-٢٢٥.

«أحسن» مِن صفة فِعْلِهم، وفيها الواجبُ والمندوب دونَ المباح. انتهى هذا الوجه، فاحتمل أَنْ يكونَ «أحسن» بدلاً مِن ضمير «ليجزيهم» بدلَ اشتمال، كأنَّه قيل: ليَجزي اللهُ أحسنَ أفعالهم بالأحسن مِن الجزاء، أو بما شاءَ مِن الجزاء، ويَحتمل أَنْ يكون ذلك على حَذْفِ مضاف، فيكون التقدير: ليَجزيهم اللهُ جزاءَ أحسنِ أفعالهم.

والثاني: أنَّ الأحسنَ صفة للجزاء، أي: يَجزيهم جزاءً هو أحسن مِن أعمالهم وأَجلُّ وأفضلُ وهو الثوابُ. انتهى هذا الوجه، وإذا كان الأحسن مِن صفة الجزاء، فكيف أُضيفَ إلى الأعمال وليس بعضاً منها، وكيف يَقَعُ التفضيلُ إذ ذاك بينَ الجزاء وبين الأعمال ولم يُصرّح فيه بـ «من»؟!.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ لـمَّا سـمعوا «ما كـان لأهلِ المدينة» الآية، أَهَمَّهم ذلك فنَفَرُوا إلى المدينة إلى الرَّسولِ، فنزلت.

وقيل: قال المنافقون حين نزلت «ما كان لأهل المدينة» الآية: هكذا أهل البوادي، فنزلت.

وقيل: لمَّا دَعَا الرَّسولُ على مُضَر بالسِّنِيْن، أصابتهم مجاعةٌ، فنَفَروا إلى المدينة للمعاش، وكادوا يُفسِدونها، وكان أكثرُهم غيرَ صحيحِ الإيمان، وإنَّما أَقدمَهُ الجوعُ، فنزلت الآية، فقال: «وما كان» مَن صفته الإيمان لَيَنفر مِثْلَ هذا النفير، أي: ليس هؤلاء بمؤمنين(١).

وعلى هذه الأقوال لا يكون النفير إلى الغَزْوِ، والضمير فيها الذي في «ليتفقَّهوا» عائدٌ على الطائفة النَّافرة، وهذا هو الظاهر.

وقال ابنُ عبَّاس: الآية في البُعُوث والسَّرَايا، والآية المتقدِّمة ثابتةُ الحُكْم مع خروجِ الرَّسول في الغَزْوِ، وهذه ثابتةُ الحكم إذا لم يَخرج، أي: يجب إذا لم يَخرُج أَنْ لا يَنفِر الناسُ كافَّةً فيَبقى هو مفرداً، وإنَّما ينبغي أَنْ يَنفر طائفةٌ وتَبقى طائفةٌ لتُفقِّه هذه الطائفة في الدِّين، وتُنذِر النَّافِرين إذا رجعوا إليهم. وقالت فرقةٌ: هذه الآية

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/٩٦، وزاد المسير ٣/٥١٦-٥١٧، وينظر خبرُ ابن عباس عند الطبري ١٢/٧٩-٨٠.

ناسخةٌ لكلِّ ما وَرَدَ مِن إلزام الناس كافَّة النفيرَ والقتال[١]، فعلى هذا وعلى قولِ ابنِ عباس يكون الضميرُ في «ليتفقَّهوا» عائداً على الطائفة المقيمة مع النبيِّ ﷺ[٢]، ويكون معنى «ولِيُنْذِروا قومَهم» أي: الطائفةَ النافِرَةَ إلى الغَزوِ يُعلمونهم بما تجدَّد مِن أحكام الشريعة وتكاليفها، وكان ثَمَّ جملةٌ محذوفة دلَّ عليها قَسِيمُها، أي: فهلّا نَفَرَ مِن كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ، وقَعَدَت أُخرى ليتفقَّهوا.

وقيل، على أنْ يكون النفيرُ إلى الغَزْوِ: يصحُّ أنْ يكون الضمير في «ليتفقَّهوا» عائداً على النافرين، ويكون تفقُّههم في الغَزْوِ بما يَرَوْنَ مِن نُصْرَة اللهِ لدينه وإظهارِه الفئةَ القليلة مِن المؤمنين على الكثيرة مِن الكافرين، وذلك دليلٌ على صحَّةِ الإسلام وإخبارِ الرَّسولِ بظهور هذا الدِّيْن.

والذي يَظهر أنَّ هذه الآية إنَّما جاءت للحَضِّ على طَلَب العِلْم والتفقُّه في دِيْنِ اللهِ، وأنَّه لا يُمكن أنْ يَرحَلَ المؤمنون كلُّهم في ذلك فتَعرَى بلادُهم منهم ويَستولي عليها وعلى ذَرَارِيهم أعداؤهم، فهلَّا رَحَلَ طائفةٌ منهم للتفقُّه في الدِّيْن ولإنذارِ قومهم، فذَكَر العلَّة للنفير، وهي التفقُّه أوَّلاً، ثم الإعلام لقومهم بما علموه مِن أَمْرِ الشريعة، أي: فهلَّا نَفَرَ مِن كلِّ جماعةٍ كثيرةٍ جماعةٌ قليلةٌ منهم فكَفَوهم النفيرَ، وقام كلٌّ بمصلحةٍ؛ هذه لحِفْظِ بلادهم وقتالِ أعدائهم، وهذه لتعلُّم العِلْم وإفادتها المقيمينَ إذا رجعوا إليهم.

ومناسبةُ هذه الآية لِمَا قَبْلَها أنَّ كِلَا النفيرَيْن هو في سبيلِ اللهِ وإحياءِ دينه، هذا بالعِلْم وهذا بالقتال.

قال الزمخشريُّ: «ليتفقَّهوا في الدِّيْن» ليتكلَّفوا الفقاهَةَ[٣] فيه، ويَتجشَّموا المشاقَّ في أَخْذِها وتَحصيلها «ولينذروا قومهم» وليَجعلوا غَرَضَهم ومَرْمَى همَّتهم

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٦-٩٧، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٢٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٦٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٦-٩٧، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٦٦، وخبرُ ابنِ عباس أخرجه الطبري ١٢/ ٧٧-٧٨، وابنُ أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩، ١٩١٢، وينظر قول الحسن عند الطبري ١٢/ ٨٢.

(٣) الفقاهة: الفقه والفِطْنَة. المعجم الوسيط (فقه).

في التفقُّه إنذارَ قومهم وإرشادَهم والنصيحةَ لهم «لعلَّهم يحذرون» إرادةَ أن يَحذَرُوا اللهَ تعالى فيَعملوا عملاً صالحاً، ووجه آخرُ وهو أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا بَعَثَ بَعْثاً بعدَ غزوةِ تبوك وبَعْدَ ما نزل في المتخلِّفين مِن الآيات الشدائدَ، اسْتَبَقَ المؤمنون عن آخِرِهم إلى النَّفِيْر وانقطعوا جميعاً عن الوَحْي والتفقُّه في الدِّيْن، فأُمِرُوا بأنْ يَنفر مِن كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ إلى الجهاد ويَبقى أعقابهم يتفقَّهون؛ حتى لا ينقطعوا عن التفقُّه الذي هو الجهاد الأكبرُ؛ لأنَّ الجهادَ بالحُجَّة أعظمُ أثَراً مِن الجهاد بالسَّيْف.

وقوله تعالى: «ليتفقَّهوا» الضمير فيه للفِرَق الباقية بعدَ الطوائف النافِرة «ولينذروا قومهم» وليُنذِر الفِرَقُ الباقيةُ قومَهم النافرين «إذا رجعوا إليهم» ما حَصَّلوا في أيام غَيْبَتهم مِن العلوم، وعلى الأوَّل الضميرُ للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقُّه[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ لما حَضَّ تعالى على التفقُّه في الدِّيْن وحَرَّض على رحلةِ طائفةٍ مِن المؤمنين فيه، أَمَرَ تعالى المؤمنين كافَّةً بقتال مَن يَلِيْهم مِن الكفَّار، فجمعَ مِن الجهاد جهادَ الحجَّة وجهادَ السَّيْف، وقال بعضُ الشعراءِ في ذلك:

مَن لا يُعَدِّلُه القرآنُ كان له ... مِن الصِّفادِ وبِيْضِ البَتْرِ تَعديلُ[2]

قيل: نزلت قَبْلَ الأمْرِ بِقتال الكفَّار كافَّة، فهي مِن التدريج الذي كان في أوَّل الإسلام، وضُعِّفَ هذا القولُ بأنَّ هذه الآيةَ مِن آخِرِ ما نَزَل.

وقالت فرقةٌ: إنَّما كان رسولُ الله ﷺ ربَّما تجاوز قوماً مِن الكفَّار غازياً لقومٍ آخَرِين أَبْعَدَ منهم، فأَمَرَ اللهُ تعالى بغَزْو الأدْنى فالأَدْنى إلى المدينة[3].

وقالت فرقةٌ: الآيةُ مُبَيِّنة صورةَ القتال كافَّة، فهي مترتِّبة مع الأمْرِ بقتال الكفَّار كافَّة، ومعناها أنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ فيها المؤمنين أنْ يُقاتِلَ كلُّ فريقٍ منهم الجيشَ الذي

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٢١.
(٢) القائل أبو حيان المصنِّفُ نفسُه، والبيت من قصيدة طويلة، وهي في الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٥٠ ضمن ترجمته، والصِّفاد: ما يُوثَق به الأسيرُ من قِدٍّ أو قَيْدٍ، والبِيْض: جمع: أبيض، وهو السيف، والبَتْر: القطع. القاموس المحيط (صفد) و(بيض) و(بتر).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٧، وما بعده منه أيضاً.

يُصاقِبُه[1] مِن الكفرة، وهذا هو القتالُ لكلمة الله وردُّ الناس إلى الإسلام، وأمَّا إذا مالَ العَدُوُّ إلى صُقْعٍ مِن أصقاع المسلمين، ففَرْضٌ على مَنِ اتَّصل به مِن المسلمين كفايةُ عَدُوِّ ذلك الصُّقْع وإن بَعُدَت الدَّار، ونَأَت البلادُ.

وقال قائلو هذه المقالة: نَزَلت الآيةُ مُشيرةً إلى قتال الروم بالشام؛ لأنَّهم كانوا يومئذٍ العدوّ الذي يَلي ويَقرُب، إذ كانت العربُ قد عمَّها الإسلامُ وكانت العراقُ بعيدةً، ثم لمَّا اتّسع نطاقُ الإسلام توجَّه الفَرْض في قتال الفُرْس والدَّيْلَم وغيرهما مِن الأُمم، وسأل ابنَ عمر رجلٌ عن قتال الدَّيْلَم؟ فقال: عليك بالرُّوم. وقال عليّ بنُ الحسين والحسنُ: هم الروم والدَّيْلَم، يعني: في زمنه. وقال ابنُ زيد: المراد بهذه الآية وقتَ نزولِها العربُ، فلمَّا فرغَ منهم نزلت في الرُّوم وغيرهم: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] إلى آخِرِها[2].

وقيل: هم قريظة والنَّضِير وفَدَك وخَيْبَر[3].

وقال قوم: تَحرَّجوا أنْ يُقاتِلوا أقرباءَهم وجِيرانهم، فأُمروا بقتالهم.

و«يَلُونكم» ظاهرُه القُرْب في المكان، وقيل: هو عامٌّ في القُرْبِ في المكان والنَّسَب، والبُدَاءةُ بقتال مَن يلي؛ لأنَّه مُتعذِّر قتالُ كلِّهم دُفعةً واحدةً، وقد أُمرنا بقتال كلِّهم، فوجب الترجيحُ بالقُرْب، كما في سائر المهمَّات كالدَّعوة والأمْرِ بالمعروف والنَّهْي عن المُنكَر، ولأنَّ النفقاتِ فيه والحاجة إلى الدَّوابِّ والأدوات أقلّ، ولأنَّ قتالَ الأَبْعَدِ تعريضٌ لذراري المسلمين إلى الفتنة، ولأنَّ الذين يَلُونَ إن كانوا ضعفاء؛ كان الاستيلاءُ عليهم أسهلَ، وحصولُ عِزِّ الإسلام أيسرَ، وإن كانوا أقوياءَ؛ كان تعرُّضهم لدار الإسلام أشدَّ، ولأنَّ المعرفةَ بمن يَلي آكَدُ منها بمَن بَعُدَ؛ للوقوف على كيفيَّة أحوالهم وعَدَدِهم وعُدَدِهم، فترجَّحت البُداءة بقتال مَن يَلي على قتال مَن بَعُدَ.

وأَمَرَ تعالى المؤمنين بالغِلْظة على الكفَّار والشِّدَّة عليهم، كما قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وذلك ليكون ذلكَ أَهْيَبَ

(١) صَاقَبَهم مُصَاقَبَةً وصِقاباً: واجَهَهُم. القاموس (صقب).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٢/ ٨٦-٨٩، والثعلبيّ ٣/ ٢٢٦، وزاد المسير ٣/ ٥١٨.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٦ وعزاه لابن عباس.

وأوقعَ للفَزَعِ في قلوبهم، وقال تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وفي الحديث: «الْقَوا الكفَّارَ بوجوه مُكْفَهِرَّة»(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦] والغِلْظَة تَجمع الجُرْأةَ والصَّبْرَ على القتال وشدَّة العَدَاوة، والغِلْظَة حقيقةٌ في الأجسام، واستُعيرت هنا للشِّدَّة في الحرب.

وقرأ الجمهور: «غِلْظَة» بكسر الغين، وهي لغةُ أسدٍ، والأعمش وأبان بنُ تغلب والمُفَضَّل كلاهما عن عاصم بفتحها، وهي لغةُ الحجاز، وأبو حيوة والسُّلَمي وابنُ أبي عَبْلَة والمفضَّل وأبان أيضاً بضمِّها، وهي لغةُ تميم، وعن أبي عَمرو ثلاثُ اللُّغات(٢).

ثم قال: «واعلموا أنَّ اللهَ مع المتقين» لينبِّه على أن يكون الحاملُ على القتال ووجود الغِلْظة إنَّما هو تقوى اللهِ تعالى، ومَن اتَّقى اللهَ كان اللهُ معه بالنَّصْر والتأييد، ولا يقصد بقتاله الغنيمةَ ولا الفَخْرَ ولا إظهار البسالة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ قال ابنُ عباس: نزلت هذه والثانيةُ في المنافقين كانوا إذا نزلت سورةٌ فيها عَيْبُ المنافقين، خَطَبهم رسولُ الله ﷺ وعرّض بهم في خطبته، فيَنظر بعضُهم إلى بعضٍ يُريدون الهَرَبَ، ويقولون: هل يراكم مِن أحدٍ إنْ قُمتُم؟ فإن لم يَرَهم أَحَدٌ خرجوا مِن المسجد(٣).

ولما استطرَدَ مِن سفرِ الغَزْوِ وتأنيبِ المتخلِّفين عن الرَّسول إلى سَفَر التفقُّه في الدِّيْن، ثم أَمَرَ بقتال مَن يلي مِن الكفار والغِلْظة عليهم، عاد إلى ذكر مخازي المنافقين، إذ هم الذين نزل معظمُ السورة فيهم، وكان في الآية قَبْلَها إشارة إلى الغِلْظة على الكفَّار وهم منهم.

---

(١) جزء من حديث رواه ابن مسعود، وهو عند ابن شاهين في الترغيب ٢/٣١٦، وعنه الديلمي في مسند الفردوس ٢/٥٦، وضعَّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٣٧٧).

(٢) المحرر الوجيز ٣/٩٧، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٣٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٠، والقراءات الشاذة ص٥٥-٥٦، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٧٦، وزاد المسير ٣/٥١٨.

(٣) زاد المسير ٣/ ٥٢٠.

وقولهم: «أيُّكم زادته هذه إيماناً» يَحتمل أنْ يكون خطابَ بعضِ المنافقين لبعضٍ على سبيل الإنكار والاستهزاءِ بالمؤمنين، ويَحتمل أنْ يقولوا ذلك لقَرَاباتهم المؤمنين، يَسْتَنيمونَ إليهم ويَطمعون في ردِّهم إلى النِّفاق، ومعنى قولهم ذلك هو على سبيل التحقيرِ للسورة والاستخفافِ بها، كما تقول: أيُّ غريبٍ في هذا، وأيُّ دليلٍ في هذا[1]؟! وفي «الغنيان»: قيل: هو قولُ المؤمنين للحَثِّ والتنبيه.

وقرأ الجمهور: «أيُّكم» بالرفع، وقرأ زيد بنُ عليّ وعُبَيْد بنُ عُمَيْر: «أيَّكم» بالنصب على الاشتغال[2]، والنصب فيه عند الأخفش أفصح، كهو بعد أداة الاستفهام نحو: أزيداً ضَرَبته[3].

والتقسيم يقتضي أنَّ الخطابَ مِن أولئك المنافقين المستهزئين عامٌّ للمنافقين والمؤمنين، وزيادةُ الإيمان عبارةٌ عن حدوثِ تصديقٍ خاصٍّ لم يكن قَبْلَ نزول السورة مِن قصصٍ وتجديدِ حكمٍ مِن الله تعالى، أو عبارةٌ عن تنبيهٍ على دليل تضمَّنته السورة، ويكون قد حصلت له معرفةُ اللهِ بأدلَّة، فنبَّهته هذه السورة على دليلٍ زادَ في أدلَّته، أو عبارةٌ عن إزالةِ شَكٍّ يسير أو شُبْهةٍ عارِضَة غيرِ مستحكمةٍ، فيَزول ذلك الشَّكُّ، وترتفع الشُّبْهة بتلك السورة، وأمَّا على قولِ مَن يُسمِّي الطاعاتِ إيماناً ـ وذلك مجازٌ عند أهلِ السُّنَّة ـ فترتَّب الزيادةُ بالسُّورة، إذ تتضمَّن أحكاماً.

وقال الربيع: «فزادتهم إيماناً» أي: خشيةً[4]، أُطلق اسمُ الشيء على بعضِ ثمراته.

وقال الزمخشريُّ: «فزادتهم إيماناً» لأنَّها أزيدُ للمتَّقين على الثباتِ وأَثْلَجُ للصُّدور، أو: فزادتهم عملاً، فإنَّ زيادةَ العمل زيادةٌ في الإيمان، لأنَّ الإيمانَ يقع على الاعتقاد والعمل[5]. انتهى. وهي نزعةٌ اعتزاليَّة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٨.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٦، والكشاف ٢/ ٢٢٢، عن ابن عُمير، والقراءات الشاذة ص٥٥، وقال: حكاه الكسائي عن بعض القُرَّاء.
(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٦٣.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٦، والنكت والعيون ٢/ ٤١٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٢/ ٨٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٤.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٢٢.

«وهم يستبشرون» بما تضمَّنته مِن رحمةِ الله ورضوانِه.

و«وأمَّا الذين في قلوبهم مَرَضٌ» هم المنافقون، والصِّحَّة والمَرَضُ في الأجسام، فنُقِلَ إلى الاعتقاد مجازاً، والرِّجس: القَذَر، والرِّجْس: العَذَاب، وزيادته عبارةٌ عن تعمُّقهم في الكفر وخَبطهم في الضلال، وإذا كفروا بسورةٍ فقد زادَ كُفرهم واستحكَمَ وتزايد عقابُهم.

قال قُطرب والزجَّاجُ: أراد كفراً إلى كُفْرهم. وقال مقاتل: إثماً إلى إثمهم. وقال السُّدِّيُّ والكلبيُّ: شَكًّا إلى شَكِّهم[1].

وقال ابنُ عبَّاس: أراد ما أعدَّ لهم مِن الخِزْي والعذاب المتجدِّد عليهم في كلِّ وقتٍ في الدنيا والآخِرَة. وأنتج نزولُ السورةِ للمؤمنين شيئين؛ زيادة الإيمان، والاستبشار بما لَهم عندَ الله، وللذين في قلوبهم مَرَضٌ؛ زيادةُ رِجْسٍ، والموافاةُ على الكفر، أدَّاهم كفرُهُم الأصليُّ والزيادةُ إلى أنْ ماتوا على الكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ لمَّا ذَكَر أنَّهم بموتهم على الكفر رائحونَ إلى عذابِ الآخِرَة، ذَكَر أنَّهم أيضاً في الدنيا لا يَخلصون مِن عذابها، والضمير في «يَرَون» عائدٌ على «الذين في قلوبهم مرض» وذلك على قراءةِ الجمهور بالياء، وقرأ حمزة بالتاء[2]، خطاباً للمؤمنين، والرؤيةُ يَحتمل أنْ تكون مِن رؤية القلب، ومِن رؤية البَصَر.

وقرأ أُبيّ وابنُ مسعود والأعمش: «أوَلا ترى»[3] أي: أنتَ يا محمَّد، وعن الأعمش أيضاً: «أوَلَم تَرَوا»[4]، وقال أبو حاتم عنه: «أوَلَم يروا»[5].

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٦، والنكت والعيون ٢/ ٤١٦، وزاد المسير ٣/ ٥١٩، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩، والقراءة في السبعة ص٣٢٠، والتيسير ص١٢٠، وهي أيضاً قراءة يعقوب ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٢٨١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩، والقراءة في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٧ ونسبها لطلحة وابن عُمر، وكذا نسبها القرطبيُّ ١٠/ ٤٣٧، وهي في النكت والعيون ٢/ ٤١٧ عن ابن مسعود ﷺ.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩.

(٥) المصدر السابق، لكن ورد في مطبوعه: «أولم تَرَ»، وكذا وردت في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٧، في حين وردت في تفسير القرطبي ١٠/ ٤٣٧ كما ذكرها المصنِّف أعلاه.

قال مجاهد: «يُفتنون» يُختبَرون بالسَّنَة والجُوع. وقال النقَّاش عنه: مرضةً أو مرضتين. وقال الحسن وقتادة: يُختبَرون بالأَمْرِ بالجهاد[1].

قال ابنُ عطيَّة: والذي يَظهر ممَّا قَبْل الآية وممَّا بَعْدَها أنَّ الفتنةَ والاختبارَ إنَّما هي بكشف اللهِ أسرارَهم وإفشائِه عقائدَهم، فهذا هو الاختبارُ الذي تَقوم عليه الحُجَّة برؤيته وتَرْكِ التوبة، وأمَّا الجهاد أو الجوع فلا يترتَّب معهما ما ذَكَرناه، فمعنى الآية على هذا: أَفَلا يَزدَجر هؤلاء الذين تُفضَح سرائرُهم كلَّ سنةٍ مرَّةً أو مرَّتين بحسَب واحدٍ واحدٍ، ويعلمون أنَّ ذلك مِن عند الله، فيتوبونَ ويَذكُرون وَعْدَ الله ووعيدَه[2]؟! انتهى. وقاله مختصراً مقاتِل، قال: يُفضَحون بإظهارِ نفاقِهم[3]. وأمَّا الاختبارُ بالمرض فهو في المؤمنين، وقد كان الحسن يُنشِد:

أفي كلِّ عامٍ مَرْضَةٌ ثُمَّ نَقْهَةٌ فحتَّى متى حتَّى متى وإلى متى[4]

وقالت فرقةٌ: معنى «يُفتَنون» بما يُشِيْعه المشركونَ على رسولِ الله ﷺ مِن الأكاذيب والأَراجيف[5]، وأنَّ ملوكَ الرومِ قاصدونَ بجيوشهم وجُموعهم إليهم، وإليه الإشارةُ بقوله: «لئِن لم يَنْتَهِ المنافقونَ» فكان الذين في قلوبهم مرضٌ يُفتَنون في ذلك، وحكى الطبريُّ هذا القولَ عن حذيفة، وهو غريبٌ مِن المعنى[6].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩، وتنظر الآثار عند الطبري ١٢/ ٩١-٩٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩، وقول مقاتل أورده أيضاً الثعلبي ٣/ ٢٦٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩، ولم نقف على هذا البيت هكذا، بل أورده الأصبهاني في الأغاني ١٨/ ١٥٣ هكذا:

أفي كلِّ عامٍ مَرْضَةٌ بعد نَقْهَةٍ وتَنْعي ولا تُنْعى متى ذا إلى متى

قاله أبو العِيص الجِرْمي عندما عادَهُ مُساور الورَّاق وهو مريض، وأورده أيضاً الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٢/ ١٣٠ هكذا:

لنا كلَّ يومٍ مَرْضَةٌ ثمَّ نقهةٌ ونبغي ولا نبغي متى وإلى متى

وعزاه لعمران بن حِطَّان.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩.
(٦) المصدر السابق، وكلام الطبريِّ عن حذيفة في التفسير ١٢/ ٩٣ مُخرَجاً بإسنادِه إليه.

وقال الزمخشريُّ: «يفتنون» يُبتَلُون بالمرض والقَحْط وغيرهما مِن بلاءِ اللهِ تعالى، ثم لا يَنتهُون ولا يَتوبون مِن نفاقهم ولا يَذَّكَّرون ولا يَعتبرون ولا يَنظرون في أَمْرِهم، أو يُبتَلون بالجهاد مع رسولِ الله ﷺ ويُعاينون أَمْرَه وما يُنزل اللهُ تعالى عليهِ من نصْرِه وتأييده، أو يَفتنهم الشيطانُ فيكذِّبون ويَنقضونَ العهودَ مع رسولِ الله ﷺ فيَقتُلهم ويُنكِّل بهم، ثم لا يَنزجرون[1].

وقرأ ابنُ مسعود: «ولا هم يَتَذكَّرون»[2].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ذَكَرَ أوَّلاً ما يَحدُث عنهم مِن القول على سبيلِ الاستهزاء، ثم ذَكَر ثانياً ما يَصدُر منهم مِن الفعل على سبيلِ الاستهزاء، وهو الإيماءُ والتغامُزُ بالعيون؛ إنكاراً للوَحْي وسُخْريةً، قائلينَ: «هل يَرَاكم مِن أحد» مِن المسلمين لنَنْصَرف؛ فإنَّا لا نَقدِرُ على استماعه، ويَغلبنا الضحكُ فنخاف الافتضاحَ بينهم، أو تَرَامَقُوا يتشاورونَ في تدبيرِ الخروج والانسلالِ لِوَاذاً، يقولون: «هل يَرَاكم مِن أحدٍ».

والظاهر إطلاقُ السورة أيَّةُ سورةٍ كانت، وقيل: ثَمَّ صفةٌ محذوفة، أي: سورة تَفْضَحهم ويُذكَر فيها مخازيهم.

«نظر بعضهم إلى بعض» على جهةِ التقرير، يفهمُ مِن تلك النظرةِ التقرير: «هل يَرَاكم» مَن يَنقُل عنكم، «هل يراكم مِن أحد» حين تُدبِّرون أمورَكم؟ «ثم انصرفوا» أي: عن طريق الاهتداء، وذلك أنَّهم حينما بُيِّن لهم كَشْفُ أسرارهم والإعلام بمغيَّبات أمورِهم، يقع لهم لا محالةَ تعجُّبٌ وتوقُّفٌ ونَظَر، فلو اهتَدَوا لكان ذلك الوقت مظنَّة النَّظَر الصحيح والاهتداء.

قال الضحاك: هل اطَّلع أحدٌ منهم على سرائرِكم مخافةَ القتل[3].

«ثمَّ انصَرَفوا» إنْ كان حقيقةً، فالمعنى: قاموا مِن المكان الذي تُتْلَى فيه

(١) الكشاف ٢/ ٢٢٢.

(٢) لم نقف على القراءة هكذا، بل أوردها الثعلبي في التفسير ٣/ ٢٦٧ هكذا: «وما يذكرون»، وأوردها أيضاً الآلوسي في روح المعاني ١٠/ ٥٧٨ هكذا: «وما يتذكرون»، وكذا أوردها السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٦ نقلاً عن الضحاك، عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٧.

السورة، أو مجازاً، فالمعنى: انصرفوا عن الإيمان، وذلك وقت رجوعهم إليه وإقبالهم عليه، قاله الكلبيُّ، أو رجعوا إلى الاستهزاء، أو إلى الطَّعْن في القرآن والتكذيب له ولمَن جاءَ به، أو عن العمل بما كانوا يَسمعونه، أو عن طريقِ الاهتداء بعد أنْ بُيِّن لهم ومُهِّد، وأُقيمَ دليلُه، وهذا القولُ راجعٌ لقول الكلبيِّ.

«صَرَفَ اللهُ قلوبَهم» صيغتُه خبرٌ وهو دعاءٌ عليهم بصَرْفِ قلوبهم عمَّا في قلوب أهلِ الإيمان، قاله الفرَّاء[1].

والظاهر أنَّه خبرٌ، لمَّا كان الكلام في مَعْرِض ذِكْر الذَّنْب بَدَأَ بالفعل المنسوب إليهم وهو قوله: «ثم انصرفوا» ثم ذَكَر فِعْلَه تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فِعْلهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. قال الزجَّاج: أَضَلَّهم[2]، وقيل: عن فَهْم القرآن والإيمان به، وقال ابنُ عبَّاس: عن كلِّ رُشْدٍ وخيرٍ وهدًى. وقال الحسن: طُبِعَ عليها بكُفْرهم[3].

قال الزمخشريُّ: «صَرَفَ اللهُ قلوبَهم» دعاءٌ عليهم بالخِذْلان، وبصَرْف قلوبهم عمَّا في قلوبِ أهلِ الإيمان مِن الانشراح[4].

«بأنَّهم قومٌ لا يَفقهون» يَحتمل أنْ يكون متعلِّقاً بـ «انصرفوا»، أو بـ «صرف»، فيكون مِن باب الإعمال، أي: بسبب انصرافهم، أو «صَرَفَ اللهُ قلوبَهم» هو بسبب أنَّهم لا يَتدبَّرون القرآنَ فيَفقهون ما احْتَوى عليه ممَّا يُوجِب إيمانَهم والوقوف عنده.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ لمَّا بَدَأَ السورةَ ببراءَةِ اللهِ ورسولِه مِن المشركين، وقَصَّ فيها أحوالَ المنافقين شيئاً فشيئاً، خاطب العربَ على سبيل تعدادِ النِّعم عليهم والمَنِّ عليهم بكونه جاءَهم رسولٌ مِن جنسهم أو مِن نَسَبِهم، عربيًّا قُرشيًّا،

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٥٥.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٧٦.
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ٢٣٤.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٢٣.

يُبلِّغهم عنِ الله، متَّصف بالأوصاف الجميلة مِن كونه يَعِزُّ عليه مشقَّتهم في سُوءِ العاقبة مِن الوقوع في العذاب، ويَحْرِص على هداهم، ويرأف بهم ويَرحمهم.

قال ابنُ عباس: ما مِن قبيلةٍ مِن العربِ إلَّا وَلَدَت النبيَّ ﷺ[(١)]؛ فكأنَّه قال: يا معشرَ العَرَب، لقد جاءَكم رسولٌ مِن بني إسماعيل.

ويَحتملِ أنْ يكون الخطاب لمَن بحَضْرته مِن أهلِ المِلل والنِّحَل، ويَحتمل أنْ يكون خطاباً لبني آدم، والمعنى أنَّه لم يَكُن مِن غيرِ جنسِ بني آدَمَ؛ لِمَا في ذلك مِن التنافُر بين الأجناس، كقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] ولمَّا كان المخاطبونَ عامًّا، إمَّا عامَّة العرب، وإمَّا عامة بني آدَمَ، جاء الخطابُ عامًّا بقوله: «عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم» أي: على هدايتكم حتى لا يخرجَ أحدٌ عن اتِّباعه فيَهلك، ولمَّا كانت الرَّأْفَةُ والرَّحْمة خاصَّةً جاء متعلَّقها خاصًّا، وهو قوله: «بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ» أَلَا ترى إلى قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال في زُناة المؤمنين: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النور: ٢].

قال ابنُ عطيَّة: وقوله: «مِن أنفسِكم» يقتضي مدحاً لنَسَب النبيِّ ﷺ، وأنَّه مِن صميمِ العرب وأشرفها، ويُنظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: «إنَّ اللهَ اصطفى كنانةَ مِن ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً مِن كنانةَ، واصطفى بني هاشم مِن قريش، واصطفاني مِن بني هاشم»[(٢)]، ومنه قوله ﷺ: «إنِّي مِن نكاح ولستُ مِن سِفَاحٍ»[(٣)]

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٤١، والقرطبي ١٠/ ٤٤٠، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣/ ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع، وهو عند أحمد (١٦٩٨٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٨١٢) عن ابن عباس ﵄، وفي إسناده: فُليح بن سليمان، وأبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية، وهما سَيِّئا الحفظ كما ذكر ذلك الحافظ في التقريب.
وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات ١/ ٤٣ عن عائشة ﵂، وفي إسناده: الواقدي، وهو متروك.
وأخرجه عبد الرزاق (١٣٢٧٣)، وابنُ سعد في الطبقات ١/ ٤٣-٤٤ عن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه، مرسلاً، ووصله الطبراني في الأوسط (٤٧٢٨)، عن علي بن أبي طالب، وفي إسناده نظر، كما ذكر الحافظ في التلخيص الحبير ٣/ ١٧٦، وقال: رواه البيهقي [٧/ ١٩٠] من حديث أنس، وإسناده ضعيف. اهـ.

معناه: أنَّ نَسَبَه ﷺ إلى آدَمَ عليه السلام لم يَكُن النسلُ فيه إلَّا مِن نكاحٍ، ولم يكن فيه زنًى. انتهى.

وَصَفَ اللهُ نبيَّه عليه السلام بستَّة أوصافٍ؛ الرسالة، وهي صفةُ كمال الإنسان؛ لِمَا احتَوت عليه مِن كمالِ ذاتِ الرَّسول وطهارةِ نفسِه الزكيَّة، وكونهِ مِن الخيارِ، بحيث أُهِّلَ أنْ يكونَ وساطةً بينَ اللهِ وخَلْقِه، ولمَّا كانت هذه الصفةُ أشرفَ الأشياءِ بُدئَ بذِكْرِها، وكونه «مِن أنفُسِهم» وهي صفةٌ مؤثِّرة في التبليغ والفَهْم عنه والتآنس بهِ، فإن كان خطاباً للعرب ففي هذه الصفة التنبيهُ على شَرَفِهم والتحريضُ على اتِّباعه، وإن كان الخطابُ لبني آدَمَ ففيه التنويهُ بهم واللُّطف في إيصال الخير إليهم، وأنَّه معروف بينهم بالصِّدْق والأمانة والعَفَاف والصِّيانة، وكونه يَعِزُّ عليه ما يشقُّ عليكم، فهذا الوصف مِن نتائجِ الرسالة، ومِن كونه «مِن أنْفُسِهم» لأنَّ مَن كان منكَ وادٌّ لك الخيرَ، وصَعْبٌ عليه إيصالُ ما يؤذي إليكَ، وكونه حريصاً على هدايتهم، وهو أيضاً مِن نتائج الرسالة؛ لأنَّه بُعِثَ ليُعْبَدَ اللهُ ويُفرَد بالألوهيَّة، وكونه رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، وهما وصفانِ مِن نتائج التبعيَّة له والدخولِ في دِيْنِ اللهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] «المُؤْمِنُ للمُؤْمِن كالبُنْيَان يَشُدُّ بعضه بعضاً»[(١)]، حتى تحبَّ لأخيكَ المؤمن ما تحبُّ لنفسِك[(٢)].

وقرأ ابنُ عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابنُ محيصن، ومحبوب عن أبي عَمرو، وعبدُ الله بنُ قُسَيْط المَكِّيُّ، ويعقوب مِن بعضِ طُرُقه: «مِن أَنْفَسِكم» بفتح الفاء، ورُويت هذه القراءةُ عن رسولِ الله ﷺ وعن فاطمةَ وعائشةَ ﵄[(٣)]، والمعنى: مِن أَشْرَفِكم وأعَزِّكم، وذلك مِن النَّفَاسَة، وهو راجعٌ لمعنى النَّفْس؛ فإنَّها أعزُّ الأشياءِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) واللفظ له، من حديث أبي موسى ﵁، وهو عند أحمد (١٩٦٢٤).

(٢) مأخوذ من قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه» وهو عند البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وأحمد (١٢٨٠١) من حديث أنس ﵁.

(٣) ينظر زاد المسير ٣/ ٥٢٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، والكشاف ٢/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٤١، والقراءة في القراءات الشاذة ص٥٦ عن النبيِّ ﷺ وفاطمة وابنِ عباس، وفي المحتسب ١/ ٣٠٦ عن عبد الله بن قُسَيط.

والظاهر أنَّ «ما» مصدريَّة، في موضع الفاعل بـ «عزيز» أي: يَعِزُّ عليه مشقَّتكم، كما قال:

يَسُرُّ المرءَ ما ذهبَ الليالي وكان ذهابهنَّ له ذهاباً[(١)]

أي: يَسُرُّ المرءَ ذهابُ الليالي.

ويجوز أن يكون «ما عنتم» مبتدأ، أي: عَنَتكم عزيزٌ عليه، وقدِّم خبره، والأوَّل أعربُ. وأجاز الحَوفيُّ أن يكون «عزيز» مبتدأ، «وما عنتم» الخبر، وأن تكون «ما» بمعنى «الذي»، وأن تكون مصدريَّة، وهو إعرابٌ دونَ الإعرابَيْن السابقَيْن.

وقال ابنُ القشيري: «عزيز» صفةٌ للنبيِّ ﷺ، وإنما وُصِفَ بالعزَّة؛ لتوسُّطه في قومه، وعَرَاقةِ نَسَبِه، وطِيْبِ جُرْثومَتِهِ[(٢)]، ثمَّ اسْتَأنَفَ، فقال: «عليه ما عَنِتُّم» أي: يهمُّه أَمْرُكم. انتهى.

والعَنَتُ تقدَّم شَرْحُه في «البقرة» في قوله: ﴿لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وقال ابنُ عباس هنا: مَشقَّتكم. وقال الضحاك: إثمكم، وقال سعيد بنُ أبي عَروبة: ضلالكم، وقال القتبيُّ: ما ضرَّكم، وقال ابنُ الأنباري: ما أهلككم، وقيل: ما غمَّكم[(٣)].

والأَولى أنْ يُضمَر في «عليكم» أي: على هداكم وإيمانِكم، كقوله: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ [النحل: ٣٧] وقوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. وقيل: «حريص» على إيصال الخيراتِ لكم في الدنيا والآخرة.

وقال الفرَّاء: الحريصُ هو الشَّحِيْحُ، والمعنى: أنَّه شحيحٌ عليكم أنْ تَدخُلوا النار[(٤)].

---

(١) صدر البيت في شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٩٧، وهمع الهوامع ١/ ٣١٧، وهو بتمامه في شرح قطر الندى ص٨٢ دون نسبة.

(٢) الجُرْثومة: الأصل. وروي عن بعضهم: الأَسَدُ جُرْثومةُ العرب، فمَن أضلَّ نَسَبه فليَأْتهم. اللسان (جرثم).

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٢٦٨، والنكت والعيون ٢/ ٤١٨، وتفسير البغوي ٢/ ٣٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٤١، وينظر أَثَر ابن عباس عند الطبريّ ١٢/ ٩٨، وقولُ القتبيّ ـ أي: ابن قتيبة ـ في كتابه تفسير غريب القرآن ص١٩٣، وابنِ الأنباري في الزاهر ١/ ٣٣٢-٣٣٣.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٤٢، وقول الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٥٦.

وقيل: «حريص» على دخولِكم الجنَّة، وإنَّما احتيجَ إلى الإضمار؛ لأنَّ الحِرْصَ لا يتعلَّق بالذَّوات.

ويَحتمل «بالمؤمنين» أَنْ يتعلَّق بـ«رؤوف»، ويَحتمل أن يتعلَّق بـ«رحيم»، فيكون مِن باب التنازع، وفي جواز تقدُّم معمولِ المتنازِعَيْن نَظَرٌ، فالأكثرون لا يذكرون فيه تَقدُّمه عليهما، وأجاز بعضُ النحويين التقديمَ، فتقول: زيداً ضَرَبتُ وشَتَمْتُ، على التنازع.

والظاهر تعلُّق الصفتين بجميع المؤمنين، وقال قوم بالتوزيع: «رؤوف» بالمطيعين، «رحيم» بالمذنبين، وقيل: «رؤوف» بمن رَآه، «رحيم» بمَن لم يَرَه. وقيل: «رؤوف» بأقربائه، «رحيم» بغيرهم.

وقال الحسن بنُ الفَضل: لم يَجْمَع اللهُ لنبيٍّ اسْمَيْن مِن أسمائه إلَّا لنبيِّنا ﷺ، فإنَّه قال: «بالمؤمنين رؤوف رحيم»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] [البقرة: ١٤٣].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: فإن أَعرضوا عن الإيمان بعد هذه الحالة التي مَنَّ اللهُ عليهم بها؛ مِن إرسالك إليهم واتِّصافك بهذه الأوصاف الجميلة، فقل: «حَسْبِيَ الله» أي: كافيَّ مِن كلِّ شيء «عليه توكلت» أي: فوَّضت أَمْرِي إليه لا إلى غيره، وقد كَفَاهُ اللهُ شَرَّهم ونَصَرَهُ عليهم، إذ لا إلَهَ غيرُه، وليست بآية متاركة؛ لأنَّها مِن آخِرِ ما نزل.

وخصَّ «العرش» بالذِّكْر؛ لأنَّه أعظمُ المخلوقات، وقال ابنُ عباس: العرشُ لا يَقدِرُ أحدٌ قَدْرَه[2]. انتهى، وذُكرَ في مَعْرِض شَرْح قدرة الله وعَظَمته، وكان الكفَّارُ يَسمعون حديثَ وجودِ العرش وعَظَمته مِن اليهود والنصارى، ولا يَبعد أنَّهم كانوا سَمعوا ذلك مِن أسلافهم.

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٤٤٢ وعزاه للحسين بن الفضل، وأورد القول أيضاً القاضي عياض في الشفا ١/ ٥٣، والطبرسي في مجمع البيان ١١/ ١٧٠ دون نسبة، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥٢١ وعزاه لابن عباس.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٣، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٥١، والطبراني في الكبير (١٢٤٠٤)، والحاكم ٢/ ٢٨٢ وصحَّحه على شرط الشيخين، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٨).

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن: «العظيمُ» برفع الميم، صفة للرَّبِّ، ورويت عن ابنِ كثير[١]، قال أبو بكر الأصمُّ: وهذه القراءةُ أعجبُ إليَّ؛ لأنَّ جَعْلَ «العظيم» صفةً لله تعالى أولى مِن جَعْلِه صفةً للعرش، وعِظَمُ العَرْشِ بكِبَر جُثَّته واتِّساع جوانبه على ما ذُكرَ في الأخبار، وعِظَمُ الرَّبِّ بتقديسه عن الحَجْمِيَّة والأجزاء والأبعاض، وبكمالِ العِلْم والقُدْرة، وتنزيهه عن أنْ يتمثَّل في الأوهام أو تصل إليه الأفهام[٢].

وعن ابنِ عباس: آخِرُ ما نَزَلَ: «لقد جاءكم» إلى آخِرِها[٣].

وعن أُبَيٍّ: أَقربُ القرآنِ عهداً بالله: «لقد جاءكم» الآيتان[٤].

وهاتان الآيتان لم تُوجَدا حين جُمعَ المصحف إلَّا في حفظ خُزَيمة بنِ ثابت ذي الشهادتين، فلمَّا جاء بهما تذكَّرهما كثيرٌ مِن الصحابة، وقد كان زيدٌ يَعرفهما، ولذلك قال: فَقَدْتُ آيتين مِن آخِرِ سورة التوبة. ولو لم يَعرفهما لم يَدْرِ هل فَقَدَ شيئاً أوْلاً، فإنَّما ثَبَتَت الآيةُ بالإجماع لا بخزيمة وَحْدَه[٥].

وقال عمر بنُ الخطَّاب: ما فُرِغَ مِن تَنزُّل «براءة» حتى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ يَبقى منا أحدٌ إلَّا سينزل فيه شيء[٦].

وفي كتاب «أبي داود» عن أبي الدرداء قال: مَن قال إذا أصبحَ وإذا أَمْسَى: حسبيَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا هو، عليه توكلتُ وهو ربُّ العرش العظيم، سبعَ مرَّات، كفاهُ الله تعالى ما همَّه[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٤٣، ونسبها في القراءات الشاذة ص٥٦ لأهل مكة، والرواية المشهورة عن ابنِ كثير كقراءة الجماعة.

(٢) تفسير الرازي ١٦/ ٢٣٨.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٤٣، وقال إثرها: وقد ذكرنا عن ابن عباس خلافه، على ما ذكرناه في «البقرة» [٤/ ٤٢١]، وهو أصحُّ. اهـ.

(٤) المصدران السابقان، والخبر أخرجه الطبري ١٢/ ١٠١-١٠٢، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٣٩٩٤)، وأحمد (٢١١١٣)، والطبراني في الكبير (٥٣٣)، والحاكم ٢/ ٣٣٨.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وينظر تفسير القرطبي ١/ ٩٢.

(٦) زاد المسير ٣/ ٤٦٦ عند تفسير الآية (٦٦) من هذه السورة، والخبر أورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٠٨ وعزاه لأبي الشيخ.

(٧) سنن أبي داود (٥٠٨١) موقوفاً على أبي الدرداء، وأخرجه مرفوعاً عنه ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة (٧١).

تمَّ الجزء الحادي عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء الثاني عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

الآية الأولى من سورة يونس

فهرس الآيات

سورة الأنفال ٥

• **مفردات الآيات (١-١٤) من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾**
إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ ٧

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ ١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ ١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ ١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ ٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ ٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ ٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ ٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ ٤٣

• مفردات الآيات (١٥-٤٠) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ ٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ ٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ ٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ ٥٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ ٥٩

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ ٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ ٦٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾ ٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ٧٦

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ ٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾ ٨٢

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ ٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ ٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ ٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ ١٠١

• **مفردات الآيات (٤١-٧٥) من قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾** ١٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ١٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ . ١١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ ١١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ ١١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ ١٢٠

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ١٢١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ١٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ ١٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ ١٢٧

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ ١٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ ١٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ١٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ١٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ... ١٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ١٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ١٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ١٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ . ١٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ ١٥٢
تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ١٥٤
تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ١٥٦
تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾﴾ ١٦١
تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ ١٦٦
تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾ ١٧٠
تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ ١٧٢
تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ ١٧٣
تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ ١٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ ... ١٧٥

سورة التوبة ....

• **مفردات الآيات (١-٣٣) من قوله تعالى:** ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ١٧٦
تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ ١٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ ١٨٥

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ١٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ ١٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾ ١٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ ١٩٧

تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ ٢٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ ٢٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ ٢٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ ٢٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ ٢١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ... ٢١٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ﴾ ٢١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ﴾ ٢١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ ٢١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ ٢٢١

تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ٢٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ ٢٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ٢٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ .. ٢٢٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ ٢٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ ٢٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ ٢٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ٢٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ٢٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ٢٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢﴾ ٢٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ ٢٥٦

• **مفردات الآيات (٣٤-٦٠) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** .. ٢٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ ٢٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ ٢٦٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ ٢٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝٣٧﴾ ٢٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨﴾ ٢٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ ٢٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ٢٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ١٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ ٢٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ٢٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ٢٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ٢٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ٢٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ٢٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ٢٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ٣٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ ٣٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ٣٠٣

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ٣٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ٣٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ٣٠٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ٣١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ٣١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ٣١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ ٣١٧

• **مفردات الآيات (٦١-٩٢) من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾** .. ٣٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ ... ٣٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ ٣٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ ٣٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ٣٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ٣٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ٣٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ٣٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ٣٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ٣٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ ٣٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ .. ٣٥٤

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)﴾ ٣٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾ ... ٣٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)﴾ ٣٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)﴾ ٣٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)﴾ ٣٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾ ٣٧٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)﴾ ٣٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)﴾ ٣٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)﴾ ٣٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ ٣٨٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ ٣٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ٣٩١

● مفردات الآيات (٩٣-١٢٩) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ ٣٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ٤٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ٤٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ٤٠٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ ٤٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ ٤٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ ٤٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ ٤٠٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ٤١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ٤١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ٤١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ ٣٢٠

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ ٤٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ ٤٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ٤٢٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ ٤٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ ٤٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ ٤٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ ٤٤٢

تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ . . . ٤٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ ٤٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨)﴾ . ٤٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩)﴾ ٤٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾ ٤٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ ٤٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ ٤٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٥)﴾ ٤٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾ ٤٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾ ٤٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ ٤٧٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ ٤٨٠